الياس الديري

من يصنع الرئيس ؟

الياس الديري



المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الطبعة الاولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
الحمراء ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام
هاتف: ٨٠٢٤٠٧ ـ ٨٠٢٤٢٨ ص . ب ١١٣/٦٣١١ بيروت ـ لبنان

المقدمة

منذ إعلان دولة لبنان الكبير ، وموضوع الرئيس والرئاسة في لبنان من أبرز الهموم وأعقد المشكلات التي يتخبّط فيها نظام العائلات والعشائر ، إنما في نطاق ديموقراطية هشة يقتصر دورها على المظهر دون الجوهر . قبل الاستقلال الوهمي الذي أعطينا أياه نتيجة الصراع على النفوذ بين فرنسا وبريطانيا وبعده ، قبل الحرب القذرة وخلالها وبعدها كان الرئيس ولا يزال هو المحور السياسي الذي يستقطب كل ما عداه ويتحكّم باللعبة الديموقراطية وأسلوب ممارستها ، وهو بالتالي النقطة الجاذبة للمنافسات السياسية والانفجارات بين عائلات النظام وعشائره .

فالنظام هو الرئيس ، يكون على صورته ومثاله . يمتزجان . يصيران كلاً واحداً .

والرئيس هو النظام ، يهبط به أو يرتفع . يتطوّر أو يتحجر . وحتى الآن النظام والرئيس من طينة واحدة . ثابتان .

حول الرئيس وعليه ومن أجله تهتز السيبة وتتعرَّض الصيغة للارتجاج .

والصيغة هي الرئيس .

والرئيس هو السيبة .

والصراع السياسي في المفهوم اللبناني يصبُّ دائماً في خانة الرئيس . فإما أن يكون الرئيس مدبِّراً للصراع ومخطِّطاً له ، دحراً لخصومه وسعياً الى التجديد ، أو أن يكون الخصوم والساعون الى ازاحة الرئيس هم المحرّك والطباخّون .

وتبعاً لذلك ، وفي اطار فولكلوري بدائي ، ترتسم المواقف وتتشكّل التكتّلات النيابية والشعبية ، وتتألّف أحزاب وتنشأ جبهات وتولد تجمّعات .

كل ست سنوات مرة يطل موضوع الرئيس ، فيغرق الوضع السياسي في

خضمّه وينتصب الميزان . وكل مرة نطرح السؤال قبل مجيء الرئيس الجديد ، لنطويه موقتاً وريثما تقترب الولاية من صفحاتها الأخيرة ، فنعود اليه مثلما ودّعناه ضاربين في رمل الأسماء ، نتدفق حماساً متناسين العوامل الحقيقية المؤثرة والفاعلة في تكوين ملامح الرئيس وصياغة أوصافه وصناعته .

رئيس لبنان العائلات ، كانوا يسمّونه قبل حرب داحس والغبراء .

ثم فوجئنا بتقرير من واشنطن ينشر علينا بعد تسلّم الرئيس سركيس الحكم يستبدل عنوان العائلات بالأمراء. يستبدل التسمية. أمراء السياسة. أمراء الحكم. الورثة. المتعاقبون على الحكم، المستأثرون به أباً عن جد وعن جد الجد.

قيل في التقرير يومها أنه غير دقيق .

والتقرير قال ان على رئيس لبنان الذي من غير الأمراء أن ينهي حكم الأمراء ، ويبدأ في كتابة صفحة جديدة لحكم جديد ولديموقراطية حقة ومؤسسات دستورية يكون انتماؤها أولاً وأخيراً الى الوطن لا الى العائلة أو الطائفة .

كيف ينتهي حكم الأمراء ؟
فالنظام اللبناني ، على علاّته مع التذكير بحسناته ، هو نظامهم . كأنه وُلِدَ معهم ، أو هو فصِّل على مقاسهم . يناسبهم تماماً ويناسبونه .

والصيغة أيضاً .
والدستوران ، المكتوب منهما وغير المكتوب .
والتركيبة العجائبية .

والسيبة : واحد زائد واحد زائد واحد . . . ثلاثة . السلطات الثلاث .
وجميعها تدور وتحور لتستقر راضية مرضية في خانة الرئيس .
الرئيس هو الكل في الكل .
لبنان هو في تقليده الديموقراطي عبارة موجزة عن رئيس يتقلّد الحكم وفق خطة مسبقة ليتحوّل الى قضية سياسية قائمة في ذاتها .

قبل طوفان الكارثة كان ارتباط الرئيس بالوطن أو ارتهان الوطن بالرئيس متأتياً من التناحر السياسي تحت شعار « لكل عهد دولة ورجال » ، والأصح تحت شعار كل عهد جديد ينتقم من العهد الذي كان قبله ومن « العهد » الذي يمكن أن يجيء بعده . كان الرئيس يستهل حكمه بالانتقام من عهد الرئيس الذي سبقه ، من

الرجال والمشاريع والقوانين . ثم يتربّص بأي سياسي طامح الى الرئاسة . . . لينتقم منه أيضاً .

مع ذلك كان الوطن رئيساً .
وكان الرئيس وطناً .
فوصلنا الى الهاوية .
فلا الوطن وطن .
ولا الرئيس رئيس .

لم يبق من الوطن في معناه السياسي سوى ورقة الشرعية . ولم يبق للرئيس من سلطاته الدستورية سوى . . . القصر .

الاثنان اضمحلاّ معاً ، كونهما يشكّلان جسماً واحداً وكلاً متمّماً .
هذه المرة أيضاً سيكون الرئيس هو الوطن ، ولكن ليس على ما كان متبعاً وسائداً . وليس على أساس أن يأتي الرئيس فيأخذ الوطن . بل على أمل أن يأتي الرئيس فيأتي الوطن .

فللمرة الأولى يحتاج لبنان رئيساً يسترجعه، يوجده ،يبعثه من العدم . فالرئيس الوطن هو العنوان الحقيقي للموعد الذي ننتظره على أحر من الجمر في تموز بعد أشهر قليلة . من هنا القول أن انتخابات رئاسة الجمهورية أصبحت هي الأهم ، وستبقى كذلك من الآن وحتى يتم ما جاء في الكتب ويتم الذي فيه النصيب . فهذه المرة ولا كل مرة . وهذه هي المرة الأولى والأخيرة التي تجعلنا نعادل الرئيس بالوطن والعكس بالعكس . فمع الرئيس الذي سيكون لنا ، إما أن يكون لنا وطن وإما نيمّم شطر البحر . مع الآتي الى الرئاسة يبدأ مشوار التأسيس ، ومعه يبدأ طي الحلم في الذاكرة وختمه بالشمع الأحمر ، أو نكبّر على وطن الرئاسات ، ويكون الحلم اذ ذاك حلم ليلة صيف .
مهما ابتعدنا عن الهاجس الرئاسي ، ومهما طرأت أحداث في المنطقة وفي العالم ، نجد أنفسنا مشدودين الى دائرة الهاجس والدوران حول أحاديث لا نشبع منها عن الرئيس الوطن ، الرئيس الأمنية ، ومخاوف لا حدود لها من الرئيس الخيبة ، أو الرئيس المثل كل الرؤساء السابقين .

كيف لا ، وكل شيء عندنا أصبح مرتبطاً بموعد الاستحقاق الأكبر ، إن لم يكن موعد ولادة الوطن ، الذي طالما اقترعوا على ثيابه وهو في عالم الغيب ، وطالما

تكاثر العاملون على إزالته من الجغرافيا والتاريخ والاذهان قبل أن يولد .

الرئيس الوطن ، من يكون ، كيف نريده ؟

المواطن اللبناني يجيب فوراً أنه الآدمي ، القبضاي ، العادل ، النظيف ، الخلوق ، الطموح ، الذي يحلم كثيراً ويرسم على مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع خريطة جديدة نهائية الحدود لوطن يعرف كيف يبني ذاته وكيانه ، ويعرف بالتالي كيف ينشىء مواطناً ويؤسس مواطنية . ويردم شريعة الوطن الدكان ، الوطن المزرعة ، الوطن الغابة .

الرئيس الوطن ، يريده اللبناني لكل لبنان الذي بات يتيماً من كثرة المتبنّين وقلة البنين . ويريده رئيساً لكل لبناني ، متعاطفاً مع الضعفاء والفقراء ، متسامياً فوق الحزازات السياسية الباهتة ، متناسياً الماضي البشع وأحقاده وترهاته ، قاسياً حتى الاستبداد في تطبيق القوانين وفرض النظام ، طاغية في استئصال أمراض الفساد والجشع وعدم التورّع والمتاجرة بكل شيء ، نقيض المركنتيلية اللبنانية المتأصّلة في المجتمع المسوّس الموبوء .

فمن تراه يكون ، هذا الرئيس الأمنية ، الرئيس الوطن ؟

الرئيس صائب سلام ، المسلم العنيد في وطنيته ولبنانيته ، سمّى الرئيس الذي ينشد ويتمنى ويتبنى . قال أنه يدعى ريمون أده . أما إذا تدخّلت ظروف قاهرة معروفة وغير معروفة وحالت دوننا والعميد ، فصائب بك ليس عنده مانع في البحث عمن تتوافر فيه مقوّمات بهذا الحجم وهذا الطموح . وما من لبناني الا ويتبنى ما تبناه الرئيس سلام ويسمّي من سمّاه .

المهم الرئيس كيف يكون ومن يكون ، لنعرف منه ، من ملامحه وشخصه وصفاته ، ملامح الوطن واحتمال الانبعاث . طبعاً ، لا تتوقف الأوطان عند أشخاص وأسماء ، ولا ترتهن مصائر الشعوب بمجيء أو عدم مجيء فلان أو علاّن الى رئاسة الدولة . لكن أوطاناً كثيرة لم تر النور وتقف على أرض ثابتة وتصمد وتشمخ الا بفعل ارادة بلورها شخص قائد فارس ، في مستوى صناعة الأوطان وصناعة التاريخ . فالوطن ليس كمية من البشر المتهافتين على المنافع والمسالب ، ولا هو مساحة من الأرض يغتصبها ويهتك حرمتها كل من يدفع التسعيرة ، بل هو قائد شجاع ، مثالي ، يقول لشعبه كلاماً عن الأرض وكرامتها وقدسيتها يجعل الشعب مهما كان مركنتيلياً مصلحجياً وسمساراً يخجل ويتورّع ويمتنع إن لم يكن مؤهلاً

لكي يكون على صورة قائده ومثاله .

وبقدر ما نقترب من موعد الاستحقاق الأكبر ، بقدر ما يكون السؤال الأساسي هو هل الدولة كمؤسسة ما زالت موجودة وحاضرة وفاعلة ، وهل ستكون امتداداً للدولة السابقة للانفجار ؟

في الجواب عن هذا السؤال ، كالجواب عن الهاجس الرئاسي وحلم الرئيس الوطن ، يمكن رؤية الكثير من الاشكالات والمفارقات التي يعيشها ويعج بها الحاضر اللبناني ، والتي ترتدي حيناً طابع الصراعات السياسية وأحياناً طابع الانفجارات الطائفية .

فالدولة ، أية دولة ، هي في النهاية اداة التوحيد الاجتماعي ، والضامنة للتوازن السياسي والاقتصادي . الدولة اللبنانية ، من هذا المنطلق أو المفهوم ، كانت تتويجاً لعناصر ومظاهر اجتماعية وطائفية لا ينطبق عليها تعريف الدولة الرأسمالية ، أو دولة النظام اليميني في المفهوم الماركسي اليساري . وهذا ما يفسّر عوامل استمرارية دور الطوائف كقوى سياسية لها الكلمة الفصل حتى في ما يتصل بالنظام والصيغة والقوانين .

هل يتوصّل لبنان الى صيغة الدولة ، فينتقل الوطن من وضعية الموقت الى الوجود المكرّس بارادة وطنية ؟

الجواب ينتظر وصول المؤسس وعودة الغائب غير المعروف وغير المنظور والذي طال غيابه .

هذا السياق في موضوع الرئيس والرئاسة يفضي بنا الى العنوان الكبير ، الذي تتفرّع منه أوردة الآلام الكثيرة والأمراض المتعدّدة التي تنهش الوطن الصغير ، خصوصاً في ما يعانيه وما وصل اليه من الانهيار : من يصنع الرئيس ؟

هذا هو العنوان ،
وهذه هي المسألة .

في السبعينات وعلى أبواب معركة المعارك ، في مثل هذه الأيام ، طرحنا موضوع الرئاسة والمسترئسين تحت العنوان نفسه مع عنوان فرعي « من المفوضيات الى السفارات » . ويبدو بوضوح اننا نسينا اضافة الموفدين والمبعوثين الى المفوضين والسفراء الذين يشتركون في حياكة ثوب الرئيس وصناعة عهده . وشرحنا بلسان

الشهود والوثائق كيف ولماذا ومن يصنع لنا رئيسنا .

إذن ، لا داعي للاستغراب وربما الاستنكار اذا عدنا اليوم الى هذه العلامة الفارقة ، كونها النقطة الأهم والحلقة الاساسية في مسلسل الرئاسة والطامحين والمستحقّين .

طبعاً ، عندما نسأل من يصنع الرئيس اللبناني نكون قد تعرضنا لقدس الأقداس ، وتجاوزنا الأصول والأعراف والنصوص ، ناهيك بالارادة الوطنية والسيادة والكرامة . فالسؤال يصدم بالفعل ويضع المواطن العادي في مواجهة طالما تهرّب منها .

السؤال يصدم ، هذا صحيح .

والكلام في موضوع الرئاسة على هذا النحو وبكثير من المونة على دور الرأي العام والمجلس النيابي ممثلاً الارادة الشعبية يصبُّ تلقائياً في خانة التيئيس . وهذا صحيح أيضاً .

إلا أن الصحيح كذلك هو أن الرئيس لا يزال يُصنع في مجالس غير مجالسنا ، وفي كواليس بعيدة عن كواليس النواب والسادة والساسة ، ويُرسل لنا مع أطيب التمنّيات ، وبالهناء والشفاء . وهذا الكلام مكرّر أيضاً ، لكنه لا يزال صالحاً للإستعمال ومطابقاً لواقع الحال ومطبّقاً في دفتر شروط معركة الرئاسة والملتزمين القدامى وأصحاب العروض الجدد الراغبين في الاشتراك في مناقصة تموز المقبل .

في السبعينات أقاموا القيامة عندما فتحنا ملف الرئاسة من باب خلفي وعكس السير وخلافاً للسيرة المتبعة . كان الشعب اللبناني ، على إهماله ولا مبالاته ، لا يزال غارقاً في أوهام جميلة مداها الصراع الانتخابي ومضمونها الحزبية المتوارثة لهذه الزعامة أو تلك . لذا رفض الكثيرون الأخذ بما قلناه كفراً عن صناعة الرئيس .

فالرئيس لا يُصنع في مفهوم المواطن العادي ، وكلنا في هذا المجال عاديّون جداً ، لذا بقي المتحزب لريمون اده يعلّق صورته على مدخل بيته طوال معركة الرئاسة ، اقتناعاً منه بأنه يساهم فعلياً في وصول العميد الى القصر . وفي المقابل ، ظل المتحزّب للرئيس كميل شمعون يقول للمشتغلين في طبخة الرئاسة طوّلوا بالكم قليلاً فالرئيس لم يجتمع بعد عند كاظم الخليل ويفتح أوراقه . ولا يزال من الصعب اقناع المواطن العادي بأن ليس صائب سلام ، قائد ثورة 1958 هو الذي كرّس مجيء

اللواء فؤاد شهاب الى القصر ، وان مجمع الكارلتون كان ينفذ ولم يكن يختار عندما أعلن ترشيح شارل حلو ، وان اختيار الرئيس الياس سركيس لم يتم نتيجةً لرجحان كفّته لدى الأكثرية النيابية .

بات لزاماً علينا أن نعرف ونعترف أن رئيس الجمهورية تنتخبه لنا وعنا ارادة دولية مشفوعة بمداخلات عربية جزئية ، وفق شروط ومواصفات تضعها هي ، وهي تسمّي من تتوافر فيه ، قبل أن يجتمع النواب في ساحة من الساحات أو في قصر من القصور ويقترعوا لمن اختارته الارادة تلك . خصوصاً أن فظائع الحرب القذرة وغرائبها لم تترك مجالاً للشك في أن الارادة اللبنانية مستعارة ومؤجّرة في الوقت نفسه ، وان الرئيس اللبناني لا يُصنع في قصر منصور ولا في معامل الزوق أو مصانع كسارة .

هل يكون الرئيس الوعد ، الرئيس الوطن ، الذي ننتظره مصنوعاً أيضاً ، مصنوعاً نيابة عنا ومفروضاً علينا ؟

حتى الآن ليس في الساحة من يستطيع أن يقول العكس .

فالطامحون من المسترئسين ، على كثرتهم ، لم يتركوا سفارة في الداخل الا وطرقوا بابها ، ولم يتركوا عاصمة دولية لها دورها في صناعة الرئيس الا وزاروها وأرسلوا اليها من يتحدّث عن استعداداتهم لتلبية كل الرغبات وتنفيذ كل الشروط والالتزام بكل القيود : اصنعونا كما تشاؤون ، المهم أصنعونا رؤساء وأجلسونا في القصر .

قبل الاستقلال الوهمي الذي أنالونا اياه ، مستبدلين الانتداب الفرنسي بالاستقلال الانكليزي . وبعد الاستقلال الذي تعاملنا معه بأخلاقية التابع المنتقل من متبوع انكليزي الى متبوع اميركي الى مستعد للتبعية تحت أية بنديرة وأية تسمية ، وأي شروط .

من المفوض السامي والزحف الى مجلسه الكريم وتبخير الأرض التي يتغندر فوقها ، الى السفير السامي الذي نهبُّ اليه زرافات ووحداناً طالبين الرضا ، غبرة الرضا ، وصفو الخاطر ولفتة من نظركم الكريم ، الى المبعوثين السامين الذين يتزاحم المسترئسون الذين برسم التصنيع على الاتصال بمرافقيهم طالبين موعداً ولو لدقيقة على الواقف .

لم يتغيَّر شيء ولم يتبدَّل حرف منذ كان لنا رئيس ، منذ رئاسة المرحوم شارل دباس . ومنذ ذلك الرئيس وهم يصنعون لنا رؤ ساءنا ، ونحن نصفّق ونتحمّس ونعلّق الصور ، عاملين على ايصال مرشحنا الى القصر . ومنذ ذلك الرئيس والمرشحون لم يدخلوا تعديلاً واحداً على أسلوب الترشيح . يعملون في السر وينكرون في العلن . . . ينتظرون موعد فض العروض وقبول واحد منها في التزام الرئاسة .

* * *

من تحت أنقاض لبنان الأمراء ننتشل بقايا الذاكرة غير المتلفة . ومن بين انقاض الذاكرة نقتلع نتفاً موجعة من الأحداث والحكايات ، ننفض عنها غبار النسيان ، فيمثل لنا في الحال وطن كان ولا يزال ضحية صراع أمراء الداخل على جبنة الحكم حتى ولو أدى الصراع الى التقويض والانهيار ، مثلما كان ولا يزال ضحية صراع أمراء الخارج على امتلاكه والاستئثار به . وكثيراً ، بل دائماً يلتقي الأمراء ، وتتوافق الشهوات ويكتمل التداخل الذي يتجلّى في استسلام طوباوي لمشيئة المصنع الخارجي .

فمن بقايا الذاكرة المرصّعة بتخوم من الخراب والرعب ، نعبر احتفالات القتل الجماعي وكرنفالات سدوم المتوسّط في اتجاه لملمة الخيوط وجمع الشتات . بعض الضوء ، بعض الصور ، بعض الأصوات ، بعض الوجوه . . . . فإذا بنا أمام بعضٍ من لبنان ، أمام فصول غير متكاملة من حكايته وحكاية هذا الكتاب الذي أُريد له أن يَمْثُل مرة أخرى في قاعة الشهادة حيث يدلي بافادته ، يقول ما عنده ، يشهد بما يتراءى له أنه الحق ، يؤ دي ما يظنّه واجباً وأمانةً ويقفل دفتيه مأذوناً بالانصراف .

مرة أخرى ، « من يصنع الرئيس » ؟

أجل . لقد سبق لـ « من يصنع الرئيس » أن أمتثل ومَثُلَ وأدلى بالشهادة . ولم تكن في حينه قد اندلعت حرب داحس والغبراء ، ولم يكن ثمة ما يومىء بأن الأخ سيأكل أخاه والجار ينكر جاره ، فيما حكم العائلات حكم الأمراء يواجه زلزالاً صاعقاً يهدّد في طريقه السيبة المسوّسة وما اتفق على تسميته الصيغة الفريدة والنموذج اللبناني للتعايش بين ما تيسَّر من المعتقدات والانتماءات والآراء .

ومن باريس ، تقول الذاكرة . من باريس التي كانت منتدبة ومفوّضة واماً

حنوناً ، وبُعَيْد الاستقلال بثلث قرن ، خرجت الاشارة الأولى من علامات الزمن الرديء الذي نرزح اليوم تحت قبضته الملوّثة ، رافلين في عاره ، متنعّمين بأعلى درجة من الاهتراء الخلقي والانحطاط الانساني والتفكك الوطني .

فلنعطِ بقايا الذاكرة سمة مرور ، ولندعها تروي القليل من محفوظاتها .

والذاكرة تقول أن ذلك حدث حقاً وقبل حوالي ثماني سنوات . فذات يوم من العام 1974 ، وكان العام يتهيّأ للوداع ولملمة آخر الأيام اللبنانية الهادئة ، كنت في باريس . كان الوقت مساء ، بعد قليل من المغيب الباريسي الدائم العبوس وكأن لا شمس تمر به ولا يخاطبه قمر . جو العاصمة الفرنسية لم يكن دافئاً تماماً ، والطقس الرمادي الشاحب يرسل مطره كخصلات شعر كستنائي متهدّل من دون رعود أو بروق ، مما يجعل باريس ومطارحها الدافئة أقرب الى سكون الخلوة مع الذات .

كانوا ثلاثة ، أحدهم سياسي محترف ومتفرّغ .
وكان الحديث متقطّعاً ، يقفز من قبرص المقسّمة الى هدير الأحداث المتجمعة في أجواء بيروت ، الى تدفق الأسلحة ، الى التوتّر السياسي على كل صعيد .

كانت الحرب احتمالاً ممنوعاً من التداول .

وكنت أحد الثلاثة الذين التقوا صدفة في باريس ، وتجالسوا صدفة الى طاولة مشرفة على جادة جورج الخامس في محاذاة نافذة ذلك الفندق .

فجأة انطلق صوت من داخل الى خارج .

التفتنا ، فإذا بالسياسي الذي معنا يؤ شّر بيده لرجل كان يمر عابراً . دخل الرجل مبتسماً . فاستقبله السياسي متهللاً : أنه صحافي أميركي ، تربطني به علاقة قديمة . أنه شيطان يعرف أسرار المطبخ الأميركي والأصناف المفضلة لدى إدارة السي . أي . اي . محتال .

هكذا قدّمه لنا السياسي .
فعلاً ، يبدو أنه شيطان .
وجهه مليء بالألغاز وعيناه لا تستقران في اتجاه لحظة واحدة .
ـ هلو .

- هلو جو . أجلس معنا .
- مستعجل .
- إجلس ، خذ كأس بيرة على الأقل .
- عندي شيء مهم أقوله لك .
- إجلس .

وجلس .

- أين كنت ، ماذا جاء بك الى باريس ؟ وجودك هنا يجعلنا نفكّر في احتمال وقوع أحداث فرنسية .
- الأصح أن تفكروا في احتمال وقوع أحداث لبنانية .

سقط الصمت علينا دفعة واحدة ، كأن رأس كل واحد منا تلقّى ضربةً من قطعةٍ فولاذية .

لكن الصحافي الأميركي الشيطان انتشلنا من الصمت عندما استأنف الكلام ، مدركاً أنه أوقعنا في دائرة الاستفهام المثير .

قال : كنت في قبرص .
كأنه أدلى بأمر لبناني : قبرص ؟
قال : أجل .
- ما رأيك ؟
- الأمر الواقع
- سيستمر ؟
- طويلاً . ولكن ، ليس هذا ما أريد قوله الآن . أظن أن عليكم أن تنتبهوا الى بلدكم ، فقبرصة لبنان واردة جداً وجدّياً .
وسكت .
- أكمل، حثّه السياسي . أكمل . من أين لك هذه المعلومات ؟ انك تمزح .
وسكت : لست أمزح . هذا كل شيء .

وقف السياسي ، أخذه من يده وانتحى به جانباً .

ولما عاد الينا لم يكن في حاجة الى قول أي شيء كما أننا لم نكن في حاجة الى الاستفسار . لقد عاد بوجه آخر ، وجه مقطّب مغلق غامق اللون ، فارقه الإشراق الذي كان له قبل لحظات .

إتفقنا أن يبقى الحديث بيننا : من شأن أي كلمة أن ترسل البلد الى كارثة .

إلا أن الحديث الذي كان بيننا متقطّعاً ونطناطاً استؤنف متركّزاً على موضوع واحد : الدولة . الدولة غير موجودة . الوطن غير موجود . كلنا في خبر كان . لم نؤسّس دولة . ورثنا مشروع دولة عن الانتداب الفرنسي ، فخربنا المشروع وأعدنا الأمور الى خانة الصفر . الحزازات الضيّقة . سياسة المختار والناطور . إبن الخوري وإبن اده . ابن شمعون وابن شهاب . إبن اده وإبن الجميّل . واضح أن مرضاً أخلاقياً يسيّرنا دولة وشعباً . حالة مرضية مزمنة تقصم ظهر البلد وتجعله دائماً في مهب الريح ، مرمياً على بساط البحث مصيراً واستقلالاً ووجوداً .

- مسؤولية من ؟
- رئيس الجمهورية هو المسؤول .

الرؤساء لم يفعلوا شيئاً . لم يبنوا ولم يؤسسوا . كل رئيس يأتي بعائلته ويفلتها في المزرعة . والمواطن يرى ويسمع ، فيقول بينه وبين نفسه اذا كان الكبير يعمل السبعة وذمتها فلماذا يطلبون مني أن أبشّر بمكارم الأخلاق .

- الرؤساء ؟

- الرؤساء نعم . ولا رئيس جاء وقال سأعمل شيئاً للبلد . سأرضي ربي وضميري . لا . يرضي فقط عائلته وجماعته أولاً ، ثم يقف على رضا القوى النافذة في الخارج . رضا أميركا وروسيا والفاتيكان . رضا مصر والسعودية وسوريا . رضا الذين رضاهم يؤمن له غطاء شرعياً ويمنحه فرصة قد تحقق له رغبة التجديد . التجديد التجديد . كل رئيس يأتي يستهل حكمه بالتخطيط للتجديد . ما هذا المرض ؟

. . . الرئيس .
إنه المرض .
إنه الرئيس المرض
إنه مرض الرئاسة .
إنه المشكلة المستعصية .

كلهم ، الذين الرئاسة من طائفتهم يريدون الرئاسة بأي ثمن ، بل مهما بلغ الثمن . يسيل لعابهم ويجرضون جرضاً عندما ينذكر اسمها . وكلهم مستعدّون

مسيرتها ، ولأن موّالها لم ينته : ولا يزال أمامها تقويض لبنان الفلسطيني وتكسيره وتسكيره ثم اسكاته ، بعدما قضت على لبنان القرطاجيين الجدد .

وجميعهم مع المؤامرة معها بشكل أو بآخر مباشرة ومداورة .

وجميعهم ، عرباً ولبنانيين ، لم يقصّروا في ذبح الشقيق الأصغر والأضعف و . . . الأحمق بل انهم كانوا وما زالوا يتسابقون الى تسهيل مهمة المؤامرة ونحر لبنان الأزعر تحت أقدامها . وبدل الضحية الواحدة يقدّمون لها المئات والآلاف . إنهم ما زالوا يدلّلون على الجثة .

وتجار قرطاجة يعملونها من غير أن يرف لهم جفن . . . وسيعملونها ، يقول الصحافي الأميركي الذي قَرِفَ بدوره من زعمائنا ونوابنا وسياسيينا .

ما علاقة المؤامرة وصانعيها بـ« من يصنع الرئيس » ؟

بقايا الذاكرة تنفتح شهيتها على الثرثرة ونبش أوراق القهر من خلف الدهور . فالعلاقة أكيدة ووطيدة بين صناعة المؤامرة وصناعة الرئيس . أنهما توأمان من رحم واحد وعلى يد قابلة واحدة ، اسمان لمسمى ، من ماركة واحدة ، من مصنع واحد . بل هما اسمان لمرض واحد .

من يصنع الرئيس ،
من يصنع المؤامرة ؟

المفوض السامي ، القنصل السامي ، السفير السامي ، المبعوث السامي ، الممثل الشخصي السامي للرئيس السامي .

لم يتغيّر شيء .

كَبُر حجم اللعبة فقط . تطوّر أسلوب اللاعبين مع تطوّر الوسائل المستعملة وتعدّد أنواعها . وكبر حجم الضرر . كانت تنقضي بإضراب يوحي به المفوض أو السفير أو المبعوث . ثم لم يعد يكفي الاضراب واقفال المدينة واصدار البيانات المقتضبة . فمع حلول صيف1958 دخل عنصر المواجهة المسلحة وتثوير المعارضة الداخلية بتحريض خارجي ، وتحت شعارات جاهزة وموضّبة باتقان ، تطرح في الأسواق والأندية والمجالس حيث تجد من يتهافت عليها ويتبنّاها للحال .

كل عمرها هكذا! .

وكل عمر الزبيبة اللبنانية معقوصة بعود خارجي .

وكل عمرها السياسة اللبنانية العليا تبدأ بالرئيس وتنتهي عنده . فالذين يصنعون الرؤساء يطلبون الكثير ، وفي أحيان يطلبون ما ليس في قدرة الرئيس تلبيته أو الموافقة عليه . يطلبون منه حتى خطوط الاحراج وعندما يتقاعس يبدأ فصل الاخراج . وأول الذين أُحرِجوا فأُخرجوا كان الرئيس الشيخ بشارة الخوري . طلبوا فتملّص حتى الرفض . أحرجوه فلم يكن في إمكانه الموافقة . فأخرجوه بثورة سلمية . وفي كتاب « حقائق لبنانية » لا يكتفي الشيخ بشارة بالتلميح بل يذهب الى حدود تسمية الأشياء بأسمائها .

الرئيس كميل شمعون أيضاً .
ثم الرئيس فؤاد شهاب .
ثم الرئيس شارل الحلو .
ثم . . . .

طلباتهم لا تتوقف . وفي معظمها هي طلبات تشبه الأوامر والقرارات ومن العيار الثقيل الذي لا يستطيع رئيس لبناني ابتلاعه والتآلف معه .

وإذا رفض الرئيس تقوم القيامة . يقيمون القيامة عليه . تهدر الثورة في الشوارع ويلعلع الرصاص وترتفع اللافتات ويقترب كل شيء من نهايات دراماتيكية عاصفة ، كما يحشرون مصير الكيان في الدق . يصبح لبنان هو المستهدف . فوراً ترتفع أصوات تنادي بعروبة لبنان وضرورة انتمائه الى محيطه الجغرافي والانساني ، فتقابلها أصوات تنادي باللبننة . . . وتنهمر الاتهامات ، فلا يعود أحد يسمع أحداً أو يفهم على احد. برج بابل : امتيازات وغبن وخوف وانعزالية وشعوبية وأي لبنان نريد ، لبنان المستقل ذو المميزات أم لبنان المثل بقية الأقطار العربية أم . . . .

يختلط الحابل بالنابل ويسود هرج ومرج ، ويصبح من المتعذّر بل من المستحيل التدخّل وتفريق الأصوات المتشابكة . فالقرار قد اتخذ . وعندئذ يكون الرئيس قد تبلّغ الرسالة ، فيجمع أوراقه وحقائبه ويستعد للرحيل .

بعد وقوع الواقعة يصل المبعوثون الذين يحطّون الرحال متلهفين الى تقديم المساعدة والعون في سبيل ايجاد الحل وانهاء الأزمة ، أو لتأكيد دعم الشرعية وتمكينها من ممارسة سلطاتها الدستورية وبسط سلطانها على الأراضي اللبنانية كافة ، مع تأكيد

حرص بلاد المبعوث على السيادة والاستقلال والصيغة والنظام .

والرئيس ؟
لا حول ولا قوة . . .

يفقد السيطرة ويفلت من يده زمام الأمور . يدرك فوراً ان « المصنع » ليس راضياً وينوي تغيير الماركة وانزال مادة جديدة الى الأسواق . يعرف أن سبيرز ومورفي ومايز وبراون وحبيب إسم واحد وقرار واحد ومصنع واحد .

دائماً الرئيس .
دائماً المشكلة .
ودائماً « المصنع » .

والوطن الصغير لم يكن يوماً هو نفسه . ورئيسه لم يتمكن من أن يكون هو نفسه الرئيس . وشعبه لم يكن هو شعبه . فالحال من بعضه ، والدوامة هي ذاتها . كل ست سنوات مرة . وكل مرة خضّة عرمرمية ، مع ذهاب الرئيس السلف ومجيء الرئيس الخلف . وكل مرة نقول هذه المرة ، هذه هي المرة الأخيرة المرة الأولى . فتطلع سلتنا فارغة . ونظل نحكي طوال ست سنوات عن الرئيس المنقذ والرئيس المؤسّس والرئيس الوطن والرئيس المعجزة . نتحدث عن الدور والقائد والبطل .

والدور رئيس . والبطل رئيس .
والقائد رئيس . والشعب رئيس .

في الشهر الرابع من العام 1976 ، في مجلس ضم قدامى الاستقلاليين ومن أمد الله بأعمارهم من شهود عصر الجنرال سبيرز والعهدين الأولين من عمر الاستقلال ، والحرب في أوجع مراحلها ، طرحت مسألة الرئيس و« المصنع » والمستر دين براون الذي أوفدته الحكومة الأميركية الى بيروت في خضم الأحداث فظنّت العاصمة اللبنانية أن الموفد الأميركي جاء ليوقف النزف الصاعق . . . ففوجئت بأنه آتٍ ليبحث في موضوع الرئيس ومن يخلف الرئيس سليمان فرنجية مع الشروط المشدّدة التي لا لبس فيها ولا غموض .

وكان الحوار الآتي :

ـ هل يعيد التاريخ نفسه على المسرح اللبناني ، فتنتهي مذبحة 1976 كما انتهت مذبحة 1958 ؟

ـ مع حفظ الفارق بين حجم مذبحة اليوم وحجم مذبحة الأمس ، يمكن القول ما اشبه اليوم بالبارحة .

ذلك أن لا شيء مستبعد أو مستحيل . وكل التطورات المتلاحقة ، عسكرياً وسياسياً ، توحي بأننا على أبواب تسوية مماثلة لتسوية 1958 نصاً وروحاً ، ومن دون زيادة أو نقصان . . . إلا في عدد الضحايا وعدد الحرائق وعدد الأبنية والمؤسسات التي لا تزال واقفة من غير تهديم واستبدال المستر روبرت مورفي بالمستر براون .

ـ لا بد من تعديل طفيف في السيناريو وأسماء الأبطال واسم المخرج . غير ان المراقبين يؤكدون انه حتى التعديل غير وارد ، إلا بالنسبة الى الكومبارس والأبطال الثانويين وألوان الديكور . مع اضافة فصل جديد متداخل مع الفصل القديم ، في المسرحية الدموية ، يدعى القضية الفلسطينية .

فالسيناريو هو نفسه . والأبطال هم أنفسهم . كذلك المخرج ومساعدوه ، مروا بالمنتج والمساهمين في النفقات والاكسيسوار . عربياً ودولياً .

وربما كان هناك احتفال جنائزي كبير ، يعقبه احتفال تبويس لحى وعناق ، ثم احتفال غسيل قلوب وعفا الله عما مضى وتحت اشراف أميركا وبمباركة بعض العرب أو كل العرب ومورفي براون . . . حبيب . . . .

ـ في كل حال ، لا شيء مستبعد أو مستحيل . ومن مراجعة أسماء أبطال مذبحة 1958 ثم مراجعة أسماء مذبحة 1976 ، يستطيع أي عابر سبيل وأي مستشرق في الشؤون اللبنانية والعربية أن يقول ما أشبه اليوم بالبارحة . فالفريقان لم يطرأ على أي منهما تعديل . فقط ، انتقلت بعض أحجار الداما من هذه الخانة الى تلك . والفرقاء العرب أيضاً . والفريق الأميركي خصوصاً . ثم الشعارات الوطنية والتغييرية .

ـ سنة 1958 كانت هناك قضية عربية وعالمية تدعى الرئيس جمال عبد الناصر والتيار الوحدوي الذي قاده ، وكانت هناك قضية لبنانية صغيرة تدعى التجديد أو عدم التجديد لرئيس الجمهورية . فالتقت القضيتان على حد السيف . ولا أحد يعرف حتى الآن أيّاً من القضيتين خطا الخطوة الأولى في تلك المذبحة . المهم أن المذبحة وقعت ووقع لبنان والشعب اللبناني فريسة الصراع على النفوذ بين أميركا و . . . . أميركا الأخرى ، أي بريطانيا .

- وسنة1976 كانت هناك قضية عربية وعالمية تدعى المقاومة الفلسطينية ومعها الحلول السياسية وجنيف ومشروع الدولة الفلسطينية ، وكانت الى جانبها قضية لبنانية صغيرة تدعى رئيس الجمهورية الخلف الذي يؤمّن الاستمرارية لرئيس الجمهورية السلف .

- طبعاً ، التقت القضيتان مجدداً ، فكانت الحرب وكان هذا الانكسار الموجع للوطن الصغير وللشعب الذي يتدافع بالمناكب سعياً وراء الشعارات الجوفاء والاغراءات الاستغلالية .

- سنة1958 انتهت الثورة أو كادت تنتهي وتندمل الجروح ويعود كل واحد الى بيته ، فقامت الثورة المضادة . . . ليشترك الجميع في جني ثمار دم الأبرياء . واشتركوا فعلاً .

- أعطت الثورة والثورة المضادة ثمار الحكم لأبطال الثورتين .

- وسنة 1976 انتهت المذبحة الرهيبة أو كادت أن تنتهي وتتوقّف هستيريا القتل الجماعي والتدمير الانتقامي ، فقامت المذبحة المضادة البشعة . . . . ليشترك الجميع ، وباسم التطور والعدالة ولبنان المستقبل ، في جني ثمار دم الأبرياء . وسيشتركون حتما واكيدا . وستصل الى كل منهم حصته بالعدل والقسطاس .

- سنة1958 أوفدت واشنطن مبعوثاً يدعى المستر مورفي ليستقصي ويطلع ويتحدث مع أطراف الثورة ، بعدما قُتل مَنْ قُتِلْ وتهدَّم ما تهدَّم . وسنة1976 أوفدت واشنطن مبعوثاً يدعى المستر براون ليقوم بالمهمة ذاتها وبعد خراب البصرة .ولكن هذه المرة من دون أسطول ومارينز .

. . . .

وانتقل الحديث الى البطل والدور واليأس . وكان شبه إجماع على أن الدور لا يزال يبحث عن البطل . والبطل لم يأت بعد . احترق لبنان في انتظار البطل . انطفأ الحريق والبطل لم يأت بعد . كان يمكن أن يكون الشعب اللبناني هو البطل وصاحب الدور الذي يملأ الفراغ . لكن الشعب كان هو الآخر ينتظر بطلاً يخلصه من مأساته وينقذه من المأزق المصيري وينقذه من نفسه . وكان يمكن أن يكون الأبرياء هم البطل . فكانوا الضحايا . وكان يمكن أن يكون الحكم هو البطل ، فكان الفراغ . وكان يمكن أن يكون المثقفون هم البطل فكانوا في عداد الجلادين . وكان يمكن أن يكون البطل أحد الذين ندموا على ما فعلت أيديهم ، وفي لحظة

احتضار وجداني قرر أن يكفِّر عن ذنوبه . الا أنهم كانوا في الضفة الأخرى حيث البطل لم يكن هناك .

قبل الحرب كنا نظن أن البطل خدعة تاريخية يفتعلها شعب ما في أزمة ما ليتصالح مع ضميره ، فيقول هذا هو البطل الذي كنت أنتظره . إلا أنه يكتشف بعد قليل أنه كان يخدع نفسه ، وأن البطل الذي اخترعه لم يكن هو البطل الذي كان ينتظره .

هذا ما حصل للشعب اللبناني ، المغلوب على أمره ، بعد أقسى وأبشع محنة . فكل يوم كنا نتوقع أن يطل البطل ، يطلّ على صهوة جواد مطهّم ويشهر سيفه . ويهتف لنا ويقول بصوت يدوّي فوق صوت المدافع : ها أنا قد أتيت وأقدمت ولبّيت .

وطال الانتظار .

كاد الشعب المغلوب على أمره أن ييأس . وقد يئس بالفعل . وها هو اليوم ينده على البطل الذي لم يأت الى الدور التاريخي .

لقد استجار الوطن الصغير من رمضائه بعمرو . بعمرو ما . بكل عمرو على وجه الأرض . وعلى أملٍ أن يكون هناك عمرو ما في مكان ما تحت سماء ما فوق أرض ما . ويستجيب . ويخلّص وطناً وشعباً وقضية .

شهود الزور أكثر من أن يحصوا على أصابع اليدين الاثنتين ، وكل الأيدي اللبنانية . انما الأبطال قلة . وقلة الى درجة أن أحداً منهم لم يظهر حتى الآن . على رغم ما حدث للإبن الضال .

البطل ، ان الدور التاريخي على أحر من الحرب . وعلى أسرع من الآلة الجهنمية . فكلهم كانوا أقزاماً يوم رفعت الحسناء السبية سترها . وبالفعل ما كانت الحسناء ترفع سترها لو أن في هذي الجموع رجالاً . فكيف بالأبطال . بل كيف بذلك البطل التاريخي الذي يفترض أن يكون هو ضمير الوطن وضمير الشعب وضمير الله . وهو قضاء لبنان وقدره .

عرفناهم جميعهم في الحرب وقبل الحرب وفي السلم وبين بين . واحداً واحداً عرفناهم . واحداً واحداً سمعناهم . من فجر الاستقلال الى ليل المحنة . ليس بينهم بطل . صيارفة وفريسيون وكتبة وباعة حمام . وباعة أسلحة وباعة أوطان .

يستحيل أن ينبت من بين الصيارفة وتجار الهيكل بطل يحمل سوطاً ويصرخ بصوته ، ويطهر الهيكل اللبناني من الفساد والرشوة والمفسدين والمرتشين وشهود الزور والذين حوّلوا الوطن الى دكان وحوّلوا المواطنية الى كشة فوق ظهورهم محمولة .

من دون شك ، سيظل هناك من يقول أنه هو البطل . وأنه حاول ملكاً . غير أن السنوات السبع من القتل والتدمير تمخضت فقط عن « أبطال » يتنافسون على الأرائك الجالسة فوق الجثث . فأينَه ذلك الحامل الكرباج يقتحم هذا الهيكل الذي يعج باللصوص ؟

* * *

وللمناسبة تتوثّب الذكرة وتتثاءب بوجع وهي تسترجع حكاية الولد الأزعر الذي وقع في الفخ . كيف استدرجوه الى جورة حفرها هو في طيشه وغيّه ، كيف رغّبوه وأرهبوه وأرغموه على الغطس في بحر ألاعيبهم .

والحكاية هذه تنطوي على خلفيات لم يمر عليها الزمن بعد . فقد كنت في مهمة خارج لبنان ، أحمل رسالة شفهية ، أواخر العام1975 ، من أربعة رجال بقي اثنان منهم على قيد الحياة .

كان الذهاب مفجعاً .
وكان الاياب أكثر إيلاماً .
وكانت الخلاصة التي تسقط منها هنا الأسماء والتفاصيل الدقيقة أمانة للغائبين واحتراماً للحاضرين ، في هذا الإطار التعميمي :

إن صورة لبنان في الخارج في حجم مأساته تماماً ومنغّصة مثل سمعته . والحديث عن الكارثة اللبنانية يكاد يكون خالياً من أية شفاعة أو أسباب تخفيفية . كلهم يدينونه . لا شماتة بل من فرط لوعتهم .

ومن خارج يبدو لبنان كولد أزعر وقع فجأة في الفخ . اصطادوه وهو يغنّي على ليلاه . لذا تجد الناس هناك ضده ومع معاقبته أكثر مما هي مع انصافه . وغالبية الأصابع التي ترتفع في وجهك كلبناني إنما ترتفع لتتهمك ولتبلغك غضبها عليك .

كبيرة مأساة لبنان في الخارج . ومن خارج تتراءى لك المحنة على حقيقتها ، عارية وجسدها مشوّه وبشع ، ووجهها مليء بالندوب والعلامات الفارقة . ويصير

وجهك وجهها . وتصيران واحداً . وتحزن ويصبح حزنك في حجم العالم عندما تسمعهم يشفقون على وطنك الصغير ويرثونه أمامك . ولا تعود الأرض كروية تدور على محور وهمي . بل تتسطح وتتحوّل الى خنجر محفور عليه اسم لبنان . وتحار ماذا تقول وهم يحاصرونك بالشفقة الباردة . بل ماذا تجيبهم عندما يسألونك ماذا حدث لكم أيها اللبنانيون ، ماذا أصابكم ؟

في كل مكان ينتظرك سؤ ال بارد . وتنتظرك نظرة باردة . وتنتظرك ابتسامة محنطة . وينتظرك الاتهام : ماذا فعلت أيديكم ؟

ثم يقدمون لك الصحف . كأنها مضبطة الادعاء . كأنها الحكم القطعي . من العنوان الى الصورة الى التفاصيل كلها تدينك . هذا أنت ، تقتل وطنك .

من خارج يبدو الوطن كأنه تحوّل الى نقطة سوداء على خريطة العالم . فلا كلام عنه إلا اذا كان مرفقاً بعلامات الاستفهام والتعجب والدهشة . ولا سؤ ال عما حدث للولد الازعر الا اذا كان مصحوباً بالاستنكار والاستهجان . تشعر أنهم ليسوا مع مأساتك . بل انهم يشعرونك انهم ضد مأساتك . فالصحف لا تعالج أسباب الكارثة ، إنما تتحدث فقط عن فظاعتها . وتضيف الى ذلك وصفاً مسهباً عن تفظيع اللبنانيين باللبنانيين وبلبنان . وليس بحياد أو موضوعية بل بما يشبه القرف .

والسياسيون الذين يعرفون لبنان ، وهم أيضاً مقهورون على لبنان وغاضبون على اللبنانيين ، يسألونك باستنكار كيف استطعتم أن تضيّعوا وطناً جميلاً وتخرّبوا بلاداً كانت كمثل أميرة . ولا يتوقفون في انتظار أي جواب عن السؤ ال . كأنهم يصدِّقون ولا يصدقون .

والديبلوماسيون العرب مثلهم مثل الديبلوماسيين الأجانب . يحاولون بشق النفس أن يبرروا بعض جوانب المذبحة لعلهم يخففون من سواد نقطة الحبر الأسود الواقفة في حلق العالم .

من خارج ؟ الكارثة أكبر .

وفي الخارج تنتظرك مأساة وطنك على كل رصيف . وفي كل سيارة . حتى سائق التاكسي يشعر بالحرج عندما يعرف أنك لبناني . فلا يعود يعرف كيف يحدّثك عن لبنانك . لكنه قبل أن تفتح الباب وتغادره يودعك بسؤ ال قاس : الى هذا الحد تكرهون وطنكم ؟

وتسمع الكثير الكثير . وتفهم ، من خارج ، لماذا حدث ما حدث .

مثلاً : يقول لك الذين يعرفون أن المؤامرة التي نفذها اللبنانيون ضد لبنان هي في كل حذافيرها من صنع أجهزة المخابرات . وهنا تتداخل كلمات ملغومة عن أدوار مريبة لمختلف اسماء وألوان أجهزة المخابرات في العالم . من الغرب الى الشرق مروراً بأوروبا ودول المتوسِّط .

لكنهم يستغربون كيف التقت أجهزة المخابراتَ الدولية على الساحة اللبنانية من أجل غرض واحد . وكيف برهن اللبنانيون أنهم أبرع من أجهزة الالكترون في تنفيذ الأدوار . بل أبرع من الأزرار في دقة التنفيذ .

ويقولون في الخارج ، أن اللبنانيين أكدوا خلال محنتهم أنهم لا يستحقون وطناً مستقلاً ، حتى لو كان هذا الوطن ولداً أزعر فالتاً ، مغروراً ، مهووساً . وبعضهم يذهب الى حد القول أنه كان حراماً على فرنسا أن ترفع يد انتدابها عن الولد الأزعر قبل مئة سنة . وكان حراماً على السياسيين اللبنانيين أن يحوِّلوا استقلال التراضي والرياء الى دكان مشرع الأبواب ، يبيع مختلف انواع البضاعة لشتى أنواع الناس .

وبحسرة كبيرة يقولون عندما يعرفون أنك آتٍ من وطن المذبحة انه لو كان في لبنان حكم ودولة وسلطة وشعب لما استطاعت مؤامرة أجهزة المخابرات أن تحقق أغراضها .

حتى الذين كنا نظن أنهم سيقفون بعناد وصلابة الى جانب لبنان عندما يتعرض للخطر ، يكتشف اللبناني في الخارج أنه كان يستند الى جدار من الوهم ويكتشف انهم ليسوا موجودين . ويكتشف أيضاً أنه ليس معهم وقت لمأساة الوطن الصغير . مشغولون في أمور أخرى . مشغولون في استقبال رجال البترول ورجال المال ورجال البلاد الآمنة . لا وقت للولد الأزعر . نفضوا أيديهم منه . وحده في الخارج كما هو وحده في الداخل .

إلا أنك ترمي حزنك على الرصيف وتخلع ثياب المنفى وتحزم وطنك المشلع فوق جبينك . وتعود . تعود لتقول له أنك وحدك . ولأنك وحدك يجب أن تكون وطناً عظيماً لا مجرد ولداً أزعر يهرب منه الناس أو ينصبون له فخاً ، أو تدبّر له أجهزة المخابرات مصيدة ينفذها ضده وعلى أرضه ابناؤه وأصدقاؤه وأشقاؤه . . .

* * *

في نهاية هذا المطاف ، نعود الى بيت القصيد حيث الرئيس والرئاسة

و« مرشحي الصمت زين . . . » والموفدين وحاملي الاختام وأشهر ماركات البضائع المعلبة والمتكلمين باسم أشهر مصانع الرؤساء والأحداث والكوارث .

نعود الى السؤال ـ البداية ، الى « من يصنع الرئيس » ؟

إن أتعس ما يواجه لبنان اليوم أنه لا يعرف الى أين هو ذاهب والى أين يذهبون به . يعرف فقط أن رقبته لا تزال معلقة بحبل الحرب المجهولة النهاية .

والناس أيضاً تعساء . تعساء لأنهم فقدوا حتى المرجع الذي يتلقى الشكوى . فلا أحد لأحد . ولا مسؤول . ولا وازع . ولا ضمير . ولا حوار سوى حوار الرصاص والنار . والناس تعساء لأنهم اكتشفوا مرة أخرى أن الآلة الجهنمية عائدة وفاتحة شدقيها لابتلاع المزيد من الأبرياء .

ومع ذلك ما زالوا يتحدَّثون عن الشرعية والبديل . وناس ذاهبون الى الحرب وناس ذاهبون الى اليأس وناس ذاهبون الى حرب أخرى قد تكون هي حرب الحرب إذا جاز التعبير . أي حرب رئاسة الجمهورية ، بل رئيس الجمهورية . . . المقبل .

فمن تراه يكون هذا الرئيس ، وماذا عساه يفعل اذا استطاع أن يصل واذا بقي من الجمهورية ما يستحق أن تعلن حرب الرئاسات من أجله ؟

كان يمكن أن يكون همّ اللبنانيين اليوم هو معرفة هذا البديل ومواصفاته وبرامجه وأفكاره ، وماذا لهم عنده عن المستقبل والأحلام الصغيرة والعدالة والأمان . لكن الهم الحقيقي الذي افترس طموح اللبنانيين وحوّلهم الى كائنات مشوهة تنشد الخلاص من آلة القتل ، تقلّص وتضاءل الى حجم رئيس برتبة حارس أمن . وحارس أمن فقط .

والمرشحون ، الساطعون في واجهة اللائحة الآن ، لم يكذبوا خبراً . ولم يكونوا الا عند حسن الظن بهم ، أي كما عودونا . استغلوا الجو وشمعوا الخيط وشمعوا أفواههم . الى حد التردد في القول أنهم مرشحون . بل الى حد التهرب من الادلاء بأي كلمة ضد المجزرة التي راحت ثم جاءت ثم راحت ثم ها هي تجيء . . . في خضم الحديث عن معركة البديل .

فكيف نطالب هؤلاء بأن يحدثونا عن برامجهم وأفكارهم وتطلعاتهم ؟

مرشحون فقط .

ومرشحون على أساس أن لا موقف لهم . ليسوا مع أو ضد . لا في الماضي ولا

في الحاضر . لا في الحرب ولا في السلم . وفي ظنهم أن حكمة « الصمت زين والسكوت سلامة » هي التي تؤمّن الطريق السالكة الى رئاسة الجمهورية في لبنان . وربما كانوا على حق في صمتهم وفي « البرنامج الرئاسي » الذي يعدّونه لأنفسهم .

الآخرون آخرون . مجرد أسماء تصلح ، من حيث الانتماء الطائفي ، لتكون بازاراً من بازارات التسوية .

تقليديّاً ، عوّدنا المرشحون لرئاسة الجمهورية الا يتكلموا والا يقولوا شيئاً عن ترشيحهم مهما بالغنا في مطالبتنا لهم بالكلام .

ولماذا تراهم يتكلمون ؟

ثم متى قبل اليوم تكلموا ؟

وأي مرشح لرئاسة الجمهورية في لبنان سبق له أن تجرأ على إعلان ترشيحه ، ولو من دون أن يعلن مع الترشيح برنامجاً إصلاحياً يريد تطبيقه ؟

فهل نطلب من الذين يرفضون الكلام حتى في أيام السلم أن يتكلموا وأيامنا أيام حرب ؟

السياسة على الطريقة اللبنانية هذه هي ، هكذا حالها : اصطياد المناسبات . عند تغيير العهود أحفظ رأسك واحفظ كرسيك . الاختباء وراء الصمت حتى عندما يكون الكلام من ذهب ويكون السكوت مثل الجريمة .

وانطلاقاً من هذا « المبدأ » ، مرشحو الصمت معهم حق . فهكذا تؤكل كتف رئاسة الجمهورية . فلماذا نستدرجهم الى التورّط في استنكار جريمة اغتيال الوطن ، وقد يؤدي الاستنكار الى تصنيفهم بين الانفعاليين والمتسرّعين والذين ضد أنفسهم وضد مصلحتهم ؟

أخيراً ، هذا الكتاب همّه واحد ، همه أوحد ، وهو أن يشرح للمواطن العادي ما يعرفه هذا المواطن وما يتهرّب من الاعتراف به أمام نفسه .

. . . فالى الاعتراف .

من المفوضيات الى السفارات



السفراء : مع سبيرس ممثل بريطانيا ورياض الصلح (فوق) . مع سولود ممثل الاتحاد السوفياتي (الوسط) . مع وودسورث ممثل أميركا (تحت) . (الصورة من ملف النهار)

يروي سياسي بارز ومرشح جدّي لرئاسة الجمهورية انه زار يوماً الرئيس الراحل فؤاد شهاب في محاولة أخيرة لاقناعه بالموافقة على التجديد ، فأجابه شهاب : روحوا انتخبوا الاستاذ شارل حلو .

ولما استفسر السياسي المرشح لماذا شارل حلو وليس عبد العزيز شهاب ، مثلاً ، او الياس سركيس الذي كان قد « عُينِّ » ولياً للعهد ، أجابه الرئيس اللواء : اسأل روما والأم الحنون .

كان ذلك في العام 1964 ، مطلع الصيف ، وبعد مضي واحد وعشرين سنة على نيل لبنان الاستقلال التام الناجز .

قبل هذا التاريخ بست سنوات لم يطرح أحد سؤالاً على أحد ، بالنسبة الى خليفة الرئيس كميل شمعون . فقد وصل المبعوث الأميركي روبرت مورفي وحسم قول كل خطيب : سمَّى اللواء الأمير فؤاد شهاب ، ووافق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

ولم يلغ هذا الواقع او يؤثِّر في مجراه المرسوم كون العميد ريمون اده ترشَّح ضد الرئيس شهاب « لكي لا يقال ان الأسطول السادس الواقف على أمتار من مجلس النواب انتخب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يقل نائب كلمة » . وما كتب قد كتب وتمت مشيئة المبعوث السامي .

هذا الفصل من كتاب من « يضع الرئيس » ، نشر في ملف أصدرته « النهار » في 25 نيسان 1970 ضمن سلسلة « لبنان 1970 » . وكان قد نُشر مُلخَّصاً وموسَّعاً ، كما بقية الملفات ـ الفصول ، في العدد الخاص الذي ختمت به « النهار » العام 1969 ، عام الهياج السياسي ضد « النهج » والمكتب الثاني ، واستهلت به معركة رئاسة الجمهورية ، تلك التي انتهت بانتخاب الرئيس سليمان فرنجيه .

سنة الاختيار الصعب

من المرشحين للرئاسة ، ولو لم يكتمل عقدهم بعد ، الى الرئاسة وصناعة الرؤساء والسؤال الكبير الذي يطل خجولاً ، مرة كل ست سنوات ، استراحة تشبه استراحة المحارب . ثم عرض تاريخي لسبع وعشرين سنة من الاستقلال ، وسبع عشرة سنة من الانتداب والمفوضين والمفوضيات . ثم عودة الى المرشحين ، ولو استحوا .

قبل أن تحل سنة السبعين ، ويعيِّد الناس ، ويرقصوا حتى الفجر ، كان بعض اللبنانيين يخاف ألا نصل الى 1970 الا وقد تغيَّر كل شيء ووقع المقدَّر والمكتوب . . . فتكون 1969 آخر سني لبنان ، لبنان رئاسات الجمهورية المنتخبة ، اللبنان الذي أصبح الفريد من نوعه في العالم العربي ومعظم « العالم الثالث » .

لماذا الخوف من سنة السبعين ؟ .

لأنها سنة الاختيار الصعب ، سنة الرئاسة الخامسة ، بل الجمهورية الخامسة .

ولأن اللبنانيين كانت قلوبهم تقفز من صدورهم عندما يعودون بالذاكرة الى سنة 1958 والسنوات التي تلتها ، خصوصاً سنة التجديد الذي لم يتم فصولاً .

ولأن عناصر تخويف جديدة دخلت في صميم اللعبة السياسية ، فكبَّرت دور الخوف ، واقحمت نفسها ، ربما غصباً عنها ، في الصراع حول الجمهورية الخامسة ورئيس الفرصة الاخيرة .

ولأن السؤال الذي طرح نفسه وفرضها فرضاً بعد سنة 1958 ، ازداد حجمه ورسوخه وأصبح هذا السؤال الابرز في كل المناسبات ، وهو : هل يظل لبنان الجمهورية جمهورية بالفعل ، أم يصبح لبنان دولة أخرى من دول العالم الثالث ، دول الانقلابات و« العسكريتاريا » ، يميزه عنها كونه ينتخب العسكر لحكمه انتخاباً .

أما وقد مر الشهر الثالث وبعض الشهر الرابع من سنة السبعين ، ولا يزال لبنان الجمهورية جمهورية ولو بصراع مرير وازدواجية لم يعرف حكم في العالم مثيلاً لها ، فإن

الأمل الصغير الذي لم يكن يجرؤ على مواجهة الخوف أخذ يواجه الخوف ويمتصه لكن بكثير من الحذر .

يبقى الايضاح الآخر عن « فلسفة » العرض التاريخي ، أي عن النظرية المستخلصة من كيفية انتخاب رؤساء الجمهورية ، والتي يمكن ايجازها بالنقاط الخمس الآتية :

أولاً : ان اختيار رئيس الجمهورية يتم قبل ان ينتخبه النواب . يهبط الوحي ويروح يطوف على اصحاب العلاقة كل بدوره . حتى اذا تمت عملية الاختيار واكمل الوحي جولته ، كانت عملية الانتخاب شكلية لا أكثر ولا أقل .

ثانياً : ان الاختيار وليد عناصر عدة ، أقلها شأناً ، بالاختبار ، اتجاهات الاكثرية النيابية وآراؤها وارتباطاتها .

ثالثاً : ان المرشح المختار يجري اختياره تبعاً لصورته ، صورته في الرأي العام ، وصورته في المحافل العربية والدولية ، ثم صورته في مجالس الحكم وحلقاته ، ومنها مجلس النواب .

رابعاً : ان الاختيار يتم بالتشاور بين مسؤولين مرئيين ومسؤولين غير مرئيين ، وبين غير مسؤولين مرئيين وغير مرئيين كذلك . وهذا التشاور لا نظام له بالطبع ، ولا دستور ، الا ان له قاعدة واحدة هي ان يجيء ناجحاً .

خامساً : ان ضابط المشاورة الكبير هو الرأي العام ، أي الاتجاه الغالب في البلد ، بحيث يتعذر على المتشاورين أياً كانوا ، وعلى النواب كذلك ، فرض رئيس على البلد يرفضه الرأي العام . بل على العكس ، يمكن القول ان الغاية من المشاورة كانت دائماً استقراء الارادة العامة وتوفير وسائل تجاوب المجلس معها .

وماذا بعد ؟ .

ثم فن اسمه اليوم « صناعة الرؤساء » ، تمارسه في بعض البلدان الديموقراطية الأحزاب التي ترشح وفي بعضها الآخر « الماكينات » الواقفة خلف الأحزاب ، او على هامشها .

وفي نطاق بريق هذا الفن نعود الى السؤال المنتظر عرض الجواب عنه في هذا « الملف » من سلسلة « لبنان 1970 » : من يصنع رئيس الجمهورية في لبنان ؟ .

للوهلة الأولى يبدو السؤال كأنه خارج عن الموضوع وخارج عن اللعبة وخارج عن

الأصول ، بل يبدو كأنه خارج على القانون . يصدم ، ويضع المواطن العادي في مواجهة احتمالين احدهما رفض السؤال برمته ، وثانيهما رفض الاجابة عنه .

لكن هل يعني الرفض ، وهو في براءته محق ، ان السؤال لم يعد وارداً ؟ .

ثم هل يكفي ان نرفض السؤال والاجابة عنه كي تكون الحالة التي اوجبت طرحه غير قائمة ، وتنتفي الأهمية التي له ؟ .

السؤال يصدم ، هذا صحيح .

الا ان الصحيح أيضاً ، والصحيح جداً ، هو أن الرئيس في لبنان لا يزال يصنع صناعة ويرسل مع اطيب التمنيات . . . الى ساحة النجمة من غير ان يمر بمصلحة الجمارك لتستوفي عنه الرسوم القانونية .

السؤال يصدم بالفعل .

لكنه بقدر ما يصدم ، تكون الصدمة قوية وشاملة لعقل المواطن اللبناني ولنفسه ، وبقدر ما يهز الصور الجميلة الملونة المعلقة على الجدران ضمن اطارات مفضضة او مذهبة ، تتضاءل الحاجة الى « قطع التبديل » التي نستعين بها او تفرض علينا يوم الانتخاب .

قال من يصنع الرئيس . . . قال .

الجواب البسيط الذي يتصوره كل منا والجاهز لدى كل منا ، له علاقة وطيدة بالعنفوان والفروسية و . . . الطهارة .

مثلاً ؟ .

اذا طرح السؤال في ساحة عامة في قرية نائية أو غير نائية ، يكون الجواب الذي يسمعه السائل من جميع الافواه أن الرئيس لا يصنع . لا يصنع لأنه ليس آلة ، ليس سيارة ولا جراراً ولا طاولة ولا خزانة . الرئيس شخص . الرئيس صفات بشرية . الرئيس ميزات وكفاءات وتجربة طويلة وخبرة . . . والنواب هم الذين « يصنعون » اذا كانت هناك صناعة ، واذا كان لا بد من استعمال الكلمة المرفوضة في الاساس والجوهر .

كيف ؟ .

يأتي النواب . يتشاورون ، يراجعون ، يدرسون ، يقارنون بين زيد من المرشحين وعمرهم ، يترددون في الاختيار . ثم يضع كل منهم الاسم الذي يراه مناسباً في

قبعة . وهكذا يتم اختيار الذي سيكون رئيساً على لبنان ، شعباً ومصيراً وطموحاً ومجداً ، والذي ستكون بين يديه ووفق ارادته جميع المقدرات طول ست سنوات .

عمر ، الست سنوات في حساب الزمن وحساب الذين يتسابقون مع العصر ، الا ان اللبنانيين حتى الآن ، كانوا يكتفون بعدِّ هذا العمر على الأصابع ولا يصدقون كيف تنتهي السنوات الست ليبدأوا من جديد مع الولاية الجديدة العد على الاصابع .

حسبنا نحن أن نحلم برئيس للجمهورية اللبنانية الخامسة (بعد جمهورية بشارة الخوري ، وجمهورية كميل شمعون ، وجمهورية فؤاد شهاب ، وجمهورية شارل حلو) يكون غير هؤلاء جميعاً ، ويكون انتخابه انتخاباً . . . لا صناعة .

من يصنع الرئيس

من شارل الأول الى شارل الثاني مسافة عمر : 44 سنة . ليست كلمة . مشوار طويل مليء بالمفاجآت والمتاعب في تاريخ لبنان . لبنان الانتداب ولبنان ما بعد الانتداب .

ومن المفوضيات الى السفارات . أي من المفوض السامي الى السفير السامي . انما المسافة نفسها والمشوار نفسه . تغيرت بعض الوجوه وغابت أسماء وبرزت اسماء ، انما لم يتغير حرف واحد من قاموس « صناعة الرؤساء في لبنان » .

ومن استقلال الدولة الى دولة الاستقلال ، فدولة العدالة الاجتماعية ، ثم دولة الازدواجية ، زادت الشعارات الوطنية وزاد عدد المزايدين ، وزاد عدد السفارات والسفراء ، لكن بقيت « صناعة الرؤساء» صناعة يشرف عليها اختصاصيون مرئيون وغير مرئيين .

لم يتغير شيء ، منذ تلك الأيام ؟ .

شهود سبعة سيروون في هذا العرض كيف « كانوا » يصنعون رؤساء جمهورية لبنان قبل الاستقلال ، وكيف لا « يزالون » يصنعون رؤساء جمهورية لبنان بعد الاستقلال :

السؤال تكراراً : من يصنع الرئيس في لبنان ؟ .

استغرب السيد موسى مبارك السؤال . ثم زالت آثار الدهشة عن وجهه ، ثم عاد

الى الذاكرة . ضحك : « الشغلة ليست هينة . فرنساوية وانكليز واميركان . شغلة طويلة عريضة » . والنواب ؟ .

يجيب الرجل الذي رافق السياسة اللبنانية ، من داخل ، قبل الاستقلال وبعده : « النواب ؟ يرفعون الاصابع . في معارك رئاسة الجمهورية لا مجال للاجتهاد الشخصي بين النواب . الآراء تتغير كل نصف ساعة . والتقديرات تتبخر دفعة واحدة كما تتبخر احلام الذين يحلمون بكرسي الرئاسة . قبل 1952 ، كميل شمعون نام مرتين رئيساً للجمهورية . لكنه صحا في المرتين ليجد انه لا يزال كميل شمعون من دون « صاحب الفخامة » . حميد فرنجية أيضاً . واميل اده وبشارة الخوري قبلهما . لعبة جهنمية يضحك جيداً فيها من يضحك أخيراً . وكلمة السر لا تأتي الا مع الصباح » .

لعبة ؟ قد تكون لعبة الرئاسة من أطرف ما تعرضه مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع . ونادراً ما كانت تنافساً منصفاً على ملعب مضيء الجوانب بين فرقاء يشرف على مباراتهم حكم حيادي .

الانكليز والفرنسوية

كنا صغاراً . وكان عمر الاستقلال صغيراً . كنا نسمعهم يقولون داخل الغرف المقفلة النوافذ : « الانكليز مع ابن الخوري والفرنساوية مع اده » . نسمعهم ولا نفهم شيئاً . لغز . واذا فتحت النوافذ نهرع مع الكرة المخططة بالأبيض والأسود . نقذفها ونتابع اللعب بعيداً عن الغرف التي تقال داخلها أشياء لا نفهمها .

وعندما كبرنا وكبر عمر الاستقلال وكبرت الضجة حول « دولة الاستقلال » و « استقلال الدولة » عدنا نسمعهم يقولون داخل غرف مشروعة النوافذ والأبواب : « الانكليز مع ابن شمعون والاميركان مع ابن شهاب » . هذه المرة لم تكن الكرة المخططة بين ايدينا . كانت سقطت في ساحة الطفولة ، ليحل محلها سؤال غير ساذج بمساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع : كيف تصنع انتخابات رئاسة الجمهورية ؟ واستطراداً - كما يقول محامو الجزاء - من يصنع الرؤساء في لبنان ؟ .

من يأتي بالرئيس وكيف وعلى اي أساس ، ومن يفسد أحلام الذين ينامون رؤساء ، ولماذا ؟ .

يقول السيد كمال جنبلاط ، في فورة اعتزاز ونشوة : « نحن الذين يصنعون

الرؤساء ونحن الذين يسقطونهم . وقد أسقطنا أكثر من رئيس وجئنا بمن نريد » .

ويدفع الكرسي الهزاز الذي يرتاح الى الجلوس عليه ، ليبقى السؤ ال الذي عمره 43 سنة يتنقل على أفواه الناس ويتردد بالحاح في كل سنة أخيرة من عهد كل رئيس .

يكبر السؤال ويتداعى ليستحيل هاجساً عند الناس الذين لا يصدقون ان الرؤساء في لبنان يصنعون صناعة بل ينتخبون انتخاباً .

الذين من داخل يضحكون في عبهم . موسى مبارك واحد من الذين يضحكون عالياً : « كان الصراع بين الانكليز والفرنسيين ، فأصبح بين الانكليز والانكليزيين ، ثم دخل الاميركيون طرفاً مباشراً في لعبة الرئاسة ، فصارت القضية محصورة بين الأميركان من جهة والاميركيين من جهة اخرى . بالطبع كان هناك الذين يحرقون أصابعهم شموعاً لكسب العطف . وعددهم لا يزال كبيراً » .

سألت السيد مبارك : كيف يتدخل المتدخلون ؟ ماذا يفعلون ؟ كيف يسحرون النواب ويتغير كل شيء بلحظة ؟ .

قال : « العادة لها دورها . اعتاد الشباب ان يحرصوا على معرفة رأي المفوض السامي . وهذه العادة لا تزال تتحكم بهم . من أيام الانتداب الى اليوم لم يتغير شيء على هذا الصعيد . النواب يرفعون أصابعهم . يوافقون . كان هناك مفوضون سامون ومندوبون ، واليوم ، هناك سفراء وقائمون بالأعمال » .

بدنا الدباس

وكأن أحداً استفزه فتوقف موسى مبارك عن الكلام . وقف . تمشى قليلاً . قفز الى مكتبه . ضحك وقال : « اسمع هذه القصة . سنة 1926 كان اميل اده مرشحاً للرئاسة . وكان ناجحاً . هنأوه . جاء الوجهاء والنواب والذين لهم في كل عرس قرص الى منزله وشربوا نخبه . كان موعد الجلسة يوم الخميس . اذكر ذلك اليوم جيداً . صباح الثلاثاء دعيت الى تناول طعام الفطور الى مائدة مندوب المفوض السامي في لبنان - وكنت آنذاك في الدائرة السياسية في المفوضية . وجدت هناك السيد سوشيبه رئيس قلم السياسة ، والسيد دي جوفينيل .

سألتهم : خير ان شاء الله ؟ . قالوا بصوت واحد : عليك مهمة سريعة .

سألت بدهشة : هل غيرتم رأيكم ؟ .

قال مندوب المفوض : المرشح للرئاسة هو شارل دباس وليس اميل اده . والرئيس يجب ان يكون الدباس . سألت ، وأنا لا أصدق ما أسمع : الاكثرية مع اميل اده ، كيف تعملون هكذا ؟ .

قالوا : وجدنا أن المعركة ستترك ذيولاً بين الموارنة وستعمل حزازات خطيرة . الأفضل ان يكون الرئيس روم ارثوذكس . . . ما رأيك في الدباس ؟ .

قلت : مش ممكن . شارل دباس أعرفه جيداً . انه مدير عدلية ، والمنصب يحتاج الى مراس من نوع آخر . هذا غير معقول .

قالوا : بدنا شارل دباس . هذا قرار . يجب ان تزور النواب وتقول لهم ان المرشح للرئاسة هو الدباس . المهلة قصيرة والاكثرية واقفة مع اميل اده » .

ويضحك موسى مبارك : « تصدق ؟ خلال 24 ساعة انتقلت الاكثرية الساحقة التي كانت الى جانب اميل اده ، وانتخب شارل دباس بما يشبه الاجماع . رفعوا اصابعهم » .

المقدم ، عسيران والفضل

وفي متابعة عرض شريط الذكريات يتوقف الانسان عند صور نافرة منه . يتوقف ويكاد يتمسك بالمشاهد ويهتف بالأشخاص ويسأل ولا يسأل . تبدو الصورة كأنها ابنة الأمس ، وكأنها صور الغد . ساحرة . ساطعة . واضحة . مليئة بالرموز والاجوبة .

ومع مسيرة التنقل بين الخاطر والذاكرة يروي موسى مبارك كيف انقلبت الآية في العام 1932 ، وكيف ان الذين « شلّحوا » اميل اده الاكثرية واعطوها شارل دباس عادوا فأعطوا اده اكثرية « شلّحوها » للشيخ بشارة الخوري :

« قبل عشرين ثلاثين يوماً من موعد الانتخابات الجديدة ، كان الناس يتحدثون عن « الرئيس بشارة الخوري » . الاكثرية معه . وجلوسه على الكرسي لم يعد يحول دونه سوى موعد الانتخاب . حتى ان الكونت دو مارتيل كان يقول « هذه المرة للشيخ » .

الا انه لسبب من الاسباب غيّرَ الكونت رأيه .

في منتصف احدى الليالي جاء من يقول لي : الكونت يريدك الآن . كنت نائماً ،

ارتديت ثيابي دون ان يخطر لي اي تساؤل حول سبب دعوتي في هذه الساعة المتأخرة . وفجأة لمع في ذهني شيء . قلت بيني وبين نفسي : راحت عابشارة الخوري . لم يكن هناك أي دليل على أن الفرنسيين سيغيرون رأيهم . . . لكنهم غيروه .

عندما وصلت كان الكونت مرتدياً ثيابه الرسمية . قال لي : كيف نتصل براشد المقدم ونجيب عسيران وفضل الفضل ؟ .

سألته : الليلة ؟
قال : قبل طلوع الضوء .
قلت : لا اعرف .
قال : انت تتصل بهم .
سألته : لماذا العجلة ؟ .
أجاب مبتسماً : لأن الاستاذ اميل اده لا يحب الانتظار .

عندها فهمت ماذا يريد مني . فقلت له : لا استطيع القيام بهذه المهمة لأني مريض . والانتقال الى طرابلس قديؤثر في صحتي .

الواقع اني كنت مريضاً . الا ان مرضي لم يحل دون سحب راشد المقدم وفضل الفضل ونجيب عسيران من جبهة الخوري الى جبهة اده . وعوض ان ينال الخوري 13 صوتاً وينال اده 12 صوتاً ، نال اده 13 ونال الخوري 12 .

بلمحة بصر . نائب يكون هنا فيصبح هناك . ومرشح للرئاسة ينام رئيساً فيصحو شخصاً عادياً .

قد يتراءى للبعض ان هذه الحالة التي كانت قبل الاستقلال زالت بعدما نال لبنان استقلاله .

ـ هل تغيرت الحالة ، سيد مبارك ، بعد الاستقلال ؟ بمعنى ، هل توقف المفوضون السامون ومندوبوهم عن ممارسة هواية صنع الرؤ ساء ؟ .

يضحك رجل الاسرار : (كبِّر عقلك » .

الشيخ محمد الجسر

قبل الانتقال من مرحلة المفوضيات الى مرحلة السفارات ، لا بد من الاستماع الى

الشيخ خليل الخوري الذي يسلط الضوء على جانب مظلم من تلك الأيام يقول : « خوفاً من وصول الشيخ بشارة الى الرئاسة عام 1932 رشح المفوض السامي الشيخ محمد الجسر ضده . وكان الجسر رئيساً للمجلس . وبعد اعلان ترشيح الجسر استدعى المفوض السامي الشيخ بشارة وصارحه بتخوفه من امكان وصول الشيخ محمد الى الرئاسة وقال له ان هذا الأمر يثير قلقه لأنه يسلب الرئاسة من المسيحيين . . . فطمأنه الشيخ بشارة الى انه هو الذي سيفوز في الانتخاب ، ولو اقترع بعض المسلمين الى جانب الشيخ محمد ، وان تخوف المفوضية في غير موضعه . . .

الا ان المناورة الفرنسية كانت اطلقت صفاراتها بين الناس ومشى موكبها في الاحياء المسيحية . وبعد يومين ، اي في 9 ايار 1932 ، حل المفوض السامي المجلس وعلق الدستور ومدد ولاية شارل دباس الى اجل غير مسمى » .

ويضيف الشيخ خليل : « كان يؤيد الشيخ محمد الجسر كل من اميل اده ، حبيب باشا السعد ، جورج تابت ، روكز ابو ناصر ، يوسف الخازن وسامي كنعان » .

وبرغم هذه الحادثة يقول الشيخ خليل ان انتخابات رئاسة الجمهورية في لبنان هي نتيجة عناصر وعوامل عدة ، منها ما هو داخلي ، ومنها ما يعود الى الشخص المرشح ، ومنها ما يتأثر بالاجواء الدولية . « ولا احد ينكر اهمية الجو العربي وضرورة ارتياح العرب الى الشخص الذي سيكون رئيساً للبنان » .

وعند الحديث عن « الجو العربي » يتندر المراقبون بانتماءات رؤساء ما بعد الاستقلال ، عربياً ، فيوزعونهم كما يأتي :

- بشارة الخوري : النحاس باشا وشكري القوتلي .
- كميل شمعون : نوري السعيد وأديب الشيشكلي .
- فؤاد شهاب : عبد الناصر .
- شارل حلو : عبد الناصر .

من المفوضيّات إلى السفارات

نعود الى صناعة الرؤساء .

سنة 1943 كانت سنة الثأر بين بشارة الخوري واميل اده . وكانت أيضاً معركة الثأر

بين الانكليز والفرنسيين . خصوصاً ان الانكليز كانوا وضعوا القط الفرنسي في صندوق حديدي وتركوه يموء دون ان يصل صوته الحاد الى سوريا ولبنان . كانت هناك الحرب وكانت باريس محتلة وكان صوت ديغول يلعلع من اذاعة أهدته إياها لندن . وكانت العاصمة البريطانية تحتوي « حكومة فرنسا الحرة » وتضمها وكانت بالتالي « عاصمة » لها .

وقبل معركة انتخابات الرئاسة كانت هناك معركة اخرى بدأت عنيفة وانتهت اشد عنفاً : معركة الانتخابات النيابية .

عن هذه المعركة يقول موسى مبارك : « سعى اميل اده مع كاترو لأن يكون رياض الصلح مرشحاً « على لائحتنا في الجنوب » . رفض كاترو . لم يتراجع اده . قال له كاترو . نحن لا نطمئن الى رياض الصلح . قد ينقلب علينا في المعركة الكبرى .

قال اده : رياض على مسؤوليتي وانا اكفله واضمن بقاءه الى جانبنا في انتخابات رئاسة الجمهورية .

وافق كاترو قائلاً : « الا انني غير مقتنع بانضباطية الصلح » .

في كل دائرة من الدوائر الانتخابية، كانت تتنافس لائحتان: واحدة ادية وأخرى خورية . النتائج أعطت الاكثرية لجبهة الشيخ بشارة . انما المعركة يتقرر مصيرها في ضوء موقف اصوات نواب بيروت وطرابلس الذين حافظوا ، في النزاع الادي ـ الخوري ، على شيء من الاستقلال .

وبانتهاء الانتخابات النيابية ، وجدت البلاد نفسها في جو جديد : معركة رئاسة جمهورية ، دعوة الى الاستقلال ، عروبة ، تحرر وطني .

الا ان المعركة الحقيقية كانت بين الانكليز والفرنسيين : الانكليز يدعمون الشيخ بشارة بكل قواهم ، والفرنسيون ينشطون من اجل ايصال اميل اده .

وهنا يقول موسى مبارك : « كانت الانظار متجهة الى رياض الصلح . هل يبقى الى جانب اميل اده فيربح الفرنسيون المعركة ، ام ينقلب الى جانب بشارة الخوري ويربح الانكليز ؟ .

رياض الصلح ، وفاء منه لاده ، دخل المعركة الى جانبه برغم الضغوط التي تعرض لها من سوريا والعراق . الا انه لم يصمد حتى النهاية امام هذه الضغوط التي اشترك فيها

شكري القوتلي وسعدالله الجابري وجميل مردم ونوري السعيد ، الى جانب الالحاح الآتي من القاهرة مع تحيات النحاس باشا . فانسحب الصلح من معسكر اميل اده لينضم الى جبهة بشارة الخوري ، مع محاولة التوفيق بين الاثنين في سبيل الاجماع . . . وفاز الخوري وفرح الانكليز .

هل هذا كل شيء ؟ .

بالطبع هناك أسرار أخرى عن هذه المعركة يكشفها الرئيس صائب سلام على الشكل الآتي : « قبل الدخول في تفاصيل معركة 1943 يجب القاء نظرة على ماضي تلك الحقبة ، فنرى ان رؤساء الجمهورية في لبنان كانوا طوال 25 سنة اما يعينون بمرسوم من المفوض السامي او بما يسمى التعيين بالانتخاب . اي انتخابهم بواسطة النواب حسب مشيئة المفوض السامي . لذلك فان النواب الذين ينتخبون رئيس الجمهورية هذه الأيام ما زالوا عرضة للتأثيرات والتيارات الداخلية والخارجية » .

سألته : وماذا عن المعركة بين الخوري واده ؟ .

قال : « ان الصراع بين الكتلة الدستورية (الخوري) والكتلة الوطنية (اده) له قصة طويلة يلخصها التنافس الدائم بين اده والخوري على رئاسة الجمهورية » .

وعندما بدأت تباشير التحرر والاستقلال تلوح في أفق لبنان وجد بشارة الخوري السبيل المؤدي الى التفاهم مع المنادين بالتحرر داخل لبنان وفي الدول العربية المتمثلة اذ ذاك بمصر وزعامة النحاس باشا . ورحلة بشارة الخوري الى القاهرة ، قبيل الانتخابات ، برفقة جميل مردم ، شهيرة .

ويضيف سلام : « ولدى وصوله الى بيروت ، وقبل ان يذهب الى منزله ، زارنا الشيخ بشارة في الغدير ، وكان حديث طويل بحضور جميل مردم عن النحاس باشا ودعمه له واستعدادات الخوري على الصعيد العربي . وقد قام في اليوم التالي بزيارة الزعماء الوطنيين ونقل اليهم نتيجة محادثاته في القاهرة وطمأنهم الى نزعته الاستقلالية واتجاهه العربي . فوثق به الوطنيون ، وكانت ثقتنا في محلها » .

ويمضي الرئيس سلام متحدثاً :

في المقابل كان اميل اده ينزع الى الارتباط علنا بالفرنسيين والتنكر للعرب ، حتى كان ثمة من يتهمه بالميل الى اعلان لبنان مقاطعة فرنسية ، على نحو ما كان حاصلاً في الجزائر .

«وعندما احتدمت المعركة كان اصحاب الاتجاه التحرري والاستقلالي يقفون في صف بشارة الخوري ، بينما استمرت في تأييد اميل اده اقلية نيابية تخشى حركة التحرر وتخاف اذا ارتفعت الحماية الفرنسية عن لبنان ان يذيب المسلمون في لبنان ، بمؤازرة الدول العربية ، المسيحيين ، ويهدموا زعامتهم على الوطن . وبالطبع لم يبلع الاسلام المسيحيين ولم يذيبوهم .

ويمضي سلام قائلاً : كان يرافق الصراع الداخلي ونمو حركة التحرر صراع دولي بين الدولتين المنتصرتين في الحرب : بريطانيا وفرنسا . فبينما كان همّ بريطانيا منصباً على تقليم اظافر فرنسا في سوريا ولبنان واخراج نفوذها من المنطقة ، كان هم فرنسا منصرفاً الى البحث عن الوسائل التي تمكنها من ترسيخ سلطانها ونفوذها .

وهكذا ، كان من البديهي ان تتمسك بريطانيا بالشيخ بشارة ، وتتمسك فرنسا باميل اده .

الا ان طريق بريطانيا لم يكن مفروشاً بالرياحين . فالجذور الفرنسية كانت عميقة ، والذين في صف فرنسا يعرفون كيف يشتغلون . وخشي الجنرال سبيرز ، مندوب بريطانيا ، وصاحب الكلمة النافذة في ذلك الحين ، من أن يؤثر التنافس على خطة بريطانيا ، وراح يبذل محاولات سرية هدفها التوفيق بين اده والخوري وتطبيقهما للانسحاب وتحقيق الاجماع حول كميل شمعون .

يرضى القتيل . . .

في هذه الاثناء ، والمعركة محتدمة على كل صعيد وفي كل بيت ، اجتمع سبيرز برياض الصلح وعبد الحميد كرامي وعادل عسيران وصائب سلام وطلب منهم الموافقة على سحب الخوري واده وترشيح شمعون .

يصف سلام ذلك الاجتماع بأنه من أخطر الاجتماعات التي شهدتها بيروت في تلك المرحلة . كان الناس يسمعون أصواتنا عن الطريق . استمر النقاش ساعات طويلة . وافق الصلح وكرامي وعسيران . قالوا : طيب شمعون . رفضت أنا وأصررت على موقفي . لا أزال أذكر كلمة قالها لي رياض الصلح : أيرضى القتيل وليس يرضى القاتل ؟ اذا كان بشارة الخوري قبل ووافق فلماذا لا توافق أنت ؟ .

الواقع ان الخوري قبل عرض سبيرز . وقد أبلغنا موافقته في منزلي في المصيطبة

بحضور عبد الحميد كرامي وفريق كبير من النواب . قال لنا : كميل شمعون هو الرئيس .

وبعد لحظة كانت التهاني تنهال على شمعون من النواب أنفسهم الذين كانوا يؤيدون ، بل ويهنئون بشارة الخوري . ليلتها نام كميل شمعون رئيساً .

وفي اليوم التالي جاء شمعون الى منزلي ، وكان علم بموقفي وعدم موافقتي على ترشيحه . وبحث معي في الأمر . بعد قليل امتلأ البيت بالنواب الذين راحوا ينادون شمعون : « يا فخامة الرئيس » .

وفجأة جاء من أخبرنا أن اميل اده غيَّر موقفه ورفض الانسحاب من المعركة . وقيل ان بشارة الخوري وافق على الانسحاب ، ليظهر ولاءه لسبيرز ، ولأنه كان يعلم ان اده لن ينسحب مهما كانت الاسباب وكائناً من كان الذي يضغط عليه .

« بمنه تعالى »

وفي هذه الحال كان من الطبيعي ان يعود سبيرز الى التمسك ببشارة الخوري ويتابع معركته لتأمين فوزه ضد اميل اده .

ماذا حدث من بعد ؟ .

يقول الرئيس سلام : تنادينا الى الاجتماع في منزل الشيخ بشارة . بعد الاجتماع قررنا بالاجماع انتخابه رئيساً . قررنا وضع وثيقة بالاجتماع . فكلف عبد الحميد كرامي كتابة الوثيقة . يومها كادت الوثيقة تفسد الخطة وتتسبب في خسارة بشارة الخوري . فقد استهل كرامي الوثيقة بعبارة « بمنّه تعالى » . قامت قيامة المطران مبارك الذي هدد بالويل والثبور . . . ثم انتهت على سلامة وغيرنا العبارة .

وفي الجلسة نفسها اقترحت ان يتم الاتفاق ايضاً على رئاسة المجلس وأن يكون صبري حمادة هو المرشح بالاجماع ـ في حين كانت الرئاسة الثانية حتى ذلك الحين من نصيب الروم الارثوذكس وكان المرشح لها حبيب أبو شهلا . وقام الشيخ بشارة من مكانه وجاء يهمس في أذني ما لا أزال أذكره حرفياً : ولو يا صائب بك ، بدك تحط رئاسة المجلس بمصاف رئاسة الجمهورية ؟ .

قلت له : نتفق شفوياً لا خطياً .

والواقع اتفقنا ، خطياً ، على أن يكون بشارة الخوري رئيساً للجمهورية ، وشفوياً ، على أن يكون صبري حمادة رئيساً للمجلس . ولم نقرّب صوب رئاسة الحكومة لأنه كان من المعروف ان ثمة اتفاقاً ضمنياً بين بشارة الخوري ورياض الصلح على رئاسة الحكومة ، وان كان الخوري أنكر ذلك علناً وتكراراً ، مما حمل عمر بيهم وهنري فرعون ومجيد أرسلان وبعض النواب على ترشيحي لرئاسة الحكومة .

ويضيف سلام : « رفضت ، لأني كنت ادخل الحياة النيابية للمرة الأولى . وكنت لا اعرف نصف النواب ، وهنأني الشيخ بشارة وشكرني لرفضي رئاسة الحكومة . فقلت له : أكون مظلوماً اذا قبلت هذا المنصب لا اذا رفضته » .

اجتماع صوفر

نقطتان بقيتا غامضتين :

الأولى لماذا وافق اده على الانسحاب ولماذا تراجع .

والثانية لماذا اضطر رياض الصلح ان ينتقل الى معسكر بشارة الخوري .

بالنسبة الى موقف الصلح يقول السيد بيار اده ان والده اميل اده فرض رياض الصلح على لائحة الجنوب التي كان يترأسها احمد الأسعد . وقد حاول الصلح ، تخفيفاً للضغط العربي الذي تعرض له من كل صوب ، أن يقنع اميل اده بالموافقة على مشروع اتحاد عربي . رفض اده . الا ان الصلح بقي يحاول اقناعه وبقي مؤيداً له وكان آخر من انقلب الى جبهة بشارة الخوري .

غير أن السبب الرئيسي الذي جعل الدول العربية تضع ثقلها في كفة بشارة الخوري هو أبعد من قصة الاتحاد العربي . فرياض الصلح كان يقول للمقربين والأصدقاء : هل نقيم الفرنسيين لنقعد مكانهم الانكليز ؟ أنا لن أكون مع الفرنسيين ، لكني أيضاً لا يمكن أن أكون مع الانكليز . فهؤلاء اذا حلوا محل الفرنسيين ستكون معركتنا معهم أصعب لأنهم أقوى .

لذلك ـ يقول السيد تقي الدين الصلح ـ تحرك بشارة الخوري عربياً . كان لا يهدأ . زار مصر والعراق والسعودية . في مصر تم الاتفاق سراً على دعم الخوري ضد اده . ميشال شيحا وهنري فرعون يخططان والشيخ بشارة ينفذ ويعمل ويتصل . في مقابل

ذلك كله كان اميل اده منتهياً على الصعيد العربي ، فنشط رياض الصلح ليحسن رصيد اده العربي . وبعد اتصالات قام بها رياض خلال 24 ساعة متواصلة دون أن ينام ، عقد اجتماع في أوتيل صوفر ، رفع الصلح يديه اثر انتهائه وقال لاده : « لا تؤاخذني ! . . » وتغيرت مقاييس المعركة ورجحت كفة الخوري .

ماذا جرى في ذلك الاجتماع ، ومن حضره ؟ .

يقول تقي الدين الصلح : « حضر الاجتماع شكري القوتلي ، جميل مردم ، نوري السعيد ، جميل مدفعي ، تحسين قوادري (وزير العراق المفوض) ورياض الصلح واميل اده . استمر الاجتماع 5 ساعات ، حاول الصلح خلالها ان يعقد قران اميل اده مع « الجو العربي » ، لكنه لم يوفق . اذ أن اده بقي يحكي ويفاوض المجتمعين من خلال بريق فرنسا وتعلقه بها . لم تكن عنده فكرة عن « الجو العربي » . فرنسا فقط » .

ويقول تقي الدين الصلح ان رياض اختلى باميل اده خلوة طويلة اقتنع بعدها بأن اده لا يريد « ان اضيع صديقتنا فرنسا في سبيل بريطانيا » . . . فضاعت الفرصة من يده وانضم الصلح الى الخوريين وكان ما كان .

لا اده ولا الخوري

يبقى ، لماذا وافق اده على الانسحاب وكيف تراجع ؟ .

هذه النقطة يوضحها السيد بيار اده على النحو الآتي : قبل موعد انتخابات رئاسة الجمهورية بأسبوع زار الجنرال سبيرز اميل اده في منزله وقال له : اذا انتخبت رئيساً فان حكومة صاحب الجلالة لن تعترف بانتخابك ، كما أنها ستتحفظ لجهة اعترافها باستقلال لبنان في حال انجازه .

قال اميل اده : هناك اقتراح .
سأله سبيرز : ما هو ؟ .
قال اده : لا اده ولا الخوري .

وافق سبيرز وتعهد ان يأخذ على عاتقه مسؤولية اقناع الخوري بالانسحاب .

وبعد انصرافه من منزل اده اجتمع سبيرز مع بشارة الخوري ، بحضور هنري فرعون وميشال شيحا ، وقال له : اده موافق ، ما رأيك ؟ .

اجاب الخوري : وأنا أوافق .

وانصرف سبيرز لتبدأ قصة من نوع آخر . زار هنري فرعون اميل اده وقال له ان بشارة الخوري موافق على الانسحاب لمصلحة كميل شمعون . فأجابه اده : وانا أيضاً موافق .

عندئذ طلب فرعون من اده انسحابه خطياً يعلن فيه تأييده لكميل شمعون . استغرب اده وقال لفرعون :

أولاً ـ الاتفاق تم بيني وبين سبيرز .

ثانياً ـ لماذا لم تأت معك بانسحاب الشيخ بشارة خطياً ما دمت صاحب الاقتراح ؟ .

ويتابع بيار اده توضيح هذه النقطة فيقول : بعد ذلك قام الشيخ بشارة وهنري فرعون بزيارة المندوب الفرنسي جان هلّو . قالا له ان اميل اده يشتغل مع الانكليز من وراء ظهر الفرنسيين . وقد اجتمع بالجنرال سبيرز واتفق معه على الانسحاب لمصلحة كميل شمعون . وكان هلّو قد علم بزيارة سبيرز لاميل اده فطار صوابه .

أثر هذه الزيارة استدعى هلو اميل اده الى قصر الصنوبر وعاتبه كيف ينسحب لكميل شمعون دون ان يأخذ رأيه . وقبل ان يوضح اده الموقف قال هلو : نحن استدعيناك لنبلغك اننا قررنا أن نمشي مع بشارة الخوري .

على هذا كان لا بد لاميل اده ان يحاول الاخذ بالثأر . فأعلن رفضه الانسحاب وخاض المعركة . وبالطبع فاز بشارة الخوري .

دحرجة الرؤوس

هل في ذلك كله جواب أو ملامح جواب يمكن اللبناني العادي ان يرد به اذا سئل : من يصنع رئيس الجمهورية في لبنان ؟ .

قد تكون في العرض الآتي ملامح أخرى ، جديدة ، تساعد على تكوين الجواب .

أولاً نقلب الصفحة ونتابع التأمل في شريط الذكريات . نتجاوز مرحلة ما قبل التجديد للشيخ بشارة الخوري ، ثم نمر بصور ما بعد التجديد ، ثم نقف عند منعطف

التطورات في المنطقة العربية . نظرة عابرة على انقلاب مصر والاطاحة بفاروق ، ثم هذا العنوان في جريدة الدايلي تلغراف اللندنية : « تدحرج رأس فاروق . والرأس الذي سيليه هو رأس بشارة الخوري ؟ » .

هذا العنوان يفرض سؤ الاً : هل تخلى الانكليز عن بشارة الخوري ، وما هي الأسباب ؟ .

الواقع انه بعد تجديد الولاية للخوري أخذت التيارات السياسية تعصف من كل صوب . عمل الانكليز حساباتهم . راجعوها . لم يكن عصر الكومبيوتر قد بدأ . لم تكن نتيجة الحسابات في مصلحة الخوري .

ورافق عملية اعادة النظر الانكليزية ارتفاع في حرارة النقمة الداخلية . واخذت موجة الأحداث تهدر صوب اسوار القنطاري ، الى ان طلب الانكليز من الشيخ بشارة ان يوافق على « حلف البحر المتوسط » ، فوضع الشيخ أمام ويلين : ويله ان وافق تقوم ضده قيامة العرب ، وويله ان رفض تقوم ضده قيامة الانكليز .

يقول السيد تقي الدين الصلح ان بشارة الخوري لم يحقق كل اهداف الانكليز ، فذهب عهده بثورة بيضاء ليأتي بعده الذي كان سيكون قبله ، اي كميل شمعون .

كيف جاء شمعون ؟ .

الروايات عديدة . اما الذين رافقوا تلك المرحلة ، من قريب ، فانهم لا يعطون السؤال اية اهمية خاصة : جاء شمعون كما جاء الخوري وكما جاء اده وكما جاء الدباس . . .

أندروز : أيدوا شمعون

السيد موسى مبارك يتوسع قليلاً في تبسيط التفاصيل . يقول : « أكثرية النواب كانت مع حميد فرنجية . الا ان تدخل الانكليز ، خصوصاً السفير تشبمان أندروز ، وتأثيره على ميشال شيحا ، نقل الاكثرية من خانة فرنجية الى خانة كميل شمعون .

كان النواب المحمديون يؤ يدون شمعون الذي كان في ذلك الزمن « فتى العروبة الاغر » ، بينما كان النواب المسيحيون في صف حميد فرنجية . وخوفاً من حدوث انقسام

طائفي طلب أندروز من شيحا ان يذهب الى الشيخ بشارة ويطلب منه ان يمشي النواب الدستوريون مع شمعون : « رأي لندن ان توافقوا على شمعون » .

قام شيحا بالمهمة وحدث الانقلاب الأبيض الثاني . فبين ليلة وضحاها انقلب شارل حلو وموسى فريج وموسيس دير كالوستيان على حميد فرنجية ومشوا مع كميل شمعون .

ثم يسارع مبارك الى الاستدراك وكأنه نسي أهم ما في القصة : « أديب الشيشكلي هو الذي ضغط على نواب طرابلس وبيروت وطلب منهم تأييد شمعون » .

وهناك تفاصيل أخرى يتحدث الرئيس صائب سلام عنها : كان واضحاً ، عند سقوط بشارة الخوري ، ان المعركة ستحتدم بين شمعون وفرنجية ، فالأول تدعمه فئة كبيرة من النواب والرأي العام ، وكذلك الثاني .

مرة كنا في المجلس النيابي . جاء فرنجية وانتحى بي في غرفة اللجان . عاتبني . قال لي : ولو يا صائب لهون وصلت ؟ انت تمشي مع شمعون وتعرف من هو شمعون ؟ اذا انتصر ، من سيكلف تأليف الحكومة ؟ .

ويتابع سلام : « كنا نعرف ذلك ، الا ان الذي جمدنا الى جانب شمعون هو عناد حميد . لقد اطلع بشارة الخوري خلافنا من رياض الصلح . واذ بحميد فرنجية متمسك بتقي الدين الصلح وكاظم الصلح . كان المفروض ان نكون مع حميد فرنجية ، لكن . . . » .

على صعيد مشكلة بيت الصلح يقول تقي الدين الصلح :

« مشى اليافي وسلام مع شمعون كي لا يعود بيت الصلح الى السراي . حميد كان يعرف ذلك ، الا اننا كنا صديقين قديمين ولم نكن نولي هذه الناحية اهمية كبرى لأن التيار الاسلامي كان لمصلحة شمعون . الرأي العام يقول : شمعون عربي . والنواب يقولون : الانكليز مع شمعون . وهكذا تمكن شمعون من ضمان تأييد الانكليز والمسلمين . وهذان العنصران لم يتوافرا لحميد فرنجية » .

ولا ينسى تقي الدين الصلح ان يعطي العوامل الشخصية دوراً رئيسياً في معركة 1952 : « كان كميل شمعون لا ينام ولا يهدأ » .

الكلمة الفصل لبريطانيا

وفي طي صفحة المشكلة الصلحية تبرز ناحية تساعد على قراءة تلك الأيام المحمومة .

يقول الامير عبد العزيز شهاب : « قبل كل شيء ، رئاسة الجمهورية في لبنان لا يقررها النائب ، اي الناخب . لكن هذا لا يعني ان التأثيرات الخارجية هي الوحيدة التي تقرر في هذا الموضوع » .

سألته عن التأثيرات الخارجية ، قال : « بريطانيا كانت لها الكلمة الفصل حتى سنة 1952 عندما انتخب كميل شمعون رئيساً . في احدى الليالي اتصل حميد فرنجية بجميع مؤيديه واصدقائه وقال لهم : برغم معرفتي بأنني سأنجح لأن الأكثرية معي ، قررت الانسحاب من المعركة لأني ارفض ان اكون رئيساً للجمهورية عن المسيحيين وحدهم .. يومها كان كميل شمعون فتى العروبة » .

وفي تتابع سرد الذكريات والوقائع يقول الامير عبد العزيز : الذين كانوا يحاربون شمعون ، وعلى رأسهم ميشال شيحا ، عملوا ما لا يعمل كي يحولوا دون وصوله الى الرئاسة . ذهبوا الى فؤاد شهاب وألحوا عليه ان يرشح نفسه . قالوا له ان حميد فرنجية ينسحب له .

أجابهم : أنا رجل عسكري ولست سياسياً . اذا انسحب لي حميد فرنجية يبقى شخص آخر مرشح اسمه كميل شمعون .

سألوه : واذا انسحب شمعون ؟ .
قال : لا أعود أرى مانعاً .
بالطبع لم ينسحب شمعون .

« الحَق عا الطلْيَان »

عندما استقال الشيخ بشارة ، طلع السيد مارون عرب ، الذي كان المستشار الشرقي في السفارة البريطانية ، الى عاليه وقابل الرئيس المستقيل ليوضح له موقف الانكليز

مما جرى ، فقال له : « نحن كنا الى جانبك يا فخامة الرئيس ولا تتصور ان لنا علاقة بكل ما حدث . انا بعدني لحد هلق مش عارف كيف انقلبت هالدني فوقاني تحتاني » .

أجابه الشيخ : « يا ابني يا مارون لا تعذب حالك وتحلف . . . انا بعرف انو الحق عاالطليان » .

هذه الحاشية وردت في لفتة من الشيخ خليل الخوري وهو يزيح الستار عن سر بقي خفيا حتى الآن . قال : « ليلة الاستقالة ، وقبل ساعة تقريباً من وضع كتاب الاستقالة ، بذلت جهات مهمة محاولة مع الشيخ بشارة لتأييد ترشيح شارل مالك لرئاسة الجمهورية . استمرت المحاولة ساعة واشترك فيها اكثر من شخص وجهة . رفض الشيخ وكان جوابه « ان الضرورة الوطنية ، خصوصاً في هذه الظروف ، تقضي بأن يكون رئيس الجمهورية مارونياً » .

قالوا له : مجيء شارل مالك يقطع الطريق على خصمك كميل شمعون . ثم ان شارل مالك أقرب الى الكثلكة منه الى الارثوذكس ، فضلاً عن انه سبق وتولى رئاسة الدولة اكثر من ارثوذكسي .

أصر الشيخ بشارة على موقفه وطلع الى غرفته حيث وضع كتاب الاستقالة .

« لهذه المرة . . . »

ويتولى بيار اده مهمة « توضيح الصورة » بتحديد المواقف والنقاط ثم القيام بجردة للحسابات التي طرحت في أكثر من حقل ، لكنها لم تطابق في معظمها الغلة في ساحة النجمة . قال :

« قبل استقالة بشارة الخوري بيوم او يومين ، وكانت استقالته منتظرة بين لحظة واخرى ، زرت حميد فرنجية في منزله . كان اتصل بي والح علي أن آتي اليه : « عندي شيء مهم اريد اطلاعك عليه » . كنا وحدنا في البيت . كان حميد متجهماً ومتضايقاً . تحدثنا قليلاً عن بشارة الخوري والاستقالة قبل ان ندخل في « صميم الموضوع » . عرضنا الأسماء والتيارات والذين من النواب مع الذين منهم ضد. ثم علت نبرة حميد في لهجة عتاب : ولو يا بيار ، خلصنا من بشارة الخوري وعملنا المستحيل تانجيب كميل شمعون مطرحه ؟ لازم نرتب القضية . شمعون ؟ مطرحك يا واقف . . . » .

قلت له : هناك اولوية . اولاً يجب ان يطير بشارة الخوري . معركتنا بعد ذلك تصبح سهلة .

تركت حميد وهو غير مقتنع . كانت معركة شمعون بدأت قبل استقالة الخوري . وكان جماعة الخوري ينشطون في نشر الاشاعات والبيانات التي تتحدث عن « محاولة المعارضة القضاء على منصب رئاسة الجمهورية وغبن حقوق الموارنة في المنصب » .

عندما قويت الاشاعات ، في حملة التطويق التي رافقت هجوم الدستوريين المعاكس ، عقدنا اجتماعاً طارئاً في « الجبهة الاشتراكية الوطنية » التي كانت قيادة المعارضة وبحثنا في الهجوم المضاد ـ الذي يشنه الشيخ بشارة وجماعته . وضعت نص بيان يقول ان رئاسة الجمهورية هي منصب للموارنة ، واقترحت على رؤساء الوزراء السابقين ان يوقعوه رداً على الاشاعات الدستورية . وقعه سامي الصلح ، عبد الله اليافي ، صائب سلام ورشيد كرامي . وافق جنبلاط ، الذي كان حاضراً الاجتماع ، على البيان الا انه اقترح اضافة فقرة « . . . ان منصب رئاسة الجمهورية في لبنان هو للموارنة لهذه المرة » . اعترض المجتمعون وموقعو البيان على « . . . لهذه المرة » . فأذيع البيان من دونها .

« النبأ السار »

ويواصل بيار اده كلامه : « حميت الحديدة واعلنت « لجنة الأحزاب المؤتلفة » الاضراب . لحظات ويحدث ما يجب ان يحدث . لجنة الأحزاب ضمت : الكتلة الوطنية ، الحزب القومي الاجتماعي ، الهيئة الوطنية وحزب النداء القومي . الكتائب مشت في الاضراب دون ان تمشي . رجل في البور واخرى في الفلاحة . اذاعت الكتائب بياناً ، وقعه معها هنري فرعون ، بدعوة المضربين الى فتح البلد . لم يفتح البلد .

كل كل شيء قائماً قاعداً في تلك الفترة . اركان حرب فرنجية هما تقي الدين الصلح وعلي بزي . في الوقت نفسه هما مع فؤاد شهاب .

كنا مجتمعين في بيت الهيئة الوطنية عندما اخبرنا صديق ان الجيش سينزل الى الشارع ويفتح البلد بالقوة . تألفت لجنة لزيارة الجنرال شهاب ومطالبته بعدم انزال الجيش . ثم وضعنا عريضة تطالب رئيس المجلس ، الذي كان احمد الأسعد ، بدعوة الشيخ بشارة الى الاستقالة . ثم قامت اللجنة ، المؤلفة من بيار اده وتقي الدين الصلح وعلي بزي ، بزيارة الجنرال شهاب . ابلغناه ما كلفنا نقله اليه . قال : الجيش مش معمول ضد اللبنانيين .

والمسألة سياسية ليست لنا علاقة بها .

عدنا من عند شهاب لنلتقي في مكاتب « النهار » في سوق الطويلة . كنا سنعقد اجتماعاً نقرر فيه الخطوة الحاسمة . وصل صديق للمعارضة وقال لنا : لا تناموا في منازلكم لقد صدرت مذكرات توقيف بحقكم ، والجيش مكلف القبض عليكم في الليل .

انفرط الاجتماع . انا وغسان تويني ذهبنا الى منزل كميل شمعون لنبلغه النبأ غير السار . كان نائماً . ريمون اده وكمال جنبلاط صعدا الى صوفر . الساعة الثانية صباحاً وصلنا النبأ السار : استقال بشارة الخوري .

وذهبت سدى المناشير التي كانت تحملها سيارة غسان بالدعوة الى استمرار الاضراب ، وكانت الشرطة قد ضبطتها واوقفت السائق والمرافق وحجزت السيارة وهمت بالمجيء الى « النهار » للتحقيق مع غسان .

نترك كميل شمعون وبيار اده وغسان تويني يفرحون بنبأ الاستقالة ونصعد الى صوفر لنسمع من ريمون اده قصة الساعات الأولى من تلك الليلة . قال : « أخذونا الى منزل في الضواحي. كنت احمل مسدساً. لم نجد بيجامات . نمنا بالثياب الداخلية . كمال جنبلاط على تخت وانا على تخت آخر . تحت كمال كان يحدث صوتاً كلما تحرك كمال . نمت . غفوت . لكن لفرط الهواجس والاخبار التي كانت تشتغل في رأسي تراءى لي وأنا نائم ان العساكر جاؤوا ليعتقلوني مع جنبلاط . صحوت فجأة والمسدس في يدي . لم تكن الكهرباء وصلت الى البيت . كان هناك قنديل كاز . في وهلة يقظتي من النوم شاهدت شبحاً فوق رأسي : صرخت به ارفع يديك ، فلم يتحرك . فركت عيني لارى كمال جنبلاط واقفاً على رجل واحدة ورافعاً يديه الى اعلى . صرخت به : يخرب بيتك كنت قوصتك . . . شو عامل بحالك ؟ .

ابتسم كمال وبقي واقفاً على رجل واحدة ورافعاً يديه الى اعلى . تركته وعدت لانام . طار النوم من عيني . وبقيت اتقلب الى ان وصلنا النبأ السار .

شهاب ، شهاب . . .

انتهت معركة لتبدأ معركة .

كميل شمعون قطع نصف الطريق بينما حميد فرنجية لا يزال متردداً . الا ان الذين مع فرنجية صمدوا معه ولم يتركه احد .

يروي بيار اده القصة الآتية : « معروف ان تقي الدين الصلح وعلي بزي هما « كروب » حميد فرنجية . في يوم جاءني الصلح وبزي وطلبا مني ان نمشي مع **فؤاد** شهاب . قلت : شهاب ما بدو . وليس في الأفق ما يشير الى انه يفكر في هذا الموضوع . في كل حال انا افضل ان يأتي الرئيس الجديد بالاجماع ، خصوصاً بعد الذي حدث . سأحكي مع شمعون واطلب منه ان يزور شهاب ويتفاهم معه .

قال الصلح : ما في مانع . ونحن كمان منحكي مع شهاب .

ويتابع اده : « زرت شمعون وقلت له : هناك اتجاه الى ترشيح فؤاد شهاب . في رأيي ان تزوره وتبحث معه في الأمر . تفاهم معه . شوف شو عنده » .

تردد شمعون . قبل من غير ان يقبل . الا انه بعدما ضمن اكثرية بين النواب وتأكد ان المعركة اصبحت لمصلحته ، قام بزيارة الجنرال شهاب في وزارة الدفاع وعرض عليه القصة . اجابه شهاب الذي كان يعرف بدوره ان شمعون سوكر الدق ، أنا رجل عسكري ولا أتدخل في السياسة .

ارتاح شمعون لجواب شهاب فتباسط معه في الحديث حول المستقبل والوضع في البلاد وقال له : اذا صرت رئيس جمهورية بدنا نتعاون سوا .

قال شهاب : اذا صرت رئيس جمهورية لي طلب عندك .
شمعون : ما هو ؟ .
شهاب : عفو عن الدنادشي .
شمعون : عفو وحبة مسك .

ويتابع بيار اده : في هذه الاثناء ، قيل ان محاولات اديب الشيشكلي مع نواب طرابلس وبعض نواب بيروت اعطت ثمارها فالتقى نواب العاصمة والعاصمة الثانية في منزل هنري فرعون وقرروا ترشيح كميل شمعون .

على اثر هذا الاجتماع دعا السيد يوسف سالم كميل شمعون وحميد فرنجية الى اجتماع في منزله بحضور عدد من النواب للاتفاق على صيغة معينة .

يقول السيد يوسف سالم : عندما التقى المتنافسان قال شمعون لفرنجية : الظاهر

يا حميد ان الاخوان فكروا بالشعر الأبيض . ومد شمعون يده على رأسه .

اجابه حميد فرنجية : الظاهر ان الحق معك .

كان شمعون قد ضمن اكثرية صوت او صوتين . قال سلام الذي اشترك في الاجتماع : لا يجوز ان ينتخب رئيس جمهورية لبنان بأكثرية صوتين . والكلمة لحميد بك الذي نعرف حرصه على كرامة هذا المنصب .

قال فرنجية : انا اريد ان يأتي رئيس الجمهورية برصيد ضخم وان تكون له سلطة قوية .

ثم نهض شمعون واقفاً وكذلك فرنجية فتعانقا وتبادلا التهاني .

وماذا كان دور الانكليز ؟ .

يجيب بيار اده : « الانكليز اشتركوا في المعركة على صعيدين . عربياً بواسطة الشيشكلي ونوري السعيد ، ومحلياً بواسطة مارون عرب الذي كان دائم الحضور في المجلس وبين النواب وفي كل اجتماع . كان لهم في كل عرس قرص » .

الأميركان خدعوا شمعون

انتخب كميل شمعون بالاجماع . وانتقل الى قصر بيت الدين ، حيث استقبل وفود المهنئين وتبادل معهم الخطابات والاحاديث . بقيت الوفود تأتي وتروح حتى العاشرة ليلاً . وكان الارهاق قد بدا على وجه الرئيس ، الا انه لم يكن بامكانه ان ينام لأن « الجبهة الاشتراكية الوطنية » كانت في انتظاره ، بصفتها المجموعة البرلمانية التي ينتمي اليها . . . سابقاً !

يقول بيار اده : « انصرف المهنئون وبقي اهل البيت . بالطبع لم يكن شمعون قادراً ان يهرب من طريق رفاقه في الجبهة برغم ان همومه كانت انتهت بانتخابه رئيساً وانتقاله الى قصر الامير بشير في بيت الدين . الا ان هموم كمال جنبلاط كانت بدأت في اليوم الأول لانتخاب شمعون » .

ماذا عدا مما بدا ؟ .

يروي بيار اده ما حصل تلك الليلة بين الرئيس الجديد وأهل البيت فيقول :

« اقفلنا الباب وعقدنا « اجتماع » مصارحة مع الرئيس شمعون . كان هناك اميل البستاني ، كمال جنبلاط ، غسان تويني ، انور الخطيب ، ديكران توسباط ، عبد الله الحاج وبيار اده . تكلم جنبلاط خطاباً بصفة كونه امين سر الجبهة الاشتراكية ، قال : الآن وصلنا الى الحكم وبات من الضروري تطبيق برنامج الجبهة الذي وضعناه معاً كأساس للحكم . ونأمل ان تتألف وزارتك الأولى من اعضاء الجبهة . نحن منتصرون ولا أرى سبباً للقيام بما هو غير ذلك .

رد شمعون على كلمة جنبلاط ومطالبه بهدوء باللهجة العامية . قال : بدنا نشوف شو صاير بالدني . صحيح وصلنا بس لازم تعطوني شوية وقت .

ولم يلاق جواب شمعون استحساناً لدى جنبلاط . كانت رجله مصابة بجرح . مد يده الى حيث الجرح وقال : رجلي عمتوجعني لازم نمشي .

قمنا ومشينا .

وعندما وصلنا الى بركة المياه في « قرص » دار بيت الدين ، توقف جنبلاط وانتحى بي جانباً . قال لي بالفرنسية : يظن الناس اننا قمنا بانقلاب . الواقع ان الانقلاب الذي قمنا به هو انقلاب ابيض بكل معنى الكلمة . واعتقد اننا سنجد انفسنا مضطرين الى اعادة الكرة والقيام بمثل ما قمنا به .

كان منرفزاً وكانت لهجته توحي بأن شهر العسل بينه وبين شمعون سيكون قصير الأجل . وهكذا كان . فلم يخب ظن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي اذ انه اعاد الكرة ، انما عبر ثورة دموية .

معركة المسافات البعيدة

من بيت الدين الى المختارة كانت المسافة كافية ، على قصرها ، بالنسبة الى كمال جنبلاط ليطرح الاخماس من الاسداس ويعمل الحسابات ويفتح الدفاتر ، ثم يتخذ قراره بتحديد موقفه من عهد ابن دير القمر .

ثمة من يقول ان جنبلاط وعى فجأة حقيقة كانت غائبة عنه : كميل شمعون من الشوف أيضاً وانتخابه رئيساً نقل الزعامة الشوفية تلقائياً من المختارة الى دير القمر .

ثمة من يذهب الى أبعد من ذلك في الافتراض ، فيقول ان رئيس الحزب التقدمي

الاشتراكي ندم عندما « استحقها » وشاهد كميل شمعون رئيساً للجمهورية ، وشاهد من على سطح قصره في المختارة ، أنوار الاسهم النارية في سماء دير القمر ترتفع ابتهاجاً . . . وبدأ معركته ضد « ابن الدير » لحظة وضعت الحرب أوزارها بين الجبهة الاشتراكية وعهد بشارة الخوري .

الا ان الذين عاشوا معارك صناعة الرؤساء وانتخابات الرئاسة يشرعون الأبواب على مدى اوسع من نطاق الصراع بين المختارة ودير القمر .

بيار اده يقول ان المعركة انفتحت سنة 1957 : فجرتها الانتخابات النيابية التي جرت بوحي من معركة رئاسة الجمهورية ، يرافقها هاجس التجديد لكميل شمعون .

تقي الدين الصلح يقول : الاميركيون خدعوا شمعون . تظاهروا بتأييد التجديد ثم تراجعوا ثم سحبوا الخشبة من تحت كرسيه .

صائب سلام يقول : اتفقت اميركا مع مصر . ومصر لا تحب كميل شمعون . شارل مالك لعب دوراً خطيراً في لعبة التجديد وسحب الاخشاب .

يوسف سالم يقول : كان الاميركيون يساندون التجديد لشمعون ، الا انهم بعد انهيار الملكية في العراق اعادوا الدرس فوجدوا! ان التجديد لم يعد ممكناً .

عبد العزيز شهاب يقول : التجديد لشمعون لم يكن ممكناً . المعركة بدأت بعد حرب السويس . سنة1957 تقرر كل شيء ووضعت الخطة . لم « تظبط » مع شمعون .

موسى مبارك ينقب في الذاكرة : « حصلت الحوادث . تطورت الى ثورة . ارسلت واشنطن روبرت مورفي مبعوثاً خاصاً الى لبنان للعمل على تهدئة الحالة واعادة الوضع الى طبيعته . كان التجديد اصبح في خبر كان وحل محله اسم يوسف حتي كمرشح للاميركان بدعم من القوة الثالثة التي كانت تضم يوسف سالم ، هنري فرعون ، بهيج تقي الدين ، غسان تويني ، محمد شقير ، جورج نقاش ويوسف حتي » .

قام مورفي بجولته على الزعماء اللبنانيين واجتمع ببعض رؤساء الأحزاب والكتل . وعندما زار بكركي واجتمع بالبطريرك الماروني طلب منه البطريرك ان يكون المرشح لرئاسة الجمهورية الشيخ بشارة الخوري . أجابه مورفي بالفرنسية : Il n'est pas question .

بعض الذين قابلهم مورفي وطرح عليهم اسم فؤاد شهاب رفضوا . قالوا انهم يتخوفون من فتح الطريق امام سابقة ووضع رجل عسكري على رأس البلاد .

لم يأخذ المبعوث الاميركي بهذا الرأي . اصر على ان يكون شهاب هو المرشح للرئاسة . وعندما اصطدم بعناد في موقف سامي الصلح وعبد الله اليافي ، وكميل شمعون أيضاً ، هدد بسحب قوات المارينز من لبنان قائلاً : « Débrouillez - vous » .

ويتابع مبارك : « ليس صحيحاً ان مهمة مورفي كانت سهلة . لقد واجه عقبات كثيرة . حاول في البدء ان يؤمن نوعاً من الاجماع حول الدكتور حتي . لم ينجح . رفض شمعون البحث في موضوعه . اقترح مورفي على شمعون ما اقترحه عليه البطريرك : بشارة الخوري . قال شمعون : لا يمكن .

قال مورفي : اذا ، لم يبق الا شهاب .

أخيراً وافق شمعون . فانتقل مورفي الى المصيطبة ثم الى المختارة واقنع كمال جنبلاط بتأييد شهاب . يقال ان جنبلاط كان يفضل ان يكون يوسف حتي المرشح والرئيس .

ويقول مبارك : « تحلحلت العقدة بالنسبة الى مورفي ، الا انها بقيت صعبة بالنسبة الى شمعون عندما حاول اقناع نوابه بانتخاب الجنرال رئيساً للجمهورية . ولولا اصوات نواب شمعون ، لما تمكن شهاب من الوصول الى الرئاسة بواسطة الانتخاب » .

يزيح الرئيس صائب سلام الستار عن سر آخر من أسرار معركة 1958 فيقول : « عقد اجتماع في واشنطن برئاسة ناظر الخارجية الاميركية دالس حضره وزير خارجية لبنان في ذلك الوقت الدكتور شارل مالك وسفير لبنان لدى واشنطن نديم دمشقية . طرح في الاجتماع موضوع لبنان والحوادث ومعركة التجديد » .

بعد انتهاء الاجتماع انتقل مالك ودمشقية الى السفارة اللبنانية ، فطلب مالك بيروت وتحدث هاتفياً مع شمعون . قال له : الاميركان ماشيين . طمأنه . طار عقل نديم دمشقية عندما سمع مالك . لقد كان حاضراً الاجتماع وما قاله دالس يختلف تماماً عما قاله شارل مالك لكميل شمعون .

ولما عاتبه دمشقية كيف يحرِّف الأقوال ويقول ما لم يقل . اجابه مالك : هودي الاميركان انا بفهم بلغتهم اكثر منك .

تعجب دمشقية وقال لمالك : الحديث جرى بالانكليزية ولغتي الانكليزية مثل لغتك ومعرفتي بالاميركيين لا تقل عن معرفتك بهم . وما سمعناه معاً هو غير الذي سمعتك تقوله للرئيس شمعون .

ويواصل سلام نفض الغبار عن اوراق تلك المرحلة فيقول : عندما وصل نبأ الموافقة على فؤاد شهاب الى دمشق حيث كان بعض الزعماء اللبنانيين بكى صبري حمادة وقال : بكرا فؤاد شهاب بيجبلي فضل الله دندش وبيعملو رئيس مجلس .

في اليوم التالي وصلتني رسالة من دمشق ، بواسطة عبد الله اليافي ، موقعة من احمد الأسعد ، صبري حمادة ، رينه معوض ، شفيق مرتضى وكامل الأسعد ، يعلنون فيها عدم موافقتهم على ترشيح فؤاد شهاب . فأوفدت نسيم مجدلاني وهنري فرعون الى دمشق ليبلغا اصحاب الرسالة « ان صائب ما بيقبل غير هيك . وفؤاد شهاب هو الرئيس الجديد » .

كان جوابهم انهم لا يقبلون بمن تعاون مع كميل شمعون ، وفي حجتهم ان شهاب تعاون مع شمعون .

الا ان الذي كتب كان قد كتب ولم يعد ينفع البكاء وصرير الاسنان ، برغم المحاولات التي بذلها عبد الله اليافي معي لاقناعي بتأييد يوسف حتي . وعندما تأكد اليافي ان شهاب آت اتصل هاتفياً من دمشق بمدير الشرطة صلاح اللبابيدي وقال له : انا بدي سلم حالي تعوا عالشام واستلموني .

كان الرئيس اليافي في عداد المحكومين بالاعدام وقتها .

وصار الذي صار . وعاد الغائبون ليشتركوا في الانتخاب . قبل الذهاب الى الجلسة عقد اجتماع في منزل الرئيس سلام في المصيطبة حضره رينه معوض وتقي الدين الصلح وعلي بزي وشفيق مرتضى وفؤاد عمون وعبد الله اليافي وصبري حمادة وحسين العويني ولحود لحود واميل الخوري . وجرى الاتفاق في الاجتماع على انتخاب شهاب . صبري حمادة وحده بقي على موقفه : رفض . قال له الرئيس سلام : بدك تقبل وهذا هو الحل الوحيد .

ويتحدث سلام عن الاجتماع فيقول :

« أثناء الاجتماع اتصل بي البطريرك المعوشي وقال لي : لا يجوز انتخاب غير فؤاد شهاب . ثم اتصل بي الشيخ ميشال الخوري وقال لي : كلفني والدي ان اقول لك ان الحق معك . اليوم لا يصلح للرئاسة الا فؤاد شهاب » .

في آخر عنقود الذكريات بقيت حبة . امتدت اليها يد الرئيس سلام ، قال : « في الاجتماع الثاني بيني وبين مورفي قال لي المبعوث الاميركي : حسين العويني وعبد الله اليافي

رشحا يوسف حتي بوجود السفير مكلنتوك . يبدو انه ليس قد الحمل في هذه الظروف . ثم ان واشنطن ترى ان الجنرال شهاب هو الأفضل لأنه يؤمن نوعاً من الاجماع » .

من يبلف مَن

شيء آخر في ذكريات الذين رافقوا صناعة الرؤساء . في الفترة الأولى من حوادث 1958 قيل أن قضية التجديد للرئيس شمعون هي السبب . ثم قيل أن الرئيس الذي سيأتي هو السبب . ثم قيل ان الاميركان يثأرون للفرنسيين ويقلمون أظافر الانكليز هذه المرة .

يظن الذين كانوا من داخل أن لعبة بلف كانت قائمة قاعدة بين اثنين . فالرئيس شمعون كان يظن انه بلف الاميركان وضمن تأييدهم بواسطة شارل مالك وعبره ، وشارل مالك كان يظن انه بلف كميل شمعون بوجوده الى جانبه بينما كانت سكته لا تلتقي مع سكة شمعون .

الواقع ، يقول بيار اده ، ان نفوذ مالك كان قوياً : « كان يوحي بأنه وحده يحمل ختام الامبراطورية الاميركية . سفير اميركا كان ضد التجديد في المرحلة الأولى » .

ويتابع اده : « في اوائل ايار وصل الى بيروت مدير شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الفرنسية بيار سيبييو . تغديت معه في بحمدون . حكينا حول الأزمة اللبنانية . انتقلنا الى الحديث عن معركة رئاسة الجمهورية وقضية التجديد للرئيس شمعون . قال لي سيبييو : التجديد تقرر مساء امس في عشاء عند سفير فرنسا بحضور سفير بريطانيا وسفير اميركا » .

استغربت . روبيرت مكلنتوك ، سفير أميركا ، كان يدور على النواب والسياسيين ويقول لهم : شارل مالك ليس سفير اميركا بل انا مكلنتوك سفيرها .

بعد هذا الغداء بيومين التقيت السفير مكلنتوك . قلت له : بلغني انك وافقت على التجديد لشمعون . قال وقد بدا غير منشرح : حصل ضغط كبير يمتد من باكستان الى اليونان . والضغط كله لمصلحة التجديد .

وأضاف مكلنتوك : الضغط ليس من الانكليز والفرنسيين وحدهم . هناك بعض الدول العربية أيضاً .

في هذه الأثناء كان الحديث عن الجنرال شهاب اخذ يشق لنفسه طريق التداول بين الناس .

وهنا يوقف بيار اده شريط الصور الملونة . يفتح دفتراً صغيراً . يفتح نافذة على حادثة وقعت بين شمعون وشهاب سنة1955 . يومها لازم الجنرال شهاب منزله : « بعد يومين زرت الجنرال في عاليه ، كان يصيِّف هناك . وسألته عن القصة فشكا لي الرئيس شمعون وقال : اذا كان شمعون ما بيرتبط بكلامه انا برتبط بكلامي . لقد وعدت الدنادشة باستصدار عفو عنهم بناء على وعد شمعون لي قبل ان ينتخب رئيساً بساعات . حتى الآن لم ينفذ وعده واصبحت انا محرجاً مع الذين وعدتهم ! » .

بعد اجتماع طويل وافق الجنرال على الذهاب الى بيت الدين . وخلال وجودي في منزل الجنرال اتصل بي حميد فرنجية الذي كان في القصر وسألني عن الجو . قلت له ان الجنرال وافق . وصلنا الى بيت الدين وعقدنا اجتماعاً فورياً : شمعون وشهاب وفرنجية وأنا . تعاتب الرئيس والجنرال في الأمر . كانت حجة شمعون انه تأخر في اصدار العفو لأنه لا يملك نصاً يخوله العفو عن فارين . تدخلت انا وفرنجية ووضعنا فتوى حملنا فيها مجلس الوزراء مسؤولية المخالفة لأن مقتضيات الأمن توجب ذلك . وهكذا صدر العفو وعاد شهاب الى ممارسة مسؤولياته » .

ويعود اده الى حديث التجديد : « عندما اقترحت في مجلس الوزراء عام 1958 ، أن يعلن شمعون عدم رغبته في التجديد هب الوزراء كالدبابير . الا انه بعد اشتداد الضغط تقرر ان يصدر رئيس الحكومة ، سامي الصلح ، بياناً يقول فيه « ان الحكومة لم تقترح تعديل الدستور . . . » . لحقت به الى حيث كان يسجل البيان بصوته وقلت : يجب اضافة كلمة بحيث تصبح الجملة « ان الحكومة لم ولن تعدل الدستور . . . » .

« في هذه الأثناء اخذ التبدل يظهر على الموقف الاميركي . ثم حدث الهجوم على القصر الجمهوري خلال الثورة ، فطلبت الحكومة تدخل اميركا بموجب مشروع ايزنهاور . لكن هذا الطلب ، برغم تقديمه رسمياً الى مكلنتوك ، لم ينفذ الا بعد انقلاب العراق . ويبدو ان مكلنتوك فوجىء بوصول الاسطول السادس فطلب من الاميرال عدم انزال الجيش الى البر فأجابه اميرال الاسطول : أنا لا آخذ الأوامر منك . صدرت الأوامر من حيث يجب ان تصدر ونفذتها » .

قصة أخرى من ذكريات تلك الأيام :

في اواخر أيار اقترح اده على شمعون ان يكلف شهاب تشكيل الحكومة او ان يترأس الحكومة القائمة . تردد شمعون وطرح حججاً وأعذاراً كان آخرها ان المبادرة يجب ان تأتي من سامي الصلح . وافق الصلح . فاستدعى شمعون الجنرال وأطلعه على « رغبة الحكومة في الاستقالة » وكلفه تأليف الحكومة الجديدة . وافق الجنرال ، وبعد حديث قصير غادر القصر وعاد الى منزله . كانت الساعة الأولى بعد الظهر .

الساعة الثالثة والنصف صباحاً اتصل شهاب ببيار اده وقال له : « طلع حدسي في محله . صاحبك مش معقول . ما في ثقة ما في اخلاص . حبيت بلغك ان الذي اتفقنا عليه لم يعد وارداً . انس موضوع التكليف » .

ماذا حدث حتى نرفز الجنرال وأيقظ بيار اده من نومه في الثالثة والنصف صباحاً ؟

بعد عودة شهاب من القصر الجمهوري زاره شخصان يعرف أنهما من حاشية شمعون ونصحاه بألا يوافق على تأليف الحكومة والأفضل ان يختار هو رئيساً للوزارة . واقترحا اسم فوزي القاوقجي . فهم شهاب ان وراء هذه النصيحة شمعون نفسه . . فبطّل من تلقائه .

وعودة أخيرة الى مورفي . يقول بيار اده : « كانت المصيطبة هي محور اجتماعات المبعوث الاميركي . البحث كله محصور في نطاق صائب سلام لأن رشيد كرامي في طرابلس . واقترحت على مورفي ان يجتمع بكرامي . وافق . اتصلت بكرامي وعينا زمان الاجتماع ومكانه في منزل يوسف ضو في البترون . في ذلك الاجتماع ردد مورفي لكرامي ما كان يردده لسائر المعنيين بالأزمة .

سأل كرامي المبعوث الأميركي : هل تفاهمتم مع الرئيس عبد الناصر حول الموضوع ؟ .

قال مورفي : عبد الناصر يعتبر ان التفاهم ممكن اذا جاء شهاب رئيساً للجمهورية .

وهكذا انقلبت الدواسة وتحدد موعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية كان الجميع يعرفون انه سيكون فؤاد شهاب .

. . . وهكذا ، برغم شغف ريمون اده بالديموقراطية والخوف عليها من أن تطير وترشيحه نفسه ضد الرئيس شهاب ، ولو للمبدأ ، وبرغم رفض سامي الصلح وكلوفيس الخازن وديكران توسباط وألبير مخيبر التصويت للجنرال ، وبرغم دموع صبري حمادة وقلقه

من أن يأتي فضل الله دندش ، وبرغم تصلب عبد الله اليافي واصراره على عدم وجوب فتح الطريق امام شهية العسكر ، وبرغم ان الأكثرية النيابية كانت مع التجديد لكميل شمعون ، فقد انتخب الجنرال وأصبح رئيساً للجمهورية اللبنانية .

عدوى التجديد

قد يكون الرئيس شهاب هو اللبناني الوحيد الذي بدأ أصدقاؤه والذين وراءهم يمهدون للتجديد له قبل انقضاء السنة الأولى على انتخابه . ومع انه صاحب الكلمة المأثورة في هذا المجال فانه لم يبدر عنه ما يشير الى انه يرفض لعبة التجديد او انه سيقاومها .

فالعدوى التي انتقلت من بشارة الخوري الى كميل شمعون ، لم تجد مقاومة او مناعة عند العهد الشهابي . بل انها بكرت في طرق ابواب ذلك العهد وفرضت نفسها على المؤيدين والخصوم .

والطريف في حكاية التجديد التي لم تتم فصولاً ، ان الراغبين في تجديد الولاية للجنرال ، قبل انتهائها بسنوات ، أخذوا يركزون على الأشخاص الذين اعتادوا أن يرشحوا أنفسهم وحتى الذين قد يردون في الاحتمال وتدفع بهم لعبة الحظ الى وسط الساحة .

هل التجديد كان وارداً في تقديرات الرئيس السابق ؟ ناس يجزمون ان الحاشية لم تحرك قضية التجديد والدعوة الا باشارة من سيد القصر . وناس يقولون : لا تظلموه ، لم يكن التجديد وارداً عنده . فهو لم يصدق متى انتهت الولاية ليأخذ ورقة اخلاء السبيل ويخلد الى الراحة في بيته .

الأمير عبد العزيز شهاب يقول ان الجنرال كان غريباً عن فكرة التجديد . حتى ان منصب الرئاسة كان بعيداً عن ذهنه . « سنة 1958 هب الجميع اليه ، غير أنه كان يمانع ويرفض . كان يصدمهم بكلمته المعروفة : أنا رجل عسكري ولا أتدخل في السياسة » .

حتى أن أركان عهده يقولون اليوم أنهم لا يعتبرون شهاب رئيساً سابقاً وانما قائد جيش متقاعداً . كأنه لم يمر في هذا العالم السحري المليء بالالغاز والرموز .

يتابع الامير عبد العزيز : « الكبير والصغير كان يعرف سنة 1958 ان الجنرال هو

الرئيس المقبل . الا ان الجنرال لم يقل كلمته حتى جاءه روبرت مورفي وقال له : درست الوضع في البلاد وشاهدت وسمعت وكونت الرأي النهائي . بدك تتكل على الله وترشح نفسك » .

النفي ونفي النفي

> في 23 كانون الثاني 1970 أرسل الدكتور شارل مالك الى « النهار » نفياً للحديث التلفوني الذي نسبه اليه الرئيس صائب سلام حول احداث صيف 1958 . وقال :
>
> « في الصفحة 40 من « النهار » الخاص (الميلاد ورأس السنة) رواية للرئيس صائب سلام عن مخابرة تلفونية اجريتها من واشنطن عام 1958 مع الرئيس كميل شمعون ، وكنت آنذاك وزيراً للخارجية .
>
> ان الحديث التلفوني المزعوم هو من نسج الخيال المحض ولا اساس له من الصحة والحقيقة التاريخية الواقعية على الاطلاق .
>
> . . . وتعليقاً على نفي الدكتور مالك قال الرئيس صائب سلام في 25 كانون الثاني 1970 : كنت اود الا انكأ جروحاً قديمة وادخل في حوار حول هذا الموضوع ، لكني أجد نفسي مضطراً الى أن أؤكد صحة الرواية الواردة في الصفحة 40 من « النهار » الخاص .
>
> وانني اثق تماماً بمن نقلها الي وهو سفير لبنان السابق في واشنطن السيد نديم دمشقية ، وان الحديث أجري من مكتب السفير دمشقية بالذات في السفارة اللبنانية في واشنطن .

ــ وبالنسبة الى التجديد ؟ .

ــ « العامل الشخصي لعب دوراً رئيسياً في عدم قبول التجديد خصوصاً بعدما تأكد أن أميركا ماشية ضد التجديد . وما كان يقوله السفير الاميركي ارمن ماير في الصالونات ساعد الرئيس شهاب على اتخاذ قراره برفض التجديد » .

وبما ان التجديد لم يعد وارداً بدأ البحث عن البديل ، عن المرشح الذي يكون في خط النهج الشهابي ولا يكون خصماً للذين خاصموا هذا الخط .

في هذا المجال يقول الامير عبد العزيز : « بعدما طويت صفحة التجديد وردت اشارة الى ضرورة اخذ تواقيع النواب الذين مشوا مع التجديد على انهم يمشون مع الشخص الذي ترشحه الأكثرية . وقد أقرت هذه الخطوة في الاجتماع الذي عقد في منزل

شارل سعد بحضور 33 نائباً . وهؤلاء يفرضون بدورهم المرشح على الاكثرية الاساسية . عندها اقترح جميل لحود والياس الخوري ان يذكر في الاتفاق شرط يقول ان المرشح يجب ان يكون من داخل المجلس . اعترض فؤاد بطرس ورينه معوض وساعدهما رشيد كرامي . عندها فهم الذين كانوا في منزل سعد ان المسألة فيها وما فيها . كنت انا عرفت ان القرعة طلعت من نصيب شارل حلو .

وفي اجتماع الكارلتون ، الذي تحول الى مجمع شهد حرداً وزعلاً وقيلت داخله اشياء وأشياء ، تكرس ترشيح شارل حلو . التقى بين الاكثرية من يقول ان عبد العزيز شهاب بطاش وخطر . ثم ان حجة الرئيس شهاب ضعفت ، فعبد العزيز واحد من العائلة ، والناس يحبون القيل والقال .

حادثة لا تروح من بال الامير . قال : « كانت المعركة محتدمة وعدد أسماء المرشحين للرئاسة يعلو وينخفض . كنت في جبهة النضال الوطني . مرة كنا مجتمعين ، قال لي كمال جنبلاط : بصرت بنومي المرحومة والدتي . بكيت . قالت لي يجب ان تمشي مع عبد العزيز شهاب . بالطبع لم يمش معي ، لأنه كان يستقبل عند كل فجر ، قبل اجتماع شارل سعد ومجمع الكارلتون ، شارل حلو ساعات وساعات . . . كما كشف أخيراً في افتتاحيات « الأنباء » ، واتفق معه » .

حلو ارضى الجميع

معركة 1964 كانت ، في واقعها وأبعادها ، معركة التجديد أو عدم التجديد لفؤاد شهاب . لذلك فان الأسماء التي كانت تطرح في التداول لم تكن تثير الفضول او الجدل . كانت مجرد أسماء تتردد على هامش المعركة الكبرى .

يقول بيار اده : « بعدما دخلت قضية التجديد في طور الجدية قام ارمن ماير بزيارة الرئيس شهاب واجتمع به مطولاً . بحث معه في الموضوع المهم ثم أبلغه ان قضية التجديد غير مستحسنة . وعلى الرئيس ان يعلم أصدقاءه الذين يعملون على أساس التجديد بأن التجديد ليس وارداً . قال له شهاب انه لم يفكر في التجديد وانه ينتظر لحظة انتهاء ولايته بفارغ صبر .

عدنما اقترح ماير ان يصير اطلاع دعاة التجديد على ذلك ويطلب اليهم التقيد

بتعليمات الرئيس شهاب . في هذا الاجتماع تم الاتفاق بين شهاب والسفير الاميركي على ان يكون شارل حلو هو الخلف .

بالطبع كانت هناك « حفلة الاستئناس » التي اخذت دوراً كبيراً بين كامل الأسعد والشهابيين . وهناك القرعة ، بالاضافة الى ان الرئيس السابق كان ملبكاً بقصة عبد العزيز شهاب الذي كان صاحب حظ كبير .

وشارل حلو ؟

يقول موسى مبارك : « ليست للرجل أكثرية في المجلس . ثم ليست له قوة شعبية . فرضه الجنرال شهاب ، بمساعدة بعض السلطات الروحية مع عدم معارضة الرئيس عبد الناصر الذي كان يفضل فؤاد عمون . ناصرية عمون المبحبحة قطعت الطريق عليه عند الذين يفرضون ويمونون وتسمع كلمتهم » .

الرئيس صائب سلام عنده الخبر اليقين : « كنت مقتنعاً بأن التجديد لن يمر . وأنا ضد التجديد كمبدأ . ثم أن وجود الجنرال شهاب شجع على انتقال الشرعية من أيدي اصحابها الى أيدي غير الشرعيين ، فكيف اذا جدد شهاب وبقيت الشهابية؟ » .

ويضيف سلام : « وخلف باب التجديد كان ثمة رجل يحكي عن دوره بهمس . اللواء عبد الحميد غالب . غطس السفير المصري في قضية التجديد وغطّس معه اسم عبد الناصر . بعد انتهاء الموضوع وانتخاب شارل حلو رئيساً زرت القاهرة وقابلت عبد الناصر . جرى الحديث في المقابلة حول موضوع التجديد وكيف أن غالب كان يضرب بسيف السلطان ويلوح به في وجوه الذين وقفوا ضد التجديد .

أثر هذه المقابلة طلب عبد الناصر سليمان فرنجية لزيارة القاهرة . وصل فرنجية الى العاصمة المصرية . اجتمعنا بعبد الناصر . أثناء الاجتماع استدعى الرئيس السفير غالب وأنبه على موقفه من التجديد ، فنفى غالب ان يكون تدخل ، وقال له امامنا : وحياة راسك يا سيادة الرئيس لم اتدخل على الاطلاق ! .

إذا جدد . . .

ويكمل سلام عن التجديد ، يقول : « أتاني يوماً أنور الخطيب . جاء يطبقني لامشي مع التجديد باسم كمال جنبلاط . ثم جاء جنبلاط . قلت له : اقعدوا عاقلين .

التجديد يشق البلاد . ثم جاء بهيج تقي الدين . بعد نقاش قصير اقتنع . قال معك حق . ما لازم يصير تجديد . اقترح ان اقابل شهاب . رفضت . قلت : لا . قال : تجتمع بفيليب تقلا ؟ قلت لا مانع . اجتمعت بفيليب الذي كان احد أركان جبهة التجديد . حكينا . قلت له : اذهب الى عند شهاب واطلب منه ان يوقف هذه الموجة . اذا جدد ستنقسم البلاد ويقوم المسيحيون ضده . في اليوم التالي جاء فيليب تقلا وأبلغني أنه قابل شهاب ونقل اليه رأيه في موضوع التجديد . قال له شهاب : أبلغ صائب اني اقتنعت برأيه . معه حق .

كانت مطروحة أسماء عدة : فؤاد عمون ، الياس الخوري ، عبد العزيز شهاب ، الدكتور فيليب حتي ، سليمان فرنجية وريمون اده . فرنجية كان مرشحاً قوياً . مشى معنا اده في الأول ، لكنه تراجع بحجة ان جماعته لم توافق . تراجع العميد الحق بالقضية ضرراً كبيراً . لو بقيت الجبهة المعارضة متماسكة كانت الحالة تغيرت كثيراً .

بعد ذلك تعددت الاجتماعات واللقاءات . واتفقنا على شارل حلو الذي انتخب بما يشبه الاجماع . نال بيار الجميل 6 أصوات ووجدت ورقة بيضاء وضعها نسيم مجدلاني الذي قال تبريراً ان ضميره لم يطاوعه ان ينتخب شارل حلو .

على صعيد النفوذ والتدخل و« الاصابع التي تشد الخيوط الناعمة والغليظة » يقول سلام : « في السنوات الاخيرة بدأ الناس ينظرون باهتمام الى الشخص الذي ترضى عنه دولتان : أميركا ومصر . بالاضافة الى الدولتين هناك فرنسا والفاتيكان ، وغيرهما . كان عند البعض اعتقاد ان حلو هو الابن الروحي للفاتيكان وان البابا هو الذي دعم ترشيحه للرئاسة » .

ارمن ماير ؟ بالطبع صال وجال وقال كلمته في التجديد وفي المرشح الجديد . سمى شارل حلو . وافق شهاب وانتهت المشكلة .

ارضاء المعسكرين

أما تقي الدين الصلح فانه يلتقي مع سلام في القول ان اتفاق اميركا ومصر هو الذي مهد الطريق امام رئاسة شارل حلو . « الا ان هذا الاتفاق لم يمنع حلو من الاشتغال لحسابه مع الجميع . مع شهاب وشمعون واده والجميل والفاتيكان وكل الذين يعتقد ان حسكتهم تسند خابية طموحه . قبل 15 يوماً من مجمع الكارلتون الذي سمى حلو مرشحاً

للأكثرية ، التقى الرئيس الحالي بالرئيس الاسبق كميل شمعون على درج بكركي . تصافحا بحرارة . قال شمعون لحلو : أهنئك يا فخامة الرئيس » .

والشيخ خليل الخوري يقول ان مجيء شارل حلو كان نتيجة صراع عنيف بين معسكرين في البلاد : معسكر كان له مرشح واحد هو فؤاد شهاب ، ومعسكر آخر له بضعة مرشحين الا انه يمثل تياراً معيناً . فبعد توتر الحالة في البلاد ، وبعدما رد شهاب قانون التجديد ، درس الرئيس السابق الموقف مع اصدقائه ، خصوصاً فيليب تقلا والياس سركيس والشيخ ميشال الخوري ، فوجد في شخصية شارل حلو الميزات والمزايا التي تؤكد انتماءه الى المسعكر الشهابي مع تأمين ارتياح المعسكر الآخر ورضاه . « ان الرضى المشترك بين المعسكرين على شارل حلو ابقى الرئيس الحالي تحت تأثير محاولات ارضاء الفريقين . . . » .

بعد هذه الجولة في متاهات « صناعة الرؤساء » ، هل يستطيع اللبناني العادي ان يجيب بشيء اذا سئل : من يصنع رؤساء الجمهورية في لبنان ؟ .

المجالس التي انتخبت

شارل دباس :

المجلس الذي انتخب شارل دباس(1926) كان مؤلفاً من عمر الداعوق ، عمر بيهم ، جورج تابت ، بترو طراد ، ميشال شيحا ، خير الدين عدرا ، عبود عبد الرزاق ، الدكتور مسعود يونس ، وديع طربيه ، نقولا غصن ، الامير فؤاد ارسلان ، الدكتور جميل تلحوق ، اميل تابت ، جورج زوين ، روكز ابو ناضر ، نجيب السعد ، المشيخ يوسف الخازن ، ابراهيم المنذر ، الامير خالد شهاب ، نجيب عسيران ، عبد اللطيف الأسعد ، الدكتور حبيب ناصيف ، يوسف سالم ، حسين قزعون ، صبحي حيدر ، صبري حمادة ، موسى نمور ، شبل دموس والياس طعمة سكاف .

اميل اده :

المجلس الذي انتخب اميل اده(1936) كان مؤلفاً من خير الدين الأحدب ، الدكتور ايوب تابت ، وهرام ليلكيان ، امين المقدم ، محمد عبود عبد الرزاق ، حميد فرنجية ، شبل عيسى الخوري ، نقولا غصن ، حكمت جنبلاط ، الشيخ فريد الخازن ، ميشال زكور ، كميل شمعون ، الشيخ ابراهيم المنذر ، نجيب عسيران ، فضل الفضل ، الدكتور محمد امين قزعون ، صبري حمادة ، الياس طعمة سكاف ، الامير خالد شهاب ، ابراهيم حيدر ، الامير مجيد ارسلان ، اميل اده ، الشيخ بشارة الخوري ، شارل دباس وجبرائيل خباز .

بشارة الخوري :

المجلس الذي انتخب بشارة الخوري(1943) : سامي الصلح ، صائب سلام ، عبد الله اليافي ، الحاج محمد بيضون ، حبيب ابو شهلا ، هراتشيا شامليان ، الدكتور ايوب تابت ، سليمان العلي ، سعدي المنلا ، عبد الحميد كرامي ، محمد المصطفى ، محمد عبد الرزاق ، بطرس الخوري ، حميد فرنجية ، وهيب جعجع ، يوسف اسطفان ، يوسف ضو ، نقولا غصن . الدكتور يعقوب صراف ، الدكتور عبد الغني الخطيب ، احمد الحسيني ، الدكتور جميل تلحوق ، كمال جنبلاط ، الامير مجيد ارسلان ، اسعد البستاني ، اميل اده ، اميل لحود ، امين السعد ، بشارة الخوري ، جورج زوين ، جورج عقل ، كميل شمعون ، وديع الاشقر ، وديع نعيم ، جبرائيل المر ، سليم تقلا ، رياض الصلح ، احمد الاسعد ، رشيد بيضون ، علي العبد الله ، كاظم الخليل ، محمد الفضل ، عادل عسيران ، مارون كنعان ، نسيب غبريل ، يوسف سالم ، رفعت قزعون ، ابراهيم حيدر ، صبري حمادة ، نسيب الداوود ، يوسف هراوي ، اديب الفرزلي وهنري فرعون .

كميل شمعون :

المجلس الذي انتخب كميل شمعون(1952) : امين بيهم ، سامي الصلح ، صائب سلام ، عبد الله اليافي ، رشيد بيضون ، شارل حلو ، حبيب ابو شهلا ، هنري فرعون ، موسيس دير كالوستيان ، الدكتور ملكون هيرابيديان ، موسى دي فريج ، رامز سركيس ، جوزف شادر ، صلاح البزري ، الامير سهيل شهاب ، احمد الاسعد ، حسين العبد الله ، سليمان عرب ، علي بزي ، الدكتور علي بدر الدين ، محمد صفي الدين ، محمد علي الغطيمي ، محمد الفضل ، رشاد عازار ، مارون كنعان ، الياس طرابلسي ، نقولا سالم ، ناظم القادري ، رفعت قزعون ، ابراهيم حيدر ، صبري حمادة ، فضل الله حمادة ، سليم الداوود ، شفيق حنا الضاهر ، يوسف هراوي ، جان سكاف ، حبيب مطران ، اسكندر سرسق ، احمد الحسيني ، جورج كرم ، روفائيل لحود ، سليم الخازن ، جورج زوين ، عبد الله الحاج ، بشير الأعور ، الدكتور الياس الخوري ، ايليا أبو جودة ، بيار اده ، اميل لحود ، ميشال ضومط ، فؤاد الخوري ، ديكران توسباط ، انور الخطيب ، بهيج تقي الدين ، كمال جنبلاط ، الامير مجيد ارسلان ، كميل شمعون ، اميل البستاني ، سليم الخوري ، غسان تويني ، فيليب تقلا ، رشيد كرامي ، سعدي المنلا ، نصوح الفاضل ، قبولي الذوق ، الدكتور هاشم الحسيني ، فؤاد البرط ، سليمان العلي ، بشير العثمان ، البير الحاج ، الدكتور يعقوب الصراف ، حميد فرنجية ، كميل عقل ، قبلان عيسى الخوري ، انطوان اسطفان ، يوسف كرم وفيليب بولس .

فؤاد شهاب :

المجلس الذي انتخب فؤاد شهاب(1958) : سامي الصلح ، خليل الهبري ، خاتشيك

بابكيان ، نسيم مجدلاني ، بيار اده ، جميل مكاوي ، فوزي الحص ، شفيق ناصيف ، رشيد بيضون ، موسيس ديركالوستيان ، جوزف شادر ، عادل عسيران ، معروف سعد ، كاظم الخليل ، رضا وحيد ، علي بزي ، جان عزيز ، فريد قوزما ، نقولا سالم ، كامل الأسعد ، يوسف الزين ، محمد الفضل ، البير مخيبر ، سليم لحود ، اسد الاشقر ، ديكران توسباط ، الامير مجيد ارسلان ، جورج عقل ، منير أبو فاضل ، موريس زوين ، كلوفيس الخازن ، نهاد بويز ، اميل البستاني ، انور الخطيب ، قحطان حمادة ، هنري طرابلسي ، نعيم مغبغب ، بشير الأعور ، ايليا أبو جودة ، محمود عمار ، ادوار حنين ، جوزف سكاف ، جورج الهراوي ، اديب الفرزلي ، تقي الدين الصلح ، ناظم القادري ، سليم الداوود ، صبري حمادة ، ابراهيم حيدر ، شفيق المرتضى ، فيليب تقلا ، حميد فرنجية ، رينه معوض ، قبلان عيسى الخوري ، شارل مالك ، جان حرب ، نصوح آغا الفاضل ، رشيد كرامي ، نديم الجسر ، هاشم الحسيني ، فؤ اد البرط ، بشير العثمان ، رؤ وف حنا ، ميشال الضاهر ، عبد الكريم القدور وريمون اده .

شارل حلو :

المجلس الذي انتخب شارل حلو(1964) : بيار الجميل ، انطون صحناوي ، شارل سعد ، خاتشيك بابكيان ، سورين خان اميريان ، موسيس ديركالوستيان ، فؤ اد بطرس ، صائب سلام ، نسيم مجدلاني ، عثمان الدنا ، صبحي محمصاني ، رشيد الصلح ، جوزف شادر ، رشيد بيضون ، فريد جبران ، سامي الصلح ، ادوار حنين ، محمود عمار ، نجيب صالحة ، ميشال فرحات ، الياس الخوري ، سليم لحود ، موريس الجميل ، جميل لحود ، البير مخيبر ، اندره طابوريان ، منير ابو فاضل ، مجيد ارسلان ، فضل الله تلحوق ، اميل مكرزل ، خليل الخوري ، كمال جنبلاط ، بهيج تقي الدين ، انور الخطيب ، محمد البرجاوي ، عبد العزيز شهاب ، عزيز عون ، سامي البستاني ، جوزف مغبغب ، الياس الخازن ، موريس زوين ، نهاد بويز ، جورج كرم ، انطون سعيد ، شهيد الخوري ، علي الحسيني ، جان حرب ، مانويل يونس ، فؤ اد غصن ، فيليب بولس ، رينه معوض ، سليمان فرنجية ، الأب سمعان الدويهي ، قبلان عيسى الخوري ، حبيب كيروز ، رشيد كرامي ، هاشم الحسيني ، سالم كبارة ، أمين الحافظ ، فؤ اد البرط ، محمد علم الدين ، مرشد الصمد ، بشير العثمان ، يعقوب الصراف ، رشدي فخر ، بهيج القدور ، جوزف سكاف ، يوسف هراوي ، مخائيل الدبس ، حسين منصور ، رفعت قزعون ، اديب الفرزلي ، ناظم القادري ، شبلي آغا العريان ، صبري حمادة ، فضل الله دندش ، نايف المصري ، تقي الدين الصلح ، بشير كيروز ، شفيق المرتضى ، محمد عباس ياغي ، انطون مالح ، معروف سعد ، مارون كنعان ، جان عزيز ، سيمون صحناوي ، راشد الخوري ، عبد الكريم الزين ، كامل الأسعد ، غالب شاهين ، انور الصباح ، ممدوح العبد الله ، اسعد بيوض ، سهيل شهاب ، عبد اللطيف الزين ، عبد الله الغطيمي ، عبد اللطيف بيضون ، محمد صفي

الدين ، علي عرب وجعفر شرف الدين .

أربعة عهود وخمسة رجال

نواب اشتركوا في انتخاب الرؤ ساء الأربعة : بشارة الخوري ، كميل شمعون ، فؤاد شهاب وشارل حلو :

صبري حمادة ، سامي الصلح ، الامير مجيد ارسلان ، رفعت قزعون وموسيس دير كالوستيان .

إنتخاب الرئيس في6 مواد

عملية انتخاب رئيس الجمهورية في لبنان نصت عليها مادتان ـ هما المادتان49 و50 ـ من الدستور اللبناني وأربع مواد ـ هي المواد6 و28 و30 و31 من قانون الانتخابات النيابية .

الدستـــور

المادة49 ـ ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري بغالبية الثلثين في مجلس النواب في الدورة الأولى ويكتفي بالغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي . وتدوم رئاسته ست سنوات ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته ولا يجوز انتخاب احد لرئاسة الجمهورية ما لم يكن حائزاً الشروط التي تؤ هله للنيابة .

المادة50 ـ عندما يقبض رئيس الجمهورية على ازمة الحكم عليه ان يحلف امام البرلمان يمين الاخلاص للأمة والدستور بالنص الآتي :

« أحلف بالله العظم اني احترم دستور الأمة اللبنانية وقوانينها واحفظ استقلال الوطن اللبناني وسلامة اراضيه » .

قانون الانتخـاب

المادة6 ـ لا يجوز ان ينتخب عضواً في المجلس النيابي الا من كان لبنانياً مقيداً في قائمة الناخبين ، أتم الخامسة والعشرين من عمره ، متمتعاً بحقوقه المدنية والسياسية ، متعلماً . ولا يجوز انتخاب المتجنس بالجنسية اللبنانية الا بعد انقضاء عشر سنين على تجنسه .

رؤساء ما قبل الاستقلال

المادة28 ـ ان رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام لا يشتركون في الاقتراع متى وجدوا في فرقتهم ومراكزهم او في حالة القيام بوظائفهم . اما الذين يكونون في وقت الانتخاب محالين على الاستيداع او حاصلين على اجازة قانونية لا تقل عن ثلاثين يوماً ، فيمكنهم ان يقترعوا في الدائرة التي قيدت فيها اسماؤ هم .

ان رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام ، لا يمكن انتخابهم اعضاء للمجلس النيابي وان كانوا محالين على الاستيداع او على الاحتياط . غير انه يجوز انتخابهم اذا كانوا محالين على التقاعد او قبلت استقالتهم قبل تاريخ الانتخاب بستة اشهر .

المادة30 ـ لا يجوز انتخاب الاشخاص المذكورين في ما يأتي في أية دائرة انتخابية مدة قيامهم بوظائفهم وخلال الستة أشهر التي تلي تاريخ استقالتهم وانقطاعهم فعلياً عن وظائفهم :

1 ـ الموظفون من الفئتين الأولى والثانية .
2 ـ القضاة من جميع الفئات .
3 ـ رؤساء البلديات المعينون ، في مراكز المحافظات .
4 ـ رؤساء مجالس ادارة المؤ سسات العامة ومديروها واعضاؤها .
5 ـ القائمقامون ورؤساء اللجان البلدية المعينون ، في مراكز اقضيتهم .

المادة31 ـ اذا شغر احد المقاعد النيابية بسبب الوفاة او الاستقالة او اذا حل المجلس قبل نهاية ولايته بستة اشهر على الاقل جاز انتخاب الموظفين المذكورين في المادة السابقة وايضاً رجال الجندية ومن هم في حكمهم على اختلاف الرتب سواء اكانوا من الجيش ام من قوى الأمن الداخلي والأمن العام اذا استقالوا وانقطعوا فعلياً عن وظائفهم خلال خمسة عشر يوماً تبدأ من تاريخ مرسوم دعوة الهيئات الانتخابية . وتعتبر الاستقالة مقبولة من تاريخ تقديمها .

مع أنهم كانوا يُعيَّنون تعييناً مباشراً ، وبموجب فرمان من المفوض السامي الذي حل عالياً على لبنان محل مفوض الباب العالي ، فرؤساء ما قبل الاستقلال يصح فيهم القول انهم كانوا أفضل بكثير من كثيرين من رؤساء ما بعد الاستقلال .

كانوا يُصنعون فعلاً : كونوا رؤساءً ، فيكونون .

لكنهم جاهدوا الجهاد الحسن ، في ظروف قاسية وتحت لواء الغطرسة الانتدابية عبر باب قصر الصنوبر حيث يجلس السلطان السامي . وكانت لهم أحياناً وقفات عزّة كثيراً ما هزَّت برنيطة المندوب فوق العادة . . . هزات غير عادية .

في كل حال الغاية من العودة ، اليوم ، الى ملف رؤساء ما قبل الاستقلال ليست لاظهار حسنات ذاك الرعيل وسيئات الرعيل الذي بعد ، بقدر ما هي الرغبة في تغيير ما على صعيد القرار الوطني ، الذي لا يزال قاصراً ينوب عنه ألف وصي ويتَّخذه بالنيابة عن اللبناني اكثر من مفوضٍ سامٍ واحد .

فرؤساء لبنان ما زالوا يُصنعون في الخارج ، ينتخبهم أو يسمّيهم رؤساءً لنا وعلينا ناخبون كبار ، ويقترع بالموافقة ناخبون صغار . والارادة الوطنية اللبنانية هي في العادة ذلك الناخب الصغير .



الرئيس الفرد نقاش ، والى جانبه رئيس وزرائه سامي الصلح .

ما قبل الاستقلال

رؤ ساء ما قبل الاستقلال ؟ .
من الصعب انصافهم .
ومن الصعب اكثر الحكم عليهم وظلمهم .

لقد كان الانتداب فكانوا . . . رؤ ساء على اللبنانيين تحت سلطة المفوض السامي . يقيلهم ثم يعيّنهم ثم يقيلهم ثم يفعل السبعة وذمتها .

تارة يكون الدستور دستوراً ويمشي الحال .
وتارة يعلق الدستور وتتوقف جميع الأحوال .

اذا كان الميزان مائلاً لمصلحة من لا يعجب الانتداب يطير الدستور والمجلس والحكومة والذي مال الميزان لمصلحته .

اما اذا كان المرشح لاعتلاء سدة رئاسة ذلك الزمان مرضياً عنه ، فلينتصب الميزان ضده وتقوم القيامة ويحدث ما يحدث . . . لكنه يعيَّن رئيساً بقرار من المفوض السامي او يعيَّن انتخاباً من المجلس النيابي بأوامر من . . . المفوض السامي او المندوب عنه .

كل ما يقال يصدَّق .
وكل ما يقال غريب الى حد الطرافة .
وكل ما يقال يثير الدهشة .

وكل ما يقال تشيب له رؤ وس الأطفال ، فكيف بالذي لا يقال وهو قابل لأن يصدَّق وان كان أكثر غرابة واكثر طرافة واكثر اثارة ؟ .

رؤ ساء ما قبل الاستقلال ؟

هذا هو السؤ ال ، وهذا هو الجواب ، او بعض الجواب في هذا الملف .

في الجزء الأول من « حقائق لبنانية » يصف الشيخ بشارة الخوري كيف ولد « لبنان الكبير » ، ثم كيف أصبح لهذا اللبنان رئيس للجمهورية ، ثم كيف كان وضع لبنان تجاه الانتداب . « ومن تلك النقطة تنطلق اعجوبة المراحل التي مشاها اللبنانيون خطوة بعد اخرى ، حتى بلغوا بعون الله استقلالهم وسيادتهم » .

وكيف كان ذلك ؟ .
هنا بيت القصيد .

في 31 آب 1920 أعلن الجنرال غورو لبنان الكبير مستقلاً ، مع المساعدة الفرنسية . وللمناسبة جرى في اول ايلول احتفال رسمي بهذا الحدث في قصر الصنوبر ، فألقى غورو خطابه المعروف وعن يمينه البطريرك الياس الحويك وعن يساره المفتي الشيخ مصطفى نجا . وعلى الاثر صدر قرار المفوض السامي بتعيين الكومندان ترابو حاكماً على لبنان الكبير على ان يتسلم مهام الحكم في أول تشرين الأول من السنة نفسها .

ثم تبعت ذلك خطوة أخرى : أنهت السلطة الفرنسية ولاية اللجنة الادارية التي عينتها ، وأصدرت قانون انتخاب جديداً دعت بموجبه الناخبين الى انتخاب ثلاثين عضواً يمثلون المناطق والطوائف على أساس المحافظات والبلديات الممتازة .

وبالطبع مارست السلطة المنتدبة ضغوطاً هائلة وتدخلت بشكل سافر في أول عملية انتخاب لأول مجلس تمثيلي . تم انتخاب الثلاثين عضواً ، ثم انتخب حبيب باشا السعد رئيساً للمجلس الجديد . . . بناء على رغبة حاكم لبنان الكبير .

في هذا الوقت ، وبينما الانتداب يتعثر في ادارة البلاد ويتورط في الخلافات المحلية الضيقة ويدخل فريقاً في المنازعات ، حدث شيء . فقد عينت الحكومة الفرنسية مندوباً سامياً مدنياً ، للمرة الأولى منذ الاحتلال ، هو هنري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ والصحافي اللامع والخطيب الذائع الصيت . كانت الثورة في سوريا قد اندلعت نارها . فاطمأن البال بعض الشيء بتعيين دي جوفنيل ، الا ان الثورة لم تخمد بل امتدت الى جبل الدروز والى حاصبيا وراشيا ومنطقتي اكروم والضنية في الشمال .

وصل دي جوفنيل في كانون الأول 1925 ، فجرى له استقبال حافل ، فعرض الجيش في ساحة الشهداء وألقى خطاباً حماسياً ختمه بعبارته المأثورة « الحرب لمن يريد الحرب والسلم لمن يريد السلم » .

ماذا فعل المندوب الجديد ؟ .

طاف في الانحاء الهادئة من سوريا ، دون سواها . يقول الشيخ بشارة الخوري عنه انه كان مكثار الكلام . يحب الخطابة بمناسبة ودون مناسبة . يخطب في كل مدينة يزورها . فزلق لسانه مرة في تجواله فنادى بدول سوريا المتحدة « مما أثار الشكوك بنيته في لبنان » . وخاف اللبنانيون ان يكون حب الارضاء لجيرانهم قد بلغ حد الانتقاص من استقلالهم (!) فصمم بعض النواب على أن يستجوبوا الحكومة عن معنى ذلك الخطاب . تأزمت الحالة . ثم بعد أخذ ورد بين بيروت وباريس اضطر دي جوفنيل الى ان يصدر بياناً تفسيريا جاء فيه ان عبارة « دول سوريا المتحدة وردت بمعنى تصريح وزير الخارجية الفرنسية اريستيد بريان عن « دول اوروبا المتحدة » دون ان يمس ذلك استقلال أية دولة منها » .

بعد هذا « التوضيح » صرف النظر عن الاستجواب .

انما تلك الهيزعة جعلت دي جوفنيل يكتب الى حكومة لبنان واعداً بأنه يدعو المجلس النيابي في مهلة قصيرة لوضع دستور للدولة .

وبهذا الوعد فسح المندوب السامي المدني ، الكثير الكلام وزلقات اللسان ، في المجال امام المجلس الجديد ، الذي كان اول دخوله ، ليجتمع على الفور وينتخب لجنة خاصة لاعداد الدستور وتنسيق بنوده . وكلفت اللجنة استشارة الهيئات الرسمية وأصحاب الرأي من كبار الموظفين والقضاة والمحامين ، فانقلب المجلس التمثيلي منذ تلك اللحظة الى مجلس تأسيسي ريثما يصبح مجلساً نيابياً بعد اعلان الدستور . وانتخب بترو طراد وميشال شيحا مقررين للجنة ، فأعدا اسئلة خطية عن المبادىء الأساسية للدستور الجديد أرسلاها الى اصحاب الاختصاص والخبرة للاجابة عنها .

وعندما استكملت الاجوبة الخطية دعيت الشخصيات التي سئلت رأيها للحضور امام اللجنة واستمع الى رأيها مجدداً ، كما نوقش هذا الرأي .

ثم وضعت اللجنة المكلفة النصوص بالاتفاق مع شارل دباس ممثل الحكومة مدير العدل والسيد سولومياك مندوب المفوض السامي في لبنان والسيد سوشيه المعين خصيصاً لهذه المهمة . وضعت نصوصاً تحفظ حقوق الانتداب الفرنسي .

يقول الشيخ بشارة الخوري انه « لم يكن في الامكان في نوار 1926 ان تنال البلاد اكثر مما نالته اذ لم يكن في مقدور اللبنانيين الا صعود السلم درجة درجة ، فالطفرة محال » .

دستور ورئيس جمهورية ووزارة

في الثالث والعشرين من أيار 1926 عقد المجلس النيابي جلسة بحضور المفوض السامي الذي اعلن امام « ممثلي الشعب » والحاكم والمديرين والقضاة وكبار الموظفين الدستور اللبناني الجديد .

وتبعاً لذلك عين بقرار من المفوض السامي مجلس شيوخ من ستة عشر عضواً ، وأصبح المجلس التأسيسي مجلساً نيابياً .

وفي السادس والعشرين من أيار دعي المجلسان الى مجمع نيابي لانتخاب رئيس الجمهورية ، اول رئيس جمهورية للبنان ، بموجب الدستور الذي يحفظ للانتداب كامل حقوقه ويضع المفوض السامي في قمة السلطة .

ولم ينتظر المفوض السامي الموعد لاعداد المرشح لمنصب الرئاسة ، فأشار التوجيه الرسمي الى شارل دباس، مدير العدل « تقديراً للمزايا التي يتحلى بها ، ولصفات أخرى منها علمه وخبرته واعتداله ونزاهته وعدم انتسابه لحزب أو غرض ، يضاف الى ذلك كله ان زوجته فرنسية » .

هنا يضع صاحب « حقائق لبنانية » اشارات خاصة حول الترتيبات التي كانت معدة ومهيأة لانتخاب الدباس : « كانت البطريركية المارونية ترى بحكم الطبع ان منصب الرئاسة الأولى هو من حق الطائفة المارونية الأكثر عدداً في لبنان . وقيل ان البطريرك حويك كان يفكر بنجيب باشا ملحمه ، لكن الفرنسيين اقنعوه بصعوبة الأمر ، وان خير من يولىَّ في هذه الظروف هو مرشحهم ، على ان تعود الرئاسة المقبلة الى الطائفة الاكثر عدداً » .

وتلافياً للوقوع في شرك الالتباسات والمآخذ اشارت السلطة الفرنسية على شارل دباس بأن يقوم ببعض الزيارات ، بينها البطريرك حويك والمطران مبارك في كرسي بيروت . بعد هذه الزيارات اعلنت بكركي ، كما أعلن مبارك ، الرضى عن شخص الدباس مع تحفظ مبدئي احتياطاً للمستقبل .

جاء يوم السادس والعشرين من أيار وكان كل شيء معداً سلفا كي يصبح شارل دباس رئيساً للجمهورية بالاجماع : الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم افتتحت جلسة المجمع النيابي برئاسة الشيخ محمد الجسر الرئيس الجديد لمجلس الشيوخ ، وبحضور

الحاكم كيلا والمديرين وكبار الموظفين والقضاة والضباط الفرنسيين واللبنانيين . وتم الاقتراع واعلنت النتيجة على الفور بانتخاب الدباس رئيساً بالاجماع . وبعدما هنأه رئيسا المجلسين والنواب تقدم منه الحاكم ليون كيلا وعانقه ، ثم دعاه الى صالون الحاكم في السراي الصغير واجلسه على الكرسي وانسحب من القاعة ليفسح له في المجال لتقبل التهاني .

ولما انتهى الدباس من التهاني ركب سيارة مكشوفة يرفرف عليها العلم اللبناني ، يواكبها الفرسان ، الى قصر الصنوبر حيث زار المفوض السامي . ورد له المفوض الزيارة على الفور .

وفي 31 أيار صدرت مراسيم الوزارة الأولى برئاسة أوغست أديب وعضوية نجيب القباني وبشارة الخوري وعلي نصرت الأسعد ونجيب الاميوني ويوسف أفتيموس .

بالطبع يبقى سؤال ، لا يسقطه من الأهمية رضى بكركي والانتخاب بالاجماع : لماذا جيء بالدباس الروم الارثوذكسي رئيساً والموارنة هم الاكثرية ؟ .

بعض جوانب هذا السؤال تجيب عنه سيرة شارل دباس كما أوردها فؤاد مطر في « رؤساء لبنان » :

أنهى الدباس ، الذي ينتمي الى عائلات الحي السرسقي ، دروسه الثانوية في اليسوعية ، وتوجه بعد ذلك الى باريس ودرس الحقوق في جامعاتها .

وفي باريس تزوج من فرنسية ثم عاد الى بيروت ، قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى ليبدأ حياته العملية محرراً في جريدة « لا ليبيرته » التي أصدرتها « جماعة الاصلاح » . وهذه الحركة نشأت في « ولاية بيروت » بعد اعلان الدستور العثماني ، وبدأت تطالب بالحكم اللامركزي للاقطار العربية وتشعبت حتى صارت نواة النضال العربي ضد الحكم التركي .

معظم شهداء لبنان كانوا منتمين الى هذه الحركة وكان ابرزهم المغفور له ابو علي سليم سلام والد صائب سلام . (كان الاصلاحيون ينشرون آراءهم ومقالاتهم في جريدة « الريفاي » الفرنسية وجريدة « الثبات » العربية اللتين كان يصدرهما المرحوم اسكندر الخوري احد رجال الحركة) .

وعند اعلان الحرب هرب الدباس الى فرنسا وفي غيابه حكم المجلس الحربي العثماني عليه وعلى رفقائه الآخرين الذين فروا مثله بالاعدام .

بعد انتهاء الحرب رجع شارل دباس مع طلائع جيش الاحتلال الفرنسي وعين مديراً للعدلية واليه يرجع الفضل الأكبر في تنظيم المحاكم ونقابة المحامين ، فلم يعد يحق الا لحامل شهادة الحقوق ان يرافع بعدما كان مسموحاً لأي شخص بأن يدخل المحكمة ويرافع .

والذين عرفوا الدباس يتحدثون بضمير مرتاح عن نزاهته وهو في ادارة العدل ، وعن هدوئه الذي لا حدود له في تصريف شؤون الوظيفة المنوطة به .

والذين عرفوه عرفوا فيه ميله الى العزلة في برجه العاجي ، بعيداً عن الناس ، يقضي وقته دائماً في مكتبه وبين كتبه يتهكم على الكثيرين انما في السر لا في العلن حتى لا يجرح كبرياء احد منهم . ولم يكن ميالاً الى صداقة رجال الدين . لكنه بعدما تولى رئاسة الجمهورية اصبح يتقرب منهم . . . وفي ذكرى صعود البطريرك انطون عريضة قال في خطابه الرسمي كرئيس للجمهورية : « نحن دوماً نستمد من غبطتك القوة والحكمة ونسير بمشيئتك فلا نقوم بعمل لا تكون راغباً فيه وموافقاً عليه » . وقد أرضى الخطاب البطريرك لكنه أفقد الدباس تأييداً هو بأمس الحاجة اليه .

وكان الدباس متقشفاً يكتفي بمعاشه الشهري لكنه كان محاطاً بأناس بعضهم غير نزيه .

وفي معرض التحدث عن تقشفه يروى انه لم يكن يستعمل سيارة الرئاسة الا عند قيامه بالوظيفة . وكان حريصاً للغاية على أن يبكر في التوجه الى عمله ، وعندما تصل سيارته كان موظفو السراي يعرفون ان الساعة قد بلغت الثامنة صباحاً .

يروي الذي عرفوه عن قرب انه كان من هواة قراءة الكتب التي تبحث في المسائل القانونية والكتب التي تتحدث عن الدكتاتورية والحكام العظام . وقد حاول وهو في سدة الرئاسة القضاء على معظم الذين كانوا يطمحون بالوصول اليها . وربما لهذا السبب كان الجنرال ويغان يقول لرجال المفوضية والجيش ان « لا فرق بين الدباس وملك الداهومي ، سوى انكم كنتم تضعون ملك الداهومي في جيبكم في حين ان الدباس هو الذي يضعكم في جيبه » .

كان الدباس يلبس البرنيطه ، ويضع نظارتين بشكل دائم . قصير القامة ، كبير الأنف ، سمين ، يدخن بكثرة ولا يشرب الكحول .

في السابع والعشرين من آذار1929 ، قبل انتهاء ولاية الدباس بشهرين ، اجتمع

المجلس النيابي وجدد انتخابه رئيساً بأكثرية 42 صوتاً ، ووجدت ورقة بيضاء واحدة باسم الشيخ محمد الجسر ، قيل ان البير قشوع هو صاحبها .

آخر حكومة في عهد الدباس تألفت برئاسة اوغست أديب في 25 آذار 1930 واستمرت حتى 10 أيار 1932 ، وكان أعضاؤها : صبحي حيدر ، موسى نمور ، حسين الأحدب وجبران تويني . وفي عهد تلك الوزارة التي تولى فيها جبران تويني وزارة المعارف اوجدت البكالوريا اللبنانية ، وتأسس المتحف الحالي .

وقبل انتهاء ولاية الدباس المحددة سنة 1932 اتجه فريق من النواب المارونيين الى انتخاب الشيخ محمد الجسر رئيساً للجمهورية معاكسين في ذلك اتجاه فريق آخر يريد الشيخ بشارة الخوري رئيساً ومعظمهم من النواب الانتدابيين . فاتخذ الانتداب هذا التنافس مبرراً لحل المجلس واقالة الوزارة التي كان يرئسها اوغست اديب وتعطيل الدستور وتعيين شارل دباس المنتهية مدة رئاسته رئيساً للدولة اللادستورية يعاونه مجلس مديرين (بدلاً من مجلس نيابي ومجلس وزراء) . وكان المديرون : صبحي ابو النصر ، جميل شهاب ، صبحي حيدر ، سامي الخوري ، رفيق ارسلان ، جوزف نمر شمعون ، الدكتور كامل غرغور ، وقام المير جميل شهاب بمهمة المستشار الاقرب للرئيس اللادستوري . . . يشجعه على مكافحة الاحرار والحريات .

وكان من نتائج « تفاهم » شارل دباس مع الانتداب على تعطيل الحياة النيابية ان معارضة شديدة نشأت في طول البلاد وعرضها وضمت للمرة الأولى في التاريخ جميع الطوائف اللبنانية في مناهضة اعمال الانتداب . وقد تزعم هذه المعارضة الدستورية الشيخ بشارة الخوري يؤيده من وراء الستار البطريرك انطون عريضة ورياض الصلح قائد الجبهة الاستقلالية في لبنان ومعه السلبيون الذين ما كانوا يعترفون بالكيان اللبناني . فخشي الفرنسيون مغبة الأمر واوعزت باريس الى المفوضية العليا في بيروت باسترضاء المعارضة وتغيير هذه السياسة . وكانت باكورة هذا الاسترضاء تعين حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية مجاراة لرغبة بكركي .

وتقلص نفوذ الدباس واستهينت كرامته فأدار وجهه شطر باريس للاستعانة على امره بأصدقائه الكثيرين في وزارة الخارجية . وكان قد تناهى الى مسامع المفوض السامي دي مارتيل ما يزمع الدباس فعله اي السفر الى باريس فدعاه اليه وطيب خاطره وقال له انه اوصى جورج سمنه وكيله في مكتب الشرق في باريس ليكون في خدمته وليسهل له اتصالاته بالمقامات وانه (المفوض السامي) سيلحق به قريباً الى باريس .

ويقول المغفور له الشيخ بشارة الخوري في مذكراته « حقائق لبنانية » ان دي مارتيل عمد الى تلك المجاملة حتى لا يهاجمه الدباس ويهاجم سياسته في « الكاي دورسيه » . ولكن الذي لم يذكره الشيخ بشارة في هذا الصدد هو ان جورج سمنه ، الدمشقي الأصل ، كان جاسوساً للمفوض دي مارتيل . . .

وصيف 1935 توفي الدباس في باريس بعد مرض قصير وكان جورج سمنه يعوده في مرضه فيبوح له الرئيس القديم بآماله في العودة الى الحكم .

على ان الجواب عن حرص الفرنسيين على الاتيان بالدباس كان اقتناعه بسياسة الانتداب واستعداده الكامل لخدمة هذه السياسة ، بأي ثمن ، وأي اسلوب ، ولأن زوجته فرنسية . . . وربما ليكون تجربة حكم تسبق فترة الاستقلال وتكون ممهدة له . هذا رأي الكثيرين من الذين عاصروا الدباس والانتداب .

وعن « النهاية » يقول الشيخ بشارة الخوري : « اذكر ان القاضي الفرد ثابت ضرب في آخر كانون الأول 1932 . ويمكن القول ان حكم الدباس قد تداعت اركانه منذ ذلك اليوم . فقد اخبرنا الذين حضروا استقبال رأس سنة 1933 في قصر الرئاسة ، انهم شعروا بتزعزع الحكم والارتباك السائد على الرئيس المعيَّن وعلى محيطه . وكان المطران مبارك من اشد المقاومين للدباس وحكمه . وقد اجتمعنا معه ومع رياض الصلح في بيت احد الاقرباء وتعاهدنا على تقويض حكمه » .

حبيب باشا السعد

من الدباس الى حبيب باشا السعد . المفوض السامي يعيِّن والمفوض السامي يقيل . الرئيس اللبناني رئيس يرئسه المفوض ، ويرئس عبره الشعب اللبناني .

وما ان عُيِّنَ دي مارتيل مفوضاً جديداً خلفاً للمفوض بونسو ، حتى فكر جدياً بتبديل الأوضاع الموقتة بأوضاع موقتة اخرى ، بغية اعادة الدستور الى حيز التنفيذ انما على مراحل . وكان معروفاً لدى الجميع ان بطريرك الموارنة يريد حبيب باشا السعد رئيساً للجمهورية ، وشاع انه لم يسكت عن وقف الدستور وتولية الدباس الا بعدما اخذ وعداً من بونسو بأن يكون السعد خلفاً للدباس .

وفي اواخر 1933 قدّم الدباس استقالته فأصدر المفوض السامي قراراً بتعيين حبيب

باشا رئيساً للجمهورية سنة واحدة تبدأ في آخر كانون الثاني 1934 على ان يفصل تعيينه عن تسلمه الحكم بشهر واحد يكون « فترة انتقال » لا يعمل فيها الرئيس الجديد اي عمل حكومي ، ويتولى فيها الحاكم اوبوار الاشراف على الانتخابات النيابية . وانزل المفوض دي مارتيل عدد نواب المجلس الى 25 عضواً ، منهم 18 نائباً ينتخبهم الشعب ، وسبعة يعينونَ بقرار من المفوض السامي على ان تكون ولاية المجلس اربع سنوات .

وفي خريف 1935 اصدر المفوض السامي قراراً بتجديد رئاسة حبيب باشا السعد لسنة واحدة اخرى تنتهي في 30 كانون الثاني 1936 ، وارجئت الدورة العادية للمجلس شهراً واحداً . واول عمل في هذه الدورة هو انتخاب رئيس المجلس وهيئة مكتبه ، فعاكس المفوض السامي واعوانه انتخاب شارل دباس معاكسة سافرة جعلته ييأس ، فآثر الاستقالة على الفشل المحتوم ، وعيِّن خلفاً له باترو طراد ، فانتخب على الاثر رئيساً للمجلس النيابي .

ماذا عن حبيب باشا السعد ؟ .

يقول الذين عاصروا تلك المرحلة ان الفرنسيين جاؤوا بالسعد ارضاء للبطريرك انطوان عريضة الذي اخذ يعلن في المناسبات العامة احتجاجه على بعض اعمال الانتداب . وحبيب باشا من القدامى . فهو ربيب العهد العثماني ، وقد شغل منصب مدير ناحية (قائمقام) في عهد لبنان البروتوكول ، الذي كان العهد الذهبي للجبل في ذلك الزمان ، اذ عاش لبنان وحده مستقلاً دون سائر العالم العربي . وعين السعد في عهد مظفَّر باشا رئيساً لمجلس الادارة . ثم اعيد تعيينه في هذا المنصب في متصرفية اوهانس باشا حتى ايام الحرب الأولى والغاء امتيازات الجبل .

وعلى اثر جلاء الجيوش التركية عن لبنان وسوريا جاء شكري باشا الايوبي حاكماً على بيروت باسم حكومة الشريف الحسين بن علي الذي اعلن الثورة العربية على السلطنة العثمانية . وقد عيَّن شكري باشا زميله في الباشاوية حبيب باشا السعد حاكماً على لبنان باسم حكومة الشريف (تشرين الأول 1918) .

وعندما جيء به قيل للبنانيين في مجالسهم الخاصة : الآن سيكون رئيس جمهوريتكم وجيهاً مارونياً من عين تريز .

وبالفعل كان حبيب باشا وجيهاً باسلوب تركي . والذين عايشوه ولا يزالون احياء يذكرونه بالخير ويتذكرون تهذيبه العالي ووداعته و « ردنكوته » الذي كان لا يخلعه صيفاً ولا شتاء ، وطربوشه الاسطنبولي الضيق من فوق الواسع من تحت . يتذكرون قامته

الطويلة ونظارتيه واناقة كلامه وأبيات الشعر التي كان يرددها في مجالسه ومجالس الآخرين ، وعشقه للسيكارة والاركيلة في الوقت نفسه . يتذكرون كذلك وقاره في حديثه ومشيته ووقاره حتى وهو يلعب « برتية » بوكر في احد بيوت اصدقائه في الحي السرسقي .

ويقول الذين عايشوا حبيب باشا انه كان كذلك نزيهاً بعيداً عن الشر . وكان منزله قرب فرن الحايك في حي اليسوعية دائماً يعج بطالبي الحاجات .

هنا يتوقف المعايشون قليلاً ويسرحون محاولين تذكر بعض حركات حبيب باشا وتصرفاته . يقولون انه كان تركي الوعد على النقيض من منافسه داود عمون الذي تولى رئاسة اللجنة الادارية (المجلس النيابي الأول في عهد الاحتلال) .

كان مثلاً اذا طرق باب بيته لبناني من بعلبك يقابله فوراً ويأمر بتقديم القهوة له واطعامه . ثم يسأله بطريقة عشائرية :

ـ مين انت يا ابني وشو بتريد ؟ .

ويأتي الجواب :

ـ انا فلان من بعلبك . . .

ويقاطعه حبيب باشا : اوه . . . ابوك فلان ولك عم اسمه فلان وجدك اعرفه جيداً .

ثم يبدأ حبيب باشا يعد اصل الرجل وفصله ، وبعدما يعرف منه حاجته يقول له : من كل بد . ضروري . ولو منشان اهلك وعيلتك ما يزعلو راح انهيلك القضية . ارجع بعد اسبوع .

و « ارجع بعد اسبوع » في ذلك الوقت تعني واحداً من امرين . اما ان يعود طالب الحاجة الى بلده والعودة وحدها تكلفه اسبوعاً حيث لا وسائل مواصلات الا الحمير ، او البقاء في بيروت .

ويبقى في بيروت اسبوعاً ينفق خلاله ما يحمله من بشالك ويعود الى منزل حبيب باشا ليلقى الاستقبال والترحيب ذاتيهما . ولا تنقضي الحاجة ، لكن طالبها يعود شاكراً مرتاحاً لاستقبال رئيس البلاد ووقوفه على اصل العائلة وفروعها .

ويقول المعاصرون ان نقيض الباشا داود عمون ـ الأديب الذي عاش عمره ثائراً في وادي النيل ـ اذ كان عندما يستقبل طالب الحاجة يسأله على الفور باللهجة المصرية .

ـ اسمك ايه يا جدع ؟ .
ويجيب الجدع قائلاً اسمه .
ـ متعلم فين يا جدع ؟ .
ويقول الجدع اسم المدرسة التي تعلم فيها .

ـ ما تختشيش وانت متعلم تطلب تكون موظف ؟ يعني عبد ذليل حقير . ده عار عليك . ما فيش . يالله مع السلامة . روح اشتغل اكسب عيشك بعرق جبينك .

اما الذي يجيب داود عمون بأنه غير متعلم فكان يقول له :

ـ ما تختشيش ؟ ده عار عليك . روح تعلم قبل ما تطلب وظايف . هي الحكومة مأوى عجزة ؟ .

وحبيب باشا السعد هو أول شخص مسيحي في الشرق الأوسط منحه الباب العالي لقب باشا . ولهذا قصة بدأت سنة 1883 يوم كان حبيب السعد يشغل مركز « مدير الجرد الجنوبي » . ففي ذلك الوقت شهدت اسطنبول التي كان معظم بناياتها من الخشب حريقاً هائلاً اتى على الأخضر واليابس وشرد الآلاف من الناس . وفي تلك الاثناء ألَّف نجيب باشا ملحمه ، الذي كان في اسطنبول ، لجنة لجمع المساعدات وبعث برسالة الى حبيب السعد في لبنان يتمنى فيها ان يستخدم صداقاته ويجمع بدوره التبرعات للمنكوبين . واهتم السعد بطلب نجيب باشا وجمع من التبرعات ما جمع وأضاف اليها من ماله الخاص الف ليرة ذهباً ، وارسل المبالغ الى تركيا . وعندما عرف الصدر الأعظم ببادرة السعد بعث اليه برسالة شكر . . . مع لقب باشا .

اميـــل اده

بعد حبيب باشا السعد جاء الى الرئاسة ماروني آخر ، وصفه الذين عايشوه بأنه كان فرنسياً بقلبه ، لكنه الوحيد بين انداده من محبي الانتداب الذي قاوم الفرنسيين ، وبسببه عطل المجلس النيابي سنة 1925 يوم دعي لانتخاب حاكم وطني . فقد خاف الفرنسيون بعدما رشح اميل اده نفسه للحاكمية ان ينجح فعطَّلوا الجلسة .

وعن رئاسة اده يقول الشيخ بشارة الخوري في الجزء الأول من « حقائق لبنانية » :
« بدأت معركة رئاسة الجمهورية صامتة في اواسط سنة 1931 والمزاحمة ظاهرة بين اميل اده

وبيني ، وحظ مخاصمي ضئيل جداً من حيث عدد مؤيديه بين النواب . ولم يكن في امكانه ان يعتمد على الرئيس الدباس لما بينهما من خصومة حقيقة يخفيها الظاهر . ولم يستطع ان يتكل على الشيخ محمد الجسر خصوصاً بعدما اغضب الأوساط المحمدية في عهد وزارته ، فانصرف بقواه كلها نحو المفوضية العليا والحكومة الفرنسية ، وله في باريس اصدقاء كثر ، وهو يسافر كل صيف تقريباً ليغذّي تلك العلائق الطيبة التي اتخذها دروعاً في قتاله . غير ان المسيو بونسو كان حكيماً هادئاً ينفر من تطرف اميل اده ، وقد صارح وزارة الخارجية الفرنسية برأيه هذا عندما كتبت اليه توصية بمساعدة اده . فأجاب « ليس ذلك في الامكان » . وضاقت باده المساعي فعمد الى حملة صحفية ضدي استعملت فيها جميع الاسلحة من قدح وذم وشتيمة ، خصوصاً في الجرائد الفرنسية التي يطالعها الموظفون الفرنسيون ، لكن تلك الحملة لم تأت بالاثر المرغوب » .

وهنا ينتقل الشيخ بشارة الى رواية عن « خطة محكمة للايقاع بيني وبين الشيخ محمد الجسر . وسعوا مع الشيخ الى ان تكون الرئاسة للشيخ محمد نفسه . فلقيت المداورة قبولاً لديه ، وعرض الفكرة على بعض من يريدون تعكير الوضع اللبناني فرحبوا بها .

اخذت الفكرة تتجسم في رأس الشيخ محمد الجسر ، وبدأ يعد لها العدة فطلع بمشروع قانون باجراء احصاء عام في البلاد على الفور بعدما امَّن لهذا المشروع في الكواليس الاكثرية المطلوبة التي وافقت عليه . فجرى الاحصاء ، لكن النتيجة لم تكن في صالح الشيخ محمد . لكن رئيس المجلس برغم هذه النتيجة لم يحجم عن السير في ترشيح نفسه للمقام الأول ونزل الى الميدان بصورة شبه غامضة .

وزاد في الطين بلة ان بعض نواب مارونيين اتجهوا صوب بكركي لمعاكسة ترشيحي (ترشيح الشيخ بشارة) . وكان البطريرك حويك قد توفي وانتخب مكانه البطريرك انطوان عريضة . وكان البطريرك معروفاً بميله الى حبيب باشا السعد ، فأقنعوه بأن الباشا لا حظ له في الفوز ، وأوغروا صدره عليّ باعتباري صديق الشيخ الجسر ، وان ترشيح الشيخ محمد هو صوري يهدف من ورائه الى مساعدتي ، فعاكسني البطريرك هو أيضاً ، وعبثاً حاولت اقناعه بأن ما يزعمه خصومي هو مداورة سياسية وانني سوف اصبح المرشح الماروني الوحيد ضد الشيخ محمد فلم يقتنع . واخذ المطران يتردد الى المفوضية الفرنسية ويعلن معاكسة البطريركية المارونية لترشيحي » .

بنتيجة ذلك كله ، وفي يوم الاثنين 9 ايار دعا المسيو ريكلو مندوب المفوض السامي في لبنان الشيخ محمد الجسر الى ديوانه في السراي الصغير فلبى الشيخ الدعوة وفي يده نسخة

من الدستور ليشرح له النصوص المتعلقة بالانتخاب . ففاجأه المندوب بتسليمه قراراً من المفوض السامي بإيقاف مفعول الدستور وحل المجلس النيابي والوزارة وبتعيين الدباس رئيساً للدولة لأجل غير مسمى ، يعاونه مجلس مديرين . فصارت يد الشيخ ترتجف من التأثر وخرج مع النواب وأركان الوزارة من السراي . وبقي الدباس في كرسي الحكم رئيساً معيناً ، بعدما مكث ست سنوات رئيساً للجمهورية منتخباً انتخاباً شرعياً وحامياً لذمار الدستور (. . .) .

وفي كانون الأول صدر قرار من المفوض السامي بانتخاب رئيس جمهورية لمدة ثلاث سنوات غير قابلة التجديد ، وعين الانتخاب في اليوم العشرين من كانون الثاني سنة 1936 ، وعقب القرار المذكور بلاغ بالتزام الحياد من جانب السلطة الفرنسية . . . وانتخب اميل اده .

واده من مواليد دمشق ، لكنه انتقل بعد ذلك الى قرية قب الياس في البقاع وبقي فيها فترة من الزمن . ولا يزال بيت والده ابرهيم اده حتى الآن فيها . اما اصل العائلة فمن قرية اده في جبيل وقد انتقل اجداده الى بيروت في القرن السادس عشر وكان منهم الاغنياء ، والوجوه في الطائفة المارونية . وتولى احدهم امانة جمارك بيروت في القرن الثامن عشر وصار آخر « كاخية » (رئيس وزارة) للحاكم الامير منصور الشهابي . واشتهروا جميعهم بالامانة والذكاء الشديد والجرأة .

درس اميل اده في اليسوعية في بيروت ونال شهادة الحقوق في فرنسا . ولما عاد من باريس عين محامياً للقنصلية الفرنسية . وهذا المنصب كان له شأنه في اتجاه اميل اده نحو العمل في السياسة والطموح الى مراكز حساسة .

ولما اعلنت الحرب العالمية الأولى هرب مع الذين هربوا من بيروت الى مصر فحكم عليه بالاعدام غيابياً .

وبعد الحرب اختير عضواً في الوفد اللبناني الذي سافر الى مؤتمر السلام في فرنسا للمطالبة باستقلال لبنان عن سوريا .

سنة 1922 انتخب نائباً عن بيروت ودخل المجلس النيابي وهو لا يحسن التكلم بالعربية ، لكنه بعد عشر سنوات لم يعد يرافع امام المحاكم بالفرنسية وصار يرتجل العربية ويستشهد بالشعر العربي .

وفي عهد شارل دباس تولى رئاسة المجلس ثم رئاسة الوزارة .

وعندما جرت معركة رئاسة الجمهورية الثالثة (20 كانون الأول 1936) انتخب بأكثرية صوت واحد اذ نال 13 صوتاً ونال منافسه الشيخ بشارة الخوري 12 صوتاً . واعيد الانتخاب فنال 14 صوتاً ضد 11 ، وعرف يومها ان الذي انضم اليه في الدقيقة الاخيرة هو الاستاذ كميل شمعون يمين الشيخ بشارة الخوري وأحد أركان الكتلة الدستورية .

وتذكر الصحف الصادرة في تلك الفترة ان الشيخ بشارة في الدورة الثانية للاقتراع التفت الى الاستاذ كميل شمعون وقال له علناً على مسمع من النواب والحاضرين : كميل خلينا مثل الدورة الأولى .

وبعد اعلان النتيجة التفت الشيخ بشارة الى الاستاذ كميل شمعون وهز رأسه فعرفت الجماهير الحاضرة ان الصوت الرابع عشر كان صوت كميل شمعون الذي عين بعد هذه البادرة وزيراً للمالية في حكومة الائتلاف .

وفي عهد اميل اده وضعت المعاهدة اللبنانية ـ الفرنسية التي أقرها المجلس النيابي اللبناني ورفض المجلس الفرنسي اقرارها . وتعترف المعاهدة باستقلال لبنان وتتعهد فرنسا بموجبها بادخاله عصبة الأمم . ومن بنودها المشهورة المادة 6 مكررة (يعني توزيع المناصب في الدولة على الطوائف بالتساوي) .

اما ابرز الحوادث في عهد رئاسة اميل اده فانه لم يحلف اليمين الدستورية لأن الدستور كان معلقاً وان رئاسته مددت لكنه لم يكملها بسبب خلافه مع المفوض السامي .

بعدما اصبح رئيساً سابقاً للجمهورية خاض معركة الانتخابات عن جبل لبنان سنة 1943 وربحها في دورة البالوتاج (وفاز كذلك في البالوتاج رئيس اللائحة المنافسة ، الشيخ بشارة الخوري الذي انتخب في ما بعد رئيساً للجمهورية) . لكنهم في انتخابات 25 أيار 1947 اسقطوه . ويقول الذين نفذوا عملية اسقاط اميل اده انهم كانوا يحذفون الرقم الاخير من مجموع الأصوات التي ينالها في كل قلم اقتراع . ومثالاً على ذلك ان الـ 240 صوتاً تصبح 24 صوتاً . وسبب اسقاط اميل اده انه كان يقود المعارضة ـ بعدما اسس الكتلة الوطنية ـ ضد عهد الشيخ بشارة الخوري .

ومن الحق ان ننصف الرجل الذي ظلم كثيراً ، ولم تراع الاسباب التخفيفية في الحكم عليه : فاميل اده نشأ نشأة غربية بحتا حتى كاد يجهل لغة قومه . ونشأ وفي مخيلته اشباح الظلم الاسود ، والحكم « القره قوشي » ، والتفرقة المؤلمة بين ابناء الوطن الواحد . . . فمال بقلبه وعقله وجوارحه كلها الى « الام الحنون » ، واهماً ان فرنسا هي التي ستحرر بلاده . وكثيرون من جيل اميل اده من مسيحيين ومسلمين ظنوا هذا الظن .

ولما ذاب الثلج انكسر خيال الجميع . . . لكن اميل اده امتاز ، مثل داود عمون ، عن جميع انداده بأنه وقف في وجه الاشخاص الفرنسيين وتحداهم وكال لهم الصاع صاعين ، مما لم يفعله الكثيرون . ولا ريب ان غلطته في ثورة تشرين اقصته عن الزعامة الحقيقية الكاملة بجميع تيارات المعارضة . ولولا تلك الخطيئة لكان وضعنا في لبنان غير ما أصبح عليه .

وعندما يتحدث معايشو اميل اده واصدقاؤه عنه فانهم يتحدثون باعجاب وتقدير كبيرين عن ذلك المثقف الالمعي والخطيب باللغة الفرنسية والمحامي الحاضر الذهن والسياسي الانيق ، القصير القامة ، الطلي الحديث ، المجادل السريع النكتة ، الاخضر القلب ، الديناميكي . يتحدثون كذلك عن حبه للحلقات الاجتماعية ولعبة البريدج ، ووفائه لاصدقائه وحبه للسفر والصداقات التي كانت تربطه بعظماء فرنسا ورجالاتها .

كان يدخّن بكثرة ، ثم ترك عادة التدخين . وعندما انتخب رئيساً للجمهورية كان مستأجراً منزلاً في ملك شارل ابيلا في شارع كليمنصو وبعدها انتقل الى المنزل الخاص الذي بناه في محلة الصنائع ويسكنه الآن ابنه العميد ريمون اده .

وهل كانت رئاسة الجمهورية تعن على باله بعدما اخذوها من طريقه ؟ .

يجيب عارفوه : كانت اكثر الأمور التي تشغل باله . فقد كان رئيساً من طراز فريد ، وكان يريد ان يجعل الرئاسة من الطراز نفسه .

وفي 27 ايلول 1949 توفي اميل اده في منزله في صوفر عن 65 سنة . وسنة 1955 توفيت زوجته . وقد منع الشيخ بشارة الخوري جميع الرسميين من تشييع جنازة اميل اده ، لكن ذلك لم يمنع الأهالي من صوفر حتى بيروت من الاشتراك في تشييع الرئيس الذي ولد في دمشق لكنه ترأس لبنان ثم دفن في بيروت .

الفرد نقاش

في عهد رئاسة الفرد نقاش ، التي بدأت في 24 تشرين الأول 1941 ، طالب تجار بيروت وأعيانها ورؤساء طوائفها بجعل العاصمة مدينة مفتوحة لتجنيبها ويلات الحرب . فكتب الرئيس نقاش الى المفوض السامي يؤيد هذا الطلب . . . لكنه اختلف مع رئيس

وزرائه سامي الصلح . وطلب من سامي بك ان يستقيل فقال البابا سامي : « لا استقيل الا انا والرئيس » .

والفرد نقاش من مواليد 1888 . بعدما انهى دروسه الثانوية في اليسوعية توجه الى باريس وعاد ومعه شهادة الحقوق ، ثم سافر الى القاهرة وأمضى فيها سبع سنوات تعاطى في ثلاث منها مهنة المحاماة ، وكان في الوقت نفسه يحرر في صحيفتي « La Bourse Egyptienne» و« Le Journal du Caire » ويعالج في مقالاته مواضيع تتعلق بلبنان الذي كان يومذاك متصرفية ، مطالباً بتحرير لبنان من السلطنة العثمانية وتأمين مرفأ له في جونيه .

وكان لمقالات ألفرد نقاش صداها ، حتى ان بعض المجالس البرلمانية العالمية ، ومنها مجلس النواب الفرنسي ناقش الفكرة والدعوة .

وكان طبيعياً ان لا تعجب افكار النقاش الاتراك ، فصدرت في عهدي انور وجمال باشا سلسلة احكام بحق اللبنانيين المناضلين منها حكم غيابي باعدام ألفرد نقاش .

وبعد انتهاء الحرب عاد ألفرد نقاش ليعمل محامياً ثم قاضياً في الاستئناف والتمييز ثم عضواً في مجلس الشورى . وذاع صيته كنزيه وتقي ورع ومسالم ، فعينه الفرنسيون رئيساً للدولة ثم رئيساً للجمهورية .

وبدأ حياته الرئاسية بتصريح رنان عند دخوله السراي قال فيه : « اعرف في البلاد لبنانيين فقط ولكنني لا اعرف خوريين واديين » .

وبقي ألفرد نقاش رئيساً للجمهورية الى ان جاء يوم قرر فيه الجنرال كاترو المفوض السامي الفرنسي التخلص من النقاش وحكومته ليدخل البلاد الطور الحاسم ويضع حد للحالة الموقتة ، وذلك باجراء الانتخابات العامة وانتخاب رئيس للجمهورية .

وعرف ألفرد نقاش عزم المفوض السامي ، فاتفق مع سامي الصلح على ان تجري تظاهرة امام الجامع الكبير يوم عيد المولد النبوي لدعم مركزهما . وسارت التظاهرة في الشوارع تتقدمها الهوادج ، وكأنها استعجلت الحل المنتظر ، ففي مساء ذلك اليوم عينه صدر قرار المفوض السامي باقالة الرئيس النقاش وحكومته وتعيين أيوب تابت رئيساً للحكومة الموقتة .

بعدما اصبح ألفرد نقاش في سلك الرؤساء السابقين انتخب نائباً لبيروت . وفي عهد الرئيس كميل شمعون عين وزيراً وكان من وقت الى آخر يلقي محاضرات ويكتب

مقالات بالفرنسية لمجلة « الشراع » التي يصدرها الأب قرطباوي . وهو يسر الى بعض اصدقائه بأنه يدون مذكرات سينشرها ذات يوم . وقد انتهى به المطاف الى رئاسة مصلحة الانعاش الاجتماعي وتمثيل الرئيس **فؤاد** شهاب في احتفالات بعض الدول بمناسباتها الوطنية . واخيراً برز اسمه في خضم أزمة من سيخلف فؤاد شهاب ، ولكن عاد الاسم واختفى .

أيـوب تـابت

لو أردت تحديد أيوب تابت ، الذي عين رئيساً للدولة بعد رئاسة ألفرد نقاش في كلمتين ، لقلت عنه « أبو المتناقضات » . فقد كان من طراز خاص . بروتستانتي المذهب والثقافة ، لكنه متعصب للكاثوليكية اكثر من أبنائها . درس في المدارس الانكليزية والاميركية ، لكنه كان هائماً بالثقافة اللاتينية . عاش في الولايات المتحدة ، لكنه كان يعمل للسياسة الفرنسية .

أول عهد أيوب تابت في السياسة كان عمله في الحركة الاصلاحية في بيروت مع مجاراته للحركة اللامركزية التي اشعلت نار الثورة العربية . وكان من الذين اشتركوا في المؤتمر العربي الأول في باريس (حزيران 1913) .

وقليلون جداً الذين يعلمون ان سلوك أيوب تابت في فرنسا أيام المؤتمر العربي هو الذي أنقذ حياة كثيرين من شبان العرب في الحرب العالمية الأولى أثناء بطش جمال باشا والمجلس العرفي بأحرار الدعوة العربية . وتفصيل ذلك أن أيوب تابت صار يتردد خلسة الى وزارة الخارجية الفرنسية في باريس ويؤكد لموظفيها ان اللبنانيين والسوريين بأكثريتهم الساحقة على اختلاف اديانهم يتمنون ان تحتل فرنسا بلادهم وان تنقذهم من الظلم التركي . ولاحظ سليم علي سلام المعروف بـ (ابو علي سلام ـ والد الرئيس صائب سلام) وزميله احمد مختار بيهم (والد امين) ذلك التردد ، ورجحا ان يكون رفيقهما أيوب تابت ساعياً الى ترويج السياسة الفرنسية فحفظا الأمر في صدريهما .

ولما انتهى المؤتمر رأى كبار المؤتمرين ان يزوروا وزارة الخارجية الفرنسية ليشكروها على سماحها لهم بعقد مؤتمرهم في باريس . وقد قاموا بالزيارة فاستقبلهم الامين العام لوزارة الخارجية معتذراً بأن الوزير غائب وانه كان يود أن يستقبلهم شخصياً . وفي حديث المجاملات وتبادل العواطف الولائية بين فرنسا وسوريا اغتنم ابو علي سلام المناسبة وقال

لممثل فرنسا : « يهمنا يا سعادة السفير ان تعرفوا حقيقة شعورنا ورأينا في مصير بلادنا . فنحن اذا طالبنا باللامركزية وبالحقوق العربية المهضومة فإننا شديدو الاخلاص لسلطنة جلالة امير المؤمنين الخليفة الاعظم ولا يمكن ان ننسلخ عن سلطنته ولا يخطر في بالنا مطلقاً ان نطلب حمايتكم ومجيئكم الى بلادنا . وهذا كلام اصدقاء يشكرون لفرنسا عطفها على اماني العرب وخدماتها لهم » .

وقد أيد احمد مختار بيهم كلام زميله فامتقع وجه امين وزارة الخارجية الفرنسية ، لكنه كتم غيظه اذ كان ينتظر عكس الذي سمعه .

وبعد خروج الوفد من عنده ابرق الأمين العام للوزارة الى سفارة فرنسا في اسطنبول والى المقيم الفرنسي في القاهرة والى قناصل فرنسا في بيروت ودمشق وبغداد يعلمهم حديث ابي علي سلام ويطلب اليهم ان لا يثقوا بـ « الاصلاحيين » ولا سيما بسلام وبيهم .

وتمر الأيام وتعلن الحرب ويستولي الاتراك على سجلات القنصلية الفرنسية في الشرق ويعثرون على هذه البرقية . وكان جمال باشا يكره أبا علي سلام كره التحريم ، وقد طلب اليه زملاؤه الاتحاديون في الاستانة ان يحارب ابا علي ويذله لأنه كان خصماً عنيداً له . وفي الواقع ما ان وصل جمال باشا حتى بدأ اضطهاد سلام وأمر باعتقاله ، فلما وقعت أوراق السفارة والقنصليات الفرنسية في ايدي الأتراك واطلع جمال باشا على برقية وزارة الخارجية بصدد مقابلة أبي علي سلام ، استيقظ ضمير جمال باشا ودعا اليه أبا علي واعتذر منه ، وكذلك اعتذر من احمد مختار بيهم . وفي أول زيارة قام بها جمال باشا لبيروت خطب في دار المفتي بخلاصة مضمون البرقية .

أما أيوب تابت فكان قد هرب أول الحرب خوفاً من مشنقة الأتراك التي كانت تنتظره ، وذهب الى فرنسا ، ومنها الى نيويورك حيث اندفع يهاجم الحكم التركي في العالم العربي .

ولما انتهت الحرب عاد أيوب تابت مع أول العائدين الى بيروت ، ونشط مع « رابطة الطوائف المسيحية » الى المطالبة بالانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا . ثم انتخب نائباً عن الاقليات في بيروت .

واشتهر ايوب تابت في الحكم « بدفعات ثورية » . فمنع يوم كان وزيراً للداخلية التبويل على الحيطان في الشوارع .

ومن « دفعات » أيوب تابت « الثورية » انه حارب زمور السيارات فمنع التزمير منعاً باتاً . وكان اذا اتفق ان زمر سائق دون انتباه لدى وصوله الى ساحة الشهداء ، وثب

أيوب تابت من مكتبه في وزارة الداخلية في السراي القديم وأسرع الى أول شرطي ليطارد الزامر .

ومن عادات أيوب تابت تشديده على الموظفين بضبط مواعيد الدوام ، والويل للموظف الذي كان يأتي بعد الساعة الثامنة الى مكتبه . ومن « دفعاته » أيضاً انه منع شرب القهوة في الدوائر الرسمية حتى ضج النواب والوزراء والمديرون وكبار الموظفين . ولما استقال من الوزارة اعادوا عادة **شرب القهوة الى سابق عهدها** .

وقضى أيوب تابت حياة برلمانية صاخبة . فما تمت مداورة على الحكومة في رئاسة شارل دباس الأولى الا كانت له فيها اليد الكبرى بالاتفاق مع صديقه اللدود اميل اده . ولم تعرف وزارة من وزارات عهد الانتداب الضجات التي كانت تثيرها وزارات أيوب تابت . فهو عنيف مقدام صريح في صداقاته وتعصبه وخصوماته ، نزيه الكف ، وفيّ العهد .

والذين عرفوه اكتشفوا « الفتلة » التي رافقت حياته الخاصة . فهو لم يتزوج ، وكان يقضي اكثر جلساته ينظم القرادي (يقال انه كان من اكبر الزجالين) ويصطاف في سرادق في كروم بحمدون بعيداً عن الناس .

وفي 18 آذار 1943 تولى أيوب تابت رئاسة الدولة ووزعت الوزارات على معاونيه الوزيرين المير خالد شهاب والاستاذ جواد بولس . ورأى الرأي العام ان عهداً جديداً قد يأتي بالخير على لبنان . لكن هذا الأمل المشروع لم يتحقق اذ ان الدكتور تابت ادخل تعديلاً خطيراً في قانون الانتخابات رأت فيه الطوائف الاسلامية مساً بحقوقها ، إذ ان التعديل قد اعتمد على احصاء جميع المغتربين في توزيع المقاعد فنال المسيحيون سبعة مقاعد فوق المقاعد التي نالها المسلمون .

ويقال ان فريقاً من العسكريين كانوا غير راضين عن تعيين أيوب تابت رئيساً للدولة ويرغبون في تعيين مرشح آخر ، فاشتركوا في اثارة الرأي العام الاسلامي على العهد التابتي ، مما حمل المفوضية الفرنسية على اقالة أيوب تابت ووزيريه وتعيين بترو طراد رئيساً للدولة ومعه وزيران مساعدان هما عبد الله بيهم وتوفيق لطف الله عواد .

بترو طراد

كان بترو طراد هاوي سياسة وهاوي محاماة . هكذا يقول الذين عايشوه ورافقوه . وقد اشتهر اكثر ما اشتهر بأنه وقع مع خمسة من اصدقائه عريضة رفعوها باسم الطوائف المسيحية في بيروت الى وزارة الخارجية الفرنسية في 12 آذار 1913 يطالبون فيها بأن تكون سوريا (بما فيها لبنان وفلسطين) منطقة مستقلة عن السلطنة العثمانية يديرها اختصاصيون فرنسيون ، وتكون تحت الحماية الفرنسية . وقد اثارت هذه المذكرة نقمة جمال باشا على العرب اجمالاً وعلى المسيحيين منهم بصورة خاصة ، فأصدر امره الى المجلس الحربي في عاليه بأن يحكم على موقعيها بالاعدام .

وقد امتثل المجلس المذكور لأوامر الباشا التي طالما نفذها بالاعدام والتشريد والنفي دون اي تحقيق قانوني .

وهكذا حكم على أصحاب العريضة بالاعدام . وشاءت الاقدار ان يكونوا جميعهم هربوا من بيروت الى مصر وأوروبا ولم يبق منهم في لبنان الا يوسف الهاني عميد الطائفة المارونية في بيروت فسجن ثم شنق .

اما الذين نجوا بجلودهم فهم المرحومون : بترو طراد ، أيوب تابت ، نخله تويني ، رزق الله ارقش وخليل زينيه .

بعد انتهاء الحرب رجع بترو طراد الى بيروت صديقاً للفرنسيين والف مع أخوانه اصحاب العريضة الذين عادوا الى وطنهم بعد انتهاء الحرب جمعية جديدة باسم « رابطة الطوائف المسيحية » ضموا اليهم فيها جمهرة من رجال الفكر والوجاهة والمال واندفعوا بحماسة شديدة الى المطالبة بالانتداب الفرنسي على لبنان وسوريا .

وقد لمع اسم بترو طراد محامياً كبيراً فصار مكتبه من اعظم مكاتب المحاماة في الشرق وعمل فيه كثيرون صاروا بعد ذلك من أصحاب الباع في دنيا المحاماة .

واشتهر بخدمة الناس واصحاب الحاجات والدفاع عن الفقراء بلا استثناء على اختلاف طوائفهم ، مع انه لم يكن موسراً الا انه لم يكن مقبوض اليد . ويروى عنه انه كان يستقبل الناس من ناخبين وغيرهم وهو يرتدي « روب الحمام » واحياناً « البيجاما » .

سنة 1925 اختير نائباً لبيروت عن الطائفة الارثوذكسية بحماسة جمعت رغبة الفرنسيين وأبناء البلاد معاً . وكان اختير عضواً في اللجنة الادارية سنة 1922 .

وسنة 1937 عين رئيساً للمجلس النيابي وبقي رئيساً حتى 21 أيلول 1939 .
وكثيرون من معايشيه يتحدثون عن طريقته الغريبة في ادارة الجلسات وعن صبغة الشعر التي كانت تذوب من الحر فتتساقط حبيبات على وجهه . ومن اجل ذلك كان المنديل لا يفارق يديه وهو في مجلس النواب .

ومما يذكر ان بترو طراد برغم ثقافته الفرنسية كان يخطب بالعربية بفصاحة وطلاقة ، لكنه (ويذكر ذلك جميع الذين عرفوه) كان يخطىء في لفظ كلمة « يا سيدي » فيلفظها مفتوحة الياء . وبعض الذين عرفوه يقولون انه لم يكن يخطىء في اللفظ ، لكنه كان يتعمد لفظ الكلمة على هذا الشكل .

واستمر بترو طراد نائباً عن الطائفة الارثوذكسية الى ان تأزم الموقف السياسي في صيف 1943 . عندها اختير رئيساً للدولة لمراقبة الانتخابات فوقع هذا الاختيار موقعاً طيباً عند جميع الفئات المعارضة والموالية على السواء .

ولما انتهت الانتخابات النيابية وانتخب المجلس الجديد الشيخ بشارة الخوري رئيساً للجمهورية الاستقلالية اصر الرئيس المنتخب في أول خطاب ألقاه في المجلس النيابي فور انتخابه على الاشادة بنزاهة بترو طراد .

وقد قضى بترو طراد حياته عازباً . قضاها يضع زهرة في عروة جاكيتته . وقلما كان يخرج دون الزهرة . وكان يضع على رأسه برنيطة من القش صيفاً واخرى من الجوخ الأسود (ميلون) في الشتاء .

وهو ، للمناسبة ، عم السيدة نينا طراد قرينة رئيس الجمهورية السابق شارل حلو .

وزارات ما قبل الاستقلال

- الوزارة الأولى برئاسة أوغست أديب (من أول حزيران 1926 الى 5 أيار 1927) : نجيب قباني ، بشارة الخوري ، يوسف افتيموس ، نجيب اميوني ، علي نصرت الأسعد ، الدكتور سليم تلحوق .
- الوزارة الثانية برئاسة بشاره الخوري (من 5 أيار 1927 الى 5 كانون الثاني 1928) : جورج تابت ، خالد شهاب ، احمد الحسيني ، الدكتور سليم تلحوق ، الياس فياض .
- الوزارة الثالثة برئاسة بشاره الخوري (من 5 كانون الثاني 1928 الى 10 آب 1928) : أيوب تابت وحسين الأحدب .
- الوزارة الرابعة برئاسة حبيب السعد (من 19 آب 1928 الى 14 أيار 1929) : حسين الأحدب ، صبحي حيدر ، موسى نمور ، الدكتور اسبيريدون أبو الروس .
- الوزارة الخامسة برئاسة بشاره الخوري (من 14 أيار 1929 الى 12 تشرين الأول 1929) : نجيب أبو صوان وحسين الأحدب .
- الوزارة السادسة برئاسة اميل اده (من 12 تشرين الأول 1929 الى 20 آذار 1930) : نجيب ابو صوان ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، احمد الحسيني ، جبرائيل منسى .
- الوزارة السابعة برئاسة اوغست أديب (من 25 آذار 1930 الى 21 تموز 1931) : احمد الحسيني ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، جبران تويني وزير المعارف التي اوجدت البكالوريا في عهد وزارته .
- الوزارة الثامنة برئاسة اوغست اديب (من 22 تموز 1931 الى 10 أيار 1932) : صبحي حيدر ، موسى نمور ، حسين الأحدب ، جبران تويني .
- الوزارة التاسعة برئاسة خير الدين الأحدب (من 5 كانون الثاني 1937 الى 14 آذار 1937) : ابراهيم حيدر ، الامير خليل أبي اللمع ، حبيب أبو شهلا .
- الوزارة العاشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 14 آذار الى 10 تموز 1937) : احمد الحسيني ، ميشال زكور ، حبيب أبو شهلا .

● الوزارة الحادية عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 10 تموز 1937 الى 30 تشرين الأول 1937) : احمد الحسيني ، خليل أبي اللمع ، جورج تابت ، حبيب أبو شهلا .

● الوزارة الثانية عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 30 تشرين الأول 1937 الى 13 كانون الثاني 1938) : ابراهيم حيدر ، مجيد ارسلان ، موسى نمور ، جورج تابت ، حبيب أبو شهلا ، سليم تقلا .

● الوزارة الثالثة عشرة برئاسة خير الدين الأحدب (من 13 كانون الثاني الى 21 آذار 1938) : ابراهيم حيدر ، حكمت جنبلاط ، جورج تابت ، موسى نمور ، خليل كسيب ، الدكتور كامل غرغور .

● الوزارة الرابعة عشرة برئاسة خالد شهاب (من 21 آذار الى أول تشرين الثاني 1938) : احمد الأسعد ، حكمت جنبلاط ، كميل شمعون ، يوسف اسطفان ، خليل كسيب ، سليم تقلا .

● الوزارة الخامسة عشرة برئاسة عبد الله اليافي (من أول تشرين الثاني 1938 الى 22 كانون الثاني 1939) : صبري حمادة ، حميد فرنجية ، روكز أبو ناضر ، خليل كسيب .

● الوزارة السادسة عشرة برئاسة عبد الله اليافي (من 22 كانون الثاني الى 21 أيلول 1939) : ابراهيم حيدر ، حكمت جنبلاط ، موسى نمور ، روكز أبو ناضر ، حبيب أبو شهلا ، جبرائيل خبّاز .

● في 10 نيسان 1941 صدر قرار من المفوض السامي عين بموجبه الفرد نقاش رئيس حكومة دولة لبنان . وفي اليوم نفسه صدر مرسوم رقمه N 1 بتعيين احمد الداعوق وكيلاً لأمانة سر الدولة للاشغال العامة والبرق والبريد وباعطائه لقب ورتبة نائب رئيس مجلس وكلاء امانة سر الدولة . وبتعيين كل من وكلاء امانة سر الدولة : جوزف النجار للمال والاعاشة ، فيليب بولس للتربية والشبيبة ، الدكتور فؤاد عسيران للصحة والاقتصاد .

● في 21 كانون الأول 1941 وبناء على تصريح الجنرال كاترو اصدر رئيس الجمهورية مرسوماً بتعيين احمد الداعوق رئيساً لمجلس الوزراء وزيراً للمال . وتشكلت الحكومة على الوجه الآتي : فيليب بولس ، احمد الحسيني ، حميد فرنجية ، امين السعد ، رامز سركيس ، واصف عز الدين ، احمد الاسعد ، حكمت جنبلاط ، ألفرد سكاف .

● وفي 27 تموز 1942 شكلت حكومة جديدة برئاسة سامي الصلح استمرت الى 18 آذار 1943 على الوجه الآتي : موسى نمور ، احمد الحسيني ، فيليب بولس ، حكمت جنبلاط ، جورج كفوري .

الياس سركيس

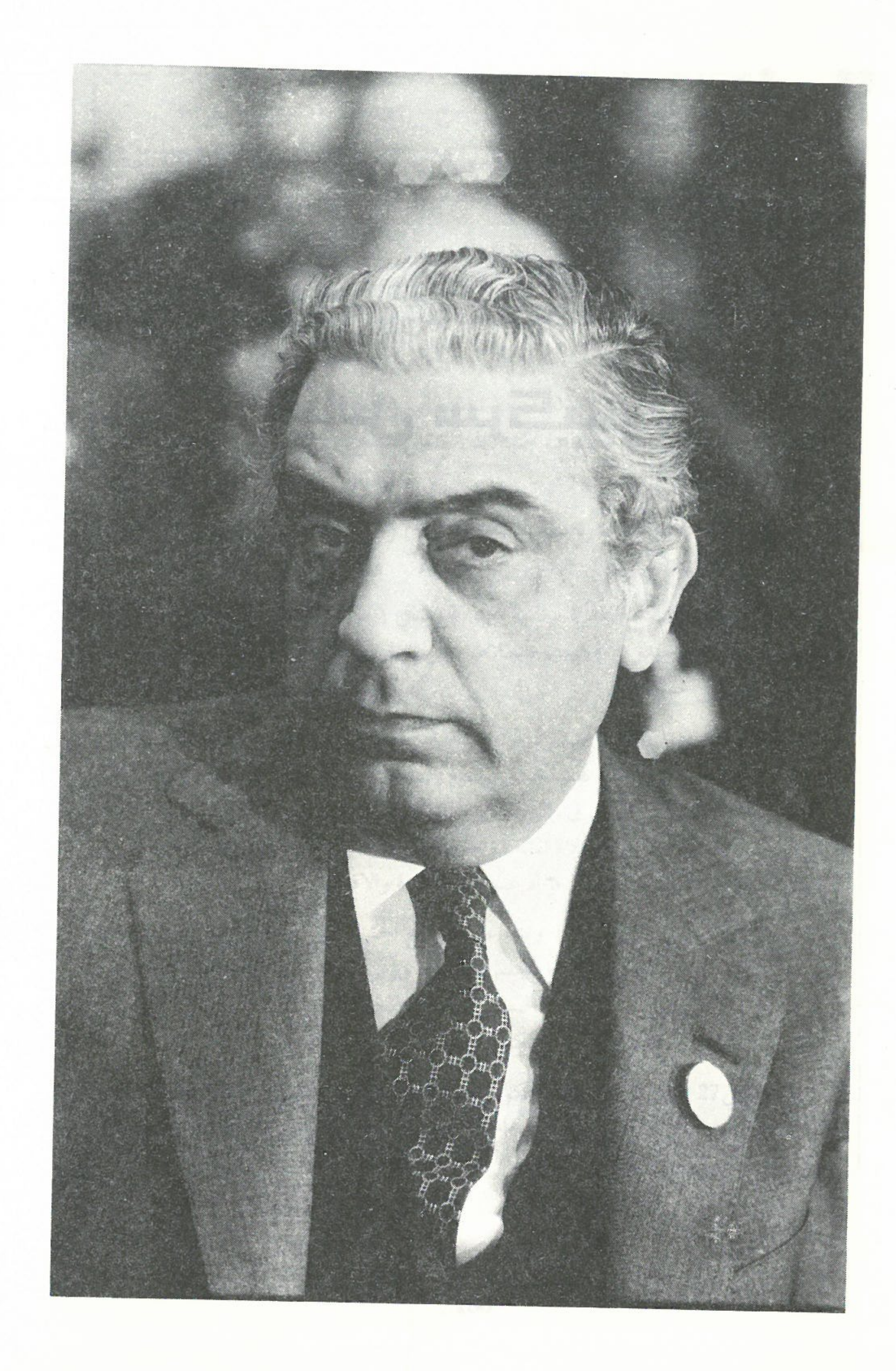
قصّته قصة ، الياس سركيس . فهو منذ اختاره الرئيس الراحل فؤاد شهاب مستشاراً قانونياً في قصر صربا يحيِّر الذين يعرفونه والذين يجهلونه . سرُّه له وحده ، ومعاناته لا يُشرك فيها أحداً ، مثلما لا يُشرك في ايمانه .

قبل ان يجيء الى الرئاسة ، تحوَّل الى لغز : من هو هذا الآتي من الشبانية ، الهاجم على المنصب الأول في الدولة ، وطينته ليست من طينة الذين يحق لهم ، سياسياً واجتماعياً ، طلب يد كرسي الرئاسة ؟ .

يوم17 آب1970 هزمه صوت واحد ، وكان صوت من أهل البيت أو أهل النهج . في ذلك الزمان كان سركيس ظلاً للرئيس شهاب وولي عهد الأمير اللواء . ورغم تأفف الرئيس الراحل صبري حمادة وقوله انه لا يستطيع ان يتصوَّر نفسه واقفاً امام ابن سركيس ومزرِّراً جاكتته ، فقد ادلى صبري بك بصوته لابن سركيس وعمل مشكلة لها أول وليس لها آخر بعد فرز الأوراق ، عندما تبين ان الرئيس سليمان فرنجية هزم الرئيس الياس سركيس بصوت واحد ، ورفض ان يعلن نتيجة الانتخاب .

من يدري ، فقد يكون سركيس تمنّى من قلبه ان يُظلم ثانية فيهزمه صوت ما أو مصادفة ما ظهر اليوم الثامن من حزيران1976 .

ومع ان قصته ، مكتوبة هنا ، فإنها تبقى قصة مختلفة ، ويبقى من المناسب القول ان ابن الشبانية ظُلِمَ مرتان : عندما كان يجب ان يكون ولم يكن ،وعندماكان يُود لو تُبعد عنه كأس الرئاسة ، لا كرسيها .



« الأســتاذ »

عند الشهابيين الاقحاح اسمان ممنوع التفريط بهما او التعرض لهما بسوء او ذكرهما بغير عبارات التقدير . ولفرط حرصهم على هذين الاسمين وضعوهما فوق التداول ليبقيا فوق الشبهات . اول الاسمين ، بالطبع ، الامير الرئيس اللواء فؤاد شهاب . وثانيهما ولي العهد « الاستاذ » الياس سركيس .

المفوضون بالاخذ والعطاء من الشهابيين يكتفون باستعمال اللقب عندما يذكرون اسمه او يسألون عنه . مثلاً : الاستاذ موجود ، أين الاستاذ ، ما رأي الاستاذ ، كيف مزاج الاستاذ ، أين يريد ان يسهر الاستاذ . . . الى آخره .

واسم الياس سركيس منذ تضاءل الأمل بالتجديد للرئيس شهاب ، اخذ يرد على انه سوف يكون البديل . وثمة من يقول انه كاد يكون لولا العقبات التي تبرز او تزول عادة في اللحظة الاخيرة التي تسبق موعد الانتخاب .

واليوم مثل ايام التجديد اسمه يتردد . والذين يرددونه يحرصون الا يحرقوه في اتون الترشيح ، لذلك آثروا ان يظل فوق . . . شبهات الترشيح .

الياس سركيس ؟ .

كلما اقترب موعد الانتخاب ، والموعد اصبح قريباً ، يزداد اللغط حوله .

فالشهابيون يقولون في سرهم : فليكن هو اذا تعذرت عودة « المعلم » . اذ من اصلح من المستشار وكاتم الاسرار وولي العهد البار الياس بن يوسف بن فارس سركيس ليأخذ الامانة التي يريد ان يردها الرئيس الحالي ، للذين سلموه اياها .

و « الاستاذ » ، في كل هذا الخضم ، لا يحكي ولا يظهر ، مقتدياً بالمعلم : لا كلام ولا سهرات تعرض لعدسات المصورين ولا اجتماعات تكون امكنتها كثيرة النوافذ والأبواب . فالف مرة « غامض » افضل من كلمة او صورة او ابتسامة في غير موضعها ، تعرض صاحبها للقال والقيل ووجع الرأس الذي لا تنفع معه ، عادة ، الحبوب المهدئة .

والياس سركيس ، من وراء طاولة متواضعة ، كرسيها من خيزران ، قفز الى القصر الجمهوري في صربا حيث الكرسي ستيل ومخملي الغطاء وحيث المكتب مفروش بالجلد النادر . ثم الى قصر سن الفيل حيث تعاظم شأنه ، ثم الى كرسي الحاكم بأمره في مصرف لبنان .

وثمة من يغالي فيصف الياس سركيس بانه الحاكم لعموم لبنان . . . انما ليس باسمه ، ولا باسم كمال جنبلاط ، بل باسم الشخص الذي قال له « كن » فكان . ومن يومها « يا ارض اشتدي ما حدا قدي » .

من مستشار في ديوان المحاسبة الى مستشار في القصر الى ان اصبح كل القصر وكل شيء .

واذا كان الشيخ بيار الجميل يضع رجلاً في فلاحة الشهابية وأخرى في بور الحلف ، فإن الياس سركيس يضع يديه وعينيه في القصر الجمهوري ، بينما يترك رجليه في مكتبه الطويل العريض في مصرف لبنان ، الشاهق البناء والصلاحيات . . . والامجاد .

يقال ان والدة الياس سركيس ، المنطلق من صفر الوظيفة الصغيرة ، دعت له في ليلة القدر . نذرته . وصل دعاؤها الى أذني الجنرال فؤاد شهاب بالصدفة وعبر معاملة اوصلها الدعاء القدري الى طاولة الياس سركيس ، ففتح الكنز في وجه الشاب العصامي ، الكبير الطموح .

كان الحاكم ، الموظف البسيط سابقاً في ديوان المحاسبة ، كسائر زملائه في الديوان . يأتي في الثامنة . ينتهي الدوام في الثانية . يترك الوظيفة الى البيت . في يوم وضعت على طاولته المتواضعة معاملة مكتوب عليها عنوان وزارة الدفاع ، يقال ان الجنرال كان مهتماً بانجازها بأقصى سرعة .

وقفت المعاملة عند سركيس .

تلفونات ، مراجعات ، مبعوثون . قيل للجنرال شهاب ، المعاملة واقفة على طاولة موظف يدعى الياس سركيس .

لماذا ؟ سأل رئيس الجمهورية السابق .

اجيب : لسبب قانوني . يقول الموظف ان المعاملة فيها « علة » قانونية .

استدعي الموظف الى عند الجنرال . وتم التعارف . وكان الاعجاب بالموظف الذي

يتمسك بالقانون ويطبقه حتى على معاملات وزارة . . . الدفاع !

يقول الذين يروون هذه الحكاية ان الجنرال حط عينه على الياس سركيس منذ ذلك الحين . وقيد اسمه الى جانب الاسماء التي كان يختارها على مهله وينتقيها من كل دائرة ، ثم يخبىء المفكرة في جيبه .

الى ان كتب المقدر وصار الجنرال رئيساً فنبش المفكرة من جيب سترته العسكرية وراح يعيد عرض الأسماء المدونة ، ويتأمل في كل منها . ثم يعيد الى ذاكرته الحادة ، التي تنطبع فيها الصور بسرعة مذهلة ، السمات والهيئات ويسترجع الكلمات : جيبولي الياس سركيس .

فجابوه له . وعينه في القصر ، حيث كان لا يزال جورج حيمري منذ ايام شارل دباس .

ومن يومها بدأ الموظف الذي كان متواضعاً وراء طاولة صغيرة يكبر بسرعة وينمو حجم نفوذه ويكبر اسمه ، ويتردد في الصالونات المغلقة والمشرعة الأبواب . الى ان صار اسم الياس سركيس ينزل في الصحف . وصار صوته يرعد عبر بعض الخطوط الهاتفية . فصارت كلمته هي القضاء والقدر عند فؤ اد شهاب وعند سائر الشهابيين : « الاستاذ قال » . . .

يروي بعض الذين رافقوا الحاكم بأمر . . . غيره ، ان الشاب المضلع الوجه ، الاسمر ، الذي نادراً ما يضحك ، واذا ضحك فيبقى فمه منفصلاً عن عضلات وجهه الذي لا يتأثر لا بالضحك ولا بالعبوس - يروي هؤ لاء انه اثناء انتداب الياس سركيس للتمر ن والتدرب في باريس (من قبل ديوان المحاسبة) صادف عدداً من الذين اصبحوا في ما بعد « كروب » فؤ اد شهاب . فانضم اليهم ليؤ لف معهم حلقة شهابية توزعت في العهد الشهابي على المناصب والمراكز الحساسة في الدولة ووضعت يدها على جميع المرافق .

ويروى أيضاً، في هذا المجال، أن اكتشاف فؤ اد شهاب لالياس سركيس لم يكن وليد صدفة عبر معاملة تشكو من علة قانونية ، ولم يكن كذلك بفعل الدعاء في ليلة القدر ، انما كان نتيجة ذلك اللقاء في باريس ، ونتيجة تلك الحلقة التي تحولت من بعد الى « قيادة خاصة » لعهد الجنرال . قلائل هم الذين يعرفون عن الياس سركيس غير القليل القليل . عن حياته الخاصة ، عن هواياته ، عن اصدقائه ، عن عائلته ، عن نفسيته ، عن علاقاته ، عن اتصالاته ، عن اكله وشربه . قلائل .

يقولون : عصامي ، ذكي ، طموح ، يعرف ماذا يريد ويعرف الناس الذين يتعاون معهم ، فيتعامل معهم من خلال معرفته الأكيدة بهم . حذر . يدرس الموقف والمعطيات ويقلب الأمور مراراً ، قبل ان يتخذ قراره . طباعه من طباع الذي اكتشف مواهبه . يحب السكون ولا يفرط في علاقاته . يطلع ويسهر ويشرب بعض الأحيان انما ضمن الدائرة التي رسمها حول نفسه ، ومع الاشخاص الذين اعطوه سرهم وائتمنوه عليه دون ان يعطيهم سره او يطلعهم عليه .

ويقولون : رجل دولة . انما مشكلته انه صنف في مرتبة رجال الصف الثاني . ولم يعد هو نفسه بقدر ما اصبح هو غيره . كلمته التي يقولها يأخذها الذين يسمعونها منه على اساس انها كلمة الرئيس فؤ اد شهاب او كلمة الجماعة الشهابية .

فبقدر ما صعدت به الارادة الشهابية وشدت به الى اعلى ، ظلمته وربما هزت شخصيته عندما وضعته في الواجهة ورشحته للخلافة دون ان تدري انها مسخت رجل الدولة الذي كان يكونه الياس سركيس لو لم يشتهر عنه انه صوت لكلمة ليست له .

لكن ، هل يطلب من الياس سركيس ان يكون غير ما هو كائن الآن ؟ اي هل يطلب منه ان يتنكر للرجل الذي جابه من وراء الطاولة الصغيرة وحكّمه . . . بالبلد ؟

بالطبع لا .

لكن الناس لا يحبون الدخول في التفاصيل الجانبية عندما تكون التفاصيل تفاصيل رجل قد يصبح رئيساً للجمهورية . يهم الناس ان يعرفوا اذا كان الرجل الذي سيصير رئيساً سيكون هو الرئيس ام انه سيبقى سكرتيراً يقول بصوته كلمة ليست له .

عندما وضع الياس سركيس خارج الملاك ليصبح حاكماً للبنك المركزي تنفس خصوم فؤ اد شهاب الصعداء وراحوا يفون النذورات . كادوا يعملون الولائم . قالوا في فورة فرحهم : خرج مندوب فؤ اد شهاب من القصر الجمهوري . . . خرج شهاب . انتهى العهد السابق وانتهت الازدواجية في القصر على الاقل .

الا ان تلك الفرحة لم تعمر ، بالكاد عاشت أربعاً وعشرين ساعة ليكتشف بعدها الذين فرحوا ان المندوب لم يغادر القصر ، حتى بعد انتقاله الى بعبدا ، ولم يخرج العهد الشهابي ، ولم تنته الازدواجية . وليكتشفوا ، كذلك ، ان الذي حدث لا يعدو كونه توسيعاً لحجم المندوب وتمكيناً له من ابقاء اليد الشهابية ممسكة بجميع الشرايين ، خصوصاً

شريان مصرف لبنان المركزي ، وعبره المصارف كلها والثروات وما تؤثـر عليه ، حلالاً وحراماً .

صحافي اميركي سأل صحافياً لبنانياً : « كثيراً ما اشاهد صور حاكم مصرف لبنان في القصر الجمهوري ، وكثيراً ما اقرأ اسمه بين الذين يجتمع بهم الرئيس يومياً ، هل الوضع الاقتصادي عندكم يحتاج الى كل هذه الاجتماعات والابحاث ؟ اسمع ، من جهة اخرى ، ان الوضع الاقتصادي في لبنان متين ولا خوف عليه » .

قبل اشهر اتصلت بمنزل حاكم مصرف لبنان . رد هو على الهاتف :

من ؟

قلت له .

قال : ماذا تريد ؟

قلت : اريد ان اقابلك لنصف ساعة .

قال : في اي موضوع ؟ .

قلت : موضوع رئاسة الجمهورية . . .

قاطعني بلهجة حادة : انا لست مرشحاً للرئاسة .

قلت : اعرف . لكن هناك من يرشحك . الجو السياسي يوحي انك من اصحاب الحظوظ .

قال : ارجو ان تعفيني من هذا الموضوع .

قلت : طيب ، اريد ان اقابلك لاعرفك على الاقل .

قال : اخاف الا يسمح وقتي .

قلت : سألت عنك ، وافضل ان اكون موضوعياً واعرف منك عنك ما قد لا يعرفه الناس والاصدقاء .

قال : اكتب ما تريد ، ومثلما تريد .

اصدقاء الحاكم نادرون . انهم يؤلفون « شلة » تحسب نفسها تقدمية .

اذا لم يكن « الاستاذ » في البيت، يكون في الحاكمية . ان لم يكن هناك يكون قد خطف رجله الى القصر . . والا فهو مع الشلة .

« البـابا الأسود »

كثيراً ما يتساءل الناس عندما يقرأون اسمه في الصحف او يشاهدون صورته في القصر من تراه يكون هذا الذي اسمه الياس سركيس . ثم ما هي المقومات التي تتألف منها شخصية الرجل الذي برز فجأة ، وقفز مرة واحدة من موظف عادي في ديوان المحاسبة **الى موظف كبير في القصر الجمهوري ، ليصبح مستشاراً وصاحب كلمة لا ترد ثم مرشحاً لرئاسة الجمهورية ، ومرشح الذين بيدهم القوة الأولية في المعركة باعتباره ركناً بارزاً من اركان الشهابية .**

لقد قيل الكثير في الياس سركيس . وبرغم ذلك لم يقل هو ولا كلمة . لا صرح ولا رد ولا كتب ولا خطب ولا حاضر ولا اعطى رأياً ولا سمع له صوت .

كان ، ولا يزال ، اذا تضايق من بعض ما يقال فيه كتابة ، لا يلجأ الى الوسيلة التي يلجأ اليها عادة السياسيون والنواب والعاملون في الحقل العام ، بل يسارع الى القضاء فيقيم الدعاوى ويطالب بالعطل والضرر . . .

يقول اصدقاؤه ان وقاره الفطري وزهده في الظهور ساعداه على ان يكون الصامت الثاني بعد الصامت الأول الذي هو فؤاد شهاب « معلمه » . اذ انه يعتقد ان الكلام يورط في مآزق هو بغنى عنها ، خصوصاً اذا كان كلاماً للنشر في الصحف .

هل يخاف الياس سركيس من مواجهة الناس ومخاطبتهم ، ولو عبر الصحف ؟

يقول اصدقاؤه انه مخطىء في صمته . وانه ظلم نفسه قبل ان يظلمه الكثيرون ، خصوصاً انه مرشح لرئاسة الجمهورية . والترشيح للرئاسة ليس عيباً كذلك كشف الأوراق والبرامج والآراء والأفكار ، بل ان ذلك اصبح من البديهيات ، والتردد في هذا المجال هو الذي يورط في المآزق ويضع صاحبه موضع اللوم والمؤاخذة .

احد اصدقاء الياس سركيس يضعه في اطار الوصف لصورة من هذا النوع :

« كل الذين عرفوه عن قرب او بعد يتفقون على انه شخصية ذات طابع استقلالي ولبناني اصيل . يعتمد المعرفة والحزم في تحقيق كل ما يبدو له انسانياً في حدود علمه وضمن اطار الصلاحية المحددة لهذا العمل . وقد قوى هذه الشخصية استغناء نفسي جعله لا يسعى وراء اية حاجة خاصة او اي كسب شخصي .

بدأ الياس سركيس حياته العملية ، وله من العمر ثمانية عشر عاماً ، كاتباً في ادارة السكك الحديدية فور نيله شهادة البكالوريا الجزء الأول ، وانقطع عن اكمال دراسته

الثانوية طيلة ثلاث سنوات ، عاد بعدها وفي الوقت الذي كان يعمل فيه في ادارة سكة الحديد الى استئناف دراسته الثانوية ثم الجامعية في معهد الحقوق في اليسوعية شأن الذين لا يستطيعون الاعتماد الا على انفسهم في بلوغ ما يصبون اليه .

ثم ترك عمله في ادارة السكة فور نيله اجازة الحقوق ، ليعمل في المحاماة حيث مارس المهنة طيلة اربع سنوات هيأته لخوض مباراة ناجحة لدخول سلك القضاء . فعين قاضياً في ديوان المحاسبة برتبة مستشار . وقد اتاح له عمله في ديوان المحاسبة ، التدرب على معالجة مصالح الدولة في اطار قانوني ، اداري ، يتسم بالدقة وسعة الاطلاع والدرس .

وديوان المحاسبة هو السلطة العليا المسؤولة عن انفاق اموال الدولة وليس افضل منه ادارة لتعميق الاحساس بالمسؤولية تجاه الدولة واموالها التي هي اموال الشعب .

كانوا يقولون عنه في ذلك الوقت انه « حرف لا يقرأ » . اي انه لا تنفع معه وساطة او شفاعة للوصول الى مأرب اذا كان الوصول الى هذا المأرب يخالف القوانين والأنظمة . واشتهر عنه ، وهو في ديوان المحاسبة ، انه لا يخشى في تطبيق القانون اي انسان مهما علا شأنه وقوي نفوذه . وقد نيط به امر مراقبة قانونية الأعمال التي تأتيها وزارة الدفاع الوطني وبعض الوزارات الأخرى . وكثيراً ما كان يصطدم مع المسؤولين في وزارة الدفاع وقيادة الجيش والمسؤولين في الوزارات المكلف مراقبتها حول قانونية بعض المعاملات الخاضعة لرقابته .

وصودف ان كانت ترفع الى قائد الجيش يومذاك اللواء فؤاد شهاب المعاملات التي يرفضها الياس سركيس المستشار في ديوان المحاسبة وكان اللواء يتأكد من صوابية الرفض ويشجع الياس سركيس على المضي في هذا الطريق . وكبر شأن الياس سركيس في ديوان المحاسبة وفي وزارة الدفاع عهد اللواء شهاب .

وعندما اصبح اللواء شهاب رئيساً للجمهورية اختير الرجل وهو في ديوان المحاسبة مستشاراً خاصاً للرئيس في مطلع ولايته . وظن الكثيرون يومئذ ، انه الحظ وحده هو الذي قفز بالياس سركيس من مستشارية ديوان المحاسبة الى مستشارية الرئيس شهاب في القصر الجمهوري ، لكن الثابت ان ذلك الحظ استدعته ايضاً الكفاءة والعلم والخبرة والاستقامة .

ثم اختير ليكون مديراً عاماً للقصر الجمهوري ويقوم ، بالاضافة الى المهمة الاساسية التي انتدب لها كمستشار للرئيس ، بمهام المديرية العامة الدقيقة والمتشعبة .

فوضع منصب المدير العام لرئاسة الجمهورية الياس سركيس وجهاً لوجه امام كل قضايا البلد بمختلف وجوهها واحجامها .

فهذا المنصب هو المركز العصبي ، الحساس والمباشر الذي تلتقي عنده كل المسائل من صغيرة وكبيرة وتتشابك وتتفرع لتشمل العمل السياسي والديبلوماسي والعسكري ، والاقتصادي والاجتماعي والاداري معاً .

فهناك تدرس جميع مشاريع القوانين وجميع الاتفاقات والمعاهدات والعقود ، وهناك تذلل الصعوبات ويوفق بين المتناقضات ، وتكتشف الشباك الخفية والمقاصد الغامضة ، وتفتح الأبواب للحوار او تغلق .

ناهيك بالاهتمام بكل طلب خاص او عام يرد للرئاسة ولا بد من تكوين رأي فيه ايجاباً أو سلباً سواء اكان شكوى من رداءة طريق او تغيب معلم مدرسة قرية او حتى اختيار اسم يتمنى لمولود الى كل ما لا يستطيع المقام لتفصيله من اعمال تدخل فيها حتى التهاني بالافراح والمؤاساة بالأحزان .

وقد تعاظم شأن المديرية العامة لرئاسة الجمهورية يوم شغلها الياس سركيس وتعاظم شأن الياس سركيس بالذات لأن القصر انقلب يومئذ جهازاً واسعاً متشعباً ، يتناول بالدرس والتمحيص كل كبيرة وصغيرة ، يدقق ويوجه في مختلف الأمور والشؤون حتى اصبح ظل الياس سركيس وراء كل قرار يتخذ ووراء كل عمل ينفذ .

وقد سمي يومئذ « البابا الأسود » وسمي ايضاً « الديكتاتور الصغير » وخاصم وزراء ونواباً وخاصمه وزراء ونواب ايضاً . واصبح له مؤيدون عنيدون ومعارضون اقوياء وانقسم النواب في شأنه ، فالمؤيدون ارتاحوا له وتعاونوا معه والمعارضون اصبحوا لا يطيقون له وجوداً في القصر .

ثم اختير ليكون حاكماً للمصرف المركزي في ظروف صعبة ، بعد كارثة بنك انترا وحرب الخامس من حزيران . فهلل النواب المعارضون لابعاده عن اجواء القصر الجمهوري وسر المؤيدون .

ويقول اصدقاؤه انه لم يخيب آمال الذين عينوه حاكماً للمصرف المركزي . فقد نفذ بقرارات حاسمة على رأس الهيئة المصرفية العليا القوانين الاستثنائية التي اشترك في وضعها يوم كان مديراً عاماً لرئاسة الجمهورية وساعد على تنقية القطاع المصرفي وعلى اعادة الثقة لدى المودعين في هذا القطاع .

بينما يقول الذين يعارضون الحاكم انه لم يحقق شيئاً وانه مسؤول بدوره عن الانهيارات التي شهدها القطاع المصرفي .

ثلاث مراحل ، متصلة في حياة الياس سركيس : ديوان المحاسبة ، المديرية العامة لرئاسة الجمهورية ، حاكمية المصرف المركزي .

أكثر من خمس عشرة سنة طويلة حافلة في تعاطي الأمور العامة درساً وتقريراً وعلاجاً وتعرضاً للنقد والعداء كلما صدم ذلك مصلحة خاصة هنا او هناك .ومسؤوليات خطيرة من كل لون وشكل في عهود حافلة بطبيعتها بالمشاكل والاشواك والاضطرابات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.هذه هي باختصار حتى اليوم حياة الياس سركيس » .

لبنان الياس سركيس

كيف يفهم حاكم مصرف لبنان السياسة اللبنانية وماذا عنده لهذا البلد اذا اصبح رئيساً للجمهورية ؟ .

اجاب صديق الحاكم ، وهو من افراد « الشلة » الشهيرة انه دوّن للياس سركيس الآراء الآتية :

« قبل كل شيء لا يرى الياس سركيس حاضر لبنان ومستقبله دون وحدة وطنية ولا وحدة وطنية دون سياسة تهدف دائماً الى تطوير المواطن اللبناني كانسان يجب ان يعيش عصره كانسان وان يطور اقتصاده لجعله قادراً دائماً على توفير جميع وسائل تعميم العدالة الاجتماعية الكاملة للمواطنين .

« لا مواطنية صحيحة في غياب هذه العدالة ولا حياة سعيدة لوطن خارجها » .

ان الوحدة الوطنية التي يهدف الى تقويتها تتطلب اساساً تطوير الانسان وتطوير اقتصاد البلاد لنتمكن بالتالي من تأمين العدالة الاجتماعية على نطاقها الواسع بحيث يتوافر لكل مواطن في المجتمع اطار يتمكن معه من العيش الكريم الذي يساعده على تحقيق امنياته الطبيعية .

« وتطوير الانسان يبدأ اولاً بالتعليم وبالتربية المنفتحة التي يجب ان توفر للجميع وبالمجان لمن لا يستطيع دفع الثمن » .

« تربية الانسان يجب الا تنحصر في التربية الاخلاقية والفكرية بل ينبغي ان تشمل التربية المدنية الحقة التي تحدد حقوق الدولة والمجتمع عليه مثلما تحدد واجبات الدولة والمجتمع نحوه » .

« تربيته وتعليمه يجب الا يبقيا مجرد ثقافة نظرية بل ينبغي ان يغدوا طريقاً للدخول في مجتمع العصر المتقدم » .

« وعملية تطوير الانسان تمر أيضاً بصحة المواطنين التي تعادل اهميتها تربيته وتعليمه ، ويجب ان يفيد كل مواطن ، ميسوراً ام غير ميسور ، من احدث ما توصل اليه العلم في هذا المضمار ووضعه في خدمة الانسانية » .

« وعملية تطوير الانسان تتطلب من جهة اخرى تطوير وسائل عيشه ، عالم اليوم يخطو بسرعة مذهلة نحو الافضل ، انه يخطو اليوم الى الامام في عشر سنين ما لم يكن ليخطوه في الماضي الا في قرن طويل . ويضحي تطوير اقتصاد البلاد سعياً وراء تأمين عدالة اجتماعية اكثر اتساعاً وشمولاً ، امراً جد ضروري » .

ان لبنان على اختلاف فئاته ، وبرغم مظاهر التقدم التي نلمسها لدى البعض منها ، لا يزال يحتل مركزاً ضعيفاً في سلم التقدم ، فعلينا ان نسعى بسرعة لتطوير وسائل عيش الفئات المحرومة التي ينتمي اليها القسم الكبير من اللبنانيين لنساهم في التخفيف من الفوارق الاجتماعية الكبيرة التي تفرق اللبنانيين بعضهم عن بعض ونساعد بالتالي على تنمية الوحدة الوطنية بشكل واقعي وفعال .

وللوصول الى كل ذلك يقتضين ، بادىء ذي بدء ان تصلح الدولة نفسها ، لتتخلص من العادات الرديئة المرتبطة بمصالح موروثة قوية ومن اساليب العمل القديمة غير الصالحة التي تجعلها غير مقتدرة على القيام بالمهام الملقاة على عاتقها بالرغم من كل الجهود المخلصة التي بذلت للآن في هذا السبيل .

انها لا تزال تعيش في بعض الحالات ، العصر البدائي رغم اننا أصبحنا في عصر الذرة .

وتطوير الدولة الى النحو الذي يجعلها قادرة على تأمين الغايات الاساسية التي اشرنا اليها يتطلب ان يكون للشباب وجود اكبر في ادارة القضايا العامة . وكثيراً ما نلاحظ ان عدم اشراك الشباب في السعي لايجاد الحلول للمسائل التي تتعلق بهم مباشرة او غير مباشرة يدفعهم الى معارضتهم لجميع الحلول التي توضع حتى ولو امنت شيئاً من مصلحتهم .

يجب ان يكون الشباب ـحاضراً في كل ما يعمل في لبنان . ولن يكون حاضراً الا اذا توافرت له التربية المتفتحة والتعليم المتطور .

ان تقدم اساليب التعليم وانتشار وسائل الاعلام جعل شباب اليوم اكثر اطلاعاً ممن تقدمهم على القضايا العامة وخاصة الاجتماعية منها ، واكثر تألماً من بطء السلطات العامة في معالجتها وحلها .

أما بالنسبة الى النظام فالياس سركيس يرى انه بحاجة الى تطوير من غير ان تشكل عملية التطوير اي خروج على النظام الديموقراطي البرلماني القائم والذي هو ضرورة تفرضها طبيعة الشعب اللبناني . لكن من الضروري العمل على الارتقاء بالنظام الى حيث يمارس بفعالية اكثر ، والتصدي لسد النواقص وازالة العيوب في سبيل صيانته والمحافظة عليه .

وهو يعتقد ان سيئات النظام تكمن بالدرجة الأولى في جوهر التمثيل وقانون الانتخاب الذي لم يعط لبنان حتى اليوم سوى ممثلين عن طوائف وزعامات فردية .

وهو مؤمن بوجوب تعديل قانون الانتخاب على أساس اقامة احزاب سياسية ذات قاعدة وطنية ، بحيث يصبح التمثيل خدمة للبنان كشعب وكدولة لا ان يقتصر فعل التمثيل النيابي على خدمة المصالح الانتخابية المحلية الضيقة .

ونظرة سركيس في هذا المجال لا تختلف كثيراً عن نظرة الرئيس السابق الذي كان يعتقد ان الصلة الاساسية كامنة في السياسيين والنواب وفي النظام الذي يوصلهم الى المجلس النيابي .

اما علمنة الدولة فيقول عنها انها رهن بتطوير التفكير العام واستعجال التنشئة المدنية مع العلم ان تطوراً كهذا ينبغي تحقيقه على مراحل وفقاً لدراسات علمية وعلى نحو يعزز صرح التقاليد اللبنانية .

وسركيس يجد ان ازالة الفوارق بين الطوائف يجب ان تبدأ في المدرسة وذلك بجعل المستويات الدراسية متوازية بحيث تؤمن بالنتيجة تكافؤ الفرص امام الجميع .

هذه هي الصورة التي يرسمها اصدقاء الياس سركيس له . والصورة التي تؤخذ من بعيد ، وربما بيد مهزوزة تبقى موضع تأمل وربما اعادة نظر في كثير من ملامحها . لكن بما ان الحاكم لا يحكي ولا يحاور فيظل كلام الاصدقاء هو الكلام الوحيد الذي يمكن اعتماده .

فهل ان شخصاً بمثل هذه النشأة ومثل هذه السيرة مؤهل للوصول الى الرئاسة الأولى ؟ .

النظام الاقتصادي

برغم كونه من اهل النظام وحاكم لمصرف لبنان المركزي ، اي حاكم النظام الاقتصادي الفعلي ، فان الاقتصاديين واصحاب الرساميل المتنقلة بين التجارة والصناعة ينظرون اليه بحذر بسبب ما يقال عنه من انه « اصلاحي » اكثر من اللازم لتطوير نظام اقتصادي حر كنظام لبنان .

والتخوف المالي من الياس سركيس ليس قائماً على اساس ما يشاع عنه وعن اصلاحه ، بل هناك من يذهب الى حد القول ان تجربته في الحكم ، من غير ان يعمل نائباً او وزيراً ، دلت على وجود تحفظ اساسي عنده تجاه كل ما يمت الى النظام القائم الذي كثرت في ظله التجاوزات وعمت الفوضى .

وثمة من يقول ، من الاقتصاديين ، ان الفكرة التي كانت لدى الرئيس السابق عن اصحاب النظام الاقتصادي الحر والمستفيدين منه وجدت عند الياس سركيس تربة صالحة ، فغذّاها وشجع « المعلم » على المضي فيها .

خارج هذا الاطار ، الذي يبقى مشوشاً الى ان يقول الصامت الثاني كلمته ، يقول اصدقاء حاكم مصرف لبنان ان رأيه هو الآتي : النظام الاقتصادي مرتبط ارتباطاً وثيقاً وعضوياً بالنظام السياسي ، فاذا كان من الضروري تطوير النظام السياسي ، فمن الطبيعي ان تشمل عملية التطوير النظام الاقتصادي وذلك باعتماد التخطيط والتنمية والعدالة الاجتماعية .

والنظام القائم ، وان كان يسمى النظام الحر فقد تطعم بكثير من قواعد التنظيم والتوجيه لتدارك الفوضى . فالصناعة تشجع وتحمى باجازات الاستيراد . والزراعة تحظى بعناية الدولة . وفرضت قيود على التجارة لمصلحة الانتاج الصناعي والزراعي ، والمصارف لم تعد لها تلك الحرية التي كانت تتمتع بها قبل ازمة انترا . وعلى الصعيد العام هناك التخطيط والتصميم الاقتصادي والاجتماعي .

هذا كله ، يقول اصدقاء سركيس ، يعني ان الحاكم يريد التغيير والتطوير . لكنه

لا يحكي . لا يضع افكاره في قالب معين . لذلك كل ما ينسب اليه سهل جداً نفيه وربما كان يريد من الصمت ان يكون قادراً ، دائماً ، على نفي ما ينسب اليه .

الياس سركيس العربي

ماذا عن الياس سركيس عربياً : سياسته ، برامجه ، افكاره ، ميوله ، ما يفضل وما لا يفضل ، وحتى مواقفه ؟ .

لا شيء واضح عن الرجل من هذا كله . مجرد استنتاجات وافتراضات ، يضعها الأصدقاء والخصوم في خانته العربية ، مستندين في ذلك الى بعض الصور السياسية التي كانت تظهر في النادر عن سياسة عهد الأمير الشهابي .

اذ ماذا يقال عن رجل لم يدخل السياسة من الباب التقليدي الذي يسقط التحفظ من حساب من يعبره ، وحيث الباب في الأنظمة الديموقراطية البرلمانية يؤ دي الى الساحة العريضة في مجلس النواب . فهناك المنبر ومن هناك الجسر .

الياس سركيس لم يدخل من هذا الباب ، لأنه لم يدخل مجلس النواب ، مع انه ساهم وربما انفرد اكثر من مرة في صنع اكثر من نائب منذ تولى مهمة « البابا الأسود » في القصر الجمهوري .

لم يكن حضوره السياسي حضوراً شخصياً . كان ، ولا يزال ، يشارك في الرسم والتخطيط من وراء الستار وعندما يغادر القصر الجمهوري الذين يكونون فيه ، ولا يبقى سوى الرئيس والياس سركيس .

انما برغم هالة الانغلاق والصمت التي اخذها عن « المعلم » ليحيط نفسه بها فينفض يديه ويغسلهما عندما تحز المحزوزية ويجد الجد ، يقول اصدقاء حاكم مصرف لبنان انه يعرف ماذا يريد على الصعيد العربي ويعرف كيف يجب ان يكون عربياً اذا استطاع الوصول الى قصر بعبدا .

لقد تتلمذ على الرئيس السابق وشاركه في معالجة الأزمات العربية التي كانت لا تحصى في ذلك العهد ، وكلف اداء اكثر من مهمة ونجح في ما كلف القيام به في نطاق ظرف الزمان وظرف المكان .

ولقد تعددت اسفار الياس سركيس عندما جاء هذا العهد وحل في القصر رجلان هو ثانيهما . وكانت اسفاره اما للاشتراك في مؤ تمرات دولية او للقيام بمهمات سياسية دقيقة

لدى عدد من رؤ ساء الدول العربية وحكامها .

ثم انه حضر جميع مؤ تمرات القمة العربية التي كان اللواء شهاب يتخلف عن حضورها اما « لمرض مفاجيء » او رغبة منه في عدم الحضور ، والتي صار مداوماً على حضورها الرئيس شارل حلو . حتى ان الرئيس الحالي لم يزر عاصمة عربية الا وكان الياس سركيس في معيته . ويوم زار السعودية كان حاكم مصرف لبنان هناك بالاضافة الى سائر الشهابيين البارزين . وكذلك اصطحبه الرئيس في زيارته الرسمية الى القاهرة وباريس والفاتيكان وبغداد والكويت وعمان .

كما انه حضر ، بصورة خاصة ، مؤتمر دول العالم الثالث ومؤ تمرات رؤ ساء الحكومات العربية المنبثقة من مؤ تمرات القمة وكذلك اجتماعات مجالس الدفاع العربية المشتركة . فزادته هذه المؤ تمرات وتلك الزيارات والاسفار خبرة وكثفت معلوماته ومكنته من تفهم الأمور والمسائل الكبرى والاطلاع على ملابساتها والمساهمة في تحديد موقف منها .

الا ان ذلك كله لم يكن ليغري الياس سركيس ، المكتسب شيمة الصمت عن رجل آخر عايشه ولا يزال ، بان يحكي او يقول رأياً او يدخل في حوار علني او جدل سياسي يمكن ان يسجل اسمه فيه ويطلع الناس على صورة هذا الرجل عبر رأيه وافكاره . صمت . وعزلة برغم جميع الاسفار والمؤ تمرات والاجتماعات التي يحضرها ويعطي فيها ، مباشرة او عبر شخص اخر ، رأي الرجل الآخر الذي هو الصامت الأول المنطوي على نفسه في عزلة تاريخية .

يقول اصدقاء حاكم مصرف لبنان انه برغم ذلك كله منفتح عربياً وله في مجال التعاون العربي آراء تتناقض مع اراء الرئيس السابق . اذ انه يؤ من بان لبنان لا يمكن ان ينسلخ عن جغرافيته ولا ان يقتلع نفسه من تاريخه الطويل المرتبط ارتباطاً مباشراً بتاريخ العالم العربي. ويرى ، كآخرين كثر عددهم في هذه الأيام ، انه من المستحيل فصل مصير لبنان ووجوده عن مصير العرب ووجودهم . ويجب ان يكون من المسلم به والبديهي ان يتخلص لبنان من عقد النقص والارتباكات التي كانت ولا تزال تتحكم بمعظم تصرفاته ومواقفه على صعيد القضايا العربية ، مما يبقي علاقاته مع جيرانه واشقائه العرب في حالة تأرجح دائم . فلا هي علاقات جيدة ولا هي طبيعية ولا هي سيئة . متأرجحة دائماً بين هذه او تلك من الحالات .

حاشية الحاكم تصفه بأنه رجل « تقدمي » . والتقدمية هنا تحمل في طياتها اتجاهاً

سياسياً معيناً ، قد يضع الحاكم امام امر لا مناص منه وهو تبني وجهة نظر ضد اخرى والسير ، كما كان « المعلم » ، في ركاب سياسة عربية ترضي فريقاً من الدول العربية وتغضب فريقاً آخر .

هل يعني ذلك ان عهد الياس سركيس عربياً نسخة طبق الأصل عن عهد الرئيس فؤاد شهاب ؟ .

الذين يعرفونه ، وهم قلة ، يقولون انه سيكون استمراراً لذلك العهد .

القضية الفلسطينية

والسياسة العربية اليوم هي غيرها في السابق ، وفي عهد اللواء شهاب . وقد تتغير اكثر وتتبدل اتجاهاتها في عهد الرئيس المقبل تبعاً لتغير الظروف بالنسبة الى القضية الفلسطينية التي اصبحت المحور الاساسي والوحيد للسياسة العربية ، من المحيط الى الخليج ، سواء على صعيد دول المواجهة وصعيد دول المساندة . ويبقى الكلام على السياسة العربية هامشياً وعابراً ان لم يكن منطلقاً في اساسه وابعاده واغراضه من القضية الفلسطينية بالذات .

على هذا الاساس يمكن النظر الى سياسة اي مرشح لرئاسة الجمهورية في لبنان والتأمل في اطارها وتقييمها من زاوية مستلزمات القضية الفلسطينية ومدى تعاطفها معها وفهمها لتفاعلاتها ومعطياتها .

بالنسبة الى فلسطين وقضيتها ماذا عند الياس سركيس ؟ .

حتى في هذا المجال ، والرجل معتصم بالصمت ، لا يمكن « اختراع » سياسة خاصة بحاكم مصرف لبنان ، تختلف عن سياسة الرئيس شهاب او سياسة الرئيس حلو . فكونه عايش العهدين وشارك في تخطيط سياستهما ، عربياً وخارجياً وداخلياً ، وكان اقرب من كل قريب آخر الى كل من الرئيسين ، تظهر صورة الياس سركيس الفلسطينية مشطورة شطرين الأول مغطى بعهد الرئيس السابق ، والآخر محاط بسياسة الرئيس الحالي .

وقد يكون من السهل جداً معرفة سياسة سركيس الفلسطينية وموقفه من هذه القضية ، وذلك بواسطة المقارنة بين موقف كل من العهدين من هذه القضية وبين ما كان يجب ان يكونه .

هل يظلم الياس سركيس ان هو تبنى سياسة غيره او طبع سياسته بطابع شخص آخر ؟ .

ربما .

الا انه من غير الجائز القول ان الياس سركيس شيء وفؤاد شهاب ، مثلاً ، شيء آخر ، وهو الذي يقتدي بالرئيس السابق ويعتبره مثاله الأعلى في السياسة والاقتصاد والاجتماع و . . . الصمت . وكذلك الأمر ، لا يجوز تبرئة الحاكم من بعض مواقف شارل حلو بالنسبة الى القضية الفلسطينية .

وبما ان الناس اتفقوا على تسمية عهد حلو انه استمرار لعهد شهاب ، وبما ان سركيس بقي الرجل الاقرب من سائر المقربين ، فمن البديهي استخلاص سياسته الفلسطينية من خلال سياسة السلف والخلف .

العمل الفدائي

اما العمل الفدائي ، فشأنه عند سركيس هو شأن القضية الفلسطينية . هكذا يقول الاصدقاء ، وان كان الرئيس حلو رفض الأمر الواقع الذي يمثله الوجود الفدائي على ارض لبنان وعاد فقبل به بموجب اتفاق القاهرة .

والذين يشاهدون الياس سركيس طالعاً الى القصر ونازلاً منه في الأزمات ، خصوصاً منذ بدأت ازمة العمل الفدائي في لبنان ، يتصورون انه موافق بشكل او بآخر على الخطوات الرسمية والمواقف التي اتخذت في هذا المجال .

وينسب اليه احد اصدقائه قوله ان المقاومة الفلسطينية التي وضعت هذه القضية في اطارها الصحيح وايقظت الضمير العالمي على حق الشعب الفلسطيني في وطنه ، لا يمكن الوقوف منها الا موقف الاكبار ودعمها بمختلف الوسائل ما دامت تعمل في النطاق المرسوم لها داخل الاراضي المحتلة ومن اجل تعزيزها .

أقوال الخصوم

كل خصوم العهد الشهابي ، وخصوم العسكريتاريا ، وخصوم الأجهزة المشتركة والمنفردة ، هم خصوم الياس سركيس تلقائياً . سواء اكان في القصر الجمهوري مستشاراً او مديراً عاماً او رئيساً ، ام تربع على عرش المصرف المركزي .

والذين يستحون او يترددون ، لخوف على مصلحة ودرء الخطر ، في الجهر بخصومتهم لفؤاد شهاب قد يجدون من السهل الجهر بخصومتهم لولي عهده وخلف خلفه اذا وقع المقدر وصار ابن الشبانية رئيساً للجمهورية اللبنانية .

ويقال ان لحاكم مصرف لبنان خصوماً عنيدين بين النهجيين الاقحاح وبين المحسوبين من عظام رقبة الشهابية .

ان يخاصم الياس سركيس من خاصموا فؤاد شهاب امر مفروغ منه . لكن ان يكون بين النهجيين والشهابيين من يخاصم « الاستاذ » فأمر يثير العجب ، ويدعو الى التساؤل والبحث عن الاسباب ؟ .

هل ان الخصومة مبنية على اساس شخصي يمتد الى حيث تكون المصلحة الخاصة هي الشاشة الشفافة لمدى الولاء ومدى الاعتراف ، بالمقابل ، بجميل الولاء ؟ .

وهل ان الذين خاصموا سركيس وهم من عظام الرقبة خاصموه لأنه وقف في وجه مصلحتهم كما يقول الذين يخططون معركته اليوم ؟ المخططون، يقولون « ان ابن سركيس حرف لا يقرأ » . اي لا تنفع معه الوساطة . اي القانون فوق الجميع ، لذلك اصطدم بوزراء وعاداه نواب وشكا منه موظفون وزعل منه مقربون واقرباء ، ممن يراجعون من اجل مصلحة او « تمريقة » او معاملة ملغومة .

بعض الذين خاصموه ، وهم من داخل الحظيرة النهجية ومن عظام الرقبة ، يقولون انه مستبد وانه « كنفوش » يتصرف كأنه حاكم بامره ، ويعامل الوزراء والنواب كما لو كانوا موظفين في احدى الدوائر التابعة لمملكته . . . يمشّي ما يريد ويوقف ما لا يناسب مزاجه ، ويضع على الرف المعاملة او الموضوع الذي لا يستجر وراءه صاحبه لاداء الطاعة وفرض الواجب والولاء .

ثم لدى الخصوم التقليديين ، الذين يغتاظون من الياس سركيس لأنه يذكرهم بفؤاد شهاب ، مآخذ اخرى على الرجل العصامي الذي اطلقته الشهابية كالقذيفة الضوئية ، ومن يومها راح يلمع هو واسمه .

ما هي المآخذ ؟ .

كثيرة .

أولها انه ابن وظيفة . موظف . والموظف ، في اعتقاد الخبراء واصحاب التجارب ، يظل موظفاً وان اصبح رئيساً للجمهورية ، بحيث يبقى في قرارة نفسه متأثراً بمناخ الوظيفة

واسلوبها . اي انه يعتاد تلقي الأوامر وتنفيذها دون مناقشة ، واذا ناقش فانه لا يتخذ موقفاً ، واذا رفض فانه يتراجع تحت الضغط .

ثم ان الموظف لا يستطيع ان يكون صاحب مبادرة ، لأن شخصيته تفقد الكثير من المقومات والعناصر التي تكوّن عادة شخصية القائد المؤهل لتحمل المسؤولية وحسم الأمور مهما كانت كبيرة ومصيرية .

الياس سركيس ، من هذه الزاوية ، يظل في اطار الموظف الذي تدرج الى ان بلغ الشأو الذي بلغ .

ويقول الخصوم انه سيكون الطيّع المنصاع لأوامر تأتيه اما من العسكر واما من الذي شجع العسكر على ان يعطوا الأوامر للموظفين الكبار .

وعلى هذا فالياس سركيس اذا صار رئيساً ، سيظل المستشار الوفي للرئيس الأصيل ، اي السابق الباقي العائد اللواء فؤاد شهاب .

لكن الخصوم ، حتى خصومه الذين هم خصوم العهد الشهابي أساساً ، لا ينكرون عليه ذكاءه وكفاءته ومقدرته الشخصية ومواظبته على العمل واخلاصه لعمله . ويقول هؤلاء انه يمكن ان يكون رجل دولة من طراز ممتاز لو لم تكن علته هي علة غيره فتبناها بذكاء كي تتبناه اليوم بذكاء مماثل . عنده كل مقومات رجل الدولة . لكن هناك « لكن . . . » .

سليمان فرنجية

بطـاقة هويّـة

- ولد في الشبانية عام1924 .
- تلقى علومه الابتدائية والثانوية في معهد الفرير في الجميزة .
- نال البكالوريا الفرنسية واللبنانية عام1942 .
- انقطع عن الدراسة وعمل كاتباً في ادارة سكك الحديد .
- استأنف دراسته عام1945 وهو يعمل في سكة الحديد ونال الجزء الثاني من البكالوريا الفرنسية واللبنانية .
- درس الحقوق في اليسوعية ونال اجازة الحقوق عام1948 .
- استقال من وظيفته في سكة الحديد وعمل في المحاماة .
- نجح في مباراة لدخول القضاء وعين قاضياً في ديوان المحاسبة عام1953 .
- عين مستشاراً قانونياً للرئيس فؤ اد شهاب عام1959 .
- عين مديراً عاماً لرئاسة الجمهورية عام1962 .
- عين حاكماً لمصرف لبنان عام1967 .

الأوسـمـة :

يحمل وسام الأرز اللبناني من رتبة فارس ، ويحمل اوسمة رفيعة من الجمهورية العربية المتحدة|والكويت والاردن وتونس والمملكة العربية السعودية .

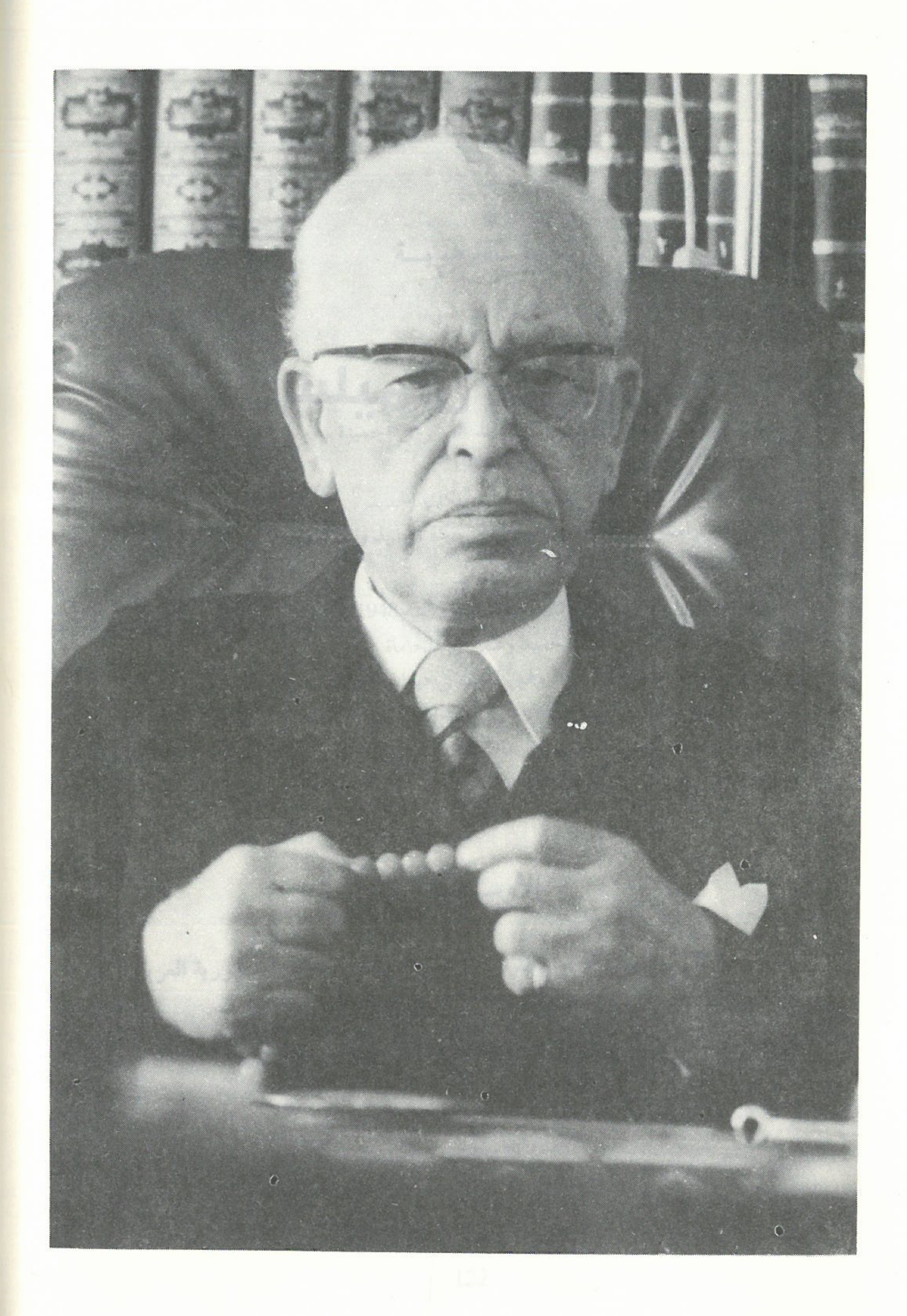
كما يحمل وساماً بابوياً رفيعاً ووسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة كومندور .

كان يحلم ان ينام الناس في عهده وأبوابهم مفتوحة ، لكن الحلم لم يكتمل ، فسِّر نصف تفسير في النصف الأول من الولاية . بعد ذلك هبَّت العاصفة وجرت الرياح عكس ما كان يرغب الرئيس سليمان فرنجية وعكس ما اشتهى لعهده .

قبل 17 آب بأقل من أربع وعشرين ساعة كان ثلاثة من المرشحين الجديين المحسوبين على المعارضة حاضرين لاختيار واحد منهم ينافس الياس سركيس ، مرشح النهج الشهابي : الرئيس كميل شمعون الذي اعلن ترشيحه رسمياً في مؤتمر صحافي ونام ليلة على تأييد اكثرية 52 نائباً من 99 ، العميد ريمون اده الذي كان المرحوم كمال جنبلاط قد أخذ يميل الى الاقتناع به خصوصاً بعدما اكتشف ان العميد شرب من مياه النيل في طفولته والمرحوم الشيخ فريد الدحداح الذي كاد يكون هو « فضة مشكل » ، كونه يرضي الشهابيين لأنه ليس « حلفياً » معارضاً ، وبالتالي لا يغضب « الحلفيين » والمعارضة ، فحسبه عندهم انه ليس الياس سركيس النهج .

فجأة ، تحركَّت دار المصيطبة في اتجاه مضاد وعلى خطين متوازيين : خط كاظم الخليل الموصل الى خط الرئيس شمعون ، وخط كمال جنبلاط الذي كان قد اعلن ان ضميره يقشعرُّ عندما يتذكَّر أعمال جماعة النهج من خلال الآلة التنفيذية التي تدعى المكتب الثاني .

وتحققت المعجزة ، فاز الرئيس فرنجية بصوت واحد كان بالفعل صوت الشعب يومها . اذ انه للمرة الأولى في تاريخ انتخابات الرئاسة شعر اللبنانيون انهم اشتركوا فعلاً في الاختيار والتصويت وابتهجوا على الطريقة اللبنانية .



عنتر المرشحين

انه غامض وعاصف بقدر ما هو صريح وهادىء . مثل اللغز سليمان فرنجية . لغز ؟ يضحك نائب زغرتا ، ويسأل بعفوية : أين اللغز ؟ ثم يكركر السبحة بين اصابعه ويضرب الزهر . ماهر عندما يلعب ونادراً ما يُغلب ، حتى ولو كان خصمه هو الرئيس صائب سلام .

الزغرتاوي الآتي الى العاصمة على صهوة جواد مطهم ، سبقته الى ساحة النجمة شهرة لم تستأثر بها « الزاوية » وحدها ، بل خضت عموم الشمال ، ووصلت شرارتها الى مشارف بيروت والجبل . جاء بطبل وزمر .

سليمان فرنجية ؟ .

هذا هو سليمان بك ؟ .

كثيرون فوجئوا به عندما دخل المجلس النيابي للمرة الأولى(1960) . كادوا لا يصدقون . حتى ان بعض الذين كانوا سمعوا عنه دون ان يعرفوه ، فركوا اعينهم وشدوا عليها قبل ان يسلموا عليه .

فوجئوا . كاد بعضهم يتساءل مندهشاً : انه يضحك . يمزح . ينكت . ترى هل تغير ؟ .

ظل يضحك الآتي على صهوة جواد مطهم . يمزح . لم يكن السيف متدلياً من وسطه ، ولم يكن صدره مفروشة عليه الجنادات .

لم يتغير . هو نفسه : لا طويل ولا قصير . وجهه يطفح بالدم ، وعندما يضحك تقول الدم نفر من جبهته . شعره ابيض . يضع نظارتين ليستا سوداوين . يحمل سبحة في يده اليمنى . يتكتك بها . ينقلها الى اليسرى . يدخن سجاير نوع اول عريض . سبحته هي ايضاً لا طويلة ولا قصيرة . يتكلم بهدوء ، يمشي بهدوء . الزغرتاوي .

الذين فوجئوا بثاني ابناء قبلان بك فرنجية فوجئوا لأنهم كانوا في انتظار سليمان فرنجية آخر ، ذاك الذي تروى عن قبضته حكايات كادت تدخل الاساطير .

والقبضاي ، في اعتقاد الذين فوجئوا بالقبضاي الزغرتاوي يضحك ويمزح ، هو لا يضحك ولا يمزح . سربست . يخبط يده على الطاولة او يمدها الى وسطه .

الا ان دهشة المندهشين لم تعش طويلاً . تلاشت . فقد جاء يوم وجن بركان القبضاي الزغرتاوي الذي كان يضحك عالياً قبل قليل ، وايقن المتفاجئون ان سليمان فرنجية قبضاي الحكايات المثيرة هو نفسه سليمان فرنجية الجالس في المقعد النيابي في ساحة النجمة بهدوء .

الزغرتاوي يقول : « لكل شيء وقته . ولكل وقت حساب واسلوب . فعندما تحز المحزوزية يعود الزغرتاوي زغرتاوياً ولو كان في قصر باكنغهام » .

ومن يومها بدأ اسم سليمان فرنجية يتردد على كل شفة ولسان .

يحسب له الف حساب .

سواء عندما تحمى الحديدة في جلسات مجلس النواب ، او عند تشكيل الحكومات وتوزيع الحقائب والمقاعد .

حتى جاء صيف1964 ، صيف التجديد .

الذين مع التجديد يحاولون التسلح بالزغرتاوي القبضاي ، وخوض المعركة به لحساب الرئيس فؤاد شهاب . والذين ضد التجديد يقفون ، به ومعه على اساس انه مرشح المعارضة .

سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية ؟ .

كثيرون ، كثيرون هم الذين صدقوا من غير ان يصدقوا . كانوا يتمنون ان يحدث ما يجب ان يحدث دون ان تتدخل الاقدار والصدف والتفاصيل . يغمضون اعينهم قليلاً . يفتحونها . يجدون ان كل شيء لا يزال في مكانه : ويا ريت يأتي القبضاي الزغرتاوي وتحدث المعجزة .

كان في اذهان الناس ان سليمان فرنجية وحده ، في تلك الايام ، قادر ان يزهق الباطل وينصر الحق ، فتعود الأمور الى نصابها ، وتقف تلك الهستيريا الغوغائية التي رجفت اعصاب البلاد .

غير ان الذين استبعدوا عبد العزيز شهاب (وهو منهم) لأنه بطاش وربما لانه لا يلعب على القانون ولا يغض الطرف ، لم تسعهم الأرض وهم يتصورون سليمان فرنجية رئيساً .

ابو طوني رئيس ؟ .

ثمة من يضيف الى الاسباب والعوامل سبباً قد يكون مهماً : لو لم ينفرط عقد المعارضة وتصبح معارضتين وثلاث معارضات ، لكان مجيء القبضاي الزغرتاوي ممكناً دون ان يتدخل صانعو العجائب .

ثم دار الزمن دورة ليستنجد الرئيس شارل حلو بالقبضاي الزغرتاوي ويعينه وزيراً للداخلية في وزارة الانتخابات الاخيرة . ارتاح الناس . ارتاح اولئك الذين كانوا في كل انتخابات نيابية يصوتون لمرشحهم وايديهم على قلوبهم . ارتاح اولئك الذين يترشحون وينجحون الا ان تدخل طائرات الهليكوبتر والصناديق الجاهزة المليئة بالأوراق الجاهزة ، كان يسقطهم برغم فوزهم !

والذين زاروا بيت سليمان فرنجية ، في بيروت وطرابلس وزغرتا ، بالكاد استطاعوا ان يصلوا اليه ويسلموا عليه . صبت عليه شلالات البشر من الجهات الاربع . شيء لا يصدق الذي حدث يوم عين القبضاي الزغرتاوي وزيراً للداخلية . كأن الناس ، كل الناس ، كانت تنتظره لتتنفس وتطمئن .

هل كان سليمان فرنجية في حجم الفرحة ؟ ربما يجدر طرح السؤال في صيغة أخرى : هل مكنوه من ان يكون ؟ ربما ان الذين فرحوا كانوا ينتظرون من القبضاي ان ينتصر حتى على الذين لا يمكنون ، عادة ، الوزراء من احقاق الحق وازهاق الباطل . ان يصرع التنين .

لكنه عوض ان يشهر حربته ويمتطي صهوة الجواد المطهم الذي اتى عليه ، شهر استقالته . . . ولم يستقل ، ، ثم استقال ، ثم عاد ، ثم حدث شيء لا يزال يحير حتى الذين يقدرون ظروف سليمان فرنجية ويتفهمون بعض تردده احياناً .

ومن بعد تلك التجربة تعرض الزغرتاوي لتجارب اخرى ، اكثرها مر حتى في حلاوته ، اكثرها لا ينصف حتى لو كان الحق في وجهها ، واكثرها لا يستغني عن علامة الاستفهام حتى لو كان الجواب واضحاً مثل السؤال .

ربما لو كان سليمان فرنجية هو غير سليمان فرنجية ، الزغرتاوي القبضاي الذي سبقته

شهرته الى ساحة النجمة ، لما كانت كل هذه الأسئلة ، ولما كانت هناك غصة .

لقد اطلت السبعون وهلت المعركة واطل معها مجدداً اسم سليمان فرنجية ، الذي عين وزيراً للاقتصاد في الوزارة التي شكلت ، قيصرياً ، بعد سبعة اشهر من الأزمات ، ودون ان يسمحوا له ان يحكي على التلفزيون .

ومن اليوم الى يوم المعركة لم تعد المسافة طويلة ، وسليمان فرنجية يقول للذين في قلبهم غصة : انتظروا وسترون . . . وربما ستعرفون كل شيء قبل موعد المعركة .

والمعركة على الأبواب وموعدها غداً . . . وان غداً لناظره قريب .

« وطني دائماً على حق »

منتصف أيار 1969 كان فراغ الحكم قد امتد وكبر وكان القلق في كل مكان وقصر بعبدا يسمع ولا يجيب . استشارات ثم استشارات ثم صمت . ناس تعرف فلا تحكي ، وناس لا تعرف فتسأل ، ما هو السر الذي يجعل الرئيس يتردد في تشكيل حكومة جديدة ؟ لقد قامت الأزمة السياسية بدورة كاملة حول لبنان الوضع الخاص ، مروراً بالعمل الفدائي والقضية الفلسطينية والوساطات ، وعادت فاستقرت في نقطة البداية .

ويومها قطع سليمان فرنجية اجازة الصمت والتشاور واوقف حلقة الدوران في فلك الطلوع الى قصر بعبدا والنزول منه بغير فائدة ، ليطلق الشعار الذي اصبح في ما بعد لافتات ترفع في الساحات العامة ومنشورات تلصق على السيارات والجدران : « وطني دائماً على حق » .

وقد نشرت « النهار » في 15 أيار على الصفحة الأولى ، مكان الافتتاحية ، وبقلم سليمان فرنجية نداء يحدد فيه نائب زغرتا موقفه ورأيه من القضية المطروحة : العمل الفدائي ثم القضية الفلسطينية ، ثم لبنان السيادة والضرورة . وفي ما يأتي النداء :

« هذا النداء يدعوني اليه واجب مقدس يحتم اشراككم في مصير وطن مهدد في كيانه وكينونته بنيناه معاً بعد ان ارسى قواعده الآباء والأجداد .

ذلك بأنه في غمرة الأحداث التي تتجاذب شرقنا العربي ، ثمة رغبات عديدة تتضافر عمداً او عرضاً على صدع هذا الوطن وتمزيق اوصاله .

فمن رغبة عدو جاثم يجد في هذا الصراع افضل مبرر لدولة عنصرية يحاول انشاءها ولا يرضى عنها بديلاً ،

الى تخطيط لبعض الدول يرمي ، في محاولة حل لمشاكل المنطقة الى تغيير خريطتها وانشاء الدويلات العنصرية فيها ،

الى تهديد باستعمال 250000 فلسطيني ضد بلد اضافهم في ارضه برغم ضيقها وضيق امكاناته ،

الى غوغائية تجد في تحرير الأوطان اللباس الأفضل لتنفيذ مآربها ،

الى تهمة بان الفئة المسيحية في لبنان غير جادة في تحرير فلسطين وكأن هذه الأرض المقدسة ليست بأرض المسيح ربها وإلهها . فهل نقبل نحن المسيحيين العرب بأن تقفل ابواب القدس في وجهنا لأول مرة بعد الفي سنة ؟ قضية فلسطين قضية جميع العرب دون استثناء وفي طليعتهم خمسة عشر مليون مسيحي .

قضية فلسطين هي كذلك قضية لبنان . وان لبنان لواضع في سبيلها جميع امكاناته الفعالة التي تميزه : صداقاته في العالم ، وقد تسنى للقضية العربية تقدير اهميتها اثر حادث مطار بيروت ، ووسائله الاعلامية بالنظر الى انتشار ثلاثة ملايين من بنيه عبر العالم ، وللمراكز المرموقة التي يتبوأونها فيه ، ولامكانات اهله في تفهم واقناع العقليتين الغربية والشرقية ، وقد تسنى للقضية العربية تقدير اهمية الحرب الدعائية التي اتاحت لاسرائيل كسب المعركة في اذهان الناس قبل مباشرتها في ساحات القتال .

والآن يطلب من لبنان ما يأتي :

1 ـ اطلاق حرية العمل الفدائي دون اية شروط للتحرك في الاراضي اللبنانية .

2 ـ رفع الحصار عن المخيمات والسماح للفلسطينيين بالعمل وفقاً لتوجيهات القيادات الفدائية .

3 ـ اطلاق الفلسطينيين الموقوفين .

4 ـ رفض مبدأ التنسيق لأنه يتنافى مع سرية العمل الفدائي والاكتفاء بتبادل الرأي .

5 ـ ان قيادة الكفاح الفلسطيني المسلح هي المرجع الصالح والاخير بالنسبة الى جميع المنظمات الفدائية .

6 ـ ان المنظمات الفدائية هي التي تقرر اسلوب عملها وتضع مخططات انطلاق هذا العمل وفقاً لما تراه مناسباً وضرورياً .

7 ـ عدم التزام العمل الفدائي بأية مقررات او مواقف سياسية تصدر عن اي جانب عربي قد يراها الجانب الفلسطيني غير مناسبة .

8 ـ عدم تقيد العمل الفدائي برقعة محددة من الأرض كقاعدة لانطلاقه . وبعبارة اخرى فان ما يطلب من لبنان ، البلد المضياف المنفتح ، هو التنازل عن سيادته وتعريض كيانه . اذ ان القانون الدستوري يعتبر تسليم الدولة بأن توجد على اراضيها فئات مسلحة غير خاضعة لجيشها النظامي ، انما هو بحد ذاته انتقاص من سيادتها كما ان مجرد وجود هذه الفئات يشكل ، في حالتنا ، تعريضاً لكيانها طالما ان عدوا متاخماً متفوقاً عسكرياً يؤكد ذلك على الملأ وطالما انه ينتظر اثبات هذا الوجود لاتخاذه ذريعة لحلمه التوسعي ولغاياته المعلومة في مياهنا .

فماذا ترانا نفعل ، ايها اللبناني ؟ .

يسهل علي الجواب اني ، طيلة حياتي العامة ، لم اقف يوماً ـ برغم المصاعب والاغراءات ـ الا موقف التأييد غير المشروط للوحدة الوطنية ما دامت هذه الوحدة طريق الحفاظ على السيادة والاستقلال .

اما ازمة اليوم فهي خارجة عن قابلية التسويات لأنها تتعلق بجوهر السيادة الوطنية ، والسيادة غاية الوحدة الوطنية وليست الوحدة الوطنية غايتها .

لذلك ، ومع تقديرنا العميق للعمل الفدائي وغاياته المثلى ، التي هي غايتنا ، وحلا لهذه المعضلة الشائكة ، كنا في اول اجتماع لرؤساء الكتل النيابية عقد اثر الأزمة الوزارية في غرفة رئيس المجلس وبناء على طلبه ، اول من اقترح تنسيق العمل الفدائي على ان تتولى هذا التنسيق قيادة الجيش التي تقدِّر وحدها لكل حالة ظروفها بحيث لا يتعارض ذلك مع السيادة الوطنية . الا ان احداً لن يسلم بأن يضحى هذا الحل موضوع مفاوضات تجري على نطاق رسمي . انه حل عائد لارادتنا وحدنا وخاضع لقرارنا فحسب . يا لها من سابقة خطيرة ان نرى المسؤولين اللبنانيين يتفاوضون مع الغير على سيادة الوطن ولا يجنبوننا مشاهد غير مألوفة في قصر جمهوري .

موقفنا مبدئي لتعلُّقه بالجوهر ولا يمكن ان يتبدل لأن الجوهر لا يتبدل ، وستهون عنده المهج والأرواح . وهل يمكن ان لا يكون هذا موقف كل منكم ممن وافق على هذا الكيان وارتضى بالميثاق ؟ .

مثل هذا الموقف ادركته جميع دول الجامعة العربية اذ اتاحت للبنان وحده ، برغم وجود قيادة عليا عربية مشتركة ، ان يخضع مرور الجيوش العربية المنظمة في اراضيه الى موافقة مسبقة من مجلسه النيابي .

لذلك فان اي تصرف آخر يتنافى مع هذا الموقف سيؤدي حتماً الى الانشقاق والتجزئة التي يعمل لأجلها العدو وتقصدها بعض الدول وترمي اليها عناصر الشعب . كما انه سيؤدي في الوقت نفسه الى خسارة كل ما يمكن ان يقدمه لبنان ، ضمن سيادته ، مما اسلفنا بيانه ، للقضية الفلسطينية ، والى خسارة هذه الأرض ـ الملجأ لكل من هو بحاجة اليها .

وقانا الله شر هذه النهاية وأوحى الينا سبل الخروج من هذه الأزمة المصيرية لئلا نضطر ، بغية الدفاع عن هذا الوطن ، الى ان نصبح بدورنا فدائيين . ومن اجل تفادي وقوع ما نخشاه ، ارى وأظنك ترى معي :

1 ـ ان تؤلف على الفور حكومة وحدة وطنية شعارها : « وطني دائماً على حق » ، وتكون على مستوى الأحداث فتخرج عن شكل الحكومات المألوفة بأن تكون مثلاً حكومة تضم ثمانية وزراء دولة يتأمن بهم حل المشكلة السياسية و16 وزيراً يتولون الحقائب الوزارية واذا تعذر ذلك فعلينا بتأييد حكومة عسكرية موقتة للحفاظ على السيادة والكيان لتأمين السلام والاستقرار بمساندة الشعب اللبناني المؤمن بأن « وطنه دائماً على حق » .

2 ـ اعداد وتمويل برنامج اعلامي واسع النطاق في العالم لعرض القضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين وتجنيد جميع الطاقات اللبنانية المقيمة والمغتربة لهذه الغاية ، وخاصة الأجيال الطالعة من ذوي الاختصاص القادرة على العمل العلمي البعيد عن الغوغائية واعدادها لأن تكون رسلاً للقضية الفلسطينية في جميع انحاء العالم .

3 ـ الاستفادة من امثولة ما مر من احداث منذ الاستقلال اقنعتنا بأن العقلية السياسية التقليدية والتسويات الموقتة لم تعد صالحة وربما باتت تشكل خطراً على مستقبل البلاد . فينبغي اذاً تهيئة الشباب المتعطش الى الخدمة وفتح السبيل امامه لبناء لبنان الحديث الذي يشتهي .

4 ـ اقرار التجنيد الاجباري على وجه يتلاءم مع وضع لبنان وحاجاته ، على ان يشكل حاملو الشهادات الجامعية القسم الأكبر من ضباط الجيش . وعلى كل حال فإننا جميعنا ، أيها اللبناني ، مجندون دوماً للذود عن سيادة الوطن واستقلاله » .

لبنان سليمان فرنجية

لبنانه : ديموقراطي ، برلماني ، حر ، قوي ومعافى .

قبل الدخول في تفاصيل لبنان نائب زغرتا تجب الاشارة الى امور اساسية يشدد عليها ، في طليعتها الحرية . وفي اجتماع ضم25 نائباً معارضاً ومستقلاً و6 نواب نهجيين ، بينهم الرئيسان صبري حمادة ورشيد كرامي . قال فرنجية يرد على كرامي :

« قلت يا رشيد بك ان كل حرية لها حدود ، وما من احد يخالف ذلك ، لكن الحريات يجب ان تكون بالاتجاهين وبين الفريقين في الظروف الحالية ، يجب ان نضحي ونحن الآن لا نبحث في ما جرى خلال الأشهر الاخيرة . اننا هنا لنبحث عن الحريات في لبنان ، مر زمن سلبت فيه الحريات بقوانين . صدرت مراسيم اشتراعية سلبت حرية المواطن فيما تعطي حرية التصرف لشخص ليست لديه مسؤولية ، 3 اشخاص يمنعون من الوصول الى بيوتهم ويمنعون من المرور . ما هو مبرر حجز حرية النائب في البقاع الغربي ؟ عندما اضمن ان كل مواطن لبناني يتمتع بالحرية عندئذ يطمئن بالي على اولادي . اما في ظل المراسيم الاشتراعية التي سلبت حقوق المواطنين فإننا لن نتساهل . نجتمع اليوم لحرية الصحافة ، لكن هدفنا ليس فقط حرية الصحافة بل تحرير المواطن اللبناني » .

ثم يدخل الرجل ، الذي رفض الدخول الى حقل الرهونات ولو من اجل الرئاسة ، في التفاصيل . لبنان الدولة . ثم لبنان الأزمات الكبرى . ثم الصراع الدائر القائم على قدم وساق . يقول ان المشكلة هي في الصراع القائم بين اليمين واليسار . بين يمين متحجر ويسار انتهازي . واليسار عنده « الاشتراكية المستوردة » . كيف ؟ .

« اعتقد ان الذي اوجد هذا الصراع واوجد بالتالي المجال لتغلغل اليسار هو غباء اليمين وتحجره . اذ ان هذا اليمين بقي خارج حركة التطور التي اجتاحت العالم ، فلم يتطلع الى متطلبات العصر ومقتضياته ، كما انه لم يفتح عينيه على واقع الانسان كمواطن له حقوق وضمانات ، انما بقي يغط في نوم عميق . فجاء اليسار ، كردة فعل مباغتة ، يطرح بتطرف وجموح شعارات المساواة والانصاف وتحسين الأوضاع . . . يطرح شعاراته ملحاً ومتعمداً توسيع مجالات نشاطه متجاهلاً انه ليس بالامكان وضع هذه الشعارات موضع التنفيذ ، ولا بالامكان تحقيق مشاريعه كلها دفعة واحدة وبسرعة ، لأن ذلك

يعني جر اليمين واليسار والبلاد معاً الى الانهيار والخراب .

وما الحل ؟ .

اتمنى لو يدرك الفريقان حقيقة امكاناتهما ، ويتركان للدولة فرصة وضع تصميم شامل ، تنفذه على مراحل ، لتحسين اوضاع جميع الفئات والطبقات . وليس من الانصاف ان يتم ذلك على حساب جيل واحد او طبقة واحدة . لأن اوضاع البلاد في حالتها الراهنة ليست وليدة الساعة ولا هي من صنع فئة معينة .

في كل حال ، اذا وضعت الدولة تخطيطاً حكيماً وقامت بتنفيذه ، عندئذ يرتفع الانسان في لبنان من تحت الى فوق ، بدل ان ينزل الذين فوق الى تحت بحيث يصبح الجميع تحت وتصبح البلاد كلها ، باقتصادها ومجتمعها وطموحها ، تحت .

كل جذور الصراع من الخارج ، وان لم تكن كل اسبابه من الخارج ايضاً فإن معظم دوافعها من هناك . والغاية من اهتمام « هذا » الخارج بالوضع اللبناني وبالصراع بين فئاته السياسية هي جر لبنان الى البلبلة الكاملة والاضطراب السياسي والاقتصادي ، لكي يصبح في حالة تشبه حالتهم « المعتّرة » اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً .

سألته : من هم الذين تعنيهم ؟ .

قال : كل من يدعي اليسارية ويرفع شعاراتها ويعمل لها بوحي من العقائد والاشتراكيات المستوردة التي لا تنسجم ولا تتوافق مع الواقع اللبناني والانسان اللبناني والروح اللبنانية .

ودعني هنا اؤكد لك ان اللبناني ، أياً كان ، يعيش اشتراكياً ويطبق الاشتراكية ، دون ان يكون منتمياً الى حزب ينادي بالاشتراكية « ويهيّص » لها . وانا استند في هذا القول الى حياتي الشخصية مع أبناء بلدتي ومع سائر المواطنين . كما اني استند الى نمط الحياة التي يعيشها اللبناني القروي الذي يجسّد فعلاً لا قولاً كما هم الاشتراكيون ، الاشتراكية الحقيقية . فاللبناني في طبعه وحميته واعماقه انسان اجتماعي يشاطر مواطنه ، أياً كان هذا المواطن ، شعوره واحساسه . يشاركه في افراحه واحزانه ويهب لمساعدته عندما يكون بحاجة الى المساعدة .

هذه هي الاشتراكية الحقيقية . والمبادىء والاشتراكيات الآتية من الخارج هي للمزايدات فقط . يستغلها البعض هنا وهناك لاغراض سياسية لا علاقة لها بالعدالة الاجتماعية وانصاف المحرومين والمعذبين والبائسين . انها عملية استغلال ، ليس اكثر .

وما دمنا في الحديث عن العدالة الاجتماعية والاشتراكية ، يقول احد متزعمي اليسار عندنا ان اربعة بالمئة فقط من اللبنانيين يعيشون حياة الترف والبحبوحة ، اما الباقون فانهم على الهامش .

وهذا القول يذكرني بقول مشابه ، ربما يكون هو المنطق بالنسبة الى بعض اصحاب الشعارات البراقة . لقد نسب الى الأب لوبريه انه اكتشف ، بعد درس وبحث وتنقيب استمرت اربع سنوات ، ان اربعة بالمئة فقط من اللبنانيين يعيشون مرفهين ، اما الستة والتسعون بالمئة فانهم يعيشون بقوة الاستمرار . تسلح البعض بهذه الخرافة وتمسك بها على انها حجة ضد النظام وضد الاقتصاد الحر بصورة خاصة . كما وجد فيها البعض الآخر ضالة لتبرير رفع الشعارات المتطرفة والمناداة بالاشتراكية .

اني اسأل الأب لوبريه ، رحمة الله عليه ، وأسأل من تبنى كلامه من بعده : أين حياة البؤس في لبنان ؟ اذا نظرنا الى الجبل ، برغم الهجرة المتزايدة ، فإننا نرى ان الذين بقوا في قراهم يعيشون الحياة الكريمة وان لم تكن هي الحياة المنشودة او الكاملة . واذا ذهبنا الى المدن . فإننا نجد حتى في الاحياء الظاهر عليها الفقر خارجياً (بيوت التنك مثلاً) نجد على سطوح هذه البيوت « انتين » التلفزيون ، كما نجد في الداخل البراد والغسالة والراديو والبيك أب ، مما يدل على ان حياة الـ96 ليست بؤساً كما يصورونها . وهنا احب ان اؤكد انني لا انكر وجود فقر وحرمان بين فئات تعيش على الاراضي اللبنانية انما هي ليست لبنانية . واسارع الى القول انه لا يجوز ان يفهم من كلامي انه ليس من الضروري الاسراع في تحسين اوضاع جميع المواطنين واستحداث القوانين والتشريعات التي تنصفهم .

ولبنان الاقتصادي ؟

اني اعترف بأن لبنان اليوم لم يكتمل نضجه ، او نموه الاقتصادي كما يجب . الا ان هذا البلد ليس من البلدان المتخلفة بكل ما في التسمية من معنى . اذن ، فلنقل انه نصف متخلف . لأنه اذا نظرنا الى التطور في موازناته العامة والى الاحصاءات الرسمية بامكاننا التأكد من النمو السريع الذي وصلنا اليه ، برغم النكسات الكثيرة التي لا تزال تصيبنا وتؤذي اقتصادنا .

ومع الأسف ان هذا التطور لم يترافق مع تطورنا الاجتماعي . او انه لم يكن هناك

تناسق بين الاجتماع والاقتصاد . الى ان جاء الرئيس شهاب ووضع بعض القوانين الاجتماعية التي يشكر عليها وتابعها بعده الذين يؤ منون بالمثل القائل « على قد بساطك مد رجليك » . وكأن هؤ لاء يؤ منون ايضاً بمثل آخر يقول « في التأني السلامة وفي العجلة الندامة » . وما تحقق حتى الآن كان تنفيذاً لسياسة « على قد بساطك . . . » والشكوى تعود الى اسباب عدة تتعلق بالتنفيذ . واني اذكر منها سببين :

1 ـ الأخطاء والتلكؤ في التنفيذ فضلاً عن الجهل والمحسوبيات وسياسة التمييز والتمييع .

2 ـ المتطرفون الذين يجعلون من الحبة قبة .

وهكذا تصطدم الرغبة في العمل ، اذا وجدت ، بمتطرفين من هنا ومتطرفين من هناك .

المضللون والقصة الطويلة

وانطلاقاً من ايماني بالروح اللبنانية الطيبة ، بامكاني ان اؤ كد لك اننا لن نبقى على هذه الحال . وسيأتي اليوم الذي ينفضح فيه المتاجرون « الموسميون » الذين خلقوا ويخلقون هذه الأجواء غير الطبيعية . وهذا اليوم لن يكون بعيداً . وعندها سيظهر كل شيء . وسيعرف اللبنانيون من هم المتاجرون المضللون ومن هم المخلصون .

سألته : من خلق هذه الأجواء ؟ .

أجاب : الذين خلقوها : انهم معروفون . يدل عليهم اللبنانيون كل اللبنانيين بالأصابع . اما لماذا خلقوها ، فهذه قصة طويلة . (يضحك) مثل الف ليلة وليلة . قصة طويلة تكاد لا تنتهي .

في تاريخه الحديث مر لبنان بظروف عصيبة جداً دفع ثمنها غالياً . ولا يزال يدفع . ومنها تلك التي اضطر على اثرها وبسبب ذيولها العهد الشهابي الى الظهور وكأنه يتبنى سياسة فريق ضد فريق . فاعطى الفريق الذي تظاهر معه امكانات لم يكن يحلم بها . اعطاه كل شيء ، اعتقاداً منه ـ اي العهد الشهابي ـ انه بذلك يكسر حدة هذا الفريق . واني اميل الى الاعتقاد ان هذه السياسة كانت في ذلك الوقت مناسبة وحكيمة . لكن

المؤ سف ان الفريق الذي اخذ اكثر مما كان يحلم اخذ يتصرف وكأنه هو « الكل بالكل » ، وكأن ما أخذه وما اعطاه اياه الرئيس شهاب ليس الا القليل القليل .

وهنا بدأ خطر اللعبة يأخذ حجماً مثيراً . فبدل ان يكتفي الفريق المحظوظ بالرعاية الشهابية راح يتمادى في المطالبة والأخذ ، فتمادى معه شهاب في العطاء وفي العطف عليه . (فريق له كل شيء وفريق محروم من كل شيء) . حتى وصلنا الى يوم ، فإذا بهذا الفريق المدلل يتبنى التيار اليساري ويعمِّد نفسه اشتراكياً وينصب من نفسه قيماً ومقدراً فيجتاح البلاد والمؤ سسات العامة ويحتل المناصب الحساسة والمراكز المرموقة . كل هذا تحت شعار الشهابية والولاء للرئيس شهاب ، مع العلم ان شهاب والشهابيين الحقيقيين باتوا عاجزين عن الخروج من هذه الحلقة .

والسبب ان الرئيس السابق عرف كيف يعطي ، لكنه لم يعرف كيف يعيد كل شيء الى حجمه الطبيعي ، كما انه لم يعرف كيف يضع الحد الذي كان يجب ان يقف عنده هذا الفريق لتتوقف بالتالي اللعبة الخطرة .

ولا اعرف اذا كان شهاب حاول وقف هذا الاجتياح انما الواضح الآن ان الاجتياح لم يتوقف وان الشهابيين لم يوقفوه .

ولقد نتجت عن السياسة الشهابية نقمة عند الفريق الآخر المحروم « الملغى » ، الذي انطوى على نفسه مرغماً طول العهد الشهابي يمني النفس بأن يزول هذا الواقع المؤ لم الشاذ بزوال العهد . لكن العهد الحالي ، عهد الرئيس حلو ، لم يتمكن من انصاف الفريق المحروم لأن جذور الشهابية العميقة في جميع المؤ سسات لا تزال فاعلة وتقاوم هذا الفريق وتحول دون انصافه .

واني اجزىء المسؤ ولية في هذا المجال جزءين : الأول يتحمله العهد الشهابي ، والآخر احمِّله الرئيس حلو .

اما لماذا احمِّل الرئيس حلو قسماً من المسؤولية فقط ، فلان « التركة » التي ورثها عن العهد السابق كانت تركة ثقيلة فعلاً . وكان الارث اكثر مما يتصور الذين يراقبون التطورات من الخارج . اذ ما كاد الرئيس حلو يحزم امره ويحاول اصلاح ما افسده الدهر ، حتى بدأت تنهال على لبنان المصائب والكوارث ، ابتداء ببنك انترا والمصارف العشرة ، الى حرب حزيران ، الى مأساة الاعتداء على مطار بيروت ، ثم انفجار المطاليب من كل صوب » .

العلمنة ، الميثاق ، الازدواجية

يقول سليمان فرنجية ان الازدواجية مدت شروشها وشرورها في كل دوائر واجهزة الدولة حتى وصلت الى قمة الحكم في لبنان :

« وهل في لبنان من ينكر وجود الازدواجية ؟ » .

ان الذين ينكرون وجودها هم المستفيدون منها ومن وجودها .

ولو انها ازدواجية تتعلق بمبادىء اصلاحية عامة لها برنامج حكومي كانت تشكل خطراً كبيراً على النظام الديموقراطي الذي نعيش في ظله ، وعلى مصير البلاد .

اما وان هذه الازدواجية حصرت نفسها ونفوذها ضمن حرتقات بحيث توجه شارعاً ضد شخص لمصلحة شخص آخر يخدم اغراضها، وتوجه نائباً ضد حكومة او لمصلحة حكومة ، وتوجه قسيساً ضد سياسة نائب في منطقة ، اما وانها كل ذلك فإن خطرها موجود وملموس وواضح للجميع كالشمس ، لكني اعتبره خطراً عابراً .

ولا يجوز الاستغراب . ان الازدواجية تزول فوراً إذا زالت الظروف التي اوجدتها وساعدت على « انمائها » .

● س : لو كنت مسؤ ولاً هل كنت تحكم والازدواجية موجودة ؟ .

ج ـ كنت مسؤ ولاً وكانت الازدواجية موجودة . هذا لا يكفي لانهاء « سحر » الازدواجية .

سألته : لو كنت مسؤ ولاً فهل كنت تسمح لمن يتدخل اليوم بأن يتدخل في شؤون تتعلق بمسؤ وليتك ؟ .

اجاب : بالأمس القريب كنت مسؤولاً . واؤ كد لك ان المتدخلين تدخلوا في الوزارات التي كنت مسؤ ولاً عنها . وكذلك تدخلت الازدواجية وفعلت فعلها في نطاق ما هو من مسؤ وليتي . كما اني اؤ كد اني لم اشعر في اي وقت بتدخل ما في هذه الوزارات الا قاومته وانتصرت عليه وعلى المتدخلين . ولو عدت ثانية الى تحمل المسؤولية لتصرفت التصرف ذاته مع زيادة تفتيح في العينين . وهذا شذوذ كبير في الحكم وله مضاره واخطاره .

ولكي يكون بالامكان وضع حد لهذه الحالة يجب ان نتناسى جميعنا خلافاتنا

ومصالحنا الشخصية . لأنه لا يمكن ان تنتهي الحالة الشاذة الا اذا اتفق جميع الفرقاء .

وصلت الازدواجية الى القضاء . وفعلت هناك بمثل القوة التي فعلت بها في الدوائر الأخرى .

نعم . الازدواجية وصلت الى القضاء . كانت هناك قبل ان اتسلم منصب وزير العدل وبقيت عندما تسلمت ولا تزال .

ولو ان الازدواجية وحدها تتدخل في القضاء لهانت المصيبة . واذا كنت قد اعتبرت كتابي للرئيس ناقوس خطر فذلك لأني حريص على حماية هذا الجسم المتعلق به الوجود اللبناني ، والذي يفترض في كل مؤ من بهذا الوجود ان يحافظ عليه كما يحافظ الانسان على عرضه وعلى اثمن ما يعز عليه .

ولماذا لم يغير الرئيس هذا الواقع ؟ .

نحن اللبنانيين نتصور ان رئيس الجمهورية قادر على كل شيء . والواقع ان رئيس الجمهورية ، حتى الرئيس الذي لا يخشى المخاطر ، لا يقدر على شيء الا بموافقة رئيس الحكومة والوزير المختص .

● س : صديقك الرئيس صائب سلام قال ان الازدواجية تبدأ في القصر الجمهوري وتنتهي في الشارع ؟ .

ج : لصديقي الرئيس سلام حرية تحديد وجود الازدواجية حيث يراها . اما انا وامثالي فإننا نعترف بوجودها فعلاً ، لكن لا يهمنا تحديد اين تبدأ واين تنتهي . وما يهمنا هو تحديد ضرر الازدواجية وخطرها على الوضع العام والعمل على ايجاد طريقة للخلاص منها .

في جوابه عن سؤ ال حول علمنة الدولة قال سليمان فرنجية :

لشقيقي حميد قول مأثور في هذا الصدد : « غيروا النفوس لنغير النصوص » . فعندما تتغير النفوس ، ولا اعتقد ان هذا التغيير يتم قريباً ، عندئذ اوافق على علمنة الدولة .

والميثاق الوطني ؟ .

رحم الله الكثيرين من واضعي الميثاق الوطني فقد كانت لهم نظرة سياسية بعيدة المدى . لقد تأكد لهم من اطلاعهم على تاريخ هذا البلد ان لا شيء يوفر نمو شعبنا مثل

المتاجرة بالطائفية . فقبل الميثاق ، كان بعضنا يتغنى بالأم الحنون فرنسا والبعض الآخر **يتغنى بالأم الحنون الوحدة السورية او الامبراطورية العربية الخ . . . فجاء واضعو الميثاق يقولون : لا امنا الحنون ولا الامبراطورية ، انما الوحدة اللبنانية .**

وعلى هذا عاش لبنان ما يقارب الخمسة عشر عاماً مطمئناً الى وضعه الذي ارتضاه واختاره بكل حرية . الى ان رجع فريق ينظر الى الغرب وفريق آخر ينظر الى الشرق (بعض الدول العربية) فكان ما كان عام 1958

السياسة الداخلية

منذ دخوله المعترك السياسي عرف سليمان فرنجية كيف يحتفظ لنفسه بموقف يميزه ، وربما يمتاز به ، عن الكثيرين من السياسيين ، اذ ما من قضية طرحت ، خصوصاً في الفترة الاخيرة حيث اكتسبت القضايا الطابع المصيري ، الا وكان الذين يقررون او **يفترض بهم انهم يقرروا ينتظرون رأي « ابو طوني » الاسم الشعبي الذي يحبه نائب زغرتا** والذي يحبه به الزغرتاويون ويحبون ان ينادوه به ، هكذا بعيداً عن تكليف البكوية ، فيرتاح اليهم ويرتاحون معه

في الأزمات الوزارية ، في الأزمات التي تخض البلاد وتجعل الايدي ترتفع الى الصدور ، ينتظر المسؤولون وصول سليمان فرنجية ليسألوه ما هو رأيه : يوافق او لا يوافق ، يرفض او لا يرفض . ماذا يريد وماذا يقترح ؟ .

ليس لأنه ابن زغرتا فحسب ، وليس لأنه القبضاي الذي يحسب له الف حساب فقط، بل لأنه لا يتساهل عندما تكون المسائل المطروحة تتعلق بمصلحة البلاد او هي تنال من المبادىء او تسيء الى النظام والأصول والحرية .

واضح واضح . وغامض غامض . بعضهم يقول ان قلبه على كفه . لا يخفي ما عنده ولا يساير على ما يعتقده حقاً وواجباً .

وخلال الفترة التي سبقت تشكيل الحكومة الحالية التي يشغل فيها سليمان فرنجية منصب وزير الاقتصاد ، كان ابو طوني احد اركان تكتل الوسط ، الذي شغل لبنان الرسمي والنيابي والشعبي ، وبخاصة لبنان النهجي ، اكثر من أية كتلة نيابية اخرى .

ويقال ان فرنجية كان اكثر الاركان الثلاثة في الوسط الحاحاً على وجوب التصدي

للذين اغتصبوا السلطة ومارسوا الحكم من وراء ظهر المسؤولين الشرعيين .

والواقع ان الرئيسين صائب سلام وكامل الاسعد ، كانا دائماً يعتمدان على الركن الثالث الذي هو سليمان فرنجية عندما تكون الأزمات قد اخذت حدها ولا بد من موقف .

ومن ابرز الأعمال التي ساهم فيها ، ايام تكتل الوسط السابق ، المذكرتان اللتان رفعتا الى الرئيس حلو ، تطالبانه بتقويم الاعوجاج واعادة الشرعية والديموقراطية الى البلاد وكف يد مغتصبي السلطة . والمذكرة الثانية بقيت تتفاعل اصداؤها وانعكاساتها على الصعيدين الرسمي والشعبي حتى كاد الناس يعتقدون ان الواقعة ستقع حتماً بين اركان الوسط وبين . . . مغتصبي السلطة . لكن الواقعة لم تقع .

ماذا تقول المذكرة الثانية ومن تتهم وماذا تطلب ؟ .

- انهاء عهد الحكم غير المسؤول .
- اقصاء جميع (×××) العاملين في (×××) الثانية حالياً .
- حصر مهمة الجيش في القضايا العسكرية للدفاع عن الاراضي اللبنانية وعدم تدخله بأي من اجهزته في الأمور السياسية والادارية .
- الغاء جميع النصوص والقوانين التي جعلت من الجيش جهازاً منفصلاً عن السلطة التنفيذية وعن رقابة السلطة التشريعية ادارياً ، ولاسيما مالياً .
- وضع قانون خدمة العلم ليضم شباب لبنان في جندية جدية انضباطية سليمة .
- وضع مخطط دفاعي صحيح يؤدي الى تعبئة جميع الطاقات الوطنية وتحصين الحدود المتاخمة للعدو ، والمحافظة على سيادة لبنان وكيانه وسلامة اراضيه .

« هذا هو في رأينا السبيل الوحيد لانقاذ لبنان مما يتخبط فيه اليوم من نتيجة الحكم غير المسؤول ، من قبل الطغمة المتحكمة ، وبسبب القيادة التافهة ، حتى كاد الشعب ان يفقد ثقته بكل المؤسسات ، ويضيع امله بجميع الأشخاص » .

وتعيد المذكرة الثانية ، التي وقعها سلام والاسعد وفرنجية ، الى ذهن رئيس الجمهورية ما كانت حذرت منه المذكرة الأولى التي وقعها سلام والاسعد وفرنجية .

ولا تكتفي بالتذكير فقط بل تذهب الى التحذير :

وقد حذرنا فخامتكم سابقاً من ان ابناء الشعب اللبناني ، عندما يرون البلاد قد

وصلت الى الطريق المسدودة ، ولا يمكن صرف اذهانهم ، وهـم في حالـة اليأس ، عن الاتجاه الى الحلول الجذرية ، والى ابعدها مدى .

والآن ، اذ يبدو واضحاً ان الزمـن لم يعـد في مصلحـة لبنـان ، وكي لا يكون الانفجار الشعبي عفوياً تتلقفه الايدي التي تريد بلبنان شراً ، او تعصف به تيارات غريبة تسوقه الى خراب الوطن ، نرى من واجبنا الوطني ان نطلب اليكم ، يا فخامة الرئيس ، اما ان تقوموا بما يفرضه عليكم مركزكم الدستوري فتعيدوا الحياة الديموقراطية البرلمانية المسؤ ولة الى سيرها الطبيعي ، ضمن مدة معقولة لا تتجاوز الاسبوع ، او ان تتركوا الامر لمن يتمكن ان يقوم به .

فالقضية جد ، والأمر جلل ، والوضع خطير يرتبط به مصير لبنان .

ونحن في انتظار ما ستقومون به من خطوات ، لنتابع القيام بما يمليه علينا الضمير نحو وطننا ، وما يتطلبه منا الواجب نحو الشعب الذي اولانا ثقته .

وتفضلوا يا فخامة الرئيس
بقبول فائق الاحترام
بيروت في 7 تشرين الأول 1969 .
الامضاء : **كامل الأسعد ، سليمان فرنجية ، صائب سلام** .

وتدخل المذكرة في التفـاصيل . تتنـاول اخفـاق **المسؤولين** « على مدى سنـوات طويلة » في ممارسة النظام الديموقراطي البرلماني على واقعه الصحيح وتخلي اصحاب السلطة الشرعيين عن التمرس بصلاحياتهم ، مما جعل من النظام القائم الذي ارتضاه اللبنانيون ، ومن بعض السياسيين القائمين عليه ستاراً شفافاً هزيلاً لتغطية الحكم الفعلي غير **المسؤول** الذي اغتصب السلطة متآمراً مع بعض عناصر هذا النظام .

في غالب الحالات ، كان هذا التآمر من قبل تلك العناصر السياسية ، اما ضعفاً واستخذاء ، او تأميناً لمصالح خاصة ، او سعياً وراء المادة والاثراء ، او كلها متجمعة .

وقد ادى هذا كله الى غياب الحكم الديموقراطي **المسؤول**، والى اغتصاب السلطة الفعلية في لبنان ، من قبل بضعة (×××) من (×××) اخذوا يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة ، وفي كل شاردة وواردة ، حتى كادوا يحصرون مقدرات البلاد بين ايديهم .

ولم يكن هدف هؤ لاء يوماً مجابهة العدو والمحافظة على السيادة والكيان ، ولا كان تقويماً لاعوجاج ، او توطيداً لنظام ، او ارساء لمبادىء وطنية فيها مصلحة لبنان .

فالمنطلق غير المشروع لتلك الطغمة المتحكمة بني من اساسه على الفساد والافساد ، والانجراف في حزبية حاقدة عمياء . ونما وترعرع في اثارة الفتن . واشاعة الاضطراب ، ومحاولة ايقاع الفرقة الطائفية حيناً ، وبعث المشاكل الفئوية احياناً ، بين العمال او بين الطلبة ، او غيرهم من عناصر هذا الشعب الآمن .

وقد اثبتت الأحداث التي توالت على هذا البلد ، واظهرت لجميع افراد الشعب بوضوح ان وراء اغتصاب السلطة من قبل تلك الطغمة غير المسؤ ولة ، دوافع مفضوحة ليس اقلها الاثراء غير المشروع على حساب دم الفقير وعرق جبينه .

فالرشـوات الكبـيرة ، والصفقـات المشبوهة ، في (×××) وفي وزارات الدولة ومصالحها ، وفضائح المؤ سسات المالية والبنوك ، كلهـا تمتص دم الفقـير قبـل الغنـي ، وتذهب الى جيوب افراد تلك الطغمة المحتكرة المتآمرة .

وموازنة الدولة ، التي تتجمع في اغلبها من دم الفقير وعرق جبينـه ، اصبحـت مباحة بين ايديهم ، يغرفون منها دون حسيب او رقيب ، ويمعنون فيها تبذيراً وهدراً ، بينما الشعب يتضور لارضاء حاجاته في الطبابة والـدواء ، وبينما ابنـاؤ ه وفلـذات اكبـاده المتعطشون للعلم يملأون القرى والأزقة فلا يجدون المعاهد اللازمة لايوائهم .

فموازنة (×××) مثلاً ، وقد بلغـت هذا العـام 170 مليونـاً من الليـرات ، عدا الاعتمادات الاضافية ، وهي تنفق خلافاً لمبادىء النظام الديموقراطـي دون اية رقابـة من السلطة المدنية ، لا يدري احد كم يذهب الى تدعيم (×××) حقـاً . وكم يتسرب الى جيوب المنتفعين ، او الى شراء الأزلام والمحـاسيب ، وتشـجيع الاجـرام والمجرمـين ، ومحاربة المواطنين الآمنين .

وموازنة وزارة الانباء ، وقد بلغت ما يزيد على الستة ملايين ، مثل آخر تسيطر عليها تلك الطغمة المتحكمة نفسها فتهدرها في محاولات مستمرة ، لتغطية ما ترتكبه من فضائح ، وذلك لشراء الضمائر ، وتسخير الاقلام ، ووسائل الاعلام واجهزته ، من اجل ترسيخ سيطرتها وتحقيقاً لغاياتها .

ومن اجل تغطية الفساد والفضائح ، وفي سبيل تأمين منافعهم الخاصة ، وترسيخ سيطرتهم على الحكم ، وتنصيب هذا او ذاك في مراكز المسؤ ولية ، فقد استباح مغتصبو السلطة كل الحرمات ، وهتكوا اقدس الحريات ، وتجاوزوا على القوانين ، وشجعوا الاجرام والمجرمين ، ونكلوا بالاحرار من المواطنين وحاولوا ويحاولون خنق كل صوت يرتفع باعتراض او انتقاد .

وتتحدث المذكرة عن « **مخطط للقضاء على الديموقراطية** » فتقول :

« نحن من القائلين ان النظام الديموقراطي البرلماني ولبنان توأمان لا ينفصلان ، فاما ان يكون لبنان في ظل حكم ديموقراطي برلماني ، أو لا يكون لبنان . سيكون لبنان .

وكان ، ولا يزال في رأينا ، بعدما تعطلت فعالية المجلس النيابي تحت وطأة ونفوذ تلك الطغمة المتحكمة ، ان ليس من سلطة دستورية بامكانها ان تخرج البلاد من المأزق الذي أصبحت فيه غير سلطة رئاسة الجمهورية .

واذ نرى الشعب يتحرق على مصيره ، والبلاد تحترق امام عينيه ، نجد بعض المسؤولين يتلهون بقشور الكلام ، ويتهربون من تحمل المسؤولية تنصلاً مما لحق ، ويلحق بهم ، من وزرها ، وتنفيذاً لمخطط مرسوم يهدف الى القضاء على الحياة الديموقراطية في لبنان .

والشعب اللبناني ، الذي يقدس الحرية ، ولا يطيق ان يعيش دونها ، لن يتقبل هذه الحال ، ولن يبقى خاضعاً لسيطرة تلك الطغمة المتحكمة من مغتصبي السلطة . بعدما اصبحت تلك الطغمة المتخفية مكشوفة لديه ، برغم محاولة اختبائها وراء الواجهة السياسية ، وبعدما اصبح واضحاً لديه ، انها هي التي تعبث بمقدراته وتغامر بمصيره .

والزوال لهذه الطغمة الفاسدة اما يكون بالطرق الدستورية ، وهذا ما يتطلع به الشعب الى فخامتكم تقومون به من نطاق الدستور ، واما ان تنفجر النقمة الشعبية على جميع المستويات .

واذا تغاضينا الى اليوم عن الصغائر ، ولم نحاسب على ما كان يوجه الى الافراد من انتقام ، ويصيبهم من اذى ، فلم يعد في وسعنا السكوت بعدما تفاقم الضرر ولم يعد يتوقف عند الانتقامات الشخصية ، بل أصبح يصيب مصلحة لبنان في الصميم ، اذ راحت تلك الطغمة المتحكمة من مغتصبي السلطة تمعن في التخريب ، وتغرق في تهديم النظام القائم ، وتقويض اركانه ، وتعطيل الحياة النيابية بشتى الاساليب والطرق ، دون وازع من ضمير ، ودون تقدير لما يحل بعد هذا بلبنان وشعب لبنان من سوء المصير .

وقد وجدنا ان من واجبنا الوطني ان ندخل مع فخامتكم في صلب الموضوع ، متخطين ما يحاولون الهاء الرأي العام به من تناحر على الرئاسات ، او ما تصح تسميته بلعبة الكراسي ، كبيرها وصغيرها ، فنحدد موطن الداء كما حددناه ، ونطالبكم باستئصاله .

فمن اجل مصلحة لبنان العليا ، وحرصاً على كيانه ومصيره ، وتأميناً لحرية ابنائه ،

ومحافظة على سيادته وسلامته ، وهو ما تقيدتم به في يمينكم الدستورية ، نطالبكم يا فخامة الرئيس بأن تعملوا على اقصاء المغتصبين الذين مارسوا السلطة في السنوات الاخيرة ، فكانوا اصل كل بلاء ، واوصلوا البلاد الى شفير الهاوية ، وان تعيدوا السلطة الى اصحابها .

ماذا حدث من بعد ؟ .
ماذا تحقق ؟ .
ماذا نفذ من المطالب التي تضمنتها المذكرة ؟ .

بعد شهر وسبعة ايام « اعلن النواب سليمان فرنجية وحبيب كيروز وباخوس حكيم انفصالهم عن تكتل الوسط والعودة الى تكتلهم الاقليمي وذلك في الاجتماع الاخير الذي عقده التجمع عندما ظهر تباين في وجهات النظر حول المواقف الواجب اتخاذها من الأزمة الراهنة » .

لكن السيد فرنجية اكد للرئيسين صائب سلام وكامل الاسعد انه يعتبر نفسه ملتزماً بجميع القرارات والمواقف التي اتخذها التكتل بما فيها المذكرة وما تضمنت من مطالب .

فجأة حدث ذلك .
وفجأة وافق فرنجية على دخول الحكم في الوزارة الحالية .
وفجأة وافق على الظهور في التلفزيون والتحدث عن « كل شيء » .
وفجأة الغيت المقابلة من قبل « الرقابة » .

وتعليقاً على أمر الالغاء قال فرنجية انه سيقول الذي لم يقدر ان يقوله بواسطة التلفزيون ، وسيوصله الى المواطنين بوسيلة أخرى وبطرق عدة ، قد تكون بينها الاذاعات والصحف . « كيف يتكلمون عن الحرية والديموقراطية عندما يراقب موظف عادي وزيراً ويمنعه من اعلان رأيه » ؟ .

وقد استهول الوزراء منع حديث وزير الاقتصاد بعدما كانوا قد استنكروا التدبير الذي اتخذ بمعزل عن رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية .

واستهول الناس ما استهوله الوزراء وخافوا ان يؤدي ذلك الى اعادة الازمة الى حيث كانت .

لكن مر كل شيء بسلام برغم ان الوزير قال انه سيعقد مؤتمراً صحافياً ، وسيثير القضية في أول جلسة لمجلس الوزراء .

اليسار ، الاشتراكية

بعد شهر من نداء « وطني دائماً على حق » اعلن سليمان فرنجية تصميمه النهائي على الابتعاد عن حقل الرهونات التي تقيد عمل كل سياسي ماروني يطمح الى المنصب الكبير .

قال في مؤتمر صحافي « ان لبنان الذي نريده دائماً مزدهراً هو اليوم مهدد بانفجار تفتعله أياد مجرمة لزرع التفرقة بين بنيه ودفعهم الى الاقتتال » .

وفي ذلك اليوم أعلن فرنجية غضبته على اليسار الذي حمَّله مسؤولية الأزمة واتهم اليساريين باثارة النعرات والتستر بتأييد العمل الفدائي ، كما أعلن تأييده لرسالة رئيس الجمهورية التي اعلن فيها رفض الأمر الواقع تأييداً بنسبة « مليون بالمئة » .

وأضاف ان هناك من يدفع هذا اليسار من الصين حتى القوقاز عبر سوريا ، « وأرجو الله ان يعطينا العمر لنتمكن من الوقوف في وجه أي خطر يهدد سلامة لبنان وكيانه » .

وأضاف السيد فرنجية ان للمشكلة طابعين احدهما طائفي ، وهو مختلق وغير حقيقي ، والآخر يساري يسعى الى تهديم هذا البلد . « وما القضية الفدائية سوى ستار . فالفدائيون موجودون على الأرض اللبنانية منذ سنين ولم يشعر بهم أحد ، فما الذي فجر وضعهم فجأة وعلى هذا النحو ؟ » .

وكشف السيد فرنجية ما سماه سراً يتعلق بقضية العمل الفدائي . فقال انه في اجتماع رؤساء الكتل الذي عقد في المجلس النيابي ، برئاسة الرئيس حمادة ، « كنت اول من طالب بالتنسيق مع الفدائيين ورحب زملائي بالاقتراح . وبعد ذلك اجتمعت الى ممثل الفدائيين في بيروت وعرضت عليه هذا الاقتراح فكان جوابه انهم لا يقبلون بالتنسيق لأنه سرهم ولا يمكن ان يعطوه لغيرهم ، فأجبته : ان سرك ستسلمه الى مسؤول مثلك فقال : انا لا اطمئن الى ذلك . عندئذ افترقنا دون اتفاق » .

وقال :

« بتاريخ 15 أيار 1969 وجهت نداء بعنوان « وطني دائماً على حق » . ومنذ ذلك التاريخ ما زالت الأزمة تتصاعد حتى بلغت حداً ينذر بالخطر اصبح معه جميعنا يعلم :

ان الرئاسة الأولى متهمة ، والحكومة غائبة ، والمجلس في اجازة ، والشعب خائف

على مصيره ، والغوغائية تتربص لاستثمار هذا الوضع ، والعدو يترقب ضعفنا ويغذي انقسامنا ، والتمرد والفوضى يتغلغلان في جميع مرافق حياتنا ، والحالة باتت تهدد بانهيار لبنانى السياسي والاقتصادي وان لبنان الذي نريده دائماً مزدهراً بات في كل لحظة مهدداً بانفجار تفتعله اياد مجرمة للتفرقة بين بنيه ودفعهم الى الاقتتال .

وقد رأيت دعوتكم الآن لابلاغكم ان وفوداً شعبية في اقضية لبنان الشمالي كافة ، شعوراً منها بهذه الاخطار وبغية مجابهتها ، اتصلت بي طالبة مني توجيه نداء الى ابناء المنطقة غايته الاجتماع والتشاور واتخاذ الموقف المناسب على ضوء المصلحة اللبنانية العليا آملة ان يصبح هذا التصرف قدوة لجميع اللبنانيين .

لذلك ، وانسجاماً مع واجبي الوطني ومسؤوليتي الكبرى الناشئة عن هذا الطلب ، اعلن :

دعوة جميع المهتمين بالقضايا العامة من اهالي لبنان الشمالي على اختلاف مللهم ونزعاتهم بمن فيهم رجال الدين والرسميين الى تجمع عام يعقد في دارنا باهدن في الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد 22 حزيران وذلك من اجل التشاور واتخاذ الموقف المناسب لصيانة لبنان في وحدة بنيه .

وفي سؤال وجواب مع رجال الصحافة دار الحوار الآتي :

س ـ ما هي الملابسات التي ترافق الأزمة وتخلق هذا الجو ؟

ج ـ الخلاف على تفسير أمرين ، وهما ان كل واحد له وجهة نظر في تحديد السيادة . فاذا كان عندي بيت وعند آخر بيت ، انا ارى ان سيادة بيتي ان يبقى بابه مقفلاً ، وهو يرى ان سيادة بيته ان يبقى بابه مفتوحاً ، فلكل واحد اجتهاداته التي يعتقد انها تخدم سيادة وطنه .

س ـ الا تظن ان دعوتك لهذا الاجتماع الشعبي هو اعتراف بفشل النظام البرلماني ؟

ج ـ ليس للنظام البرلماني اية علاقة . فالمجلس في اجازة والمفروض في هذه الظروف ان نتداول المواقف مع الشعب .

س ـ ما رأيك في دعوة الشيخ بيار الجميل الى استفتاء شعبي ؟ .

ج ـ لا ارى الآن ضرورة ملحة توجب حل المجلس ، لكن لنفترض ان المجلس قد انحل فيجب ان تكون الانتخابات على اساس قضية النظام وان يكون برنامج كل مرشح قائماً على هذا الاساس .

س ـ هل أنت متفائل ؟

ج ـ لست متفائلاً بانتهاء الأزمة .

وقال رداً على سؤ ال ان « الفدائي يريد الحرية المطلقة في عمله ، وعندما اقول انه لا يقبل بتقييد عمله عبر خطة التنسيق فهذا شيء واقع . وقد يكون العمل الفدائي على حق ، لكن المواطن اللبناني عندما يستغل هذا الموقف بأي وجه من الوجوه فانما يشجع الفدائي على التطرف والمطالبة بالاكثر .

س ـ الا تعتقد ان التنافس على معركة السبعين قد فجر الأزمة ؟ .

ج ـ لا يمكنني ان اتصور ان هناك لبنانياً يريد تخريب بيته قبل الوصول اليه . فانتم تقولون انها ظروف معركة السبعين اما انا فلم اسمعها من أي سياسي .

س ـ من تعني باليسار ؟ .

ج ـ جميع الأحزاب المنحلة والممنوعة . وليس من الضروري ان اسمي كل تجمع مناهض لها بأنه تجمع طائفي . وواجب الدولة ان تمنع نشاط هذه الأحزاب نهائياً .

س ـ هل بهذه الطريقة تحارب الأفكار اليسارية ام لديك برنامج فكري وطني مقابل

ج ـ ليس من الضروري ان يكون هنالك برنامج فكري بل بتوافر حسن النية عند المواطنين ؟ .

س ـ ما الطريقة التي تراها مناسبة لمعالجة موضوع الفدائيين ؟ .

ج ـ عندنا جيش وظيفته الرسمية المحافظة على الكيان . فالعمل الفدائي عمل عسكري وهذا العمل يمكن تنسيقه مع المسؤولين لتحديد مدى فائدته ومدى ضرره .

واليوم اسرائيل تعرف ما هو موجود في البلاد العربية وفي لبنان ايضاً ، وتجربة الكرامة في الاردن دليل على ذلك ، فقد كانت اسرائيل تضرب بالطائرات تجمعات الفدائيين . اليوم اسرائيل تعرف أين تجمعات الفدائيين على الأرض اللبنانية ، لكنها لا تضربهم لأن استمرارهم بهذا الشكل يؤدي الى تخريب لبنان وانقسام اللبنانيين دون ان تقوم هي بأي جهد .

لكن في اللحظة الاخيرة الغى فرنجية المؤ تمر الشعبي . قيل ان الالغاء تم بناء لالحاح رئيس الجمهورية . وقيل أيضاً ان نائب زغرتا تعرض لضغوط هائلة من مختلف الشخصيات ومن مختلف المستويات . . . فألغى المؤ تمر .

القضـــاء

في الرابع والعشرين من تشرين الثاني1968 ، يوم افتتاح السنة القضائية الجديدة ، فجّر سليمان فرنجية قنبلة على الصفحة الأولى من « النهار » هزت قصر سن الفيل والسراي وحتى القضاء : « من وزير العدل السابق سليمان فرنجية الى رئيس الجمهورية . السياسة تدخلت باستمرار في سير القضاء حتى جمدته . والمستندات المصرفية تدين سياسيين كانوا يصفون الناس بـ « اكلة الجبنة » .

ماذا في الكتاب المفتوح الى الرئيس ؟ « انطباعاتي كمواطن ، وكرجل سياسة ، عهد اليه لفترة لا تتجاوز الاشهر الثلاثة ، بمسؤولية وزارة العدل » .

وماذا تضمنت انطباعات وزير العدل السابق ؟ .

قبل ذلك « احب منذ البدء ، ان أقول لكم انني لمست خلال هذه الفترة الوجيزة فعالية المبدأ الاساسي الذي تقوم عليه كل حياة ديموقراطية الا وهو : فصل السلطة التنفيذية عن السلطة القضائية » .

ثم ندخل في التفاصيل :

« في بلد صغير كلبنان ، حيث جرت العادة ان تقوم الحياة السياسية على خدمة الافراد اكثر من تعلقها بالمؤ سسات ، كان الاعتقاد السائد انه من الصعب ابقاء السلطة القضائية في معزل تام عن التدخل السياسي بمختلف وجوهه .

واود ان اعترف ، وفي الاعتراف بالخطأ فضيلة ، بأنني كرجل سياسة حاولت في مناسبة ماضية ، كنت انت شخصياً شاهداً عليها ، ان يكون لي تدخل في مساعدة قاض عين لمنصب اعلى ، وقفت في وجهه اعتبارات عدة منها كفاءته وحقه في الترقية .

كل هذا جعلني ازداد قناعة بضرورة عزل القضاء عن اي تدخل او ضغط سياسي .

وعندما عهدتم الي بوزارة العدل ، وجاءت الظروف تفرض اجراء تشكيلات قضائية من اجل تعيين ستة عشر قاضياً جديداً ، كانت فرصة ذهبية ، بالنسبة الى رجل السياسة الذي يتحرك في اطار الذهنية التي اشرت اليها . لكن كمسؤ ول عرفتم فيه انتم شخصياً انه يضع دائماً المصلحة العامة فوق مصالحه الخاصة ، أبيت على نفسي ان استفيد من هذا الظرف لخدمة مصالحي الشخصية . بل رأيتها مناسبة سانحة لاعمل بموجب قناعتي على ابعاد السياسة عن القضاء .

وفي زيارة المجاملة الأولى التي قام بها اعضاء مجلس القضاء الأعلى ، اعلنت لهم عن قراري بالتنازل عن صلاحياتي الدستورية في اجراء التشكيلات ، وعهدت بها اليهم ليقوموا بما يفرضه عليهم الواجب والضمير .

وكانت هذه هي المرة الأولى في تاريخ جمهوريتنا الفتية التي يتنازل فيها وزير بكامل رغبته ، عن حقه . غير اني لفت مجلس القضاء الأعلى الى انني لن اقبل ، بأي شكل من الأشكال ، ان تتدخل السياسة في هذه التشكيلات ، فتلقى المجلس القرار بابتهاج وقلق لضخامة المسؤ ولية الملقاة على عاتقه .

والتشكيلات ، كما تعلمون يا فخامة الرئيس ، هي من عمل الوزير المختص الذي يرسلها بعد اتمامها الى مجلس القضاء الأعلى للموافقة . وللمجلس الحق في اقتراح التعديلات عليها ، فاذا قبل الوزير المقترحات اصبحت التشكيلات نهائية ، واصبح توقيع رئيس مجلس الوزراء عليها مجرد اجراء تقليدي . اما اذا رفض الوزير مقترحات المجلس ، فتجمد التشكيلات عندها .

وقد تجنبت ، في وضع قراري ذاك ، عملية الموافقة الثنائية ، فأبلغت المجلس انني سوف اتبنى مشروعه للتشكيلات كاملاً دون ان ادخل عليه اي تعديل . وقد ساعدني على اتخاذ مثل هذا القرار السمعة الطيبة الممتازة التي تتمتع بها اغلبية المجلس ، والتقبل الرحب الذي تلقت به البلاد نبأ تعيين اعلى منصبين في المجلس . وان ما جئت اعرضه عليكم في هذا الكتاب المفتوح ، انما قد تم حرفياً ، ووقعت على مشروع تشكيلات المجلس دون اي تعديل .

وقد اثارت التشكيلات ، حتى قبل اعلانها ، الكثير من القلق في بعض الأوساط ، كما اثارت الكثير من التفسيرات السياسية مع انها تشكيلات ابعدت عنها التدخلات السياسية .

وقد تركز القلق على مصير بعض القضاة ، واحدهم هو القاضي الذي اشرت اليه في مطلع هذه الرسالة ، والذي تعرفون وضعه انتم شخصياً . اما الثاني فقد ورد اسمه في لائحة المدفوعات في سجلات عثر عليها التحقيق عند احد رجال المصارف الموقوف حالياً امام القضاء . وكان سبق لهذا القاضي ان حقق في حريق اندلع في مؤ سسة تخص المصرفي المذكور ، وذكر في تقريره ان الحريق جاء قضاء وقدراً مما مكن المؤ سسة من ان تقبض مبالغ ضخمة من شركة التأمين .

وكان كاذباً . فاعلنت ان على هذا القاضي ان يطالب باجراء تحقيق سريع ، حتى

اذا ثبتت براءته كان عليه ان يلاحق المصرفي بدعوى افتراء امام القضاء .

اما القضاة الآخرون ، الذين ثار حولهم القلق ، فاني اترك لفخامتكم ان تكوِّنوا فكرة عنهم من المحامين الذين يترافعون امامهم .

وعندما وصلت هذه التشكيلات الى رئيس مجلس الوزراء ليضع عليها توقيعه تجمدت عنده ، ولم يكن امامي عندئذ الا ان اتوجه اليكم في صبيحة يوم الثلثاء في 8 تشرين الأول ، وابلغكم عزمي على الاستقالة اذا لم تصدر التشكيلات في اليوم التالي .

لكن في اليوم التالي كانت استقالة الحكومة بأكملها . وفي مراحل تأليف وزارة « الثمانية » سألني عن موقفي من التشكيلات في حال اعادة تكليفي احدى الوزارات ، دون وزارة العدل بالذات ، فأكدت لفخامتكم ان موقفي لن يتغير ، في أية حكومة ، او في اي منصب وزاري ، وان الأفضل عدم اشراكي في الحكم . ومع ذلك رغبتم في ان اكون عضواً في وزارة « الثمانية » التي لم تدم .

يا فخامة الرئيس .

لا اريد ان تمر هذه المناسبة دون الاشارة الى موقف القضاء تجاه قضية المصارف . ويهمني ان اعلمكم ان السياسة تدخلت وتتدخل باستمرار في سير القضاء حتى جمدته .

فمنذ اربع سنوات انتهى التحقيق في قضية افلاس اول مصرف ، ولم يعين حتى الآن المرجع المختص للنظر في القضية .

وقبل وضع اليد على المصرفين الاخيرين كان المرجع الأعلى في الحكومة يحبذ اجراء تشكيلات قضائية ، الا انه عاد فتراجع عن رأيه بعد وضع اليد على المصرفين الاخيرين ، وبروز عوامل جديدة يرغب البعض في اخفائها .

وهذا يذكرنا بالمصرفي المعروف الذي رحل من البلاد حاملاً معه اغلب مستنداته ووثائقه ، عندما احس بخطر الافلاس . وما بقي من مستندات تبرز فضائحه اختفت في ليلة ظلماء .

اما المصرفي الآخر الذي يقف الآن امام القضاء فقد كان اقل ذكاء من زميله الأول ، فترك المستندات في مكانها لتقع بين يدي العدالة ، وهذه المستندات بفضائحها ، تدين العديد من السياسيين بعضهم كان يتهم الناس « بأكل الجبنة » .

ان هذه المستندات هي الان امام القضاء ، رغم كل محاولات الضغط لاخفائها ،

وليس من حقي ولا من حق اي انسان ان يبرزها قبل ان يقول القضاء كلمته .

وليس من حقي ولا من حق اي انسان ان يبرزها قبل ان يقول القضاء كلمته .

يا فخامة الرئيس .

قبل ان اختتم هذه الرسالة احب ان اذكر ان القضاة في لبنان ثلاث فئات :

فئة اولى ، وهي الاغلبية ، فانها فخر للبنان باخلاقها وكفاءتها .

فئة ثانية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً برجال السياسة تنفذ غاياتهم وتتكل عليهم لتتبوأ المراكز العليا .

وفئة ثالثة هي موضع شك اخلاقياً ومادياً . والتفتيش القضائي يعلم عنها الشيء الكثير ، لكنه لا يحرك ساكناً حفاظاً على حساسية مصطنعة وخوفاً من تحمل المسؤولية .

يا فخامة الرئيس .

ان كل هذه الحقائق تعرفونها ويعرفها كل مواطن في لبنان .

واننا نتوجه اليك ايها الحكم الأول وانت تفتتح السنة القضائية الجديدة بآمال كبيرة :

اننا نأمل ان يأتي اليوم الذي يصبح فيه المواطنون سواسية امام القضاء .

واننا نأمل ان يأتي اليوم الذي يكف فيه السياسيون عن التدخل بشؤون القضاء .

واننا نأمل ان يأتي اليوم الذي تستطيع فيه العدالة ان تأخذ مجراها بسرعة ، واستقلال ، وفعالية .

يا فخامة الرئيس .

عندما يقف اليوم امامكم اعضاء مجلس القضاء الأعلى ، في بدء السنة القضائية الجديدة ، انما يبدأونها بموقف حرج .

فلقد تبنوا هم انفسهم مشروع تشكيلات قضائية املته عليهم مصلحة العدالة ، واملاه عليهم ضميرهم المهني .

وهذه التشكيلات قد جمدت لاسباب شرحتها لكم .

فإذا اعيد اجراء تشكيلات جديدة ووافقوا عليها ، فمعنى ذلك احد امرين :

اما ان ضغطاً سابقاً رافق التشكيلات الأولى ، او ان ضغطاً لاحقاً رافق التشكيلات الثانية .

وفي كلا الحالين ننزِّه عن هذا الموقف اعلى مرجع قضائي .

يا فخامة الرئيس .

شكراً لكم حسن تقبلكم لهذه الرسالة المفتوحة ، التي املتها روح صافية ، مخلصة لهذا البلد ، الذي نريده نموذجاً في اخلاقيته ، وفي ازدهاره ، وفي ديموقراطيته ، ليكون موضع اعتزاز اولادنا والأجيال الناشئة » .

في اليوم التالي انتصب الميزان . فقد اثار كتاب وزير العدل السابق ضجة في الأوساط الرسمية وموجة من التساؤل والقلق في صفوف النواب النهجيين . كما أثار في قصر العدل جواً ملبداً بغيوم الاتهامات الخطيرة شبيهاً بالجو الذي خيم في فترة ما قبل التطهير .

ووصف المعارضون الكتاب المفتوح بأنه بمثابة دعوى اقامها وزير العدل السابق على « مجهولين » بتهمة التدخل في شؤون القضاء ، و« مجهولين » آخرين في قصر العدل بانهم ليسوا امرأة القيصر ، وان الدولة ملزمة بالتحقيق في هذه الدعوى لتحديد المسؤولية ونشر التحقيق ومعرفة « المجهولين » واعلان اوصافهم على الاقل .

ويومها قال الشيخ بيار الجميل ، بعدما قرأ « قرار الاتهام » الذي نشره وزير العدل السابق : « خطورة هذه الشهادة انها صادرة عن وزير سابق للعدلية . وخطورة القضية ان المتهمين هم بعض المسؤولين » .

السياسة الخارجية

ما هي الأسس التي تقوم عليها سياسة سليمان فرنجية عربياً ودولياً ؟ وكيف يرى علاقات لبنان على هذا الصعيد ؟ .

ينطلق نائب زغرتا في تحديد سياسته الخارجية من مبدأ صريح وواضح : حيث كرامة لبنان وسيادته ومصلحته وخير شعبه يجوز التعامل ويجوز التعاون بقلب مفتوح .

ثم يأتي دور الثقة بالنفس وبالآخرين . فالثقة هي شرط اساسي من شروط نجاح

الدول والشعوب ، ان لم تكن من اهم شروط البقاء والتطور .

وبالنسبة الى علاقاتنا بالدول العربية ، طبيعي ان تكون ودية واخوية ومبنية على اسس قوية هدفها الدائم التعاون لما فيه مصلحة لبنان والعرب والتفاهم على جميع الأمور والقضايا خصوصاً القضايا المصيرية .

وارى ان دور لبنان في هذه المرحلة الصعبة والخطيرة التي تجتازها المنطقة هو دور مزدوج : فعليه اولاً ان يتولى ، تلقائياً ، مهمة ايصال القضية الفلسطينية بوجهها السليم وصورتها الحقيقية الى الرأي العام العالمي ووضعه في جو هذه القضية المحقة . ثم عليه ثانياً ان يقوم بتنسيق سياسته الداخلية وتوحيد الصف الداخلي وتنقية الأجواء من جميع الملابسات والمحاذير التي تضع لبنان عندما يكون في مواجهة مشكلة كبرى امام الأزمات والمنزلقات الخطيرة .

وهنا اعتقد ان من واجب الدول العربية ان تتفهم وضع لبنان وان تحسس مشاكله والصعوبات الداخلية التي تعترض مسيرته ، وتساعده بما لها من طاقات مادية ومعنوية للخروج من هذه المآزق . وانصاف الوضع اللبناني هو في الواقع انصاف للعرب ولقضية فلسطين .

فعندما يتحرر لبنان من جميع العقد ومركبات النقص ، وتتوحد جبهته الداخلية يصبح بامكانه ان يقوم بدور لا يقل اهمية عن دور اقوى دولة عربية .

اما بالنسبة الى العلاقات الدولية ، فعلى لبنان الا يكون منحازاً الى دولة ضد اخرى او الى تيار ضد آخر . انما عليه ان يراعي جانب مصلحته في هذا المجال ، بحيث يمد يده الى الغرب والشرق بالحماس نفسه وبالثقة نفسها وعلى الاسس المعروفة ، من غير ان يتورط في الارتباط بتيارات سياسية ، شرقية كانت ام غربية .

وغني عن القول ان لبنان ، كان ولا يزال في طليعة الدول العربية منذ طرحت قضية فلسطين وكان صوتها المدوي في المنظمات والمحافل الدولية .

أقوال الخصوم

ماذا يقول الخصوم في صاحب شعار « وطني دائماً على حق » ؟ .

ربما يجدر السؤال عما اذا كان لسليمان فرنجية خصوم بالمعنى الشامل للخصومة ،

ثم من هم هؤلاء الخصوم ، ولماذا هم خصومه ؟ .

الواقع ان نائب زغرتا عرف ، منذ مطلع عهده بالسياسة ، كيف يختار اصدقاءه وكيف ينسجم مع نفسه وتفكيره ، فيترجم هذا الانسجام بمواقف واضحة وصريحة لا لبس فيها ولا غموض ، مما ساعده على تخطي شرك الاستدراج الى اقامة الحزازات والخصومات ، سواء في النطاق المحلي الضيق او على الصعيد السياسي العام داخلياً وعربياً ودولياً .

الا انه برغم ذلك ثمة من يقول ان لفرنجية خصوماً ، وان خصومتهم له على نوعين :

فالذين يرهبونه يعتقدون انه عنيف اذا غضب « وطلع خلقه » ، وعنيد لا يأخذ ولا يعطي اذا قرر امراً او اقدم على خطوة .

والذين يألفونه ويدعون معرفته يقولون انه يتسرع في اتخاذ القرارات والمواقف ، فينفعل بالأحداث ، مما يضطره في بعض الأحيان الى التريث ثم التردد فالتراجع .

ويذكر الخصوم ان أبا طوني اذا نرفز يهب كالبارود وتحسبه يكاد يعلن الحرب ، لكنه لا يلبث ان يهدأ ، خصوصاً اذا جوبه بشعار المصلحة الوطنية .

نقطة الضعف عند فرنجية هي الوطن : السيادة والسلامة والكرامة . والوطن في ميزانه ليس مجرد ارض وحدود ومؤسسات ، بل هو شعب همام ميزته الرجولة والفروسية ، لا النوم على الضيم .

امام المصلحة العليا ، والمصلحة الوطنية ، ومصلحة الشعب ، يصبح الأسد الزغرتاوي كالنعجة اذا كانت الاسدنة تضر ، ويصبح بهمة جيش كامل اذا دعا الداعي ونقر الخطر على الابواب .

للخصوم مأخذ آخر يسجلونه على سليمان بك : « جيش التحرير الزغرتاوي » والاذاعة التي اقامها في زغرتا .

مأخذ ؟ .

يقول الخصوم : هذه ظاهرة خطرة . دولة ضمن الدولة ، ودولة باذاعة ايضاً .

اصدقاء فرنجية يتساءلون بدورهم عن سبب الاستغراب والدهشة : أين العجب

العجاب في الأمر ؟ كل لبنان ميليشيات . على الأقل ، ميليشيا سليمان بك هي للدفاع عن لبنان وليست ضده . على الاقل أيضاً ، هي ميليشيا لبنانية .

والحديث عن سليمان فرنجية ، من زاوية الخصوم ، لا يقتصر على ناحية الشجاعة والقبضنة . فهناك امر لا يختلف عليه اثنان ، وهو ان الرجل يتحلى بالاستقامة ونظافة اليد .

بطاقة هوية

ولد سليمان فرنجية سنة1910 (اهدن) .

الشقيق الثاني ، والوحيد ، لحميد فرنجية .

متزوج . له خمسة أولاد : صبيان وثلاث بنات .

انتخب نائباً ، للمرة الأولى ، سنة1960 ثم اعيد انتخابه سنة1964 و1968 .

دخل الوزارة من باب البرق والبريد والهاتف سنة1960 .

عين وزيراً للزراعة والبرق والبريد سنة 1961 . سنة1968 عين وزيراً للداخلية في وزارة الانتخابات ، ثم وزيراً للعدل والاقتصاد والاشغال العامة . وفي الوزارة الاخيرة عين وزيراً للاقتصاد فلم يتسلم وزارته بانتظار تنفيذ المطالب الواردة في مذكرة وقعها مع الرئيسين صائب سلام وكامل الاسعد ، ثم عاد فتسلمها .

يطالع كثيراً .
يحب الصيد .
يهوى طاولة الزهر .
ينام باكراً وينهض باكراً .
هادىء المزاج . واذا نرفز يهب كالعاصفة .
يحب اللون الرمادي .
منفتح على الناس والصداقات ويرتاح الى مجالسة الظرفاء .
شعاره « الشعور مع الناس » .

ولبنانه اذا صار رئيساً للجمهورية هو « لبنان كل اللبنانيين الأوادم الذين لا يستغلون وظائفهم ، والذين لا يتسلطون على الناس ويعبئون صناديقهم على حساب الدولة ومن اكياس الناس » .

متفائل دائماً .

عاطفي . يستشير ويسأل ويسمع الآراء ثم يتخذ موقفه .

شارل حلو

« وَيْن ما راح . . الياس معه » .

« الياس » هنا تعني الياس سركيس ، ولي العهد الذي جاء شارل حلو الى الرئاسة تمهيداً له اذا تعذَّرت عودة الرئيس شهاب . والهاء ، الضمير المتصل في « معه » عائدة الى الرئيس شارل حلو .

شالو حلو ؟ .

من أين يبدأ من يحاول ان يدوِّن ملاحظة أو يكوِّن رأياً ؟ .

فعهده لم يكن عهده . أصر الشهابيّون على مشاركته ، وأحياناً أخذوا عنه ومنه المبادرة والقرار . لذا ، كان هو نفسه يخشى الا ينصفه الذين سيفتحون الملفات والأبواب المغلقة .

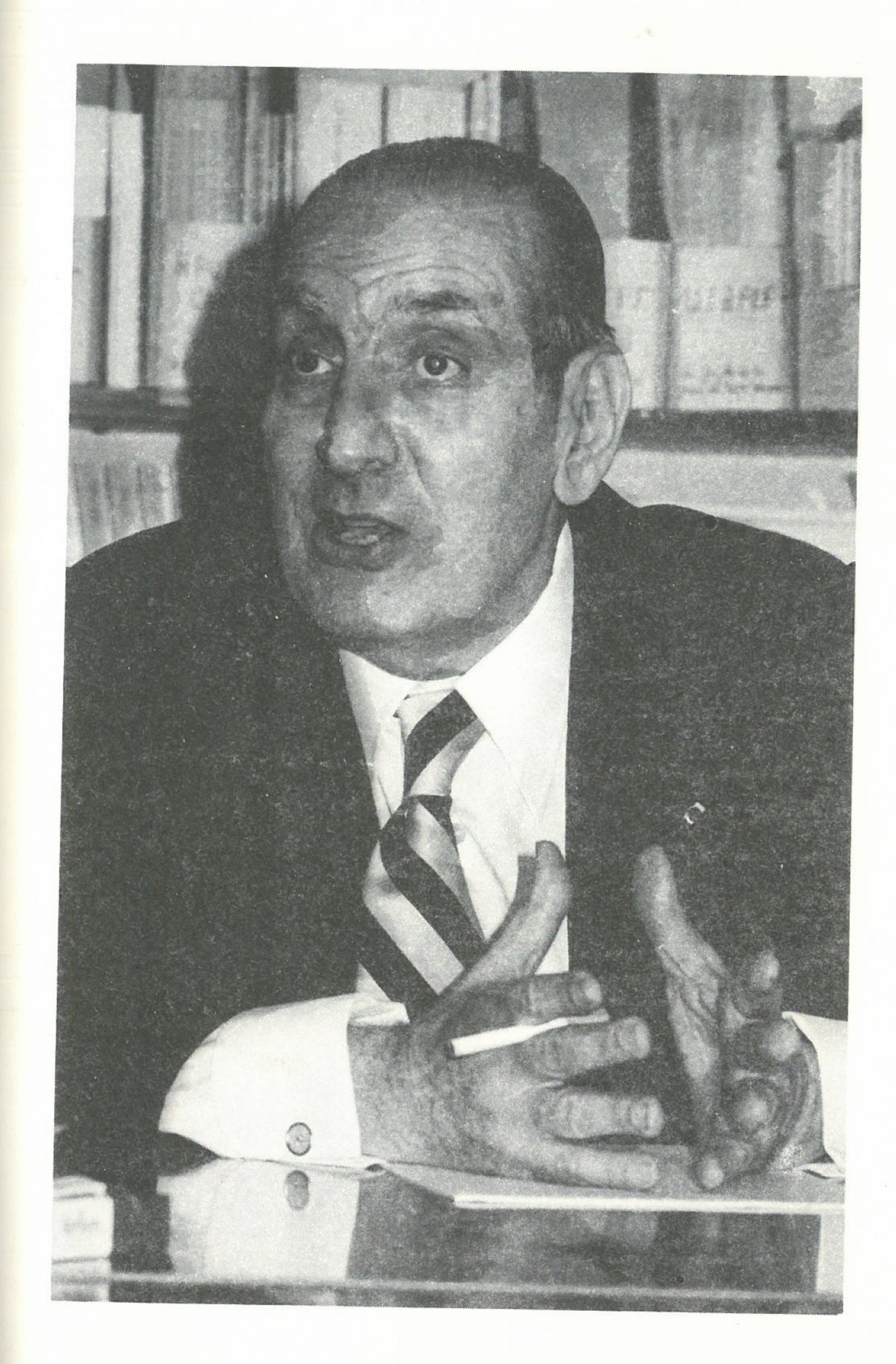
البعض سمَّى عهدَه عهد الماء .

آخرون قالوا ان عهد شارل حلو ما هو الا استراحة للمحارب الشهابي ، أفإما ان يهيء لعودة الشهابي الأول ، او يؤمن وصول الابن المدلَّل للنهج ، الياس سركيس ، الذي يتولى توضيب البيت وترتيب الظروف الملائمة للعودة المظفَّرة .

بقي حائراً ، بين شهابية أتت به غير مقتنع بنهجها ومعارضة حلفيَّة غير قادر على المغامرة معها والانتقال الى مركبها .

كثير الذكاء ، شارل حلو ، صحيح . لكنه كثير التردُّد ، كثير الاتكال على فاعلية القوى الخارجية وتأثيرها التي ندعوها اليوم « الناخبين الكبار » .

حسبه ان عهده كان عهد الحريات ، عهد ازدهار الحرية ، ولو على حساب الأمن والاستقرار .



الحكم بالكلمة وقوة الضعف

سيكون الحكم ـ شرعياً ، هذه المرة ، للمرة الأولى ـ شراكة بين رئيسين . بين الرئيسين .

قبل اليوم ـ تلك هي حقيقة العهد وسره الكبير . . .

قبل اليوم ، كان الحكم نزاعاً بين رئيسين . بين الرئيسين . والـ « الـ » هنا ، بالطبع ، للتعريف ، اذا ثمة من لا يعرف !!!

تلك هي حقيقة العهد وسره الكبير ؟ .

الحقيقة المريرة للعهد الحلو ؟ .

بل ذلك هو تاريخه ، عبر ست سنوات .

* * *

حبذا لو كان في وسع المؤرّخ ان يؤرخ من النهاية الى البداية . بالمقلوب .

ذلك ان عهد الرئيس شارل حلو كان يجب ان يبدأ من حيث انتهى . ان تكون سنته السادسة هي الأولى .

لأنه ـ يا ما امرّ الحقيقة ـ انتهى حيث بدأ . . .

يعذرنا التاريخ . لسنا نؤرّخ .

سنبدأ من النهاية ، ولو لأنها الأحلى .

1969 — 1970

حلو القمم وقمة الحلاوة

أصغرهم يبدو اكبرهم .
مغفورة خطاياه . مقبولة اعذاره .
يحاربون فلا يحارب .
يهادنون فلا يهادن .
يواجه ولا يواجه .
يساند ولا يساند .
البلد صغير والرجل كبير .

يتكلم باسمهم ، والكلمة للرصاص ، ولا رصاص عنده .

رجعي بين الثوريين ، ولا يثورون عليه . يقربونه وهم يتنابذون .

يتسابقون على بغض بعضهم البعض ، ويتسابقون ، في الوقت ذاته ، على حبه دون سواه .

كان يجب ان يمزقوه ، ان يأكلوا لحمه ، ان ينهشوه ، ان يحطموا عظامه .

واذا بهم يحافظون عليه اكثر مما يحافظ هو على نفسه ، وكأنه لهم بمثابة بؤبؤ العين وحشيشة القلب .

ولماذا ؟ .

لأن البلد صغير ؟ لأن الرجل كبير ؟ .

لأن الرجل الكبير جعل بلده بحجمه ، واستل من الكلمة سلطة ، وجعل الضعف قوة .

ثم جعل للبلد دوراً غير بقية الأدوار ، ونشد له قوة غير القوى ، واستلفَّه بمحبات تحصَّن بها ، وبدأ ينتعش منها ، حتى يتمكن بعد ذلك من الانطلاق في سبيل نفسه وسواه .

. . . وينتهي العهد ، وهو في القمة .

1968 — 1969

السقف والقاعدة

لو اصطدم النظام اللبناني بالثورة الفلسطينية بعدما كان قد اقتطع لنفسه مركزاً على القمة العربية ، ماذا كان حدث ؟ .

هل كان سيق الى الاعتراف بالشرعية الفلسطينية على اراضيه ؟ .

هل كان ينقسم على نفسه او يكاد ؟ .

هل كان يتنازل عن جزء من اراضيه للفدائيين ، وكأنه يتبرأ من الأرض ، ويرفع عنه ، وعنها ، عتب المطالبين ؟ .

. . . ثم يهيىء للعدو استحلال هذه الأرض ، ان لم يكن اليوم فغدا ، ان لم تكن السنة ، فالمقبلة . . . حتى تضيع سيادته عليها ليتقاسمها الذين اعطاهم اياها والذين استدرجهم الآخذون ؟ .

أكيداً ، كلا !

كان يكون لبنان بلا مركَّبات نقص .

لم يكن ليحتاج الى رسالة من الرئيس حتى يعلن انه لن يسلم بالأمر الواقع .

وكان « الأمر » اما ان لا يقع ، او يقع بارادة لبنان ، كل لبنان ، وفي حدود السيادة التي لا حاجة لها الى تكريس حتى تقوم !

كانت تكون لسياسته الفلسطينية قاعدة .

وكان يكون له سقف .

بلا سقف ، دخله الاسرائيليون من السماء . ثم وجدوا ان لا حيطان لبيته ، فلم يحتاجوا حتى لخلع الباب ولا حتى النافذة ليدخلوا . . . ولو طرقوا الباب ، لما سمعوا جواباً .

لو كانت هذه السنة بعد تلك ، بدل ان تكون قبلها ، لكان اللبنانيون ادركوا ، بفعل قيادة الرئيس ، ان انتساب لبنان الى القضية الفلسطينية انتساباً عضوياً طبيعياً هو مصدر قوة للبنان ، ولو كان شركاؤه في القضية ضعافاً .

كان عرف انه لا بد في حرب .

وأنه اخطأ حين انتظر ، في الماضي ، من الفلسطينيين ان يظلوا لاجئين فلسطينيين - ساعة كان طموحهم ان يتلبننوا . . . وانه اخطأ حين انكر عليهم ، في الحاضر ، ان يتحولوا من لاجئين فلسطينيين الى شعب فلسطيني ، فيتصرفون كشيء آخر غير اللبنانيين ، مصالحه غير مصالحهم ومنطقه غير منطقهم .

ولأن العهد كان قد بدأ بالمقلوب ، دخل الحرب من آخرها ، وتحسَّب لها بعد وقوعها ، وأدرك ان لا بد منها ، انما بعدما كانت قد حدثت وهو لا يزال يظنها مستحيلة ولا ينتظرها .

حاربه العدو ، فلم يصدِّق ، فحارب بعضه بعضاً ، لأنه ظن الحرب حيث لم تكن ، ولم يكن قد أدرك بعد أين ستكون الحرب . . . ولا أين ، وكيف ، يستحق السلم - السلم الخارجي ، والسلم الداخلي .

1967 — 1968

النكسة بلا حرب

لو كان الجيش اللبناني قد حارب اسرائيل ، الى جانب سائر الجيوش العربية ، وانهزم مثلها ، او اقل او اكثر . . .

لما كان اللبنانيون حاربوا العسكر .

ولما كان العسكر حارب اللبنانيين ، او شارك في حربهم مع بعضهم البعض ، او تسبب بهذه الحرب !

ولو كان رئيس الجمهورية قائد الجيش الأعلى بالفعل ، لكان الجيش استمد منه ما يرفعه فوق الحزبيات والانقسامات ، بدل ان ينزل به الى صميمها ، فاذا بالجيش يحارب الرئيس حيناً ، واذا بالرئيس يحارب عن الجيش حيناً آخر . . .

وينتهي الأمر بانتصارين وهزيمة :

انتصار الناس على العسكر ،

وانتصار العسكر على الناس .

وانهزام الرئيس امام الناس والعسكر .

ثم يتفق الفريقان على وقف اطلاق النار بأغرب وساطة : استقالة رئيس الجمهورية ثم الاتفاق على اجباره للرجوع ، لأن ليس من فريق يريد الانتصار على فريق ، او هو قادر على مثل هذا الانتصار .

ولو كان الرئيس قبل الاستقالة هو الذي اصبح بعد الاستقالة لما كان استقال .

ولما كانت حرب العسكر والناس وقعت .

ولكانت الانتخابات النيابية انتخابات نيابية ، بدل ان تكون حرباً .

ولكانت النتائج تقاس بالأصوات ، بدل ان تعتبر « نكسة » واحتلالاً !

ولانبثقت اذ ذاك من الاكثرية حكومة ، بدل ان يحل محل الحكومة مجلس امن . . .

ولما انتقلت الديموقراطية الى الشارع ، فاذا بالثورة تحل محل المعارضة ، واذا بالنزاع على الحكم يستحيل نزاعاً على الحياة بين جيلين !

والرئيس لا يريد ان يموت مع القديم ، ولا ان ينقهر مع الجديد .

فيقيم مكان الحكم حكم اللاحكم !

1966 — 1967

ثــورة الثــورة

كان العهد بلا حكم ، لأن الرئيس كان بلا مرجع .

ليس من هو فوقه ، يرشده ، او يأمره .

وليس من هو خلفه يفزع اليه .

وليس من هو تحته يستند اليه .

وحيداً كان الرئيس ، في عزلة . كان يتمنى لو كان في وسعه ان يملأ فراغ العزلة والوحدة بما ومن يخفف الوطأة ويشارك في الأوزار .

ثم لعله كان يتمنى لو كان في وسع الناس ، وهي لا تفزع اليه ، ان ترجع الى سواه ، شاكية فمستلهمة ، حتى يفيد هو من الهامها .

وتتكاثر الأزمات وتتعاظم .

فيجمّع الرئيس حوله الناس . من يجد . من له ومن عليه .

يسأل ، يحاكي ، يتصنّع الحوار ، يكثر السـؤال .

يظن ، او هو يصوّر للناس انه يظن ان الأزمات تحل بالقوانين ، بالقرارات ، بالمراسيم ، بساعات الاجتماعات والمداولات الطويلة .

الوضع المالي ينهار ، والحكم لم يكن يعرف كيف كان هذا الوضع المالي قائماً ، ولماذا لم ينهر من قبل .

تتكشف الخبايا ، فإذا بالعهد يفاجأ بها ، لا يعرف اذا كانت عورات يجب ان يسترها ، او جرائم يجب ان يعاقب عنها ، اومسؤوليات يجب ان يتحملها .

يتقلّص لبنان ، فنظنه كان منتفخاً يجب تفريغه من السموم .

نظن صحته انْ يكون نحيلاً .
يبرد ، فنلبسه كلاماً وشرائع .
يجوع ، فنطعمه تقشفاً .
يصرخ ، فنناديه بدل ان نسمعه .

ينزف ثروته ورجاله دماً ، فنعجب كيف لا يزال يعيش .

ونهلل لأنه لم يمت ، ولا ثار على الحياة بعد .

وننتظر له ، مع ذلك ، اكبر المعارك ، اولى حروب تاريخنا ، ونفترض ان انتظارنا لها هو التحسب الكافي .

وان حسبنا اننا نعرف انها واقعة حتى نتمكن من مواجهتها ، ولو فوضى ، فقراء ، ثائرين ، منقسمين ، نأكل الحكم وبعضنا بعضاً ، والحكم يأكلنا ، مغانم واسلاباً .

1965 — 1966

الاصلاح من تحت

لو كان الرئيس اختبر الشرائع قبل الادارة ، هل كان يظن ان الاصلاح اداري ؟

كان يجب ان يختبر السياسة اولاً ، كما بعد عامين . . .

ثم الشرائع . . . ثم الادارة .

اذا ذاك ، كان وفّر على نفسه والبلاد الاصلاح الذي لم يصلح شيئاً .

وربما كان اختار المطهِّرين ، قبل ان يتوسل الفساد للتطهير .

ولكنه اراد ـ هذه السنة ـ ان يثبت حكمه حيث يتمكّن .

حيث كان في متناوله ان يريد ، فيكون ما يريد ، ولا يكون ما لا يريد .

في النهاية ، كان ما لا يريد ، وما اراده لم يكن .

ورغم ذلك ، هلّل الناس .
ظنوا ان الدنيا من تحت .

تسلّطت الأضواء من فوق الى تحت ، فتكاثفت الظلمة فوق ، فاختبأ كل شيء كبير في الظلمة .

ولم يعد يرى احد الا الذي تحت .
وأصبحت الصغائر كبائر .
وبدا الصغار كباراً .
والكبار اختفوا . هربوا من البصائر .
وأخذوا معهم الضمائر .
ومضى الناس يلعبون لعبة الرؤوس .
افتدت الرؤوس الصغيرة الرأس الكبير .
ولم يعد ثمة رأس يكبِّر رأسه .

1964 — 1965

الحكم بالوكالة

الرأس لم يكن الرئيس .

الرجل الذي انتصر بالاصلاح لم يكن المنتصر .

والمنتصرون ، يوم تسلم الحكم ، لم يكونوا المنتصرين .

قيل ان العهد كان أمانة .

وقيل أنه وكالة . حكم بالواسطة .

وقيل أنه انتصار صغير اكتفى به من لم يتيسَّر لهم الانتصار الكامل الكبير .

وفي الحقيقة ان الرجل الذي انتخبه مجلس النواب ، بديلاً عمن لم يجدد له ، كان يجب ان يعتبر انتخابه انتصاراً على التجديد .

فخاف هو من الانتصار .

وخاف المنتصرون الحقيقيون من خوفه ، فتركوه اسيراً .

اسير الماضي الذي لم يتمكن من الاستمرار بنفسه ، فأراد الاستمرار عبر استرهان بديله .

انطلق العهد من سوء التفاهم الكبير .

رجل اكبر من الدور الصغير الذي اراده له هؤلاء وأولئك في آن معاً : هؤلاء لأنهم يريدون الا يكون كبيراً سواهم ، واولئك لأنهم لا يصدِّقون ان سواهم يمكن ان يكون كبيراً .

وظن الرجل ان القناعة يمكن ان تكون قوة .

الكلمة قوة ، وقد توسلها .

ولكنه ارادها ان تكون ، هي الأخرى ، وكالة . في حين انها حرية .

كدنا ننسى انه بدأ عهده ، قبل عهده ، بالقمة .

حتى القمة ، التي كان وحده يقدر على تسلقها ، ارادوا له ان يتسلقها نيابة عن سواه .

لو بدأ عهده من حيث انتهى ، لكانت القمة التي بدأ منها عالية عالية .

ولكان العهد قفزات على القمم ، من طموح الى طموح .

بدل ان يكون نزهة في الوديان ، يتفيأ القمة ، الى أن ضاق صدره ، فصعد اليها مرة واحدة ، وتنفس ، تنشَّق الهواء الحر .

وكانت المرة الاخيرة .

ليتها كانت الأولى .

غسان تويني

نشر هذا المقال في ملف النهار الأحد 2 آب 1970 .

عهد الكاريكاتور

يحيِّر شارل حلو . يحير ويثير الدهشة . حتى الذين كانوا حوله ، في السنوات الست ، كانوا حائرين . ينامون على ملامح معينة لصورة معينة ويفيقون من وهلة النوم ليجدوا ان الصورة قد طارت وامحت الملامح .

كأنه فصل من رواية جذابة ضاعت بدايتها ، بينا غرقت نهايتها في لجج الالتباس وسوء الفهم .

بعضهم يقول : ما ظُلم رجل كما ظلم شارل حلو .

والبعض الآخر يستغرب ، ويتساءل لماذا الظلم والرجل كان القضاء والقدر . بكلمة يحيي وبكلمة يميت . لكنه كان يفضل الكلام الذي لا يحيي ولا يميت .

كلام حلو .

وكلام يدعو للاعجاب بقائله .

وكلام كان يكون رائعاً لو كان قائله من المتفرجين على لعبة الحياة والموت . . . لكن قائله رجل من صميم اللعبة : الحاكم . السلطان .

من أين تبدأ محاولة التقييم ؟ .

اصدقاؤه بدأوا من النهاية ، من نهاية عهده . قالوا : بدأ حيث انتهى . كانت سنته السادسة هي سنته الأولى . وربما الأيام الاخيرة من السنة السادسة .

الناس العاديون ، الذين اوجعهم عهد شارل حلو ، لم يحاولوا ان ينصفوا هذا العهد . اعتبروه مرحلة صعبة ومرَّت . رحلة فرض عليهم القيام بها . . . وانتهت الرحلة . بعد التعب يصرخ الواحد منا ألماً . يقول « آخ » . الناس العاديون صرخوا بعد انتهاء عهد حلو : « خي » .

لكنه برغم ذلك يظل يغري بالتأمل .

مثل الزئبق ، لا تستطيع ان تمسكه .

ومثل السراب ، تراه من بعيد فيبهرك . يجذبك اليه ، وبعد الضنى والعذاب تكتشف الحقيقة : سراب .

قيل عن شارل حلو الكثير .

بعضهم يراه فلتة ذكاء . رجلاً مثقفاً . رجل دولة . خطيباً .

انما حتى هذا البعض يكتشف فيه عللاً خطيرة أخفها وأقلها خطرا التردد . الاحجام . عنده الجرأة على قول كل شيء غير انه يخاف ان يفعل شيئاً . فيبقى متمسكاً بسلاح الكلام الحلو يقدم عليه في وقت الشدة وفي الأيام العصيبة ، التي كانت مناسباتها كثيرة في عهده .

يتعذَّب من يحاول ان يكتب عن عهد شارل حلو . ويتعذب اكثر اذا اراد ان ينصف صاحب هذا العهد او يبحث له عن اعذار واسباب تخفيفية . فالرجل كان رئيساً للجمهورية ، لكن بعض الحكم والسلطان لم يكن في يده ، والانكى انه كان في ايدي موظفين صغار .

وبرغم الأصوات والاستغاثات التي كان الناس يرسلونها الى قصر سن الفيل ، ثم قصر بعبدا ، فان الموظفين الصغار استمروا يحكمون ، بينما الحاكم الكبير يتلهى . . . بالخطابات .

كل الذي قاله شارل حلو جميل ، مثير للاعجاب وعشرة على عشرة ، بل مئة على مئة .

كل الرسالات ، كل الخطابات ، كل النداءات التي كتبها وألقاها جميلة وتثير الاعجاب وعشرة على عشرة ، بل مئة على مئة .

انما كان يقول كثيراً ويخطب كثيراً ولا يفعل الا الشيء القليل الذي هو الحكم .

بعضهم قال : ليته لم يكن يعرف الخطابة ولا حتى القراءة والكتابة . ليته كان يعرف ، فقط ، كيف يكون حاكماً من انتخب بالاجماع رئيساً للجمهورية اللبنانية ، وكيف يمنع من يشغل منصب رئيس جمهورية كابورالا عادياً من تنصيب نفسه قيِّماً على حياة الناس وحرياتهم ولقمة عيشهم ؟ .

يوم جاء الى الحكم حرقوا له البخور .
كادوا يحرقون اصابعهم ابتهاجاً .

قال الناس في سرهم : جاء المخلص ، سنخرج من السجن .

وكم كان طريفاً ومرعباً ، في آن معاً ، ان الذين فرحوا به وهللوا له ادخلوا السجون واحداً واحداً . . . لأنهم فرحوا بمجيء شارل حلو . ولأنهم ، وبالتالي ، ظنوا وبعض

الظن اثم ان حكم الكابورالية انتهى . . .

والطريف اكثر والمرعب اكثر ان حلو في آخر ايام ولايته (اذ لم يكن له عهد خاص به) جلس يشكو من الكابورالية . صار يستدعي بعض الصحافيين والسياسيين ليفش خلقه امامهم ، ليبق البحصة بالسر ، كأنه لاجىء سياسي في جزيرة منقطعة عن العالم . صار يندم ويبحث في اعين جلسائه وقسمات وجوههم عن الاعذار ، لأنه لم يكن يستطيع ان يحكم . ما كانوا يتركونه يحكم ، كأنه موظف عندهم ، وليسوا هم موظفين صغاراً في دولة لها قوانينها ونظامها ودستورها ورئيسها . . .

ما اقدم على خطوة الا بعد تردد . غير انه ، فوق التردد ، لا يلبث ان يندم . فيتراجع وتقع الكارثة . وما اكثر الكوارث التي وقعت في لبنان خلال ولايته .

قد لا يكون هو المسؤول او المسبِّب لكل ما حدث ، لكنه لم يحاول ان يمنع حدوث ما حدث .

في ليلة تخلٍ قرر ان يصلح الادارة . جن بالاصلاح . استبشر الناس خيراً . عال . اصلاح ؟ يا مرحبا . انما كانت النتيجة ان الفاسدين الحقيقيين والمفسدين سادوا اكثر وتعززوا واعطوا صلاحيات اوسع ومنحوا اوسمة ، بينما دفع ثمن لحظة التخلي تلك نفر من المعتَّرين الذين لم يكن الكابورالية راضين عنهم ، ووجدوا فرصة ذهبية ان يثأروا منهم في عهد يحمل اسم شارل حلو . . .

وفي آخر أيام ولايته اعترف امام الصحافيين بأن الاصلاح لم يحقق اغراضه وان بعض الاخطاء قد وقعت .

وهكذا بالنسبة الى مجزرة المصارف ، ابتداء ببنك انترا .

وهكذا بالنسبة الى قضية الجنوب ، وقضية العمل الفدائي ، واتفاق القاهرة ، ورسالة رفض الأمر الواقع .

وهكذا بالنسبة الى أزمة الأزمات التي بقيت سبعة اشهر . الرئيس المستقيل المكلف المعتذر طالع الى القصر نازل منه ورب القصر ليست فارقة معه . هربت الأموال ، هرب الناس ، كاد لبنان يهرب ، لكن الطلوع والنزول استمر حتى تأمنت رئاسة المجلس لصبري حماده .

أصدقاء شارل حلو يقولون : لو مرت تلك الأزمة على رئيس غير شارل حلو لقامت

القيامة . كانت الدنيا طربقت على بعضها . يا ساتر .

الناس العاديون لا يتوقفون عند هذا الرأي ويعتبرون ان اي رئيس للجمهورية ما كان ليرضى ان تبقى جمهوريته سبعة اشهر سائبة .

حتى استقالته عملها ليندم ويتراجع عنها .

ماذا يقال عن الاستقالة ؟ ليس اقل ما يقال عن صاحبها . ليس اكثر .

وحده الكاريكاتور ازدهر في عهد شارل حلو .

أزمـة الأزمـات

اذا كان من الصعب اعطاء عهد شارل حلو هوية خاصة وسمات واضحة يتميز بها ، فانه يكون من الصعب جداً المرور بولاية الرئيس حلو دون التوقف طويلاً عند ازمة الأزمات ، التي فرّغت عهد الازدواجية حتى من وهم الأمل . سبعة اشهر وبعض الشهر والبلاد فالتة ، بلا حكومة ، والحوادث قائمة من فج وعميق . رئيس الجمهورية لا يكلّف من يؤلف الحكومة الجديدة ، ورئيس الحكومة المستقيلة ، بعدما كلف اثر الاستقالة لا يشكل الحكومة ، ثم لا يلبث ان يعتذر ، ثم لا يلبث ان يكلفه الرئيس مجدداً ، ثم لا يلبث ان يعتذر مجدداً . وبين الطلوع الى قصر بعبدا والنزول منه ، كان الرئيس المستقيل المكلّف ثم المعتذر ثم المكلف يدلي بالتصريح تلو التصريح ليقول كلمات تعني كل شيء ولا تعني شيئاً .

تكبر المأساة وتكبر مساحة القلق فيزداد الناس سخطاً على العهد الذي وصف بعهد الماء ، لكن من غير ان يتحول السخط الى مجرى عملي ، او يتخذ لنفسه اسلوب الانفجار . حوادث ومشاكل وفزع وازمة اقتصادية وجمود في كل مكان . برغم ذلك بقي الرئيس حلو يستقبل الرئيس كرامي يوماً بعد يوم واحياناً يستقبله مرتين في اليوم ، وفي ايام يتعشيان معاً ويتندران بالطرائف ويتبادلان النكات ، بينما الصحافيون مصلوبون على باب القصر ، والناس مصلوبون على شاشة التلفزيون بانتظار خروج الرئيس المستقيل المكلّف المعتذر والاستماع الى اسطوانته : يوم للخطة ، ويوم للصورة ، ويوم لتذليل العقابات ، ويوم لتدارس الأوضاع ، ويوم لافتعال ازمة جديدة .

ربما يكون من الضروري ، انصافاً لعهد حلو او ظلماً له ، تسجيل وقائع ازمة الأزمات عبر عناوين « النهار » طول تلك الاشهر السبعة . ابتداء من **21 نيسان** حتى

الانفجار الكبير في تشرين الدم والعصيان .

الا انه ، قبل ان تنفجر الأزمة الخطيرة في محلة الحرج ـ الطريق الجديدة وفي صيدا وصور وبر الياس ، ويسيل الدم على الأرض ، كانت بادئة في الانفجار على صعيد آخر . كانت هناك الاضرابات من كل صوب : « معلمو المدارس الرسمية ينفذون اضرابهم وقد يلحقهم المعلمون الخصوصيون ، وموظفو الضمان يستمرون في الاضراب ، وعمال البحر يؤجلون اضرابهم حتى الاربعاء ، ومعتصمو ليا يعلقون الصيام ويواصلون الاضراب » . ثم بوادر اضرابات جديدة .

شيء مثل الكذب ، لا يصدَّق .

والعهد يتأمل في صور الأزمات المتلاحقة كأنها تأتيه من بعيد عبر البريد العادي .

سياسياً ، ماذا كان ؟ .

الهمس بازدواجية العهد اصبح جهراً . والذين كانوا يقولون في السر ان شارل حلو لم يستلم بعد صاروا يقولون في المقاهي وعلى الأرصفة ان حلو لن يستلم وسيبقى اسير المحبسين .

الى ذلك ، « المعارضة تفجّر القضايا الخطيرة قبل انتهاء دورة آذار ، والمقامات الشهابية تسعى الى جمع شتات الجبهة الديموقراطية استعداداً لجلسة مناقشة تبقى بعدها الحكومة حتى خريف 1970 » .

على هامش هذه التطورات ، كانت المعارضة تتهم الشهابيين بأنهم يستعدون لتفجير الوضع تمهيداً لاستلام الحكم من الذي لم يستلمه ، لفترة انتقالية ، ثم تهيئة الأجواء لعودة « المخلِّص » كما كانوا يسمونه في مقالات الدكتيلو التي توزَّع على الصحف .

ثم حدث شيء ، والمخيلة الصافية أضافت لغة الخطورة الى الذي حدث .

حدث فجأة وحارت العقول في تفسيره . بعض العقول لم تطرقها الحيرة لأنها كانت عارفة ، وبعضها الآخر كان الذي حدث من صنعه . لكن ، في المنحى الثاني من الافتراض بقي مستحيلاً على الناس العاديين الامساك بالخيوط الرفيعة على الاقل ، ثم كرَّت السبحة وتفرفطت حباتها :

ليل **21 نيسان** 1969 صدر « بيان عنيف يتهم النظام الرجعي في لبنان بوضع

الفدائيين بين فكي كماشة . الهيئات اليسارية توجّه الدعوة الى التظاهر . الحكومة في المأزق : المنع فالأزمة او السماح فالعاصفة » .

العهد ؟
رئيس العهد ؟
القلقون ؟

لم يبدر ما ينبىء عن ان الرئيس حلو فوجىء او دُهش . بقي كل شيء يشبه كل شيء ، كما لو ان المأساة مجرد حلم وعبَر .

ليل 22 نيسان تغيَّرت ملامح الصورة . لم تعد قاتمة جداً . فقد « أثمرت محاولات الاقناع واعطى السيد كمال جنبلاط واصدقاؤه وعدا بعدم الخروج في مسيرة » برغم البيان العنيف الذي صدر في اليوم السابق « استنكاراً للتضييق على العمل الفدائي » .

ما كتب قد كتب

كانت عناوين « النهار » في الصفحة الأولى في العدد الصادر صباح 23 نيسان : « لا تظاهرات في بيروت بل اضراب طلاب . الجنوب متوتر والخوف من اصطدامات في مخيمات صيدا وصور » .

في العدد ذاته ، وفي مكان الافتتاحية ، كان مقال كتبه كمال جنبلاط في جريدة « المحرر » ، يحتل مساحة عمودين . وكان عنوانه : « في معرض تأييده لمشروع الملك حسين ، جنبلاط يدعو للخلاص من الذهنية المتخلفة » .

لكن الذي كتب كان قد كتب ووقع المقدّر . فالاصطدامات لم تقتصر على مخيمات صيدا وصور بل امتدت الى المنطقة الغربية في بيروت . اذ لم تكن الساعة قد جاوزت العاشرة من صباح الاربعاء حتى كان الدم قد نزل في صيدا فتهيجت محلة الطريق الجديدة وفرقع الرصاص واختلط الحابل بالنابل وانسم البلد وتكهرب كل شيء .

صباح الخميس ،24 نيسان ، كان يختلف تماماً عن صباح الاربعاء . فقد صدرت « النهار » ومساحات بيضاء تفرض طابعاً مميزاً في الصفحة الأولى والصفحات الداخلية .

ماذا حدث ؟

لو أراد احد المعمِّرين ان يخبر حفيداً له ، بعد عشرين او ثلاثين عاماً ، أظنه يقرأ

بصوت حائر النبرات عناوين « النهار » الآتية : « الطوارىء والرقابة ومنع التجول في بيروت وطرابلس وبعلبك والجنوب . 11 قتيلاً (بينهم 2 من قوى الأمن) و82 جريحاً . استقال كرامي ثم رجع بعد ضمان تأييد الأحزاب والشخصيات . مجلس الوزراء يقر خدمة العلم ويدعو النواب للاجتماع اليوم » .

في الداخل كان العنوان الرئيسي للصفحة الثالثة « اصطدامات صيدا تحرك بيروت الغربية فتتحول الطريق الجديدة الى ساحة حرب . 4 قتلى و48 جريحاً في تظاهرات احرقت سيارتي امن وشاحنة اطفاء . 3 آلاف تظاهروا 4 ساعات وهتفوا بحياة « الثورة الناصرية » وسقوط « النظام العميل » .

وكانت هناك صور ، تذكر اللبنانيون انهم شاهدوا مثلها في صيف الدم سنة 1958 .
وكان كلام وكان خوف وكان المجلس النيابي يعقد جلسة في اليوم التالي ويخطب النواب وتستقيل الحكومة . صدرت « النهار » صباح الجمعة 25 نيسان بهذه العناوين : « عقب جلسة صاخبة اجمع فيها النواب على مهاجمة السلطة ، كرامي يستقيل فيفاجىء المجلس والوزراء والقصر . شمعون يبرِّر موقف الفلسطينيين وسلام يتهم المسؤولين بتدبير الحوادث لكمّ الافواه » .

« **لوين راح نوصل ؟** » :

الصور كثيرة وأكثر منها مساحات البياض التي احتلتها « الرقابة العسكرية » .

في ذلك العدد كان « الكاريكاتور » يلخص الحالة على الشكل الآتي : « كرامي : لوين راح نوصل ؟ حلو ـ وصلنا وخلصنا » .

أما العناوين في الصفحات الداخلية فلم تكن مقروءة . فهي ضائعة بين جملة حذفتها الرقابة وبين كلمة فقدت قدرتها على الايحاء . سطر واحد في الصفحة الثالثة حافظ على مجده : « البعث المؤيد لسوريا والحزب الشيوعي الصيني نظما التظاهرة ؟ » . في بر الياس : « الدرك يتهم الاهالي والاهالي يتهمون الدرك » .

(من ثقب الذيول)

في اليوم التالي : أخذت الأمور مجراها . السبت 26 نيسان قال المراقبون : دخل لبنان في الدوامة . دخل حرب الخامس من حزيران من ثقب الذيول . « النهار » تقول : الرئيس يقبل استقالة كرامي رغم عدم اقتناعه بضرورتها . تأليف الحكومة رهن بحسم

قضية الفدائيين . لقاء لرؤ ساء الكتل والاحزاب يبدأ بمصافحة شمعون واليافي وسلام . العميد ريمون اده عاد من رحلته الى باريس وروما والفاتيكان . « الحكم لأهل الحكم » عنوان افتتاحية لغسان تويني . « لماذا كل هذا اللف والدوران ؟ القضية واضحة والموضوع بسيط بسيط » .

وبالطبع ، فتح رئيس الجمهورية الاستشارات . سأل وأجيب . دوَّن ملاحظات واستمع الى مختلف وجهات النظر . لكن كل شيء بقي على حاله .

الأحد 27 نيسان ، كانت الصورة لا تزال قاتمة ؟ وكان المأزق قد وجد لنفسه مكاناً بارزاً في الأزمة . ماذا من جديد ؟ تقول العناوين : « منتصف الليل تنتهي حالة الطوارىء فهل يمددها مجلس الوزراء المستقيل ؟ حكومة استثنائية اذا استمر المأزق . الاستشارات : الرئيس يسجِّل خطياً موقف الكتل من العمل الفدائي » . عنوان آخر في مكان متواضع من الصفحة الأولى : « احتجاجات بعثية من بغداد ودمشق على قمع التظاهرات تسبق مسيرة دمشق » .

(غطسوا في الطنجرة) :

من يستطيع ان يعطي جواباً واضحاً عما جرى ويجري ويعطي الأسباب ويقنع هذا الخليط المتنافر من الفرقاء الذين غطسوا جميعهم في طنجرة البحص ؟ بدنا بحرية يا ريس . البحر جبال يا ريس . لو كان المرحوم عمر الزعني حاضراً حفلة الأزمة لكانت طلعت معه كل قصيدة تأخذ العقل .

ضوء خافت ، أطل . « ناطق رسمي في منظمة التحرير الفلسطينية : عرفات يزور بيروت بعد تأليف الحكومة ويبحث مع المسؤولين في الخلافات » .

برغم « سقوط ديغول » وانشغال الناس بالمفاجأة ، كان ناس لبنان منشغلين بمفاجأة أخرى . فاللبنانيون ، صباح **الاثنين 28 نيسان** ، كانت همومهم واهتماماتهم تتعدى هذه المرة « الحدث الديموقراطي الذي هز العالم » ، الى اللعبة الجهنمية . ماذا عند اهل الأزمة ؟ .

تقول العناوين في « النهار » : « بعدما قيل عن توافر وثائق واثباتات على تدخل سوريا ، لبنان يشكو امره الى الجامعة العربية . الاستشارات تستمر وحالة الطوارىء تنتهي والخوف من تجدد التظاهرات » . هذا كل ما في الأمر ؟ .

ثمة خبر يرتبط ، من قريب ، بجوهر اللعبة : « برقية الى الرئيس حلو من منظمي مسيرة دمشق تدعو الى فتح الحدود وتطالب بمعاقبة المجرمين القتلة » . ثم : « عبد الناصر يتوسط بين لبنان وفتح » .

بدأ ديغول عزلته واستعد الديغوليون للاستمرار عبر بومبيدو . في لبنان ؟ لا شيء جديد . الأزمة مستمرة عبر . . . من ؟ اللعبة كبيرة ، يقول السياسيون . لكن ماذا عن بعبدا ؟ بعبدا القصر والرئيس ؟ « بعبدا ، الثلثاء 29 نيسان : المرحلة الثانية تنتهي من غير بحث في الحكومة ولا تكليف . قطع الاستشارات ودعوة النواب الى الاجتماع . اليوم الأول بعد انهاء الطوارىء هادىء يحفل بالاشاعات ويقتصر على اضراب الطلاب » . في الجانب الآخر من اللعبة : « العميد اده ، بالصورة ، خارجاً من القصر . . . فالسيد سليمان فرنجية . . . فالسيد كمال جنبلاط . . . فالرئيس رشيد كرامي ، واضعاً محرمته على فمه لأن ضرسه كانت تؤلمه » .

سؤال فرضته ظروف تلك المرحلة من الأزمة : هل تكرر الجامعة العربية ما فعلته سنة 1958 ؟ .

طلب الوساطة ولو من العراق

الاربعاء 30 نيسان ، لا جواب على السؤ ال الاخير . هناك تطورات جديدة فآخر خبر محلي يقول : « توتر قرب حاصبيا بين الجيش وفدائيين من غير فتح » وخبر ثان يقول : « وفد فتح يعود مرتاحاً من بكركي » . و« منظمة التحرير : سننطلق من أي موقع يحيط بالوطن المحتل ، ونحن صامدون بانتظار بلورة الموقف تمهيداً لأي حوار » . أما المانشيت فكانت : « الدولة توسِّط العراق وفتح تطمئن البطريرك . لا استشارات بانتظار تذليل العقبات امام اجتماع المجلس » . مع خبر المانشيت صورة : « الرئيس حلو ووزير الداخلية العراقي الفريق صالح مهدي عماش » .

وفي « النهار » نفسه يتساءل غسان تويني مع الناس : « الى أين ؟ . . . الى متى ؟ » .

بديهي ان الجواب لم يكن جاهزاً عند احد .

الجنرال ديغول لو يأتي الى لبنان . . .

لكنه لم يأت بعد . على الاقل ، لم يأت الخميس اول ايار ، يوم ذهب الرئيس عبد

الله اليافي الى دمشق وتغدى مع الدكتور نور الدين الاتاسي وعاد في المساء ، « وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا » . في الوقت ذاته نسبت وكالة « اليونايتدبرس » الى مصادر شبه رسمية في بيروت قولها « ان اشتباكاً وقع بين بضع مئات من الفدائيين الذين كانوا يحاولون اقامة قواعد في جنوب شرق لبنان قرب الحدود السورية والاسرائيلية مع وحدات من الجيش اللبناني » . « الاتاسي يطمئن لبنان الى نيات سوريا ويؤكد حرصها على العمل الفدائي . سلام : من يطيل الأزمة ؟ لماذا تستمر المهزلة ؟ » .

كل يوم مثل كل يوم . كلام وصور واخبار من هنا وهناك .

2 أيار : « الدولة تنتقل من التركيز على قضية الفدائيين الى التركيز على التدخل السوري . حلو : لا حكومة قبل الاثنين . اذا استمر المأزق جميع الاحتمالات واردة » . خبر آخر مع صورة : « وقوع شمعون وتورم ركبته بعد الصيد ، وسط اشاعات عن اغتياله وفرعون واده . الرئيس شمعون في المستشفى بعد البنج والجراحة » . ثم في الصفحة الثالثة مع الصور : «5 آلاف ودعوا الشهيد محمد علي موسى وهتفوا ضد كرامي وعسيران . الوجود اليساري يتقلص في المسيرة ليبرز الوجود البيروتي الصرف . جنبلاط ينتظر الموكب في مدافن الشهداء ويتعرض لانتقادات من بعض المتظاهرين » .

الأحد 4 أيار : « كرامي ينقل للرئيس نتيجة اتصالاته بالنواب ويعلن اصرار الحكومة على المضي في التحقيق . رفع منع التجول واستمرت الأزمة » .

ماذا دار ليل السبت ـ الأحد بين حلو وكرامي ، « مر الحديث مروراً عابراً بالتشكيلة الوزارية ليركز على محاولة « بعثة » لبنان ووجوب قيام حكومة ذات قواعد متينة تواجه المرحلة المقبلة ومضاعفاتها . معارضو كرامي يأخذون على الدولة عدم دعوتها المجلس لاتخاذ قرار بشأن التدخل » .

5 أيار : المانشيت الرئيسية : « النهار تستفتي الرأي العام في العمل الفدائي والحل السلمي واستقالة ديغول : 82 ٪ مع الفدائيين و56 ٪ ضد انطلاقهم من لبنان . 55 ٪ يتوقعون ان تعيد الحكومة الفرنسية النظر في موقفها من اسرائيل » . مع المانشيت صورة وزعتها « الاسوشيتدبرس » لطائرة هليكوبتر اسرائيلية قالت انها كانت تطارد الفدائيين قرب الحدود السورية اللبنانية .

(**حكي حكينا وبعدين . . .**) :

بالنسبة الى الأزمة ؟ ازمة . . . والمطلوب « حكم يفتدي لبنان » .

أيها اللبنانيون ، « حكي حكينا . . . وبعدين » ؟ .

6 أيار : « الرئيس يرسم موقف لبنان من العمل الفدائي . تأييدنا لفلسطين في اطار سيادتنا وسلامتنا . التعايش الأخوي في لبنان تحد لعنصرية اسرائيل » . الرسالة الأولى ، برغم تركيزها على السيادة والسلامة ، لم تترك ذيولاً في زقاق البلاط . ثم : ناطق عسكري يروي « القصة الكاملة لتغلغل الفدائيين في منطقة الحدود . الاشتباكات مستمرة : « قتيل لبناني آخر وقتيلان من الصاعقة احدهما سوري » .

ما رأي الرئيس كرامي بالرسالة ؟ .

« ان هذه الرسالة تعبر عن مشاعر اللبنانيين بالنسبة الى هذه الظروف المصيرية . وقد حددت سياسة لبنان العربية والعمل المتواصل الذي يؤدي الى خدمة القضايا المشتركة وفي طليعتها قضية فلسطين » .

. . . الى آخره .

(**عرفات في بيروت**) :

الخميس 8 أيار : تطورت الأزمة بشكل مثير . تداخلت في تعقيداتها عناصر جديدة : « فتح تعلن سقوط 5 من رجالها في اشتباك مع الجيش والجيش ينفي ويقول انه اعتقل 38 مسلحاً في حادث الثلثاء . عبد الناصر يتوسط بين لبنان والفدائيين » . ثلاثة اخبار متفرعة ، تسلسلاً : « الخولي يصل الى بيروت ، وقد يزور دمشق للاجتماع بعرفات » . « المتحدث الرسمي المصري في مؤتمر صحافي : لا شأن لنا بالأزمة في لبنان » . « المعارضة تؤلف وفداً لزيارة الجنوب السبت ، وتطلب من رئيس المجلس عقد جلسة خلال يومين » .

لا الجلسة انعقدت ، ولا المعارضة ألفت وفداً . الوفد الذي زار الجنوب كان خليطاً من النهجيين المتطرفين والنهجيين المعتدلين و . . . بعض الحلفيين والمستقلين .

الجمعة 9 أيار : كان يوماً مشهوداً . كان قد وصل الى بيروت صباح الخميس السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية مع كمال ناصر وخالد الحسن وياسر عمرو (ممثل الصاعقة في اللجنة التنفيذية) .

المانشيت في « النهار » : « المحادثات اللبنانية المصرية الفلسطينية تجمد الاشتباكات . ابو عمار يحمل شروط الفدائيين الى القصر ، ثم يجتمع بقائد الجيش في

وزارة الدفاع » . . . وتحليل من القاهرة عن مهمة الخولي اذا فشلت : « عبد الناصر قد يدعو الى مؤتمر لجميع دول الجامعة يحدد الالتزامات نحو الفدائيين وموقف الفدائيين من العرب » . ثم خبر متواضع : « ناطق سوري رسمي : لا علاقة لنا . وناطق عسكري لبناني : لنوجه رصاصنا الى العدو » .

السبت10 أيار : « مشروع الاتفاق بين الدولة وعرفات . وجود فدائي لا عمليات فدائية . لبنان يسعى الى تجميد الوضع بانتظار انعقاد مؤتمر التسوية العربي » .

الأحد11 أيار : « بعد اصطدام الموقفين اللبناني والفدائي وتعذر الاتفاق ، فشل رسول عبد الناصر ، واليوم محاولة جديدة مع عرفات » .

الاثنين12 أيار : أبو عمار يقاطع اجتماع الأحد والمنظمة تنفي تصريحاً فلسطينياً متفائلاً . المحادثات تتعثر فيبقى عرفات وتستأنف اليوم . اده : لن نقبل بحكومة عسكرية . غسان تويني يقول في افتتاحيته : « شبعنا » .

الثلاثاء13 أيار : سافر عرفات الاثنين بعدما امن تجميد الوضع . الفلسطينيون : لا نريد ان نكون طرفاً في نزاع لبناني . كرامي ينتظر تكليفه اليوم ليستأنف الحوار .

(الأزمة تزداد تعقيداً) :

. . . وعادت حليمة الى عادتها القديمة . جمد الوضع على صعيد العمل الفدائي واستأنفت الدولة نشاطها في الدوران حول الأزمة الوزارية . **الاربعاء14 أيار** : « اليوم جولة اخرى من المشاورات قبل التكليف ، لكن كرامي قد يرفض التكليف اذا تأخر . الأزمة تزداد تعقيداً وغموضاً » .

وفي ذلك تساءل المتتبعون للتطورات : هل ينتهي لبنان الى « تجميد » العمل السياسي ؟ ويبدو انه انتهى . . . الى التجميد .

الخميس15 أيار ، استفتت « النهار » السياسيين . ضاقت الناس ذرعاً بالحكي والتصاريح . ماذا كانت النتيجة ؟ « شمعون ، الأسعد ، سلام ، كرامي ، اده ، جنبلاط ، الجميل ، فرنجية ، عزيز ، مجدلاني ، الحكيم ، معلوف ، الصلح ، الدنا ، الوزان وفرعون : لماذا يتردد رئيس الجمهورية » ؟ .

وبالطبع بقي الرئيس متردداً .

لماذا التردد ؟ .

لا الرئيس حمادة يعرف ، ولا الذين يعرفون يبوحون بالسر .

واذا كان الناس قد تفاءلوا بامكان الخروج من اللعبة الجهنمية بشكل ما او بتشكيلة ما ، فالعميد ريمون اده يقول يوم **الجمعة16 ايار** : « هناك خطة بدأ تنفيذها لتبرير احتلال اسرائيل جزءاً من لبنان » .

وعلى صعيد الطلوع الى القصر والنزول منه والتصريح على مدخله : « بينما يؤكد حمادة ان لا حكومة عسكرية ولا اكسترا برلمانية ولا مفاجآت ، كرامي : اتفقت مع الرئيس على خطة ، ولا حكومة قبل الاسبوع المقبل » .

الآن جاء دور الخطة .

17 أيار : « رئيس الحكومة المستقيلة يعرض مع الجميل مشروع حل لأزمة العمل الفدائي . اذا لم يقتنع الحلف اعتذر كرامي . جنبلاط يزور دمشق اليوم بعد اجتماعه باليافي » .

18 أيار : بعد شهر الا يومين : علق المعلمون الرسميون اضرابهم . المانشيت الرئيسية : « بينما تستمر الحملة على الزمرة الحاكمة في لبنان من اذاعة فلسطين في دمشق ، جنبلاط يعود باقتراح قمة لبنانية سورية . كرامي يتوقع حلاً بين يوم وآخر والحلف يطلب حكومة بحجم الأزمة » .

19 أيار : « جنبلاط يشرح لـ « النهار » وجهة نظره في الأزمة من بدايتها : السلطات افتعلت مشكلة الفدائيين . اجتماع لبناني سوري على مستوى الوزراء فليس في لبنان مسؤ ولو قمة » .

20 أيار : الحلف : « لا اتفاق مع كرامي قبل الاطلاع على تفاصيل الحل » .

21 أيار : « على اثر خلوة في القصر حضرها سفير مصر والياس سركيس ، كرامي بعد التكليف : دائماً متفائل . الاستشارات تبدأ اليوم لتأليف حكومة تمثل كل الاتجاهات وتضم أمناء سر دولة » .

22 أيار : « انهى كرامي استشاراته وحمل الى القصر شروط التكتل فتأجل التأليف . العقدة : ادخال جنبلاط دون اخراج الجميل . مشروع حكومة من8 تضم الاسعد وفرنجية ومعلوف والدنا وغصن » . لا جديد .

دور السفير المصري

23 ايار : بعدما تعذر على الرئيس المكلف ارضاء جنبلاط دون اغضاب الحلف ، القصر يشرك السفير المصري في البحث عن حل . كرامي : « لم نتعلم شيئاً ولم ننس شيئاً » . والدوامة لا تزال دوامة . . . والناس لم تعد تسأل .

24 ايار : الأزمة الوزارية تنتقل الى الاسبوع المقبل برغم بوادر تحلحل العقدة الجنبلاطية . حمل السفير المصري رسالة من حلو الى عبد الناصر ، وعاد كرامي يتحدث عن « خطة مع الرئيس » .

25 أيار : « الخطة تنتظر عودة السفير المصري . كرامي يرد على جنبلاط مؤكدا تأييده للعمل الفدائي داخل الارض المحتلة .

26 أيار : داوت الدولة الجرح الجنبلاطي فهل يعصى عليها جرح الحلف الثلاثي ؟ شمعون يبلغ رسل النهج رفضه معالجة الأزمة على اساس التنازلات ويؤكد تمسك الأحزاب الثلاثة بوجوب تمثيلها في الحكومة الجديدة . الحلف يعتبر رد كرامي على جنبلاط خطوة اولى على « نزلة » التسليم بالشروط المسكوبية .

27 أيار : الأزمة في مكانها وجنبلاط لا يعتبر رد كرامي « رسمياً وايجابياً » . البطريرك يصارح الحلف بخوفه على لبنان ، ويتحدث عن « مخربين » انتحلوا صفة الفدائيين .

28 أيار : « حمادة يقترح على حلو والرئيس المكلف يرفض عودة الحكومة المستقيلة . كرامي : عرضت مع الرئيس شكل الحكومة وأرجو ان نتمكن من اعلانها هذا الاسبوع » . . .

29 أيار : اجتماع استغرق 3 ساعات بحثت فيه الأزمة من 'الاساس والحكومة عرضاً . الرئيس يؤكد للحلف انه عند قسمه الدستوري وانه لن يؤلف حكومة قبل حل عقدة الفدائيين .

30 أيار : تناقض بين القصر وكرامي حول مسألة تأليف الحكومة ، والمعارضة تؤكد ان لا حكومة قريباً وان الوضع سيزداد تدهوراً . شمعون بعد زيارة بكركي : لا كلام قبل يومين.

31 أيار : بينما كان حمادة يحذر النواب من الخطر على الحدود اذا استمر العمل

الفدائي ، اتفق كرامي مع جنبلاط فاختلف مع الجميل . 125 نقابة تقرر الاضراب اذا لم تتألف الحكومة قبل 9 حزيران .

(كلام الرئيس) :

تساءل الناس : لماذا قال الرئيس شمعون لا كلام قبل يومين ؟ .

ماذا بعد يومين ؟ .

بعد يومين ، من « البشارة » لم يتكلم شمعون ، بل تكلم الرئيس شارل حلو . تكلم وكان كلامه بداية طريق جديد في الأزمة .

الأحد أول حزيران : « في نداء الى اللبنانيين والعرب حذر فيه من خطة اسرائيل لتعديل الخريطة عنصرياً وطائفياً ، الرئيس : سلامتنا اولاً . . . ونرفض الأمر الواقع . على كل حكومة العمل الى جانب الرئيس بما يتفق وقسمه » .

وانطلقت الافتراضات تشق لنفسها مسالك صعبة .

كرامي : « سأتصل بالزعماء لدرس الموقف وتحديد الخطوات » .

ويوم **2 حزيران** انتشرت الاشاعات في البلد : كرامي سيعتذر . واذا اعتذر ؟ مشكلة . ربما لهذا السبب كتب غسان تويني « نداء الى الرئيس المكلف الذي قد يعتذر » . الا ان المانشيت كانت تعكس جواً سياسياً مبلبلاً : « رسالة حلو تقلب الموقف السياسي وتجمد البحث في الحكومة . اذا اعتذر كرامي : حكومة جديدة خلال 24 ساعة . الحلف يطالب الرئيس اليوم بتنفيذ مضمون رسالته والعلماء يعتبرونها « تحولاً مفاجئاً » .

يوم **الثلاثاء 3 حزيران** كان اكثر تفاؤلاً ، على الأقل ، كان اقل تشاؤماً : « لا أزمة دستورية : كرامي يستمر في التأليف ، اذا نقل حمادة الى النواب ايضاحاً مطمئناً من الرئيس . الحلف والنهج يحاولان تفادي المأزق فيجتمع كرامي واليافي بجنبلاط تمهيداً لزيارة القصر » .

الاربعاء 4 حزيران « تحلحلت » قليلاً : « كرامي يفتح الأبواب لاستئناف الحوار مع القصر . الرئيس المكلف يذيع « توضيحاً لرسالة حلو يعلن فيه ان الحكومة كذلك مسؤولة عن الدستور ، وان الحكم مشاركة بين رئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة وان التنسيق لا يتنافى مع السيادة » .

واستمرت ، بعدما بلغت الذروة ، في « التحلحل » : **5 حزيران** رفعت الايدي عن الصدور وبلع الناس ريقهم : « بينما يتابع جنبلاط حملته على الرئيس ويهدد بانتفاضة « لن يكون فيها شعبنا وحده » ، نواب الجنوب يحددون مهلة 24 ساعة لتأليف الحكومة والا سحبوا ثقتهم من حلو والرئيس المكلف . لا كرامي زار القصر ولا الرئيس استدعاه » . « شمعون : كرامي تكلم كرئيس حكومة قائمة ورسالة حلو حق من حقوقه الطبيعية » .

في اليوم التالي **6 حزيران** : « الرئيس المكلف يزور القصر برفقة رئيس المجلس رغم تصريح جنبلاط بأنه كان يفضل استمرار الأزمة . كرامي يستأنف الكلام عن « حكومة ترضي الجميع » . التشكيلة المرتقبة : مصغرة ومعتدلة بلا حلف ولا جنبلاط » .

بدءاً بهذا التصريح الذي عقب استئناف حركة الطلوع الى قصر بعبدا والعودة منه الى زقاق البلاط ، اخذت الأزمة تتأرجح ، كلاماً ، بين تصريح من هنا وتوضيح من هناك على الشكل الآتي :

(الترياق من القاهرة)

7 حزيران : عبد الناصر يبلغ حلو انه مع أي حل يقترحه لبنان لقضية العمل الفدائي . الأزمة تعود الى نقطة الانطلاق : لا حكومة قبل التفاهم بشأن الفدائيين .

8 حزيران : « الرئيس متمسك بـ « مبدأ كرامي » : اتفاق الجميع اولاً وتأليف الحكومة ثانياً . اليافي يقترح رجوع الحكومة عن استقالتها ، والجميل يدعو الى استفتاء على مصير لبنان » .

9 حزيران : « بينما يدعو جنبلاط الى تعديل الدستور ويهاجم حلو ويصف رسالته بأنها تسلطية ، انباء عن تدهور الوضع على الحدود . مصادر فدائية تتحدث عن الارهاب داخل المخيمات وتؤكد ان الفدائيين المعتقلين اصبحوا 46 » .

10 حزيران : « لأن البوليس الدولي يقسم البلد وضرب الفدائيين يقسمه كذلك ، كرامي للوزراء : لا حل للأزمة . رئيس الجمهورية يرفض تأليف حكومة قبل حسم قضية العمل الفدائي » .

11 حزيران : « اجتماع برلماني وزاري عسكري يستمر 4 ساعات في القصر يخرج

منه كرامي ليدير الاسطوانة المألوفة ويطلق شعار توضيح الصورة . المواجهة الحاسمة لم تكن حاسمة » .

الاقـربـون . . .

12 حزيران : « واشنطن وموسكو تدخلان فريقاً ثالثاً في الأزمة اللبنانية ؟ وصل كرامي في محادثاته مع الرئيس الى الحائط ، فطلب اشراك الوزراء والنواب في قراره » .

13 حزيران : « الحلف يرجىء بيانه للمرة الثالثة وتكليف الجميل متابعة الحوار مع الرئيس المكلف . الوزراء والنواب : توصية كرامي بالاستمرار والاسراع في تأليف حكومة بالتعاون مع الرئيس » .

14 حزيران : جاء وفد الحكومة لاقناع رئيس الجمهورية فخرج مقتنعاً بوجهة نظره . الرئيس للوزراء : لن اتراجع ، لا حكومة معجلة تنفجر عند اول خضة .

(الصعوبات المعلومة)

15 حزيران : اجتماع حلو وكرامي يترك باب الحوار مفتوحاً اسبوعاً ثامناً .

16 حزيران : غابت الأزمة عن الصفحة الأولى .

17 حزيران : اضراب الاربع والعشرين ساعة قد يتحول الى اضراب عام مفتوح . كرامي : نحن امام الصعوبات المعلومة . اوساط المعارضة تستبعد قيام حكومة استثنائية قادرة .

3 تموز : المجابهة : مزيد من التأييد لرسالة الرئيس . . . مع التمسك بكرامي .

4 تموز : المنظمات الفدائية تهاجم استغلال السلبيات ومظاهر التحرك لضرب العمل الفدائي .

5 تموز : انتهت مجابهة القصر لكن الحل لا يزال بعيداً .

6 تموز : لا جديد . . . حتى ولا كلام .

يقولون : الأزمة قد تصيف .

ويقولون اكثر : الأزمة قد تشتي .

والعلم عند الذين يفكون رموز الاسرار ويرجمون في الغيب . . . ويخططون للمستقبل !

فترة استراحة . العهد يصيف . يرتاح من . . . ماذا ؟ يرتاح . والأزمة تصيف بدورها وتقطع الصيف وتدخل في الخريف ، لكنها لا ترتاح . والناس مثل الأزمة . الفرق انهم لم يصيفوا مثل الرئيس .

وللمرة الأولى ، ربما ، تكون استراحة المحارب شهراً او شهرين وتمتد الى اكثر .

نعود الى التاريخ والى العناوين . والتاريخ هنا ليس التاريخ الذي يحفظ ويسجل بقدر ما هو مرحلة زمنية مرت في السطور .

ماذا في العناوين ؟ .

17 تشرين الأول : مذكرة تكتل الوسط الى رئيس الجمهورية . « تسمية الاشياء بأسمائها ، ومطالبة الرئيس بتنفيذ المطالب او الاستقالة » .

18 تشرين الأول : بيار الجميل يصر على مقاطعة جلسة انتخاب رئيس المجلس ويحاول اقناع شمعون واده .

19 تشرين الأول : تمسكت الكتائب بموقفها ورفضت اقتراح التغيب عن الجلسة فانجر الانقسام .

شمعون : اختلفنا لكن الحلف مستمر .

اده : الحلف لم يعد ثلاثياً .

الجميل : خلافنا عابر ومهمتنا اكبر من رئاسة المجلس .

21 تشرين الأول : الأسعد يطرح قضية حوادث الجنوب في المجلس ، فيما تواصل المصادر اللبنانية الرسمية تكتمها . أحداث الجنوب بدأت على نطاق واسع وتناقلتها الاذاعات . تظاهرة في طرابلس واغلاق المدارس والاسواق .

22 تشرين الأول : تدهور الموقف مع الفدائيين ، فأعلنت مصر والجزائر وليبيا تأييدها لهم .

سوريا تغلق الحدود وتمنع السفر الى لبنان .

المنظمات الفلسطينية تعلن مقتل 15 فدائياً في اشتباكات الجنوب .

جلسة هادئة للمجلس : حضر 98 نائباً و16 لم يقترعوا .

حمادة بـ45 صوتاً فقط وساسين 48 .

لا أكثرية للنهج الا بمحالفة الكتائب .

23 تشرين الأول : النيابة العامة تعطل « النهار » 3 أيام . اعترض مدير « النهار » على القرار لأن الجريدة التي صدرت صباح الاربعاء « بالاخبار المجرمة » هي « الدستور » وليست « النهار » . عبد الناصر يناشد حلو التدخل قبل استفحال الخطر ، وكرامي يدعو الدول العربية الى معاملة لبنان بالتفهم لا بالقطيعة . بغداد وعمان ودمشق تتظاهر وليبيا تطلب من الجامعة بحث الأزمة .

الدعوة الى اضراب شامل غداً وتعليق الدروس في الجامعة الاميركية واستمرار منع التجول في طرابلس .

24 تشرين الأول : منع التجول في بيروت يقطع الطريق على الاضراب والفلسطينيون يؤكدون استمرار الاشتباكات .

حلو يرد على عرفات ويبلغ الاتاسي استياءه .

الحسين يمهد لوساطة عبد الناصر مع الفدائيين .

المعارضة تلح في طلب تأليف الحكومة والوسط يطلب معاقبة المسؤولين عن الحوادث .

25 تشرين الأول : عبد الناصر يتوسط بين لبنان والفدائيين دون مفاوضات مباشرة ؟ حشود سورية على الحدود .

الرئيس يتصل بالاتاسي ويبدي استياءه .

26 تشرين الأول : طرابلس : 14 قتيلاً وعزل البلدة القديمة .

بيروت : متاريس وتظاهرات محدودة .

البقاع : فتح تحتل ينطا ودير العشائر .

الجنوب : اشتباكات في بنت جبيل ومرجعيون . شروط الثورة الفلسطينية لحل الأزمة .

روسيا تحذر أميركا . . . وأميركا لا تتدخل .

تطويع انصار في الجيش .

27 تشرين الأول : هدوء في بيروت ،4 قتلى و10 جرحى في طرابلس ، قتيلان و4 جرحى في الخيام .

القاهرة تتوقع وصول وفد عسكري لبناني لمفاوضة الفدائيين .

في رسالة الى الشعب اللبناني تتحدث عن « مؤامرة الفئات المشبوهة لحرق بيروت » ، فتح : ارادوا استعمالنا لمعركة 1970 .

اده : الخلاف مع الجميل سببه الشهابية .

28 تشرين الأول : « النهار » في ينطا ودير العشائر وعيحا ومع فاروق المقدم في الضنية . بدأ اسم المقدم يتقدم الصفوف .

عرفات : لا مفاوضة الا على اساس الحرية للفدائيين .

كرامي : قائد الجيش يسافر الى القاهرة خلال 24 ساعة .

واشنطن توضح البيان الاميركي حول سيادة لبنان : التصريح رد على سؤال عن هجوم اسرائيلي محتمل ولم يكن متعلقاً بالأزمة بين الحكومة اللبنانية والفدائيين .

الأهرام : فؤاد شهاب الفريق الثالث في الأزمة .

29 تشرين الأول : البستاني يمثل الرئيس في محادثات القاهرة وعرفات يزداد تصلباً ويتردد في الذهاب .

مصر تعلن توسطها رسمياً وتدعو عرفات فيسافر كرامي اليوم .

عبد الناصر يتخوف من تدويل الأزمة .

المحادثات : التنسيق بموافقة القيادة الموحدة .

30 تشرين الأول : نحو اتفاق سري .

مصر تريد الحصول على « الحد الاقصى الممكن » .

31 تشرين الأول : لا سافر عرفات ولا كرامي يسافر والبستاني يتأخر في القاهرة للاجتماع بعبد الناصر .

1 تشرين الثاني : عبد الناصر يستقبل البستاني ومحادثات القاهرة لا تزال تنتظر عرفات .

اميركا : انزال القوات في لبنان يستوجب اسباباً قوية .

روسيا : دعم الدول العربية قبل تأييد الفدائيين .

حلو يبلغ صالح مهدي عماش انه يلتزم بما يقبله البستاني .

2 تشرين الثاني : عَرفات في القاهرة للتشاور مع عبد الناصر .

اقترحت مصر اعلان الهدنة فسارع الوفدان الى القبول .

وقف اطلاق النار : لا غالب ولا مغلوب .

البستاني وعرفات يعلنان اسفهما للدماء التي اريقت .

كرامي وسالم يباركان الاتفاق وفرنجية يسأل عن الثمن .

3 تشرين الثاني : البستاني وعرفات : عودة الى التوفيق بين السيادة اللبنانية والتضامن العربي .

الاتفاق اللبناني ـ الفلسطيني يبقى سراً عسكرياً .

4 تشرين الثاني : اليوم يصل الوفد اللبناني وعرفات يزور بيروت لمتابعة البحث .

5 تشرين الثاني : حلو يريد الاستشارات ولو اثارت اتفاق القاهرة .

كرامي : اعتذاري ملكي ولم ارجع عنه .

6 تشرين الثاني : 8 صحافيين يختارون السجن فتتضامن النقابتان وتحذران من التنكيل بالحريات .

تويني : اقيموا حول لبنان اسواراً لتعزلوه عن الاخبار .

7 تشرين الثاني : قطف كرامي ثمار الثورة الثانية وكلف تأليف الحكومة .

كرامي : الحكومة برلمانية موسعة تمثل جميع الاتجاهات .

8 تشرين الثاني : الحلف يطلب والرئيس يرفض كشف اتفاق القاهرة . كرامي يمدد الاستشارات على امل اجتذاب الجميل . فاروق المقدم ينتقل الى قلعة طرابلس ويعزرها بالمسلحين .

9 تشرين الثاني : كرامي لا يزال ينتظر والمعارضة تتردد .

سلام : اتفاق القاهرة تغطية لأزمة 1970 .

تكليف الجميل التحاور مع كرامي باسم الوطنيين الأحرار .

اده يضع فيتو على كرامي .

12 تشرين الثاني : شمعون : هل تراجع الرئيس عن الرسالة ؟ اذا كان اتفاق القاهرة لا يعرض لبنان فمرحباً بالفدائيين .

14 تشرين الثاني : سوريا تفتح الحدود ببيان تهديدي وتكشف حصول الفدائيين على ضمان لحرية تحركهم .

15 تشرين الثاني : اخلى فاروق المقدم قلعة طرابلس وانتقل الى منزله ثم الى منزل كمال جنبلاط في بيروت .

16 تشرين الثاني : لا حكومة حتى اشعار آخر .

20 تشرين الثاني : استسلم كرامي ولم يعتذر .

« لجنة وطنية » من حمادة والجميل وجنبلاط وفرعون ، تسعى للوصول الى اتفاق يؤ دي الى تأليف الحكومة .

21 تشرين الثاني : معركة بين الجيش والفدائيين في مخيم النبطية تستمر 3 ساعات .

5 قتلى و18 جريحاً من الفلسطينيين و6 جرحى عسكريين .

طويت صفحة « اللجنة الوطنية » لتفتح صفحة استشارات جديدة .

22 تشرين الثاني : الرئيس يخاطب اللبنانيين للمرة الاخيرة في عيد الاستقلال قبل انتهاء ولايته : تنفيذ اتفاق القاهرة في جميع مراحله تنفيذاً سلمياً يدعم حق الفلسطينيين في اطار سيادة لبنان .

24 تشرين الثاني : فؤ اد عوض يهرب 3 ارباع الساعة من سجن القلعة .

السلطة تتهم مسلحين في الصباح وتتراجع في المساء .

25 تشرين الثاني : عودة الى الاضرابات :

11762 معلماً رسمياً يعودون الى الاضراب اليوم .

27 تشرين الثاني : خرج الاحرار وبقيت الكتائب وبقي مطران .

تمرد حبيب مطران فأمهله الأحرار 48 ساعة تحت طائلة الفصل .

4 كانون الأول : الثقة : اده يقول كل شيء وسلام والاسعد يتوسعان في التفاصيل .

* * *

تألفت الحكومة ، مثلت الحكومة امام المجلس ، نالت الحكومة الثقة ، انتهت ازمة الأزمات .

انتهت ؟ .

بقي العهد ، بقي الرئيس ، بقيت الازدواجية ، لم يشعر الناس ان الأزمة الخانقة العجيبة التي مثل الكذبة الكبرى انتهت . كيف انتهت ؟ ولماذا لم تنته من زمان ، ولماذا كانت هذه الأزمة ؟ .

وحدهم الشهابيون كانوا يضحكون في عبهم لأنهم كانوا يعرفون الجواب ، ولأنهم جاءوا برئيس للمجلس على ذوقهم يعرف كيف يدبر الأمر في انتخابات رئاسة الجمهورية ، وجاءوا برئيس حكومة شغلته تدبير كل امر . . . يأتي من جونيه شتاء ومن عجلتون صيفا . وهذا اقصى ما يطلبه الشهابيون .

لا للأمر الواقع

في عز تلك الأزمة التي بسبع رؤوس ، وكان يوم احد ، بدأت التلفونات تشتغل : سيُذيع الرئيس نداء الى اللبنانيين .

ومع كل تلفون الى جريدة او وزير او نائب ، كانت التكهنات تأخذ راحتها . واحد يقول ان الرئيس قد يستقيل . آخر يرجح انه سيسحب التكليف من الرئيس المكلف المعتذر المكلف والمستقيل سابقاً . آخرون يضربون اخماساً بأسداس .

في هذا الوقت كان الرئيس يمرن صوته في القصر ، بينما عدسات التلفزيون تقوم بالتجارب . ثم ارسلت اشارة الضوء الأحمر . سكوت . انطلاق . بدأ الرئيس يتلو نداءه .

سجل النداء استمع اليه الرئيس ، وافق على اذاعته فاذيع على جميع الاقنية دفعة واحدة ، ثم اخذت اذاعة لبنان من بيروت دورها في بثه تكراراً ، كل ربع ساعة مرة .

وبالطبع كانت الرسالة حدثاً بذاتها ، وبالتالي كانت مشكلة . الرئيس كرامي في طرابلس ، لا علم له بالنداء . رئيس المجلس في حزين استمع كغيره الى النداء بواسطة الاذاعة . وقع المشكل . بلبلة . الرئيس كرامي يجيب عن اسئلة الصحافة بأنه فوجىء بالنداء وانه سيتشاور (غداً) مع زعماء البلاد لاتخاذ الموقف المناسب . . .

وبما ان ذاكرة الناس ليست من ورق ، فإنهم يذكرون كيف حرد كرامي ولم يعد يطلع الى القصر وكيف تدخل رسل الخير واصلحوا ذات البين، وكيف انه اذاع ، بواسطة الوكالة الوطنية للانباء ، رده على نداء الرئيس بكلام من كعب الدست حكى فيه عن المشاركة والمسؤولية والمصلحة العامة .

لكن ، بعد مدة ، ضاع النداء في زحمة الاحداث وتراجع الرئيس ورضخ للأمر الواقع . . . كما اتهمه بالتراجع عن قسمه الدستوري زعماء المعارضة في ذلك الحين .

وبما ان ذلك النداء اعتبر حدثاً في ولاية السنوات الست نثبته هنا بنصه :

« ايها اللبنانيون ،

منذ الخامس والعشرين من نيسان الماضي والأزمة الوزارية مستمرة في لبنان ، وانه لمن الطبيعي ان يصبح هذا الامر موضوع اهتمام وقلق لدى المواطنين ، وما خوفنا من وجود هذا القلق بحد ذاته ، فهو ظاهرة طبيعية بالنسبة الى شعب ناضج يعرف معنى المسؤولية فلا يتهرب منها ، بل يتصدى لها ويعالج المشاكل في ضوء المنطق وانطلاقاً من مقتضيات الدولة .

ان في اساس استقالة الحكومة الاخيرة ، رغبة تقضي بتمكين ممثلي الفئات اللبنانية كافة من الاتفاق على طرق دعمنا لنضال الشعب الفلسطيني الشقيق . وهذا لا يعني ان ثمة خلافاً حول القضية الفلسطينية من حيث الاساس وهي قضية يقدسها جميع اللبنانيين .

واذا كان تضامننا الاخوي مع اشقائنا العرب قد جاء دائماً تضامناً كاملاً في جميع القضايا الاساسية ، فان في مقدمتها قضية فلسطين . لقد بذلنا في جميع الحقول ، السياسية منها والديبلوماسية والاجتماعية والاقتصادية ، كل ما في وسعنا في سبيل اخواننا

الفلسطينيين ، ولم نتردد في الانضمام الى ميثاق الدفاع المشترك وفي قبول القيادة الموحدة وما يتبعها من التزامات عسكرية في اطار انظمتنا الدستورية ، وقد تم ذلك باجماع اللبنانيين عبر ممثليهم . واننا لعلى اتم الاستعداد اليوم وغداً للمساهمة في كل خطة شاملة لمحو آثار العدوان الاسرائيلي ولتمكين الشعب الفلسطيني من استعادة حقوقه على ارضه المقدسة .

على ان واجبنا في هذه المرحلة من نضالنا المشترك ، التي هي مرحلة صمود ، الا نوفر للعدو اسباباً يتذرع بها ، تحت ستار اعماله الانتقامية ، لتنفيذ مخططاته التوسعية وتحقيق اهدافه الرامية الى تعديل خريطة شرقنا العربي على اسس من العنصرية والطائفية .

ان واجبنا تجاه انفسنا وتجاه العالم العربي وتجاه القضية الفلسطينية ، في هذه المرحلة هو ان نتجنب كل ما من شأنه تصديع جبهتينا الخارجية والداخلية .

ان تأييدنا لنضال الشعب الفلسطيني الشقيق يجب الا يتم بمعزل عن التحسس بهذه الأخطار وادراكنا المسؤولية التاريخية المترتبة علينا من جراء ذلك ، ولاسيما والبلاد في طور النمو ، والدولة مدعوة الى ايجاد الحلول الناجعة للعديد من المسائل ، الاجتماعية منها والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها ، وفي قلب كل منها واجب العناية الخاصة بالأجيال الطالعة وتأمين مستقبل يسمح لشبابنا بمجاراة الركب الحضاري العام .

لا نتمنى الا الخير لشعب فلسطين ، ولا نبتغي الا دعم نضاله المشروع ، وعلينا ان نوضح ان هذا الدعم انما يتحقق في جو من التفاهم الاخوي وانطلاقاً من مقتضيات سيادتنا وسلامتنا .

لذلك كان من الطبيعي ونحن نعالج هذا الموضوع ان نتمسك بما يفرضه منطق سيادة لبنان وسلامته ، والمنطق العسكري ، ومصلحة لبنان ، ومصلحة العرب انفسهم . وقد حاول لبنان خلال مدة حكومتين متتاليتين وازمة وزارية طويلة شرح هذه الأمور فما كانت النتيجة ، ويا للأسف ، سوى تفاقم الوضع .

واذا كنا لا نشاء هنا ان ندخل في تفاصيل الوقائع ، فان هذه التفاصيل تدل بوضوح كلي على ان استمرار تفاقم الوضع ليس نابعاً من رفض لبنان الاسهام في قضية يدرك اهميتها ويقدسها ، بل انما مرد ذلك الى محاولات مستمرة ، مرحلة بعد مرحلة ، لفرض سياسة الأمر الواقع علينا دون سواها ، كأن هذه السياسة منشأ للحق ، كذلك ، وفي اطار

معالجتنا الأزمة الوزارية ، لا يمكننا ان نرى في الاتفاق بين اللبنانيين على طريقة دعم النضال الفلسطيني مجرد توفيق بين انتفاضيات عاطفية متناقضة ، تكيفها الظروف والأحداث ، ان مثل هذا الاتفاق يجب ان يقوم على مبادىء صريحة وأسس ثابتة ، منها ان نحس تحسساً عميقاً كلياً بواجبنا تجاه النضال الفلسطيني فنؤيده في حدود امكاناتنا ، وهذه الحدود نحن نقررها في ضوء ما يفرضه المنطق ومقتضيات سيادتنا وسلامتنا ، وتكون منطلقاً وأساساً لكل حل .

ان الوفاء باليمين الدستورية التي اقسمتها ، والتي تعكس ارادة اللبنانيين جميعاً ، يحتم علينا المحافظة على سيادة لبنان وعلى سلامة كل شبر من ارضه ، وان على كل حكومة ان تعمل الى جانب رئيس الجمهورية بما يتفق والوفاء بهذه اليمين ، فلا يسعنا ان نقبل بأن يكون مصير اللبنانيين في الجنوب ، ومصير المنطقة نفسها ، ومصير الجيش ومعنوياته ، هذا الجيش الذي نحيي وطنيته واندفاعه ، لا يسعنا ان نقبل بأن يكون بالنتيجة مصير لبنان بكامله رهن عمل تتحمل اعباءه السلطات الدستورية اللبنانية وحدها ، في حين ان الذين يقررونه لا يتحملون ، ولا يمكن بحكم سيادتنا ، ان يتحملوا شيئاً من هذه المسؤولية ، لا على الصعيد الخارجي ، ولا في الداخل .

أيها اللبنانيون ،

في هذه المرحلة من تاريخنا ، التي تقتضي تضافر جهود الجميع لمواجهة ما يتهددنا من اخطار . وامام حملة التشكيك التي تستهدف لبنان في مؤسساته وقيمه ، بينما تنصب جهودنا على تطوير تشريعنا في شتى الحقول ، حتى تصبح الدولة حديثة متطورة ، تماشي الركب الحضاري العام .

نرى من الضروري ان نعلن تمسكنا بالمبادىء الطبيعية التي يقوم عليها اساس كل دولة ، وكيان كل مجتمع ، فنؤكد حق لبنان المقدس في السيادة والسلامة ، هذا الحق الذي لا ينال منه زمن ، ولا امر واقع ، كما نؤكد ارادة لبنان المستمرة في التعاون مع اخوانه العرب ، ودعم نضال الشعب الفلسطيني بروح من الاخوة وفي جو من الكرامة واحترام الصلاحيات والمسؤوليات التي ينص عليها الدستور ، هذه الروح وهذا الجو اللذان شهدا وامنا اجماع اللبنانيين على الالتزام بكل موجبات ميثاق الدفاع المشترك وذلك ما يعلمه اللبنانيون واشقاؤهم العرب جميعاً .

أيها اللبنانيون ،

منذ ثلاثين سنة وانا ارسل التنبيه تلو الآخر الى مخاطر اسرائيل على العالم العربي ،

الى مخاطر وجودها قبل ان توجد ، واحذر من مخططاتها ، واساليبها ، ومطامعها واليوم ، وقد رفعتني ثقتكم الى رئاسة لبنان ، واقسمت اليمين الدستورية على ان احفظ استقلال الوطن وسلامة اراضيه ، ارى من واجبي ان اسهر على تجنيب لبنان ما حذرت منه ، طيلة ثلث قرن ، فأوجه اليكم ، والى سائر اخواننا العرب ، لليوم وللتاريخ ، هذا النداء .

« عاش لبنان » .

رسالة قبل النداء

وكان الرئيس حلو قد وجه ، قبل النداء الأزمة ، رسالة الى اللبنانيين من الاذاعة والتلفزيون بتاريخ 7 أيار ، أي قبل 24 يوماً من نداء رفض الأمر الواقع ، تحدث عن « تأييدنا لفلسطين في اطار سيادتنا وسلامتنا » . وفي ما يأتي القسم المتعلق منها بفلسطين :

(. . .)

« أيها اللبنانيون » :

ان تأييدنا لحقوق الشعب الفلسطيني الشقيق ، ولنضاله الحق ، انما نقوم به ونتابعه في اطار ما يمليه حرصنا ، بل حقنا وواجبنا ، في ان نؤمن صمودنا الذاتي سواء على الجبهة الخارجية او على الجبهة الداخلية ، وهو الصمود الذي يوجب علينا الصدق مع انفسنا ومع اشقائنا الفلسطينيين وسائر اخواننا العرب .

وتأييدنا لنضال الشعب الفلسطيني الحق ، نقدمه في اطار سيادتنا وسلامتنا ، وفي اطار مخطط متفق عليه ، في ما بيننا ، وفي ما بيننا وبين اشقائنا ، وان اقتضى ذلك شيئاً من الوقت ، فإنه لا بد منه لكي تفضي جهودنا الى نتائج صالحة ومجدية .

ولئن اخذ تروينا وسلوكنا سبل الدرس والتأني مأخذ البطء ، فذلك أيسر علينا وخير من التسرع في خطوات لا تتفق مع ابسط معاني الواجب .

أيها اللبنانيون :

بعدما مر بنا من احداث عبر تاريخنا ، وفي وجه حملة التشكيك التي استهدف لها هذا الوطن الغالي ، وفيما نحن نمشي ، مع اخواننا واشقائنا ، بإيمان وراحة ضمير ، الطريق الى استعادة الحقوق المغتصبة على الارض المقدسة ، من حق الزمن علينا ومن حق

الوطنية المجربة ان ننظر الى المشقات بشجاعة وصلابة ، مدركين معنى الصمود كما تتحلى به الشعوب التي صقلتها التجارب . فمن معانيه التصدي للمشقات مهما تطاولت ، ومن معانيه ان ننتهي من التفاوت بين ما نبتغي وما نعطي ، وان نبلغ وضح الجرأة في فهم الأمور بواقعية ، وان نضحي بالأعز والأغلى ، في سبيل الوطن . ان الأيام التي تمر بها بلادنا تفرض علينا جميعاً ، على كل منا ، مزيداً من حس **المسؤولية** في الاقوال كما في الأعمال .

ولقد عودنا اللبناني بما اوتي من قدرة على التفهم ، وما تحلى به من حس وطني سليم ، ومن روح متفائلة ، وثقة بالنفس ، ان يكون اقوى من المصاعب ، وان يكون المتغلب عليها في كل وقت ، وان يكون ، بذلك كله ، الضمانة الكبرى لسيرنا جميعاً في الاتجاه الأمين .

أيها اللبنانيون :

في هذه الذكرى المجيدة ، وفي هذا الظرف المصيري الحاسم ، يجدد اللبنانيون عهدهم على التمسك اكثر فأكثر بوحدتهم الوطنية ، عدتهم في كل شدة ومصدر قوتهم في كل صعوبة . ولليوم وللتاريخ يجددون ايمانهم بالمقومات الاساسية التي عليها بنوا لهذا الوطن ماضياً مجيداً ، وحاضراً متطلعاً ، وطموحاً كبيراً ، متخذين اليوم من مثل الشهداء العبرة الكبرى بالتضحية حتى الموت في سبيل هذا الوطن ، وفي سبيل القيم التي لا حياة من ودنها » .

شارل حلو الخطيب

شارل حلو الخطيب ؟ .

ناجح جداً ، ومتفوق جداً ، وعشرة على عشرة ، بل مئة على مئة .

في المناسبات الرسمية يخطب . وفي المناسبات التي بين بين يخطب . وفي مناسبات الاعياد يخطب . وفي الزيارات يخطب .

. . . وحتى في الأزمات يخطب .

ولكثرة شغفه بالخطابة ، عبر التلفزيون والاذاعة ، قيل انه كان يتضايق اذا مرت فترة طويلة بعض الشيء ولم يخطب .

وقيل أيضاً أنه عندما تتعذر المناسبات او تندر ، كان يكتب مقالات بالفرنسية

تنشرها احدى الصحف . يفش خلقه بالحكي . واذا لم يجد من يحكي له ويصغي اليه يلجأ الى الكتابة . يكتب ويخطب .

وقيل كذلك ان حبه للخطابة والكتابة قد يكون هو السبب البارز الذي جعله ينصرف عن أمور أخرى كان البعض يأمل من عهده أن يحققها .

وقيل اكثر . فالذين يحسبون انفسهم مقربين منه يقولون انه كان يفش خلقه بالخطابات . وكان ، لفرط تأثره من حالة عهده ، يلجأ الى الكلمة مفترضاً فيها ، ان تقول عنه ، ولو بنعومة ورهافة ، ما كان يود ان يقوله مترجماً بالأفعال والأعمال .

في ما يأتي نماذج من تلك الخطابات :

على أثر انتخابه رئيساً للجمهورية يوم 18 آب 1964 ، ألقى في المجلس النيابي الكلمة الآتية :

« عطوفة الرئيس » ،

أيها السادة ،

ان ثقتكم الغالية ، وهي ثقة الأمة التي تمثلون اجدر تمثيل قد اختارتني بين أقران كلهم كفء فرفعتني هذا الصباح الى مرتبة تضع في عنقي امانتين : شرف القيادة وواجب المساواة في الحق بين جميع المواطنين دون تمييز ولا تفريق .

فانني اليوم اكتفي بتقديمي اليكم شكري الخالص المنبعث من قلب يسمو فيه حب الوطن على كل عاطفة ومن نفس مؤمنة بأن شرف الخدمة لا يقف عند التضحية بالنفس ، ومن عقل اذا ادرك نبل الأهداف فانما يدرك ايضاً جسامة المسؤولية ووعورة المسالك .

ولربما زاد شعوري بخطورة ما يلقى على كاهلي من عبء ، وبما ينبغي ان يحيط بسدة الرئاسة من سمو ومهابة ، اني اخلف رئيساً عظيماً يتخلى مختاراً عن المقود بعدما انقذ البلاد وأرساها على دعائم متينة ، سليمة ، صادقة ، داخلياً وعربياً وعالمياً ، وعبأ طاقات الأمة والدولة المعنوية والمادية ، وأطلقها على دروب التقدم والعدالة والعزة والكرامة .

والله عز وجل أسأل ان يمدني بايده لاكمل رسالة الرجل الكبير وان يسدد خطاي وخطاكم في خدمة وطننا الحبيب لبنان ليبقى على الدهر موطن الحق والحرية والمحبة والجمال .

« عاش لبنان »

لم يكن اللواء فؤاد شهاب يحب الاسفار ، كما انه لم يكن يحب حضور المؤتمرات خصوصاً مؤتمرات القمة العربية . لذلك كلف الرئيس شارل حلو يوم 5 ايلول ، وقبل تسلمه سلطاته الدستورية ان يترأس وفد لبنان الى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الاسكندرية . وقد ألقى الرئيس حلو خطاباً جاء فيه :

« انه لمن حظي ان يدعوني الواجب ، اول ما يدعوني ، الى الاشتراك في هذا المؤتمر العربي الكبير فتكون أولى مهماتي الرسمية المشاركة باسم لبنان في ما لا بد ان يجمع الرأي عليه من موقف منسجم وعمل موحد من اجل فلسطين .

وقضية فلسطين رافقت ، منذ نشوئها حياتي العامة بل وحياتي الخاصة ايضاً ، فراعني كما راع كل مواطن في أي بلاد عربية واستفز ضميري كما كان ينبغي ان يستفز كل ضمير حي في العالم ، عدوان لم يواجه شعب مثيله في التاريخ انتهى الى غصب قطعة غالية من أرض العرب تذخر بالمقدسات والى توطين اقوام لا حق لهم بشيء منها ، وتكوين دولة عنصرية توسعية كانت وستبقى نصلة في جنب العرب ، لا امان لهم ولا راحة قبل ان ينتزعوها .

ولقد كان من حسن التدبير ومن صدق العزيمة ان يلتقي رؤساء الدول العربية بالذات ، في اطار الجامعة ، ليتدارسوا ما آلت اليه هذه القضية الخطيرة وما بلغت اسرائيل من امكانات وما هيأت وتهيىء من اسباب الرسوخ ووسائل التوسع ، وينظروا فيما يجب عمله لوقف هذه التهيئة ثم لوضع حد للعدوان المتمادي والمتفاقم خطره . وانني لانتهز هذا المجال لاكرر شكري وشكر لبنان لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر على أخذه المبادرة في الدعوة الى الاجتماع الأول ، الذي يعقبه اجتماعنا اليوم وستعقبه باذن الله اجتماعات اخرى وعلى ضيافته الكريمة في هذه الأرض العزيزة على قلب كل لبناني ، ارض الجمهورية العربية المتحدة .

ان ايمان الشعوب العربية بعدالة السماء اولاً ثم بحقها المقدس فيما تناضل من اجله ، وثقتها بملوكها ورؤسائها وحكامها وجيوشها ، يحيي في النفوس املاً وطيداً بأن يسفر لقاؤنا ههنا عما يؤلف بين القلوب ويوثق عرى التساند والتضامن ويوحد القول والعمل ويخلق بالتالي الجو الذي لا ندحة لنا عن ايجاده صافياً لنخوض معركة هي معركة مصير لكل منا ، ونخرج منها ظافرين . وان الحكمة وبعد النظر اللذين سادا الاجتماع الأول ، مقرونين بالعزم الأكيد على دفع القضية الى الامام وقطع مرحلة ايجابية من مراحل هذا النضال القاسي الطويل ، لا بد ان يسيطرا مرة أخرى باذن الله على اعمال هذا المؤتمر

الكبير ويؤمننا له التوفيق والنجاح .

ولقد لبى لبنان الدعوة وسيلبي كل دعوة عربية مشتركة بروح الاخوة الصادقة والود الصافي التي ما ارادها ان تتبدل يوماً في علاقاته بالدول العربية الشقيقة ، وعلى اساس الثقة المكينة بالجامعة التي آمن منذ البدء بجدواها وبفعالية ميثاقها والتي عمل ويعمل من اجل تعزيزها في كل آن . وانني اعلن باسم وفد لبنان استعدادنا حكومة وشعباً ، للاسهام الايجابي في كل عمل مشترك تجمع عليه الدول العربية من اجل اعادة الامر الى نصابه والحق الى اصحابه في فلسطين » .

لمناسبة حلفه اليمين الدستورية امام مجلس النواب بتاريخ 23 أيلول 1964 القى خطاباً قال فيه :

« عطوفة الرئيس » ،

حضرات النواب المحترمين ،

ان ثقتكم الغالية التي رفعتني الى سدة الرئاسة ملأت قلبي شعوراً بالفضل وادراكاً للمسؤولية . وهي ، اذ تجعل مني أبا لمجموع الاسرة اللبنانية وتسلخني عن صلات الدم والقربى ، انما تلاشي عندي ما تجمعه الأيام والأحوال في نفس كل بشر من رواسب التباين او التفضيل ، وتهيب بي ، في جميع الظروف ، الى التقيد بما يفرضه الواجب في مجالات الدفاع عن استقلال البلاد وسيادتها ودستورها وصيانة الحقوق والبر بالعهود .

وليس لي في هذا منة او فضل . انه وليد ما علي للأمة واقتفاء للقدوة السامية الماثلة امام اعين اللبنانيين في شخص الرئيس فؤاد شهاب الذي جاء تجرده الشخصي عنواناً لأروع الامثولات في وقف كل طاقات الانسان على خدمة الوطن واسعاد الشعب .

لقد وطد اللواء فؤاد شهاب عهداً اتسم بطابع الطمأنينة العامة والاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي والتقدم الاجتماعي ، وأصبحت المحافظة على قواعد العهد ومنجزاته امانة غالية في عنق من يخلفه .

عطوفة الرئيس ،
حضرات النواب المحترمين ،
أؤمن بلبنان ايماني بالله تعالى ،

اؤمن بأن هذا الوطن الصغير الرقعة يمكنه ان يكون مثالاً رائعاً للدولة المستقلة ،

المحبة للسلام ، متآخياً باخلاص مع جاراته وشقيقاته الدول العربية ، ومطلاً على مشارف الدنيا بأسرها بنشاط أبنائه المقيمين والمغتربين .

وأؤمن بأن وحدتنا الوطنية تنبع في الأصل ليس من ايماننا جميعاً بوطن واحد فحسب بل قبل ذلك بإله واحد وبكرامة الانسان وحريته وحقه الاساسي في حياة مادية واجتماعية كريمة وتتحقق بالمساواة بين جميع اللبنانيين في الحقوق والواجبات وتتميز بالمحبة والتسامح .

وأؤمن بأن النظام الديموقراطي ضرورة جوهرية لبلادنا . فهو ، بالاضافة الى ما يكرس من حريات ويؤمن من توازن بين السلطات ، انما يتيح عندنا مجال اللقاء المثمر بين الاسر الروحية اللبنانية فيتفاعل نشاطها ضمن المؤسسات الديموقراطية وتتقابل حاجاتها وآراؤها في اطار من التعاون الاخوي . واذا كان الحكم شورى فإن نظام الشورى هو في لبنان احد شروط الحياة المشتركة والاستقرار » .

في الخامس من تشرين الأول 1964 عقد في القاهرة مؤتمر الدول غير المنحازة فحضره الرئيس حلو وألقى خلاله خطاباً ورد فيه قوله :

« ... لا شك ان اكبر معضلة واخطرها ما زلنا نواجهها ، هي مأساة فلسطين التي شرد شعبها واستبيحت مقدساتها واني واثق من ان كفاحنا المشترك الذي أتاح لبلداننا ان تستعيد حريتها وحقها في وطنها لكفيل بأن يعيد الى شعب فلسطين حريته وحقه في وطنه .

ان جهودكم التي أثمرت ثمرتها بعد مؤتمر بلغراد خليقة بأن تساهم بحل المنازعات والخلافات المتبقية بالعناية وبروح المسؤولية التي تتضاعف بتضاعف اهمية المؤتمر وفي عدد الدول المنتسبة اليه . ذلك انه قد انبثق من الانطلاقة الأولى طاقة معنوية من شأنها ان تساعد في توطيد السلم والأمن والطمأنينة في العالم كافة .

سادتي ،

ان هذه الشعوب الظافرة باستقلالها بعد انتظار طويل وبعد جهاد مرير لم تأخذها نشوة العزة والظفر ، ولم تنكمش على نفسها ، بل بسطت وتبسط يدها لجميع الدول المسؤولة عن مصير البشرية في مجال تعاون عادل وخصب ، مستهدفة المحافظة على السلام ، بمنأى عن سياسة التدخل والقوة ، داعية الى حسم المنازعات بالطرق السلمية على اساس الحق والعدل .

ان الدول غير المنحازة ، الرافعة علم السلام ، لتدرك انها صاحبة رسالة تطورت

بسرعة فائقة حتى تعدت حدود فرض التعايش السلمي الى وجوب قيام تعاون بين الأمم تسهم فيه كل منها لخيرها جميعاً ، تعاوناً سلمياً يبقى ناقصاً وغير مجد ان لم ينفذ ، عبر نزع السلاح وتسوية العلاقات السياسية ، الى اعماق مشكلة الشعوب الاساسية الا وهي المشكلة الاقتصادية والى رفع مستوى الحياة لمن لم يبرح متخلفاً . واي تعايش سلمي يصمد امام تقلبات الزمان ، وأي تعاون يؤتي ثماره ان لم تتضافر جهود البشرية بأسرها من اجل تأمين حياة كريمة لكل شعب من شعوبها ، وتبديد عوامل الخوف والقلق .

هذا ما يجب ان تدركه جميع دول العالم ، فوق ادراكها ان الغلبة بعد الآن وفي السياق الطويل لن تكون للقوة ، بل للحق ، وللعدالة الاجتماعية بأوسع معانيها » .

من كلمة ألقاها في المأدبة التي اقامتها على شرفه نقابة المحامين بتاريخ 3 تشرين الثاني 1964 :

« ... هي مناسبة يشهد فيها المواطنون روعة الالفة بين أبناء المهنة الواحدة وجدوى الالتفاف حول مثل عليا مسلكية أبية ، كانت نقابة المحامين ـ وهي عميدة السن بين النقابات في لبنان ـ حصنا حصيناً لها منذ نشأتها .

ولا شك في ان لكل مهنة من المهن سجاياها وشرفها . ومن حقها جميعاً ان تتباهى برفعة المستوى الذي تيسر للبنان ان يبلغه بفضلها .

وتقف المحاماة في الصفوف الامامية هادية ومدلية بتعاليم وآداب ومناقب البستها عبر الزمن ثوبا زاهياً بألوان الفروسية ورسمت لها ذلك الوجه الوسيم المستجيب لنداء الاستغاثة والنجدة .

الزمالة فيها مدرسة رائعة تسطع بعناوين التهذيب العالي والخلق المصقول . قامت في جنباتها شرعة سمحاء رفعت الخصومة الى مرتبة الواجب وخلعت عليها معنى جديداً أبعدها عن العداوة والبغضاء . هي حكمة أرساها التفهم العميق لروح الديموقراطية ولشرعة حقوق الانسان وبالتالي لرسالة المحاماة العاملة على رد الظلم والدفاع عن الحق الى ان تستكمل القضية كل طاقاتها القانونية وتستقر في حرم القضية المحكمة التي ارتضى الجميع ان يقفوا عندها ويذعنوا لها . حكمة ارجو ان تسود جميع المناقشات في جميع الحقول والميادين » . (...)

من خطاب القاه لمناسبة زيارة الرئيس بورقيبه الى لبنان :

« ... ان لبنان لو نظر الى شاطئه لرأى قرطاجه تتأهب وتأخذ مداها لتروح الى

شاطئكم صلة اولى في البناء ، وبقاؤ ها اليوم دليل على ديمومة التعاطي بين شعبين معطاءين للحضارة على هذا البحر الذي كان مهدها .

ولبنان لو نظر الى ذاته دولة متضامنة مع اخواتها العربيات ، عاملة وسعها على توحيد الكلمة وجمع القوى في سبيل قضايا العرب العظمى ، وفي طليعتها قضية فلسطين ، لبنان يرى فيكم ، فخامة الأخ الرئيس ، قائداً عربياً أصيلاً ناضل في سبيل حرية بلاده ، واعلاء كلمتها فأحرز الانتصار تلو الانتصار حتى ارتفعت راية تونس بين الرايات ، فكان ذلك نصراً لها وللعرب جميعاً .

ان الشعب اللبناني يتابع باهتمام بالغ الخطوات المباركة التي سارتها تونس وشعبها العزيز بقيادتكم الحكيمة من استكمال السيادة الوطنية الى المخططات العلمية الرصينة التي ترتكز اليها نهضتكم الاقتصادية والاجتماعية الراهنة ، ويبتهل الى الله تعالى ان يقرن جميع خطوات الشعب الشقيق باليسر والتوفيق » . (. . .) .

من خطاب القاه لمناسبة عيد الاستقلال 22 تشرين الثاني 1964 :

« . . . أيها اللبنانيون ،

ان التجارب التي مر بها لبنان منذ فجر الاستقلال حتى اليوم ولا سيما خلال الاحداث المشؤومة الدامية التي تعرض فيها المصير لاشد الاخطار قد رسمت لهذا الوطن طريقاً قومياً لا يجوز ان نحيد عنه يوماً ، طريقاً رسخه الاجماع الوطني وكان للبنانيين ان يلتفوا حول الدولة للنهوض في البناء على اسس من العدالة المطلقة . فالتقدم الوثاب والاستمرار في بذل الجهد لتطوير البلاد ونهضتها مهمة جديرة بأن يتجند لها اللبناني اينما كان وحيثما وجد وان يتقدم لحمل أعبائها بأمانة وعزم كل مسؤول .

لقد خطا لبنان منذ مطلع استقلاله حتى يومنا هذا الخطى الحثيثة في تحقيق ازدهاره وشهد في السنوات الاخيرة نهضته الشاملة القائمة على قواعد التقدم الحديث وبات مطمئناً الى اليوم الذي تصبح فيه شروط الحياة الفضلى ملك يديه بفضل تضافر المجهودات وتضامن الجميع وانه لحقيق بنا ، في حرصنا على هذه الغايات الكبرى ان نصحوا اذا ، على تعال وصفاء فلا ضغائن ولا احقاد ولا أنانية بل توحيد للكلمة في القضايا الوطنية وتجرد يؤكد الرسالة الروحية التي ما انفك لبنان يغالب بها العصور » . (. . .) .

من خطاب القاه في حفلة افتتاح اسبوع الصليب الأحمر اللبناني بتاريخ 17 أيار 1965 :

« في ظل المحبة ، نجتمع الآن ، ظل المحبة الصافية ، والاخاء الانساني في أتم معانيه ، وأي اخاء اكمل ، من ذاك الذي يتجلى تفانياً في سبيل الآخرين ، فلا راحة ، ولا سعادة ، ولا صحة ، ما لم ينعم بها الآخرون . واي نفع تبتغي النخبة المختارة ، لا يكون فيه للغير نصيب ، فإذا كان البر قربى ، ومحبة الخلق من محبة الله ، وهم من عياله ، كان أقرب الخلق الى الله ، أنفعهم لعياله .

الى الخدمات الجلى ، والتضحيات المتواصلة ، التي تقوم بها ، مؤسسة الصليب الأحمر اللبناني ، لتتجاوب ، ورسالة هذا البلد المعطاء ، في أسمى مفاهيمها ، فهي تتعدى ، في مغزاها كل احصاء وكل تقويم ، لأن بلوغ المثل العلّيا ، لا يقاس بالارقام ، مهما بلغت من قوة البرهان ، ولو طلبنا ارقاماً لما عزت ، فلا عدد الاسرة ، ولا جمهور المؤاسين ، وما الى ذلك ، يكاد يكون بشيء تجاه سمو الغاية ، التي ينشدها اخلاص الانسان ، في خدمة أخيه الانسان ، في حشد العواطف النبيلة ، من كل جهة وصوب ، لنشرها ، دون استثناء على كل جهة وصوب ، في جمع سخي العطاء من الجميع ، لتوزيعه خدمة ومؤاساة ، على الجميع » . (. . .) .

من خطاب القاه لمناسبة حفلة الغداء التي اقامها على شرف النواب في عاليه بتاريخ 18 آب 1965 :

« أيها السادة » ،

أرحب بكم في بيتكم مؤتمنين على مصالح الأمة التي تولينا كلنا شرف خدمتها واخواناً رفعني اختياركم الى مسؤوليات الرئاسة ، اختيار افخر به واعرف الواجب الذي ينطوي عليه وهو واجب سأظل ماضياً بالتعاون معكم في ادائه كاملاً حتى ننهض بهذا الوطن الحبيب في شتى الميادين .

واني لسعيد بهذا الاجتماع الذي يضم نخبة مهما اختلفت نظرة افرادها الى الأمور فلا بد من ان يلتقوا على الصعيد الوطني العام . ان هذا الالتقاء لا يعني حتماً تغاضي الفرقاء عما ينوعهم في اتجاهاتهم وسعيهم ومراميهم بل هو من طبيعة النظام الذي ارتضيناه لهذا البلد . ان الحوار المثمر الذي يتوخى التعاون البناء وليد التصارح والتفاهم ، علة لوجود هذا النظام وما يعنيه من عزم صادق عنيد على ان نحفظ للبنان صفاءه الذي بدونه لا حياة سياسية سليمة ولا حرية فعلية ، حتى ولا جو يؤاتي ما نصبو اليه من تطور اجتماعي واقتصادي وانساني .

فتجاوباً مع هذه المبادىء الاساسية سأظل أقوم بدور حكم لا يخشى في الحق قولة قائل ملتزماً يميناً أقسمت باسم الله العظيم على احترام الدستور والتمسك به نصاً وروحاً ، ومسترشداً مصلحة الدولة التي يصغر ويتضاءل حيالها كل اعتبار مهما كبر وتعاظم » .

من خطاب القاه لمناسبة زيارته لبشري بتاريخ 18 آب 1965 :

« أبناء الأرز احبائي » ،

لقد دعيت وأعضاء الحكومة الرشيدة الى مهرجان الأرز ، فإذا بنا أمام مهرجان آخر قبل الذي دعينا اليه ، وهو مهرجان لا يقل تعبيراً عن الذي ينتظرنا بعد حين ، مهرجان تجلت فيه كل معاني المحبة والرجولة والاباء ، فأضفى المعاني الانسانية السامية على الجمال الطبيعي السامي ، كأن ابناء هذا المرتفع من أرض لبنان أبوا إلاَّ أن يضيفوا ابداع الأجيال الى ابداع الخالق .

شكراً خالصاً أعمق من الكلمات لابناء هذه المنطقة العالية الغالية ، وشكراً لنوابها الأفاضل عن كل ما لقيت اليوم من ترحيب حار يزيد على ما لقيت منهم في السابق وما سألاقيه دوماً لديهم من تعاون وطني مخلص . وهو ترحيب يتجاوز التعلق بشخصي الى التعلق بوطن مفدى فخور بهذا الجبل الذي أنبتت أوديته وذراه كوكبة من رجال الفكر والروح تجاوزت شهرتهم حدود لبنان ، وتخطت رسالتهم حدود الزمن » . (. . .) .

من خطاب لمناسبة زيارته لبعلبك بتاريخ 21 آب 1965 :

« . . . نعلم جيداً ان بعلبك لا تمثل امجاد الماضي فحسب بل نهضة الحاضر واماني المستقبل . واذا كنا هنا امام آثار خالدة فنحن ايضاً وقبل ذلك في بعلبك وفي الهرمل امام شعب حي طموح يطلب اصلاحاً وعدلاً وطمأنينة وازدهاراً . ان ما لكم من حاجات نسعى الى تلبيتها بكل ما أوتينا من قوة واملكم فينا لن نخيبه باذن الله .

اجل . نؤكد لكم ان هذه المنطقة العزيزة هي في طليعة المناطق التي توليها الدولة عنايتها ، دائبة على تنفيذ جميع المشاريع المقررة لها في برامج الخطة الانمائية .

انه على الرغم من الصعاب التي تعترض كل طريق نسير على دروب التطور الاقتصادي والاجتماعي لكل قطعة من أرض لبنان بروح الانصاف والمساواة وبارادة لن تلين في توفير الامكانات والوسائل المؤدية الى المستوى الذي نريده لجميع أجزاء هذا الوطن الحبيب » . (. . .) .

من خطاب القاه في حفلة تقليد السيوف لضباط دورة 1965 في المدرسة الحربية بتاريخ 3 أيلول 1965 :

« . . . أيها الضباط الجدد ،

يوم وطدتم العزم على الانخراط في سلك الجندية ، تطلعتم ، ولا شك ، الى من تقدمكم ، ممن كتبوا بنظاميتهم ، ووعيهم المسؤولية ، صفحات من أمجادنا ، ولا أجمل ، تطلعتم الى مؤسسة فتية ، يسجل لها التاريخ لليوم ، عشرين عاماً ، من كبير المآثر ، مؤسسة نفتخر بها منذ نشأتها ، برعاية قائد كبير ومدبر حكيم ، فألفتموها دعامة أساسية لاستقلال بلدنا العزيز ، وسياجاً لسيادته وعزته .

أيها الضباط ،

الجندية رسالة ، فكونوا ، أبناء لبنان ، رسل حق وحرية وكرامة ، لأن كل اولئك من كيان لبنان .

كونوا رسل اخاء ومحبة، لأن الالفة والتضامن والوحدة قيم من صميم رسالة لبنان .
كونوا رسل انسانية ، لأن الجندية تعني القوة في سبيل الحق ، وما حقوق الانسان ذاتها ، سوى وليدة القيم الانسانية ، وان في تلك الرسالة ، وفي المحافظة على القيم ، لفعل ايمان بلبنان .

فعلى بركة الله ، والى الامام في خدمة العلم المفدى ، ورسالة لبنان .

عاش لبنان »

من خطاب القاه لمناسبة زيارته لطرابلس في تشرين الأول 1965 :

« أبناء طرابلس والشمال ، أحبائي ،

ليس الترحاب الذي نلقاه اليوم وطوال الطريق التي سلكنا ، في الفيحاء العزيزة أينما اتجهنا وحيثما حللنا ، الا من عاداتكم المفعمة بالمحبة والكرم . فشكراً لكم على هذه العاطفة الفياضة وشكراً خاصاً لرئيس بلدية طرابلس على ما خصني به من مشاعر باسمكم وتحية خالصة ، لكم وللفيحاء والشمال اجمع . ان لقاءنا ، يحقق امنية من اعز اماني ، في نطاق زياراتي لارجاء الوطن الحبيب ، وان الروح التي تتجلى في هذا اللقاء وهذا الترحاب لتعبر ، اصدق تعبير ، عن الحب والثقة الراسخة في نفوسكم بأن الدولة ، هي لجميع ابنائها على السواء ، وانها منهم واليهم ، في جميع الأحوال .

انكم بالاضافة الى سحر بلدكم وربوعكم بأسرها ، وحرارة ضيافتكم ، قد أثلجتم صدرنا بمنجزاتكم التي استطعتم تحقيقها حتى الآن بالدأب والطموح والاخلاص ، وبالتعاون الوثيق الذي يطبع ويجب ان يطبع دائماً حياتنا الاجتماعية ، أرباب عمل وعمالاً ، فكانت المصانع التي سرتنا في هذه الصبيحة رؤيتها ، وغيرها من الأعمال المباركة الدالة على ما تميزتم به من اقدام ومهارة ، وقلوب وعزائم يهون عندها ، ما دامت متحدة متآخية ، كل أمر صعب » . (. . .) .

من خطاب القاه لدى زيارته لراشيا لمناسبة عيد الاستقلال :

« ان لقاءنا اليوم ، لا يهدف فقط ، تخليد مرحلة حاسمة من مراحل كفاحنا الطويل ، في سبيل استقلالنا . ولا تمجيد بطولة النخبة المختارة التي قادت المعركة يومذاك الى خاتمتها المظفرة . ان زيارتنا قلعة راشيا ترمز الى ابعد من ذلك ، الى تكريم وتقدير القيم المعنوية ، كعوامل اساسية في تحرر وتطور الشعوب ، الى تقديس روح التضحية بمختلف معانيها ، وهي روح يجب ان تقترن بها كل مسؤولية .

ان الاستقلال خلق مستمر نجابه جميعاً شتى مسؤولياته في الداخل كما في الخارج ، باذلين كل جهد مستمر مستعدين لكل تضحية . ورب ظرف أبت التضحية فيه ان تبرز كتضحية وكانت البطولة فيه في التغلب على مظاهر البطولات . ورب ظرف قضى ، والصراع سافر ، بأن تبرز التضحيات نبراساً والبطولات قدوة . فكانت الذكرى الخالدة ، ذكرى الاستقلال » . (. . .)

من خطاب القاه لمناسبة استقبال وفود نوادي الرياضة والشباب في قصر سن الفيل بتاريخ 14 كانون الأول 1965 :

« الى شباب لبنان ، غرة المستقبل وامل الغد ، اليهم حيثما كانوا اوجه كلامي الآن .

الى من كانت لهم حصتهم في الفكر والقلب ، وانا اخاطب اللبنانيين جميعاً لثلاثة اسابيع خلت ، في يوم الاستقلال .

الى من يمثلون نصف سكان البلاد ، ويمثلون ، في مشاغلنا ، ما يفرضه ، على كل أب ضميره وحنانه .

ابناءنا هؤلاء أخاطب اليوم ، بصورة خاصة ، لأؤكد لهم اننا نتتبع امورهم

ونستقصي مشاغلهم ، وربما ادركنا اكثر مما يدركون ، اذ علينا ، بحكم مهمتنا ، ان نعالج تلك الأمور ، بتفاصيلها التي تستوقفهم ، وفي اطارها الاجمالي ، في آن واحد ، هذا الاطار الذي يلتقي والمصلحة العامة ، ومنها مصلحتهم ، في مخطط شامل للانماء ، يهدف تحقيق العيش الأفضل ، انما ننظر اليه وجميع المسؤولين في ضوء العدالة والخير العام ، قيمين على حاضر الأمة ، وعلى مصيرها ومستقبل ابنائها مؤتمنين .

ولئن كان ، في تحقيق الازدهار والعيش الأفضل ، توسع لآفاقهم ، وفي تأمين المصلحة العامة ، تأمين لمصالحهم ، فما قصدي الآن ان احدثهم عن هذه المصالح وعما لهم من حقوق ، بل عن واجباتهم ، وما يترتب عليهم من مسؤوليات . وان هذه الصراحة لخير تعبير عن ايماننا بهم ، اذ هي تعرب عن ثقتنا بأن في لغة المسؤولية . لا في لغة الوعود ، خير أسلوب لمخاطبتهم ، وخير حافز لمهمتهم » . (. . .) .

من خطاب القاه لمناسبة استقبال السلك الدبلوماسي في قصر الرئاسة :

« . . . لقد غدا من مقتضيات العصر ان يزداد البشر تحسساً بتضامنهم ، متغلبين على كل انانية فردية كانت او جماعية ، مذللين الصعاب ، متجاوبين ونداء العقل والقلب الى تفاهم اعمق ومبادىء اخلاقية اسمى .

ذلك التطور بل ذلك الارتقاء ترونا ، هنا نتتبع مراحله باهتمام كبير ، لما لهذا البلد الصغير من انفتاحية على آفاق الدنيا والروح . ونحن نريد ان نسهم فيه ، طاقتنا ، بما نعمله في الحقل الخارجي ، وبما ارتضيناه لأنفسنا في الحقل الداخلي ، من أسلوب حياة . على هذه الأرض الضيقة الرقعة اخترنا ان نعيش ونموت وفاقاً لناموس يستوحي مفاهيمه من ميثاق اخوة لا تتحقق بها الوحدة الوطنية فحسب ، بل يتحقق بها ايضاً ـ وبعون الواحد الأحد الذي نؤمن به أجمعين ـ انصهار انساني تتعدى اثاره حدود لبنان الى اقاصي المسكونة » . (. . .)

من رسالة الى الشعب اللبناني بتاريخ 18 كانون الثاني 1966 في 13 صفحة فولسكاب مضروبة على الدكتيلو :

« أيها اللبنانيون ،

في هذه المرحلة الهامة ، التي نواصل فيها ، جهودنا الانمائية ، في الحقلين الاقتصادي والاجتماعي ، واذ يصبو جميع اللبنانيين ، الى تحقيق اصلاح شامل في الدولة يجعل من اجهزتنا اداة حكم صالحة .

وفيما نسعى الى توسيع التعاون بين القطاعين العام والخاص ، في جو من الثقة المتبادلة ، في سبيل ما نهدف اليه ، من سلام وازدهار وعدالة .

وفيما نجابه ، ما يثيره الانماء العام ، من مسائل مالية وغير مالية ، لا بد من معالجتها .

وفي الوقت الذي أوشك فيه مجلس النواب أن ينهي مناقشة الموازنة ، بحيث لا يعني حديثي عنها الآن تدخلاً في تلك المناقشة . ونظراً لما للموازنات ، في مفهومها الحديث ، من وظائف في الحقلين ، الاقتصادي العام والاجتماعي ، ومن شمول يعكس اوضاع البلاد في سائر الحقول .

وبعد ان شرح دولة رئيس مجلس الوزراء ، وزير المالية ، امام مجلس النواب ، بواقعية كلية ، وضعنا المالي ، على صعيدي الموازنة والخزينة .

في هذه المرحلة ، رأيت ان اخاطبكم ، ايماناً مني ، بنظامنا الديموقراطي - البرلماني ، وبقدرته على التصدي لمختلف مشاكلنا ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى ايجاد الحلول لها . وفي بلد ، من تراثه تمثيل نيابي يتحلى بالنضج الفكري ، والوعي السياسي ، ويتحسس ابناؤه مسؤوليات المواطن ، تحسساً يحملهم على التبصر في الأمور ، ومناقشتها ، حتى تنجلي حقائقها ، لا انفصام بين دور الدولة ودور المواطنين ، أفراداً وجماعات . (. . .) .

أيها المواطنون ،

ان الاصلاح الذي تقوم به الدولة في القضاء والادارة هو شرط أساسي لاستمرار اندفاع العمل الانمائي . انه سلسلة بدأت ، منذ سنوات ، بنصوص وتنظيمات وتستكمل اليوم حلقاتها . وليس من أغراضه ونتائجه تعزيز الكفاءة والتجرد في الدوائر الرسمية فحسب ، بل تأمين مصلحة المجموع ، وتوفير امكانات العمل ، المادية والمعنوية ، في يد الدولة .

فضريبة الدخل مثلاً ، لو عولجت معالجة صحيحة فعالة ، وتأمن دفعها كاملة وبصدق ، لما ضاعت على الخزينة مبالغ لا يستهان بها ، ولسد نتاجها قسطاً هاماً من عجز الموازنة ، وساعد بالتالي على تنفيذ برامج التنمية ، مع تجنب ما نريد تجنبه ، من محاذير التضخم المالي .

وليس تنظيم تحصيل الضرائب وضبط هذا التحصيل الا جزءاً من الحل يقابله الجزء الآخر ، الذي يقوم على وجود الاطمئنان الى ان الانفاق يجري بالدقة والجدية نفسهما اللتين تم بهما تحصيل الأموال ، والى ان الدولة لا تسمح بأن يضيع منها ، في طريق الانفاق ، مثل ما يضيع منها في طريق التحصيل . وان من شأن ذلك ان يحمل المواطن على تأدية ما يتوجب عليه بروح المواطنية المسؤولة الخيرة .

ومن اهداف الاصلاح ، ما يستهدف القطاع الخاص . والدولة جادة في تنشيطه ، لما لذلك من اهمية على الصعيدين الاقتصادي العام والمالي . ولئن قل تدخلها في شؤون هذا القطاع ، من انتاج على مراحله ومن تبادل واستهلاك ، فلا يسعها الا تتدخل البتة بل ان عليها ان تنظر الى هذا القطاع ، من خلال ما يؤمن ، للمبادرة الحرة ، اطاراً مؤاتياً تتفاعل فيه نشاطاتها لما فيه خيرها وخير البلاد » . (. . .)

من خطاب القاه في دار الفتوى لمناسبة عيد الفطر :

« يسرني في هذه المناسبة السعيدة ان اعرب عن تهاني الخالصة وتمنياتي الطيبة بالعيد المبارك للطائفة الاسلامية الكريمة وللشعب اللبناني بأسره . وليس ذلك صوت ما يمليه الواجب وحده على رئيس الدولة ، انه أيضاً صوت عاطفته التي لا تميز بين مواطن ومواطن او بين طائفة وطائفة بل تشمل الجميع وتتوزع على السواء بين الجميع . هذا الواقع يجب ان يظل راسخاً في صميم كل لبنان وفي اعماق ضميره . والا نكون تنكرنا لحقيقتنا وأخللنا في مقاييس الحكم عندنا .

ان بلدنا العزيز يوطد وحدته الوطنية لا على اساس المصلحة المشتركة وحسب ، بل أولاً على أساس الايمان بالواحد الأحد ، وبالانسان وقدسية حقوقه وحريته وما يفرضه معتقده بالله عز وجل من محبة لاخيه الانسان » . (. . .)

من خطاب القاه لمناسبة زيارته للجامعة اللبنانية في 5 شباط 1966 :

« المرء حر حتى يعد

ويزيد في قيمة الوعد ان يكون مسؤولاً .

وانه لوعد مسؤول ، هذا الذي قطعه على الدولة وزير التربية الوطنية اذ حدثكم عن البناء الجامعي ، حديثاً واقعياً ، جدياً ، عملياً ، مستنداً الى الفن والارقام ، واضعاً مراحل هذا العمل الكبير في مواضعها الصحيحة ، مؤكداً ان التخطيط ودرس التفصيل

شرطان لتنفيذ سليم ، بل انهما جزء اساسي منه ، يضمنان له السرعة ويجنبان عوداً على بدء .

بيد ان الجامعة ليست البناء الذي يشاد ، وسيشاد بحول الله ، وليست تدفق الطلاب ، وان كان دليل نجاح . بل الجامعة هي الرسالة ، وهي الروح ، وهي المعرفة . الجامعة هي انتم قبل كل شيء ، تزدهر بل تتعاظم متى وضعتموها في مستوى فكري رفيع ، بل متى كرستم لها ، وللعلم عندنا ، تقاليد الجدية في التحصيل ، والعمق في التبصر ، والمسؤولية في الرأي وفي العمل » .

(. . .)

حساب العهد والولاية

كأنه خشي الا ينصفه الذين يكتبون القصص المثيرة والاساطير ، فيظلمونه ويكون قد ظلمه من قبلهم الذين يكتبون على الحيطان . ربما خشيته في موضعها . اذ ليس اصعب من الكتابة ، بموضوعية وتجرد ، عن عهد شارل حلو . المنجزات ؟ المشاريع ؟ الاسفلت ؟ المياه ؟ الكهرباء ؟ آخر ما يهم اللبناني ان تكون طريقه مزفتة . الأهم عنده ألا تكون أيامه مزفتة .

ومن هنا ، اراد شارل حلو ان يكتب بنفسه عن العهد والولاية وما حقق وما لم يحقق . وبالوسيلة التي يحبها ، بالرسائل التي يوجهها الى الناس ، عبر الاذاعة والتلفزيون .

ماذا في الرسالة ؟ .

ماذا عند صاحب عهد من الصعب انصافه ؟ .

تأكيد « ايماني بلبنان ، بما هو مدعو الى القيام به ، برسالته العربية والانسانية » .

ثم يأتي دور الكلام على المشاريع والملايين والماء والكهرباء و « معارك الصحافة في وجه الدولة . فقد تقبلت النصيب المقسوم لي من الانتقادات برحابة ورضى » .

وفي ما يأتي نص الرسالة ـ الوداع التي أذيعت الساعة التاسعة مساء الأحد 20 أيلول 1970 :

« أيها اللبنانيون ،

أود ، وأنا اودع مهام الرئاسة ، ان أؤكد مرة أخرى ايماني بلبنان ، بما هو مدعو الى القيام به ، برسالته العربية والانسانية ، بمصيره الثابت على المصاعب والمحن .

أجل ، في هذه المرحلة من تاريخنا ، وعالمنا العربي بأسره يواجه العدو الاسرائيلي والعالم بأجمعه يقاسي نتائج العنف تتواصل امامه ، الأمر الذي ما فتئنا ننبه اليه ، والتوسع الاسرائيلي يجهم آفاق الأرض وآمال العصر ويصبغها بالدماء ، اجل انه لوهم في هذه المرحلة من التاريخ ان تحسب دولة ، أياً تكن ، ومنها لبنان ، ان في مقدورها ان تكون بمأمن من كل أذى ومنجاة من كل خطر .

على أنه يجب الا ننسى ، ونحن نستعيد ذكر الظروف التي عبرناها ، ذلك المثال الرائع للشجاعة والحكمة والاتحاد الذي عرفنا ان نقدمه امام جميع الذين اقلقهم مصيرنا ، وجدير بنا ان ندرك ان الاسباب التي تزيدنا ثقة بأنفسنا قد تضاعفت مع التجارب التي مرت بنا وتغلبنا عليها ، وان هذه الاسباب هي أقوى من كل وسائل الدمار التي حركت في وجهنا .

واذا ما مدت الينا البلاد العربية قاطبة ، الواحدة منها بعد الأخرى ، يداً اخوية فلقد كنا واردنا ان نبقى في عداد اشد اعضاء الاسرة العربية الكبيرة ايماناً واخلاصاً ومحبة .

واذا ما اهتز لنا العالم بأسره ، فذلك اننا كنا وأردنا ان نبقى وطن الانسان ، اعني الوطن الذي يرعى اسمى الفضائل الانسانية : تعلق بالقيم الروحية ، وتسامح ، وأخاء ، واحترام للحريات الاساسية . اننا البلد الذي تؤلف فيه محبة الله والانسان علة وجوده واساس مصلحته العليا . من هنا اننا منفتحون ، بعضنا على بعض ، وجميعنا على العالم كله ، ومن هنا اننا وحدة حية في داخل حدودنا وعامل تفاهم واتحاد في الخارج ، وصلة لا غنى عنها بين الشعوب . من هنا أيضاً اننا نجسد الغاية التي يلح سعياً اليها البشر ونرسم منذ الآن ما يمكن ان تكون الانسانية في غدها بعد ان تبلغ نهاية طريقها المتئد الطويل نحو المحبة والسلام .

اننا ، بمضاعفة ادراكنا لخطورة دورنا وضرورته تمكنا من ابرازه للعالم فنفذنا الى الافئدة والعقول وكسبنا ود الشعوب في جميع المحافل الدولية وفي مختلف العواصم .

وبفضل هذا الدور توثقت الصداقات بيننا وبين الدول وأقمنا معها روابط التعاطف على مستوى واحد من الكرامة والاحترام المتبادل . اما قضية العرب وقضية فلسطين المحقة

فقد ساهمنا الى قدر كبير في فرض مكانها من العدالة في الضمير العالمي . واما العدو الذي كان جيشنا الفتي يقف في وجه عدوانه صامداً بإيمان وشجاعة فكنا في طليعة العاملين على أقسى ما صدر بحقه من احكام . ولم يكن ذلك في مقررات الأمم المتحدة فحسب بل في الكثير من تدابير التضييق وحظر الأسلحة على العدو .

لقد كان رائدنا في اللقاءات العربية سياسة التآخي ، وما فتئنا في الاجتماعات الدولية نؤكد على وحدة قضيتنا وقضية الحق .

ولا يسعني في هذه الآونة وامام ما يدمي القلوب من احداث تنتاب بلداً شقيقاً الا ان اناشد اشقاءنا جميعاً وضع حد لتقاتل الاخوة وذلك بالسرعة والطرق التي تفرضها ليس مصلحة فريق او بلد شقيق فحسب بل مصلحة العرب جميعاً .

اما اخواننا اللبنانيون المنتشرون وراء البحار الذين كانوا ملبين داعي الوطن في جميع الظروف الصعبة التي قاسيناها في هذه السنوات الاخيرة ، فقد أتاحوا لنا ان نقدر متانة صلات الصداقة التي توثقت على أيديهم عبر القارات ونلمس فعلها القوي . ولقد شاهدناهم ، هنا في لبنان ، لا يبخلون علينا بطاقاتهم ويشيعون في أنفسنا الأمل . ان هؤلاء الاخوان ، وبينهم الوجوه البارزة المؤثرة في شتى الحقول والميادين وعلى الصعيد السياسي كما على كل صعيد ، بما شددوا فينا من عزم وما غذوا في نفوسنا من اباء قد زادوا ثقتنا ثقة في اننا لا نحمل مسؤولية تولي ادارة جمهورية فتية ضيقة الرقعة فحسب بل امبراطورية للفكر عريقة شاسعة ومشعة . ترى ما قيمة السهر والتعب والجراح ازاء قدر اين منه قدر أي فرد منا .

وفي الوقت نفسه وضماناً لاستمرار رسالتنا هذه وصونا لوحدتنا الوطنية ولوجودنا بالذات كان يتعين علينا في الداخل ، أياً كانت مشاكلنا ، سياسية أو اقتصادية او اجتماعية وان بدا أحياناً ان لا مناص في حلها من الاكراه أو العنف ، ان نبقى بلد الحوار والشورى والتعاون المخلص القائمة جميعها على أساس الحرية ، اي ان نحفظ او نستعيد أياً كان الثمن جميع الخصائص التي تتصف بها الديموقراطية البرلمانية .

وانه لشرف لي وموضوع اعتزاز ، وبنيتنا اللبنانية في جوهرها تآلف عائلات روحية مشتركة ، ان احترام الحريات الاساسية لم يغب عني يوماً . وان هذا الاحترام ما انفك يوماً يوجه افكاري وأعمالي . ولقد دافعت عن مبدئه في وجه كل اعتبار ، في وجه المصالح ، في وجه الصداقات وفي وجه نفسي . وفي التنازع الطبيعي للأحزاب داخل مجلس النواب وفي البلاد ما أردت ان أكون الا حليف العدل والحقيقة . وفي الانتخابات

النيابية ما انتصرت لأي مرشح بل انتصرت لحرية الناخب وارادته . اما في معارك الصحافة والرأي العام في وجه الدولة فقد تقبلت النصيب المقسوم لي من الانتقادات برحابة ورضى ولعله احياناً دون ما أخذت به نفسي من نقد ذاتي ، محاولاً الافادة من كل ذلك في خدمة لبنان مؤمناً بأن للحكم قدسية تفرض انكار الذات تاركاً للتاريخ ، وهو الحكم الوحيد في النهاية ، ان يخص عملي ، بما له وما عليه ، بالموازنة العادلة . على انني أرى من واجبي ، وأنا استعيد بايجاز بعضاً مما سجلته الدولة والبلاد في مجال التقدم خلال هذه السنوات الست برغم المحن ، ان أقدم للبنانيين مقياساً صحيحاً لامكاناتهم .

في خلال سنوات ست وبفضل ما قام من تعاون بين القطاعين العام والخاص زاد انتاجنا الصناعي والزراعي ثلاثة أضعاف ما كان عليه وكذلك زادت صادرات الانتاج الصناعي بالنسبة نفسها وصادرات الانتاج الزراعي بنسبة أربعين في المئة .

لقد عنينا بمرفأ بيروت فضاعفنا مساحته وزدنا تجهيزه واتساعه فارتفعت الحركة فيه الى ثلاثة أمثالها . اما الاهراء التي شيدت على أرضه فتعد بين احدث الاهراء في العالم . وفي المطار ومحطة الطيران بدأت الاشغال وستنتهي المرحلة الأولى منها في تشرين الأول المقبل ، وبانجاز المراحل التالية التي تم تخطيطها يصبح المطار مؤهلاً لتأمين كل عمليات النقل الجوي للخمس والعشرين السنة المقبلة . وبتنفيذنا المعامل المائية في الأولي وجون وانتهاء الأعمال في المعمل الحراري في الجيه ضاعفنا خلال ست سنوات ما كان عليه انتاج الطاقة الكهربائية منذ نصف قرن ، اذ زاد الانتاج من700 مليون كيلوات ساعة الى مليار واربعمئة مليون ، هذا مع العلم ان عدد المستهلكين ارتفع بنسبة سبعين في المئة .

ان وسائل المواصلات بالاسلاك البحرية والاقمار الصناعية التي تجعلنا في المرتبة الأولى في الشرق الأوسط ، والتي تصلنا بالعالم الواسع بسرعة واطمئنان ، وتشدنا الى التيارات الفكرية والاقتصادية الكبرى في هذا العصر ، تؤمن لنا علاوة على ذلك منذ السنة الحالية دخلاً اضافياً يقارب العشرين مليون ليرة لبنانية ، وسيحقق اطراد حركتها السريع دخلاً يقدر بملياري ليرة خلال عشرين سنة وهو الوقت المقدر لاستهلاك معداتها .

وفي هذه السنوات الست أيضاً تضاعفت مدارسنا بما فيه عدد المعلمين ، هذه المدارس التي نعتبرها من التجهيزات الاساسية على الصعيدين الفكري والاقتصادي اذ ان موردنا الأهم هو الانسان ، ومستقبلنا رهن بنصف سكان هذا الوطن الذين هم دون العشرين . ثم ان انشاء كلية العلوم ، وهي النواة الأولى المهمة لجامعتنا ، جاء في الوقت الذي تقوم الدولة باصلاح كامل لنظام هذه الجامعة .

أضف الى ذلك اننا تمكنا منذ عام 1965 ، من دون ان نقع في ما كان يخشاه بعض الخبراء من تعثر واضطراب ، ان نطبق تشريعاً للضمان الاجتماعي يشمل حالياً عشرين ألف مؤسسة في فرعي التعويضات العائلية وتعويضات الصرف من الخدمة . والعمل ناشط لاعداد فرع الضمان الصحي على ما يعترضه من صعوبات . وبذلك نكون خلال خمس سنوات قد اجتزنا بأقل ما يمكن من نواقص ، مراحل استوجب اجتيازها عند سوانا ربع قرن .

لا شك في ان المناسبة ليست ملائمة الآن لنذكر ، على سبيل الرضى الشخصي ، مجموعة من أعمال الطرق ومن المشاريع الفنية ، وتقويم مجاري الأنهر (كنهر أبو علي ونهر بيروت) ، والري واستصلاح الاراضي وانشاء الحدائق العامة وتحوير المواقع السياحية (من المرحلة التي اجتازتها حفريات صور والتي أثارت اعجاب مختلف الأوساط العالمية ، الى المرحلة التي بلغها معرض طرابلس الدولي) مروراً بالمسالك التي فتحت لارز الباروك ومرفأ الكسليك ومغارة جعيتا العليا ناهيك بفتح هذه المغارة بالذات التي غدت من أكبر مراكزنا السياحية بعدد زوارها خلال الفصول الاربعة من السنة . على انه من المفيد على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي الاشارة الى ان تأمين الكهرباء في القرى قد تم عملياً اذ ان قرانا الألف والخمسمئة قد وصلتها الكهرباء ، ومنها ألف وصلتها في خلال السنوات الست ، وان ألفاً وأربعمئة وستين وصلتها مياه الشفة الى غاية شهر حزيران الفائت منها نصفها في خلال السنوات الست الاخيرة ، وان ما يزيد على السبعمئة كيلومتر من الطرق أمنت المواصلات خلال الفترة ذاتها لعدد من القرى يمثل ثلاثة اضعاف ما كان عليه عام 1964 .

لا ريب في ان هذه الانجازات وغيرها لا تمثل كل ما كنا نؤمل تحقيقه خلال السنوات الست ، لكنها تؤلف ضعفي أو ثلاثة اضعاف ما كان في امكان بلد آخر ان يحققه او ان يقدم على القيام به في الظروف التي بلوناها .

وفي الوقت نفسه تمكنا في اليوم التالي للهزة المالية الخطيرة التي اصابتنا من ان نتغلب على مضاعفاتها ، وان نغتنم المناسبة التي حتمتها علينا أسباب الهزة لتنقية القطاع المصرفي بكامله واصلاحه بتشريعات وتدابير يقتدى بها ، وان نمحض المودعين نظام ضمان طليعياً ، فنرى الودائع لا تستعيد الحجم الذي كانت عليه قبل الأزمة فحسب بل تفوقه فتبلغ هذه السنة ثلاثة مليارات وستمئة وخمسين مليون ليرة لبنانية .

ولعل أوضح صورة للنمو الاقتصادي هو ما يوجزه ارتفاع الدخل القومي من

3,200,000,000 ليرة لبنانية عام 1964 الى 4,500,000,000 ليرة لبنانية بحسب آخر الاحصاءات ، وهو معدل يدل على حيوية تستحق ان نعتز بها ، برغم ما أصاب الدخل في فترات الأزمات .

أيها اللبنانيون .

ان عناصر التقدير هذه التي ابسطها لكم والتي توحي بالكثير من الثقة والاطمئنان ، لم تكن الغاية منها رسم صورة زاهية للوضع ولا هي لحجب النواحي المعاكسة منه او المقلقة ، فالوضع لم يزل محفوفاً بالمصاعب .

ان الهزات الكثيرة التي تثيرها المأساة الفلسطينية محدثة شتى الانعكاسات في صميم حياتنا ، ومواجهتنا للعدو الاسرائيلي ، وتدارك اعمال العنف واليأس التي تبعثها النقمة على الظلم وسعينا الدائب الى دفعها او الحد من آثارها ، كل ذلك قد عانيناه بوحي من الضمير الوطني في اطار محاولة ترد عنه وعنا ما أمكن من شدائد وأخطار وتوفق بين مشاعرنا ومسؤولياتنا ، ولقينا فيه التجربة الشاقة التي توقعناها وبذلنا الجهد في سبيل ايجابية نتائجها وسلامتها . ان المأساة الفلسطينية تثقل حاضرنا ومستقبلنا وتضع على كاهل الحاكمين المقبلين قسطاً من المشاغل والأعباء ليس باليسير ، ولهم علينا ان نفهمهم وان نساعدهم وسع ثقتنا بأنفسنا وبهم .

وها ان عملية تسليم السلطات الى رئيس الجمهورية الجديد تتم في جو يجتذب أنظار المراقبين العرب والأجانب الى ما ينطوي عليه نظامنا الديموقراطي من اصالة ورسوخ مما يكسبنا ثقة الجميع واحترامهم ويزيدنا تمسكاً به وحرصاً على حسن تطبيقه .

ان مهمتي كرئيس تنتهي ولايته هي ان احتجب امام المعطيات الموضوعية والمعلومات الواضحة التي أسلمها الى رئيس الجمهورية الجديد . وهذا الواجب المفروض في أي حال تواكبه البهجة الكاملة وتحف به كل الآمال التي تبعثها الصفات الرفيعة في رئيس الدولة الجديد والمناقب العالية التي من شأنها ان تزيد المحبة بين اللبنانيين .

ان نتآخى ونتحد فهو من صميم تراثنا ومن وحي نظامنا في آن ، هذا النظام القائم على تقديس حرية المعتقد واحترام حقوق الفرد وشد اواصر الألفة بين الاسر الروحية .

ان في ذلك أفضل تعبير عن رسالتنا في الداخل والخارج ، ولنا من تمسكنا بها خير أسس لحل قضايانا الداخلية وخير سبيل لمواجهة المسائل الخارجية .

فهي في الداخل المحور الذي يرتكز عليه الاستقرار والازدهار واطراد التقدم والتخطيط الانمائي والعدالة الاجتماعية .

وهي في الخارج مبعث تقدير الرأي العالمي لنا واهتمامه بقضايانا .

تلك الرسالة هي خاصتنا الأولى في لبنان ، وبها مناعتنا وقوتنا وخلاصنا ، واننا نناشد اللبنانيين كافة والنشء الجديد خاصة الحفاظ عليها قولاً ومثلاً وفعلاً .

واذا كان لي ان أوجز لنفسي مدة اضطلاعي بأعباء الرئاسة الأولى فأقول انني عملت على الدوام ، في وسط الآراء المختلفة وازاء المصاعب والاخطار ، على الا يحجب امام اللبنانيين اولاً وامام اخوانهم العرب وامام العالم اجمع بل ان يظهر وجه لبنان الجذاب في صفائه وحبه واشعاعه .

عاش لبنان » .

فؤاد شهاب

بعد رفضه التجديد صيف **1964** ، أضيف الى خانة الرئيس الراحل الأمير اللواء فؤاد شهاب نعت أصبح في ما بعد شائعاً : السابق الباقي العائد .

حتى المواطن العادي كان يدرك ان شهاب بقي في الحكم رغم خروجه منه ، وذلك عبر أجهزة الجيش خاصة المكتب الثاني ، فضلاً عن السيطرة الفعلية على الادارة في كل مرافقها ، وصولاً الى القصر الجمهوري .

كان باقياً فعلاً .
وكان عائداً ،
بل كاد يعود .
ولم يعد .

ولا أحد يعرف ، بعد الحسر ، ولم يقل الرئيس الراحل لأحد ما سبق وقاله عن رغبة روما والأم الحنون بالنسبة الى ترئيس شارل حلو .

فجأة ، صدر عنه بيان بالعزوف عن ترشيح نفسه . بيان معلَّل بأسباب دستورية ، او بالأحرى مستند في الرفض على العلل الجسيمة التي يتضمَّنها الدستور اللبناني ، وتحول العوامل من محلية وخارجية دون التعرُّض لها واستئصالها من النص المكتوب وغير المكتوب ، لا من العرف والتقليد فحسب بل من المتداول والمكرّس .

جاء من العسكر ، حيث الصمت سمة . وبقي صامتاً حيث في الرئاسة الكلام هو السمة .

لم يثق في السياسيين التقليديين ، حتى ان عهده استبدل طبقة الورثة ، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ، بطبقة جديدة ما استطاعت ، مع الأسف ، ان تبرهن عن آهلية وجدارة .

وبذلك ، تخلَّص العهد الشهابي ، موقتاً ، من أكلة جبنة شبه متخمين ليقع في أسر طبقة لا تشبع من الأكل ، جبنة بانواعها وأصنافها ، وأخضراً ويابساً .



المرشّحونَ ولَو استحوا

سؤالان يطرحها الناس هذه الأيام بكثير من القلق وبلهجة السائل عن شيء يكاد يفلت من بين الأصابع ، يدميها ويضيع .

السؤال الأول اصبح عادياً وعلى شفاه الجميع ، يرددونه في السر وفي العلن : انه سؤال عن المصير . والمصير هنا ، ربما للمرة الأولى ، هو ذلك المجهول الهائم على وجهه ، الماثل في الاذهان بألف صورة وصورة الوانها قاتمة قاتمة :

هل صحيح ان الرئيس الآتي سيكون رئيس الفرصة الاخيرة ، ينقذ لبنان ارضاً وشعباً ونظاماً او ينهار به ويندثر معه في فضاء اللعبة الكبيرة ؟ .

البعض يفر من وجه السؤال ، تحاشياً ، فلا يجيب . والبعض الآخر يكتفي بتقليب الشفاه وهز الاكتاف . قلة هم الذين يرفضون السؤال ، لكنهم لا يملكون حجة الرفض وليس في خاطرهم جواب يقنع حتى عابري السبيل .

اما السؤال الآخر فهو بيت القصيد . يسأل الناس : لماذا معركة رئاسة الجمهورية تبقى معركة اسرار ، معركة كواليس ، معركة ليل ، معركة غرف مظلمة مقفلة النوافذ والأبواب ، معركة قوى مجهولة واشخاص غير مرئيين ؟ .

العاديون من الناس يسألون ، والتجار وأصحاب الحرف منهم يسألون ، والمثقفون والذين في الطليعة والذين في قعر اللعبة يسألون أيضاً . ذلك ان رئاسة الجمهورية امر مهم بالنسبة الى اللبنانيين يتوقف عليه مصير لبنان ومستقبل اللبنانيين ، مستقبل الحياة والحرية والعدالة والأرض ، فضلاً عن الأمن والسلامة والسيادة ، ناهيك بالطموح والريادة والخلق .

الا ان الجواب الذي يسمعه السائلون يبقى دون لهفتهم ودون توقهم الى رجل قائد يخبط يديه في الهواء ويقول لهم الحقيقة ، الحقيقة الخالصة من الشوائب والشطارة والدجل .

من هنا كانت رغبة « ملف النهار » في بدء سلسلة « لبنان1970 » يفتح فيها الأبواب والنوافذ المغلقة ويطلق الضوء بحيث يدخل الغرف المظلمة العفنة الصدئة . كشف اللعبة . كشف الاسماء . من هم المرشحون للرئاسة ، كيف هم ، كيف صاروا هكذا ، كيف يمكن ان يصيروا رؤساء . . . ذلك ان مجموعة الأسماء التي وضعت في التداول

تختلف في اشياء ومميزات ومزايا كثيرة ، ويجمعها على الاقل انكار اصحابها للترشيح والسعي في سبيل الوصول الى رئاسة الجمهورية . . . كأنها عيب ان يكون الانسان مرشحاً لرئاسة الجمهورية ، او كأنما الرئاسة عورة او عار ، او كأنما بالفعل « طالب الولاية لا يولىّ » . فظنوا انه يكفي ألا يطلبوا حتى يُولَّوا .

الآن يفتح « ملف النهار » المعركة ، يرشح المرشحين ، من غير ان يترشحوا حياء وخوفاً ، فيحكي عنهم ، عما لهم وما عليهم مشركاً الرأي العام في عملية الترشيح وفي عملية الاختيار ، ما دام اللبنانيون يحلمون برئيس من نوع آخر ، من غير الأنواع التي جُربت .

المرشحون ،

ثم الرئاسات وصناعة الرؤساء ،

ثم رؤساء ورئاسات ما قبل الاستقلال ، ثم رئاسة الرئيس الحالي .

ثم آفاق المعركة الكبرى بالرئيس الذي يأتي وفق متطلبات لعبة العصر أو وفق ما يشتهي الذين يصنعون الرؤساء والذين يساهمون في صنعهم ولو على حساب حلم شعب بأسره .

كثيرون قالوا ، وسيقولون اليوم : بكرتم في فتح المعركة .

بكّرنا ؟ .

حسبنا ، هنا ، اننا نريد المساهمة في نقل معركة رئاسة الجمهورية من الظلمة ، ظلمة الصمت والخوف والتزاهد والشطارة ، الى النور ، نور الفروسية والشجاعة والعقل والمواجهة .

فرئاسة الجمهورية في النظام اللبناني ـ بدستوره المكتوب وميثاقه غير المكتوب ـ هي محور السلطة ورمزها . فإذا فسدت فليس ما يصلحها ، في حين انه مفروض فيها ان تظل الضمانة بعد مفاسد سائر اجهزة الحكم وسلطاته .

من اجل ذلك يجب الا يكون اختيار رئيس الجمهورية وليد الظلام والصمت .

ومن اجل ذلك ، يجب ان تجري المعركة في النور ، ان يضيئها العقل ، وان تكون الكلمة هي الفصل فيها .

ومن اجل ذلك يجب الا يخجل المرشحون للرئاسات بترشيحهم ، بل ان يعتبروا طلبهم للسلطة شرفاً كأرفع ما يمكن ان يطمح اليه مواطن يثق بنفسه ويحب الشعب ويؤمن بالوطن والحكم .

فأجيال الذين ينتظرون ليختاروا ، لا بين مرشح ومرشح فحسب ، بل بين لبنان واليأس ، بين البقاء والغربة ، بين العمل للبنان والكفر به ، هؤلاء الا يستحقون ان يكلمهم احد ؟ .

نعم يستحقون . يستحقون اكثر من ان يقال لهم ما نعرف انه سيقال : ان رئيس الجمهورية ينتخبه النواب ، وان معركة الرئاسة ليست معركة شعبية حتى تعلن فيها الترشيحات والبرامج . فهؤلاء رأيهم في مجلس النواب معروف ، ومعروف كذلك موقفهم من « اللعبة » التي هي بعض اسباب كفرهم وقرفهم .

واللواء فؤاد شهاب ـ السابق الباقي العائد ـ هو موضوع الملف الأول في سلسلة « لبنان1970 » .

« الرئيسُ السّابق . . . اللاحِق »

الامير اللواء الرئيس فؤاد عبد الله شهاب . يحلو لغلاة محازبيه هذه الأيام ان يدعوه « الرئيس السابق . . . اللاحق » . وبعض الخبثاء يقول فيه : الرئيس السابق ـ الباقي ـ العائد .

والذين يسمعون احاديث غلاة الشهابيين عن « العودة الاكيدة » يضعون ايديهم على قلوبهم ، ولا يكتمون تخوفهم من ان تكون هناك لعبة كبيرة يعدها الذين يخططون للعودة .

ماذا يعد المخططون ؟ .

الذين يسمعون احاديثهم يقولون ان الشهابيين يريدون كل شيء او لا شيء . يعود الرئيس فؤاد شهاب رئيساً او تقوم القيامة .

والقيامة قائمة فعلاً ، منذ الآن ، فهل يعني ذلك ان الرجل الزاهد لن يعود ، وان شهابياً آخر قد يحتل العرش باسم الامير ؟ .

الرئيس صبري حمادة يرفض هذا الاحتمال . يرفضه ويضحك عالياً . فهو مطمئن الى ان العودة مضمونة . ويحرص على تطمين القلقين الى انه « ما في بالساحة غير المعلّم . . . ما تخافوا » . ويؤكد لهم ، في معرض تبديد الظنون والهموم ، ان لديه معلومات راهنة تثبت ان الرئيس فؤاد شهاب سيعود الى الحكم ، وان كل ما يقال عكس ذلك لا يعبر عن الحقيقة .

والذي يثير الشهابيين القلقين ويدهشهم هو ان رئيس المجلس يتركهم يستنتجون من حديثه ان تأكيداته مبنية على قبول واضح من الرئيس السابق نفسه بالعودة الى الحكم .
وعندما يسترسل حمادة في الحديث يتساءل امام القلقين ، بغير قلق منه ، عن « الشخصية التي يمكن ان تتحمل اعباء المسؤولية في الظروف الراهنة غير . . . الجنرال » .

الا ان بعض المقربين من شهاب يصوغون تعليقاتهم على معركة رئاسة الجمهورية بلهجة الشك في امكان عودة الرئيس السابق ويقولون ان الرأي في النهاية سيستقر على تأييد مرشح شهابي توحي الدلائل الآن بأنه سيكون الياس سركيس .

ويقول المقربون ان الحديث عن عودة شهاب هو عبارة عن كلمة سر الغاية منها حفظ الكتل النيابية النهجية ومنعها من التفكك والانفراط . وبين النواب النهجيين من يؤيد رأي المقربين ، ويذهب الى حد القول ان التكتيك الحقيقي الذي تتبعه المقامات الشهابية يقضي بترشيح شخصية شهابية في اللحظة الاخيرة ، بعد ان يكون ما كتب قد كتب وضمنت نتائج المعركة .

لكن هذا الرأي أصبح غير وارد بعد التصريح ـ المفاجأة الذي ادلى به الامير عبد العزيز شهاب الى مجلة « ريفي دو ليبان » ، والذي قطع قول كل المقربين وحسم اجتهادات المجتهدين .

ماذا قال الامير في تصريحه ؟ .
قال : نعم ، الجنرال مرشح .
وماذا أيضاً ؟ .

« يمكنني ان أؤكد ، دون ان يكون ثمة مجال لقول العكس ، ان اللواء فؤاد شهاب مرشح لرئاسة الجمهورية . لقد قبل اللواء الرئاسة سنة1958 لأن البلاد كانت بحاجة الى رجل ينهض بها ويعيد الأمور الى نصابها . ولا شك في ان حاجة البلاد الى منقذ سنة1970 هي أشد منها سنة1958 » .

وتابع الامير عبد العزيز موضحاً :

« لا اطيق سماع بعض ادعياء الشهابية يقولون : اننا نرشح فؤاد شهاب ، فليس من حق هؤلاء ترشيح الرجل ، اذ ان هذا الحق يعود اليه واليه وحده . مع العلم ان التبخير الذي يوجهونه الى الرئيس السابق يسيء اليه اكثر مما يعود عليه بالنفع » .

بالطبع تلقف الناس تصريح الأمير الشهابي بكثير من الاهتمام .

وبالطبع ايضاً كان العميد ريمون اده من اكثر المهتمين ، حتى لا نقول من اكثر المبتهجين : فقد حك له على جربه .

كيف اهتم العميد وبماذا عبر عن ابتهاجه ؟ .

أدلى بتصريح جاء فيه : « لا استغرب ان يفكر الرئيس شهاب في ترشيح نفسه للرئاسة . فبعد مضي السنوات الست الدستورية له ملء الحق في ذلك . لكنه اذا فعل فسأعرض على حزبي ان يرشحني ، وعندئذ يكون ترشيحي ضد ترشيح الرئيس شهاب كما فعلت سنة1958 . الا اذا وجد شخص مدني آخر مستعد لمقاومة تيار الانهيار الذي يقود لبنان الى الهاوية من جراء الشهابية » .

وللمناسبة سئل ريمون اده « هل ان ابعاد ترشيحك ضد الرئيس شهاب اليوم هي نفسها التي كانت سنة1958 » ؟ .

أجاب : « كلنا يعرف ان عملية الاقتراع تلك سبقها اتفاق على شخص الجنرال شهاب مع ممثل الرئيس ايزنهاور السيد روبرت مورفي والرئيس عبد الناصر . وانا ، عندما رشحني حزبي سنة 1958 ضد قائد الجيش ، كان لترشيحي مغزى اذ كان يرمي الى اثبات كون النظام الديموقراطي البرلماني قائماً في لبنان برغم حوادث1958 وبرغم وجود الاسطول السادس والمارينز الاميركيين في مياهنا وعلى اراضينا . وكان يرمي كذلك الى التحذير من مغبة قفز العسكريين الى الحكم ولو بمظهر شرعي . فخضت المعركة ولم يتمكن الجنرال شهاب من الفوز في الدورة الأولى » .

واضاف اده : « اما اليوم ، فقد تبدلت الأوضاع . وما كنت أخشاه لمسه الشعب اللبناني باليد وتعرف الى حكم الرئيس شهاب والى اسلوبه وقناعاته التي ادت الى السيطرة العسكرية على المدنيين وشرشحة النظام البرلماني والوزراء والنواب بقصد اظهار الديموقراطية والحريات مظهر العاجزة عن خدمة مصلحة الشعب اللبناني ، وان اوضاع هذا الشعب بحاجة الى نوع من الديكتاتورية التي تحكم من وراء الستار عوض ان تخرج الى المسرح كما هي الحال في دول عربية أخرى .

« هذه الديكتاتورية المستترة سميناها في الماضي الشهابية ، ولم تزل تحمل اسمها حتى اليوم . لماذا ؟ لأن السياسة الشهابية مستمرة تتحرك في قلب العهد الحالي وهي قائمة على الشعارات التي توهم ولا تثمر ، وعلى الأساليب التي تفرق وتخوف وتخلف لتسود . فرئيس المجلس يزور الرئيس شهاب كل15 يوماً ويستشيره في امور الساعة كما لو كان هو

رئيس الجمهورية . وبعض سفراء الدول الكبرى يتباحثون معه كما لو كان هو الرئيس الفعلي . وكذلك لم يشأ السيد ياسر عرفات ان يرسل الفدائيين الى لبنان الا بعد موافقته . وهكذا يمكننا القول ان الحكم الشهابي لا يزال مستمراً منذ ايلول1958 حتى يومنا هذا ، لأن الرئيس حلو لم يتمكن لا من تغيير اساليب الحكم ولا من تغيير رجال الحكم ، مدنيين كانوا او غير مدنيين . هذا اذا استثنينا قائد الجيش السابق الذي كان ضحية حرب الوردتين ، والذي كان يجب ان يعفى من منصبه من زمان ، من يوم ضرب المطار وللأسباب التي ادليت بها للرئيس حلو . لكن الرئيس حلو لم يعملها وقتها لأنه لم يكن قد حصل على الضوء الأخضر بعد .

« لذلك ، وبعد استمرار الحكم الشهابي12 سنة وبعد ما عاناه الشعب من تنكيل بالحريات وتعديات على حقوق الانسان ودم يراق في سبيل المصلحة لا في سبيل الوطن ومن تسلط من ليس لهم ان يحكموا بل ان يطيعوا ، وبعد ما رافق هذا الحكم من تلكؤ في الحفاظ على السيادة والدفاع عن سلامة أرض الوطن ونشر الأمن وتنمية الاقتصاد ، وبعدما ادى هذا الحكم الى ضعف ثقة اللبناني والاجنبي بلبنان والى هرب الرساميل اللبنانية والأجنبية وهرب السياح ، بعد هذا كله يفسح ترشيحي اليوم ضد الرئيس شهاب في المجال للشعب اللبناني ليختار ، وقد آن له ان يختار الرئيس وسياسة الرئيس التي يقرر انها الفضلى وذلك عن طريق اقناع ممثليه دون تدخل اي اجنبي مهما كان مركزه » .

هل هدأت العاصفة بعد هذا التصريح ام انها هبت عاتية مجنونة ؟ .

الاتهامات التي وجهها العميد اده الى الرئيس فؤاد شهاب وعهده ، ليست جديدة وان كانت هذه المرة اتسمت بالقسوة وبلهجة الادانة . فقد سبق للعميد ان وضع الشهابية في مصف الخطر الشيوعي والاسرائيلي على صعيد لبنان ونظامه وصيرورته .

انما ماذا كانت ردة الفعل عند الشهابيين ؟ رفعوا ايديهم وسلموا للعميد ؟ .

طبعاً لا ، ردوا عليه . استصرحوا الذين يستصرحونهم عادة في مثل هذه المناسبات من النواب . هبوا دفعة واحدة . قالوا كلاماً مماثلاً ضد ريمون اده . وبديهي ان الشيخ بيار الجميل ، الذي اعتاد الشهابيون ان يتسلحوا بردوده ضد اده ، ادلى بتصريح طويل عريض مليء بالمديح والتقدير للرئيس شهاب ولعهده « وانجازاته ونظافة يده وزهده وحكمته » .

ومما قاله رئيس الكتائب في تصريحه ذاك « ان الرئيس شهاب هو افضل رئيس عرفه

لبنان . وبرغم الانتقادات التي وجهت اليه بسبب حوادث 1958 ، فإنني اعتقد ، وأنا الذي عايش تلك الحوادث في الشوارع ، لولا الأعمال التي قام بها فؤاد شهاب في ذلك الحين لكانت النتائج اخطر والأحوال افظع مما وصلت اليه » .

وأضاف : « وقد زاد تقديري للرئيس شهاب عندما جاء الى الحكم وتعاونا معاً . البعض ، مثلاً ، يعتبر ان الخطة التي سار عليها الرئيس شهاب ، والتي شاركته في وضعها ادخلت لبنان في توجيه خاطىء . واني ارد على هذا الاتهام فأقول انه لولا الرئيس شهاب ولولا السياسة الوطنية التي اتبعها لكانت الحالة قد ساءت . وبين الاسماء المتداولة الآن والمرشحة لرئاسة الجمهورية اعتبر ان الرئيس شهاب من افضلها وانسبها . واعتبر ان ولاية حكم شهاب كانت من افضل الولايات ومن اكثرها انتاجاً ، وهو برغم كل الانتقادات وبالمقارنة مع جميع العهود التي مرت افضل رؤساء الجمهورية لأنه اول من وضع الحكم على اساس عصري . واذا كان لم ينجح مئة بالمئة كما اراد فإن الحق في ذلك ليس عليه بل على الوقت وعلى الطاقة البشرية » .

ولم يكتف الشهابيون بهذا القدر من ردود الفعل والردود المضادة ، بل انهم ثاروا ضد الامير عبد العزيز شهاب . صدرت الأوامر ، فملأت التصريحات وكالات الانباء التي يمون عليها الشهابيون ، لتملأ في اليوم التالي بعض الصحف التي تتغذى بخيرات الشهابيين لتتغزل بحسنات الشهابية وزهد شهاب ، وترد بالتالي على « الامير الصغير » كما تعودت ان ترد على سواه .

وكان اول ردود الفعل تصريحات ساخطة مستنكرة ، مجهولة الاسماء والمصادر ، قالت ان الامير عبد العزيز شهاب لا يتحدث باسم الرئيس شهاب ، ولا هو من المقربين اليه ، بل قد يكون افتعل الادلاء بهذا التصريح لاستثارة حساسية العميد ريمون اده ضد الشهابية وتحريك معارضته لعودة الرئيس شهاب .

ورداً على هذا الرد قال الامير عبد العزيز : « انني لم اصرح ولم أقل اني انطق بلسان الرئيس فؤاد شهاب او بلسان الشهابية . بل قلت ما هو عكس ذلك تماماً عندما اعلنت اني لا اطيق سماع بعض ادعياء الشهابية وهم يقولون انهم يرشحون الرئيس فؤاد شهاب . واضفت انه ليس لهؤلاء اي حق في ترشيح الرجل، ذلك ان هذا الحق يعود اليه واليه وحده وهو الذي يقرر ويتخذ الموقف الذي يراه .

« واشرت الى ان التبخير الذي يوجهونه الى الرئيس السابق يسيء اليه اكثر مما يعود عليه بالنفع . وان هؤ لاء الذين يحملون المباخر ويدورون بها ، لمناسبة ولغير مناسبة

أيضاً ، هم وحدهم الذين أساؤوا الى الشهابية والى شهاب نفسه .

« ولو ان اصحاب النفي والتعليقات على تصريحي او الذين اوحوا بالنفي ـ لو انهم قرأوا بامعان ما قلته في حديثي الى المجلة ، لما زعموا اني انطق او لا انطق بلسان فؤاد شهاب والشهابية ، ولكانوا تأكدوا اني لست في عداد هؤلاء الذين انتقدهم ، ولكانوا امتنعوا على الاقل عن وضع انفسهم في قائمة الذين يدعون ويزعمون انهم ينطقون بلسان لرئيس السابق وانهم يمونون عليه بالنفي او بالتأكيد ، وينفون عنه بالتالي حقه او ارادته في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية » .

ثم ضحك الامير عبد العزيز عندما وصل الى « استثارة العميد ريمون اده » ، ضحك وقال : « اما القول انني افتعل الادلاء بالتصاريح لاستثارة حساسية العميد ريمون اده ضد الشهابية وتحريك معارضته لعودة الرئيس شهاب ، فيكفيني من ماضي وتاريخي وحياتي كلها القول اني لست من طغمة اصحاب النكرزات ، خصوصاً في موضوع هو بهذه الأهمية . هذا مع العلم ان العميد ريمون اده ليس بحاجة الى من يثير شهيته ضد الشهابية وضد عودة الرئيس شهاب والى الادلاء بمزيد من الانتقادات لشهاب والشهابية .

« وللمناسبة اعود هنا فأكرر القول والتأكيد ان الرئيس فؤاد شهاب مصمم على ترشيح نفسه للرئاسة دون ان يكون ثمة مجال لأي كان ومهما كان لأن يزعم العكس » .

. . . و « الرئيس السّابق ـ البَاقي ـ العَائِد »

الواقع ان الشهابيين يتصرفون على أساس ان الرئيس السابق عائد او انه يريد ان يعود على الاقل وانه مصمم على ترشيح نفسه بدليل الوقائع الآتية :

● بدأت المصادر الشهابية حملة توعية ووضع الناس في اجواء عودة فؤاد شهاب الى الحكم في 23 أيلول 1970 .

● اجراء اتصالات مع المفاتيح الانتخابية وزعماء الاحياء الشعبية واحاطتهم علماً بنبأ موافقة الرئيس شهاب على العودة .

● عمدت المصادر الشهابية الى توزيع انباء على النواب والسياسيين مفادها ان شهاب اتخذ قراره النهائي بالعودة الى الحكم ، وانه لم يعد هناك مجال للبحث عن مرشح شهابي آخر .

● يبذل النواب النهجيون محاولات لدى عدد من النواب المستقلين الذين اشتهروا بمخاصمة الشهابية من اجل اقناعهم باعادة النظر في موقفهم والانضمام الى مؤيدي عودة الرئيس السابق .

● اوصت المقامات الشهابية النواب النهجيين بوجوب القول في المجالس الخاصة ان موافقة شهاب على العودة تمت تحت ضغط اصدقائه ومؤيديه وتجاوباً مع الظروف الخطيرة التي تمر بها البلاد .

بالاضافة الى ذلك ، ذكرت الأوساط المطلعة ان الاندية الديبلوماسية في بيروت تميل الى الاعتقاد بأن كل شيء يعد في الوقت الحاضر ، ومنذ مدة بعيدة ، على صعيد الدولة من اجل اعادة شهاب . وان سفراء غربيين وشيوعيين يتبنون هذا الرأي ويذهبون الى حد القول ان قضية عودة الرئيس السابق اصبحت قضية مفروغاً منها وان المعارضة لن تقوى على مواجهة الشهابيين بمرشح عنده امل بالفوز .

الا ان المعارضين يقولون ان قضية عودة شهاب الى الحكم ليست قضية سهلة وانه من الخطأ اعتبارها منتهية بمجرد موافقة الرئيس السابق على العودة ، وان التطورات ستثبت ان البلاد ليست ملكاً للشهابيين ، وان هناك فئات مستعدة للصمود في وجه العودة .

اما الرئيس صبري حمادة الذي يتولى قيادة فريق التوعية والعمل على تعبيد طريق العودة فانه لا يتردد في القول ، وبصوت مرتفع وبلهجة تكاد تكون هي التحدي : « ما في غير المعلّم » .

ثم يتبعها بعبارة اوضح : « ليبلطوا البحر . . . راجع راجع » .

وبرغم اطمئنان حمادة وفريق التوعية الى العودة فإن عيون المقامات الشهابية مفتحة « عشرة . . . عشرة » على كل حركة تأتيها المراجع العليا بالنسبة الى معركة رئاسة الجمهورية . والسبب ناشىء عن اخبار تتلقاها هذه المقامات باستمرار عن « نشاط مشبوه » تقوم به المراجع العليا ضد المرشح الشهابي وضد فكرة عودة الرئيس شهاب بالذات .

ودعت المقامات الشهابية النواب النهجيين الى عدم الاطمئنان الى أي كلام معسول يمكن ان يسمعوه من بعبدا عن وجوب العمل لتأمين انتخاب مرشح شهابي .

وقيل للنهجيين صراحة ان بعبدا تلعب دوراً أكبر من الدور الذي يلعبه خصوم الشهابيين في معركة الاستدراج لكشف المواقف قبل حلول الوقت المناسب .

لماذا كل هذا القلق عند الشهابيين من بعبدا وعدم الاطمئنان الى موقف رئيس الجمهورية ؟ .

ربما بسبب الاحاديث التي يتبادلها الرئيس حلو مع الاصدقاء المقربين بشأن انتخابات الرئاسة .

ماذا يقول الرئيس ؟ .

يؤ كد الاصدقاء ان ما يسمعونه في بعبدا لم يكن حديثاً بالمعنى الصحيح ، بل آراء واجتهادات شخصية يبديها الرئيس في جلسات غير رسمية . واستخلص هؤلاء ان سيد القصر يستبعد عودة الرئيس شهاب الى الحكم ويعتقد ان الرئيس السابق سيمتنع عن خوض المعركة وينصرف الى دعم مرشح شهابي . كما استخلصوا ان حظ هذا المرشح بالفوز سيكون ضعيفاً ، ولذا فإن الاتفاق سيتم في النهاية على شخصية معتدلة تستطيع ان توفق بين الاتجاهات المتناقضة قدر الامكان وتكون على صلة طيبة بالشهابيين وبينها وبين خصوم الشهابية بعض الجسور .

ومع اعتراف رئيس الجمهورية بالأثر الذي تتركه التطورات الجارية في منطقة الشرق الأوسط في اوضاع لبنان الداخلية ، فهو يرفض الرأي الذي ينادي به بعض المعارضين والقائل ان تنفيذ الحل السلمي سيكون معناه عودة الرئيس شهاب . ويرى الرئيس حلو ان سلفه لن يعود لا بالحل السلمي ولا بغير الحل السلمي . ومن الاسباب التي يستند اليها في تحليله ، سبب متصل بالانقسام العميق بين الشهابيين وخصومهم ، وهو انقسام يمنع مجيء ممثل احد الفريقين المتخاصمين ويفرض اللجوء الى « شخصية وسطية ومعتدلة » (على حد تعبير الرئيس) تحول دون تعميق الانقسام وتحد من مضاعفاته .

يضاف الى ذلك ـ حسب اجتهادات الرئيس ـ ان الناس يفضلون ان يروا وجهاً جديداً في رئاسة الدولة كل ست سنوات ، وان يتعاملوا مع شخصية لم يسبق لهم ان عرفوها في هذا المنصب . وان بعض تجارب الماضي يثبت ان هذا الاتجاه عند الناس هو اتجاه طبيعي مستمد من الرغبة في التغيير .

والأصدقاء الذين سمعوا هذه الاجتهادات والآراء منقسمون الآن فريقين : احدهما يرى ان تحليل الرئيس حلو هو تحليل منطقي. والآخر يأخذ عليه كونه لا يراعي الواقع البرلماني .

ويمكن القول ان الفريق الأول مهيأ في الأصل لتقبل كل خبر او استنتاج عن استبعاد الرئيس شهاب ، بينما الفريق الثاني يؤثر ان يلتزم جانب الحذر ويرفض ان يسقط من حسابه الجهود الضخمة التي بدأت تبذل في كل اتجاه من اجل اعادة « المعلم » .

من هنا تنطلق المقامات الشهابية في عدم اطمئنانها الى موقف الرئيس لتركز اهتمامها وابصارها على مراقبة تطور العلاقات بين بعبدا والمختارة . ويرون ان احاديث الثناء على الوزير كمال جنبلاط التي ترددها المراجع العليا على مسامع الزائرين ليست من وحي الاعجاب بمزايا رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي بل هي من باب النكرزة بالشهابيين ، وجزء من خطة ترمي الى استدراج جنبلاط الى احضان الحل الوسط في معركة الرئاسة وبالتالي الى تأييد المرشح المعتدل الذي تدعو بعبدا الى انتخابه كحل للمشكلة بين الشهابيين وخصومهم .

والشكوك التي تساور المقامات الشهابية من موقف بعبدا تشبه الشكوك التي تساورها من مسلك جنبلاط . فبعبدا تتحدث عن العقبات التي تعترض سبيل عودة شهاب ، وجنبلاط يرحب بهذه العودة لكنه يعتقد انها لن تتم لأن هناك عقبات تقف في طريقها . اي ان الرئيس حلو والوزير جنبلاط يلتقيان في النهاية عند تأييد مرشح من غير الشهابيين « الاقحاح » وغير . . . شهاب بالذات .

وليس ادل على قلق الشهابيين من موقف جنبلاط وخوفهم من تأثير ذيول هذا الموقف على « مخطط العودة » ، مما ذكره نائب وثيق الصلة بالمقامات الشهابية من انه عندما سافر جنبلاط الى باريس لم « تقبض » المقامات الشهابية جدياً التفسير الذي اعطاه لرحلته ، واستبعدت ان تكون الغاية من الرحلة القاء محاضرتين الأولى في العاصمة الفرنسية والأخرى في العاصمة البريطانية . لذلك اوفدت الى باريس ولندن مراقبين ، مهمتهم رصد تحركات الوزير وبث العيون والآذان حوله لمعرفة « طبيعة » الرحلة ومدى علاقتها بمعركة رئاسة الجمهورية وما اذا كان جنبلاط سيلتقي هناك اشخاصاً من دول عربية معينة للاتفاق على « صيغة رئيس » .

واشار النائب ، في مجال اعترافه بقيام حالة جفاء بين الشهابيين وجنبلاط ، الى ان انعدام الثقة بين المقامات الشهابية ووزير الداخلية يكاد يكون متبادلاً ، وان الوضع بينهما يشبه الى حد بعيد قصة الرجلين اللذين وضع كل منهما اصبعه في فم الآخر لاختبار احتمال كل منهما ومعرفة من سيقول « آخ » أولاً .

وقد وصف نائب من اصدقاء وزير الداخلية معلومات النائب النهجي بأنها ليست

جديدة ، الا لجهة ارسال مراقبين يتتبعون الوزير في اوروبا . اما بالنسبة الى العلاقات فإنها تمر في أسوأ مراحلها . ذلك بأن رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي بات يخشى ان يستغله الشهابيون كجسر للعبور الى رئاسة الجمهورية ثم ينقلبون عليه بعد وصولهم الى الرئاسة وتحكيم قبضتهم مجدداً على مقاليد البلاد . وان الوزير ينطلق في سياسته وتصرفاته من قناعته بأنه سيكون هدفاً لتدابير الشهابيين الانتقامية في حال نجاح مرشحهم .

وفي تقدير الحسابات بين الشهابيين وجنبلاط تقول مصادر مطلعة ان وزير الداخلية يعلم جيداً ان الخطر الشمعوني الذي كان يقض مضاجع الشهابية يكاد يصبح ثانوياً ، وانه هو الآن الخطر الحقيقي الذي يخاف الشهابيون تأثيره على مخططهم ، وانهم اذا كانوا لم يفتحوا النار عليه بعد فلانهم بحاجة اليه في المعركة الحاسمة .

وبعد الجدل حول العودة والترشيح والزهد يقوم جدل آخر : الفريق الأول فيه ريمون اده والفريق الآخر الشهابيون ، نواباً ، وواقفين وراء نواب ، وموجهين ، وحاكمين من غير ان يحكموا .

ما هذا الجدل ؟ .

المادة49 من الدستور اللبناني معطوفة على المادة73 منه .

والجدل حول هذه المادة كاد يصبح من الأهمية بموازاة معركة الرئاسة نفسها .

فريمون اده يقول ان هذه المادة تمنع الرئيس شهاب من ترشيح نفسه ، وتقطع الطريق على عودته . والشهابيون ، وفي مقدمتهم الرئيس صبري حمادة يصفون كلام العميد بأنه « حديث خرافة يا ام عمرو . . . » .

ماذا تقول المادة49 ؟

تقول ما نصه : « ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري بغالبية الثلثين من مجلس النواب في الدورة الأولى ، ويكتفي بالغالبية المطلقة في دورات الاقتراع التي تلي . وتدوم رئاسته ست سنوات ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته ، ولا يجوز انتخاب احد لرئاسة الجمهورية ما لم يكن حائزاً على الشروط التي تؤ هله للنيابة » .

والمشكلة التي اثارتها هذه المادة كامنة في الفقرة التي تنص على شروط اعادة الانتخاب . فقد تمسك اده بهذه الفقرة على انها وحدها كنص دستوري تكفي لوقف الذين

يخططون لعودة الرئيس السابق عند حدهم ، وتقطع بالتالي الطريق على عودة شهاب . . .

وفي رأي اده ان واضعي النص الدستوري عندما اوردوا « ولا تجوز اعادة انتخابه الا بعد ست سنوات لانتهاء مدة ولايته » عنوا بوضوح ان الولاية تبدأ بتسلم الرئيس سلطاته الدستورية وليس بيوم انتخابه عدا انه لا يجوز الاجتهاد بالنسبة الى النص الدستوري .

وعلى هذا لا يستطيع الرئيس شهاب خوض المعركة لأن مدة السنوات الست لا تكون قد انتهت في موعد الانتخاب المقبل ، خصوصاً ان المادة 73 تنص على ما يأتي : « قبل موعد انتهاء ولاية رئيس الجمهورية بمدة شهر على الاقل او شهرين على الاكثر يلتئم المجلس بناء على دعوة من رئيسه لانتخاب الرئيس الجديد واذا لم يدع المجلس لهذا الغرض فإنه يجتمع حكماً في اليوم العاشر الذي يسبق اجل انتهاء ولاية الرئيس » .

لكن رجال القانون خالفوا اده في التفسير الذي اعطاه للمادة 49 وقالوا ان المشترع الدستوري عندما وضع النص اراد ان تهيمن عليه الغاية وهي الحؤول دون تجديد ولاية الرئيس الذي يكون في سدة الرئاسة قبل انقضاء مدة ولاية كاملة على انتهاء مدة ولايته .

ومع ذلك بقي العميد مصراً على موقفه . وحجته انه لا يجوز الاجتهاد والتفسير بالنسبة الى النصوص الدستورية . وما دام الأمر كذلك فهو سيبقى متمسكاً بحرفية النص .

واثناء هذا الجدل كانت معركة رئاسة الجمهورية قد انفتحت فعلاً خصوصاً بعد موقف الكتائب وبعد التحرك الواسع للفريق الشهابي الذي يخطط للعودة .

وبرغم ذلك بقي الرئيس شهاب صامتاً لا يأخذ ولا يعطي . واذا زاره نواب نهجيون وارادوا استدراجه الى البحث في الموضوع تبقى جولة البحث على هامش المعركة دون ان يأخذ النواب النهجيون اي حق منه او باطل . بقي شهاب « الصامت الاكبر » .

وعندما كثر اللغط في الموضوع قامت الدعوة ـ التساؤل : هل يتكلم الصامت ؟ المعركة فتحت من الزاوية الغلط . دخلناها او هم ادخلونا فيها من الباب الخلفي : يريد قليلاً ، لا يريد ، قد يريد ، سيريد ، ربما اراد . . . كأننا العاشق الولهان .

من هو الذي يريد وقد يريد ؟ .

تلك هي المَسْألة

بالطبع ، الرئيس السابق ، اللواء الامير فؤاد شهاب . الرجل الذي لا يتكلم . الصامت الأكبر . او بالأحرى الرجل الذي لا يتكلم علناً ، لا يعلن رأياً ، يكتفي بالمسارات : هنا جزء من سر ، وهناك الجزء الآخر . هنا ملاحظة ، هنا انتقاد ، هنا مطالبة ، هنا تشجيع .

ويبقى للناس ، للأهالي ، ان يركِّبوا من مجموعة الأقوال واصداء الأقوال صورة كاملة لتفكير الرجل وارادته ورغباته . ثم يبقى للنواب ان « يستأنسوا » . يريد او لا يريد ؟ تلك هي المسألة .

الناس بتواضع لا يعرفون . وهم بصراحة يريدون ان يعرفوا . اكثر من مجرد كلمة « يريد » او « لا يريد » . يريدون ان يعرفوا لماذا يريد او لماذا لا يريد . ويعتبرون ان من حقهم على الرجل ان يعرفوا .

كثير كل ذلك ؟ .

الناس يقولون : قليل .

الا اذا كان مفهوم الرئيس السابق ومفهوم الحكم ومفهوم الديموقراطية عنده غير المفهوم الذي يريد لبنان ان يؤمن به ، لبنان الذي يأخذ نفسه والحكم جدياً .

فأما ان يكون فؤاد شهاب ذلك القائد فيخرج عن صمته ويرتفع فوق الدمى التي يحرك ، ويتحمل مسؤولية دعوة اللبنانيين الى ما يهيىء لهم ، بل ما يطمح لهم به ، يخاطب عقولهم ، يحترمها ، يتوجه الى قلوبهم ، يحبهم ، يضع حداً للمهازل التي تجري باسمه ، قبل ان تتحول الى مآس تهدد أمن لبنان ووحدته وسلامته ، وقد تنقلب غداً كالسحر على السحرة الصغار الذين يصطنعونها .

هل تكلم الصامت ؟ .

بقي صامتاً .

الا ان نائباً نهجياً بارزاً زاره في الايام الاخيرة فعاد من لدنه بانطباعات كلها تشاؤم . سمع انتقادات قاسية . سمع النائب الرئيس السابق وهو يشكو من الحالة بصورة عامة

ويستغرب مسلك الجيل الطالع والشباب المنصرف الى اللهو واولئك الذين لا يشعرون بالخطر المحدق بلبنان .

ويضيف النائب النهجي :

وقد وجه الرئيس السابق الانتقاد الى كل من المعارضة والموالاة ورسم صورة قاتمة عن الوضع الراهن وعن المستقبل اذا ظلت الامور تساس بالذهنية التي تساس بها واذا ظلت مواجهة الاحداث بالتردد والخوف وعدم الشعور بالمسؤولية .

وعندما قيل له ان هذه الحالة المتردية والتي يخشى ان تزداد تردياً تحتاج الى منقذ وانه الوحيد الذي يستطيع القيام بدور المنقذ اجاب : « يجب ان نفسح في المجال لغيرنا كي يتحمل مسؤولياته ، ما بدنا نأخذ دورنا ودور غيرنا لئلا يقال ان البلاد ملك للشهابيين » .

وقال بعض النواب الذين زاروه انه صارح الرئيس شهاب بأن النهجيين سيخسرون المعركة اذا لم يقرر ترشيح نفسه ، ذلك بأن عدد المرشحين النهجيين سيصبح كبيراً وسيتعذر التوفيق في ما بينهم وتتفرق كتل النهج بالتالي ويفتح كل منها على حسابه ، الأمر الذي يؤمن فوز مرشح الكتل المناوئة للشهابية .

هل يعني قول شهاب « ما بدنا نأخذ دورنا ودور غيرنا » انه لن يرشح نفسه ؟ .

تقول الأوساط الشهابية : اذا كنتم تنتظرون ان يعلن شهاب رسمياً انه مرشح للرئاسة ، فإن انتظاركم سيطول ويطول . لكن ذلك لا يمنع ان يرشحه النواب الذين يؤيدونه وان ينتخبوه دون ان يعلن رغبته في الترشيح » .

اوساط المعارضة تؤيد هذا الرأي وتعتقد ان الرئيس السابق لن يعلن عن ترشيح نفسه للرئاسة انما سيترك للنواب الموالين وضع اسمه في التداول كمرشح للنهجيين ، فإذا كان الجو مؤاتياً تكون الرئاسة قد سعت إليه ، كالعادة ، وإذا كان الجو غير مؤات ، فالكلمة الاخيرة تظل له فيعلن عندئذ رأيه ويرد على الكتل النهجية التي ترشحه بأنه لن يرشح نفسه بل يدعم ترشيح من تكون المشاورات والاتصالات انتهت الى الاتفاق عليه .

مثل هذا الرأي ردده كمال جنبلاط في احد المجالس عندما طرح موضوع رئاسة الجمهورية واسم الرئيس السابق قال : « الجنرال راح يعلن بالنهاية انو ما بدو يترشح لاسباب بيعتبرها وجيهة » .

ويقول الذين سمعوا حديث وزير الداخلية انه يبدو من كلامه ملما بـ « الاسباب

الوجيهة » لكنه يفضل ترك البوح بها لصاحبها « اذا كان بيحكي » .

ثمة من يقول ان حكاية ترشيح الشهابي الياس سركيس لم تكن اكثر من مناورة قامت بها المقامات الشهابية ورمت منها الى ايجاد ردود فعل لمصلحة مرشحها الأوحد ، اي الرئيس السابق ، في أوساط الانتي - شهابيين . فعندما طرح اسم سركيس كمرشح الشهابيين كان يراد استثارة ردود الفعل عند خصوم الشهابية بحيث يقولون ان الأصل اولى من الوكيل وأفضل ، وانه اذا لم يكن بد من مجيء رئيس شهابي فليأت فؤاد شهاب نفسه . . . « وخلصونا من هالقصة » .

وقد قيلت .

وسمعها الشهابيون .

كما حرصت المقامات الشهابية على سماعها ، فسمعتها من اوساط وفئات مختلفة .

وانطلاقاً من هذه النظرية بدأت الحملة الشهابية تتركز على كسب الأنصار للرئيس السابق خارج صفوف الشهابيين ، وذلك بتصفية بعض الخلافات وفقء بعض الدمامل . ويقال ان القائمين بالحملة شمروا عن سواعدهم للافادة من دعوة الرئيس صائب سلام الى اجراء مصالحة وطنية عامة ، بإقامة اتصال بين شهاب وسلام ، وانهم قطعوا في هذا السبيل مرحلة لا بأس بها .

يبقى انه اذا اشترط فؤاد شهاب الاجماع هذه المرة فلا محيد عن اقامة اتصال بينه وبين الرئيس الاسبق كميل شمعون باعتباره القطب الآخر . لكن متعهدي الحملة الشهابية يقولون ان لا حاجة الى اقامة اتصال بين الرئيسين القطبين ، لأن فؤاد شهاب لن يشترط الاجماع . . . اما السر فكامن في الوجه الذي يطل به على الحلبة هذه المرة !

ذلك ان فؤاد شهاب عندما قامت معركة التجديد اصطدم ، اكثر ما اصطدم ، بالاركان الذين الفوا الحلف الثلاثي في ما بعد ناهيك بالذين الفوا تجمع الوسط . واستمالته صائب سلام وحلفاءه اليوم لا تكفي لتأمين وصوله الى بعبدا ، لأن ما يحتاج اليه هو الدعم المسيحي القوي . . . وفي رأي الشهابيين ان هذا الدعم الذي أعوز دائماً الرئيس السابق ، وتوفر بيسر لاركان الحلف الثلاثي وامن لهم انتصاراً ساحقاً في الانتخابات النيابية - هذا الدعم هو الآن في متناول فؤاد شهاب ، لأن المسيحيين باتوا اكثر تقبلاً لفكرة عودته الى الحكم بعد موقفه وموقف « حزبيته » من قضية الفدائيين ، ولأنه - حسب تحليل الشهابيين - يشكل بما يمثل ومن يمثل ضمانة اقوى وأبقى من الضمانات السياسية البحتة الممثلة بأحزاب الحلف .

لهذا يقول الشهابيون ان الرئيس السابق يمكن ان يصل الى الرئاسة دون ان ينال صوتاً من أصوات الحلفيين ، فيكون بذلك قد قفز فوقهم مستنداً الى الرأي العام المسيحي . . .

ماذا وماذا وكَيف ؟

خارج حلبة الصراع الدائر بين الشهابيين وخصوم الشهابية ماذا عند الرئيس الامير اللواء فؤاد شهاب ؟ ماذا يقال عنه ؟ .

نادر الكلام ، نادر الهوايات ، نادر الاصدقاء ، نادر الظهور بين الناس حتى في المناسبات النادرة التي تفترض ظهوره ولو عبوراً .

في البيت في جونيه شتاء وفي عجلتون صيفاً . في البيت من الصبح الى الظهر الى المساء الى الليل الى الصباح . ثم يذهب الى الكنيسة القريبة من البيت . يصلي مع زوجته الفرنسية ، ويعود الى البيت . يقرأ قليلاً . يستقبل بعض الاصدقاء النادرين . يحدثهم قليلاً عن القليل من الاشياء . يستدرجونه الى منزلق السياسة فالرئاسة ، يرفض ، ينتهي الحديث فتنتهي الزيارة . يتغدى . ينام . يقوم من النوم . يتنزه قليلاً في الحديقة الصغيرة المحيطة بالبيت . يتفقد أزهاره . يجلس على كرسي يتسع لشخصين في احدى زوايا الحديقة . يعود الى البيت . يقرأ قليلاً . لا يقرأ الصحف . يراجع بضجر وبغير رغبة مقتطفات صحافية ، المهم منها مترجم الى الفرنسية . يتعشى . ينام .

الصفات التي أطلقها أركان عهده عليه تكاد لا تحصى . ابرزها : الصامت ، الزاهد ، الآتي الى الحكم غصباً عنه ، الباقي في الحكم برغم عدم حبه له ، المتقشف ، باني الوحدة الوطنية ، حامي الحمى ، النظيف اليد .

في غياب كل هذه الصفات التي قلَّ ان اجتمعت في واحد أحد على مدى العصور والدهور ، يبقى فؤاد شهاب احد الألغاز التي تستفز الواحد ان يتأمل في تركيبها . لغز ؟ صحيح ، يقول المحايدون .

في كل حال ليس سهلاً ان تفك رموزه . متشابك ، لغير ما سبب ربما ، باطوار نادرة ومزاج دقيق يبلغ حد الحساسية من معظم الناس . وحده ، الامير ، يعرف مداه ومتى يتوق التحدث الى الآخرين ومتى لا يروقه ان يكون الآخرون يتحدثون ، او حتى يصغون ، اليه .

ومع انه صامت ، نقيض خلفه شارل حلو الذي يحب الكلام والرسائل والخطابات والبيانات ، فإن الكلمات القليلة التي يرددها المقربون عن لسانه توحي بأن عنده الكثير مما يريد أن يقوله . . . من غير أن يقوله .

يريد ولا يريد . فلا يحكي . اسلوب . والأسلوب ، يقول علماء النفس ، يعكس شخصية صاحبه .

خصومه يقولون انه يتهرب من المواجهة . سره يبقى سراً حتى عن نفسه . يبعده عن شفتيه وعن الناس وعن الذين يخططون له منذ مجيئه ومنذ التجديد ومنذ ترك قصر صربا ومنذ بدأ الاعداد لعودته الى قصر بعبدا .

الا انه لا يحكي . يبقى صامتاً ، يبقى الذين ينطقون باسمه ، أو هكذا عودونا ايام عهده ، يقولون انه زاهد ولا يريد الحكم ولا يحب ان يبحث في السياسة لأنه ليس سياسياً ولا من طينة السياسيين : رجل عسكري .

وهل يعيب العسكري ان يكون في السياسة وبين أهلها ؟ ريمون اده وصائب سلام وسليمان فرنجية وكامل الأسعد وآخرون ، يقولون : المشكلة ان العسكري الذي جاء الى الحكم فتح شهية بعض العسكريين على السياسة الى درجة انهم صاروا سياسيين اكثر من السياسيين . وصاروا يصنعون سياسة ويصنعون سياسيين باسم العسكري الذي جاء وهو يكره السياسة والسياسيين ، فذهب وهو أشد كرهاً للاسم وللمسمى .

هل ذهب بالفعل ؟ وهل كره السياسة كما يقول الذين عودوا الناس ان يحكوا باسمه ؟ وهل هو زاهد بالحكم ولا يريده مهما كثرت الاغراءات ومهما ارتفع عدد النواب الذين « سيفاجأ » يوماً من صيف1970 ، انهم قرروا مطالبته بالنزول عند رغبتهم ؟ .

الواقع ان الناس في حيرة من امرها مع الامير اللواء الرئيس . وهي في حيرة من أمر هذا الرجل مع هذا العالم وهذا العصر : عالم الكلام الكثير . كل شيء بالكلمة . المبارزة التي كانت في ما مضى بالسيف والرهان ، صارت اليوم بالكلمة . لم يعد السر الخبيء هو الذي يصنع المعجزات ويفجر المفاجآت ويقنع وينقل الجبال من مطارحها . بالكلمة الطائرة عبر المحيطات والسهول والوهاد والصحارى . الرجل لا يحب الكلام . والناس تحب أن تعرف ، ان تسمع ، ان ترى ، ان تناقش ، ان ترفض ، ان توافق ، ان تختار ، ان تعجب ، ان تنتقد ، أن تقول أو لا تقول .

الامير اللواء الرئيس صامت ومعجب بهذه الصفة الى حد انه عندما التفت اليه

روبرت موريي بحضور بعض الصحافيين ليسأله عن تدابيره وخطواته بالنسبة الى الوضع الداخلي اثر الثورة التي جاءت به الى الحكم ، قال : « لا أزال الصامت الأكبر » .

الصمت زين والسكوت سلامة ؟ ربما ، وان كان الرئيس شارل حلو ليس من هذا الرأي . وقد برهن انه ضده أو ذو ثأر عليه . الصمت ؟ يقول الجنرال ديغول ـ الذي قيل ان الجنرال شهاب اقتدى به ـ ان الكلام هو السلاح الوحيد الذي يملكه القائد عندما يكون في صراع مع القدر . ولا ينسى الجنرال الفرنسي الذي انقذ بلاده من حرب اهلية كادت تحرق الأخضر واليابس ـ بعدما كان انقذ ما يمكن انقاذه من الاحتلال ـ انه بخطاب واحد ، بالكلمة ، استطاع ان يعيد الأمور الى نصابها : « Ma vieille France » شهيرة كالمارسلياز .

الناطقون باسمه ولسانه يقولون : ماذا تريدون منه ؟ الجنرال حر . هذا مزاجه . لا يحب أن يحكي ولا يريد أن يخطب . هكذا هو طبعه . يؤثر الصمت والقليل من الكلام عند الضرورة . حر .

أقوال الخصوم

خصوم الجنرال يرفضون هذا المنطق . يقولون : الرجل حكم ويحكم وسيحكم ، ربما ، نريد أن نناقشه ، ان نسمع صوته ، ان نعرف رأيه ، ما دام هو يعمل في الحقل العام وما دام تسلم مقدرات البلاد فترة طويلة ، وهو الآن مرشح للعودة الى تسلمها .

يرد الناطقون باسمه : فؤاد شهاب جاء صدفة الى الحكم . وهو ، فضلاً عن كونه غير مرشح للرئاسة ، لا يعتبر نفسه رئيساً سابقاً ، انما قائد جيش متقاعداً .

يضيف الناطقون : نحن مخولون ان نعلن ذلك . قولوا عن لساننا ولا تستحوا .

بعض الناس لا يصدق الناطقين . عندهم ان كل ما جرى منذ الانتخابات النيابية (1968) يوحي بأن فؤاد شهاب سيعود . أو هو يريد أن يعود . وما صمته الا خشية عدم مطابقات حسابات الحقل على مردود البيدر . « هم » على الاقل يريدون له العودة .

وبقدر ما يوحي كل شيء بأنه سيعود ، وتكاد تكون عودته مفروضة ، يوحي كل شيء أيضاً ، بأنه لن يعود . أولاً ، لأنه يشترط على العاملين لعودته ان يكون رجل الاجماع . ثانياً ، لأنه يؤثر حياة الهدوء والابتعاد عن المشاكل ، والبلاد غير هادئة ووضعها

مع الفدائيين ومع الآخرين ينطوي على الكثير من المشاكل .

هنا يسلسل خصوم شهاب والشهابية والشهابيين مظاهر الرغبة في العودة والاصرار عليها كما يأتي :

● ارتباط عهد الرئيس حلو بالعهد الشهابي وعدم تمكنه من فك هذا الرباط طول مدة ولايته ، حتى قيل ان فؤاد شهاب غادر قصر صربا دون ان يغادر قصر سن الفيل ، ولينتقل من بعد الى قصر بعبدا برغم حفلة التسلم والتسليم .

● الانتخابات النيابية التي جرت سنة 1968 خاضها الشهابيون تحت شعار « العودة » ، بينما تألق فيها الحلف الثلاثي تحت شعار « اللاعودة » . ويومها لم يكن الشيخ بيار الجميل قد وضع الرجل الثانية في فلاحة الشهابيين . كانت رجلاه الاثنتان في بور الحلف .

● الاصرار على أن يكون رشيد كرامي هو رئيس الحكومة وكل حكومة كي لا تتحول الجداول عن مجاري الشهابية ، ثم ارضاء من ليس سهلاً ارضاؤه (كمال جنبلاط) وان على حساب الودعاء المطواعين في الجبهة الديموقراطية البرلمانية ، وان غلا المهر ورفع المقدم والمؤخر .

● افتعال أزمة السبعة الأشهر واجراء انتخابات رئاسة المجلس قبل تأليف الحكومة كي يأتي صبري حمادة رئيساً ويكتمل النقل بالزعرور ، وتعود السيبة الشهابية الى سابق عزها وازدهارها : رشيد كرامي ، صبري حماده وكمال جنبلاط . المثلث . ثم رئيس النهج ، كما سماه بشير العثمان . ثم الاخوان الذين يوصلون الليل بالنهار في التخطيط والترتيب والتدبير . ورقة محل ورقة : آس ، روا ، بنت ، صبي ، عشرة . ظبطت .

● فرط الحلف وخروج الكتائب من حظيرته وعودة الشيخ بيار الجميل الى حظيرة النهج ولو دون ان يدخلها من الباب .

● احالة قائد الجيش اميل بستاني على التقاعد في ليلة غير مقمرة لاسباب قيل انها تشكل مجتمعة عناصر طموح الى رئاسة الجمهورية ، ولأنه لا يجوز ان يطمح احد الى الرئاسة سوى قائد جيش وحيد هو فؤاد شهاب لذلك احيل بستاني على التقاعد .

حتى الآن ظابطة تماماً مع الشهابيين . واحد زائد واحد يساوي اثنين . العدس بترابو وكل شيء بحسابو . لا يحبون المغامرة غير المضمونة . وهم في هذا المجال عكس شمعون والشمعونيين . الرئيس الاسبق يخرج الى الصيد وجناده مليء بالخرطوش .

يقوص كلما مرت طريدة . قد تقع وقد لا تقع . قد ينفد خرطوشه ولا تقع الطريدة ، مع ان هذا الكلام لا ينطبق على صياد ماهر كالرئيس شمعون . الشهابيون يصوبون جيداً . يحاصرون الطريدة من كل جهة ، يغرونها ، يوقعونها في الشرك ، ثم يرهبونها بنيران غزيرة حتى اذا فلتت من الخردق استسلمت لهم خوفاً .

لكن الناطقين باسمه ولسانه يقولون : شهاب غير مرشح .

ثم ، في التسلسل ، يأتي دور « الجو العربي » .

وبما ان عبد الناصر ارتاح الى التعاون مع فؤاد شهاب الذي كان عهده ناصرياً ، برغم صفة الانعزالية التي ألقاها عليه بعض العروبيين ، وبما ان عبد الناصر ارتاح الى الخلف ، فإن الشهابيين مطمئنون الى ان « الجو العربي » لا يزال في مصلحتهم ، وان لم تتكلم القاهرة بعد وتقول كلمتها .

دولياً ؟ لكل حادث حديث . وعادة يفضل « الطليان » ان يكون الرئيس قوياً وقادراً على الحكم . وفؤاد شهاب قوي بـ « حزبه » وقادر بـ « الشهابيين » . تبقى الرياح التي تجري بعض الاحيان بما لا تشتهي السفن . ومن الآن يصعب على مراصد الطقس السياسي ان تتنبأ عن « جو 1970 » ، محلياً وعربياً ودولياً ، بالطبع .

وظل فؤاد شهاب القائد الحقيقي الوحيد للجيش اللبناني حتى الآن : رئيسه وأبوه المعنوي والقدوة التي يطمح الى التشبه بها سائر الضباط .

يقول احد غلاة الشهابيين ان فؤاد شهاب يقود الجيش حتى وهو لا يقوده . فعندما تطرح مشكلة يجتمعون ويتساءلون كيف كان يتصرف فؤاد شهاب لو كان هو الذي يواجه المشكلة ويعد الخطة .

وتغلب الخطة الاقرب الى ما كان سيقرره فؤاد شهاب لو كان حاضراً .

تبقى كلمة : ان فؤاد شهاب خارج لعبة السياسة والسباق على كراسي الحكم ، عرف كيف يلعب دور المنقذ عندما اتى الى الحكم والبلاد غائصة في الدم والخراب . ثم مرة اخرى عندما حافظ على الدستور وخلصه من « ويلات عدة » ، كما يقول المحايدون ، اذ رفض التجديد ، سواء أكان الرفض عن زهد من الرافض ، أم لعدم توافر شروط القبول . . . وقد استطاع ، لفرط ذكائه ان يبقى فوق جميع المنازعات والمتنازعين ، يتفرج عليهم ، « من شرفته » ، وهم يختلفون حوله وعليه . واستطاع أيضاً ، بالهالة التي اوجدها حول نفسه ، ان يبقى في الحكم ويحكم حتى وهو خارج الحكم .

مولد العهد الشهابي

الآن ، ماذا عن فؤاد شهاب الرئيس ، الحاكم ، الحكم ؟ .

قبل الحديث عن العهد الشهابي ، الذي يرى الكثيرون انه لا يزال مستمراً عبر عهد الرئيس حلو ، لا بد من التوقف قليلاً عند اللحظات الأولى لبزوغ فجر ذلك العهد وكيف جاء الرجل العسكري الى الحكم وكيف ذهب .

الساعة التاسعة صباح الخميس 31 تموز 1958 بدأ النواب يتوافدون الى ساحة النجمة ، بعدما كانوا هجروا الساحة والمبنى القائم في وسطها طول أربعة أشهر ، وذلك للاشتراك في عملية انتخاب قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية ، خلفاً للرئيس كميل شمعون .

الساعة التاسعة والنصف وصل رئيس المجلس السيد عادل عسيران .

الساعة العاشرة تفقد الرئيس عسيران عدد النواب الذين حضروا فوجد ان النصاب لم يكتمل بعد .

الساعة العاشرة والنصف قرع الجرس . اكتمل النصاب . عقدت الجلسة . انتخب اللواء الامير فؤاد عبد الله شهاب رئيساً للجمهورية بأكثرية 42 صوتاً في الدورة الأولى بينما نال منافسه ريمون اده عشرة اصوات . ولما كانت أكثرية 42 صوتاً لا تشكل أكثرية الثلثين التي تنص عليها المادة 49 من الدستور ، أعيدت عملية الانتخاب فنال شهاب 48 صوتاً ونال اده 7 أصوات ووجدت ورقة بيضاء قيل انها ورقة الرئيس عادل عسيران .

وقد تغيب عن تلك الجلسة رئيس الحكومة آنذاك سامي الصلح احتجاجاً ، والنائبان حميد فرنجية ورينه معوض لتعذر وصولهما .

وبعد اعلان فوز اللواء فؤاد شهاب رسمياً القى ريمون اده كلمة قال فيها : « تذكرون انني كنت منذ البدء قد اقترحت مجيء اللواء شهاب الى الحكم غير ان هذا المسعى قد أخفق بسبب موقف السلطات العليا منه . واذا كنت قد استمررت في ترشيحي حتى آخر ساعة فلانني اريد ان احافظ على المبادىء الديموقراطية وعلى النظام البرلماني في هذا البلد. فلا يقال ان هذا الانتخاب قد جرى في ظل الاسطول السادس » . (وقد منعت المراقبة نشر الكلمات السبع الاخيرة في الصحف وحذفتها حتى من الجريدة الرسمية) .

خلال الأزمة الدموية تألفت جبهة ، سمت نفسها « القوة الثالثة » ، من : هنري فرعون ، يوسف سالم ، الدكتور يوسف حتي ، نجيب صالحة ، شارل حلو ، غبريال المر ، بهيج تقي الدين ، غسان تويني ، جورج نقاش ومحمد شقير .

وفي 16 أيار اصدرت « القوة الثالثة » بياناً جاء فيه : « ان المواطنين يشعرون جميعاً بضرورة العودة الى المقومات التي تؤمن للطوائف اللبنانية حياة مشتركة في جو من السلام والطمأنينة . وليس في اللجوء الى القوة ووسائل القمع ولا في اتهام المعارضة في لبنانيتها أي خدمة للبنان ، خصوصاً ان قادتها ما انفكوا يعلنون اخلاصهم للبنان وتعلقهم بسيادته واستقلاله .

« وفي رأي الموقعين (أعضاء القوة الثالثة) انه لم يعد من الممكن الخروج من الأزمة الا بحل يعيد الاخوة الى صفوف اللبنانيين ، هذه الاخوة التي هي الشرط الاساسي لبقاء لبنان . وفي هذه الساعة تتجه الأبصار الى رجل هو فوق الصراع القائم يتمتع بتقدير اللبنانيين واحترامهم . هذا الرجل هو اللواء فؤاد شهاب الذي بوسعه وحده ، ضمن الشرعية ان يوحد بين اللبنانيين على اختلاف احزابهم وطوائفهم » .

ثم اخذت « القوة الثالثة » تعمل على اساس ترشيح اللواء شهاب للرئاسة وتأمين وصوله اليها .

والطريف ان السيد محمد شقير ، احد اركان هذه القوة ، كان اول الذين ادخلوا السجن اثر محاولة الانقلاب التي قام بها الحزب القومي الاجتماعي ليل 30 كانون الأول 1961 ، مع انه ليس من أعضاء الحزب ولا مشتركاً في المحاولة أو على علم بها .

وبعد أربعة أيام من انتخابه وجه الرئيس شهاب الى اللبنانيين اول بيان سياسي له . ماذا في البيان ؟ دعوة الى الهدوء :

« في هذه الأيام العصيبة التي يجتازها وطننا العزيز والآلام تخيم على ربوعه والمتاعب تثقل ابناءه ، لم يبق لأحد ان يتردد في الاضطلاع بمهمة تنتدبه لها البلاد . واني بما تعودت من حرص على اداء الواجب وتقدير لحرمة المسؤولية العامة اقبلت على تلبية رغبة مواطني اللبنانيين في تولي منصب رئاسة الجمهورية متكلاً على الله متوجهاً اليه بأن ينير لنا المستقبل ويهدينا لما فيه مرضاته وخير لبنان .

لقد بلوت بعمق صعوبة الحال التي يعانيها بلدنا العزيز وعشت مع جيشنا الوطني كل المأساة لذلك فإنني مدرك تمام الادراك جسامة التبعات التي تلقى اليوم على عاتقي غير

ان ما انطوت عليه نفس اللبنانيين من الخير وما تأصل فيهم من روح المحبة والتسامح ، ونما في قلوبهم من تعلق باستقلال بلادهم وتمسك بحرية وطنهم يبعث فيَّ كبير الثقة وعظيم الأمل ان يتغلب اللبنانيون بفضل تآزرهم ووعيهم وطيب نياتهم على الأزمة التي تمر بها البلاد ، وان يخرج لبنان وهو اشد ايماناً بنفسه واثبت ايماناً واعز مكاناً .

ان اول ما اطلبه من نفسي وما اطلبه من كل مواطن لبناني هو السعي بكل ما أوتينا من جهد وطاقة للعودة بالبلاد الى وحدتها الوطنية التي بقوتها حقق لبنان استقلاله سنة 1943 واثبت سيادته ورسخ كيانه والتي انبثق منها ميثاقه الوطني ذلك الميثاق الذي يبقى بما رسمه لنا من سياسة وطنية خالصة وعربية ناصعة وخارجية حرة الدستور الضامن لمجد لبنان وهناء شعبه .

واذا كانت تلك الوحدة هي السلاح الامضى الذي استعان به شعب لبنان لتحقيق الاستقلال وتوطيد السيادة الوطنية فإن هذه الوحدة وما يرافقها من طمأنينة واستقرار ما تزال الاساس لكل عمل نستهدف منه اليوم ودائماً كل غاية مماثلة من غاياتنا الوطنية وفي مقدمتها انسحاب القوات الاجنبية من الاراضي اللبنانية .

« ان المساواة بين اللبنانيين والاخلاص والصراحة في علاقاتنا مع البلاد العربية الشقيقة والكرامة والصداقة في جميع علاقتنا الاجنبية هي أسس جديدة لتوفير حياة هانئة لوطننا لبنان يتأمن فيها الازدهار والسلامة والطمأنينة والعزة وهي كفيلة بأن تضع لبنان في المنزلة الكريمة التي يستحقها في البلاد العربية وفي العالم .

« وكما علينا ان نرعى هذه الوحدة ، علينا في سبيل بناء الدولة ان نرعى فضائل النزاهة والعدل والتجرد وقواعد العلم والنظام والمساواة فنجعلها تسود مجتمعنا في كل مرافقه ، كما نجعل روح المسؤولية والقيام بالواجب وحرمة المصلحة العامة تسود اداة الحكم بجميع فروعه » .

« اننا اذا وطدنا النفس على ان نجابه واجبنا بما يتطلبه من جهد طويل قاس مستمر ، نكون قد سلكنا الطريق الذي يوصلنا الى غاياتنا الوطنية » .

« وانني في هذه المناسبة اتقدم بالشكر على الثقة الغالية التي وضعها فيَّ الشعب اللبناني ومجلسه النيابي الكريم وابعث الى المقيمين منه والمغتربين بتحية الوفاء والاخلاص معاهداً اياه بعد الله على ان اكون باراً بالجميع كل البر دون تمييز او تفريق ، وباراً بأرض هذا الوطن وتاريخه ومستقبله » .

صعوبات ومشاكل ، من مختلف الانواع والاحجام واجهت العهد الشهابي في ايامه الأولى ، رافقتها اشاعات واقاويل تتحدث عن دفع البلاد الى حكم عسكري شامل بتخطيط من الرئيس العسكري ذي اللباس المدني . الى ان كان 20 تموز 1960 ، يوم فاجأ شهاب الناس بتقديم استقالته ، معلناً آنذاك انه قبل تسلم الحكم لمرحلة انتقالية بررتها ظروف استثنائية زالت باجراء الانتخابات ومجيء مجلس جديد . لكن قبل ان ينتصف الليل كان اللواء الرئيس يعود عن استقالته بعدما حرقها النواب في منزله وحملوه على اكتافهم .

تعليقاً على تلك الاستقالة قيلت اشياء واشياء . بينها ان شهاب استقال لأنه يعرف ان النواب سيحرقون استقالته ويحملونه على الاكتاف ليعود عنها . وبينها انه بعد مجيء مجلس جديد كان الرئيس امام احتمال واحد ، هو تكليف الرئيس صائب سلام تأليف حكومة جديدة ، وهو لا يرغب في ذلك .وبينها أيضاً انه شعر بعدم تقبل الناس لدخول العسكر في الحياة المدنية ، وفي آلة الحكم ، فشاء ان يضع الجميع ، القابلين والرافضين ، امام الأمر الواقع .

ثم يأتي الحديث عن الازدواجية واكلة الجبنة وتحطيم الزعامات التقليدية وتفرغ « زعامات » من نوع آخر غير النوع السياسي ، ثم يأتي الحديث عن التجديد وتلك الجولة التي وصل هوسها الى حد الجنون .

منجزات العهد الشهابي

الحديث عن منجزات العهد الشهابي يقترن بالشعار الذي رفعه العهد : العدالة الاجتماعية . وشعار العدالة الاجتماعية تجسد ببعثة ايرفد ورئيسها الأب لوبريه .

ماذا فعلت بعثة ايرفد ؟ .

درست لبنان اجتماعياً واقتصادياً . تعرفت الى مشاكله . تجولت في مناطقه وقراه واحياء مدنه المحرومة والمهملة . ثم وضعت تقريرها الشهير : فقر مدقع حيث الفقر وحرمان شديد حيث هو الحرمان . وبحبوحة ورفاهية حيث هي البحبوحة والرفاهية .

وانطلاقاً من ذلك التقرير واستناداً الى الدراسات التي وضعتها بعثة الأب لوبريه اخذ عهد الرئيس السابق ينفذ شعاره . ومن ابرز ما حققه على هذا الصعيد ايصال الطرق

والمياه والكهرباء الى القرى النائية ، او الى قسم كبير منها ، ثم تعميم المدارس الرسمية في المناطق المحرومة .

واركان العهد الشهابي لم يفصلوا بين المياه والكهرباء والطرق وبين الخطوات التي اتخذها العهد في مجال « الاصلاح الاداري » . وقد اعتبروا المصالح والمجالس والمكاتب التي استحدثت انما هي متممة للشعار ، بينما اعتبرها خصوم الشهابية مأخذاً ضد العهد الشهابي وفتح مجال اوسع لحشر الانصار واغراء الذين لم يكونوا أصبحوا بعد من الانصار .

ما هي المصالح والمجالس والمكاتب ؟ كثيرة أهمها :

- مجلس الخدمة المدنية .
- هيئة التفتيش المركزي .
- هيئة الاصلاح الاداري .
- المشروع الاخضر .
- مصلحة الانعاش الاجتماعي .
- مصلحة الابحاث والتوجيه .
- مجلس البحوث العلمية .
- مجلس تنفيذ المشاريع الانشائية .
- مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت .
- معهد الدروس القضائية .
- توسيع الجهاز الاعلامي بانشاء مركز النشر والوكالة الوطنية للانباء وتسمية وزارة الانباء وزارة الانباء والارشاد .

اما المشاريع فأبرزها :

- مصرف لبنان .
- تنفيذ مرفأ جونيه .
- تنفيذ الحوض الثالث في مرفأ بيروت .
- تنفيذ قسم من الأوتوستراد (ضبيه ـ المعاملتين) .
- اوتوستراد فاريا .
- اوتوستراد القليعات ـ بكفيا .
- طريق القمم في عكار .

هذه المجالس والهيئات والمصالح ، مضافة اليها المشاريع ، وأيضاً سيرة الخبراء الاجانب الذين تجاوز عددهم في العهد الشهابي المئتين ، تشكل اسس العهد الشهابي وتختصر ما صار يسمى بالشهابية دون اهمال شعار العدالة الاجتماعية .

ثم يأتي الحديث عن المراسيم الاشتراعية التي تارة يفسرها السيد كمال جنبلاط بأنها تدابير استثنائية وطوراً يصفها السيد سليمان فرنجية بأنها قوانين فوق القوانين .

وحتى نهاية شباط كانت اللجنة الوزارية الخماسية تدرس مع وزير الداخلية ووزير الاقتصاد السيدين جنبلاط وفرنجية مشاريع القوانين بتعديل القوانين التي صدرت بمراسيم اشتراعية .

لماذا ؟ .
يقول الوزيران لأن القوانين المطلوب تعديلها تحد من الحريات وتعرقل عجلة الديموقراطية وتجعل غير الحاكمين حاكمين دون ان يكونوا هم الحكام .

مسألة اخرى في العهد الشهابي بقيت مرتسمة كعلامة استفهام كبرى ، بالكاد استطاع الناس ان يمحوها من اذهانهم ، هي محاولة الانقلاب التي قام بها الضابطان السابقان فؤاد عوض وشوقي خير الله ، بمساندة الحزب القومي الاجتماعي . فإذا بالازدواجية تبلغ ذروتها . وقد قمعت المحاولة في اقصر وقت ، الا ان ذيولها والمحاكمات تطول وتطول اشهراً واشهراً ، ويستمر التفتيش عن لا شيء والتوقيف بلا حكم والحكم بلا تنفيذ . وتزدهر الازدواجية و « تتبلور » وتتضح معالمها اكثر فأكثر .

خارج هذا الاطار عاش الرئيس اللواء أبسط حياة عرفها رئيس في لبنان ، هادئة ، متواضعة ، بعيدة عن أبهة الحكم وفخفخة المجد . لم يبدل مسكنه المتواضع الذي كان يقيم فيه يوم كان قائداً للجيش . كان يقول عندما يسألونه لماذا لا ينقل سكناه الى قصر فخم : كيف اسكن قصوراً فخمة بينما هناك لبنانيون ينامون في العراء .

لم ينتقل فؤاد شهاب الى قصر فخم ، لكن الذين كانوا ينامون في العراء ظلوا ينامون في العراء . . .

شهاب العربي

عربياً ، وصف العهد الشهابي بأنه ناصري العروبة . والوصف لا ينفي صيغة

الاتهام . متفاهم مع الرئيس المصري كل التفاهم ، متجاوب معه ومع الناصريين دون سائر الملوك والرؤساء العرب . ربما لأن الناصرية كانت في عزها وكانت من المحيط الى الخليج يوم كان العهد الشهابي يفتح عينيه على الدنيا . يقول البعض ان الناصرية والناصريين هم الذين فتحوا عيني العهد الشهابي .

فبعد مجيء شهاب الى الرئاسة في اعقاب الثورة ، وبعدما هدأت العاصفة وانصرفت الحكومة الرباعية الى تسيير الأعمال ، كان لا بد من لقاء بين الرئيس فؤاد شهاب والرئيس جمال عبد الناصر الذي كان رئيساً للجمهورية العربية المتحدة (بأقليميها مصر وسوريا) .

وبعد حوار هادىء وسري بين الكبار في بيروت ودمشق تمهيداً للقاء بين الرئيسين ، تم اللقاء على ارض مشتركة (لبنانية - سورية) وتحت سرادق خيمة اقيمت خصيصاً لتمكين الرئيسين من الاجتماع وتبادل الآراء و . . . الاتفاق على صيغة تعاون واضحة .

وفي يوم 25 آذار 1959 تم اللقاء واستمر ثلاث ساعات وصدر عنه البلاغ الآتي :

« في يوم 25 من شهر مارس (آذار) سنة 1959 ، اجتمع على الحدود اللبنانية والعربية المتحدة كل من سيادة الرئيس عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة وفخامة اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية للتداول في مختلف الشؤون التي تهم البلدين الشقيقين مباشرة وتبادل الرأي في القضايا العربية والدولية .

« وقد اتفقا بنتيجة ابحاثهما على تأكيد المبادىء الآتية :

أولاً - حرصهما على توثيق روابط الاخوة وتنمية التعاون المستمر المتبادل بين الجمهوريتين الشقيقتين في كل ما يؤدي الى دعم استقلالهما وسيادتهما وكيانهما ضمن نطاق ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة .

ثانياً - ايمانهما بضرورة تدعيم التضامن العربي ودعم القضايا العربية وتأييدها .

ثالثاً - رغبتهما المخلصة في العمل على ايجاد حلول ايجابية للمسائل الاقتصادية المعلقة بين البلدين بأقرب وقت على اسس التكافؤ وحفظ المصالح المشتركة والمتبادلة ، تأميناً لرفاه ابنائهما وازدهار احوالهم . ومن اجل ذلك اصدر كل من الرئيسين توجيهاته الى حكومته لمواصلة السعي ومتابعة المباحثات من دون ابطاء في هذا السبيل ، بنفس روح المودة والتفاهم التي سادت اجتماع الرئيسين والاخوة الخالصة التي تسود مشاعر الشعبين الشقيقين » .

وبعد صدور هذا البلاغ قيل ان الرئيسين اتفقا على امور لم يتضمنها البلاغ المشترك ، وقد اثر اتفاقهما في اوضاع المنطقة والتطورات التي شهدتها . وقيل انه بسبب هذا الاتفاق لم تحقق العاصمتان اللبنانية والسورية التفاهم المطلوب والمعقول ، بعد الانفصال ، لأن دمشق عادت عاصمة بلد مستقل لا عاصمة ثانية بعد القاهرة .

مختارات من خطب شهاب

22 تشرين الثاني 1958 :

« ان ما في لبنان من المزايا والقوى العديدة التي تؤ هله للحياة وللحرية وللرسالة . وما في بنيه من الاستعداد للتفوق في الغنى المعنوي والانساني ، يبقى كله قليل الجدوى وهزيل الثمر اذا لم يكن الايمان بالنفس والوحدة الوطنية هما الدعامتين اللتين عليهما نبني ونشيد .

والأزمة الاخيرة التي تعرض فيها كيان لبنان للتفكك ، وازدهاره للانهيار وابناؤه للتفاني والتشتت ، لم ينج منها وطننا العزيز الا بقوة الايمان وبالوحدة الوطنية » .

22 تشرين الثاني 1959 :

. . . لقد استطاع لبنان ان يجدد وحدة صفوفه وانتعاش اقتصاده ويستأنف علاقات الود مع جميع البلدان كما استطاع في الوقت نفسه مباشرة اصلاح اجهزة الدولة والشروع في تحقيق برنامج للعدل الاجتماعي فعادت بهذا كله الثقة بلبنان في العالم .

. . . لو ان الشعوب تعيش كل ايامها بالروح العالية نفسها التي تحيا بها في المراحل الفاصلة لتبدل وجه العالم وتحول سير التاريخ .

22 تشرين الثاني 1960 (في نادي الضباط) :

« أيها الضباط ـ في يوم الاستقلال هذا اقول لكم : ان لبنان الذي خاض معركة الاستقلال عام 1943 قد خاض معركة استقلاله مرة اخرى عام 1958 ، وانتصر انتصاراً رائعاً بانتظام صفوفكم . . .

انني واثق من انكم ستكونون دائماً ما انتم ، العسكريين الذين يعرفون ان الحفاظ على التقاليد العسكرية ، والتمسك بشرف مناقبها ، هما اللذان يميزان وحدها الجندية بالوطنية العريقة الصحيحة » .

22 تشرين الثاني 1961 (نادي الضباط) :

« أيها الضباط الأعزاء ـ ان مهمتكم النبيلة هذه لا تنحصر في حماية الحدود وصد كل معتد غاشم عنها فحسب بل تتعداها الى الداخل ، حيث تعملون شعباً وجيشاً على صون وحدتنا الوطنية التي وقفتم في احلك الظروف تحرسونها بإيمان واصرار نادرين ـ والدولة اذ تدرك جسامة واجباتها وتفيها قدرها ، ترى لزاماً عليها ان تعز ز الجيش عدة وعدداً ، وهي دائبة على تنفيذ مخطط وضعته بالاشتراك مع قيادتكم الحكيمة وفقاً لمتطلبات الدفاع وتطور التقنية الحديثة .

وقال في رسالته الى اللبنانيين في المناسبة ذاتها :

ان لبنان يؤ من كل الايمان بواجباته كعضو مخلص في الاسرة العربية وقد ندبته اسباب كثيرة لأن يكون دائم التفكير والسعي في منعة العرب وقوتهم ووحدة صفوفهم » .

22 تشرين الثاني 1962 :

« أيها اللبنانيون ،

بقدر ما تشعرون ان حاجاتكم الاساسية ، المفروض في الدولة تأمينها ، تسير اليكم كحقوق لا كهبات ، وتصل اليكم مجردة من المنة لا يمليها تمييز ولا يشوبها تفريق . . .

ان لبنان يقوم بدوره المتجرد المثمر في محيطه العربي . مخلصاً في سعيه باراً باخوته اميناً على رسالته حريصاً اشد الحرص على ما فيه خير العرب وقوتهم مولياً جهده الكامل كل قضية من قضاياهم . وفي المجال الدولي يؤ دي لبنان قسطه الواجب في العمل على سيادة مبادىء العدل والحق والحرية . ورسوخ فكرة التعاون الدولي وارتفاع راية السلام في عالم وضعه التقدم العلمي الجبار على مفترق طريقين طريق الدمار ، وطريق لتحقيق ازهى احلام الانسانية » .

22 تشرين الثاني 1963 (نادي الضباط) :

« أيها الرفاق رجال الجيش ،

ان كل قلب لبناني متعلق بكم . وتستطيع راياتكم ان تعتز بأن وراءها شعباً مجمعاً على تقديركم ومحبتكم . شعباً يرى في وطنيتكم وشجاعتكم ضمانة للحدود والكيان والحرية والسيادة لسيوفكم التي في اغمادها احدّ السيوف حين تشهر . وسواعدكم أقوى السواعد حين تضرب ومن شيمكم ان تبقوها محتفظة بهيبتها . فلا تبتذلوها بأن تستخدموها في غير وجوه اعداء الوطن » .

فؤاد شهاب بالارقام

فؤ اد شهاب النشأة والشباب رجل عصامي من طراز نادر . عاش فترة بعد ولادته مع والدته ابنة الشيخ طالب حبيش (ياور السلطان عبد العزيز) ثم حضنه ، مع اخويه شكيب وفريد ، خالاه الشيخان بديع ووديع حبيش .

وفي سني الحرب العالمية الأولى اشتد الضيق على اهالي جبل لبنان ولاسيما كسروان وفتكت بهم المجاعة فتكاً ذريعاً ، وكان فؤ اد شهاب قد كبر وصار شاباً ، فاضطر الى العمل في الحكومة لينال « الاعاشة » التي كانت توزعها الحكومة في ذلك الوقت على موظفيها . وبسبب شدة الضيق لم يستنكف الامير الشاب عن العمل مباشراً في محكمة جونية .

والذين عاشوا تلك الايام ولا يزالون احياء يذكرون ذلك الشاب المرتدي البنطلون الكاكي والقميص الديما بدون جاكيت ينادي بأعلى صوته عند ابتداء كل محاكمة اصحاب الدعاوى من محامين ومدعين ومدعى عليهم وشهود .

وعندما وقع الاحتلال الفرنسي اقبل كثيرون من الشبان للتطوع في الجيش شغفاً بالجندية وطلباً للرزق . وكان اكثر المتطوعين من الاسر القديمة ولاسيما الشهابيين (الأمراء فؤ اد ، عادل ، جميل ، بهيج ، لويس ، عبد القادر . . .) . وبعد مدة ارسل الفرنسيون عدداً من المجندين الى المدرسة العسكرية التي انشأوها في دمشق لتخريجهم ضباطاً . وكان فؤ اد شهاب بين هؤ لاء . وقد تخرج في دورة واحدة مع جميل لحود وفؤ اد حبيش وجان عزيز غزيزي واسكندر عرقجي ومحمد اليافي وعلي الحاج .

ويذكر الذين رافقوا فؤ اد شهاب في تلك المرحلة انه كان كثير الاجتهاد ، فلم يخسر الأولية في الصف الا في ما ندر طول ايام الدراسة . وكان موضع احترام رؤ سائه واعجابهم بانضباطه .

ولما تسلم الحكم الوطني جميع صلاحيات الحكم من حكومة الانتداب وتسلم لبنان الفوج الأول من « القناصة اللبنانية » في الجيش الفرنسي ، كان من المرجح ان يكون الكولونيل سليمان نوفل قائداً للجيش الوطني نظراً لاسبقيته في الرتبة والخدمة . الا ان الشيخ بشارة الخوري اختار الكولونيل فؤ اد شهاب لأن رؤ ساءه الفرنسيين شهدوا بأنه ضابط ممتاز .

ولد الامير اللواء الرئيس فؤ اد شهاب بن عبد الله بن حسن بن عبد الله بن حسن

(شقيق بشير الكبير) بن قاسم بن عمر بن حيدر . . في بلدة غزير - كسروان سنة 1902 .

دراسته الثانوية في مدرسة الاخوان المريميين في جونية .

تخرج من المدرسة الحربية في دمشق برتبة ملازم بتاريخ 20 - 9 - 1923 ، والتحق باللواء السوري المشترك في اللاذقية ، ثم رقي الى رتبة ملازم اول ونقيب وتسلم امرة مركز راشيا منذ تاريخ 7 - 11 - 1930 حتى 5 - 12 - 1937 .

رقي الى رتبة عقيد بتاريخ 25 - 1 - 1942 .

رقي الى رتبة زعيم بتاريخ 25 - 1 - 1944 ، وكلف تنظيم قوات الشرق الخاصة بعد هدنة عكا . وهذه القوات اشتركت في المعارك الى جانب الحلفاء في ليبيا وايطاليا وفرنسا .

قاد فوج القناصة اللبناني الثاني وفوجاً آخر من اللواء الجبلي الخامس .

في اول آب 1945 ، على اثر الاتفاق الذي تم بين الحكومة اللبنانية والحكومة الفرنسية ، اصبح جيش الشرق الخاص يأتمر بأمر السلطات اللبنانية وعين اللواء فؤ اد شهاب بقرار من مجلس الوزراء قائداً عاماً للجيش اللبناني .

وبتاريخ 14 - 5 - 1948 كلف قيادة جميع القوى المسلحة التي اشتركت في حملة فلسطين .

وبتاريخ 18 - 9 - 1952 ، على اثر استقالة الشيخ بشارة الخوري ، تسلم اللواء فؤ اد شهاب رئاسة حكومة موقتة بالاضافة الى وزارتي الدفاع والداخلية وفقاً للمرسوم الرقم 9443 .

وبتاريخ 18 - 11 - 1956 تسلم وزارة الدفاع مع الاحتفاظ بقيادة الجيش .

بتاريخ 31 تموز 1958 انتخب رئيساً للجمهورية .

الدراسات :

بالاضافة الى الدورات الدراسية التي تابعها في سوريا ولبنان تابع اللواء شهاب دراسات اخرى في سان مكسان وشالون وفرساي ، ثم التحق بمدرسة الحرب العليا في باريس سنة 1938 .

الأوسمة :

بالاضافة الى وسام الأرز من درجة الوشاح الاكبر ، انه حائز على ارفع الأوسمة من

البلدان الآتية : مصر ، سوريا ، العراق ، الاردن ، فرنسا ، البرازيل ، ايران ، اسبانيا واليونان .

● اجرت مجلة « ماغازين » استفتاء جديداً حول معركة الرئاسة وحظوظ الذين طرحت اسماؤهم في التداول كمرشحين ، شمل الاستفتاء 1330 مواطناً بينهم 79 بالمئة من الرجال و21 بالمئة من النساء ، يمثلون عينة عشوائية ، وينتمي 51 بالمئة من المستفتين الى الطوائف المسيحية و49 بالمئة من الطوائف الاسلامية . وهناك 42 بالمئة سنهم دون الـ25 و46 بالمئة بين 25 و50 سنة و12 بالمئة فوق الخمسين و6 بالمئة اميون ، و43 بالمئة مستواهم العلمي ابتدائي و28 بالمئة ثانوي و23 بالمئة جامعي .

وقد جاءت النتيجة : فؤاد شهاب في الطليعة بنسبة 21,6 بالمئة .

كميل شمعون بنسبة 20,9 بالمئة .

ريمون اده بنسبة 13,2 بالمئة .

الياس سركيس بنسبة 8 بالمئة .

بيار اده بنسبة 7,4 بالمئة .

سليمان فرنجية بنسبة 6,5 بالمئة .

بيار الجميل بنسبة 3,9 بالمئة .

ميشال الخوري بنسبة 3,1 بالمئة .

كميل شمعون

قبل الاستقلال وخلاله وبعده ، كان لكميل نمر شمعون دور وفرصة وكلمة .

قبل ان ينتقل الى بيت القنطاري متنزعاً الرئاسة من « أبي الاستقلال » الشيخ بشارة الخوري ، وخلال رئاسته ، وبعدما ذهب الى السعديات وحاصره الشهابيُّون ، كان الرئيس شمعون وكانت له تلك النكهة السياسية ، او الحنكة التي ينسبها البعض الى تتلمذه على أيدي الانكليز ، مثلما يعيدها آخرون الى طموحات الرجل وقدرته على التجدُّد ، او محو ما قبل والبدء من جديد ومن صفر .

قبل الحرب وخلالها ، وربما بعدها ، والرئيس شمعون يعمل في السياسة وفي الشأن العام على أساس انه عائد ، ولا بد من العودة ذات يوم الى قصر بعبدا الذي وضع تصميمه في عهده وانجز بناؤه في عهد الرئيس الراحل فؤاد شهاب ودشنه سعيد الرئيس السابق شارل حلو .

يحب السياسة اكثر مما يحبها « حكيمه » كاظم الخليل ، واكثر مما يحب هو بالذات الصيد والأناقة .

السياسة في دمه .

والرياسة كذلك .

ومع ان السنين تراكمت وتكاثرت ، فإنه لا يزال يتصرَّف مع العمر على انه لا يزال في مطلعه ومع التي في دمه انه . . . عائد .



الساحر الجماهيري

كميل نمر شمعون ، ابن دير القمر ، الصياد ، الساحر الجماهيري ، الرئيس الاسبق ، الواصل عند بعض الناس في بعض الجبل الى حد الاسطورة ، هل هو مرشح لرئاسة الجمهورية ؟ .

مرشح ؟ .

هو يقول : أنا لست مرشحاً . أو انه قال هذا الكلام مرة . والحقه بما يشبه الشرط : فليتفضل فؤاد شهاب ويعلن انه غير مرشح فيريح ويستريح .. ونستريح .

ابن نمر شمعون ؟ .

يخافونه . ويحسبون له الف حساب .

لا تعرف له طقساً . لا تعرف متى يضرب ومتى يحجم .

من المحاماة الى النيابة الى الوزارة الى السفارة الى الرئاسة . . . الى ممارسة هواية أيام الصبا : الصيد . ثم العودة الى مسيرة الألف ميل على رأس حلف ثلاثي ، قرعت له الأجراس واطفئت ، نكاية به ، أضواء اوتوستراد جونية ـ طبرجا ، ولا تزال مطفأة برغم انفراط من قيل ان سيدة حريصا غيرت اتجاهها خوفاً عليه .

كميل شمعون ؟ مثل الزئبق . يحار خصومه من أين يمسكون به . قال الشهابيون ، في عز أوجهم : انتهى الرجل .

وفجأة فرخ . طلع الى فوق جونية وعلّى لينتشر دخان البخور في كسروان وتصيح عرافات « دلفي » على مكبث .

قد تكون رحلة كميل شمعون في تاريخ لبنان الانتداب ولبنان الاستقلال ولبنان دولة الاستقلال اطول رحلة سياسية ، لا يصمد فيها الا من يكون الثأر روح روحه .

بارع ، يقول الذين يحبونه ويخشونه في آن معاً . سره سر له : يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

أما الذين ما أحبوه ولا وثقوا به فرأيهم فيه انه رجل خطر يحرق روما ليشعل سيكاره ، الذي لم يعد مولعا به كما كان يوم كان رئيسا لكل لبنان .

اما هو ، فإنه يضحك . يضحك للذين من حوله وفي خانة انصاره ، ويضحك على الذين في الضفة الثانية من النهر : يضحك جيداً من يضحك أخيراً . ثم يضحك عالياً ، ويروح يداعب كلبه بيد ثابتة الأصابع ، بينما تكون عيناه زائغتين في حدة نادرة . تحيدان عن الناس في مشوار بعيد ، دون ان تتركا الناس احراراً من بريقهما . ويظل انيقاً . يظل شعره يلمع ويتغير لونه . ويظل الناس يحبونه . بعضهم احبه « لأنه رجّال » . البعض الآخر « لأنه حامي حمى الجبل » .

من تحت عينيه ينظر الى محدثيه . ومن شقهما ، من جانب . يبرم رأسه قليلاً ، يتطلع شزراً كما يقول خليل مطران .

ثم بالهمهمة . بالكاد تطلع الكلمة دفعة واحدة من فم كميل شمعون . يقهرها . يجزئها . يترك الذي في مواجهته دائم الحيرة معه .

ويذكر الناس ، احياناً ، بنابوليون الذي انتهى في جزيرة ، بتلك الحركة في يديه : اليمنى تستريح هادئة في فتحة السترة ، كأنها تنام عميقاً من عناء ، واليسرى تعلن الحرب في رحلة عصبية بين الشعر والذقن الصغيرة ، لتقول ما لا يقال بالهمهمة والكلمة المجزأة . يخبطها في الهواء كأنه يحسم جدلاً طال . السر لورنس اوليفيه . ماهر .

نابوليون ؟ كاد يكونه كميل نمر شمعون ، ولو زعل العميد ريمون اده وتضايق الشيخ بيار الجميل وغضب الرئيس فؤ اد شهاب . يقول الذين عرفوه عن قرب وترجموه الى اكثر من لغة ان طموحه هو بعرض البحر الأبيض المتوسط . لكن مساحة العشرة آلاف كيلومتر مربع خانت حلم الآتي من دير القمر في ليلة ممطرة من شتاء1910 الى فرن الحايك في الاشرفية ، الى السراي الصغير ثم الى عرش القنطاري سنة1952 .

سألته : هل ندمت على شيء فعلته ؟ .
قال : ندمت على شيء لم أفعله .
قلت له : تؤ من بالصداقة والأصدقاء ؟ .
أجاب : كانت رصيدي كله والآن ليس غير الأصدقاء .

قلت له : لكنهم يتهمونك بعدم الوفاء لاصدقائك ؟ .

انتفض . وقف من وراء مكتبه المحاط بالبنادق وجنادات الخرطوش . أجاب بنرفزة : حتى الخصوم لا ينكرون علي وفائي . شو هالحكي ؟ .

وكما تحار من أين تمسك به تحار من أن تبدأ معه . من النيابة ، من منافسته السياسية لبشارة الخوري ، من معركة الثأر بينه وبين فؤاد شهاب ، من لندن ، من فرن الحايك ، من قصر القنطاري ، من قصر السعديات ، من1958 ، من1968 . . . من أين ؟ .

جاء الى الحكم بثورة بيضاء ، ندم عليها وعليه رفيقه في الجبهة الثائرة كمال جنبلاط في اليوم التالي لانتصاره ـ وذهب بثورة حمراء قادها رفيقه في الجبهة القديمة كمال جنبلاط ، وندم عليها الذين قادوها بالفعل وأطلقوا شرارتها الأولى في بيروت .

يقولون : خرج من قصر القنطاري وفي قلبه غصة . كان يود لو لم يخرج . يبقى هناك . يمارس الحكم كما يمارس هواياته التي تقلص عددها بعدما صار رئيساً وامتلأ وقته بالاجتماعات والمؤتمرات ووضع المخططات للقضاء على الخصوم وانشاء زعامات غير متعافية على اكعاب زعامات تقليدية عتيقة ، عميقة الجذور في الشعب وفي الحياة السياسية .

كان سيجدد ؟ هو يقول : لم أقل سأجدد . هم يقولون انه كان ينوي من قلبه وربه ، لكنه لم يتمكن . جاء المارينز وجاء مورفي وكان قد سبقهما شارل مالك وكان قد مهد للجميع جمال عبد الناصر . اختلط الحابل بالنابل وضاع حلم التجديد في ذلك الصخب ليأتي الذي كان سيأتي سنة1952 لو انسحب له كميل شمعون بعدما اعلن حميد فرنجية انه يرحب بالانسحاب : اي الجنرال فؤاد شهاب .

سنة1943 نام احدى لياليه رئيساً للجمهورية . الجنرال سبيرز قال كلمته . وافق اميل اده . وافق بشارة الخوري . هنأوا كميل شمعون . الذين كانوا مجتمعين في منزل صائب سلام بانتظار تقديم التهنئة لبشارة الخوري لم يتغير عليهم شيء : « فخامة الرئيس شمعون » . هبوا كلهم دفعة واحدة . لكنه صحا غير رئيس .

ومن ذلك الحين وكميل شمعون يرمي الاحجار الصغيرة من نافذته صباح كل يوم . الى ان نفدت الاحجار ونفد صبره ونفذ المقدر والمقرر .

ماذا يقال عن شمعون ؟ .
الكثير .

ربما لأنه جاء الى رئاسة الجمهورية وهو يد من وراء ويد من قدام ، وخرج منها قافلة سيارات من وراء وقافلة اخرى من قدام وقصر واطيان واعيان واشاعات عن شركات وعن أرصدة في بنوك العالم .

وربما ، لأنه جاء والموازنة العامة تحسب بعشرات قليلة من الملايين بينما بلغت يوم ذهب مئتي مليون (194 مليوناً و165 الفاً) . سائق سيارة مرسيدس قال لي : سقى الله ايام شمعون . كنا لا نعرف أين نضع الليرات . راحت تلك الايام وراحت الليرات !

وربما أيضاً ، لأن الذين كانوا معه سنة1952 كانوا معه لأنهم لم يكونوا قادرين ان يكونوا ضده ، فعندما لملمت الامبراطورية التي كانت لا تغيب عنها الشمس اطرافها ، تنفسوا ضدها وضده وعملوا عملتهم . ثمة امور تحدث لأن احداً لم يمنع حدوثها ، يقول شمعون . وثمة امور تحدث لأنها تكون مخططة ومدبرة وليس بالامكان الحؤول دون حدوثها ، يقول أيضاً .

الذين يبسِّطون القضايا ويختصرونها يختصرون مجيء شمعون وذهابه بكلمتين : انكليز واميركان .

واحد انتصر وآخر انهزم ، لأنه لا يكون انتصار اذا لم تكن هناك هزيمة .

وماذا أيضاً ؟ .

صياد ماهر ، ابن نمر شمعون . يعرف أين تكثر الطرائد ، ويعرف متى يصوب ومتى يطلق النار . والذي يكون هدفه طائراً يعرف ان هناك احتمالات كثيرة . اقلها ان الهدف الطائر قد يزوغ فجأة ويطرش الخردق في الفضاء الشاسع . . . ويخيب .

لذلك ، فهو نادراً ما عبس اذا الطريدة شمرت فوق طلقته . يضحك . كأنه هارون الرشيد : « امطري حيث شئت فإن خراجك سيعود الي » . اذهبي اينما شئت فإن لنا لقاء آخر .

ويطلع الصياد الماهر يطلع الى الصيد وينتظر الطرائد ليطلق عليها النار ، فيصيب او يخطىء ، هو وحظه .

هكذا في السياسة . هكذا في الحكم ، يقول الشامتون بطلعته من قصر القنطاري . هكذا اليوم ، يقول الذين يسجلون الاسماء التي ستلمع في سماء معركة 1970 .

كميل شمعون يقول : لا تحسبوا حسابي . أنا لست مرشحاً .

سألته يوم كان الحلف في عزه : أخذوا عليك انك لم تحسم مشكلة التجديد . لم تقل كلمتك . فصار ما صار . يأخذون عليك اليوم انك لا تقول اذا كنت مرشحاً للرئاسة ام لا .

أجاب، وكأنه يتخلص من عبء : ريح بالك وريحلهم بالهم . انا لست مرشحاً للرئاسة . فليعلن فؤاد شهاب انه هو أيضاً غير مرشح ، فتنتهي المشكلة .

لكن ، هل صحيح ان شمعون غير مرشح ؟ لن يرشح نفسه ؟ لن يرشحوه ؟ يقال ان شمعون قد يوحي لنوابه ان يرشحوه في حالة واحدة : اذا رشح النهجيون فؤاد شهاب . أي سيترشح ليقطع الطريق على « المرشح الآخر » .

واحد بواحد . لا شمعون ولا شهاب . يأتي مرشح تسوية .

يظل الثأر وارداً .

انما الذين يعملون حسابات معركة الرئاسة في لبنان ، عادة ، يقولون ان شمعون 1970 لن يكون شمعون 1958 ، او شمعون 1960 او حتى 1964 و 1967 .

تغيرت امور كثيرة .

وهو تغير .

خفت نقمة الناصريين عليه . وخفت خصومة المنطقة الغربية له . وخفت حدة الذين كانوا يشهرون عليه الحرب لأن شهاب كان هناك .

ثم ، ان شمعون الذي كان سباقاً في التحرك سنة 1952 وقطع جميع الاشواط قبل ان يبدأ حميد فرنجية معركته ، هو اليوم يتحرك بالمقدرة ذاتها وبالحماسة نفسها وبالزخم الحيوي القديم المعروف عنه .

زار المنطقة الغربية ، زار بيت قائد الثورة التي اطاحت بعهده . اجتمع بصائب سلام ، ثم زار وزارة الدفاع واجتمع بعماد الجيش ، وان طار العماد الذي استقبله . راح وجاء وسافر وقابل واجتمع . برز كاحتمال كبير . ولا يزال حتى اللحظة يقول انه غير مرشح للرئاسة .

لكن ، من يدري .

قد تمر طريدة فجأة ، فتستهوي الصياد ان يطلق النار . وقد لا يخطىء الهدف هذه

المرة ولا يضيع خردقه في الفضاء الواسع . قد يعيد التاريخ نفسه . وقد يندم كمال جنبلاط على ندمه ويتفسر الحلم .

لبنان كميل شمعون

لبنان كميل شمعون هو في الواقع عهده .

وعهد كميل شمعون (من 1952 الى 1958) بدأ بثورة على العهد الذي كان قبله ، عهد الشيخ بشارة الخوري ، وانتهى بثورة . الا انه برغم مجيئه نتيجة ثورة بيضاء بدأ عهده طبيعياً . والبداية الطبيعية كانت عنوان تجديد في الأساليب والرجال .

وفي أول عهده الذي جاء بثورة وانتهى بثورة خاض شمعون معركته الأولى التي كادت تكون بدء ثورة حقيقية وجذرية ، ضد الاقطاع السياسي في البلاد ، فعمد الى اصلاح الادارة ، وذلك بتنظيمها وضبطها من جديد ، بعد رحلتها الطويلة مع الفساد والافساد وتبسيط المعاملات ، وايجاد هيئات للمراقبة والتفتيش والمحاسبة .

وارتاح الناس الى خطوة الرئيس الجديد في العهد الجديد واستبشروا خيراً .

وبعد الادارة انتقل الى الاصلاح الانتخابي فوضع قانوناً جديداً بجعل عدد النواب 44 وتصغير الدائرة بحيث الغى معظم الاقطاعات السياسية . ثم فكر في انشاء مجلس اعلى يكون على غرار مجلس الشيوخ ويحل محله . الا انه وجد ان الحالة سائرة بشكل طبيعي بمجلس الـ44 لذلك صرف النظر عن المجلس الأعلى .

ويقول شمعون ان مجلس الـ44 كان أكثر المجالس انتاجاً .

والحديث عن عهد كميل شمعون ولبنان كميل شمعون يبقى حديثاً ناقصاً اذا لم يذكر الازدهار الاقتصادي والبحبوحة والرخاء والورشة القائمة القاعدة التي ظلت من أول عهده الى آخر أيام ولايته .

من الطرق الى المدارس الى الكهرباء الى المشاريع الضخمة . فتح الخزينة وفتح الورش وفتح البلاد على السياحة ، وفتحها في وجه رؤوس الأموال العربية والأجنبية . صار لبنان قلعة الرساميل الضخمة . صار خزينة العالم .

والناس في لبنان يصرفون المال ويترحرحون دون أن يكون هم الفاقة او العوز او الخوف من الغد في حسبانهم .

مصريات كثيرة .

ومشاريع كثيرة .

وشمعون من رحلة الى رحلة . ومن دولة الى دولة . يعود من زيارة رسمية ليستقبل زائراً ملكاً او امبراطوراً او رئيساً : حركة دائمة . وفي الحركة بركة .

الى ان حدث ما حدث وانقلب بعض العرب وبعض « عرب بيروت »ضد« عهد الازدهار » بحجة انه ربط لبنان بالاحلاف وبعجلة الاستعمار ، وبحجة ثانية اطلقها « عرب بيروت » : ان شمعون كان يريد ان يجدد . . . فمنعوه بالثورة التي قال عنها العميد ريمون اده انها حدثت ولم يحاول شهاب التصدي لها كي يأتي هو رئيساً .

والحديث عن لبنان كميل شمعون يبقى ناقصاً أيضاً اذا لم يعد المرء بالذاكرة الى كميل شمعون المعارض حيث كان لولب الجبهة الوطنية الاشتراكية التي قادت الثورة البيضاء ضد الشيخ بشارة الخوري .

يصفه رفاقه في الجبهة بأنه كان الموازن بين الأحزاب الثلاثة التي ارتكزت عليها الجبهة وهي : الحزب القومي الاجتماعي ، الحزب التقدمي الاشتراكي وحزب الكتلة الوطنية .

بعد الرئاسة بقي لبنان كميل شمعون هو لبنان عهده ؟ .

منذ تركه الرئاسة بقي يتصرف على أساس انه لا يزال رئيساً . فألف حزباً يقوده برئاسته وخاض المعارك الانتخابية ولم يترك فرصة الا وتصرف فيها على انه رئيس عموم لبنان .

سئل عما يضمره للبنان1970 . قال :

« يجب ان تكون هنالك معالجة عامة للحالة التي نشكو منها ، وقال ان الفساد متفش ، في الاقتصاد . . في البطالة . . في سوء الادارة ، في عدم الشعور بأن هنالك سلطة ودولة فالدولة غائبة والسلطة اكثر ، واذا ظهرت السلطة فلتخرق القوانين .

ان هناك عملاً شاقاً سيفرض على الهيكل الدستوري الذي سيتولى مقدرات لبنان في القسم الثاني من السبعين ، وهذا العمل يتطلب تعديل انظمة وقوانين صدرت كلها اما

عن طريق الاستعجال او بالمراسيم التشريعية وقال ان هذه الأنظمة والقوانين ينقصها الدرس وهي بحاجة لاعادة النظر .

ان لبنان ينفق خمسمئة مليون ليرة سنوياً ، بصورة غير مجدية ، « ونتيجة لذلك تعقدت المعاملات بدلاً من تبسيطها . فأصبحت المعاملة التي تتطلب اسبوعاً يستغرق انجازها ستة أشهر » ان هذا الفساد الذي عم الادارة لا يمكن اصلاحه الا بالطرق الجذرية .

وتحدث عن الحالة الاقتصادية فقال انها وصلت الى هذه المرحلة من السوء نتيجة تلك التشريعات وقال ان المصارف لم تفلس « الا لأننا سمحنا بوجود105 مصارف في بيروت » . واتهم بعض الادارات بالمساهمة في افلاس المصارف وذلك بالسماح للمصارف بالتساهل اكثر من المفروض ، حتى تبذر الأموال المكلفة بالحفاظ عليها . وقال : « اننا لم نصل الى هذه الحالة الشاذة في اقتصادنا الا لأنه كانت هناك حمايات غير شرعية لبعض الذين كانوا يبتزون أموال اللبناني بكافة الطرق » .

وتحدث الرئيس شمعون في محاضرته في اليسوعية (17 آذار1970) عن « الجاسوسية » فقال : « انهم ادخلوا فكرة الجاسوسية ، في عقلية اللبناني ، هذا اللبناني المعروف بالمحبة والوئام وحسن الجوار والمروءة والغيرة ، أصبح بعد ان تعلم طريق الجاسوسية ، يتجسس على جاره واخيه ، ونسيبه . وذلك يرافقه عمليات شراء الضمائر ، وتلك كانت تتم اما بالأموال المباشرة والمرتبات الشهرية او برخصة لحمل سلاح . هذه النواحي من حالة لبنان يجب اصلاحها للعودة ببلدنا الى سابق عهده » وطالب ، على الصعيد الخارجي ، بأن يعود لبنان الى دوره في السياسة العربية والدولية .

وسئل الرئيس شمعون عن الخطوات التي يقوم بها لو كان في سدة الرئاسة لحماية سيادة لبنان المعرضة للخطر ، فقال ان السبب الذي يعرض هذه السيادة للخطر هو تقصير السلطات اللبنانية . واضاف انه ، اثر الاعتداء الاسرائيلي على مطار بيروت ، وجه اسئلة عدة الى المسؤولين وكلها حول الاحتياطات العسكرية التي اتخذت لحماية لبنان .

واضاف : يجب ان يكون عندنا جهاز دفاعي محترم يوفر لنا شيئاً من الطمأنينة الداخلية .

اما بالنسبة الى اسرائيل فالحالة ايضاً محزنة ومخزية . تولد لدينا مركب خوف من اسرائيل . تأتي اسرائيل وتضرب مطار بيروت ، تخطف أنفاراً من الجيش ، تعتدي على

الآمنين ، ونحن ليست لدينا الجرأة كي نرد على أية ضربة لاسرائيل .

وقد سمعنا أخيراً تهديدات تتناول جزءاً عزيزاً من لبنان . واعتقد ان اسرائيل تعني هذه التهديدات . فاما ان تحتل واما ان تخرب .

الحل ان نرسل الى الحدود اكبر ما لدينا من القوة العسكرية ، وهذه القوة من واجبها الأول ان تمنع الفدائيين من عبور الاراضي اللبنانية . وواجبها الثاني ان ترد الكيل كيلين اذا اعتدت اسرائيل . واني اعتقد ان اسرائيل لن تتجاسر وتعتدي على لبنان اذا عمل على منع اجتياز الحدود .

والعمل العسكري يجب ان يرافقه عمل ديبلوماسي ، فنستدعي السفراء الاجانب ونقول لهم عليكم ان تعملوا لمنع الاعتداء على لبنان لأن لبنان قام بما عليه من واجبات » .

في حديث معه(17 - 3 - 69) سألته ماذا كان يفعل « لوكنت رئيساً للجمهورية في هذه الظروف » ؟ .

قال :

« أعود بالبلاد الى حكم ديموقراطي برلماني صحيح تمارس فيه السلطة التنفيذية كل صلاحياتها الدستورية تحت رقابة المجلس . ثم اعدل القوانين والمراسيم التي حدت من صلاحيات الوزارات المسؤولة واخضع جميع مؤ سسات الدولة لسلطة الحكومة الشرعية . ثم اتخذ التدابير لاعادة النظر في قانون الانتخابات وخاصة بالنسبة الى الدوائر الانتخابية وجعلها ، قدر الامكان ، على أساس مقعد واحد لكل دائرة . واعيد النظر في اصول تنظيم موازنة الدولة ونظام الضرائب لجعلها جزءاً من سياسة بناءة تتفق وضرورات الحياة الاقتصادية والعمرانية لا مجرد وسيلة دخل للخزينة .

واني أعارض كل المعارضة زيادة الضرائب كطريقة لسد عجز الخزينة . ان الطريقة الوحيدة لتأمين الموارد الكافية للدولة يجب ان تكون عن طريق بعث البحبوحة والازدهار ، فتنمو معها اذ ذاك موارد الدولة . اما زيادة معدلات الضرائب ، بينما تبقى الحالة على ما هي عليه من جمود في الاسواق ومن ازمة اقتصادية خانقة ، فهي كمن يلحس المبرد ، اذ انها تزيد الفقر فقراً . ولا يمكن ان تشكل أي علاج للعجز المالي الذي تعاني منه والذي سيشتد خطره اذا استمرت البلبلة » .

ولا ينسى الرئيس الاسبق مسؤولية الاجهزة ، في حديثه عن الحالة السيئة والفوضى والبلبلة التي تعم البلاد . انه يقول :

« قبل كل شيء كانت الأجهزة ولا تزال هي المسؤول الأول عن الأزمة السياسية وعما تتخبط فيه البلاد من ازمات اقتصادية ومالية واجتماعية . واول تدبير يجب ان يتخذ الآن هو اعادة هذه الأجهزة الى الصلاحيات التي كانت لها حتى السنة1958 ، أي ان يحصر عملها واهتمامها ضمن ما يتعلق بأمن المؤ سسة التابعة لها دون ان تكون لها أية صلاحيات للتدخل لا مع الادارة ولا مع القضاء ولا مع العدلية ولا مع النواب ولا مع الوزراء ولا مع أي جهاز مدني ، ومنعها خاصة من التدخل في كل ما يعود الى الانتخابات النيابية كما جرى في كل انتخاب منذ1960 حتى الانتخابات الاخيرة » .

أما بالنسبة الى موضوع التجديد والترشيح مجدداً للرئاسة فيقول :

« سنة1958 لم أقل اني اريد ان اجدد . ولم أقم بأي عمل يشتم منه ان عندي رغبة في التجديد . والذين روجوا للتجديد هم الذين كانوا يشجعونني عليه بقوة وهم الذين كانوا يسعون مع اصدقائي لتطبيقي . وبالطبع لم استجب لأي طلب من هذا النوع . اما في ما يتعلق بالمستقبل ، فقد صرحت مراراً بأني لست مرشحاً لانتخابات رئاسة الجمهورية سنة السبعين . وأعود فأكرر ذلك الآن اني لست مرشحاً » .

... ولبنان الوطنيّين الأحرار

يتضمن الفصل الأول من القانون الاساسي لحزب الوطنيين الأحرار الذي يرئسه الرئيس شمعون المبادىء الآتية :

المادة الأولى : لبنان جمهورية ديموقراطية ترتكز علاقاتها الدولية على مبادىء اساسية ثلاثة :

أ ــ سيادة لبنان المطلقة .

ب ــ عضوية لبنان في اسرة الدول العربية .

ج ــ عضوية لبنان في منظمة الأمم المتحدة .

المادة الثانية : في الحقل العربي ، يحرص لبنان أشد الحرص على علاقات الاخوة التي تربطه بشقيقاته الدول العربية كلها ، وعلى اداء واجباته في الاسرة العربية ، وعلى أن تسود علاقاته بهذه الدول وعلاقات بعضها ببعض ، روح الاخلاص والتعاون والتضامن وروح الاحترام المتبادل لسيادة كل منها ، وعلى بعث وتعزيز دوام جامعة الدول العربية ،

وميثاق الضمان الجماعي المنبثق عنها ، وعلى جعلها منظمة اقليمية مثالية مهيبة الجانب ، فعالة في ميدان السياسة الدولية ، وفي صيانة السلام الاقليمي والعالمي .

المادة الثالثة : في الحقل الدولي ، يحرص لبنان على احترام شرعة الأمم المتحدة ، وعلى اداء واجباته في المنظمة الدولية ، وعلى الاسهام في التعاون الانساني السلمي ، والافادة من هذا التعاون كما توفره هيئات المنظمات واجهزتها وقوانينها ، ويحرص في كل حال على انشاء وتنمية وحفظ اطيب علاقات الود بكل الدول ، ولا سيما تلك التي تضيف مغتربين لبنانيين .

المادة الرابعة : ان اساس ولاء اللبنانيين لوطنهم هو ايمانهم به ، في حدوده الحاضرة ، دولة عربية ذات سيادة تامة .

وهذا الايمان بذاتية لبنان الاصيلة يقتضي :

آ) التمسك بتراث التقاليد التي مكنت اللبنانيين ، رغم ضيق بلادهم وقلة عددهم ، من الصمود للحروب والمحن ، في وجه معتد بعد آخر ، ومن الاحتفاظ لوطنهم بطابع وميزات استقلالية خاصة ، ابرزها تقاليد الصلابة في العقيدة ، والاعتزاز بالآداب الدينية والحياة العائلية ، والنشاط والجرأة والمبادرة الفردية ، والتضامن والتسامح في ما بينهم ، وتقديس الحرية والتحرر من كل مركب ضعف أو نقص أو كبرياء ، وبراعة الابتكار والاقتباس والتكيف ، والطموح الى حياة أرقى وأفضل .

ب) وعلى اساس هذه التقاليد ، وبأساليب التطور المطرد ، بناء صرح الحياة العصرية ، ومماشاة التقدم العلمي والاجتماعي ، في شتى نواحيه وفروعه ، والتوسع والتشعب الاقتصادي ، وبعبارة عامة مسايرة الحضارة الحديثة في كافة ميادينها الصحيحة غير المتعارضة والآداب والتقاليد اللبنانية ، والمساهمة في هذه الحضارة بنشاطها وموجباتها ومظاهرها ، وتجنيد وتنظيم كل القوى المعنوية والمادية المتوفرة للفكر والنشاط اللبنانيين لبلوغ الهدف الأسمى : العزة والسعادة في عالم آمن صالح .

المادة الخامسة : يحرص الحزب على استمرار وتعزيز نظام الحكم الديموقراطي وعلى زرع وتنمية العقيدة الديموقراطية السليمة ، وعلى بث روح النضال في سبيلها ضد كل طغيان وكل فكرة دكتاتورية او شيوعية .

المادة السادسة : يؤمن الحزب بالديموقراطية مقرونة بالنظام ، ويؤمن بالحريات

العامة جميعاً مقرونة بالمسؤولية ومحدودة بحقوق المجتمع وحقوق الغير ، ويقاوم كل اساءة استعمال وكل فوضى .

المادة السابعة : يناهض الحزب الدعوات الطائفية والعنصرية والاقليمية والاقطاعية على أشكالها ويدين بالوحدة الوطنية والمساواة التامة بين أفراد اللبنانيين ، فلا ميزة الا بالاخلاص والكفاءة والعمل .

المادة الثامنة : يعمل الحزب في حقول الاجتماع والاقتصاد على تطبيق قواعد العدالة الاجتماعية لانصاف ورفع مستوى الفئات المنتجة العاملة ، ويشجع النشاط الفردي ويكرس الملكية الخاصة .

المادة التاسعة : يؤيد الحزب السياسة اللبنانية التقليدية بتشجيع توظيف الرساميل المغتربة والعربية والأجنبية في لبنان ، والابقاء على الباب المفتوح وعلى الحرية التامة للتعامل المالي والتجاري وتنمية هذا التعامل مع دول الاسرة العربية جميعاً ، ومع الدول الاجنبية على اساس الاتفاقات والمبادلة .

المادة العاشرة : يعمل الحزب في سبيل اصلاح اجهزة الدولة المختلفة لتوفير الخدمات للشعب بسرعة وامانة وبدون كلفة او عناء .

المادة الحادية عشرة : يؤمن الحزب بضرورة الابقاء على صيانة القضاء اللبناني من كل تدخل او استغلال او سيطرة حتى يكون القضاء اداة صالحة لاحقاق الحق وتأمين العدالة بين الناس بجرأة وتجرد .

المادة الثانية عشرة : يعمل الحزب على دراسة وتنفيذ تصميم شامل لاستثمار ثروات لبنان المائية والزراعية والحرجية والمعدنية والحيوانية والبحرية والسياحية ، ولتطوير وتنمية انتاجها ، ولتجهيز البلاد الصناعي وحماية الانتاج اللبناني على أنواعه ضمن امكانات البلاد الطبيعية ، دون المس بحاجات الاستهلاك ، كما يهدف الى انعاش القرية وتوفير أسباب الراحة والرفاهية لها .

المادة الثالثة عشرة : يعمل الحزب لاستمرار لبنان ركناً للتعاون العربي وللتمازج العالمي وملتقى جامعاً لتيارات الفكر الانساني والعلم والثقافة والفن والرياضة ، ويؤكد ضرورة البذل في هذا السبيل » .

الحلف والنهج

الحلف شيء والنهج شيء آخر ، يقول الرئيس شمعون : الحلف وجد لقضايا تتعلق بمصير لبنان ، قضايا كبرى . أما النهج « فإنه وجد لاغراض سياسية محدودة وهو نهج شخص معين ولخدمته . النهج هو فؤاد شهاب » .

وكيف كان الحلف ؟ .

يختصر الرئيس الاسبق « مرحلة العز » تلك بكلمات . يقول : ان الظروف السياسية التي كانت قائمة في البلاد هي التي أوحت بائتلاف الأحزاب الثلاثة التي هي في الواقع تدين بمبادىء لبنانية واحدة ، هدفها العمل من أجل رفعة لبنان وعزته وحماية الرسالة اللبنانية من الشوائب » .

وعلى اثر هذا الائتلاف ، الذي كان من الطبيعي ان يؤ دي الى التعاون بين الأحزاب الثلاثة في مختلف الميادين ، عقدت اجتماعات عدة في منزل كاظم الخليل وجدنا بنتيجتها ان النية متفقة على العمل والتعاون لمعالجة الوضع في البلاد ، خصوصاً ان الظروف كانت تفرض توحيد الصف اللبناني والاستعداد في ما بين الأحزاب اللبنانية الثلاثة لمواجهة الاخطار التي كانت تهدد لبنان في سيادته وسلامته .

وعلى هذا الأساس خضنا معركة الانتخابات النيابية صفاً واحداً وأحرز الحلف ذلك الانتصار العظيم .

الا انه حصل التباس على اثر انتخابات رئاسة المجلس بين موقفين . وصار ما صار .

أنا لا أزال محافظاً على علاقاتي الطيبة مع الجميع ، خصوصاً مع الشيخ بيار الجميل والعميد ريمون اده . بذلت محاولات وجربت ان أعيد الأمور الى نصاب الحلف كما كان قبل انتخابات رئاسة المجلس لاعيد الحلف الى مجده فيقف على قدميه مجدداً ويتابع المهمة الكبرى التي وجد من أجلها ، فلم أوفق . هذا كل شيء عن الحلف » .

كل شيء ؟ .

لا .

هناك ، للذكرى على الأقل ، البيان الانتخابي الذي اذاعه الحلف الثلاثي بشأن

الانتخابات النيابية التي أحرز فيها انتصاراً هائلاً ضد الشهابية ، خصوصاً في منطقة كسروان . . . منطقة الرئيس شهاب نفسه .

وفي ما يأتي البيان :

« أيها اللبنانيون يسعد حلف أحزابكم الثلاثة أن يتوجه اليكم بتذكير وعهد تذكرون ولا شك كيف ولماذا نشأ الحلف الثلاثي لبضعة عشر شهراً خلت . نشأ تعبيراً عن ارادتكم وتجسيداً لشعوركم وأمانيكم وتلبية لندائكم وتجاوباً بديهياً عفوياً ورغباتكم . نشأ للدفاع عن قيم الحرية والسيادة وحقوقهما بحيث تكون في مأمن من التعرض لتفريط وافتئات . نشأ بوحدة وطنية حقيقية محبة صافية لا شراك بها يفي جميع اللبنانيين بعهودها ومواثيقها وفاء الصدق والأمانة والاخلاص على أساس كون لبنان للجميع لا فرق فيه ولا تمييز ولا تفاوت بين فريق وفريق وبين فئة وفئة وبين طائفة وطائفة . نشأ لسياسة عامة تنبع من ارادة لبنان ومن الحرص على مصلحته بعيدة عن تدخل المتدخلين ووصاية الأوصياء . نشأ لسياسة خارجية لا تنحرف عربياً او دولياً عن الخط التقليدي المتعارف عليه خط المساواة في العلائق وروابط العامل بين الاشقاء والاصدقاء . نشأ لمكافحة المبادىء الهدامة والجانحة الى تخريب لبنان بأفكارها وخططها وأساليبها تلك التي ليس من أقلها شأناً وخطراً تسليط التأميمات واشتراكية الفقر والطغيان . نشأ للعمل على تنزيه الحكم والادارة عما يشكوانه من شرور العبث والفوضى والفساد والافساد . نشأ لاقامة عدالة اجتماعية خيرة ترفع جميع أبناء الشعب تطويراً وتدرج الى مستويات الحياة الكريمة والغد الأفضل . نشأ للنهوض بالوضع الاقتصادي والمالي من حالة التردي التي تتخبط فيه الى حالة البحبوحة والازدهار والانطلاق التي كانت له في الماضي فضلاً عن السعي الى بناء لبنان الحاضر والمستقبل على قواعد نهضات ثقافية وتربوية وعلمية سليمة بدونها لا يحق للأمة اللبنانية ان تنتسب الى الحياة في الثلث الاخير من القرن العشرين . نشأ لصيانة الديموقراطية وتعزيزها بجميع الوسائل والقوة باعتبارها النظام الأفضل للبنان ولأنه نشأ كذلك ولهذه الأهداف السامية كان له في أوساطكم وبيئاتكم على تعددها وتنوعها هذا التأييد السمح الجارف وهذه المبايعة بالثقة والتقدير والولاء . وتمكن من قطع بعض أشواط الطريق نجاحاً موفقاً . واما عهده لكم اليوم وما بعد اليوم فان يبقى عند حسن ظنكم به ايماناً بالعقيدة ومضيا في الخطة وصموداً في المواجهة وتصميماً على تحقيق الأمنية الغالية أمنية جعل لبنان وطناً حراً لشعب سعيد منتج معطاء . وبقدر ما تجاوب حلفكم وإياكم تلبية والتزاماً بقدر ذلك ثقتنا كبيرة بأنكم ستتجاوبون واياه نصرة وشد ازر في هذه الانتخابات المتصلة النتائج بقضايا البقاء والمصير . وبقدر ما تساندون مرشحيه وتمهدون لهم سبل الفوز بقدر

ذلك تزيدون طاقات نضاله قوة وفعالية ونفاذا في تحقيق آمالكم . في انتصاره انتصار خيركم انتصار طموحكم انتصار كلمتكم بل انتصار لبنان عشتم وعاش لبنان .

حزب الوطنيين الاحرار	حزب الكتلة الوطنية	حزب الكتائب اللبنانية
كميل شمعون	**ريمون اده**	**بيار الجميل**

الحياد والتدويل

في المحاضرة التي ألقاها في اليسوعية تحدث الرئيس شمعون عن الحياد والتدويل ، فقال انه يسمع كثيراً هذه الأيام عما يسمى بالحياد والتدويل . حياد لبنان هل هو ممكن ؟ « ان الحياد لا يكفي ان يكون بالقول فقط ، بل بالفعل » . كحياد سويسرا مثلاً .

ثم رفض فكرة حياد لبنان بالنسبة الى القضايا العربية . « نحن في لبنان لا يمكن ان نكون على الحياد ، لأنه لا يمكننا ان نعتبر انفسنا في جزيرة . لنا علاقات اقتصادية وثقافية وثيقة مع العالم العربي . وتربطنا بالدول العربية روابط قديمة وعريقة ، لذلك فإن الحياد من قضايا العرب هو غير وارد ولا يجوز ان يطرح او يبحث على صعيد جدي » .

متى يكون الحياد ، اذن ؟ .

« ان لبنان يمكنه ان يكون على الحياد في حالة واحدة : عندما يكون ثمة خلاف بين الدول العربية . عندئذ يجب الا نقف مع هذه الدولة ضد تلك او مع هذا الرأي ضد ذاك » .

ومن الحياد الى التدويل . قال :

« ان هذه الكلمة تستعمل كثيراً أيضاً ، ويرددها بعض الناس في مناسبات مختلفة . نحن أعضاء في منظمة الأمم المتحدة . وهذا شيء من التدويل او الانتماء الدولي . واني لا أفهم أي معنى آخر للتدويل . ولا يجوز ان يفوتنا هنا ان لبنان كان دائماً في الطليعة للدفاع عن كل قضية عربية بكل ما لديه من الوسائل . وهذه سجلات وزارة الخارجية ومحاضر كل مؤتمر عقد وجلسات الأمم المتحدة . وكان هم لبنان الوحيد في الجامعة العربية التضحية والتسامح الى أبعد حدود التسامح . اذن هل يجوز البحث في الحياد كما هو

متداول او في التدويل كما يتحدثون عنه ؟ بالطبع كلا . ولا ضرورة للعودة الى هذا الموضوع » .

رأيه في شهاب

ماذا يقول كميل شمعون في فؤاد شهاب ؟ .

في كتابه « أزمة في الشرق الأوسط » ، خص الرئيس الأسبق الرئيس السابق بصفحة كاملة . (الصفحة409) . وقد جاء فيها ما حرفيته :

« الجنرال الأمير فؤاد شهاب ، قدير لكنه متردد ولا يستطيع اتخاذ أي قرار بسرعة . وهذا ما يجعله غير قادر على الثبات في موقف معين » .

« فعلى اثر التظاهرات والاضرابات التي حصلت في ايلول 1952 والتي أدت الى سقوط بشارة الخوري ، اتهمه أنصار الرئيس المستقيل بأنه رفض التعاون معه على أمل أن يخلفه . لكن هذه التهم ، بقيت دون اثبات وكذبها وصولي الى سدة الرئاسة » .

« وعندما بدأت الحالة بالتدهور في لبنان بين عامي 56 و57 سألته ماذا سيكون موقفه وموقف الجيش في حال تمكن الناصريين والمعارضين والشيوعيين من تهديد السلطة الشرعية . فأجابني حرفياً بأنه عسكري أمين ومن واجباته أن ينفذ مقررات حكومته ، وقد صدقته . ومع الأسف لم يكن باستطاعتي أن أصدق رئيس الأركان العامة وبعض مساعديه الذي كنت أملك معلومات من مصادر اجنبية تشير الى أن هؤلاء أصبحوا في الصف الناصري وانهم يؤمنون بأن لبنان لا يستطيع البقاء ، وان هؤلاء كانوا قد قبلوا العطايا من أسيادهم الجدد . ان تخريبهم المنظم وحرب الأعصاب التي كانوا يمارسونها في تقاريرهم الشفهية والخطية كل ذلك جعل قائد الجيش يكوّن صورة خاطئة ، عن الوضع النفسي للجيش » .

وفي حديثه الى « النهار » في17 - 3 - 69 يقول شمعون في شهاب :

- شهاب شخصياً وراء كل شيء يقع في هذا البلد . وراء الفيتو ضد الأحرار وغير الفيتو . والجالس وراء الكواليس ، هو في الواقع وراء كل مأساة اصابت لبنان .
- شهاب شجع غير المسؤولين على تسلم الحكم والسيطرة .

● اعرف انني امنت البحبوحة والازدهار في أيام رئاستي . كانت أيام خير . بينما اخذت البلاد منذ1959 تعود الى الوراء . ولا تسأل عن فساد الادارة ومفاسدها في عهد شهاب .

اما بالنسبة الى الادارة وفسادها ومفاسدها فلا تسأل . وكذلك بالنسبة الى عجز الخزينة التي لم يعد بامكانها ان تنفذ مشروعاً واحداً . لقد تغيرت الحال . اصبحنا مضطرين الى البحث عن القروض من هنا وهناك حتى نتمكن من سد حاجاتنا الضرورية.

انا تركت احتياطاً في الخزينة لا يقل عن145 مليون ليرة لبنانية . اليوم ماذا في الاحتياط ؟ واذا اردت ان تعرف كيف انفقت الأموال الطائلة وكيف هدرت مئات الملايين دون ان ترى البلاد مشروعاً واحداً يستحق الذكر ، فإني اعطيك مثلاً مشروع مياه ارغش في محافظة البقاع . فقد انفقت الملايين على أساس تنفيذ هذا المشروع . وفعلاً انفقت الملايين وطارت وبقي المشروع مشروعاً على الورق ولا يزال الأهالي ينتظرون ، وكم سيطول انتظارهم . وغير مشروع مياه ارغش مشاريع عدة ، طبلوا لها وزمروا ورصدوا الاعتمادات وهدروا الملايين وبخروا الأموال دون ان ينفذ مشروع واحد .

ربما لهذا السبب وضع الشهابيون الفيتو على الوطنيين الأحرار وربما لهذا السبب يواصل الشهابيون ، عبر الأجهزة ، التسلط والضغط على النواب والحكومات .

● لو لم يكن شهاب والشهابية والنهج لكانت البلاد بألف خير ، ولما كنا مضطرين الى ايجاد الحلف الذي سمي في الوقت ذاته « جبهة الانقاذ » ، مع العلم ان هذا لا يمنع وجود الصداقة والتفاهم بيني وبين الشيخ بيار الجميل والعميد ريمون اده ، فضلاً عن وحدة الهدف والتفكير التي تجمع بيننا .

● اذا كان الناس يريدون ان يريحوا بالهم ، فأنا اريحهم منذ الآن . انا صرحت بأني لست مرشحاً لرئاسة الجمهورية . ليتفضل شهاب ويصرح بأنه غير مرشح للرئاسة . واذا كان هذا التصريح ينهي الأزمة فعندئذ تنتهي الأزمة .

شمعون والقضية الفلسطينية

ماذا عن موقف كميل شمعون من الفلسطينيين والقضية الفلسطينية ، وهو الذي

رافق هذه القضية في اصعب مراحلها منذ العام1947 ؟ .

نعرف الى أين انتهى الرئيس الأسبق ، على هذا الصعيد ، والتفسيرات التي اعطيت لموقفه من جانب الخصوم وجانب الأصدقاء .

الا ان هذا الموقف ، كي يفهم بتجرد ، يجب ان يرد الى اصوله التاريخية والى الوقائع التي لا تزال ماثلة في اذهان الكثيرين ، بحيث تلقى عليه نظرة تأمل موضوعية ، ثم يعرض بهدوء .

تبدأ هذه الأصول والوقائع بمخابرة هاتفية ، يوم15 آذار1948 ، بين نيويورك حيث كان شمعون يمثل لبنان في الأمم المتحدة ، وبين القاهرة حيث كان مجلس الجامعة العربية منعقداً .

قال الرئيس الأسبق ما حرفيته :

« لمواجهة الوضع العسكري في فلسطين اقترح ، عوض تدخل الدول العربية مباشرة ، تأليف جيش من الشعب الفلسطيني كبير العدد وقوي العدة حديثها ، بحيث يكون في وسع هذا الجيش القيام بعمل سريع وحاسم . واتمنى ان يتجه تفكير مجلس الجامعة بكليته هذا الاتجاه » .

وقد أيد قوله بتقرير خطي الحقه بالمخابرة الهاتفية لتسجيلها كاقتراح ملح والتأكيد عليها كخطة يرى انها الفضلى لمواجهة ذلك الوضع .

وكان شمعون ، في مخابرته تلك ، قد شدد على وجوب « افهام اميركا ، في الاسابيع التي تفصلنا عن15 أيار1948 (تاريخ تنفيذ مشروع التقسيم) ، بصورة لا تقبل اي تأويل او تفسير ان الدول العربية مصممة على الدفاع عن فلسطين حتى النهاية ، وان العلاقات مع الولايات المتحدة لا تهمنا الا بنسبة ما هي متبادلة في المصالح ، وان اي تأييد من اميركا لليهود ، سواء أكان ذلك بالتسليح او بالمساندة في مجلس الأمن ، يضع حداً نهائياً للعلاقات العربية ـ الاميركية في جميع الحقول الثقافية والاقتصادية ولاسيا البترولية » .

وغني عن القول ان مجلس الجامعة لم يأخذ باقتراحات الرئيس الاسبق . وقد تحدث عن هذا الموضوع في كتابه (ازمة في الشرق الأوسط) في الصفحة200 الى الصفحة 227 .

يقول شمعون في كتابه حول موقف اميركا من القضية الفلسطينية :

« في 18 أيلول 1947 القى الجنرال مارشال ، وزير خارجية الولايات المتحدة ، خطاباً في الجمعية العمومية للأمم المتحدة أثار فيه مواضيع هامة تتعلق بتطبيق مبادىء الأمم المتحدة بالنسبة الى سلامة اراضي اليونان وكوريا وحماية هاتين الدولتين . ثم انتقل الى الحديث عن فلسطين حيث عارض فكرة الحماية لاصحاب الأرض الحقيقيين » .

يقول الرئيس الأسبق :

« كان لا بد من الرد على الجنرال مارشال ، حتى لا يقال ان ما ورد في حديثه عن فلسطين هو الحقيقة ، وقد توليت الرد عليه بما يأتي » :

ان مندوب الولايات المتحدة اقترح على الجمعية العمومية بحث قضيتي اليونان وكوريا مطالباً باتخاذ قرار يؤكد استقلال هذين البلدين ضمن حدودهما الطبيعية .

في الواقع نحن مع استقلال كل دولة ، عضوة كانت ام غير عضوة في الأمم المتحدة ، ولا يمكننا ان نحيد عن هذا المبدأ . ومع الأخذ بعين الاعتبار ما تفرضه هذه المبادىء ، اود ان اسأل حضرة ممثل الولايات المتحدة : الى أي أساس استند ، بعدما طالب باستقلال اليونان وكوريا ، ليطالب بالموافقة على تغيير معالم بلد كامل هو فلسطين ؟ .

وبعد ذلك شرحت للجمعية العمومية جميع المواد التي تؤكد حق الفلسطينيين في بلدهم ، واكدت للجمعية العمومية أيضاً ان الاسترسال في تأييد الصهيونية وعدم ادانتها سيؤدي حتماً الى تهديد السلام ، ليس في الشرق الأوسط فحسب بل في العالم كله .

وفي جلسة اخرى للجمعية العمومية القى شمعون خطاباً قال فيه :

« ان الحاجة الى ارضاء المنتخب اليهودي عشية الانتخابات الاميركية العامة ، والانسجام مع رغبة التسلل السياسي الى الشرق الأوسط ، هما السببان الحقيقيان اللذان دفعا الولايات المتحدة الاميركية الى تأييد تقسيم فلسطين » .

وسأل شمعون المندوب السوفياتي ما عساه يكون رد فعل الاتحاد السوفياتي اذا ما طلبت اقلية اقتطاع جزء من اراضيه لتنشىء فيه دولة مستقلة . ثم سأل مندوب بولونيا لماذا لا تعرض الحكومة البولونية على الـ120 الف يهودي الموجودين حالياً في معسكرات الاعتقال العودة الى بولونيا . وحمل على مندوب اسوج وقال له انك تقترح ان تصبح

الغالبية العربية اكثرية يهودية وتصبح الاقلية اليهودية اقلية عربية . فهذا الانقلاب الذي احدث في التاريخ اعظم الكوارث الدامية يسميه مندوب اسوج حلاً سلمياً . اما الولايات المتحدة الاميركية فإنها توجهها رأسمالية عمياء طليعتها الصهيونية .

ثم حذر شمعون الاميركيين ونصحهم بأن يحذروا مظاهر صداقة الصهيونيين .

وقال اخيراً للجمعية العمومية :

« إذا انتم قررتم تقسيم فلسطين فستخلقون بقعة شبيهة بالبلقان » .

ثم حدث ما حدث ،

وكان ما كان . .

وبعد الحرب الأولى (1948) ، وبعدما وقفت اميركا والاتحاد السوفياتي الى جانب الصهيونية ، وبعدما وقعت النكبة وتشرد الفلسطينيون ، ماذا كان موقف كميل شمعون ؟ ماذا قال ؟ ماذا اقترح ؟ .

بقي يلاحق قضية فلسطين على انها الحق الذي اغتصب وشرد اهله باشراف الدول الكبرى ومنظمة الأمم المتحدة .

وقد يكون كميل شمعون السياسي العربي الوحيد الذي كانت له رؤيا بعيدة المدى واضحة وذكية بالنسبة الى فلسطين وكيفية التصدي للصهيونية ومخططاتها .

ماذا عنده لهذه القضية ، الآن ؟

يقول في رد له على سؤال حول المأساة الفلسطينية :

« من الحقائق التي ستدون في تاريخنا المعاصر ، هو ان القضية الفلسطينية منذ 1947 ، سيطرت وما تزال تسيطر ، على حياة المنطقة العربية من جميع نواحيها . فهي القضية الأولى ، التي حجبت ما عداها ، والتي كثيراً ما جمدت تطورنا الطبيعي . شغلتنا ، بصورة متواصلة ، في ثلاث حروب وما بينها . واني اعتقد ، ان هذه القضية ، سوف لا تنتهي اليوم ، ولا غداً ، ولا بعد عشر سنوات ، ولن تنتهي ، في رأيي ، الا بعودة فلسطين الى العرب ، كما عادت في الماضي ، الالزاس واللورين الى فرنسا . ان جميع الأحداث ، التي جرت في المنطقة العربية ، اصلها وسببها فلسطين . وان جميع التصرفات على الصعيد الدولي ، دفعت اليها ، ملابسات القضية الفلسطينية ولم يكن ذلك سهلاً ، ولو ظن البعض ، انه كان يمكن ، ان يتصرف الحكام العرب ، بصورة تخرج القضية من

المآزق الدولية . او كان يمكن ، ان تتغلب الدول العربية ، عسكرياً ، لو انها احسنت القيادة والتسلح . كان العرب ، في مطلع استقلالهم ، لم يمر على استقلال بعض دولهم ، اكثر من سنتين . استقلال ناله العرب ، بعد مئات السنين ، من الغياب كدول ، سيدة في الداخل ، مستقلة في الخارج . فلا ادارة بالمعنى الحديث ، ولا جيش ، ولا اقتصاد منظم ، ولا مقومات علمية وفنية . يقابل ذلك جماعة متقدمة ، منظمة ، متمرسة بالحرب ، عانتها في جيوش الدول الكبرى . فضلاً عما كان يحيط بالمنطقة العربية جميعاً ، من مطامع اقتصادية واستراتيجية ، تتنازعها دول كثيرة . لقد حاولت الدول العربية ، ان تدافع عن قضاياها ، بسلاح سياسي ضعيف ، وبسلاح حربي اضعف ، فكانت الهزيمة ، وكانت النكبة . ومن البديهي ، ان ترتكب دول ، هذه حالها ، اخطاء . ولكنها ، اخطاء غير متعمدة . يزعم البعض ، ان الدول العربية ، اخطأت في جفائها للغرب . والبعض الآخر يقول ، انه كان عليها ، ان تساير الدول الشرقية ، منذ البداية ، ولو انها فعلت ، لنالت تأييد الشرق ، منذ الساعة الأولى ، لا في وقت متأخر . ان الحكم على السلوك السياسي ، لا يخضع لقاعدة النظريات ، لأن السلوك السياسي ، عملي ، محكه الأحداث والظروف . فلو كنا تقربنا من الشرق ، فهل كانت القضية الفلسطينية ، على غير ما هي عليه اليوم؟ اشك في ذلك . اما عن الغرب ، فإني لا استغرب ابتعاد الدول العربية عنه . ويجب ان نعترف . ان الدول العربية ، لم تكن مسؤولية عن هذا الابتعاد ، بل ان المسؤول عنها هو الغرب ، لمواقفه غير العادلة ، وانحيازه الى اسرائيل ، خلافاً لما كان ينتظر من دول ، تعتبر نفسها ، ويعتبرها اصدقاؤ ها ، ممثلة لمبادىء الحرية ، والاخلاقية الدولية . لقد صدم العرب ، مرتين ، من الدول الغربية ، مرة اولى ، للخيبة التي لحقتهم ، في اعقاب الحرب العالمية الأولى ، التي فيها ايدوا الحلفاء وثاروا على العثمانيين ، فما نالهم الا فرض الحماية والانتداب عليهم ، ومرة ثانية ، عندما أيد الغرب ، المطامع الاسرائيلية . ان العرب ، لم يخرجوا عن صداقتهم للغرب ، الا بعد تجارب قاسية . فقد ظلت دول عربية ، تعتقد ان الأمل لم ينقطع تماماً من الاصدقاء ، برغم قرار التقسيم في1947 ، وبرغم السكوت عن التوسع الاسرائيلي . ولكن استمرار تأييد الغرب ، لاسرائيل ، ادى ، بالنتيجة ، الى ما رأيناه ، ونراه ، من تغييرات في انظمة الحكم ، ومن بروز عقائديات مختلفة ، متطرفة ، يزداد عنفها ، يوماً بعد يوم ، وتتصاعد ، مع تصاعد الظروف العسكرية ، والسياسية ، في المنطقة » .

الا ان ثمة « ولكن » عند شمعون ، ثمة جواباً بالنسبة الى الصراع الذي نتج على

الصعيد الدولي باسم الدعم لقضية فلسطين وباسم البحث عن حل وباسم السعي من اجل انصاف اصحاب الحق . ما هي هذه الـ « ولكن » ؟ .

« لو كانت المشكلة الفلسطينية ، منحصرة ، منذ البداية ، في نطاق صراع صهيوني عربي ، لما استعصى حلها ، ولما كانت اليوم فلسطين ، في ايد غير ايدي ابنائها العرب ، ولظلت احلام هرتزل ، مجرد احلام . تحقيق الأحلام هذه ، هي من صنع السياسة الدولية ، وتفاعلاتها ، ومضاعفاتها ، والمنافسات بين الكبار ، والاغراض الاقتصادية . ان العرب ، لم يختاروا تدويل القضية الفلسطينية . لقد فرض عليهم التدويل ، فرضاً ، بوعد دولي ، وولدت اسرائيل بقرار دولي ايضاً ، مدعوم من الدولتين الكبيرتين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . لقد كانت هاتان الدولتان مختلفتين على كل شيء ، ولكنهما اتفقتا على تقسيم فلسطين ، وانشاء الدولة اليهودية . ولما تبدلت بعض الأوضاع في المنطقة ، وفي العالم ، اتخذت كل منهما ، موقفاً مختلفاً ، واصبحت القضية ، كالكرة ، يتقاذفها اللاعبون في ساحة السياسة الدولية . وهنا ، توضحت الصفة الدولية للقضية الفلسطينية ، وانجر العرب الى التدويل ، ولم تعد قضيتهم ، كما ورد في سؤ الكم ، لا اقليمية ، ولا مشكلة قائمة ، بحد ذاتها ، بين شعبين . قد تكون اميركا الى جانب اسرائيل في صميم سياستها ، او كرد فعل لسياسة مقابلة ، وكذلك الاتحاد السوفياتي ، في تأييده للدول العربية ، الا ان الدولتين ، زعيمتي الكتلتين العالميتين ، تشدان الشعرة ولا تقطعانها ، لارتباط كل خلاف دولي بينهما ، بمجمل القضايا المطروحة عليهما ، فضلاً عن ارتباط هذه القضايا بالسلام العالمي ، الذي لا يمكن تعريضه لخطر المجابهة الساخنة ، من دون تعريض مصير الكبيرين ، لخطر اكيد . ان الواقع الدولي الحاضر للقضية الفلسطينية ، يجعل منها هذه المشكلة المعقدة ، الصعبة الحل . وهي ، في نظري ، سياسة قبل كل شيء . وما صفتها العسكرية ، الا ثانوية ، بالنسبة الى التفتيش عن الحلول السلمية ، التي تزداد غموضاً ، يوماً بعد يوم ، من كثرة المقترحات ، والمقترحات المضادة ، والمشروعات ، والتعديلات ، وما شابه ذلك . مع ان القضية ، في الأصل ، واضحة ، ولا يمكن ان يكون لها الحل الوسط ، الذي من شأنه ، ان يبقي على أسباب العلة ، ويعرضها الى نكسات مقبلة ، سوف تكون ، بلا ريب ، اشد عنفاً ، واعم خطراً على السلام . ان الحل السليم للقضية الفلسطينية ، لا يمكن ان يقوم ، الا على العدل . والعدل يستند على المبادىء ، كما انه يتخذ ، بعض الأحيان ، الانصاف ، اساساً له . ولا ارى ، غير قيام دولة فلسطينية ، ديموقراطية ، تجمع بين العرب ، اصحاب البلاد الاصليين ، وبين اليهود الذين وفدوا عليها حتى الآن . وفي اعتقادي ،

ان من مصلحة اليهود المقيمين في فلسطين ، ان يفهموا هذه الحقيقة ، وان يعتبروا بمنطق التاريخ . وان ينتهزوا هذه الفرصة ، التي عرض فيها رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات ، الحل الذي اشرت اليه ، والذي كان اليهود قد رفضوه العام1947 ، في آخر جلسة من جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة ، المنعقدة للنظر في مشروع التقسيم . كنت يومئذ ، قد وضعت مشروعاً للمنظمة الدولية ، بإنشاء دولة فلسطينية ، موحدة ، على أساس فدرالي ، يضم اقاليم عربية ، ويهودية ، موزعة حسب نسبة السكان في كل اقليم ، وتوحد بينها سلطة مركزية ، كان هذا ، الحد الادنى ، لما كنا نستطيع قبوله ، وما يزال . فإذا استمرت اسرائيل ، على رفضها العرض العربي ، فلا حل للقضية ، على ما اعتقد » .

لولا الهدنة

> يقول الرئيس شمعون تعليقاً على حرب 1948 : « ان دخول الدول العربية في حرب لم تكن مستعدة لها كان خطأ فادحاً . كنت اقترحت ، في ذلك الوقت ، ان يتولى الفلسطينيون وحدهم امر المقاومة بدعم غير مباشر من الدول العربية . ثم ان القبول بالهدنة الأولى كان خطأ كبيراً ساعد اسرائيل على التسلح ، خصوصاً من الدول الشرقية . من الأكيد لو لم تكن الهدنة الأولى ، لما تمكنت اسرائيل بين الهدنتين من احتلال الجليل الغربي و240 قرية ، ولما استطاعت ان تضم اليها جزءاً حساساً من الاراضي التي كانت داخلة ، بموجب قرار1947 ، في القسم المقرر لدولة فلسطين العربية . لولا الهدنة الأولى لكان منطلقنا في الدفاع عن حقوق عرب فلسطين قوياً ومرتكزاً على هيبة نالت منها العمليات الحربية الاسرائيلية في فترة ما بين الهدنتين .
>
> وكنا ، في كل حال ، انقذنا مناطق عربية كثيفة السكان وحلنا دون تدفق نزوح الفلسطينيين وتزايد آلامهم » .

ثم يضيف بمرارة وهو يتحدث عن الموقف العربي « الذي اجد فيه ضعفاً ، أرجو الا يزيد المشكلة تعقيداً » .

« لقد صرحت مراراً واكرر الآن ان تطبيق قرار مجلس الأمن الاخير ، اذا ما تم ، هو تكريس نهائي لدولة اسرائيل لا يمكن في المستقبل الرجوع عنه الا بعملية جراحية مؤلمة ، قد نكون نحن والعالم في غنى عنها . يقول مؤيدو قرار1967 ان الحل السلمي المقترح في طبعته الاخيرة لا يسري على الشعب الفلسطيني » .

وهنا يطرح السؤ ال الكبير : « هل بامكان الشعب الفلسطيني ان يكافح وحده من دون تأييد فعلي من الدول العربية ؟ وهل تستطيع الدول العربية ان تستمر في تأييدها العملي له ، إذا ما ارتبطت بمواثيق دولية ، تتولى ضمانها المنظمة الدولية والدولتان الكبيرتان » ؟

ومن قرار مجلس الأمن1967 الى قرار التقسيم1947 ، ينتقل كميل شمعون ليطرح سؤ الاً ، يطرح استطراداً ، ويجيب بتساؤ ل آخر :

« كثيراً ما سمعت السؤ ال الآتي : لماذا لم تقبلوا بالتقسيم ، في العام1947 ؟ وانه لو قبلنا ، يومئذ به ، لكنا جنبنا العرب عشرين عاماً من الآلام ، والجمود . وانه لم يكن للدول العربية ، آنئذ ، النظرة البعيدة ، التي تعتمد المعطيات الواقعية ، التي كان من شأنها ، ان نقبل في عام1967 ، ما رفضناه عام1947 . اود ان اعتقد ، بأن المتسائلين ، لم يدققوا في مشروع التقسيم الذي كان معروضاً على الدول العربية ، والذي ينطبق تماماً على ما أتانا به القرار الاخير . لم يكن ، ممكناً ، القبول بالتقسيم على الشكل الذي تم به ، فلم نقبله .

مبدئياً ، كيف يمكن الموافقة على تقطيع بلاد ، وتقديم قسم منها ، هبة الى شعب غريب ؟ ثم لو وافقنا جدلاً على التقسيم ، فكيف نقبل به ، مجحفاً ، بل قاتلاً لكل مقومات الشعب الفلسطيني العربي ! فقد سلخت مدن عربية كبيرة ، كعكا ويافا ، عن الجزء العربي الكثيف بالسكان ، وضمت الى الدولة الاسرائيلية ، بل ان حديقة عربية ، مثلاً ، سلخت عن الدار الملتصقة بها ، لتصبح ارضاً اسرائيلية ، فكان صاحبها في الدولة العربية ، اقامة ، وفي اسرائيل ، رزقاً . فضلاً عن ان التقسيم ، قد ادخل الاراضي الزراعية الغنية ، في حصة الدولة الاسرائيلية ، وترك للعرب الفقير منها . لم تنفع محاولاتنا لتعديل الخريطة المفروضة ، فكان من المحتم ، ان يرفض التقسيم بلا تردد » .

● في17 آذار1969 سألت الرئيس الأسبق : لو كنت مسؤولاً يوم حرب5 حزيران ماذا كنت فعلت ؟ .

أجاب : « أولاً ، ما كنت تركت الحرب تقع . كنت بذلت جميع جهودي منذ ان بدأ الجو يتلبد ووقفت حائلاً دون وقوع الحرب . لأن حرب حزيران كانت سابقة لأوانها ، ولسوء الحظ اظهرت النتائج صحة هذا الرأي » .

وفي17 آذار1970 طرح الرئيس شمعون السؤ ال نفسه في حوار مع الطلاب في اليسوعية واجاب :

« لو كنت رئيساً للجمهورية في الخامس من حزيران 1967 لكنت وقفت وقفة صريحة ضد الحرب . ولكنت نصحت بعدم سلوك الطريق التي تؤدي الى الحرب لأنني مطلع اطلاعاً كافياً على ان الحرب هي لمصلحة اسرائيل بكل معنى الكلمة وان استمرار حالة السلم هو ضدها . فمن تابع سير الأمور في اسرائيل حتى 5 حزيران لا بد انه لاحظ الأزمة الاقتصادية الخانقة التي احاقت بها والتي بدأت قبل ثلاث سنوات ، مما ادى الى ازدياد عدد المهاجرين الشبان من اسرائيل الى بلدان اخرى وليس اليها كما حدث بعد حرب حزيران .

وهذا الكلام يؤكده كاتب يهودي نشر مؤلفاً بالفرنسية عنوانه « اسرائيل في خطر السلم » .

اما بالنسبة الى اجتماعات الدول الاربع الكبرى فقد قال شمعون « انها لا تزال دون نتيجة منذ عام حتى اليوم . والسبب ان كلا من الاطراف الاربعة يتمسك بجهة معينة وبسياسة معينة ويرفض قبول ما يغاير مصلحة هذه الجهة » .

والحل السلمي ، ماذا يقول فيه ؟ .

« ان الأمل باسترداد فلسطين كبير . وهناك قول مأثور يقول : ما مات حق وراءه مطالب .

واذا لم تتمكن الدول العربية حتى اليوم من استعادة الحق الفلسطيني ، فهذا يعود الى عدة اسباب منها الضعف الذي كان يلم بالدول العربية ، والتسلط الاسرائيلي الصهيوني على المحافل الدولية .

« ان اللاجئين الفلسطينيين لا يزالون يملكون اكثرية الاراضي والعقارات في فلسطين . والحق لا يمكن ان يضيع مهما طال الزمن . وهناك امثلة منها الحرب الطويلة التاريخية بين المانيا وفرنسا بسبب الالزاس واللورين والتي انتهت باستعادة فرنسا المقاطعة المتنازع عليها . لذلك فإني لا اوافق على الحل السلمي الا في اطار قرار مجلس الأمن الذي صدر في تشرين الثاني 1967 .

. . . والعمل الفدائي

قد يكون من الانصاف القول ان كميل شمعون هو اول من نبه الى وجوب الاعتماد

على العنصر الفلسطيني في المعركة ، باعتبار ان الفلسطينيين هم اصحاب الحق الشرعيين ، ومن الطبيعي ان يتولوا القيام بانتزاع الحق من مغتصبيه .

ولو اخذ مجلس الجامعة العربية ، قبل ثلاث وعشرين سنة ، باقتراح شمعون القائل بتأليف جيش من الشعب الفلسطيني ، كبير العدد وقوي العدة ، لما كانت فلسطين ربما ، قد ضاعت ووصلت قضيتها الى حرب 5 حزيران ، ولما كانت هناك اسرائيل الآن .

هل يعني ذلك ان الرئيس الاسبق هو اليوم مع العمل الفدائي ؟ .

عن هذا السؤال الكبير يجيب :

« ان المقاومة الفلسطينية ، اهم ظاهرة في الحياة العربية المعاصرة ، فضلاً عن انها تعبر عن الوجود الفلسطيني وحيويته وفعاليته ، اجتماعياً ، وسياسياً ، وعسكرياً . وحركة المقاومة ، اقوى سلاح في العمل على استعادة الحق . فقد بدلت كثيراً من المفاهيم ، وغيرت نظرة العالم الخارجي الى الشعب الفلسطيني خاصة ، والعربي عامة . وبدأت توقظ ضميراً عالمياً ، كان نائماً طوال عشرين عاماً . كان الاعتقاد سائداً ، بأن اسرائيل استقرت نهائياً ، وسيطرت تماماً ، بعد حرب حزيران ، على الشرق العربي عسكرياً ، ولكن هذا الاعتقاد يبدو انه في طريق الزوال .

ولا يمكن اي عربي ، بل اي انسان حر في العالم ، ان لا يؤيد المقاومة الفلسطينية ، واني من اشد مؤيديها . ولكني ارجو ، ان تكون المقاومة ، حكيمة بقدر ما هي جريئة ، وشجاعة ، وان تتوحد ، وان لا تدخل في معارك جانبية تضعف الصف العربي ، بل عليها ان تكون الراشد للدول العربية ، والداعية ، بل والعاملة على تقوية قدرات البلدان العربية العسكرية ، والسياسية ، انتظاراً للمعركة الحاسمة النهائية ، التي سوف تقع حتماً ، في يوم من الأيام ، ولو لم يكن ممكناً ، تحديد هذا اليوم .

ليس هناك من ينكر ، على حركة المقاومة ثوريتها على المفاهيم ، ولا تأثيرها في المجتمع العربي ، ولا تحريكها لافكار جديدة في نفوس الجيل العربي الشاب ، ولا فعلها في تطوير المستقبل . من هذه الناحية ، اوافق على القول ، بأن المقاومة الفلسطينية ، هي اليوم ، وفي المستقبل ، العنصر الرئيسي في الحياة السياسية العربية ، وانها ستحدث تأثيراً عميقاً ، وتبدلاً جوهرياً ، في العالم العربي » .

من المفيد هنا ، والحديث عن شمعون الفدائي ، التوقف قليلاً واستعادة الكلمات التي رددها في مجلس النواب عشية اليوم التالي لحوادث 23 نيسان 1969 . ماذا قال الرئيس

الاسبق ؟ كانت مفاجأة ادهشت حتى الذين من حوله . حيَّرهم . ناس قالوا ان شمعون وجدها فرصة مناسبة لقطف الثمار ورد الرجل لرشيد كرامي . وناس قالوا : هذا هو شمعون . وموقفه من الفلسطينيين ليس جديداً . ماذا قال ؟ .

ـ « لم اقف دقيقة صمت حداداً على الضحايا الذين سقطوا ، لا لقلة احترامي للموت او لرئاسة المجلس ، وانما لأنني غير مقتنع بطلب الرئاسة . فاما ان الضحايا كانوا مذنبين فعاقبتهم السلطة ولماذا الوقوف حداداً اذن ، او انهم كانوا ابرياء وضحايا بالفعل ، فكيف اذن نشارك السلطة في الحداد عليهم ومن هو المذنب حتى نعاقبه » .

وبعدما اعلن الرئيس شمعون انه غير مقتنع بما قالته الحكومة عن الحادث وانه يعتقد انه كان بالامكان الحؤول دون ما حدث لو اتخذت التدابير اللازمة ، قال : « لو تفهمت الحكومة نفسية الفلسطينيين في الظروف الحاضرة بعدما ظهر مشروع الحل السلمي الذي قد ترى بعض الدول العربية مصلحة لها فيه ، لكانت عرفت ان الفلسطينيين ينظرون اليه على انه القضاء النهائي المبرم على قضيتهم » .

ثم تساءل : الا ترون انه كان من الطبيعي ان يمتلك اليأس قلوب الفلسطينيين الذين قضوا25 سنة من حياتهم ينتظرون ويأملون بالعودة الى وطنهم واذا بمجلس الأمن يقضي على آمالهم » .

ثم انتهى الى القول انه اذا كان هناك بعض العناصر اليسارية ارادت الاصطياد في الماء العكر « فهذا لا يعني ان جميع الفلسطينيين ارادوا الاصطياد في الماء العكر ، وكان على الحكومة ان تعالج الحالة النفسية التي هم فيها لا ان تقول لهم خليكم في بيوتكم » .

وبالنسبة الى العمل الفدائي وانطلاقه من الاراضي اللبنانية ، ماذا يقول كميل شمعون ؟ .

« رأيي صريح جداً . انني مع العمل الفدائي بكل معنى الكلمة ومن دون تحفظ . مع العمل الفدائي المخلص الذي ينوي استعادة الحق ، لكني اختلف مع الفدائيين في كيفية تنفيذ هذا العمل الفدائي » .

وفي انطلياس قال ، في حوار مفتوح بتاريخ 10 آذار 1970 ، انه مع العمل الفدائي ، لكن هناك « ولكن » . ما هي ؟ .

ـ « ان العمل الفدائي الذي يعرِّض لبنان واراضيه وسلامته للخطر دون اية فائدة

استراتيجية لا يجوز ان يستمر . لأنه في خسارة لبنان لجزء من اراضيه خسارة للجميع ولفلسطين أيضاً وللقضية العربية » .

ثم توسع في التفاصيل :

« نخشى ان نقول للفدائيين بكل قوة ومحبة ان ما قمتم به من اعمال حتى اليوم لم تكن له نتيجة او فائدة تذكر يمكن ان تبرر من قريب او بعيد اي اعتداء يحصل على اصغر قرية لبنانية . ونخشى ان نقول لهم ان دوركم لم يأت بعد من الأراضي اللبنانية . قد يأتي في مستقبل الأيام عندما ترسم استراتيجية عربية مدروسة وشاملة .

« اما في الظروف الحاضرة فإني اتساءل هل نحن نريد ان نخلص وطناً او اننا نريد ان نهدم عبارة او جسراً ؟ اذا كنا نريد ان نستعيد وطناً ، فليست هذه هي طريق استعادة فلسطين . اما اذا كنا نريد ان نهدم عبارة او جسراً فليكن ذلك عن طريق غير طريق الاراضي اللبنانية » .

وفي محاضرة القاها في اليسوعية قال شمعون عن العمل الفدائي ما سبق وقاله في انطلياس . واضاف : « اتمنى ان يصل عدد الفدائيين الى مئة الف بل الى مئتي الف ، وان يكونوا في مقدمة الجيوش العربية النظامية التي ستقاتل اسرائيل . وهذا هو عكس ما يفعلونه اليوم ويؤ دي بالنتيجة الى غير النتائج التي تحصل عندما يهاجمون دون استراتيجية واضحة ويضربون ، مما يجلب الخراب على لبنان دون اية فائدة » .

وعندما سئل عن الحل العادل لقضية الفلسطينيين ، اجاب : « هل يوجد حل اعدل من ان يعود اللاجئون الى اراضيهم ويستعيدوا حقوقهم » ؟ .

كميل شمعون العربي

شمعون العربي هو رجل السنوات السمان في القضية العربية . شمعون العرب . سنة 1947 كان كميل شمعون هو صوت العرب . صوت كل العرب في الأمم المتحدة وفي العالم الغربي . وبقي كذلك الى فترة بعيدة حتى انه يوم انتخب رئيساً للجمهورية سنة 1952 كتب احدهم مقالاً وصف فيه شمعون بـ « المسلم » ، لكثرة ما كان عربياً ولكثرة ما كان العرب ، واسلام لبنان مولعين به . . .

ثم حدث التبدل الكبير واشاح بعض العرب بوجوههم عن كميل شمعون ، ثم شطب هذا البعض ، ومنهم « عرب » لبنان ، كلمة عربي من خانته ، وسجلوا محلها كلمة مضادة لها ، اتبعوها بكلمات واوصاف لا تحصى ولا تعد ، اقلها : عميل الاستعمار ، عدو العرب . حتى انهم اتهموه بالخيانة ، خيانة القضايا العربية ، خصوصاً قضيتهم الأولى التي اصيب كميل شمعون وهو يدافع عنها بنوبة في القلب كادت تقضي عليه . كان يخطب في الأمم المتحدة مدافعاً عن فلسطين . كان منفعلاً من اجل القدس . كان يحكي باسم العرب . شعر بالتعب . اخذ قلبه ينتفض ويهدأ . كاد يسقط . لكنه اراد ان يتابع الخطاب فلم يقدر . انهار . نقل الى الطبيب الذي قال له « خلّصت من خروم الشبك » .

وعندما ابرق اليه بعض اصدقائه في بيروت يطمئنون على صحته ، اجابهم ببرقية لا تزال كلماتها في ذاكرة احدهم : « خلصنا من الموت باعجوبة ، من خرم الشبك ، لكن القضية رائعة تستحق ان يموت المرء في سبيلها » .

لكن ذلك كله ضاع في طوفان التهم النازلة على كميل شمعون ونسي العرب « صوت العرب » ذاك ، لينتقلوا الى صوت عرب جديد بصوت جديد من نوع آخر .

لماذا حدث التبدل ؟
ما الذي حدث ؟
مشروع ايزنهاور ؟
ام ان ثمة سراً كبيراً وراء التبدل الكبير ؟

يقول كميل شمعون : « اعتبرني بعض العرب ، في السنوات الاخيرة لرئاستي ، خارجاً على العرب وعلى المصلحة العربية . ان خطي الرئيسي العربي واللبناني لم يتبدل ، انما التطورات التي حدثت في المنطقة هي التي جعلت البعض يعتقد ان في تبدلاً وخروجاً » .

وفي مجال التوضيح ، يضيف :

سؤالكم هام بالنسبة الي شخصياً ، وبالنسبة الى لبنان . انني كنت حريصاً ، وما ازال على استقلال لبنان وسيادته التامة ، واعتبر ان هذا الاستقلال وهذه السيادة ، شرطان لتعاونه مع الدول العربية تعاوناً وثيقاً ، سعيت اليه منذ دخولي ميدان السياسة ، وما ازال اريده واسعى اليه . واساس تعاون لبنان ، هو ارتباطه بنصوص ميثاق الجامعة العربية . كان هذا صحيحاً سنة 1944 ، وبقي صحيحاً في 1958 و1959 و1960 ، وهو اكثر صحة

اليوم من اي يوم . لا اخفي بأن التعاون بين لبنان والدول العربية ، قد اصيب بنكسة او نكسات عديدة ، بسبب عدم تفهم بعض رجالات العرب معنى التعاون الصادق . وما اقوله عن لبنان ، ينطبق على علاقات الدول العربية الأخرى بعضها ببعض . لقد نتج عن عدم تفهم واقع العلاقات بين البلدان العربية ، ان انقسم عالمنا الى فئات ، تصارعت في ما بينها ، فحال ذلك دون العمل البناء . يكفينا ما رأيناه ونراه في المؤتمرات والاجتماعات التي تعقدها الدول العربية ، فلا ينتج عنها الا تعميق الخلافات واستمرار المناقشات والمجادلات . فرقت بيننا عوامل عديدة ، كان يمكن ان لا تثار ، في هذه الفترة الدقيقة من حياة العرب . تحكمت فينا حساسيات ، بسبب السعي الى الصدارة او غير ذلك من الشكليات . ثم اتت بعض العقائديات ، تزيد في تفرقنا ، وتضعف امكانياتنا ، مما سمح لاسرائيل ، ان تسيطر على فلسطين ، وتهددنا سياسياً وعسكرياً في مصيرنا . سياستي العربية لم تتغير عما كانت عليه في الماضي ، وهي ظاهرة وبارزة في دستور الحزب الذي انشأته مع بعض الأصدقاء في مطلع 1959 ، وحددنا فيه شروط الانتماء اليه ، بأن يقسم العضو الجديد اليمين ، على ان لبنان جمهورية ديموقراطية ، ترتكز علاقاتها الدولية على مبادىء اساسية ثلاثة : « سيادة لبنان ، وانتماؤه الى الاسرة العربية ، واحترامه لميثاق الأمم المتحدة » . ونحن نشدد على ما ورد عن علاقاتنا بالبلدان العربية ، ونريد ان تكون هذه العلاقات ، متصفة بروح الصدق والاحترام المتبادل ، فضلاً عن ارادة العمل على تدعيم الجامعة ، وجعلها منظمة اقليمية مثالية ، مهيبة الجانب ، فعالة في ميدان السياسة الدولية ، وفي صيانة السلام الاقليمي والعالمي . وغني عن القول ، انه اذا تحققت هذه المبادىء التي نؤمن بها ، اصبح عالمنا العربي قوياً ، قادراً على رد اي عدوان ، وخاصة العدوان الاسرائيلي واما اذا ظللنا نتجادل ، ونتناقش ، ونحلل العقائد ، ونختلف على الزعامات ، ونكيل الاتهامات بعضنا لبعض ، ونقضي بذلك على هيبة كل بلد عربي ، بل على هيبة جميع دولنا ، فليس من امل لنا ، تجاه اسرائيل ولا غيرها . اما قولكم ، انني اعتقد بأن مصلحة لبنان والبلدان العربية ، تقضي بأن نكون على تفاهم مع العالم الديموقراطي ، فيحتاج الى جواب توضيحي : كنت وما ازال ، من الذين يرون ان نظامنا الاجتماعي والاقتصادي في لبنان ، يرجح كفة تعاوننا مع الغرب ، من دون ان يكون في ذلك معنى العداء والمخاصمة للشرق . غير ان هذا الواقع ، لا يفرض علي موقفاً مطلقاً واستسلاماً ، عندما تكون سياسة الغرب ومواقفه مجحفة بحقنا ، وغير عادلة ، لا بالنسبة الى لبنان وحسب ، بل والى الدول العربية أيضاً » .

وانطلاقاً من هذا المبدأ يعتبر الرئيس الاسبق ان دور لبنان هو دور ديبلوماسي .

سواء بالنسبة الى قضية فلسطين بالذات وبالنسبة الى القضايا العربية بصورة عامة :

« ان لبنان وعى ، ويعي التزاماته ، ومسؤولياته في القضية الفلسطينية ، ويعلم ان لا بد له ، من الاسهام جدياً ، في ايجاد الحلول لجميع القضايا التي تهم العالم العربي . هذا الوعي ، دفعه حتى الآن ، وسيدفعه في المستقبل ، بصدق واخلاص ، لبذل اقصى جهوده في جميع الميادين . ففي الميدان الدولي ، اخذ لبنان على نفسه ، الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني ، فكان له دور بارز في مؤتمر لندن(1946) ، وفي مختلف جلسات لجنة التحقيق الدولية ، خلال صيف1947 . ومنذ ذلك الحين ، في كل دورة من دورات الجمعية العامة ، او مجلس الأمن ، فضلاً عن تدخلاته الثنائية المباشرة في كل هيئة ، وكل عاصمة . في الميدان العسكري ، اشترك لبنان اشتراكاً كاملاً ، في حرب1948 ، التي انتهت باتفاقات الهدنة ، بموافقة جميع الدول العربية . واذا كان لبنان لم يشترك ، في حرب1956 ، فقد حذا ، بذلك ، حذو جميع الدول العربية ، بطلب من مصر نفسها . اما عن حرب 1967 ، فإن لبنان لم يدخلها ، وقد تكون السرعة ، التي جرت بها تلك الحرب ، سبباً في حصرها بثلاث دول عربية ، فقط . ليس لبنان قوة حربية ، ولو كان اللبنانيون ، عبر تاريخهم الطويل ، من افضل المقاتلين . ذلك ان القوة الحربية ، بما تستتبعه من قيام جيش ، وتنظيمه وتدريبه ، وتأمين معداته ، تتجاوز امكانات لبنان المالية . ان اعضاء الجامعة العربية ، تفهموا هذا الواقع ، واعترفوا للبنان بخصائصه المعينة ، فاكتفوا منه بمبادراته الديبلوماسية ، المدعومة بصداقاته الدولية ، وبانتشار ابنائه المغتربين في العالم ، ونفوذهم الذي لم يبخلوا به على القضية العربية عامة ، والفلسطينية خاصة . فهل ان هذا الوضع اللبناني المميز ، مدعو بالاستمرار ، ام ان التطورات السريعة في العالم العربي ، تجر لبنان الى الميدان الآخر ، اي الميدان العسكري . قد يكون ذلك مدعاة للتفكير ، والدرس ، اذا ما فرضنا على انفسنا تضحيات جديدة ، في سبيل قضية مشتركة ، بيننا وبين الدول العربية الشقيقة . والدرس لا يكون تحت تأثير العاطفة ، والنزوة الجامحة . فإذا اعتمد لبنان الاشتراك في الجهد الحربي ، فهناك شرط رئيسي ، هو ان يكون هذا الاشتراك ، معالجة مشتركة للموضوع ، تؤخذ من اجلها آراء الاطراف جميعاً ، حتى تقبل التدابير باختيار حر من قبل كل عضو من اعضاء الجامعة ، في نطاق مؤسساتها الدستورية . ان لبنان ، لن يصبح قادراً على التحول ، من عنصر سياسي اعلامي ، الى عنصر محارب ، الا بشروط لا بد من توافرها . اولها ، تشكيل ثلاث فرق كاملة ، وعدد افراد هذه الفرق لا يكفي ، اذا لم يتبعه ثانياً ، تدريب طويل ، ومركز ، يدوم في اقل تعديل من ثلاث ، الى خمس سنوات . وثالثاً ، تزويد الجيش بمعدات حديثة

وقوية ، ثقيلة وخفيفة ، وخاصة للدفاع المضاد للطائرات . هذا المخطط ، يكلف اموالاً كبيرة . ناهيك ، بما يكلف ، تعرض الاراضي اللبنانية بمدنها ، وقراها ، وارياقها ، الى التخريب نتيجة لقرب المسافة بين المواقع الاسرائيلية ، واللبنانية . فالموازنة الحربية للبنان لا يمكن ان تقل عن400 مليون ليرة سنوياً ، من الواجب تأمينها له عربياً .

دور لبنان ، اذن ديبلوماسي ، اعلامي بالدرجة الأولى . واذا اريد له دور آخر ، فاستعداد طويل ، وتمويل ضخم . ولبنان ، ليس حكومة وشعباً مقيماً ، بل هو انتشار عالمي ، فاعل ، بواسطة ابنائه المتغربين ، اذا ما احسن استعمال هذه القوة » .

مؤتمر بيروت

مؤتمر القمة العربي الوحيد الذي عقد في بيروت عقد في عهد كميل شمعون وبدعوة منه . فعلى اثر تعرض مصر للعدوان الثلاثي ، بادر الرئيس الاسبق في5 تشرين الثاني الى دعوة الملوك والرؤساء العرب الى عقد مؤتمر قمة عاجل في بيروت لدرس الموقف الناجم عن العدوان الذي اقدمت عليه بريطانيا وفرنسا واسرائيل . الا ان الملوك والرؤساء العرب لم يلبوا دعوة الرئيس اللبناني الا في العاشر من تشرين الثاني .

وخلال جلسات المؤتمر كان كميل شمعون على اتصال دائم بالرئيس المصري . وكان يطلعه على سير الأعمال في المؤتمر ويسأله عن الموقف الذي يفضل اتخاذه . ويومها طلب الرئيس عبد الناصر من الرئيس شمعون الا يقطع لبنان علاقاته ببريطانيا وذلك كي يتمكن من القيام بدور ديبلوماسي ودولي واسع بالنسبة الى متطلبات الوضع في المنطقة .

وفي الخامس عشر من تشرين الثاني صدر البيان الآتي :

« في العاشر والحادي عشر من ربيع الثاني1376 الموافق الثالث عشر والرابع عشر من شهر تشرين الثاني1956 اجتمع في بيروت بناء على دعوة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

صاحب الجلالة الملك حسين ، ملك المملكة الاردنية الهاشمية .

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ، ملك المملكة العربية السعودية .

سيادة الرئيس عبد الفتاح محمد المغربي ، رئيس المجلس السياسي في السودان .

صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي ، رئيس جمهورية سوريا .

صاحب الجلالة الملك فيصل ، ملك المملكة العراقية .

صاحب الفخامة السيد كميل شمعون ، رئيس الجمهورية اللبنانية .

صاحب الدولة السيد مصطفى بن حليم ، رئيس مجلس وزراء ليبيا ، نيابة عن مليكها .

السيد عبد الحميد غالب ، سفير مصر في بيروت نيابة عن سيادة رئيس الجمهورية المصرية .

وصاحب السمو الملكي سيف الاسلام محمد البدر ، ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية نيابة عن مليكها .

وذلك لدرس الموقف الناجم عن العدوان الذي اقدمت عليه بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر وقطاع غزة وللاتفاق على ما يجب عمله لمناصرة مصر في دفاعها المجيد عن سلامة اراضيها وسيادتها ، معتبرين ان هذا العدوان على مصر هو عدوان على البلاد العربية جميعاً يقتضي توحيد السياسة والجهود حرصاً على المصلحة العربية المشتركة .

وقد استعرض المجتمعون بارتياح التدابير التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرارات الصادرة بأغلبية ساحقة في 2 و4 و7 تشرين الثاني 1956 . وقدروا مجهود الدول المحبة للسلام التي ساهمت في اصدار القرارات المذكورة ، القاضية بوقف القتال وسحب القوات المعتدية فوراً من الاراضي المصرية والعودة الى ما وراء خطوط الهدنة . وقد اجتمع الرأي على ما يلي :

1 ـ ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورة اعلاه ، واذا رفضت بريطانيا وفرنسا الامتثال لقرارات الأمم المتحدة وامتنعتا عن سحب قواتهما من الاراضي المصرية فوراً ومن دون قيد ولا شرط ، وكذلك اذا خالفت اسرائيل قرارات الأمم المتحدة وامتنعت عن سحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد ولا شرط ، واذا تسبب عن موقف اي من بريطانيا وفرنسا واسرائيل تأزم جديد من شأنه ان يؤدي الى استئناف الأعمال العسكرية ، اعتبرت بريطانيا وفرنسا واسرائيل مسؤولة بالتضامن عن استمرار الاعتداء وحينئذ تباشر كل من الدول الممثلة في هذا المؤتمر فوراً في ما خصها وعملاً بحق الدفاع المشروع عن النفس تطبيق احكام المادة الحادية والاربعين من ميثاق الأمم المتحدة واتخاذ التدابير الفعالة التي تسمح بها اقصى امكانياتها وفقاً لالتزاماتها

بمقتضى المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك العربي .

2 ـ الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التي رافقت الاعتداء على مصر ، واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها ، والعمل على حلها حلاً يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها ، وذلك في نطاق الأمم المتحدة وبمفاوضات تجري بين الفرقاء المعنيين بعيداً عن اي مظهر من مظاهر الضغط والتدخل والاكراه وعلى أساس معاهدة 1888 والمبادىء الستة التي اقرها مجلس الأمن في 13 تشرين الأول 1956 .

3 ـ تأييد مطالب الشعب الجزائري في نضاله حتى يحقق امانيه القومية في الاستقلال والسيادة .

وان المجتمعين يتوجهون بتحية الاخوة الصادقة والتقدير والاعجاب الى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر والى القوات المصرية المسلحة والى شعب مصر ، مكبرين وطنيتهم وتفانيهم في الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها .

يقول الرئيس شمعون في الصفحة 300 من كتابه « أزمة في الشرق الأوسط » :

« الساعة التاسعة مساء 5 تشرين الثاني 1956 استقبلت السيد مصطفى امين الصحافي المصري الذي كان من حاشية الرئيس عبد الناصر ، وكان برفقته النائب اميل بستاني . ونقل الي تحيات الرئيس عبد الناصر الاخوية وطلب مني باسم الرئيس المصري التدخل لوقف الاعتداء الثلاثي على مصر . فاستدعيت على الفور سفير بريطانيا في بيروت ونقلت له طلب الرئيس عبد الناصر ثم طلبت منه وقف العمليات الحربية فوراً ، او على الاقل اعطائي موعداً محدداً لوقف هذه العمليات » .

في 17 آذار 1970 ، كان الرئيس شمعون يحاضر في اليسوعية ، سئل عن رأيه في الرئيس عبد الناصر . قال :

« الرئيس عبد الناصر رئيس دولة من الدول العربية التي تربطنا بها علاقات مباشرة باعتبارنا من اعضاء الجامعة العربية . وليس لي ان انتقد سياسته امام جمع غفير ، واتمنى له سياسة ناجحة في بلده وفي البلاد العربية » .

سياسته الخارجية

في 10 آذار 1970 سئل الرئيس شمعون عن رأيه في سياسة لبنان الخارجية . كان يحاضر في انطلياس . قال :

« لقد اصبح لبنان عضواً في الأمم المتحدة منذ 1943 . وقد لعبنا دوراً بارزاً في هذه المنظمة يفوق حجم لبنان . وانتساب لبنان الى جامعة الدول العربية مكّنه من القيام بدور مهم على الصعيد العربي والدولي وعلى صعيد القضايا العربية الكبرى خصوصاً قضية فلسطين .

انما دور لبنان تقلص كما تقلص دور كل دولة عربية في السنوات الاخيرة ، لأن الجامعة العربية تقلصت بدورها ولم تعد تلعب اي دور على صعيد السياسة العربية وهذا ما يؤسف عليه . كنت ممثل لبنان في الأمم المتحدة وكنت في مناسبات عدة الناطق الرسمي باسم الدول العربية ورأيت كيف كنا موضع اعتبار واحترام من كبار الدول وصغارها ، وكيف كانت الدول الاميركية الصغيرة تسعى الى انشاء منظمة كمنظمة الدول العربية . ان الجامعة تضم اليوم 14 دولة لكنها لا توازي دولة صغيرة .

ان دور لبنان هو توجيه ودور عضو مسؤول عليه ان يقول رأيه بكل جرأة وشعور بالواجب في كل قضية مهمة تعود بالخير على منطقة الشرق الأوسط . اننا لسوء الحظ لم نقم بهذا الدور . لقد صرنا ننقاد الى سياسات معينة دون ان نسأل الى اين ستوصلنا تلك السياسات . وكانت النتيجة كما رأينا كارثة لحقت بالدول العربية سنة 1967 .

واذا كنا نريد المحافظة على هذه المجموعة العربية ، ومن مصلحتنا ان نحافظ عليها شرط ان يكون فيها لبنان سيداً حراً ، علينا ان نسعى الى جمع الكلمة ورسم سياسة فعالة بناءة تقوم على العلم والتقدم والشعور بالمسؤولية الدولية ، وانني على يقين اذا اتبعنا هذه السياسة بكل اخلاص ، فلن تمر خمس سنوات الا ويكتسب العالم العربي المركز المرموق الذي يليق به في العالم .

اما كيف نحافظ على سلامتنا فنحن اليوم في ظروف لا نحسد عليها ، نحن اليوم ضعفاء . والاخطر من ذلك اننا مقتنعون بأننا يجب ان نبقى ضعفاء ، فلا نقوم بأي عمل يمكن ان يكسبنا القوة اللازمة للدفاع عن انفسنا ويكسبنا الاحترام الدولي اذا كانت هناك من نية للاعتداء علينا » .

الا انه لا يمكن النظر الى سياسة لبنان الخارجية ، بمنظار كميل شمعون ، دون

التوقف طويلاً عند مشروع حلف بغداد الذي اقام العالم العربي وأقعده . . . واقام الدنيا على كميل شمعون .

وقضية حلف بغداد ليست قضية سرية ، كما انها معروفة بفصولها التي اكتملت والتي لم تكتمل . انما قد يكون من المناسب هنا مراجعة محضر احدى « الجلسات العربية » التي عقدت في بيروت برئاسة كميل شمعون لمناقشة هذه القضية . وهذا المحضر مأخوذ من وثائق مجلة « القضايا المعاصرة » .

بتاريخ 6 - 3 - 1955 عقد اجتماع في القصر الجمهوري في بيروت برئاسة الرئيس كميل شمعون وحضور :

وزير الارشاد القومي الصاغ صلاح سالم ، سفير مصر في لبنان اللواء عبد الحميد غالب ، وزير الخارجية السورية السيد خالد العظم ، وزير الاقتصاد السوري السيد فاخر كيالي ، رئيس اركان حرب الجيش السوري الزعيم شوكت شقير ، رئيس مجلس الوزراء اللبناني السيد سامي الصلح . وزير الخارجية والمغتربين الرئيس الفرد نقاش .

وفي ذلك الاجتماع طلب السيد فاخر الكيالي « باعتبار فخامتكم مطلعاً على الشؤون العامة أوسع اطلاع نرجو ان تبينوا لنا رأيكم في ما يمكن ان يدعم الكيان العربي » .

اجاب شمعون : « ان موقف لبنان هو موقف الوسيط في كل ظرف ينشأ فيه خلاف بين فريقين عربيين . انه يسعى دائماً الى التوفيق . وقد حاولنا في الظرف الحالي ان نقوم بهذا الدور مقتنعين بأن اتفاق العرب خير ضمان لمصلحتهم .

« ان موقف لبنان من كل بلد من البلدان العربية هو موقف الصديق المخلص . نشأ الخلاف حول موقف العراق وكان لمصر رأي فيه . لا ننتقدها عليه وسنحافظ دائماً على صداقتنا معها . كذلك لا ننتقد العراق ولا نرضى ان تمس علاقاتنا بها . واما علاقاتنا بسوريا فهي العلاقة التي تسمو على المعاملات التجارية وتبادل المنافع وستظل دائماً متسمة بطابع الود على الرغم مما نجابه أحياناً من صعوبات في الحقل الاقتصادي » .

« قلت للعراقيين انهم اخطأوا في الأسلوب الذي اتبعوه . كان عليهم ان يستشيروا سائر البلاد العربية ، بل كان جديراً بهم ان يدعوها الى اجتماع للبحث في الاتفاق الذي اعتزموا توقيعه » .

« يقولون انهم سلكوا هذا المسلك لأنهم كانوا مضطرين اليه نظراً لموقعهم الجغرافي ولوجود 600 الف كردي على الحدود المجاورة لروسيا. وان الاتفاق العراقي التركي لا

يلحق بالعرب اي ضرر بل يمكنهم من التخلص من آخر اثر للاحتلال . ويخلصون الى الرجاء بأن نقابل بين الوضعين وأن ننصفهم » . (. . .)

« والخلاصة أرى ان ندعو العراق الى اجتماع نحصل فيه على بيان صريح منها عن موقفها من سائر الدول العربية . فنرى اذا كان الاتفاق الذي عقدته لا يمس هذه الدول بضرر . (. . .) . اما اذا كانت الحكومة العراقية تبيت نيات غير سليمة فأنا أول من ينصح باخراج العراق من جامعتنا . ويجب علينا خاصة الا نتخذ في هذا الجو المحموم قراراً يؤ دي الى فصلها » . (. . .)

« لقد أبلغنا سفيرنا في واشنطن والقائم باعمال السفارة الاميركية في بيروت ما افضت به وزارة الخارجية عن سياستها بشأن الدفاع عن هذه المنطقة . قالت ان المساعدات العسكرية موقوفة على تحسن الحالة مع اسرائيل . ابرقنا نسألها ماذا تعني بذلك وهل يقصدون به الصلح مع اسرائيل . والصلح امر مستحيل . بل ان أي تعاون بتحسن الحالة مع اسرائيل هو عدم حصول حوادث على الحدود وانتهاج سياسة ايجابية كالمساهمة في مشروع جونستون » . (. . .)

« ليس العراق دولة خونة . نطلب منها ان تكون معنا في السراء والضراء . ومع ذلك اذا بدا لنا اي ريب في نياتها فاننا نقترح عندئذ اقصاءها ونتفق معكم لنقاوم الخطر . انما ارجو ان تعالج القضية بحكمة . فالتاريخ سيسجل لنا اننا برغم العواصف قد حافظنا على رباطة جأشنا وحكمنا عقلنا » .

الصاغ صلاح سالم : « اشكر لفخامة رئيس الجمهورية الجهود التي يبذلها وأقدرها حق قدرها . كما أقدِّر روحه النبيلة التي كانت حافزاً لنا لتسوية خلافاتنا واجتماعنا صفاً واحداً » .

وفي محضر لاجتماع آخر عقد بتاريخ 7 - 3 - 1955 بحضور الاشخاص انفسهم بالاضافة الى الدكتور شارل مالك سفير لبنان في واشنطن وللغاية ذاتها جاء ما يأتي :

الدكتور شارل مالك : ان الذي اعرفه ان اميركا تنظر الى الثورة المصرية نظرة رضى واطمئنان . وهي تريد ان تؤيدها وتمدها بالمساعدة .

الصاغ صلاح سالم : نحن نعلم ذلك . فإنهم يساعدوننا اقتصادياً وقد اظهروا اهتمامهم بالسد العالي .

فخامة الرئيس : لنحصر البحث . توجد نقاط لا خلاف عليها :

1 ـ لا يفكر أحد بالصلح مع اسرائيل .
2 ـ لا يفكر احد بالتعاون مع اسرائيل .
3 ـ لا يفكر احد بالاعتراف بالوضع الراهن في فلسطين .

تبقى نقطة اساسية ، وهي هل نتفق على ذلك كله ونعمل بموجبه بصرف النظر عن العراق ام نأخذ رأيها أولاً . أعتقد انه لا يجوز السير في البحث دون الاتصال بالعراق .

ثم تم الاتفاق على تأليف وفد لبناني سوري مصري مشترك للسفر الى بغداد واستيضاح الحكومة العراقية بشأن الاتفاقية مع تركيا (ميثاق حلف بغداد) . وقد مثل لبنان في الوفد رئيس الحكومة السيد سامي الصلح ووزير الخارجية الرئيس الفرد نقاش .

وبعدما سافر الوفد المشترك الى العراق ، أرسل الرئيس شمعون الى الرئيس سامي الصلح والوفد المرافق له البرقية الآتية :

« في الوقت الذي تجتاز الجامعة العربية أعنف أزمة واجهتها في تاريخها اقدر انه من واجب الحكومات التي تمثلها بعثتكم الى العراق ان تضع نصب اعينها مصلحة جميع الدول العربية والشرق الأوسط . وان تماسك الجبهة العربية وتضامن دول الجامعة تمثل ضرورة اساسية يجب ان تقدم كل ما عداها » .

« واننا نشجع الأفكار التي بدت في مشروع الاتفاقية التركية العراقية ، كما اننا نأخذ بعين الاعتبار الافكار التي قامت ضد هذا المشروع . والمهم هو ايجاد حل يوفق بين وجهات النظر المختلفة التي تبودلت في الاجتماعات للحفاظ على الجامعة العربية » .

« وفي حال عدم الوصول الى حل في الوقت الحاضر أرجوكم ان تنقلوا الى رئيس الحكومة العراقية ولاعضاء الوفد المرافق لكم الاقتراحات التالية :

أولاً : تأجيل توقيع الاتفاق التركي العراقي لمدة اربعة اشهر ، وهذه المدة كافية لاجراء مشاورات بين مصر والبلاد العربية من جهة وتركيا والبلدان الغربية من جهة ثانية .

ثانياً : عقد اجتماع في بيروت لرؤ ساء حكومات مصر والعراق والبلدان العربية الأخرى يكون هدفه التحضير لعقد اجتماع عام في القاهرة » .

قد تساهم هذه اللمحة عن الملابسات التي رافقت موضوع حلف بغداد في توضيح موقف الرئيس الاسبق .

شمعون الخطيب

كميل شمعون الخطيب مثل كميل شمعون الطلة : ساحر جماهيري . محبوب . عفوي . يعرف كيف يخاطب الناس . الناس الذين في الجبل ، والناس الذين في مجلس النواب ، والناس الذين في الامم المتحدة ، وحتى الناس الذين في قصر بكنغهام . واينما حكى وخطب ينتزع التصفيق . . . والاعجاب .

في ما يأتي نماذج من خطب ألقاها في مناسبات مختلفة ، لكنها في خطها العريض تعكس ، ولو من بعيد ، ملامح الشخصية المميزة للرئيس الاسبق :

20 آب 1952 في مهرجان دير القمر التاريخي :

« بالأمس سمعتم مؤرخا وأديباً كبيراً يروي في غير مجال السياسة حادثاً تاريخياً فريداً الا وهو التدابير التي اتخذت هنا في دير القمر في آخر ولاية الامير بشير الشهابي حين بلغت مساوىء الحكم حدها . واني أتلو على مسامعكم ما سطره التاريخ بالحرف الواحد وبلغة ذلك الزمان :

« في 27 أيار ، الاربعاء 1840 انتخب اهل دير القمر اربعة عشر انساناً للتدبير من الدروز : محمد الشحاري وخزوع خبيص . من الموارنة : نادر أبو عكر ، ابراهيم عيد ، فارس تابت ، سعد باز ، يوسف بو شمعون ، غندور الكك ، بشارة الجلخ ، منصور مرهج . من الكواتلي : سلوم الحداد ، حنا عيسى ، داود الجاويش ، حبيب الصوصه . وتحالفوا ان كل شي يدبروه يحفظوه بينهم لحد وقت العمل ، وفي النهار حضر البعض من المقاطعات اثنين اثنين بالوكالة عن كل مقاطعة واجتمعوا مع الاربعة عشر في الخلوة وتحالفوا على الرأي والقلب والكلمة والوحدة وفي 8 حزيران اصدروا منشوراً جاء فيه :

« لزم ان اظهرنا العصيان من بعد الاتكال على الله واعتمدنا على محاربة هذه الضراوة . . . وبما ان الموت ينزل بالذين ينتظرونه جبناً في بيوتهم كما بالذين يقومون برفع نير الظلم عنهم فلا ترددوا بل فلنتحد اتحاداً وثيقاً لحمته وملئته العواطف ولننهض بغير خوف فإن الاستبداد الذي يهددنا حتى آخر ساعة من حياتنا هو على وشك ان يهدم وطننا ولنكن على يقين تام ان الندامة المتأخرة لا تنفعنا اذا لا سمح الله افترقنا او ترددنا لحظة طرف عن توحيد قوانا لاستعادة حريتنا ولكي نسلك بحزم وفقاً لما تقتضيه ظروف خطيرة كهذه مطبقين عملنا على الحكمة والرزانة الجديرين بشعب حر مثلنا » .

لست اجد عبارات للترحيب بكم ولا لتحية نضالكم الباهر وجهادكم المجيد أجمل

من عبارات هذا المنشور اردها عليكم لا لتشحذوا هممكم فانها ماضية بل لتذكروا عبر التاريخ بوحدة وعظاته فتتمسك بوحدة الصفوف الرائعة التي ستوصلنا الى الهدف المنشود » .

22 أيلول 1952 في المجلس النيابي لمناسبة انتخابه رئيساً للجمهورية :

في مثل هذه الأيام وما يليها من عام 1943 هب شعب لبنان ثائراً يعلن ارادته ويؤكد عزمه ان يعيش حراً مستقلاً ، فكان نضاله في سبيل هدفه نضالاً رائعاً موفقاً وكان له ما اراد .

وبالامس هب شعب لبنان ذاته ثائراً يعلن ارادته ويؤكد عزمه ان يعيش حياة صالحة لائقة بمواهبه وخصائله ، فكان نضاله في سبيل هدفه رائعاً موفقاً وسيكون له ما يريد .

واذا كانت ثورة لبنان الأولى اصطبغت بدماء الشهداء الزكية فإن ثورة لبنان الثانية تميزت في أيامها الثلاثة التاريخية بأنها لم ترق فيها نقطة واحدة من دماء الشعب .

ولا ريب ان تجنيب البلاد ويلات الصراع الطويل الدامي يرجع الفضل فيه الى تضامن الشعب المنقطع النظير والى جرأة وحنكة وأصالة رأي نفر كريم منكم ومن عيون المواطنين ، تولى دفة الحركة الشعبية ودفة سفينة الحكم حتى اجتمعنا عند غاية واحدة والى وطنية وحكمة اللواء قائد الجيش العام . فإنه بتدخله الحازم وبتمسكه الوثيق بالدستور وروح الدستور ، أدّى للبلاد خدمة عظمى وسجل امثولة بليغة في التجرد والنزاهة .

وانه لشرف عظيم لي ، قلدني اياه مجلسكم بوضعه ثقته في شخصي الضعيف وانتخابي لرئاسة الجمهورية فإلى حضرتكم أقدم جزيل امتناني وأصدق تقديري لهذه الثقة وهذا الشرف ، ومن منبركم أرفع شكري الفائض وثنائي الحار واعجابي العظيم ، وحبي الخالص الى شعب لبنان الوديع المسالم شعب لبنان الابي المقدام ، انه كلما اشتدت الأزمات وثقلت على كاهله الملمات ، طلع على العالم بالبرهان الساطع على انه شعب يقنع ولا يخدع ، يصبر ولا يخنع ، يعرف ويميز ، ويريد ويقول ويفعل .

واني أشعر انه يتوجب علي ، منذ الساعة ، ان اعلن لكم ولشعب لبنان ما أراه في رئاسة الجمهورية وما انويه .

ان هذه الرئاسة تكليف وخدمة ، ليست مكافأة ولا رتبة ، فهي يحمل متوليها واجبات واعباء ، ولا تدر عليه منافع او تمنحه امتيازات . ان رئيس الجمهورية لن يسمى رئيس البلاد او بالأحرى سيد البلاد . فأمثال هذه الالقاب تنافي أسس الجمهورية

والديموقراطية وتحط من كرامة الشعب الذي لا سيد سواه . ان رئيس الجمهورية لن يحاط بمظاهر العظمة والفخفخة ، فهذه المظاهر لا تنافي اسس الجمهورية والديموقراطية فقط ، بل هي أيضاً تكلف الشعب نفقات ليس ملزماً بها ولا قادر عليها بينما يشكو الكثيرون من ابنائه البطالة والفاقة .

إن الشعب يطلب القضاء سريعاً بدون هوادة ولا رحمة على الفساد والفوضى المنتشرين في كل مرافق البلاد والدولة ويطلب تطهيرها من ادرانها ومن اسبابها وليس والحمد لله في اخلاق اللبنانيين او تقاليدهم اي فساد متأصل .

ان الشعب يطلب الخلاص من النعرات والاحقاد التي غذتها سياسة التمييز والاضطهاد ونمتها أساليب الحكم المفسدة للضمائر . فالبلاد في أمس الحاجة الى الطمأنينة والانصاف فالتصافي والوئام .

مساء 23 أيلول 1952 بعد تسلمه سلطاته الدستورية :

« اريد الليلة بادىء ذي بدء ان اعتذر عن استقبال وفود التأييد والتهنئة التي ما زالت تبدي رغبتها في تشريفي .

انكم جميعاً تعرفون انني نشأت وبقيت على صلة وثيقة دائمة بأفراد الشعب الذين أنا منهم فلم يكن اذاً احب الى قلبي اليوم من ان اطالع تلك الوجوه العزيزة المخلصة وان اصافح تلك الايدي النشيطة الطاهرة التي ما غابت ولا كلت ، خلال السنين الطويلة بل ثابرت على جهادها في سبيل مبدأها الى ان كانت النهضة الحالية من صنعها قبل سواها وان اصافح كل يد لبنانية مستعدة لخدمة الوطن . غير انني قررت ورضيت ان اضحي بعواطفي الشخصية وحتى بتقاليدنا اللبنانية الجميلة وان انهج في هذه المناسبة نهجاً جديداً مهما كلفني الأمر لكي يتسم هذا العهد الذي اردتموه منذ بدايته بطابع الجد والرزانة والاقتصاد . فإن المجاملات والحفلات والتظاهرات تستهلك من اللبنانيين وقتاً ومالاً وجهداً هم في حاجة الى الحرص عليها وعلى حسن انفاقها في سبل مجدية منتجة . وهذا الكلام عن الوقت والمال والجهد التي يضيعها اللبنانيون سدى يجرنا الى حديث الأعياد وأيام البطالة فإننا اكثرنا منها حتى انها تؤثر تأثيراً محسوساً في انتاجنا القومي وفي انتاج الدوائر الرسمية على الخصوص وبات لا بد من اختصارها والغاء ما كان منها غير مرتبط بشعور وطني او ديني عام عميق حقيقي .

ولما كان لبنان جمهورية ديموقراطية فإن في مقدمة الأعياد التي سوف تلغى فلا يحتفل

بها ولا تعطل فيها مصالح الدولة واشغال الناس الذكرى السنوية لانتخاب رئيس الجمهورية . وبعد وفي انتظار الشروع في الأعمال اللازمة لتحقيق اهداف البلاد كفالة حقوق الأفراد والجماعة والحريات العامة والخاصة ونزاهة القضاء ونشر العدالة الاجتماعية وتنفيذ المشاريع العمرانية لمكافحة البطالة والقضاء على الغلاء المصطنع لاسيما في الحاجات الضرورية وخلق جهاز اداري سليم وتأمين تمثيل سياسي صحيح ، وبانتظار هذا كله اسمحوا لي ان اخاطبكم بالصراحة والبساطة اللتين هما لغة القلب الفضلى واللتين يمليهما الظرف الدقيق الذي تجتازه البلاد في تحولها عن طريقة في الحياة الى طريقة اخرى . ان الكثيرين منا معشر اللبنانيين تعودوا ان يعيشوا لأنفسهم ولاهوائهم ومصالحهم متحررين من كل شعور بواجبهم ازاء المجتمع الذي يعيشون فيه » .

6 آب 1956 لمناسبة عيد سيدة التلة في دير القمر :

انتقل بكم الآن الى شؤون السياسة الدولية واهم ما يعنينا منها مباشرة شؤون الشرق الأوسط . إن وجود العلاقات الديبلوماسية بين البلدان العربية بصورة عامة ، ودول الغرب ، لم يخل اثناء الشهور الاخيرة من غيوم قاتمة ، وحتى بين البلدان العربية بعضها لبعض ، فقد ذر قرن خلافات مؤسفة مؤلمة ، زادت سماء الشرق الأوسط ، اكفهراراً ، وشوهت التعاون والانسجام اللذين يجب ان يسودا علاقات هذه البلدان فيما بينها . ان لبنان كان ولم يزل يشعر بالمخاطر التي نتعرض جميعاً لها من جراء استمرار هذه الحالة واسفحالها ولم يدرك مدى عواقبها ، لهذا لزم لبنان ، وهو يلزم اليوم وسيلزم دائماً ، سياسة الاخوة والصداقة والتقرب نحو كل واحد من البلدان العربية الشقيقة ، متطلعاً ابداً الى الفرص والظروف التي تتيح لمساعيه النجاح في اعادة روح الثقة والمودة والتعاون الى كل العواصم العربية . ولكن لا يخدعن احد نفسه في تفسير هذه السياسة .

ان الحياد ، حياد لبنان امام خلاف ينشأ بين بلد عربي وبلد عربي آخر ، لا يعني بتاتاً عدم الاكتراث بالمشاكل التي تطرأ في منطقة الشرق الأوسط ، ولا يعني التنصل منها ، لا المشاكل القائمة بين البلدان العربية بعضها وبعض ولا المشاكل التي تمس علائق هذه البلدان مجتمعة او منفردة بدول الغرب أو دول الشرق أو ببعض هذه او تلك . لقد حرصت السياسة اللبنانية في كل حين ، على السعي لحل هذه المشاكل وعلى ان تكون جهودنا في هذا السبيل مدروسة وبناءة رامية ، برغم اهواء الساعة والعواصف العابرة ، الى تطبيق مبادىء العدالة الدولية ، والى صيانة الأمن والسلم بين الشعوب وبين شعوب العربي بنوع خاص .

من المؤتمر الصحافي الذي عقده في 19 آب 1958 :

قال رداً على سؤال « انه ليست هناك أية نية في ادخال أي سياسي معارض في الحكومة ما دمت في الحكم » . وسئل الرئيس شمعون عن رأيه في البيان الذي اذاعه اللواء شهاب غب انتخابه والذي جاء فيه قوله ان انسحاب القوات الاجنبية سيظل في مقدمة الأهداف الوطنية . وقد رد الرئيس شمعون على هذا السؤال بقوله : « ليس هناك خلاف في وجهات نظرنا . وعندما اذاع اللواء شهاب ذلك البيان فإنه كان يدعو الجميع الى العمل من اجل السلام والاستقرار » .

وأضاف الرئيس شمعون الى ذلك قائلاً « وانا لا اظن انه سيكون من الحكمة ان تطلب السلطات الشرعية سحب القوات الاميركية قبل ضمان مستقبل البلاد او قبل ان تتخذ الأمم المتحدة اجراء مناسباً » .

وسئل عما اذا كانت الكتيبة الاميركية التي غادرت لبنان في الاسبوع الماضي قد فعلت ذلك بناء على طلب لبنان فقال « لا ولكننا وافقنا على ذلك » .

وقال رداً على سؤال آخر انه اذا وافقت المعارضة في المستقبل على وجوب بقاء لبنان حراً ومستقلاً فلن يكون هناك سبب يمنع التعاون . وسئل عن امكانية جمع السلاح من المدنيين فقال : ان مشروعاً فنياً هو الآن قيد الاعداد ، وكان الرئيس شمعون قد افتتح مؤتمره الصحافي بالقاء بيان قصير معد لخص فيه الاحداث التي أدت الى المناقشة الحالية في الجمعية العمومية للأمم المتحدة حول الشرق الأوسط . وقال ان تأكيد الرئيس ايزنهاور اخيراً بأن القوات الاميركية ستنسحب من لبنان عندما تطلب الحكومة اللبنانية ذلك « يدل بوضوح على ان هذه القوات ليست موجودة هنا كقوات احتلال او بنية عدوانية » . وقال في بيانه ان الدكتور شارل مالك وزير الخارجية قد ارسل الى نيويورك بوصفه رئيساً للوفد اللبناني وأعلن ان الدكتور مالك « يتمتع بثقة الحخومة التامة . وانني آمل بأن تتكلل مهمته بالنجاح » . وسئل عن المشاريع التي حملها الدكتور مالك معه الى نيويورك ، فقال « اننا نهتم بكل ما من شأنه ضمان استقلال لبنان الناجز » . وسئل عما اذا كان وجود مراقبي الأمم المتحدة في لبنان مفيداً ، فقال « نعم . وقد قام المراقبون بمهمتهم في ظروف صعبة » .

15 أيلول 1969 في القطين (غزير) في المهرجان الذي أقيم للحلف وتغيب عنه الشيخ بيار الجميل :

كنت أود الا نتكلم عن الماضي ولا عن المستقبل ، بل عن الحاضر والمستقبل

القريب وكيف يجب ان نعالج امورنا بصورة مستعجلة ولا ندعي ان في امكاننا ان نذهب الى الأمم المتحدة ونجلس هناك ونخاطب الكبير والصغير من ممثلي الدول المشتركة في الأمم المتحدة ونعرض انفسنا الى سؤال يوجه الى ممثل لبنان : أنت من تمثل وأية حكومة تمثل ؟ .

كنت اتمنى ألا ندعي ان بامكاننا مخاطبة رؤساء دول بصورة جدية . واني على علم بأن رؤساء الدول يتساءلون : متى يكون للبنان حكومة شرعية نهائية ؟ .

وكنا لا ندعي اننا سنعالج قضايا العرب وقضية فلسطين وسنساعد على تخليص فلسطين من الظالم العدو المحتل . ونحن للأسف لم نتمكن من معالجة أبسط امورنا . هذا هو الواقع المرير الذي نعيشه في الظروف الحاضرة . بلد يحترم نفسه او يدعي انه يحترم نفسه بقي خمسة أشهر دون حكومة .

ان العلاج في رأيي واحد لا اثنان او بالأحرى علاج ذو نقطتين ، الأولى هي ان نتوقف عن التفكير ولو في الوقت الحاضر ، ولمدة تنتهي عند بداية السنة الجديدة برئاسة الجمهورية وبمن سيكون رئيساً للجمهورية ، لأن هذه الفكرة هي التي أفسدت وجود حكومة ومنعت وجود حكومة مسؤولة .

قيل ان مشكلة الفدائيين هي السبب في عدم تأليف حكومة مسؤولة شرعية وهذا الكلام غير صحيح . الوجود الفدائي والعمل الفدائي كانا العذر الذي انتحلوه لعدم تأليف حكومة . اما الحقيقة فهي ان الشغل الشاغل للاجهزة والدولة ان يأتي رجل معلوم لرئاسة الجمهورية .

اما النقطة الثانية في العلاج فهي تتعلق بصورة مباشرة بالحلف الثلاثي حلفكم الذي يجب ان يتحمل مسؤولياته كاملة في كل مضمار .

واني اذ اشكر صديقي وعزيزي العميد ريمون اده والخطباء الكرام على ما وجهوا نحوي من عبارات شرفتني ، فإني اقول للعميد اننا نرفض قوله بعدم ترشيحه لانتخابات الرئاسة .

نحن نطلب ونريد واعتقد بأننا اذا كنا جديين ستكون ارادتنا هي الحكم ، بأن الحلف الثلاثي هو الذي سيقرر من سيكون رئيس الجمهورية . وانت يا عزيزي ريمون لك من خبرتك وعلمك وجرأتك ما يؤهلك ان تستلم هذا المنصب الرفيع .

وما أقوله للعميد اده اقوله للشيخ بيار الجميل . لا حياء في السعي الى خدمة هذا الوطن .

اقوال الخصوم

ماذا يقول خصوم كميل شمعون في كميل شمعون وعهده ؟ .

يقولون أشياء وأشياء .

تبدأ بالاثراء غير المشروع وتنتهي بانتسابه الى الغرب والعمالة له . « عميل استعمار » ، يقولون . ثم يضيفون انه دخل الحكم وهو خاوي الوفاض ، لا يملك شروى نقير ، وغادره وهو صاحب قصر السعديات وصاحب « بطاح » واسهم تحصى ولا تحصى في شركات لا تعد . التعمير . المدينة الرياضية . في كل مشروع له قرص، يقولون .

ويقولون أيضاً : جاء ليطهر الادارة من الفساد والافساد والمفسدين ، فزادها فساداً وافساداً وزاد طين عهد الشيخ بلة عهده .

وفي تسلسل التهم ، يوردون ارتباطه بمشروع ايزنهاور ومعاداته الشيوعية لحساب الاستعمار الغربي ، وارتباطه بحلف بغداد . اعطى قواعد وامتيازات للاميركان . استغل العروبة حتى وصل الى الرئاسة ، وبعدما وصل انقلب عليها . انتقل من العروبة الى الانعزالية المسيحية .

أما في الداخل فإنه فتح خزائن الدولة وخرائط مشاريعها لاصدقائه فكان يخصهم بالالتزامات ليتقاسم أرباحها معهم . ثم حديث المحاسيب والأنصار و « تكسير » الأقوياء والمجيء بضعفاء يخضعون له . و« فركشة » الزعامات التقليدية متوخياً من التكسير والفركشة تجديد الولاية والارتياح من الخصوم الاقوياء .

لكنهم ، أي الخصوم ، حتى وهم يتهمونه ويهاجمونه ، لا ينكرون على عهده ذلك الازدهار وتلك البحبوحة ، كما انهم لا ينسون مواقفه من قضية فلسطين والقضايا العربية . حتى ان بعضهم ، بعد مرور هذه السنوات ، أخذ يترحم على عهد شمعون برغم المآخذ التي كانت لهم ضده . ويقول هؤلاء ان الذي رأوه في عهد شهاب وعهد حلو يكاد يجعل من عهد شمعون العهد الشهيد .

بطاقة هويّة

ولد كميل شمعون في دير القمر سنة 1900 . كان أبوه موظفاً مثالياً عرف بالنزاهة ونظافة اليد وبالتعصب للبنانية الجبلية القاسية الأنوف .

تلقى كميل شمعون دروسه في مدرسة الفرير . وفي الحرب العالمية الأولى رافق والديه واخوته الى المنفى لأن أباه كان من أصدقاء فرنسا . وبعد الحرب رجعت الاسرة مع سائر الاسر اللبنانية التي أبعدت الى الاناضول فوظف كميل شمعون الابن البالغ الثالثة والعشرين كاتباً عند الفيكونت فيليب دي طرازي مؤسس دار الكتب الوطنية وصار في الوقت عينه يدرس الحقوق في الجامعة اليسوعية . تخرج سنة 1923 . تدرج في مكتب اميل اده . ثم فتح مكتباً لنفسه . وأول نشاط سياسي قام به كان في الدعوة لموكله الوجيه اميل تابت ليصير نائباً عن جبل لبنان . وقد نجح الداعي في دعوته واحسن الاستفادة من منصب اخيه جوزف في مديرية الاشغال العامة ومن منصب خاله اوغست باشا اديب الذي كان اميناً عاماً للدولة ومن صداقة والده وبيته لكثيرين من رجال السياسة الجبلية وكان ان انتخب اميل تابت نائباً . . .

وقد شجعه هذا النجاح على ان يطمع بالنيابة لنفسه فترشح عام 1934 عن جبل لبنان وفاز منذ الدورة الأولى ، وظل يربح كل الانتخابات مذ ذاك ، لكنه في انتخابات 1964 سقط وقيل أسقطوه وقيل أيضاً أسقط نفسه وبعض من معه .

وكما عمل بشارة الخوري محامياً متدرجاً في مكتب المحامي اميل اده كذلك تدرج كميل شمعون في هذا المكتب . . . وكان من المفروض ان يعيش ادياً في حياته السياسية ولكن « الحزبية الجبلية » ، والنزعة الاستقلالية جرتا كميل شمعون الى صف بشارة الخوري وصار من أركان الكتلة الدستورية . الا ان شيئاً من الود بقي في نفسه لاميل اده مع عنف الدستوريين في مخاصمته . وهذا ما يفسر ان رئيس الكتلة الدستورية كان يضمر الحذر المتواري من كميل شمعون ، وان شد اواصر الصداقة والتحالف معه ، حتى كان ما كان بين الرجلين من تنافس عام 1943 أولاً ، ثم عام 1948 .

وكافأ اميل اده كميل شمعون على تأييده في انتخابات الرئاسة فعينه وزيراً للمال .

نائب في مجالس 1934 و1937 و1943 و1947 و1951 و1960 و1968 . خسر معركة انتخابية واحدة ، عام 1964 . وزير من 1937 حتى 1943 . ثم في 1947 . سفير في لندن من

1944 الى 1947 . رئيس الوفد اللبناني الى الأمم المتحدة من 1945 الى 1947 . انتخب رئيساً للجمهورية في 23 أيلول 1952 . انهى مدته في 23 ايلـول 1958 . هواياتـه الصيد والثياب والنظارات .

ويقضي كميل شمعون أيامه الطبيعية في الصيد واليخت وفي نادي صيد الحمام القائم في محلة فرن الشباك يراهنون عليه ويكسبون . فهو في نظر البعض فأل حسن وفي نظر البعض الآخر العكس .

ويحرص كميل شمعون على أن لا يقول كل شيء يعرفه . لكنه يحرص على ان يقنع من لا يقتنع او من لم يقتنع بأن ما حدث سنة 1958 من الآخرين لم يكن منطقياً وان الطريقة التي عالج بها الأمور كانت منطقية جداً لأنها كانت دستورية .

يحرص أيضاً على أن يبقى شاباً تفكيراً وتصرفاً وطموحاً فهو عندما دخل المعترك السياسي كتب على مفكرته عبـارة بالفـرنسية : « Place aux jeunes » أي « افسحـوا في المجـال للشباب » ، وهو كلما غير مفكرته نقل العبارة الى المفكرة الجديدة .

مشاريعه

مشاريع عهده كثيرة . أبرزها :

- المراسيم الاشتراعية وتنظيم الادارة في عهد حكومة الامير خالد شهاب .
- تعديل قانون الانتخابات النيابية وتصغير الدائرة .
- قانون من أين لك هذا ؟
- استرداد امتياز الكهرباء .
- انشاء المدينة الرياضية .
- الأوتوسترادات .
- الليطاني .
- توسيع المطار .
- الجامعة اللبنانية .
- ديوان المحاسبة .
- التلفون الأوتوماتيكي .
- مصلحة التعمير .
- انشاء المحطات الزراعية في تل العمارة .
- قانون سرية المصارف .
- تنشيط السياحة .

بالاضافة الى الطرق والمياه والكهرباء .

هواياته

- مطالعة الكتب التاريخية ، خصوصاً تاريخ الحروب .
- الموسيقى الكلاسيكية ولاسيما الأوبرا .
- الصيد .
- صيد السمك .
- السباحة .

الشخصية التاريخية المفضلة : الاسكندر .

الوضع العائلي

متزوج وله ولدان متزوجان .

الأوسمة

وسام محمد علي (مصر)
وسام النهضة المرصع (الاردن)
وسام العراق الملكي
وسام ايران الملكي
وسام ليبيا الملكي
وسام المغرب الملكي
وسام الصين الوطنية
وسام بلجيكا الملكي
أرفع وسام كولومبي
أرفع وسام في جمهورية بيرو
أرفع وسام في جمهورية أكوادور
أرفع وسام في جمهورية ليبيريا
أرفع وسام في الدومينيك
الوشاح الاكبر لوسام الاستحقاق الايطالي
أرفع وسام في كوبا
أرفع وسام في مالطة
أرفع وسام في فولتا العليا
دكتور شرف من جامعة بوانس ايرس
دكتور شرف من جامعة طهران
دكتور شرف من اكاديمية الفنون الجميلة في البرازيل
دكتور شرف من مدرسة الحقوق في جامعة أثينا .

ريمون اده

« انا العميد انا الشهيد » .

قالوها ، بمرارة ، قلناها عنه بلسانه ، بالمونة ، بالوكالة ، بالاصالة ، اثر وصول لقمة الرئاسة الى الفم ، صيف 1970 ، وتكويعها المفاجىء - المنتظر في اتجاه معاكس . انفرط الحلف ، انفخت الدف ، اعلن الرئيس شمعون ترشيحه ، المرحوم كمال جنبلاط منهمك في فحص المرشحين ووضع العلامات لكل مرشح بدقة ، خصوصاً في المادة الصعبة : العمل الفدائي .

العميد يرفض المثول أمام اللجنة الفاحصة ، وقد فعل الرئيس صائب سلام كي يبعد الكأس الامتحاني عن العلاقة الواهية بين العميد وكمال بك فلم يوفق .

والعميد ضد اتفاق القاهرة : مع العمل الفدائي ، شرط ان يكون قادراً هو والجيش اللبناني والجيوش العربية على ابعاد الآلة العسكرية عن جنوب لبنان .

والعميد مع البوليس الدولي ، الذي كان يومها بعبعاً لا يجرؤ على ذكر اسمه احد من الناس .

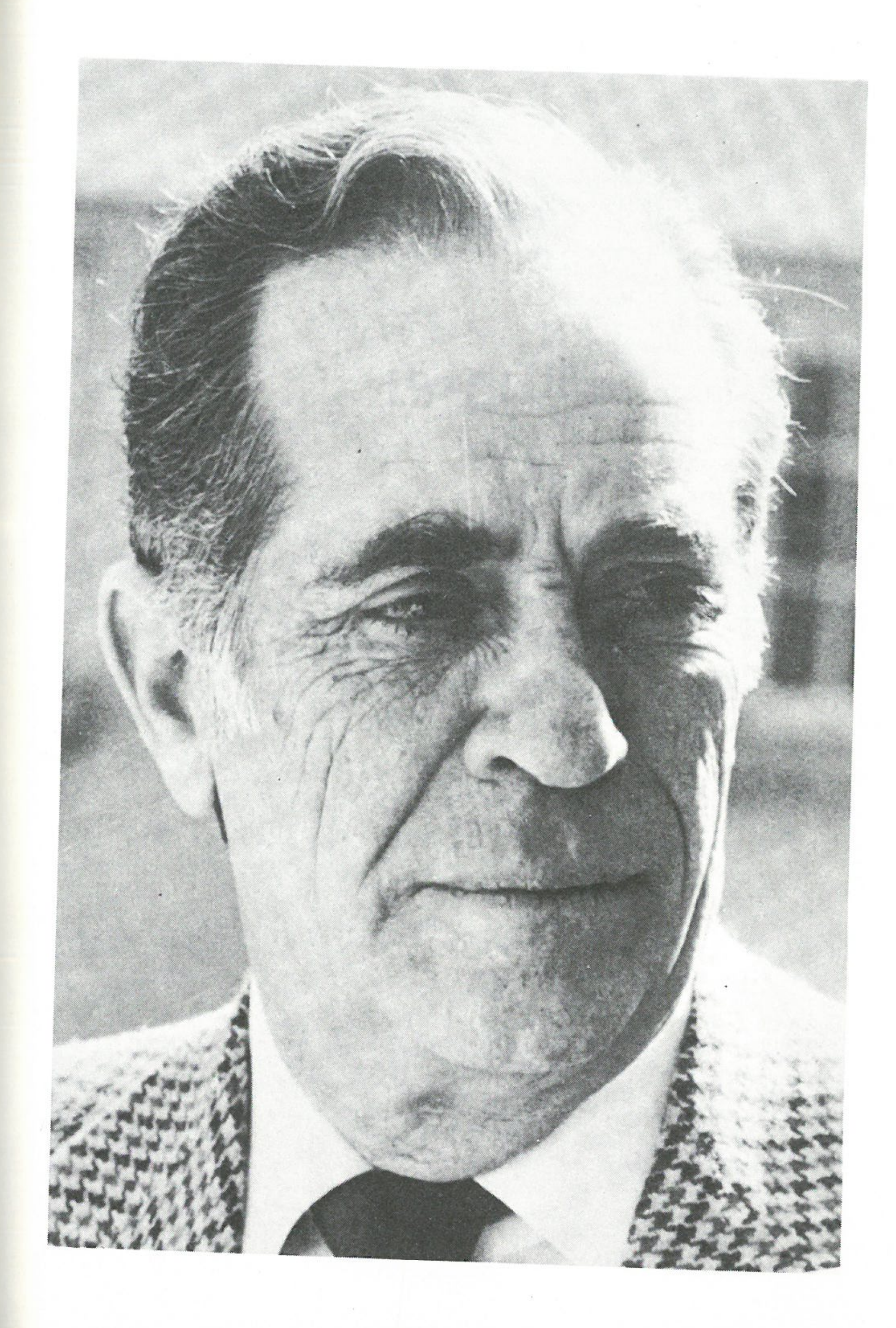
فذكره العميد ، وظل يذكره .

والذين يحبونه ينصحونه ان يخفف قليلاً من ترنيمة البوليس الدولي هذه ، لكنه لم يتوقف عن ترديدها ، الى ان سكت عنها هو وراح الجميع يتلونها كفعل ندامة .

العميد مرشح للرئاسة ؟ .

العميد عنيد ، لا يعرف مصلحته ، لا يسكت ، لا يساير ، لا يشتغل سياسة .

وهو غير شكل ، غير نادم حتى على اختيار المنفى الباريسي مربطاً لخيله .



حرب داحس والغبراء

العسكر . في الجنوب ، في البقاع ، في الشمال ، في المجلس النيابي : العسكر . ثم العسكر وفؤاد شهاب . ثم الشهابية والازدواجية وحكم الـذين يحكمـون من وراء ظهور الحكام . ثم اكلة الجبنة الجدد . الطبقة الجديدة .

حرب داحس والغبراء القرن العشرين .

هو من جهة والشهابيون ، والذين يقولون قولهم ، من جهة .

معه حق او ليس معه حق ، ريمون اده غير مستعد للدخول في المفاوضة : لا هدنة مع الشهابية .

لماذا ؟ .

يقول عميد الكتلة الوطنية : لأنها احد الأخطار الثلاثـة ، « واخطـر ما فيهـا انها تعني الحكم العسكري ولو كان مغلفاً بالرياء الديموقراطي . ولأنها لا ترى امامها سوى مصلحتها الخاصة . ولأنها تعني الديكتاتورية العسكرية ولـو مغلفـة بالـكلام المعسـول المغري » .

تخصص بالشهابية .

من عشر سنين بدأت الحرب بينه و « بينهم » وحتى الآن لم تضع الحرب أوزارها . لا هو ارتاح ولا « هم » ارتاحوا .

يدلي بتصريح فيستصرحون عشرة .

يخطب في المجلس ، يخبطون له على الطاولات . يطلع الصوت : العسكر ، العسكر ، فهمنا.

هو يقول : لم يفهموا ، ولو فهموا لخطبوا مثلي ولقالوا قولي .

العميد ، حتى الذين يعرفونه من قريب ويغارون عليه ، ويخافون على الحلم ان

يضيعوه ، يقولون ان طريق رئاسة الجمهورية ليست من هنا . هذه الدرب وعرة المسالك « وانا احب الدروب الوعرة ، واكره ان اموت على فراشي » .

يتضايق عندما يحاسبونه على كل كلمة يقولها . ويتضايق اكثر وينرفز لأنهم يحسبون له العلامات على أساس الاجتهاد في السعي الى رئاسة الجمهورية .

يتضايق ، ليس لأنه يكره ان يغاروا عليه ، بل يتضايق « لأنهم يعتقدون انني لا اعرف ماذا افعل . انا اعرف ان طريق الرئاسة تبدأ من هناك ، لكني لن اسلك الا هذه الطريق . فقبل الرئاسة ثمة بلاد اسمها لبنان تكاد تضيع بين هزار الحاكمين وعبث الذين يحكمون من وراء الظهور » .

ـ اذاً ، لماذا كل هذه المعارضـة ، وكل هذا العنف ضد فؤاد شهـاب والشهـابية والمقامات « والروح القدس » ؟.

يجيب مستغرباً السؤال :

ـ لأنني رجل ديموقراطي ، اؤمن بالنظام البرلماني ، واؤمن بالحرية ، واؤمن بشرعة حقوق الانسان .

ـ ورئاسة الجمهورية ؟ .

ـ لست مرشحاً للرئاسة .

في المدة الاخيرة اضاف عبارة جديدة : اذا رشح فؤاد شهاب نفسه فسأطلب من حزبي ان يرشحني .

انه لا يزال في وسط المعركة . ويك عنتر اقدم : « صرحت مراراً واكرر الآن ان السياسة عندي ليست وظيفة او مجالاً لمصلحة، انما هي رسالة . انا سياسي لخدمة وطني فليطمئن بال الشهابيين والذين يستغلون الشهابية ويستغلون الدولة والبلاد باسمها » .

من يقصد عميد الكتلة الوطنية ؟ .

حكايته مع العسكر ذاعت شهرتها بين القاصي والداني . مرة كنت في عاصمة عربية كبرى . السؤال الوحيد الذي كرره كل من صادفتهم هناك كان عن اده والعسكر : ما هي قصته معهم ؟ ولماذا هذه الحرب ؟ .

يغري الجواب ، خصوصاً كما يعطيه العميد وكما يعطيه سواه ممن يعرفونه ، حتى الذين في العاصمة العربية الكبرى : لأن الفئة المذكورة تريد ان تغير الأوضاع القائمة وان

تغير النظام باستغلال جميع الطرق والوسائل .

تغيير الأوضاع والنظام ؟ معركة اده مع الشهابية بدأت قبل ان ينمو حجم الجماعة وحتى قبل ان يبدأ العهد الشهابي « والذين يريدون ان يغيروا النظام » . فيوم جاء الجنرال الى ساحة النجمة لينتخب رئيساً للجمهورية ، كان ريمون اده هناك . ترشح ضد الجنرال فلم يمكنه من الفوز في الدورة الأولى .

يقول الذين يدعون معرفة مزاج الرئيس السابق انه لم ينس ذلك اللغم . نام عليه . لكنه بدا بعد قليل كأنه نسيه بالمرة . فقد عين العميد وزيراً للداخلية في حكومة « الانقاذ الرباعية » .

المتطرفون في عدائهم للشهابية يميلون الى الاعتقاد ان شهاب كان مضطراً الى ان يستعين باده بعد « الثورة المضادة » . ثم طلع اده من الحكم اثر حوار قصير كتب بالفرنسية على ورقة صغيرة في احدى جلسات مجلس الوزراء :

شهاب :

— Monsieur le Ministre, sommes -nous bien d'accord pour dépolitiser l'administraion ?

اده :

— Oui, Monsieur le Président, à condition de ne pas politiser l'armée.

ثم حدث ما حدث ، فاقترن العهد الشهابي بالعسكر ليقترن بهم اسم ريمون اده أيضاً انما على الصعيد المعاكس . تم الطلاق عند الروم الارثوذكس وفتحت المعركة ولا تزال الدنيا قائمة قاعدة بينه وبينهم .

يهاجمهم من ميل فيهاجمونه من الف ميل . لكنه لم يتراجع . « يمكن بكرا يودولي شي واحد يقرطني دكه » .

الى هذا الحد وصلت حرب داحس والغبراء . كلما دق الكوز بالجرة يصرخ اده : العسكر . وكلما دق الكوز بالجرة يصرخ الشهابيون : ريمون اده . يوم شتاء ويوم صيف . وبين اليوم والآخر يحتدم الشهابيون غيظاً ضد عميد الكتلة الوطنية فيزداد هو اصراراً على متابعة الطريق التي يقول عنها الذين يغارون عليه انها لا توصل الى بعبدا .

في مهرجان القطين ، في حمى الامير الشهابي ، وقف ريمون اده وكرر ما كان اعلنه

سابقاً في بيان حدد فيه « الاخطار الثلاثة » التي تهدد لبنان : اسرائيل ، الشيوعية والشهابية .

ثم ركب الاسطوانة : العسكر ، الجماعة ، النظام . وختم وقفة العز تلك ، وقفة التحدي التي فرطت الحلف ، بأنه ليس مرشحاً للرئاسة .

الا ان كميل شمعون ، الذي تراءى له والناس تهتف من حوله والأرض التي يقف عليها هي ارض غزير ، ان خط ماجينو قد سقط ـ لم يترك المناسبة تمر دون ان يتمرجل بدوره : « نحن من يفرض رئيس الجمهورية المقبل ، وانت يا عزيزي ريمون خير من يتولى منصب رئاسة الجمهورية في لبنان ولك من الصفات ما يؤ هلك لذلك » .

وعلا التصفيق . بعضهم تملكته الحماسة فأطلق النار .

في اليوم التالي كانت المفاجأة : الشيخ بيار الجميل يرد على المهرجان ويقول ان الحلف ليس للنكايات والأخذ بالثأر .

وطار الشيخ بيار من الحلف . وطار الحلف كله ، وبقي ريمون اده كأن شيئاً لم يحدث . تابع المعركة وحيداً مجرداً من الحلف ويمكن القول ان صدره انشرح عندما انفرط . كأن كابوساً ازيح عنه : « الآن تحررنا من التردد . كنت اتناول حبتين من مهدىء الاعصاب قبل ان ادخل الى اجتماعات الحلف . الآن لم تعد ثمة ضرورة لتناول الحبوب المهدئة للاعصاب » .

قبل جلسة الثقة بأيام كان كمال جنبلاط يهودس باسم ريمون اده . الداخل يسمع رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي يمدح « الرجل النظيف الاقل ارتباطاً بالاميركا » ، والخارج من عنده يردد ما سمعه منه : « يا عمي ابن اده رجال وكلمتو كلمة . صدقوني يا عمي ها الزلمة لو بيتخلى عن بعض الأفكار الرجعية وبيتخلص من دبق كميل شمعون كان معقول كتير » .

بعد جلسة الثقة غيرَّ وزير الداخلية رأيه . فبينما كان العميد مركباً اسطوانته ، كان جنبلاط يتمشى في الرواق . كان متضايقاً . قال لي : « ما بيسوى كان يعمل هيك . هاالحكي ما بيصدر عن رجل دولة . وطّى مستواه » .

خصومه يقولون انه رجل سلبي . يعارض من اجل المعارضة . العسكر ؟ فهمنا . من10 سنين وهو يغني هذا الموال . سلبي . هاجسه الكاكي .

هو يقول انه سياسي . نائب عن جبيل ، « بكرا اذا بسقطت في الانتخابات وهيك راح يحاولوا يعملوا ، راح سكر الحنفية . لكن طالما انا نايب بدي احكي » .

والسياسي تستهويه المعارضة لأنها السبيل الوحيد الى تقويم الاعوجاج اذا كان الحكم معوجاً . « وما دمت في المعارضة فهذا يعني ان الحكم لا يزال معوجاً » .

يوم حمي وطيس معركة التجديد كان ريمون اده من ابرز اللاعبين ضد الرئيس الذي ارادوا ان يجددوا له . ولعب جيداً . كان لا ينام . اجتماعات . زيارات . تصريحات . مؤتمرات . لكن الرئيس صائب سلام يقول ان تراجع اده امام ضغط جماعته « خسّرنا الدق » . تفككت جبهة المعارضة ، عندما لم تتفق على مرشح واحد كان سيكون سليمان فرنجية ، فأصبح من الأفضل اختيار اقل الحلول خطراً . « فوافقنا على انتخاب شارل حلو » .

هو يقول ان المسألة كانت خالصة وما كتب كان قد كتب وطبع اسم شارل حلو وانتهى الأمر .

من ابرز ميزات ريمون اده انه نظيف . نظيف في تعامله . نظيف في علاقاته . نظيف في ارتباطاته . حتى خصومه يعترفون له بنظافة يده ، وعلاقاته ، خصوصاً الدولية ، ويقولون انه من اصلح الذين يأتون الى رئاسة الجمهورية .

ويقول الناس والخصوم أيضاً : كما لكل رجل ، سياسياً كان ام عادياً ، اخطاء وهنات فلريمون اده اخطاؤه وهناته : لا يعترف بمرور الزمن على بعض الأفكار والمواقف . وبما انه لا يتقن هواية الصيد فهو كثيراً ما يقوّص عندما يكون عليه ان يصوب جيداً ، فيعود من المشوار وجعبته فارغة .

وبرغم كونه يطالع ويقرأ ويتجدد فإنه يلتزم بآراء ثابتة لا يحيد عنها . هو يقول ان آراءه وافكاره ومواقفه التي تشكل المبادىء الأساسية التي « بنيت عليها حياتي السياسية . مبادىء لا يمكن ان اغيرها بهذه السرعة . ابلورها . اطورها . لكن ، اتخلى عنها ؟ مش معقول » .

عندما ولد الحلف الثلاثي تساءل الاصدقاء اذا كان سيعيش .

وحجتهم في ذلك ان كميل شمعون يطمح الى العودة وريمون اده مرشح تلقائياً وبيار الجميل سبق ان ترشح ، وبعدما صار له تسعة نواب ازداد ولعه بالترشيح .

اصدقاء ريمون اده كانوا يقولون : اذا بقي الحلف فالمستفيد الأكبر سيكون عميد الكتلة الوطنية .

وخصومه قالوا هذا القول أيضاً . وفي تدقيق الحسابات ومراجعاتها يتراءى ان هذا الاعتقاد كان في موضعه . وربما لهذا السبب طار الحلف .

هل انتهى ريمون اده بانتهاء الحلف ؟ .

كميل شمعون نام اكثر من مرة رئيساً وفؤاد شهاب أيضاً وحتى بشارة الخوري . لكن النهار كان يبدد احلام الليل .

غير ان ثمة شذوذاً على هذه « القاعدة » : شارل حلو نام صاحب المعالي وقام صاحب الفخامة .

لبنان ريمون إدّه

ريمون اده مقتنع بأن الشعب اللبناني يمكن ان يؤلف الأمة اللبنانية « اذا أخذنا كلمة أمة بالتعريف المتفق عليه حديثاً . اي ارادة العيش معاً على مساحة ارض محدودة » . وهو يعتقد ان الشعب اللبناني يقبل اليوم بلبنان اكثر مما كان يقبل به سنة 1921 واكثر مما كان يقبل بعد الاستقلال سنة1943 . « ومع الوقت لي امل بأن الشعب اللبناني سيعرف انه من الأفضل له ان يعيش في مساحة10 آلاف كيلومتر مربع من ان يعيش في مساحة اوسع ، دون ان يتمتع بحقوق الانسان نفسها ودون ان يقدر على العيش بالمستوى نفسه الذي يعيش فيه الآن ، والذي يمكن ان يتحسن ويرتفع ويصير افضل بكثير اذا اخلص الحكام .

« في كل حال اذا قلت عكس هذا المفهوم اكون تنكرت لواقع المادة50 من الدستور اللبناني ، مع اني لم اقسم اليمين الدستورية . والذين سبقونا في الحياة السياسية واسسوا لبنان بعد الحرب العالمية الأولى ، اعتبروا ان هذه العشرة آلاف كيلومتر مربع يمكن ان تؤلف الأمة اللبنانية . وفي رأيي انهم كانوا على صواب ، اذ انه حان الوقت كي نؤمن ان هناك امة لبنانية . في كل حال ان حزب الكتلة الوطنية الذي انا عميده يؤمن بالأمة اللبنانية كما ينص القسم الذي يؤديه رئيس الجمهورية المنتخب ، بناء على نص المادة50 من الدستور اللبناني : « احلف بالله العظيم اني احترم دستور الأمة اللبنانية وقوانينها واحفظ استقلال الوطن اللبناني وسلامة اراضيه » .

وهو الى جانب ذلك بذل الكثير ولا يزال دفاعاً عن النظام الديموقراطي البرلماني « تجاوباً مني مع ارادة اللبنانيين الذين رأوا فيه افضل نظام للحكم تصان فيه كرامة الانسان ويحفظ حق المواطن في الحرية والطمأنينة » .

ولمناسبة الانتخابات النيابية التي جرت سنة 1968 اصدر حزب الكتلة الوطنية بياناً سياسياً شاملاً جاء فيه ، على الصعيد الداخلي ، ما يأتي :

« ـ احترام الدستور ، ومبدأ انفصال السلطات الدستورية الثلاث .

ـ احترام حق المجلس النيابي في سن القوانين ومناقشتها ومراقبة اعمال السلطة التنفيذية مراقبة فعلية .

ـ احترام شرعة حقوق الانسان .

ـ تعديل قانون الانتخاب بما يصون ارادة الناخب ، وبما يؤمن صحة التمثيل الشعبي .

ـ تعديل قانون الصحافة بما يعزز حرية الرأي والنشر ، ولاسيا نشر اقوال النواب في المجلس دون ان تتعرض الصحف للملاحقة .

ـ الغاء المرسوم الاشتراعي الرقم 55 الصادر بتاريخ 5 آب 1967 .

أمن البلاد والوطن :

انه بما للمواطن من حق في العيش ضمن بلاده في جو من الأمن سليم ، كذلك على المواطن واجب الدفاع عن هذه البلاد بروح قومية سليمة .

وان حزبنا ليرى أيضاً ان سلامة الأمة في سلامة وحدة ابنائها .

ولذلك يدعو الى :

ـ توعية المناقبية الأصيلة للشعب اللبناني ، للخروج بالمواطن من اللامبالاة ، وجعله مشاركاً في المسؤوليات العامة ، والشعور بأن أمن البلاد يقع على عاتقه اولاً .

ـ اشتراع القوانين الحديثة الكفيلة بشد روابط الوحدة الوطنية .

ـ التشدد في مكافحة الجرائم بتعديل بعض نصوص قانون العقوبات ولاسيا ما يختص منها بجرائم القتل .

ـ احترام حرمة المنزل .

ـ احترام حرية الانسان بأن لا يوقف الا بأمر قضائي .

ـ منع رخص حمل السلاح عن المستزلمين .

العدالة الاجتماعية :

مما لا شك فيه ، انه ما قامت وحدة صحيحة بين فئات الشعب ، الا على أساس عدالة اجتماعية سليمة .

ولذلك يرى الحزب :

ـ تعديل قانون الضمان الاجتماعي بشكل يتفق والعدالة الاجتماعية مع ضمان الحقوق المكتسبة .

ـ تعديل قانون بما يتوافق والتطور الاجتماعي .

الاسراع في انشاء شركات ذات رأسمال مشترك بين الدولة والافراد لبناء بيوت تمكن العمال وذوي الدخل المحدود من التملك بدفع الثمن على اقساط .

ـ محاربة البطالة في البلاد واتخاذ التدابير الآيلة الى ايجاد فرص متكافئة في العمل .

على الصعيد الاقتصادي :

ـ التمسك بمبدأ الاقتصاد الحر .

ـ مقاومة الاحتكارات على اختلاف انواعها .

ـ العمل على تخفيض العجز في الميزان التجاري ، بزيادة صادراتنا الزراعية والصناعية .

ـ مراقبة تنفيذ الاتفاقات التجارية القائمة على أساس المقاصة بين لبنان وبعض الدول .

حماية الصناعات القادرة على البقاء ، وتشجيع الصناعات التي تتمكن من التصدير وحماية صيد الأسماك وتنظيمه .

ـ تشجيع تصنيع وتحويل الفائض من المنتجات الزراعية .

ـ اعادة النظر في الضريبة التصاعدية على الابنية .

ـ تخفيض رسوم رخص البناء .

ـ انشاء مجلس اقتصادي واجتماعي يعمل على تنسيق التعاون بين مختلف الفئات المهنية ويؤمن مشاركتها في وضع السياسة الاقتصادية .

ـ ايجاد مؤسسة تسليف لاصحاب الحرف .

الزراعة :

اذا كانت الزراعة ضرعاً من ضروع الثروة الوطنية فهي ايضاً حائل دون هجرة الريف واختناق المدينة .

ولذلك يجب :

- الغاء الضريبة الزراعية .
- حماية الانتاج الزراعي من المزاحمة في مواسمه .
- تعزيز التعليم الزراعي .
- تشجيع التعاونيات الزراعية .
- تأمين الأسمدة والأدوية الزراعية ووسائل الزراعة الآلية بأقل التكاليف .
- تأمين الأسواق الخارجية لتصريف الانتاج الزراعي .
- الاهتمام بانماء الثروة الحيوانية .
- العمل على تحريج لبنان .

الادارة :

ان تطور المجتمع ، يفرض معه تطوراً في الادارة يجعلها على مستوى مهمتها من حيث متانة التنظيم وكفاية الأجهزة الفنية والتنفيذية .

وانه يجب :

- تنفيذ اللامركزية تنفيذاً فعلياً .
- تبسيط المعاملات الادارية الى اقصى الحدود .
- اعطاء المجالس البلدية استقلالها ورفع الوصاية عنها .
- توسيع صلاحيات المختارين .

القضاء :

- زيادة رواتب القضاة وتعزيز استقلالهم .
- التشدد في سرعة فصل الدعاوى .
- انشاء قصور للعدل في الاقضية وتجهيزها بمكتبات للقضاة .
- تعديل قانون اصول المحاكمات المدنية .

المغتربون :

قامت ولا تزال علاقات وثيقة بين لبنان المقيم ولبنان المغترب . ومن اجل تدعيم هذه العلاقات يجب جعل المغتربين قوة فعالة تؤمن الوجود اللبناني في العالم وتقوية الهيئات العاملة في سبيل ذلك ، واخصها جامعة اللبنانيين في العالم .

- تنشيط زيارة لبنان من الناشئة الفتية للمغتربين .

الأحـــــزاب

● ان عميد حزب الكتلة الوطنية مع حرية الأحزاب ، بمختلف اتجاهاتها . . . الى حد ما . « لكنني في الوقت ذاته ضد كل حزب يضع ضمن اهدافه ازالة لبنان من خارطة المنطقة . واؤيد كل حزب يعمل على أساس الحرص على كيان لبنان وسيادته ويقترح الحلول المناسبة لتوفير الرفاهية للشعب .

واذا كانت الشيوعية تعمل في مخططاتها على هذا الاساس ، اي على اساس الحرص على سيادة لبنان وكيانه وتأمين الرفاهية للمواطنين فليس لدي مانع في الترخيص للحزب الشيوعي بالعمل في لبنان، والاعراب عن آرائه بكل حرية لخدمة المواطنين . وانا اعتبر انه من مبدأ الدفاع عن النفس محاربتنا لكل حزب يحاول القضاء على وجود لبنان وكل حزب يقوم بنشاط يهدد هذا الوجود .

● ان حزب الكتلة الوطنية حزب ديموقراطي . فالأحزاب الديموقراطية في امريكا واوروبا هي كحزبنا . وحزبنا يختلف عن الأحزاب الأخرى كالكتائب التي انشئت على اسس الأحزاب الفاشستية التي كانت قائمة يومئذ كالحزب الفاشستي والحزب النازي .

● انا مؤمن بالنظام البرلماني الديموقراطي الذي نمارسه برغم اخطاء القيمين على هذا النظام وجبنهم .

● ارفض كل تعديل للدستور .

● ليس الوقت مناسباً الآن لالغاء الطائفية ، فبعد جلسة الثقة في مجلس النواب (حكومة كرامي الحالية) وجواب الرئيس كرامي المعروف والذي يتضمن الرفض القاطع للزواج المدني ، رأيت ان الوقت ليس مناسباً الآن ، فالغاء الطائفية يبدأ في العائلة أولاً أي في صفوف الشعوب .

● اكيد هناك صراع اجنبي بارز في لبنان بين الدول الكبرى ويظهر هذا الصراع في الحقل التجاري والاقتصادي . ولا بد من وجود صراع خفي بين دول الغرب وروسيا السوفياتية .

● الميثاق الوطني اصبح حجة يلجأ اليها في بعض الظروف فريق يعتبر نفسه انه مغلوب او سيغلب على امره اذا لم « يتعمشق » بهذا الميثاق . وفي رأيي ان الميثاق الحقيقي المطلوب هو تصميم الفريقين على العيش معاً في بلد كلبنان يحتاج قبل كل شيء الى الاستقرار كي يؤمن السلامة لاراضيه والطمأنينة لشعبه . فإذا قررت الاكثرية اللبنانية ان تضع مصلحة الشعب اللبناني فوق المصالح الاخرى يصبح التفاهم سهلاً جداً ، ولا تعود هناك حاجة الى الميثاق وغيره .

وهناك امثلة عدة :

الفرنسيون يفكرون ، أولاً ، في مصلحة فرنسا ، وفي ما بعد يفكرون في مصلحة اوروبا . الاميركيون يفكرون كذلك في مصلحة الشعب الاميركي قبل كل شيء ، ثم يهتمون بمصلحة الشعب الانكلو سكسوني . وروسيا السوفياتية تفكر اولاً في مصلحة الشعب الروسي وبعد ذلك تلتفت الى الشعب المجري والشعب الروماني والشعب التشيكي برغم ان هذه الشعوب تدين بالمبادىء الشيوعية والنظام الشيوعي . اما بعض اللبنانيين فانهم يريدون ان يكونوا فقراء لأن غيرهم اصبح فقيراً . ويريدون ان يعيشوا كما يعيش الذي خسر المعركة لأنه لم يكن مستعداً لها ، في الوقت الذي يمكنهم اذا تحسن وضعهم ان يساعدوا الذي خسر المعركة وان يقوموا بدور كبير ، ما دام اللبنانيون منتشرين في جميع انحاء العالم وبامكانهم ان يدافعوا عن قضية فلسطين افضل مما دافع غيرهم حتى الآن .

واني اناشد هذه الفئة من اللبنانيين ان تعود الى ضميرها وان ترى المصير الذي آلت اليه الشعوب المجاورة التي قبلت عن خوف ان تنخدع بالأنظمة العسكرية وبالاشتراكية المتطرفة التي ، تحت ستار الدفاع عن فلسطين ، جلبت لهم الفقر والتعاسة وسلبتهم الحرية ، دون ان تسترد فلسطين ودون ان تحسن مستوى شعبها .

إدّه والشباب

يعترف ريمون اده ان مشاكل الشباب والجيل الطالع هي من اصعب المشاكل التي يواجهها الحكام في لبنان وفي غيره ، خصوصاً في اوروبا . وفي رأيه ان الجيل الطالع يشكو من القلق الكبير على المستقبل . وهنا تشابه في الشكوى وفي القلق بين شباب لبنان وطلابه

وبين طلاب اوروبا وشبابها . وحوادث طلاب فرنسا في أيار الماضي سببها الخوف والقلق على المستقبل برغم ان فرنسا دولة كبيرة وغنية .

« المهم عندي ان نتمكن من تزويد طلابنا وشبابنا بمستوى علمي تقني عوض ان نستمر في حشو ادمغتهم بالعلوم السياسية والحقوقية . مثلاً ؟ هناك افريقيا التي بفضل العلم التقني يمكننا ان نزاحم اسرائيل فيها عن طريق الاختصاص والانتاج الحديث صناعياً وزراعياً وعن طريق الخدمات الفنية .

اعتقد ان الثورة المطلوبة اليوم هي في حقل التعليم اكثر مما هي ضرورية في حقل السياسة » .

وعميد الكتلة الوطنية يتابع ، بواسطة هيئة طالبية خاصة في حزبه ، التطورات على الصعيد الطالبي لمعرفة مطالب الشباب وليكون على بينة من المشاكل التي تعترضهم لأن حركة الطلاب هي حركة عالمية سببها الرئيسي اتساع نطاق العلم واتساع اقبال الشباب على العلم وحاجة الشباب الى العمل وفتح نوافذ المعرفة والمشاركة والطموح مع ما يتركه ذلك من حوافز واغراءات للوصول الى اهداف معينة .

الا ان « الانسان اليوم ، والطالب خاصة ، بات يرى ان الشهادة المدرسية لا تكفي وحدها كي تصل به الى هدفه وان تجعله يطمئن الى ان غده مضمون وذلك بسبب عوامل عدة اهمها تطور حركة التكنولوجيا وانتاج الأسلحة الذرية . ان الشبيبة اليوم لا تؤمن بغدها ولا ترتاح اليه ما دام السؤال الاساسي يرتسم فوق رأسها عن امكان انهيار احلامها اليوم او غداً او بعد سنة بسبب حرب مفاجئة مجنونة قد تذهب بكل شيء ، ان الشعور اللاواعي ، ربما ، في الشباب اليوم بأن الحرب قد تقع وان الحياة معرضة للتشوه هو الذي يزيد في قلق الشباب وفي حيرتهم وخوفهم من الغد وهو الذي يسبب الانفجارات الطالبية ، عبر مطالب وقضايا قد لا تستوجب بحد ذاتها الثورة او الانفجار .

وهذا الشعور هو الذي اوجد في اوروبا طبقة الهيبين كما اوجد الميل الى تعاطي المخدرات ومقاومة الحرب . وهذه المقاومة لا تظهر فقط في بلاد الحرية بل تمتد وتظهر في الدول الشيوعية ذاتها . وفي روسيا وفي تشيكوسلوفاكيا حيث يطالب الشباب هناك بتغيير النظام وتبديل الأوضاع .

اذن الشكوى والرغبة في التغيير لا تقتصر على بلد دون آخر ولا على نظام دون نظام بل تشمل جميع الدول وجميع الأنظمة وتظهر بصورة اوضح في الدول الاشتراكية .

ومن الطبيعي ان تصل جميع هذه التيارات الى لبنان ، وكان وصولها اكثر وضوحاً في اعقاب الحوادث الطلابية التي وقعت في فرنسا . وبرأيي ان الطلاب لهم حق الشكوى .

الشكوى من غلاء المدارس وصعوبة الدخول الى المعاهد الكبرى . وكان بالامكان لو ان المتعهد والموظف في هذا البلد يؤ من برسالته ولا يسهم في هدر الأموال ولا في تعطيل الأعمال الضرورية كبناء المستشفيات الحكومية التي لا تعرف الا بالاسم اليوم والمدارس التي تنهار قبل تسليمها الى وزارة التربية .

قلت كان بالامكان الا نجد مبرراً لحركات الطلاب لو كانت هذه الأمور البديهية مؤ منة لدينا اما وان الأمر عكس ذلك فأن من اولى واجبات الطالب والجيل الطالع اليوم ان يقوم بالثورة الحقيقية التي تقوم الأوضاع السائدة في هذا البلد .

ان المشكلة الكبرى التي تواجه الجيل الطالع هي في عدم تمكنه بعد تخرجه من المعاهد الكبرى من ايجاد العمل المناسب له وسط المزاحمة الهائلة التي يواجهها في بلاده . ولذلك فهو يضطر عادة الى البحث عن حقه في الحياة في الدول العربية وفي افريقيا حيث مجال العمل ارحب .

والذين يوفقون في ايجاد العمل المناسب في لبنان يصرون على العمل والاقامة في بيروت ويتركون المناطق التي تحتاج الى خبرتهم وجهودهم اكثر من العاصمة ويحرم القروي من وسائل المعالجة والطبابة التي يحتاج اليها خاصة في فصل الشتاء .

مشاكل عديدة ومتشابكة من المفروض ان تهتم الأحزاب بالتعاون مع الطلاب لايجاد الحلول المناسبة لها مع العلم بأن هذه الحلول ليست سهلة المنال » .

اما بالنسبة الى الشعارات التي يرفعها معظم الطلاب والتي تطالب بتغيير النظام بعد تحميله مسؤ ولية التقاعس والتقصير والاهمال ، فالعميد اده يقول :

« ان الشعارات التي يرفعها الطلاب تكاد تكون متشابهة في كل دول العالم . في فرنسا مثلاً طالب الطلاب بتبديل النظام . لكن هذا لا يعني انهم يعرفون الطريقة التي يمكن تحقيقها للوصول الى مطالبهم . هم في الغالب لا يعرفون سوى المطالبة بالتغيير . الطلاب بعبارة اوضح يعرفون ما لا يريدون ولكنهم لا يعرفون ما يريدون .

وانا لا القي مسؤ ولية الاخطاء التي تقع في بعض المرافق على النظام القائم . لأنه حتى في الدول الاشتراكية التي اهتمت بالمطالب التي يسعى الطلاب الى تحقيقها في الدول الأخرى ارتفعت هناك اصوات تطالب بتبديل الأنظمة القائمة فيها . والمطالبة بالتبديل امر

عادي خاصة في هذه المرحلة التي وصل فيها الانسان الى اعلى درجات المعرفة والاطلاع والى مستوى عال من الحرية والممارسة الشاملة لكل معطيات الحياة .

الانسان بغريزته لا يرضى بواقعه ويتطلع خاصة بعد الحروب للحصول على ما لا يملكه .

اسباب الشكوى في لبنان متوافرة اكثر من غيره في البلاد .

وهذا ناتج عن اهمال المسؤ ولين للأمور الحياتية البسيطة .

في لبنان لا تجد من يرضى ان يهتم بالأمور البسيطة . كلهم يريدون الامساك بالمشاكل الكبرى والبحث عن حل لها .

إدّه الشمعوني الشهابي الحلفي

اده الشهابي ، هل يمكن ان يكون اده شهابياً ؟ .

يقول العميد اده انه عندما تعاون مع الرئيس شهاب « تعاونت معه بكل اخلاص . وكنت اشعر انني حائز ثقته . لكن بعض الذين كانوا يحيطون به من غير السياسيين لم يكن من مصلحتهم ان يستمر هذا التعاون وهذا الجو من الصداقة والتفاهم بيني وبين الرئيس السابق » .

« وقد بدأ الخلاف بيننا اثر حادث الاعتداء الذي كان ضحيته السيد فيليب خير . وكان الحادث مفتعلاً وموجهاً ضدي شخصياً اذ ان السيد خير عضو بارز في حزب الكتلة الوطنية . يومها شعرت انهم يفتعلون الحوادث للايقاع بيني وبين الرئيس شهاب ، وادركت من ذلك انني عوض عن ان اكون وزيراً للداخلية امارس صلاحياتي كاملة ، اصبحت « باش كاتب » وطبيعتي لا تتفق مع طبيعة « الباش كاتب » ، عندما اكون وزيراً . ولمست ذلك بوضوح اكثر في انتخابات الشوف في ايلول 1959 . واعتبرت انه لا يمكنني الاستمرار في الحكم في هذا الجو ، لذلك قدمت استقالتي للرئيس شهاب » .

هل حاول العميد ان يطلع الرئيس السابق على « ما يدبرونه ويفتعلونه للايقاع بيني وبينه » ؟ .

يقول : حاولت مراراً . الا انه كان يجيبني كل مرة انه ليس رئيس حزب وليست له علاقات مع السياسيين . ان علاقاته محصورة بالعسكريين الذين عاش معهم ويعرفهم وهم مخلصون له . لذلك يفضل ان يتعاون معهم عوض ان يتعاون مع مدنيين .

وقد لفت الرئيس السابق الى الاخطار التي ستنتج عن وجود العسكريين في الادارات المدنية خاصة ، ان وجودهم يمكن ان يسبب الغيرة وان يثير النقمة والحسد . كما ان من شأن ذلك ان يجعل لهم تدريجياً مطامع في الحكم ، خصوصاً ان العسكريين في بعض البلدان العربية استولوا على الحكم ، وكان ممكناً ان تنتقل العدوى الى لبنان . لكن شهاب لم يكن يلتفت الى اي رأي في هذا المجال .

« واساس خلافي مع الرئيس السابق كان على هذه النقطة بالذات . كنت اقول له دائماً انه لا يجوز للجيش ان يهتم الا بالامور العسكرية ، وكان تصرفه يظهر العكس ويوحي انه مع العسكر من دون تحفظ .

« هناك امثلة على انضباطية الجيش في العالم وعلى طرق معاملته عندما يخرج على هذه الانضباطية .

« فعندما حاول ماك آرثر ، وهو القائد المنتصر في معركة اليابان ، ان يتبع سياسة خاصة به في حرب كوريا التي كان قائداً لها ، خلعه الرئيس المدني ترومان فوراً .

« وفي البلاد الديموقراطية البرلمانية الجيش هو بامر السلطات المدنية الشرعية . وهكذا كان وضع الجيش اللبناني عندما كان اللواء شهاب قائداً له . والدليل على ذلك انه عندما طلب منه الشيخ بشارة الخوري ان يستعمل الجيش لقمع التظاهرات التي كانت تطالب باسقاط عهده ، رد عليه شهاب بأن مهمة الجيش هي الدفاع عن الوطن وليس الدفاع عن مطامع شخص . وكان الشعب يومها ينادي بلاشرعية ولاية الخوري الثانية التي نتجت عن تزوير انتخابات 25 أيار .

« وعلى هذا اعتبرت ان من واجبي كنائب ان ادق ناقوس الخطر ، فكان خطابي الأول في المجلس النيابي يوم 28 حزيران 1963 . وكنت يومذاك اقود وحدي هذه الحملة ضد تدخل الجيش في شؤون السياسة حفاظاً على النظام الديموقراطي » .

والآن اده الشمعوني . . . ماذا يقول العميد بالرئيس الاسبق ؟ .

« ان الرئيس شمعون رجل سياسي بكل معنى الكلمة ، وهو يعرف تماماً ميول شعب الجبل . وقد كان اقوى مرشح للكتلة الدستورية عندما كنا على خلاف معها ايام

المرحوم والدي . ولولاه لما كانت الكتلة الدستورية . وقد كانت للرئيس شمعون شعبية واسعة لأنه يحب الشعب ويعيش بين افراده . وهذه المزايا تشكل قوة لأي رجل سياسي » .

« ان الرئيس شمعون انتخب رئيساً للجمهورية اثر الانقلاب الابيض الذي قمنا به سنة 1952 ، وكانت تدعمه وتؤيده الفئات العروبية اكثر مما كان يؤيده من يسمونهم « الانعزاليين » . وبرغم ذلك جعلوه من بعد عدو العرب . مع العلم ان شمعون عندما كان سفيراً للبنان في لندن كان المدافع الأول عن حقوق العرب وكان ملجأ لكل شاك عربي . لكن للسياسة تقلباتها ومحاذيرها . فالرجل السياسي يكون يوماً بطلاً وطنياً ويكون في يوم آخر خائناً . الا انه بعد مضي فترة من الزمن تظهر الحقيقة ويرجع ليصبح من جديد رجلاً مخلصاً لوطنه ولشعبه » .

« ويجب الاعتراف بأن عهد شمعون كان عهد ازدهار مع ان الحوادث الدولية اثرت على السياسة المحلية كحرب السويس 1956 . وطبعاً برغم صداقتي للرئيس شمعون يجب الاعتراف بأنه أخطأ في انتخابات 1957 . فعلى اثر استقالة بعض النواب وجد في البلاد جو معين لم يرد شمعون او لم يتمكن من معالجته ، فكانت النتيجة ان بعض الاقطاب السياسيين لم يرجعوا الى المجلس .

حكاية الحلف

يتهم العميد اده الكتائب ، والشيخ بيار الجميل ، بفرط الحلف وتفكيكه ووقف زخمه . ويقول ان الكتائب تفردت في اتخاذ موقف في انتخابات رئاسة المجلس ثم دخلت الحكم ووافقت على اتفاق القاهرة . . فانفرط الحلف . « وعدم دخولي الحكم هو اتفاق القاهرة بالذات ، بالاضافة الى انني لا يمكن ان اتعاون مع الذين اوصلوا البلاد الى هذه الحالة الخطيرة والذين يحاولون استغلال الاتفاق لاهداف سياسية وليس للدفاع عن سلامة الوطن . والرئيس كرامي واحد منهم . بينما وافقت الكتائب على كل ما لم اوافق عليه .

لقد قام الحلف الثلاثي نتيجة ارادة قسم كبير من اللبنانيين ، ارادوا ان تتعاون الأحزاب اللبنانية الثلاثة التي لها سياسة واضحة وان توحد جهودها من اجل لبنان والديموقراطية والحرية . فكان الحلف وكان انتصار الحلف خصوصاً في جبل لبنان ، وخصوصاً اكثر في منطقة كسروان .

على اثر هذه الانتصارات اخذت الشهابية تسعى وتعمل للقضاء على الحلف ، ولم

تترك طريقاً او سبيلاً الى غايتها هذه الا وسلكته متسلحة بجميع المغريات .

. . . الى ان جاءت انتخابات رئاسة مجلس النواب .

نحن نعرف ان صبري حمادة يمثل الرجل الأولى في السيبة التي يعيدون تركيبها من اجل معركة رئاسة الجمهورية .

وكانت الأزمة الوزارية قبل ذلك واستمرت سبعة شهور وحافظت الشهابية على رشيد كرامي الذي يمثل الرجل الثانية للسيبة . اما الرجل الثالثة فستكون فؤاد شهاب وعندئذ توقف السيبة على ارجلها الثلاث . فكان لا بد من فرط الحلف لتأمين تأليف هذه السيبة فتركتنا الكتائب لمناسبة معركة صبري حمادة قائلة : كيف نمشي مع كامل الاسعد وهو موافق على العمل الفدائي وتنسيق العمل الفدائي في لبنان . سنمشي مع صبري حمادة لأنه قال بأنه لا يوافق على العمل الفدائي على ارض لبنان . الا ان هذا الكلام قاله صبري بك منذ سنة ، لكنه لم يكرره ثانية ولن يجرؤ على ان يعيده .

وهكذا مشت الكتائب مع صبري بك فمشينا نحن والأحرار مع كامل بك اذ اعتبرنا المسؤولية في وجود الفدائيين على ارض لبنان تقع على عاتق فؤاد شهاب الذي اتفق مع ياسر عرفات في بداية سنة 1959 ، وان صبري حمادة يمثل فؤاد شهاب ولا يمكن أن نصوت له . والغريب ان الكتائب سارت في ما بعد مع كرامي بعدما وافق على اتفاق القاهرة الذي ربما يقول بالعمل الفدائي وبتمرين الفدائيين وتدريبهم على العمليات الحربية وعلى استعمال السلاح ضمن المخيمات وخارج المخيمات وفي كل المناطق اللبنانية . ورغم ذلك لم تتردد الكتائب عن الاشتراك في حكومة اسست وجودها على اتفاقية القاهرة واستمراره . واذا استعملنا المنطق فلا يمكن ان نفهم موقف الكتائب التي تعارض كامل الاسعد لأنه وافق على تنسيق العمل الفدائي في لبنان، وتتعاون مع صبري حمادة ، ثم رشيد كرامي اللذين وافقا على اتفاق القاهرة وعلى العمل الفدائي على ارض لبنان . فهل يجب ان نستعمل المنطق عندما ندرس موقف القيادة الكتائبية .

في ضوء هذا التناقض بيننا وبين الكتائب كان لا بد ان يصبح الحلف « بيسيكلات بدولابين بدلاً من « تريسيكل » .

أسلوبه برنامج

اسلوبه ؟ مشروع برنامج عمل لرئيس جمهورية مقبل . الا انه حتى وهو يحدد هذا البرنامج يتعمد ان يدخل الرئيس السابق في المقارنة . بحيث يضع الناس امام الاختيار غير الصعب . ثمة ما لا يمكن اغفاله : تشريح الاسلوبين جاء من طرف واحد . وبالطبع هو طرف العميد الذي يحكي . فالطرف الآخر في المقارنة لا يحكي ، يتركهم يردون على الحكي اذا حكى . . . العميد .

والعميد يقول في تقديم اسلوبه للناس ان المعركة « ليست بيني وبين شهاب والشهابية . انها بين ما أمثل وبين ما تمثله الشهابية . أنا أمثل الديموقراطية البرلمانية والحريات الديموقراطية والمحافظة على حقوق الانسان وكرامة الشعب وسيادة لبنان وسلامة اراضيه . وقد دافعت منذ بداية حياتي السياسية عن كل هذه الأمور . انما الشهابية تمثل العكس تماماً . فهي تريد تغيير النظام السياسي والاقتصادي . وتريد احياء الاقطاعية الشهابية التي تدعمها فئة معروفة . تريد الوصول الى رئاسة الجمهورية مرة ثانية مستعملة مختلف الاساليب . على هذا ارد بأن الخصومة ليست شخصية بيني وبين فؤاد شهاب . فليتصالح شهاب مع المبادىء اللبنانية الصحيحة وعندئذ لا اجد مانعاً عندي من ان امد يدي للرئيس السابق » .

هذه هي المبادىء التي يمثلها عميد الكتلة الوطنية ؟ .

هناك شيء آخر. لكنه يتوقف قليلاً ليقول : «اما غيري من السياسيين فلهم مصلحة خاصة . انا ليست لي مصلحة خاصة . ربما غيري يعتبر ان الرجل السياسي في لبنان يجب ان يحافظ اولاً على مصلحته الخاصة ومصلحة جماعته . اما انا فتفكيري عكس ذلك » .

عكس ذلك ، كيف ؟

قال العميد :

« عندما دخلت المعترك السياسي ، لم ادخله على اساس طموح شخصي واطماع ، انما على اساس القيام بواجب وطني . وانا عندما قلت اني سأطلب من حزبي ان يرشحني اذا رشح الرئيس فؤاد شهاب نفسه ، اعتبرت ان الشعب اللبناني يستطيع ان يختار بين اسلوبين او نظامين مختلفين تماماً .

« فأنا اقول بالحكم المدني وشهاب يقول بالحكم العسكري المتستر بالمدنيين . انا اقول

باحترام حقوق الانسان ، وفي عهد شهاب ديست هذه الحقوق . انا اقول بالمحافظة على النظام البرلماني واعادة الاحترام والاعتبار الى النائب والوزير ، وشهاب اتهم جميع رجال السياسة بأكل الجبنة ، علماً بأننا اذا درسنا موضوع « أكل الجبنة » في هذا البلد نكتشف ان السياسيين ليسوا كلهم من اكلة الجبنة وانه يوجد غير سياسيين اكلوا الجبنة ، كل الجبنة ، ولم يتركوا شيئاً في عهد شهاب والذي بعده .

« وأنا مع الاقتصاد الحر المنظم ، وشهاب يدعو الى الاشتراكية ، وهذه الاشتراكية التي يؤ من بها واسمها « الاشتراكية الشهابية » ، سيكون من نتائجها ، اذا عاد شهاب الى الحكم ، هرب الرساميل اللبنانية والعربية والأجنبية من لبنان ، وسيكون من نتائجها ايضاً افقار اللبنانيين والقضاء على ما بقي من الاقتصاد اللبناني .

« والاختصاصيون والمطلعون يعرفون تماماً ما هو عدد الشركات التي عدلت عن العمل في لبنان بسبب « الاشتراكية الشهابية » ، واتجهت نحو اثينا وغيرها . والمطلعون يعرفون أيضاً ان عدداً كبيراً من الشركات انتقلت من بيروت واقفلت أبوابها ورحلت الى بلاد أخرى .

« وأنا أقول بالاشتراكية اللبنانية التي تتناسب مع امكانات الشعب اللبناني وطبيعته ، والتي يمكن تنفيذها من قبل الادارة من غير ان تؤ دي الى الفوضى والخراب .

« فنحن في لبنان ليست عندنا اقطاعية ملكية بالمعنى الحقيقي لهذه التسمية ، فالاراضي في لبنان موزعة على كل الناس تقريباً . والاقطاع كي يكون اقطاعاً يجب ان تكون هناك مساحات واراض شاسعة . ثم ليست عندنا صناعات كبيرة او ثقيلة تملكها فئة واحدة او عائلة اقطاعية . ونحن بفضل طانيوس شاهين الذي ادت حركته الى الغاء الاقطاع الذي كان قائماً امنّا توزيع الاراضي من دون اشتراكية مستعارة ومن دون « الاشتراكية الشهابية » .

إذاً ليست عندنا مشكلة اساسية على هذا الصعيد .

ان الاشتراكية تقضي بوضع جميع وسائل الانتاج بيد الدولة ، اي الادارة العامة . والادارة اللبنانية لم تتمكن حتى الآن من « لم الزبالة من الشوارع » ، وتصليح الارصفة كي يمشي الناس دون ان يقعوا في الحفر ، وتأمين وصول رسالة من حي الى حي في بيروت ضمن مدة معقولة . فكيف يمكن ان نحكي بالاشتراكية بوجود ادارة من هذا النوع ؟ .

« نعم هناك اشتراكية ناجحة في اسوج ، لكن يلزمنا الكثير كي نصل الى ما وصلت اليه اسوج .

« انا مع استثمار الموارد الطبيعية من قبل الدولة ، وليس عن طريق الشركات الاستثمارية ، برغم ان الناس يشكون ، مثلاً ، من الهاتف وانقطاع التيار الكهربائي ، وانقطاع المياه ، ولو ان هذه المصالح بيد شركات خاصة لما كانت هناك شكوى ، اذ ان الشركات الخاصة تخاف من الدعاوى والاخطار وتحافظ على المستهلك بالمحافظة على سمعتها ،

بينما هذا الأمر غير وارد بالنسبة الى الادارة العامة . ثم ان اللبناني فردي بطبيعته ، لأنه شديد الطموح وحر .

« وانا مع التعليم المجاني ومع نوع معين من الضمان الاجتماعي والصحي وهو غير الضمان الذي ينادون به الآن والذي سيؤ دي بالنتيجة الى افلاس الدولة وافلاس الشعب معاً .

« اما القوانين التي وضعتها ، من قانون الابنية الفخمة وقانون سرية المصارف الى قانون الحساب المشترك ، فقد فسحت في المجال لتدفق الرساميل على المصارف اللبنانية ، اما قانون الابنية الفخمة فقد اوجد حركة بناء واسعة فسحت في المجال لتشغيل الوف العمال والتجار والصناعيين . بينما عمد شهاب الى تسليط البعض على المصارف حتى وصلت الى الافلاس ، وكانت قضية انترا والاهلي بداية سلسلة افلاسات نتج عنها تهريب الرساميل التي كانت وصلت الى لبنان بفضل قانون سرية المصارف .

« اما اتفاق شهاب مع الفدائيين على خطة اوصلت لبنان الى « الاردنة » ، ولا نزال في اول الطريق ، فقد كانت النتيجة تهريب الأمن والاستقرار من البلاد وتهريب السياح والمصطافين وتنفير الناس من لبنان .

« هذا كله يسمى بتواضع « الأسلوب الشهابي » ، فعلى اللبنانيين ان يختاروا بين هذا الأسلوب والأسلوب الذي انادي به » .

البوليس الدولي

ريمون اده هو اول من طرح موضوع البوليس الدولي : تعالوا نطلب قوات طوارىء دولية تتمركز في الاراضي اللبنانية على الحدود مع اسرائيل .

لماذا البوليس الدولي يا عميد ؟ .

ـ لمنع اسرائيل من اجتياح الاراضي اللبنانية .

ومتى كان ذلك ؟ .

ـ « سنة 1964 ، على اثر انتخاب الرئيس شارل حلو وذهابه الى مؤتمر القمة في القاهرة لدرس مشروع تحويل روافد نهر الاردن . وحدث ما حدث . في حزيران سنة

1965 بدأنا العمل في تحويل الوزاني والحاصباني . جاءت الطائرات الاسرائيلية وضربت الجرار الذي كان يعمل في الحفريات . وعلى اثر ذلك توقف العمل نهائياً . وبعد حرب حزيران 1967 قام وزير الخارجية آنذاك السيد فؤاد بطرس بجولة في العواصم الدولية . عندما عاد سألناه عن الضمانات التي عاد بها فقال : ما في شي . فرأيت انه يجب علينا ان نجد ضمانات مشروعة تحمي بلدنا وحدودنا واراضينا . فأثرت موضوع القوات الدولية في اللجنة الخارجية .

وعندما هوجمنا بالأمس القريب وضرب المطار لم نتمكن من الدفاع والرد على الاعتداء خوفاً من رد الفعل الاسرائيلي . فأثرت موضوع القوات الدولية مجدداً في مجلس الوزراء . واوضح هنا انه ليس من المعيب اذا لم يكن بامكاننا ان نقاوم الجيش الاسرائيلي الذي له تلك الامكانات العسكرية الضخمة بفضل المساعدات التي يتلقاها من الدول الكبرى ، ليس من المعيب ان نطالب بحق الحماية من الأمم المتحدة وهذا واجب علينا وعلى الامم المتحدة .

ولهذا السبب وضع نص في ميثاق الأمم المتحدة ، كما اوضحت الطرق والسبل التي يمكن الدول الصغيرة ان تستخدمها للدفاع عن سيادتها وسلامة اراضيها ، اذا تعرضت لهجوم عسكري من قبل دولة اخرى لجأت الى استخدام القوة عوض عن أن تستعمل الطرق السلمية لفض النزاعات والخلافات القائمة بينها وبين دول اخرى .

وقلت اخيراً اني اتنازل عن هذا الاقتراح بشرط ان يعلن رئيس الجمهورية ، وهو الذي اقسم يمين المحافظة على سلامة الاراضي اللبنانية ، ان ليس هناك خطر اسرائيلي يهدد حدود لبنان او مرافقه الحيوية . وفي هذه الحال اكون قد قمت بواجباتي كنائب وكرئيس حزب ، مادمت عاجزاً عن الحصول على موافقة الاكثرية بالنسبة الى اقتراحي » .

ويشير اده الى « السوابق » ، فيقول : « هناك سوابق عدة على هذا الصعيد اقربها سابقة وجود القوات الدولية على ارض الجمهورية العربية المتحدة (مصر) طول عشر سنين . والعجيب اننا لم نسمع خلال وجود هذه القوات صوتاً واحداً يتهم الرئيس جمال عبد الناصر بالخيانة ، او بمس كرامة العرب او تدويل مصر . على عكس ما يحدث في لبنان حيث اننا كلما لجأنا الى عمل يعود بالفائدة على الشعب اللبناني نسمع اصواتاً في الوطن وخارجه تتهمنا بالخيانة او بمس كرامة العرب او بتدويل لبنان .

والاكثر اهمية في نظري هو ان نأخذ رأي اهالي قرى الجنوب الذين باتوا غير آمنين على مصيرهم بعد غارات الطيران الاسرائيلي وضرب القرى والبساتين بقنابل النابالم وبعد دخول جيوش اسرائيل الاراضي اللبنانية .

واعتقد اننا اذا سألنا اهالي الجنوب عن رأيهم وهل يفضلون : الاستمرار في وضعهم الحالي مع وجود الفدائيين ام قبول قوات دولية هدفها الوحيد الدفاع عن حدود لبنان وعن ارواح اللبنانيين المقيمين على هذه الحدود ؟ اظن ، في هذه الحال ، اننا لن نجد واحداً من هؤ لاء لا يجيب بأنه يفضل ان تأتي القوات الدولية طالما اننا والفدائيين لا نتمكن من حماية الحدود والأهالي المقيمين قرب هذه الحدود » .

قضيّة فلسطين

اما بالنسبة الى القضية الفلسطينية « فإن فلسطين لأهلها وهم اصحاب الحق فيها ، ولهم ان يذودوا عن حقهم بكل الوسائل ، وعلينا نحن ان نساعدهم وننجدهم بكل ما لدينا من طاقات وامكانات . والطاقات التي يحق لنا ان نضعها في المعركة هي كل شيء الا كيان لبنان وسلامة اراضيه ، فهذه ليست ملكنا ولا يحق لنا ان نتصرف بها ، ولا يمكن ان تبذل ثمناً لأي كسب او غنم في الوجود مهما عظم . انها اقداس تفتدى لا وسائل تفتدي » .

● ان الحالة ستتأزم اكثر فأكثر مع تنفيذ اتفاق القاهرة . وكل شيء اصبح وارداً ، كما ان كل احتمال لم يعد مستبعداً :

« 1 ـ ثورة داخلية تسندها فئة من الفدائيين الذين يقولون بتحرير لبنان من الاستعمار الأميركي « والنظام الرجعي العميل » .

« 2 ـ هجوم اسرائيلي على جنوب لبنان بحجة استعمال الفدائيين ، بالاتفاق مع السلطات اللبنانية ، اراضي الجنوب لضرب اسرائيل .

« 3 ـ احداث داخلية من نوع آخر .

كل ذلك سيخلق اوضاعاً جديدة لا يمكن لاحد ان يحدد معالمها اليوم . فربما جاء وقت نسمع من الاذاعة اللبنانية « البلاغ الرقم واحد » يعلن قيام الجمهورية اللبنانية

الاشتراكية . و« البلاغ الرقم « 2 » يمنع التجول في جميع انحاء لبنان الى اشعار آخر . بالطبع هذا في أسوأ الاحتمالات . في كل حال لا بد من مفاجآت .

. . . والعمل الفدائي

انا لست ضد الفدائيين ، يقول عميد الكتلة الوطنية . اذن ؟ .

انما هناك شرط . . .

ما الشرط ؟ .

ـ يجيب العميد : « انا لست ضد الفدائيين اذا كان الفدائيون والجيش اللبناني والجيوش العربية يستطيعون منع اسرائيل من اجتياح الاراضي اللبنانية والاستيلاء على قسم منها . حتى الآن لا اعتقد انهم يستطيعون .

« وعندما تقرر القيادة العربية الموحدة استئناف الحرب ضد اسرائيل ، فعندئذ يكون من الطبيعي والبديهي ان يشترك لبنان في المعركة الى جانب الدول العربية .

« الا انه بانتظار ذلك ، والى ان تقرر القيادة العربية الموحدة هذه الخطوة ، لا يستطيع رجل دولة حريص على تحمل مسؤ ولياته ان يقبل بتعريض بلاده لخطر الاجتياح ، قبل ان يكون بلده قد اعد نفسه واتخذ اقصى ما يمكن من الاستعدادات لرد كل خطر ولدرء كل اعتداء .

« وكما قلت مراراً ، اعود فأقول الآن انه اذا خسر لبنان الجنوب فعندئذ يصبح كل لبنان عرضة للاجتياح ويصبح الخطر الذي هو الآن على الجنوب خطراً على كل لبنان . ذلك ان لبنان آهل في كل ارضه ومناطقه ابتداء من الحدود المتاخمة للعدو . وليس في لبنان جولان او سيناء » .

وهنا يعيد اده الى الذاكرة ما كان صرح به واعلنه ، في المجلس النيابي وفي البيانات التي اصدرها وفي المناسبات التي تحدث فيها ، من « ان لبنان يجب ان يكون آخر دولة عربية توافق على الصلح مع اسرائيل ، في حال الوصول الى مثل هذه المرحلة في تطورات النزاع القائم بين العرب واسرائيل » .

« واذا كنا نريد ان نبحث في هذه القضية من زاوية الانانية ، والمصلحة ، فليس من

مصلحة لبنان ان يتم الصلح ، لأن اسرائيل ستصبح عندئذ اكبر مزاحم له ، اكبر مزاحم لمرفأ بيروت ، اكبر مزاحم لمطار بيروت ، اكبر مزاحم لرجال الأعمال ، للاطباء ، للمهندسين ، للصناعة ، لكل شيء في لبنان . وهذا يكفي ، كسبب يتعلق بجوهر الوجود والمصير ، لأن يرفض لبنان الصلح ولا يوافق عليه حتى ولو وافقت بقية الدول العربية » .

من ذلك الى العمل الفدائي :

ـ « انا مع العمل الفدائي من اجل تحرير فلسطين ، لكني ضد انطلاقه من الاراضي اللبنانية . لأنه ، خصوصا بعد اتفاق القاهرة ، يعطي اسرائيل حجة كي تنفذ مشروعها القديم ، اي الاستيلاء على جنوب لبنان والسيطرة على مياه الحاصباني كخطوة اولى تليها الخطوة الثانية في الاستيلاء على الليطاني » .

وفي حديثه عن الفدائيين والمشكلة التي سببها او فجرها وجودهم في الاراضي اللبنانية ، يوضح عميد الكتلة الوطنية الملابسات الأخرى المرافقة لمشكلة الفدائيين انطلاقاً من اعتقاده بأن لبنان غير قادر على صد الاعتداءات الاسرائيلية في الوقت الحاضر ، فيقول :

« يقول الفدائيون انهم دخلوا الاراضي اللبنانية بموافقة السلطات دون ان يواجههم بعد حرب 5 حزيران أي اعتراض . ثم شعرت السلطات بعد ذلك ان الفدائيين باتوا يشكلون خطراً على البلاد بسبب اعطاء وجودهم على ارض لبنان مبررا لاسرائيل لكي تضربنا .

« وباتت مشكلة الفدائيين تهدد مصلحة لبنان واللبنانيين .

« نحن لا يمكننا ان نحمي لبنان من اعتداءات اسرائيل بسبب وجود الفدائيين والدليل الهجوم الاسرائيلي الذي وقع على منطقة العرقوب ، وكذلك الاعتداء الذي وقع على قرية عيترون حيث دخلها الكومندوس الاسرائيلي ونسف بعض البيوت لارغام الاهالي على تسليمه بعض الاشخاص المطلوبين . ان لبنان لا يمكن ان يحمي الفدائيين في العرقوب . ولا هو بامكانه ايضاً ان يحمي اللبنانيين ولذلك ، وعلى اساس هذا الوضع اقترحت بعد الغارة الاسرائيلية على المطار ان نطلب قوات دولية لحماية حدودنا من الاعتداءات الاسرائيلية .

« ان مشكلة الفدائيين يجب ان تحل ليس على أساس العاطفة لأن عاطفة جميع اللبنانيين مع الفدائيين ولكن على أساس المنطق وعلى أساس الحرص على مصلحة اللبناني التي ترتفع وتفوق كل مصلحة .

« وإذا كنا نريد حل مشكلة الفدائيين على أساس المنطق ، فإن المنطق يرفض وجود الفدائيين على ارض لبنان . والمنطق يقول : ان تطلب الحكومة اللبنانية من هيئة الأمم المتحدة ارسال قوات دولية بانتظار ان يأتي اليوم المناسب ، الذي يتمكن فيه لبنان مع بقية الجيوش العربية من الهجوم على اسرائيل لاسترجاع الوطن السليب ، هذا ما يقوله المنطق اما العاطفة فقد ارجعت الجيوش والشعب العربي الى ما كان عليه منذ الفي سنة وسمح لمليوني اسرائيل ان ينتصروا على مئة مليون عربي » .

ريمون ادّه العربي

اده العربي واضح جداً وصريح جداً : التعاون مع الاشقاء على أساس المحافظة على السيادة والاستقلال وعدم التدخل في الشؤ ون الداخلية ، والعمل ضمن المجموعة العربية وفق ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع العربي المشترك . « وان الوصف الذي اعطيه للأمة اللبنانية لا يمنع التعايش مع الدول العربية الأخرى . فالتعايش لا بد منه ، ليس بسبب موقعنا الجغرافي ، ونحن بوابة الشرق ، انما لأنه على كل دولة ان ترسم لنفسها خطة للتعايش مع الدول الأخرى مع المحافظة على استقلالها وسيادتها » .

ويضيف : « ان التطورات التي كانت ولا تزال ترافق الوضع في الشرق الادنى ، قد زاد في حدتها الاعتداء الذي حصل على شعوب واراضي دول عربية شقيقة تربطنا بها روابط الاخوة ، دفعت جميعها بالسياسة الخارجية الى واجهة الأمور التي نوليها أهمية خاصة .

« ان ارادتنا ان يبقى لبنان سيداً ومنفتحاً على العالم كله ، متفاعلاً مع شعوب العالم وحضاراته ، حريصاً على علاقاته الودية مع الدول الصديقة له ، وقد عبرنا عن هذه الارادة مراراً خصوصاً عندما تعرضت البلاد للاحداث التي كان الشرق الادنى مسرحاً لها في الآونة الاخيرة .

« ونحن حريصون ، ونبرهن عن حرصنا دائماً وفي كل مناسبة ، على توثيق التعاون العربي ، معتبرين ان في مؤ تمرات الملوك والرؤ ساء العرب ومقرراتهم وسيلة خيرة لتدعيم التعاون العربي وصيانته لمجابهة الخطر الاسرائيلي المشترك .

« كما اننا حريصون على احترام المواثيق الدولية والاقليمية التي دخل فيها لبنان بملء ارادته واختياره :

1 ـ ميثاق منظمة الأمم المتحدة .
2 ـ ميثاق جامعة الدول العربية .
3 ـ ميثاق الدفاع العربي المشترك .
4 ـ مقررات مؤ تمر القمة .

الأخطار الثلاثة

يوم 26 كانون الثاني 1969 دخل ريمون اده معركته القديمة المستمرة مع الشهابية من باب جديد . اعلن الحرب . استعمل الاسلوب المباشر واخذ راحته في تشريح « المدرسة الشهابية » و« النهج الشهابي » . وقال ، في بيان اذاعه ، كل ما كان يفكر فيه منذ مجيء اللواء شهاب الى الحكم ، وكل ما كان يقوله وما لا يقوله في مجالسه الخاصة او في المجلس النيابي .

ولقد كان « البيان الاتهامي » مفاجأة حتى بالنسبة الى الذين عودهم عميد الكتلة الوطنية الواناً متعددة من الهجوم على الشهابية و« المقامات » و« الجهات النافذة » والازدواجية والذين يحكمون ويتصرفون بالسلطة دون ان يكونوا هم الحكام او الذين وضعت السلطة دستورياً بين ايديهم .

ماذا قال العميد ؟ .

سمى الشهابية خطراً على لبنان بقيمه ونظامه ومصيره . وقال ان ادهى ما في هذا الخطر انه لا يرى امامه سوى مصلحته الخاصة ، القائمة اولاً واخراً على انعدام ايمان شهاب بالنظام الديموقراطي البرلماني . لذلك ساوى العميد الخطر الشهابي بالخطرين الاسرائيلي والشيوعي .

وفي تحديده لـ « الاخطار الثلاثة » حدد ريمون اده ، ولو قبل عام ونصف العام من موعد معركة رئاسة الجمهورية ، موقفه على الصعيدين الداخلي والخارجي ، كما رسم صورة لسياسته تحمل ما يكفي من الملامح المميزة لمرشح في المعركة يخوضها من زاوية جهاد متواصل كي يمنع « السابق الباقي العائد » على الاقل من خوضها . . . والانتصار فيها .

في ما يأتي الاخطار الثلاثة تسلسلاً :

1 ـ الخطر الاسرائيلي

« ان اسرائيل تعتبر لبنان المزاحم الأول لها اقتصادياً وسياسياً » .

اقتصادياً : لبنان الباب المفتوح على الشرق وباب الترانزيت اليه ـ مرفأ بيروت ومطارها الدولي عاملان اساسيان في هذا الحقل ـ مع نظامه الاقتصادي الحر ومركزه المالي المرموق . كذلك امكانات الشعب اللبناني المنتشر في العالم هي الامكانات الوحيدة التي يمكنها ان تزاحم امكانات الشعب الاسرائيلي المنتشر ايضاً في انحاء العالم تجارياً وفكرياً ودعائياً .

سياسياً : وان تكن اسرائيل اقوى من لبنان عسكرياً ومالياً ، وحتى الأمس القريب دعائياً ، فهي تدرك جيداً ان لبنان لم يزل بفضل علاقاته الدولية ، وبصفة كونه همزة الوصل بين الغرب والشرق يحظى بعطف اكثر الدول الكبرى ، كما تبين في مجلس الأمن الذي ادان اسرائيل بالاجماع بعد اعتدائها على مطار بيروت .

لهذه الاسباب تعتبر اسرائيل ان مصلحتها هي في ان يزول لبنان او على الاقل في ان تزول نعمته فتبقى هي بعده باب الشرق المفتوح تمثل فيه الغرب وحدها وترعى مصالحه فيحميها .

اسرائيل لا تستطيع ان تحقق اهدافها الا تدريجياً :

بدأت أولاً بالحصول على وعد بلفور . حاولت سنة 1919 بواسطة الصهيونية العالمية ـ يوم كانت خريطة الشرق الأوسط تقتسم بين فرنسا وبريطانيا ـ مد حدود فلسطين حتى تشمل مياه الوزاني والحاصباني والليطاني ، فلم تنجح ، ورسمت الحدود بين لبنان وفلسطين كما هي اليوم .

هل يعني ذلك ان اهداف اسرائيل تبدلت ؟ نجزم بالعكس ونقول : ان الأهداف هي اياها . اي وضع اليد على الانهر الثلاثة ، لتسقي يوم يزداد سكانها مساحات ارضها التي تؤ من لشعبها حياته .

بعد ان تستولي على لبنان الجنوبي ومياهه ، تتابع المسيرة داخل حدودنا حتى تستعيد حدودها الطبيعية التاريخية المزعومة ، التي كانت تقف عندها مملكة داود .

يرافق الخطر الاسرائيلي خطر آخر هو خطر جرنا الى الاشتراكية المتطرفة من قبل روسيا السوفياتية التي ما فتئت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تحاول الهيمنة قدر ما تستطيع على مقدرات الدول والشعوب . وليست هتافات الطلاب الشيوعية الاخيرة في لبنان ، ومن مشى في فلكهم ، ومناداتهم بتغيير النظام ، سوى اول الغيث .

2 ـ خطر الاشتراكية المتطرفة

حلم روسيا القيصرية المزمن ببسط نفوذها وتركيز وجودها في البحر المتوسط ومنطقة الشرق الأوسط ، حققته روسيا الجديدة ، أي روسيا السوفياتية ، فوصل اسطولها الى المتوسط يراقب الاسطول السادس ويلاحقه ، وركزت هي وجودها ليس فقط في سوريا والعراق ، بل في مصر أيضاً .

حصل ذلك بمساعدة الغرب ، عدوها الايديولوجي الأول ، ومسؤ ولية هذه المساعدة تقع على الولايات المتحدة الاميركية التي ارادت ان تحل محل فرنسا وبريطانيا حيث كانتا ، والتي بعدما تم لها ذلك ، وجدت نفسها وجهاً لوجه مع روسيا السوفياتية .

ظنت الولايات المتحدة انها لا تستطيع ان تمنع النفوذ السوفياتي من الامتداد الا بتشجيع العسكريين على الاطاحة بالنظم البرلمانية في كل من سوريا ومصر والعراق واستبدالها بانظمة عسكرية ، باعتبار ان العسكر يمينيون بطبيعة وضعهم ، وبامكانهم مقاومة المد الشيوعي اكثر من الأنظمة البرلمانية التي تتيح للشيوعية والشيوعيين التغلغل ثم التمركز ، ثم التكاثر في المجالس النيابية عن طريق الانتخاب ، ثم الاستيلاء على الحكم .

وفعلت ، فقلبت الأنظمة واحداً بعد الآخر ، وكان الخطأ الاميركي . فالجيوش العربية ليست كالجيوش الأوروبية او الاميركية ، بل هي ، نظراً الى حداثة سنها ، وطبيعة تكوينها ، اقرب منها الى اليسار ، والى تقبل الأفكار اليسارية .

فور تسلمهم الحكم ، طلب عسكريو سوريا السلاح من فرنسا ، وعسكريو مصر والعراق من بريطانيا ، فاعتذرت الدولتان ، واعتذرت بعدهما اميركا ، تقيداً بالبيان الثلاثي الذي اعلنته سنة 1950 . والقائل بالتوازن العسكري بين الدول العربية واسرائيل . عند ذاك دق العسكريون باب تشيكوسلوفاكيا ثم روسيا التي زودتهم بالسلاح على انواعه ، وارسلت معه خبراءها الاختصاصيين بالسلاح ، والاختصاصيين أيضاً

بالدعاية والنشر وترويج الأفكار الماركسية اللينينية الاشتراكية . نهاية المطاف كانت رفض ايزنهاور ، رئيس الجمهورية العسكري ، بناء السد العالي ، والاستعاضة عنه بارسال القمح والطعام الى الشعب المصري .

هكذا بفضل الولايات المتحدة ، انتشرت الشيوعية في المنطقة . اوكما يحلو لناشريها ان يسموها « الاشتراكية » . فالاشتراكية كلمة لا تنفر المحمديين المؤمنين ، من شيوعية ملحدة لا تتفق مع دينهم . اما النتيجة فكانت ما اراد السوفياتيون .

واليوم والاشتراكية الماركسية اللينينية على خمسين كيلومتراً من بيروت بات من مصلحة روسيا جعل لبنان أيضاً دولة اشتراكية ، لأن بقاء لبنان كما هو في ظل نظام ديموقراطي برلماني بلداً يحافظ على الحريات الديموقراطية جميعها ، بما في ذلك حرية الصحافة ، وحرية الاقتصاد التي جعلت لبنان البلد ذا الدخل الفردي الاكثر ارتفاعاً في المنطقة باستثناء بعض البلدان البترولية ، وبقاء لبنان متصلاً بالدول الغربية ، كما هو متصل اليوم ، يزعج روسيا لأنه بوضعه الاقتصادي المزدهر تكذيب صارخ للايديولوجية وللنظم السياسية التي غرستها وما زالت تتعهدها خصوصاً في المنطقة .

كل ذلك يجعل الاشتراكية المتطرفة خطراً حقيقياً على الشعب اللبناني ، لا مجال للتوهم فيه ، وعلى الشعب اللبناني ان يختار بين طريقة المعيشة التي يتمتع بها اليوم ، وتلك التي يريدون له ان يقع فيها كما وقع اخوة له صاروا متساوين بالفقر ، وبالفقر وحده ، في ما بينهم .

ان الكتلة الوطنية ، بين الاشتراكية الماركسية اللينينية التي توزع الفقر وبين الاشتراكية اللبنانية التي تقول ، في ما تقول ، بالغاء الامتيازات واستثمار الموارد الطبيعية من قبل الدولة وحدها ، وبالتعليم المجاني والمحافظة على الملكية الفردية ، وبالضريبة التصاعدة المجباة جباية جيدة ، وبالمحافظة على الاقتصاد الحر المراقب من الدولة لتشجيع الانتاج الزراعي والصناعي - ان الكتلة الوطنية اختارت من الاثنين الطريقة التي تتفق مع مصلحة الشعب اللبنانية وحقوق الانسان واحترامه لمعتقداته ، ومع الحرية التي لا تنفصل عن الحقوق الانسانية والتي تتفق مع ازدهاره ورفاهيته ، وهي الاشتراكية اللبنانية .

وهكذا يتبين ان اسرائيل وروسيا السوفياتية تلتقيان في الأهداف ، ان لم تلتقيا في المصالح ، على زعزعة النظام اللبناني ، الأولى لأنها تصبح ممثلة الغرب الوحيدة في هذا الشرق الأوسط وتعيد مملكة داود ، والثانية لأنها تهدم نظاماً يشكل تكذيباً واضحاً لكل ما فعلته في المنطقة عن طريق الاشتراكية الماركسية اللينينية ، فهي تعرف تماماً ان في لبنان

مئتي الف عامل سوري - نحن بحاجة اليهم - يشتغلون ليأكلوا لأنهم لا يجدون عملاً في بلادهم برغم زعم الاشتراكية تأمين العمل للجميع .

والكتلة الوطنية لا تريد ان يصبح لبنان ذات يوم تشيكوسلوفاكيا اخرى ينتحر طلابه احتجاجاً على حرية عرفت وفقدت ولا تنسى .

3 - خطر الشهابية

ولو ان هذين الخطرين كانا وحدهما اللذين يهددان لبنان ، ولولا وجود خطر من الداخل اشد حدة لأنه يرتكز على سياسة المصلحة الشخصية ، والنكاية ، والحقد ، والاستهتار باماني البلد ، لكان بالامكان الدفاع بثقة اكبر ، وفي منأى عن الحرب على جبهتين . غير ان هذا الخطر الداخلي موجود ، مقيم ، واسمه الشهابية .

على اثر الانتخابات الاخيرة ، وبعدما انتصر الحلف في منطقة جبل لبنان خاصة ، شعرت الشهابية بأنها اصبحت في خطر واستعملت جميع الوسائل المعروفة والتي بحوزتها وحدها لتعيد سيطرتها تمهيداً لمعركة الرئاسة سنة 1970 .

والشهابية ، في نظري ، تعني الحكم العسكري ، ولو كان مغلفاً بالرياء الديموقراطي ، وتعني الديكتاتورية العسكرية ولو مغلفة بالكلام المعسول المغري ، وبالتالي تعني تخصيص اكبر كمية من الاعتمادات لتسليح الجيش على حساب الأولويات الضرورية التي لم يزل الشعب بحاجة ماسة اليها . كل ذلك مبطن باشتراكية سميت عدالة اجتماعية فارغة من مضمونها . نحن أيضاً مع العدالة الاجتماعية ، لكن تلك التي نؤمن بها هي الواعية التي تؤدي الى رفاهية الجميع واعزازهم لا الى افقار الجميع واذلالهم . لكننا ضد الديكتاتورية العسكرية خانقة الحريات ، وضد تضخيم جيش مهما انفق عليه لن يكون قادراً على الوقوف في وجه الجيش الاسرائيلي ، كما اصبح ذلك واضحاً لدى الجميع ، ويكون الانفاق قد حرم الشعب اغلى امانيه ، ولم ينفعه شيئاً .

كذل ذلك يحقق هدف الشهابية . وهدف الشهابية هو كهدف المير بشير الذي كان افقار لبنان وتفرقة بنيه ليحكم هو .

إذاً ، نجحت الشهابية بمنع السلطة القائمة من ان تبدل حكومة الانتخابات بحكومة من الاكثرية الجديدة . وتدخلت في ما بعد فمنعت بجميع الوسائل الشرعية وغير الشرعية ، تجديد انتخاب ممثل الاكثرية الجديدة على رأس السلطة التشريعية . ثم كانت

ازمة الحكم باستقالة رئيس الجمهورية عندما اراد ان يتحرر من الكابوس الشهابي ، فاضطر الى الاستقالة ولم يرجع عنها الا بعدما تقرر تأليف الحكومة الرباعية . عندها قبلنا بالحكم دون تردد وبالحقائق التي اعطيت لنا دون استشارتنا ، لأننا اعتبرنا ان مصلحة البلاد واستقرارها والمحافظة على النظام الديموقراطي البرلماني تحتم علينا ذلك .

واستمرت الحكومة الرباعية برغم المسؤ وليات والمتاعب الملقات على كل فرد من افرادها ، وبرغم اني قلت من اول يوم ان هذه الحكومة تحكم باكثرية غيرها ويجب ان تفسح في المجال لحكومة اتحاد وطني ، او حكومة من الاكثرية النهجية .

وكان الاعتـداء على المطـار في 28 كانـون الأول 1968 ، فاعتبـرت الحكومة الرباعية انه لا يجوز ان تستمر في الحكم كما هي نظراً الى المقررات المصيرية التي يجب اتخاذها ، والتي سيتحمل الشعب اوزارها ، وتم الاتفاق على الاستقالة ، واعتبرنا ان الظرف هو الظرف الاكثر ملاءمة للمجيء بحكومة اتحاد وطني . لأن ذلك ما يحصل في البلدان الديموقراطية البرلمانية عندما تواجه البلاد اتخاذ تدابير مصيرية من هذا النوع ، فيتناسى المجلس النيابي الخصومات والاحقاد ويؤ لف حكومة اتحاد وطني .

وكانت الاستقالة . لكن مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، تدخلت الشهابية لتمنع المصالحة الوطنية بقيام حكومة اتحاد وطني ، رغم الظرف العصيب ، فتألفت الحكومة الحالية وظهر لفئة من اللبنانيين انها حكومة تمثل اتجاهاً واحداً وتكرس غلبة فئة على فئة اعتباطاً ، وانها ليست حكومة على مستوى الاحداث التي يواجهها لبنان .

« خلاصة القول ان هنالك الخطر الاسرائيلي والخطر الاشتراكي المتطرف اللذين تجمعهما الاهداف ولو اختلفت المصالح ، وهذه الأهداف هي القضاء على لبنان جغرافياً وسياسياً . والخطر الداخلي ، وهو الخطر الشهابي الذي ادهى ما فيه انه لا يرى امامه سوى مصلحته الخاصة ، القائمة اولاً وآخراً على انعدام ايمانه بالنظام الديموقراطي البرلماني وايمانه المعاكس بأوامر تعطى وتنفذ دون مناقشة ، او حق بالجدل . اذ ان هذه السياسة هي الطريقة الأسهل والاقرب لتنفيذ المشاريع التي تخدم مصلحته الخاصة ، والتي اكبر مثال عليها الفيتو الذي وضع على كتلة مؤلفة من 13 نائباً لبنانياً ، دون أي مبرر أو شرح . هذا الفيتو لم يصدر عن رئيس حزب تقدمي اشتراكي هو في الواقع لا تقدمي ولا اشتراكي بل اقطاعي تأخري ، وانما صدر عن الرئيس شهاب الذي لا يمكن ان يقبل بمصالحة وطنية مع فئة من النواب يمثلها الرئيس شمعون ، خوفاً من ان تقضي المصالحة على احلامه سنة 1970 .

والرئيس شهاب ، عوضاً عن ان يفعل كما فعل الجنرال ديغول عندما ترك الجيش ، فيؤ لف حزباً ويسفر عن وجهه وينزل الى الميدان فيصارح الشعب بأفكاره ونياته ويحاول اقناعه بصوابيتها وصحة اهدافه ـ يفضل ان يبقى منعزلاً ومحمياً في صربا وان يستثمر الجيش اللبناني ، كما فعل حتى اليوم ، خدمة لأهدافه السياسية متناسياً مصلحة البلاد والشعب اللبناني » .

إدّه الخطيب

اده الخطيب هو صاحب اسلوب خاص في فن الخطابة واثارة القضايا المتناهية في الدقة والحساسية . في كل عرس له قرص . ولا تمر جلسة نيابية ، والمجلس بالكاد يجتمع حتى في الأزمات الحادة ، الا ويقف ريمون اده ليخطب ، ليدق بـ « المحرمات » و « المقدسات » والذين فوق الشبهات ولا امرأة قيصر . وكلما خطب ثارت عاصفة . ضرب على الطاولات في المجلس وضرب على الأعصاب خارجه . ومنذ ولادة العهد الشهابي وانبثاق عهد الحلو ، وموضوع خطاب اده واحد تقريباً : (×××) . في المدة الاخيرة ركز على قائد الجيش السابق العماد اميل بستاني . . . الى ان طار ليس بفعل خطابات اده بل بوحي من « الروح القدس » ، كما يقول الرئيس صائب سلام . في ما يأتي نماذج من خطب اده :

31 تموز 1958 لمناسبة انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية :

« أيها السادة والزملاء . اما وقد رفعت ارادتكم حضرة اللواء فؤ اد شهاب الى مقام الرئاسة الأولى بهذا الظرف العصيب المؤ لم الذي تجتازه البلاد فاراني وزملائي نواب الكتلة الوطنية سعداء لنجاحه لأن اللواء شهاب صديقي الشخصي وصديق نواب كتلتي . ثم لأن المعارضين عادوا فوافقوا على انتخابه .

« وتذكرون انني كنت منذ البدء قد اقترحت مجيئه الى الحكم غير ان هذا المسعى قد اخفق بسبب موقف السلطات العليا منه .

« وبعد ، فإذا كنت قد استمررت في ترشيحي حتى آخر ساعة فلأنني اريد ان احافظ على المبادىء الديموقراطية وعلى النظام البرلماني في هذا البلد . فلا يقال ان هذا الانتخاب قد صار في ظل الأسطول السادس . (وقد منعت المراقبة نشر الكلمات السبع الاخيرة في الصحف وحذفتها حتى من الجريدة الرسمية) .

« فبإسمي وبإسم نواب الكتلة الوطنية اهنىء حضرة اللواء شهاب بالمنصب الرفيع الخطير الذي رفعته اليه ارادة مجلسكم الموقر متمنياً لحضرته التوفيق في اعادة الوحدة الوطنية بين اللبنانيين واعادة المحبة والطمأنينة الى جميع النفوس مع المحافظة على سيادة لبنان وحرياته واستقلاله » .

27 كانون الأول 1962 لمناسبة مناقشة موازنة 1963 في المجلس النيابي :

« ... هناك شيء جديد في حقل الدعاية . انني اجهل من هو المسؤول عن اصدار مجلة « لبنان اليوم » التي قيل في تقديمها انها « تتوخى اظهار بعض نواحي الحياة في لبنان » . لقد وجدنا بين مواد هذه المجلة خلاصة القرار الظني للمؤامرة الفاشلة ، مع صور عديدة للأسلحة والمتهمين اثناء محاكمتهم .

« اهذه طريقة جديدة للدعاية الحديثة بغية تشويق المغتربين في زيارة بلادهم واقناع السائح ، وهو طالب راحة واستجمام ، بالمجيء الى لبنان عن هذه ... الطريق ؟ .

« في ما خصني ، شخصياً ، لا يمكنني الا ان ارسل كلمة شكر الى الذي كلف بوضع خلاصة القرار الظني لأنه قال فيه (الصفحة الرابعة) :

« اتصل عبد الله سعادة بريمون اده (فلا سيد ولا استاذ ، كأن بين الكاتب وبيني خوشبوشية قديمة) لايجاد تعاون بين الحزب القومي السوري والكتلة الوطنية غايتها (هكذا ! والصحيح لغوياً غايته) ايجاد (تكراراً) تكتل في وجه بعض التيارات السياسية لم تفده بنتيجة نظراً لمعارضة السيد اده (شكراً لكلمة سيد) وتحفظه حيال بعض مبادىء الحزب واساليبه » .

وكلمة الشكر هذه فلان كاتب الخلاصة صحح العبارة التي صدرت في القرار الظني والتي كان القصد منها اشاعة بعض الظن حول هذه المقابلة . وقد يكون الدافع الى اشاعة هذا الظن موقفي في المدافعة عن حقوق الانسان في لبنان » .

28 حزيران 1963 في المجلس النيابي لمناسبة مناقشة موازنة 1964 في المجلس :

« انني مع الجيش . انني احترم الجيش . اني ولا مرة انتقدت اعتمادات الجيش . لا انا ولا زملائي . فكيف يمكن شخصاً ان يكون ضد الجيش وان يوافق على ملايين الليرات لمصلحة هذا الجيش ؟ في اناس بفرنسا وفي انكلترا Antimilitaristes بدي قول نواب ، عندما تأتي الموازنة ، بيصوتوا ضد اعتمادات الجيش . انا لست Antimilitariste . انا مع الجيش . وانا اعتبر ان هذا البلد بحاجة لجيشنا . وكلنا فخور بهذا الجيش . وبافراد هذا

الجيش ، وبضباط هذا الجيش . وكلنا مطمئن لأن هذا الجيش موجود ، وكلنا نعلم انه عندما يدق ناقوس الخطر نحن سنبقى في بيوتنا ، وهذا الجيش سيذهب الى الجبهة وسيقوم بالتضحية الكبرى . انني اعرف كل هذه الاشياء . لكن انا ضد تصرف بعض افراد (***) الذين يتدخلون في امور السياسة ، والسياسة ممنوعة على الجيش .

ولكن اود ان اسأل الحكومة هل تقبل ان يتدخل (***) في الانتخابات البلدية ؟ .

« وكل ما اطلبه الآن ان نضع حداً لهذه السياسة المغطاة . تقولون ان (***) لا يعمل سياسة . ولكن السيد (***) بيشوفوه بكل البلديات ، بيشوفوه بجبيل . بيشوفوه بالشياح ، بيشوفوه بالحدث ، بيشوفوه بوادي الشحرور . كأن (***) عميتصيد . لكن الصيد ممنوع في بلاد جبيل . اذن شو عمتعمل يا (***) .

20 كانون الأول 1966 في المجلس النيابي لمناسبة جلسة الثقة بحكومة الرئيس رشيد كرامي :

« منذ شهر تقدمت بمشروع قانون يتعلق بتكليف الجيش . من واجباتي كنائب ، ان اتقدم بمشروع قانون يختص بالجيش وغير الجيش . فماذا كانت النتيجة ؟ كانت ، ان احيلت جريدتا « النهار » و « لوسوار » الى المحكمة العسكرية . لماذا ؟ لأنهما نشرتا مشروع القانون . وهناك شيء مضحك في هذا المجال . تقدمت باستجواب للحكومة وحصلت على جوابها . من الذي وضع الجواب ؟ طبعاً الـ (***) . من وقع على الجواب ؟ طبعاً وزير الدفاع . من احال الجواب الى رئاسة المجلس ؟ طبعاً رئيس الوزارة وقد قال لي انه لم يقرأ الجواب . يمكن انه خاف ان يقرأه . طيب . رئيس الوزارة بدوره ارسل جواب الوزارة الى عطوفة رئيس المجلس وعطوفة الرئيس ، حسب النظام وحسب الترتيبات المتبعة في هذا المجلس ، امر بطبع الجواب وبتوزيعه على النواب المحترمين وكذلك على الصحفيين .

« سترى بعد مدة في كل وزارة وزيرين . الوزير الظاهر والوزير الخفي . ففي الساعة الحادية عشرة رنت التلفونات في جميع مكاتب الصحف تحذرهم من نشر جواب الحكومة على استجواب النائب اده . بقيت هناك جريدة واحدة لم تبلغ ، وهي جريدة حنا غصن ، ويظهر انهم نسوا أنه صحافي ، نشرت جريدته جواب الحكومة على الاستجواب . وهذا الجواب يحمل توقيعين ، توقيع فؤاد بطرس وزير الدفاع وتوقيع رئيس الوزارة عبد الله اليافي . وفي اليوم التالي استغرب حنا غصن كيف بيعت جريدته كلها . وجريدة حنا غصن ، بدون علم منه بمنع نشر الجواب ، نشرته بكل احترام .

وكانت النتيجة انه قيل ان حنا غصن سيحال على المحكمة العسكرية » .

6 كانون الأول1969 في المجلس النيابي لمناسبة جلسة الثقة بحكومة الرئيس رشيد كرامي :

« جئت من باريس وقلت بكل بساطة ان هناك مشروعاً لاردنة لبنان . سألني احدهم اذا كنت قد صرت سيبويه ، وما هي كلمة اردنة قلت : اردنة من اردن ، يعني ، هنالك خطة مرسومة ليصبح لبنان مثل الاردن تماماً . التقيت شخصية اردنية فسألتها كيف بدأت القصة عندكم فقال : وضعنا غير وضعكم عندنا ستماية ألف فلسطيني . من قبل كانوا200 الف لكنهم اتوا بالمعركة الاخيرة . بعد5 حزيران وبعد انهيار الجيوش العربية كان لا بد ان تستمر الفكرة الفلسطينية . انا وافقت على ما قاله ، طبعاً . النار المقدسة يجب الا تنطفىء كما يقال بالفرنسية والا نسي العالم قضية فلسطين ، ولا يجب ان تنسى القضية الفلسطينية ، لذلك قام الفلسطينيون بحركة ، وكان الفدائيون ، وبدأوا بالاردن . لكن من الصعب لثورة او لثوار ان يوفقوا بين الثورة والنظام . في الاردن يوجد ملك ومجلس ودرك وبوليس ونظام وجيش ، ولكن في الوقت نفسه يوجد ثوار لا يريدون ان يخضعوا لأوامر السلطة القائمة في الاردن ، فكانت الاشتباكات بينهم وبينها ، ويظهر انهم تعودوا بعضهم البعض بعد ذلك . وكما اقول مراراً أول الرشح يزعج المصاب به ثم يتعود المصاب على رشحه شيئاً فشيئاً . ورأيت انه حقيقة يوماً بعد يوم ابتدأت اردنة لبنان بالرغم من ان وضعنا يختلف عن وضعهم من حيث عدد الفلسطينيين ، ففكرت انه يجب عمل شيء ، وكنا نجتمع ونقترح حلولاً لا يؤخذ بها ، وماذا يمكن ان يعمل رجال السياسة اكثر من ذلك » .

أقوال الخصوم

ماذا يقول خصوم ريمون اده في ريمون اده ؟ .

يجب السؤال ، أولاً ، من هم خصوم ريمون اده ، ولماذا خاصموه ؟ امن اجل خلاف على المبادىء ؟ على السياسة ؟ على الاقتصاد ؟ .

الجواب البديهي : لا . خصومة خصوم ريمون اده قائمة رداً على خصومته لهم . فهم خصومه لأنه خصمهم ولأنه يشكل ، في احيان كثيرة ، عقبة كبرى في وجههم .

وكي يزيلوا « العقبة الكبرى » ، يتهم الخصوم عميد الكتلة الوطنية بأنه حقود وسلبي يحب الظهور والمخالفة ، لسانه مر يسلطه على الرئيس السابق بمناسبة ومن دون مناسبة . يكن للواء شهاب كرهاً شخصياً ويكره العسكر لأنهم شهابيون . ويكره شهاب والشهابيين لأنهم يفسدون عليه حلمه بالوصول الى رئاسة الجمهورية : « بدو يعمل رئيس جمهورية . . . على حساب شهاب والعسكر » .

تارة ترتدي الخصومة تصريحات ، تكون رداً على تصريح للعميد اده ، منسوبة الى « مصادر مطلعة » ، او « مصادر رسمية » ، او « مصادر مسؤولة » ، وتارة تنطلق بواسطة تصريحات منسوبة الى هذا النائب او ذاك ، وكثيراً ما كان النواب المستصرحون ضد ريمون اده يتفاجأون بصدور بعض الصحف متوجة « بتصريحاتهم » .

ويستغل خصوم اده مطالبته ، من وقت الى آخر ، بقوات الطوارىء الدولية ليغمزوا من قناة وطنيته وعروبته و « حبه للاجنبي . . وللجيش الأجنبي » .

الا ان الخصوم ، حتى الشهابيون منهم ، لا ينكرون على ريمون اده انه « رجل نظيف وجريء وشجاع » .

رأي ريمون إدّه
في ريمون إدّه

قيل له مرة : يصفونك بأنك الهاوي بين المحترفين والمثالي بين السياسيين ، فما رأيك في ريمون اده ؟ .

احمر وجهه خجلاً وابتسم ، ثم قال : « لست هاوياً . ثم لا اعتقد اني المثالي الوحيد من هذا النوع فثمة من يتمتع بهذه الصفات التي لا استحقها . واذا كان تصرفي يظهر غريباً بالنسبة الى الآخرين ، فلأن الظروف اوصلتني الى السياسة التي كنت اكرهها . يوم توفي والدي سنة1949 قرر حزب الكتلة الوطنية ان احل محله . وهكذا وجدت نفسي ، على غير استعداد مني ، عميداً للحزب الذي كان في تلك الايام شبه منبوذ . فجاهدت مع المجاهدين من الذين بقوا في الحزب ومع اصدقاء والدي كي نعيد الاعتبار الى الحزب . وكنت اقوم بهذا الجهد السياسي ليس عن طموح شخصي انما لاعيد الاعتبار لحزبي ولأوضح سياسته تجاه فئة من اللبنانيين .

« ويخيل الي ان كوني عازباً قد ساهم في بقائي في المعترك السياسي ، وهو لا يزال يسمح لي بأن اقف بعض المواقف التي ربما كنت اتردد في اتخاذها لو كنت رب عائلة . ليست لي زوجة تريد ان أصبح وزيراً لأؤمن لها وجاهة بأي ثمن ، وربما لأنه ليس عندي اولاد ارغب في عمل أي شيء كي اؤمن لهم مستقبلاً سياسياً او مادياً .

« اني اكره الكذب والنفاق والتدجيل وسياسة اللف والدوران ، كما اكره ان اموت في فراشي . واعتبر ان السياسة الناجحة هي التي تبنى على الصدق . وانا من هذه الناحية اختلف تماماً مع السيد ميكافيللي .

« صحيح ان هذه السياسة تكلفني بعض التضحيات ، وقد يعوق بعض المواقف السياسية التي اتخذها انتشار حزب الكتلة الوطنية لكن ضميري مرتاح . ان هدفي الوحيد هو مصلحة بلادي ومصلحة الشعب » .

بطاقة هويّة

من مواليد آذار سنة 1913 في الاسكندرية (مصر) .
عاد الى لبنان ، وبقي فيه ، سنة 1931 .
تلقى علومه الثانوية في اليسوعية .
دخل معهد الحقوق سنة 1932 وتخرج مجازاً بالحقوق سنة 1934 .
تدرج في مكتب والده المرحوم اميل اده .

انهى تدرجه سنة 1936 ، ومارس مهنة المحاماة في مكتب والده بعد انتخابه رئيساً للجمهورية ، ولا يزال في المكتب نفسه .

انتخب عميداً لحزب الكتلة الوطنية سنة 1949 ، واعيد انتخابه حتى اليوم .

انتخب نائباً للمرة الأولى سنة 1953 عن بلاد جبيل .

اعيد انتخابه سنة 1957 وسنة 1960 . في انتخابات سنة 1964 سقط مع لائحته . لكنه انتخب سنة 1965 لشغور المقعد بعد وفاة الدكتور انطوان سعيد . ثم انتخب سنة 1968 .

دخل الوزارة للمرة الأولى في تشرين الأول سنة 1958 ، في الحكومة الرباعية على اثر انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية ، فعين وزيراً للداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية والبرق والبريد والهاتف . ثم عين وزيراً للدفاع والخارجية بالوكالة لمدة شهر واحد .

وفي الحكومة الرباعية التي شكلت برئاسة الدكتور عبد الله اليافي في تشرين الأول سنة 1968 ، على اثر استقالة الرئيس شارل حلو وعودته عن الاستقالة ، عين وزيراً للاشغال العامة والزراعة والتصميم والموارد المائية والكهربائية . وقد استقالت هذه الحكومة في كانون الأول سنة 1968 .

● القى 80 خطاباً في المجلس النيابي حتى الآن .

مشاريعه :

وضع العميد ريمون اده عدداً من القوانين كما وضع عدداً آخر من مشاريع القوانين أقر بعضها اما البعض الآخر فلا يزال ينام في الادراج .

أهم مشاريعه :

- قانون الابنية الفخمة سنة1954 .
- قانون سرية المصارف سنة1956 .
- قانون اعدام القاتل سنة1959 .
- قانون الغاء الضريبة التصاعدية عن الاراضي الزراعية سنة1959 .
- قانون الحساب المشترك1961 .
- قانون حماية « الشيك » سنة1961 .
- اقتراح قانون قدم بتـاريخ 3/10/66 يتعلق بتحديد الحالات التي يجوز فيها تكليف الجيش حفظ الأمن الداخلي .
- اقتراح قانون قدم بتاريخ 20/10/66 باعادة حق منح رخص نقل السلاح الى وزارة الداخلية .
- اقتراح قانون قدم في 3/2/69 بفصل قوى الأمن الداخلي عن الجيش .
- اقتراح استدعاء قوات الطوارىء .
- اقتراح قانون بالزواج المدني .

الأوسمة : وشاح الجمهورية من مصر سنة1959 .

الهوايات : الصيد ـ السباحة .

المطالعات : كتب القانون والتاريخ الحديث والمجتمع .

الوضاع العائلي : اعزب .

بيار الجميّل

الشيخ بيار الجميل عاصر عهود الاستقلال ، كلها ، وكانت له مع كل عهد قصة ، مثلما كانت له مع الاستقلال نفسه قصة جمعته والسيد عدنان الحكيم رئيس حزب النجادة . . . في ساحة البرج ، حيث اقفلت الساحة في وجه الفرنسيين وأقفلت المدينة .

قبل ثورة 1958 ، أو صيف الدم كما يسميه البعض ، لم يكن الشيخ بيار على لائحة الحكم . بقي في الكتائب يمارس دور الرئيس الأعلى لها ، ممتنعاً حتى عن خوض الانتخابات النيابية .

بعد هذا التاريخ ، تحديداً ، دخل الشيخ الحكم ودخل النيابة ودخل السياسة اللبنانية ، مؤكداً في استمرار انه ضد سياسة الحرتقة والناطور ، اي السياسة اللبنانية البلدية كما مورست في عهدي الاستقلال ، عهد بشارة الخوري وعهد كميل شمعون .

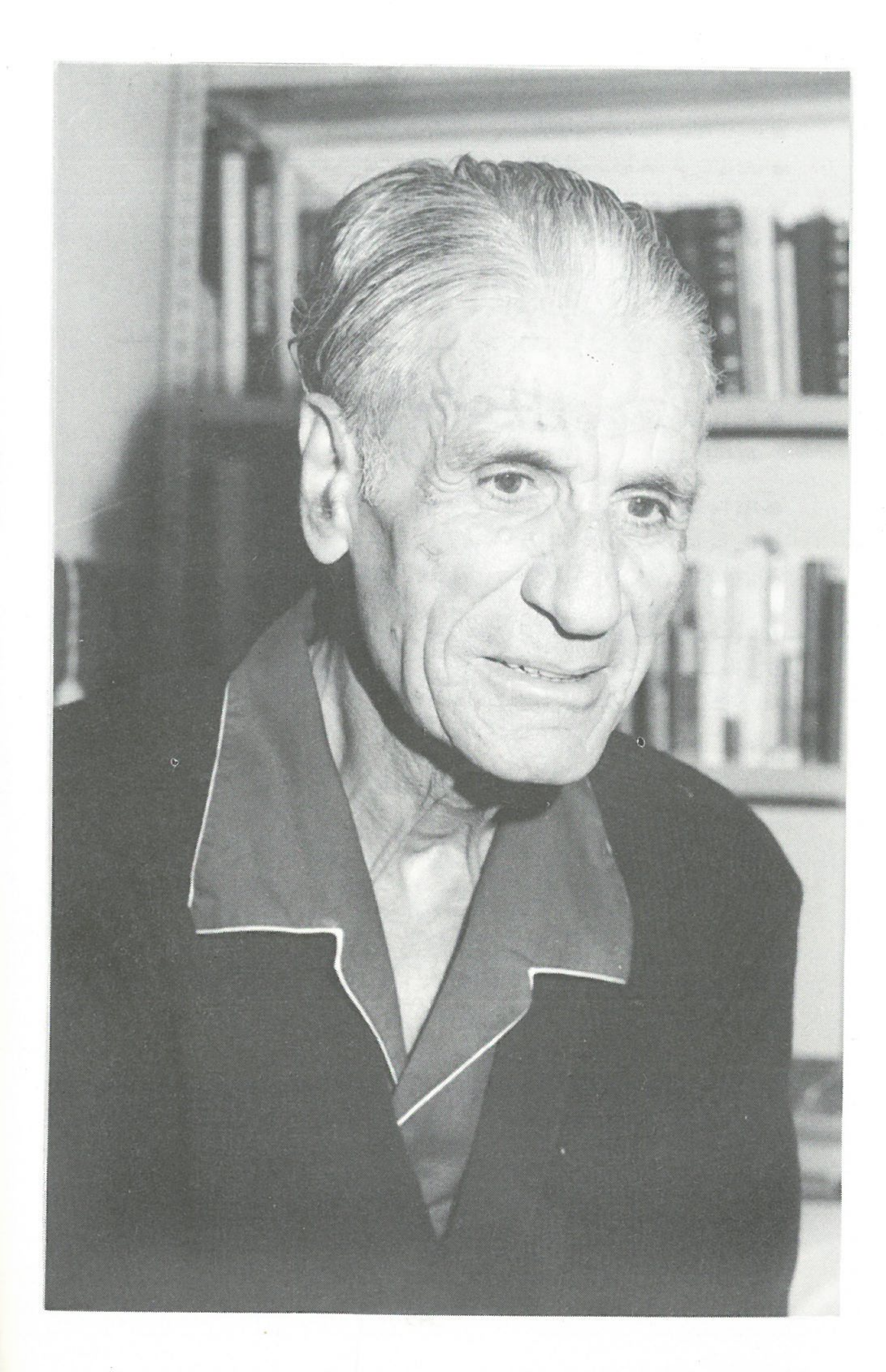
التقى مع النهج الشهابي وكان أحد أقطاب الحلف الثلاثي .

التقى مع عهد الرئيس حلو وكان لا يزال ركناً مرجحاً في الحلف .

التقى مع عهد الرئيس فرنجية وبقيا معاً الى ان افترقا بعد انتهاء ولاية الرئيس فرنجية وتركه الجبهة اللبنانية .

ترشَّح ضد الرئيس شارل حلو ، لكي تستمر اللعبة الديموقراطية في مسارها اللبناني مثلما ترشح ريمون اده ضد الرئيس فؤاد شهاب للسبب نفسه .

منذ نصف قرن والشيخ بيار في المعترك اللبناني ، قريباً من السياسة بعيداً عنها في خضمها ، الى ان أطبقت الحرب على البلاد والعباد ، فاختلط الحابل بالنابل .



الحالم بجمهورية افلاطون

الشيخ ابن الشيخ ، بيار امين الجميل ، الصيدلي ، الرياضي القديم ، الرئيس الأعلى لحزب الكتائب اللبنانية ، الوزير للمرة الثانية عشرة ، الطيب القلب ، الذي رشح نفسه للرئاسة ضد الرئيس شارل حلو ونال خمسة اصوات ، هل هو في عداد المرشحين لخلافة الرئيس حلو في ايلول 1970 ؟ .

في النصف الثاني من شباط الماضي عقد المكتب السياسي والمجلس المركزي في الكتائب اجتماعاً مشتركاً استمر اربع ساعات للبحث في موضوع رئاسة الجمهورية ، بعدما كان حزب الكتائب قد قرر خوض المعركة وفتحها منذ الآن متوخياً اخراجها من مجالس الهمس والهمهمة الى الاطار الديموقراطي السليم .

وقد اسفر الاجتماع عن تأليف « لجنة عمل نيابية » مهمتها القيام بالاتصالات والمشاورات اللازمة مع مختلف الهيئات السياسية والكتل النيابية لوضع الأسس المبدئية التي ستعتمدها الكتائب في التحضير لخطوات لاحقة ، « اهمها تسمية مرشح الحزب للرئاسة الأولى ووضع برنامج وطني شامل للمضي في المعركة » .

وفي اليوم التالي قالت جريدة « العمل » الناطقة بلسان الكتائب « ان الاجتماع المشترك لمس رغبة صريحة وملحة في الاسراع بتسمية المرشح الكتائبي للرئاسة الأولى ، وانه لن تمضي ايام معدودة حتى يعلن الحزب اسم مرشحه بشكل نهائي » .

وبالطبع ساد الاعتقاد ان الشيخ بيار الجميل هو المرشح الرسمي لحزب الكتائب وان ترشيحه سيخض المعركة و « يخربط » بعض المقاييس والحسابات ، خصوصاً على الضفة الشهابية .

قالوا : انتزع بيار الجميل المبادرة .
وقالوا : هناك لغم .
وقالوا : انتظروا المفاجآت . الشهابيون وعدوا رئيس الكتائب بأنه سيكون

مرشحهم اذا لم « تظبط » مع مرشحهم الأصيل الامير اللواء فؤاد شهاب .

الا ان الشهابيين ازالوا ما علق بالاذهان عندما ابدوا دهشتهم وخوفهم من ان يكون وراء الاكمة ما وراءها ، وان يكون اللغم الكتائبي مستهدفاً الرئيس السابق . . . ونسف خط العودة .

وتلقى الشهابيون معلومات تشير الى انه اذا قررت الكتائب ترشيح رئيسها ، فإن هذا الترشيح سيكون نهائياً ، اي ان الحزب لن يوافق على سحب مرشحه حتى وان كان السحب لمصلحة العودة الشهابية ، وهذا ما دفع الشهابيين الى القول انه اذا استمر الجميل في المعركة ، حتى في حال ترشيح شهاب ، فإن استمراره يعتبر عملاً عدائياً ضد شهاب يضع الكتائب مع سائر خصوم الشهابية في مرتبة واحدة .

الشيخ بيار لا ينفي ولا يؤكد : انتظروا ، لكن الذين فجعوا بانفراط الحلف يقولون ان الشيخ مرشح . وان الحلف لم ينفرط الا لأن الجميل موعود بالرئاسة . وعدوه . من ؟ الشهابيون . ظلوا يلاحقونه من مطرح الى مطرح حتى وافق . طوقوه بالموافقين . ووعدهم له لم يطير الحلف وحده ، بل فوت رئاسة المجلس على كامل الاسعد وكرسي رئاسة الوزارة على صائب سلام .

من وعد الشيخ ؟ .

المتفجعون على الحلف يتهمون الشهابيين . يقولون : الشهابيون اغروا رئيس الكتائب . جذبوه الى ملكوت النهج تحت شعار « انت مرشحنا يا شيخ بيار . الجنرال ما بدو . . . ومين في غيرك بالساحة » .

ينتفض الشيخ عندما يسمع هذه « القصة المختلقة من أساسها » . ينفيها نفياً حانقاً وبغضب ، يتهم « الذي يكرهني دون سبب » بالتشنيع عليه وتشويه موقفه : « مش صحيح . عمبيقولوا اني شهابي ، واني مكتب ثاني . معروف مين عمبيطلع ها النغمة » .

ريمون اده يقول : « بيار الجميل ، رجل في البور ورجل في الفلاحة . كنا معاً في الحلف على اساس سياسة واهداف واضحة . ومع ذلك كان يطير عقله اذا طرحنا اسم فؤاد شهاب او بحثنا في اتخاذ قرار او موقف من الشهابيين المعروفين . لمجرد فتح ملف شهاب وجماعته . . . يتكهرب الجو وينتهي الاجتماع » .

في نطاق رفضه لسياسة « الحرتقة والناطور » يلتقي الشيخ مع « عقائدي » النهج

الذين يحملون السياسيين مسؤولية خراب البصرة ومسؤولية « عدم ابعاد السياسة عن الجيش » .

لا يجب ان يكسر عظم احد في معارضته عندما يعارض ، ولا يجب ان يركّع احدا : « هذا البلد بلدنا ، ولا يجوز ان نخربه ونمهد الطريق امام التيارات الغربية والعقائد الغوغائية المستوردة ، لتنقض على النظام . المسألة لم تعد مسألة تأليف حكومة او انتخابات رئاسة مجلس او حتى انتخابات رئاسة جمهورية » .

ما المسألة يا شيخ ؟ .

« انها مسألة وجود لبنان ومصيره وجوهره » .

قبل ان يؤلف الرئيس كرامي حكومته الحالية ويدخلها الشيخ بيار وزيراً للاشغال العامة ، هدد رئيس الكتائب باحتلال السراي ، فايده عدنان الحكيم ، بينما هدد نواب الكتائب باحتلال المجلس . لا السراي احتلت ، ولا نواب الكتائب نفذوا تهديدهم . لا يجب ان يكسر عظم احد . لا يجب ان يركع احداً .

يود لو ان الأمور تسير بشكل طبيعي . تسوى الخلافات والمشاكل بالمحبة وبوس اللحى . عائلي ومحب وعاطفي حتى في المجالات التي تتعارض مع المحبة والعاطفة . لا يستطيع ان يتصور ان الخلافات السياسية والخصومات المحلية تصل بالناس الى حد الاقتتال وحفر الخنادق . . . مع ان الكتائب حفرت الخنادق صيف1958 واضطرت الى حمل البندقية واقامة المتاريس ، مثلها مثل غيرها من الفئات .

يقول : « الثورة تجربة ومرت ولا يجوز ان تتكرر . واذا كان كلما زعل نائب من رئيس جمهورية اوحرد وزير منعمل ثورة . . . بتظل البلاد مشتعلة » .

يحلم بجمهورية افلاطونية من بابها الى محرابها : لبنان وحده ارض صالحة لهذا الحلم . شعب مثالي فحكم مثالي ويأتي افلاطون » . لكن لبنان شيء ، لبنان الواقع ، لبنان الأزمة ، لبنان الانهيار ، والمثالية الافلاطونية شيء آخر » .

ومع ذلك يقول : يجب ان نحل قضايانا بالتفاهم . نتشاور . نبحث . نحاول .

الا ان تعلقه بالمحبة والدعوة الى التآلف ونبذ الاحقاد لا يمنعه ، من حين الى آخر ، من التهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور .

فعندما تحز المحزوزية ويطلع خلق الشيخ يطربق الدنيا ، يرغي ويزبد ويخرج

التحذير تلو التحذير : « انا ابن شارع واعرف كيف اقود الشارع ، فلا يهددونا كل ساعة بالشارع وبالتسكير والاضرابات والشغب . هذه شغلتنا ، لكننا لا نريد ان نكون سبباً في خراب البلد » .

وبعدما يكون الناس قد وضعوا ايديهم على قلوبهم وحبسوا انفاسهم ، يرخـون اعصابهم المشدودة ويقولون : الشيخ بيار « قلبه طيب » .

يروى ان ريمون اده كان يتناول حبتين من مهدىء الأعصاب قبل دخول اجتماعات الحلف : « كدت اصبح مدمناً » .

ولماذا الحبوب المهدئة للاعصاب ؟ .

يجيب اده : « حتى اتحمل احاديث الشيخ بيار . نقترح الاضراب ، فيوافق . في اليوم التالي يأتينا معارضاً الفكرة . نقترح اصدار بيان ضد تدخل غير المسؤولين في الحكم ، يوافق . في اليوم التالي يغير رأيه . نقترح القيام بخطوة عملية ضد الأمر الواقع . يوافق . بعد قليل نسمع انه اجتمع برشيد كرامي ونقرأ عن لسانه تصريحاً لا يصدر مثله حتى عن غلاة الشهابيين » .

هنا يقول رئيس الكتائب انه ، من الاساس ، كان واضحاً في تعاونه مع الوطنيين الاحرار والكتلة الوطنية : « الحلف ليس للنكايات والحزازات والحرتقات الصغيرة . انه للقضايا المصيرية . الحلف لم يقم ليهاجم فؤاد شهاب والشهابية والعسكر . قام من اجل لبنان والحفاظ على كيانه وسيادته . الحلف . . . الحلف . . . » .

ويسأله اده : « يا سيدي فهمنا ، لكن ألست ترى ان لبنان ومصيره وسيادته في الأرض ، وان الاخطار من داخل وعلى الحدود ومن خارج ؟ لازم نعمل شي يوقف هذه الاخطار » .

اده في واد والجميل في آخر .

اده يصرح ويصرخ ضد ، والجميل يصرح ويصرخ مع . فتنتشر التصريحات والأقاويل الموجهة عن « براكين داخل الحلف » ، ويركض كاظم الخليل الى الهاتف يدعو الاقطاب الثلاثة الى اجتماع طارىء .

كان كلما ادلى عميد الكتلة الوطنية بتصريح ينتقد الرئيس شهاب وجماعته ، يستنجد الشهابيون بحليفه في الحلف الثلاثي رئيس الكتائب ، فتصدر الصحف في اليوم التالي مزينة صفحاتها بتصريح للشيخ بيار كله مدح بمن قدح بهم العميد اده . فتقع

الواقعة وتهتز الأرض من تحت خيمة الحلف . . . ويركض كاظم الخليل الى الهاتف ويدعو الاقطاب الثلاثة الى اجتماع طارىء .

بعد مهرجان القطين ، الذي فتح المعركة الكبرى ضد عودة الرئيس السابق ، والذي تغيب عنه الشيخ بيار ، قال الذين على ود مع الكتائب ان الحلف سيفرط . لماذا ؟ لأن الجميل ضاق ذرعاً بتهجمات اده ضد شهاب ، وبتحويله المعركة دائماً الى ساحة الشهابية والعسكر .

ودارت الأيام دورتها ، فإذا بالكتائب تتدرج مجدداً على طريق الشهابية . بدأت بمهرجان القطين ، حيث صدر في اليوم التالي مقال في جريدة « العمل » يضع شهاب في مصاف الانبياء ويهاجم « الموتورين الحاقدين » الذين اعماهم نجاح الشهابية . ثم ظهر التبدل جلياً في معركة رئاسة المجلس حيث مهدت الكتائب بموقفها لنجاح صبري حمادة . ثم اكتمل نمو رغبتها وعادت الى قواعدها سالمة في الحكومة الحالية التي غاب عنها ريمون اده وحجب عنها الوطنيون الاحرار ثقتهم .

وفرط الحلف ، واستغنى العميد عن الحبوب المهدئة للاعصاب .

الحلفي ـ النهجي ـ الشمعوني ـ الشهابي

الشيخ بيار الجميل ، الرئيس الأعلى ، الكتائبي ، الحلفي ، النهجي ، الشمعوني ، الشهابي ، اين يقف تماماً ؟ .

يقولون : ساعة في خراج الحلف وساعة في مشاع النهج . يوم « ما حدا يجيب سيرة فؤاد شهاب » ، ويوم « كميل شمعون بيسوى الدني » .

ويقولون : مرة ينرفز ويطلع خلقه فيقول : « انا ليس عندي لا حلف ولا نهج ، عندي لبنان . في الحلف اجد مزايا واشياء محترمة ومفيدة . وفي النهج كذلك » .

لكنه في كل حال لا ينسى ان يدافع عن الرئيس السابق اللواء فؤاد شهاب . في كل مناسبة . وكلما دق الكوز بالجرة . « لقد رافقت شهاب عن كثب . هذا الرجل ككل الرجال . عنده اخطاء وعنده حسنات . وككل رؤساء الجمهورية الذين عرفتهم ، من اميل اده الى بشارة الخوري . فؤاد شهاب من انزه رؤ ساء الجمهورية الذين مروا بتاريخ

هذا البلد . رجل رأى المرض . والمرض عندنا هو القضايا الاجتماعية والتخلف والادارة . جرب » .

ثم يتابع رئيس الكتائب كلامه عن الرئيس السابق الى ان يصل الى علاقة عهده بالعلامة الشيوعية التي اعطيت له ، فيقول : « احب ان اكشف رأي شهاب بالشيوعية . كان يقول لي دائماً : عدالة اجتماعية نعم ، لكن لا اشتراكية ولا شيوعية . شركة ، نعم . اشتراكية ، لا . وكان يقول ويكرر ان الاشتراكية ما هي الا تغطية للشيوعية ، خصوصاً في المنطقة التي نحن فيها . فؤاد شهاب مظلوم . « كانت غايته ابعاد السياسة عن الادارة ، لكن العكس هو الذي حصل . وتخلخلت الادارة مجدداً » .

« ذهبت مرة الى الرئيس شهاب وشكوت له . قلت : بصراحة انا يائس .

« هز رأسه ، وقال لي : بعدك جديد بالكار ، هيدي العملية مش قصة نصوص ، انها قصة طاقة بشرية واخلاق . الاصلاح يبدأ بالبيت ، بالمدرسة ، بالحزب . بدنا ننتظر جيل ويمكن جيلين حتى يصير هاالاصلاح .

« واعطاني مثلاً ، فقال : الأم اللي بتعلم ابنها ان الكذب ملح الرجال كيف يمكن ان يكون ابنها صالحاً ؟ .

« وكيف يكون المجتمع صالحاً طالما ان الذي يسرق يقولون عنه انه شاطر ، اما الآدمي فيقولون عنه انه حمار . ناهيك بالمدارس التي تغش حتى في اسمائها . تقرأ ، مثلاً ، جامعة كذا . . . فإذا هي دكانة . وتقرأ معهد كذا . . . فإذا هو اصغر من دكانة . والطلاب يعملون اضراباً اذا حاولنا رفع مستوى الشهادات . . . » .

عندما يهدأ كلامه عن الرئيس السابق يتنهد رئيس الكتائب ، كأنه عاد لتوه من مهمة . او انه نسي شيئاً ، او هو يخشى ان يكون توغل في الحديث عن شهاب ، فيطرح اسم الرئيس الاسبق في المقابل :

« والرئيس شمعون كمان . رجل لبناني مخلص لبلده . مهما كان رأيهم فيه فإنه رجل وطني ضحى وناضل من اجل لبنان ولا يزال حتى اليوم . والاخطاء ؟ بالطبع هناك اخطاء وجل من لا يخطىء . ارتكبت في عهده اخطاء ككل الاخطاء التي ارتكبت في كل العهود، لكن هذا لا يعني انه غير مخلص وغير وطني كما يزعم البعض . بالاضافة الى ذلك فهو شجاع وقوي الشخصية وذكي » .

وبرغم انفراد عقد الحلف ودحرجته حبات السبحة على سلم منزل العميد ريمون

اده في الصنائع ، فإن الشيخ بيار الجميل لا يسلم بالانفراط . في رأيه ان الحلف مستمر وسيبقى . « نحن عملنا الحلف منشان القضايا المصيرية ، القضايا الكبيرة اللي بتتعلق بوجود لبنان » .

يضحك ريمون اده ويتساءل : « ما هي تلك القضايا المصيرية والكبيرة التي يقصدها الشيخ ؟ رئاسة المجلس ليست في رأيه قضية كبيرة ، رئاسة الحكومة أيضاً ، ورئاسة الجمهورية أيضاً وأيضاً . ان القضايا المصيرية مرتبطة بوجود اشخاص على مستوى المصير في هذه المناصب القيادية في البلاد » .

من هنا كان الخلاف .
من هنا فقط ؟

رئيس الكتائب لا يسلم بما ذهب اليه عميد الكتلة الوطنية : « انا ما بدي ركع حدا . ريمون اده بدو يركع فلان وعلتان . الحلف مش منشان هيك « ان بعض قواعد الحلف هي بعض قواعد النهج ، ما دام النهج يعني ، كما كان وكما فهمناه :وحدةوطنية، عدالة اجتماعية ، اصلاحا اداريا ، تصميما ، طرقا ، مياها ، عقلية تقدمية . اما ما الصق بهذا النهج من صغائر واحقاد ونكايات وانتقامات وطائفية ايضا ، فاننا نتركه للمتاجرين بالنهج انفسهم ، لانه لا كان منا ، ولا كنا نعرفه ولا صاحب النهج يعرفه ».

يأبى ان يزج اسم الرئيس السابق في اي مأخذ يسجله حتى على نهجه او على معاونيه او الذين لا يزالون يعملون باسمه ومن اجله .

من شهاب الى شمعون ،
ومن النهج الى الحلف :

« اود ان أؤكد ان الحلف الثلاثي لا يمكن ان يزول او ينهار لاننا ، انا والرئيس كميل شمعون والاستاذ ريمون اده والسيد كاظم الخليل ، لسنا الذين اقاموا الحلف وابرزوه . ولسنا نحن الذين تعاونوا في نطاقه لمواجهة الاخطار المصيرية التي هددت البلاد . ان الذي اوجد الحلف الثلاثي هو الشعب ، اي القاعدة الشعبية للاحزاب الثلاثة : الوطنيون الاحرار ، الكتلة الوطنية والكتائب اللبنانية .

« هذه القاعدة ذات الاتجاه الواحد والشعور المشترك والمواقف المتشابهة والمبادىء التي لا تزال ملتقية في تحالف شامل وعام وثابت لا تزعزعه المفاجآت .

« وقد تختلف هذه القاعدة على بعض الامور العامة ، لكنها بالنسبة الى الامور

الجوهرية تظل متماسكة لا تساوم ولا تتذبذب . وإذا كان بعض قادة هذه القاعدة لا يتبادلون المحبة ، واذا كان بعضهم يحرص على ان ينكرز وعلى ان لا يقبض رفيقه ، واذا كان ريمون اده لا يحب شكل بيار الجميل وكميل شمعون لا يحب آراء ريمون اده ، مثلاً ، فإن هذا الواقع اذا كان قائماً فإنه لا يؤثر في القاعدة التي تلتقي تلقائياً امام اي حادث يمس جوهر مبادئها واتجاهاتها » .

هذا الكلام قاله الشيخ بيار الجميل في 15 شباط 1970 . اي بعد انفراط الحلف بثلاثة اشهر تقريباً .

واضاف اليه :

« ان حادث صيف 1958 اصدق دليل على وحدة القاعدة التي اشرت اليها . كانت هذه القاعدة بقيادتنا نحن ، عندما اخذنا مبادرة العمل الايجابي لانقاذ البلاد من الاخطار » .

« وأنا آسف للخلاف الواقع بين قادة هذه القاعدة ، لكني اعتبره خلافاً عارضاً ، ولا بد ان تزول كل هذه الخلافات وان تعود الى صفوف القادة الوحدة السائدة صفوف القاعدة » .

« ان الحلف الثلاثي لم ينفرط ، من حيث الأساس ، لكن قيادته تأثرت بتصرفات البعض . فالحلف وجد أساساً للدفاع عن جوهر القضية اللبنانية ، ولم يكن الدافع الى انشائه تحويله الى اداة لتصفية الخصومات والحسابات السياسية والشخصية » .

« والمؤسف الذي لا يمكن التهرب منه او نكرانه هو ان ثمة كرهاً فظيعاً من قبل الاستاذ ريمون اده ضد الرئيس فؤاد شهاب . الاستاذ اده حر في ان يوجه كرهه نحو الرئيس شهاب ، وحر في ان يكره من يشاء وان يحب من يشاء . الا ان حقده على فؤاد شهاب ازداد اخيراً وبدأ يظهر واضحاً في الاجتماعات التي كان الحلف الثلاثي يعقدها » .

« وقد قلت لرفاقي في الحلف ، بعدما انشأناه ، اننا اقمنا هذا التحالف لا لنحارب فؤاد شهاب ، لأن هذه القضايا هي قضايا خاصة لا ادخل فيها . وقلت لهم انني ارفض محاربة الرئيس شهاب وارفض اعادة البلاد الى جو الحرب السياسية التي كانت قائمة بين الرئيسين اميل اده وبشارة الخوري ، لأنني احمل تلك الحرب مسؤولية ما نعاني منه اليوم من خلافات وانقسامات سياسية » .

« وقلت لهم أيضاً ان فؤاد شهاب انسان له حسناته وسيئاته وله اخطاؤه ، لكننا لم نتحالف كي نحاسبه » .

« واعتقد ان ريمون اده يتسبب في سعيه ، الذي يعلن عنه دائماً ، نحو ابعاد الجيش عن السياسة في ادخال السياسة الى الجيش ، وهو مخطىء في ذلك وانا اعارضه في هذا الاتجاه وأؤمن بالأسلوب الذي اتبعه في الاصلاح وهو يقوم على المبدأ الايجابي ودخول الحكم للاصلاح من الداخل افضل بكثير من محاولة الاصلاح من الخارج » .

« نحن الكتائبيين لم نترك الحلف الثلاثي ، اذ اننا لا نزال نؤمن بمبادئه ونعمل برأي وتوجيهات قاعدته ونرى ان العميد ريمون اده هو الذي ترك الحلف وانسحب منه ، بعدما اراد هو ورفضنا نحن ان يتحول الحلف الى اداة للتهجم على الرئيس فؤاد شهاب وانتقاده والتهجم على الجيش » .

لبنان الشيخ بيار

عندما يتحدث الشيخ بيار الجميل عن لبنان « الذي نؤمن به » يذهب في رحلة النشوة ولا يعود يتوقف :

« نحن نؤمن بأن لبنان لم يتكون صدفة ولا هو من صنع اية ارادة غريبة . اسمه في التاريخ يقترن بأول سعي انساني في هذه المنطقة من العالم . انه وطن تؤهله طبيعته لحماية الحرية فيه ، بعد الذي عانته الحرية من اضطهاد في هذه المنطقة بالذات » .

« اجل ان لبنان هو وطن الحرية بكل معانيها السامية ويعني هذا استطراداً ، ان الاستئثار المذهبي غريب عن نشأة هذا البلد . الذين لجأوا الى حماه على مر السنين ربما كانوا هاربين من الاضطهاد الديني والعنصري ، لكن لبنان لم يكن يوماً حمى لابناء دين معين ولا اراده المحتمون بجباله وطناً مذهبياً او عنصرياً لأنهم لم يكونوا يوماً من عرق واحد او دين واحد ، بل مجموعة اعراق واديان ، القاسم المشترك بينها هو الحرية . فأي دين في العالم ليس له في لبنان ابناء وأتباع » .

« لقد اردنا لبنان وطناً ليس كسائر الأوطان : ان الأوطان المسيحية كثيرة ، والأوطان الاسلامية كثيرة ، ولكن ليس في العالم وطن يلتقي فيه الاسلام والمسيحية كما يلتقيان ويتفاعلان في لبنان » .

« وقلنا أيضاً : ان الانسان ، في هذا العصر بالذات ، لئلا يكون غريباً ، ينبغي ان يكون في الدول الغربية مسيحياً ، وفي دول المعسكر الشرقي ملحداً ، وفي الدول العربية مسلماً . . . وفي اسرائيل اليوم يهودياً صهيونياً » .

« في لبنان ، وفي لبنان وحده ، يستطيع كل انسان ان يكون حراً ، سواء اكان مسلماً ام مسيحياً ام يهودياً ام ملحداً ـ ونقصد بالحرية هنا ، حرية الضمير ، اي ان يكون الفرد حراً في ان يؤمن او لا يؤمن ، ان يغير دينه متى شاء وكيفما يشاء ، وان يكون ملحداً ان رأى الالحاد طريقاً للسعادة لأن الدين او الايمان امر يتعلق بالانسان وحده في جوانيته . فانا مسيحي مثلاً ، وامارس مسيحيتي بفخر واعتزاز ، ولكن هذا من شأني انا وحدي كانسان . . يعني انا حر . وهنا عظمة الدين ، اي دين ، وماهية الايمان اي ايمان ، الايمان بالله مثلاً لا يكون مفروضاً ، والا صار الله اداة لسياسة او تجارة او اي شيء آخر من هذا النوع » .

« واستطراداً ، انا بيار الجميل المسيحي ، بقدر ما اكون مسيحياً حقيقياً مؤمناً ، اكون حريصاً على حرية الغير في معتقده ، وابذل نفسي ، عند الضرورة ، دفاعاً عن حريته » .

« وعلى كل حال ، اما ان يكون لبنان كذلك او لا يكون . اقصد انه اذا ضيع لبنان ذاته هذه لا يعود من مبرر انساني لوجوده . قد يكون وطناً آخر ، كسائر الأوطان ، وطن مسلمين او وطن مسيحيين ، ولكنه يبطل ان يكون لبنان الأصيل صاحب الرسالة التاريخية العريقة » .

ومن « جوهر الوجود اللبناني » ينتقل رئيس الكتائب الى الميثاق الوطني وفلسفة العيش داخل لبنان ووجوب الانصهار التام « في البوتقة اللبنانية » .

كيف ؟ .

« ان الميثاق الوطني لم يكن قط ـ كما يدأب البعض على وصفه منذ سنوات مجرد تسوية بين فريقين يتنازعان المراكز والمناصب والوظائف في الدولة . انما هو في الأساس وقبل كل شيء ، تكريس للاجماع حول امرين : اولهما الولاء للبنان ، وثانيهما التخلص من الاجنبي واقامة دولة سيدة مستقلة عن الشرق وعن الغرب » .

« وباطلة كل محاولة للنزول بالميثاق الوطني الى منزلة التعاقد البسيط العادي بين فريقين يختلفان على المنافع والمغانم . الميثاق ارفع من هذه المنزلة بكثير . انه تكريس لهوية لبنان اللبنانية وتعبير علني عن الولاء له » :

« اما جوهر الميثاق وموضوعه فهو لبنان السيد بطابعه وميزاته وخصائصه . والمسألة اللبنانية يوم كانت هذه المسألة قائمة ، ليست في ان يكون لبنان مستقلاً او لا يكون

فحسب ، بل كانت تتناول محتوى هذا الاستقلال وهذا الكيان وجوهره أيضاً . اذاً ما قيمة الكيان مثلاً اذا طغت عليه موجات الغرباء فماعت شخضيته . وما النفع من هذا الكيان اذا تغير طابع لبنان ووجهه الحضاري » .

« هذا هو جوهر الميثاق الوطني . والقول الذي يتردد من وقت لآخر ، بأنه وضع لفترة معينة ، او لمعالجة عوامل ظرفية ويقتضي وضع بديل له جديد ، ان هذا القول يعبر بنظرنا عن واحد من امرين » :

ـ « اما عن جهل لهذا الجوهر او عن رغبة دفينة بالانقلاب على الميثاق والعودة بالبلاد الى الانقسام حول هوية لبنان وطابعه وشخصيته وقوميته . وفي كلتا الحالتين شر مستطير » .

اما تجربة سنة1943 ، فيقول عنها انها « لم تفشل » .

ويضيف :

« وتقودنا الصراحة الى الاعتراف بأن ثمة خيبة امل ، مريرة ، ترتسم على وجوه البعض من اللبنانيين ، بالنسبة الى ما يسميه هذا البعض « تجربة1943 » .

« وتفرض علينا الصراحة أيضاً ، الاقرار بأن ظاهرة الخروج على الميثاق الوطني ، هي في اساس خيبة الأمل ، التي جاءت كردة فعل طبيعية ازاء تجاوزات ومغايرات ليست في مصلحة لبنان ، ولا في مصلحة القضية التي كانت من اجلها هذه المغايرات والتجاوزات » .

« هذا الواقع بوجهيه المذكورين ، يشكل ، اذا استمر ، اساءة كبرى الى لبنان والى اللبنانيين كمجموعة . ولا يصح ابداً ، والواقع كذلك ، ان نقف متفرجين ، ونسكت على الضلال والانحراف في الناحيتين او نتردد في قول كلمة نعتبرها الحق والصواب ، ونعتبر الكفاح من اجلها واجباً مقدساً » .

« ان « تجربة1943 » لم تفشل ، خلافاً لما يتوهمه بعض بني قومنا . الا اذا اعتبرنا المدة القصيرة التي مضت عليها ، كافية للوصول بها الى اهدافها الكبرى » .

« والحقيقة ان اربعاً وعشرين سنة ، لا تعد شيئاً في حياة امة . هذا اذا سلمنا برأي من يقول اننا لا نزال حيث كنا قبل تشرين الثاني1943 على صعيد الولاء للبنان ، والمواطنية اللبنانية الصحيحة . فكيف اذا كان الواقع خلافاً لهذا الرأي بصورة تكادتكون قاطعة » .

وماذا حدث بعد تجربة1943 ؟ .

« اصبح لبنان دولة كاملة السيادة » :

وزنه في المحافل الدولية بوزن اي دولة ناجزة الاستقلال ،

يسكب في شرعة حقوق الانسان ، كثيراً من قلبه وفكره وتراثه . يلعب دوراً ، في بناء جامعة الدول العربية ، رئيسياً حاسماً . يجعل من ربوعه محطة عالمية للفكر والمال والاقتصاد ، ويمضي في بناء الدولة العصرية المنشودة ، القائمة على العلم والتقنية . يؤمن لابنائه دخلاً يحسده عليه كثير من دول الارض ، ويبني لنفسه ديموقراطية تبقى ـ على سيئاتها وعيوبها ، النافذة الوحيدة الى الحرية في هذا الشرق . يحقق معجزة التأليف بين المذاهب والطوائف . ويستعيد اللبناني شخصيته وثقته بهذه الشخصية ، ويخفق العلم اللبناني فوق ربوعنا كلها ، عنوان وحدة وطنية ، ان لم تكتمل بعد ، فهي هدف الجميع ومحط آمال اللبنانيين كلهم .

« فهل يحق لنا بعد هذا كله ان نطعن في التجربة ـ المعجزة ، ونجردها من كل ما هو حلو وخير وجميل ، لنعيش مع النواقص والشوائب في مأتم دائم » .

« وعلى كل حال ، ولو صرفنا النظر عن كل هذه المحاسن ، ان « التجربة » هذه ، والميثاق الذي انبثق عنها ، هما من صنع عبقرية وفقت الى وعي مشكلة لبنان الاساسية توفيقاً عظيماً » .

« ونحن الذين ساهموا بقدر كبير في صنع هذه الصيغة الفذة الخلاقة ، ما زلنا عند ايماننا بها ، لا لأننا من بناتها ونغار عليها فحسب ، بل لأنها قطعت بنا شوطاً بعيداً في طريقنا الى الوحدة القومية الصحيحة . ونفضل المضي فيها ، مع كل مخاطرها على العودة الى نقطة الصفر ، الى الحالة التي تقلبنا فيها وكابدنا متاعبها قبل سنة1943 ، لنفتش عن حل آخر نجربه من جديد ، ويظل لبنان مختبر تجارب لا حد لها ، تقف عنده » .

بالاضافة الى هذا كله لدى الشيخ بيار ملاحظات حول الديموقراطية والنظام والادارة تتلخص بالآتي :

● نريد تطوير قانون الانتخابات وتعديله بما يعزز حرية الناخب ويحسِّن نوعية التمثيل .

● ان الاستيزار هو في أساس حالة القلق والبلبلة التي نعيشها .

● بات الحكم ، الى حد كبير ، بأيدي المديرين وسائر الموظفين . اما الوزراء فضيوف عليه او عابرو سبيل .

● ان تمرس المواطن بواجباته يقتضي له اعداد وتربية على جميع المستويات وعلى مستوى الفرد العادي بنوع خاص .

ان المساوىء التي تنخر جسم الديموقراطية عندنا تهددها في الصميم وتستوجب تضافر جهود المخلصين ورواد الديموقراطية البرلمانية بنوع خاص .

● الخلاص من ذهنية تسخير الادارات الرسمية للمآرب الغريبة احياناً ، والاهواء والمصالح الشخصية والمحلية في اغلب الاحيان .

● نظامنا ليس كاملاً والسيئات كثيرة والفساد باق في جوانب عدة . لكن هل هي كلها من صنع النظام ؟ ان كان النظام سببها او سبب بعضها المباشر ، فذلك يعني اننا لم نعش نحن هذا النظام ، ولم نكن امناء له . اننا نحتال ونتآمر عليه او نعطل مؤسساته بجهلنا وتخاذلنا .

● فلتكن ثورتنا ـ اذا كان لا بد من ثورة ـ باصلاح الذات وبتقويم النفس اللبنانية .

حياد لبنان والبوليس الدولي

يعزو الشيخ بيار دعوته لتحييد لبنان وتدويل هذا الحياد الى الخوف على لبنان اذا انهارت الجامعة العربية بعدما ارتبط بها كل هذه الأعوام .

ويتساءل : لماذا تثور ثائرة « الغيارى على العروبة » ؟ .

« قالوا ان تدويل حياد لبنان يفرض انسحاباً مسبقاً من الجامعة العربية . لكن هذا الأمر غير وارد على الاطلاق » .

« وقالوا ان الحياد هذا يعني انفصالاً عن الاسرة العربية » .

لكننا لم نفكر لحظة في ان لبنان يستطيع الانسلاخ عن اخوانه العرب ، ولا الحياد يوجب هذا الانفصال . فلا سويسرا ولا النمسا المحايدتان انفصلتا عن اوروبا ولا عن

حضارتها ، بل ان حياد الدولتين المذكورتين خدم اوروبا والانسانية اكثر بكثير مما كان يريده وينشده دعاة الوحدة الأوروبية انفسهم .

« وقالوا ان اثارة موضوع بهذه الأهمية والخطورة في هذا الظرف بالذات ، وفي مرحلة يحاول العرب فيها اعادة تجميع قواهم وامكاناتهم ، ليس فيها شيء من الحكمة والوفاء ، فضلاً عما يتركه الجدل حول هذا الموضوع من تصدع في وحدة اللبنانيين » .

« ولكننا نعرف ان الحروب تؤدي غالباً الى تغييرات اساسية في الأوضاع الدولية والسياسية ، بل ربما كانت هذه الحروب في بعض الأحيان اداة ووسيلة لهذه التغييرات . فلا يصح أبداً ، بعد الذي حدث وصار في الشرق الادنى ، وبعد الحالة التي استقرت عندها جامعة الدول العربية ، الا نفكر في مستقبل وطننا ومصيره ، وخصوصاً ان الحياد اللبناني هو لمصلحة العرب والقضايا العربية بقدر ما هو لمصلحة لبنان . فلبنان المحايد ، اقدر على خدمة العرب من لبنان الممزق بانعكاسات الخلافات العربية على اوضاعه الداخلية . هذا فضلاً عن ان حاجة الدول العربية اليوم ، الى ترجمان لدى العالم ، هي أشد من اي وقت مضى . ولبنان بمركزه وطبيعته ورسالته ومؤهلاته هو خير باب للعرب على العالم الخارجي » .

« فأين الجريمة اذن في ما قلناه ، لكي تقابل دعوتنا الجديدة بما قوبلت به ، لدى بعضهم من صد واجفال واستنكار » .

وأين الكفر والهرطقة ، اذا كان حياد لبنان مشروطاً باجماع اللبنانيين حوله ، وهو امر بديهي .

وهل من سبيل للوصول الى هذا الاجماع ، غير الحوار الهادىء الرصين ، يساهم فيه كل اللبنانيين ؟ .

وعندما كان العميد ريمون اده يطالب بالبوليس الدولي « لحماية الحدود الجنوبية من الاعتداءات الاسرائيلية » ، منذ سنة وبضعة اشهر ، كان وحده في الساحة برغم ان الحلف كان في اوج عزه . وكان الشيخ بيار الجميل يكتفي بالصمت . لا يوافق ولا يرفض . واذا سئل يزم شفتيه ، يبتسم ، ولا يجيب .

الا انه في مطلع سنة السبعين بدأ يحكي عن البوليس الدولي و « الفرق بين الحماية الاجنبية والحماية الدولية » . ثم اخذ يلاحق الموضوع في كل تصريح يدلي به حول الوضع الراهن والحالة السائدة الجنوب. ثم أخذ يطرح الموضوع على انه اقتراح برسم الجميع

ورهن بموافقة الارادة اللبنانية والعربية ، « ومن الضروري مناقشته بعيداً عن الأهواء والمزايدات ، والاتفاق على طلب البوليس الدولي لأن العدو الخارجي يطمح في قسم من اراضينا ، بينما العدو الداخلي يهدد الكيان اللبناني برمته » .

وقد لوحظ ، بكثير من الدهشة ، ان الذين كانوا يتبرعون في الرد على عميد الكتلة الوطنية برفض اقتراحه ، لم يتصدوا لاقتراح رئيس الكتائب اللبنانية ولم يقولوا رأياً فيه . لماذا ؟ ربما لأن الذين كانوا يثورون ضد اده لم تكن ثورتهم على اقتراح طلب البوليس الدولي بقدر ما كانت على صاحب الاقتراح واظهاره بأنه « يحب العسكر الاجنبي » .

في السابع والعشرين من شباط 1970 قدم وزير الاشغال العامة الى مجلس الوزراء مذكرة يقترح فيها مناقشة طلب البوليس الدولي رسمياً والعمل على اقناع من لم يقتنع بفوائد وجود قوات دولية على الحدود الجنوبية . وارفق مذكرته باسباب موجبة . وفي ما يأتي نص المذكرة :

« جانب مجلس الوزراء ،

حضرة الزملاء الكرام ،

الشرق العربي يواجه معركة الحق والكرامة والصراع العسكري يتصاعد منذراً بمعارك شاملة نتيجة لعدم تطبيق قرارات مجلس الأمن منذ ثلاث سنوات وعدم فعالية اجتماعات الدول الكبرى المسؤولة عن تطبيق هذه المقررات .

العدو الصهيوني يهدد حدودنا الجنوبية في اي وقت وثرواتنا التجارية والسياحية تستنزف والفوضى الاجتماعية بدأت تسفر عن وجهها

والرأي العام يرى المخاطر تحيق بالبلاد وهو يتلمس طريقاً للخلاص والمواطن بدأ يستسلم لحالة من القلق وعدم الثقة .

لمواجهة هذه الأحداث الجسيمة وتحسباً لمضاعفات ونكسات أشد وايماناً بخلود لبنان وطاقاته المعنوية اللامحدودة التي فرضت وجوده منذ فجر التاريخ وتمسكها برسالته العربية وبمبادىء التعاون الاخوي الفعال مع اشقائه اشتركنا واياكم في تحمل مسؤوليات الحكم في هذه المرحلة العصيبة من تاريخنا محافظة على استقلال هذا البلد وازدهاره ومستقبل بنيه .

يتمتع بلدنا بقوة معنوية كبيرة في العالم كانت وما تزال اساسا في منعته وصموده .

ان هذه القوة لم تكن في يوم من الايام مستمدة من طاقاته المادية او الحرية المحدودة بل من علاقاته الودية والاقتصادية والثقافية والعمرانية بكافة دول العالم ، ففي معظم الدول لنا جاليات فرضت احترامنا وشددت اواصر الصداقة بين لبنان واوطان الاغتراب .

وفي مختلف الميادين العلمية والثقافية والدينية برزت اسماء لبنانية في ارجاء من ارقى دول الارض .

كنا من مؤسسي منظمة الامم المتحدة والجامعة العربية والكثير من المؤسسات العالمية ، وقد ساهمنا في الكثير من المشاريع العمرانية والانسانية العالمية فكان لنا طيب الاثر .

احترمنا الروابط والاتفاقات الدولية فكان لنا من احترام الدول المتبادل وصداقاتها وتقديرها لوضعنا ومحبتها لنا ان اصبح لبنان مركزاً لكثير من المؤسسات الدولية وارتبط كياننا الى حد بعيد بهذه الروابط وبات لنا وضعا مميزاً في نظر العالم .

كنا اول من اثار المسألة الفلسطينية والخطر الصهيوني عندما بدأ اليهود يشترون الاراضي في فلسطين والكتائب كانت اول من نبه الى خطر الصهيونية على مياه واراضي لبنان الجنوبية .

ان هذه الطاقات المعنوية المعبأة دائما في خدمة لبنان والدفاع عن كيانه واستقلاله هي في رأيي اقوى من اية طاقة مادية اخرى وهذا لا يعني الدعوة لوقف التعبئة المادية والتجهيز العسكري بل المضي به ضمن الامكانات المتوافرة والحد الذي لا يشكل خطرا على حياتنا المعيشية العادية طالما ان تجاوز هذا الحد لا يؤدي وحده لدرء الخطر الصهيوني .

اننا نواجه في الواقع عدوين : المطامع الصهيونية من الخارج والانقسام والتناحر من الداخل .

العدو الخارجي يطمع في قسم من اراضينا الجنوبية ، والعدو الداخلي يهدد الكيان اللبناني برمته . وتجاه هذين الخطرين يقتضي ان نجد الوسيلة التي تمكننا من تلافي الخطر الصهيوني دون ان ينتقل الخلاف على هذه الوسيلة الى الداخل ويؤدي الى الاقتتال الطائفي الذي هو اشد خطورة على كياننا من القتال الخارجي اذ لا يجدينا نفعا اذا تمكنا من ايجاد الحماية للحدود ولم نجد الوسيلة لتوحيد صفوف المواطنين ونبذ التفرقة . ولذلك فان اي تدبير يمكن ان يتخذ لدرء الخطر الصهيوني يجب ان يقترن بموافقة الرأي العام اللبناني في اكثريته الساحقة بنسبة لا تقل عن التسعين بالمئة وهذه الحكومة تمثل بلا شك هذه النسبة

من الرأي العام ويمكنها على ضوء المصلحة اللبنانية والعربية ان تتخذ المواقف التي تراها مناسبة امام الله والتاريخ .

بهذه الروح وبهذا التفهم العميق لاوضاع الدول العربية الشقيقة التي جرحها الاحتلال الصهيوني ولوضع اخواننا الفلسطينيين المشردين عن ديارهم ، اطرح قضية البوليس الدولي ومشاركة الامم المتحدة في الدفاع عن ارضنا على مجلس الوزراء لمناقشتها .

ولا ارى مانعا يحول دون مناقشة هذا الموضوع ولماذا الخوف والحذر من مجرد البحث والمناقشة . اذ انني لا اطالب بالقبول بالبوليس الدولي بل اطلب ببحث هذه القضية في مجلس الوزراء واستعراضها من كافة النواحي . وانني التزم بما يتقرر بشأنها .

ومن البديهي انه لا يمكن تسليم هذه القضية للشارع لانه لا يعلم عندئذ من يستلمها ولاية غاية يستعملها وارى ان الوقت المناسب لبحثها في مجلس الوزراء الحالي الذي يمثل كما ذكرت تسعين بالمئة من الرأي العام اللبناني ويمكنه ان يفرض رأيه واحترام مقرراته اذا تمكن من ايجاد الصيغة التي توافق مصلحة لبنان والمصلحة العربية فنكون قد اعدنا لهذا البلد شيئا من امنه واستقراره بانتظار حل المشاكل الاخرى .

الشيخ بيار العربي

يقال ليس من مصلحة لبنان ان يرتبط بدولة اخرى للدفاع عن كيانه ولكن البوليس الدولي لا يمثل دولة معينة بل يمثل هيئة الامم المتحدة تلك الهيئة التي وجدت للدفاع عن الدول الصغيرة وحماية استقلالها وسيادتها والتي يعتبر لبنان مثالا ونموذجا لها .

ان حماية السيادة الوطنية للدول الضعيفة من مطامع الدول القوية كانت وما تزال سبب ديمومة منظمة الامم المتحدة فاذا فشلت في مهمتها فسوف تنهار كما انهارت من قبلها جمعية الامم ويقذف بالعالم في اتون الحرب .

ويقال ان طلب حماية البوليس الدولي تجاوز على الركب العربي واللبناني وحماية لاسرائيل وعزل لبنان عن العالم العربي في معركة المصير مع العدو الصهيوني .

كيف يكون ذلك طالما انه يقتضي للقبول بالبوليس الدولي ان توافق عليه الارادة اللبنانية والعربية .

وكيف يكون حماية لاسرائيل طالما ان خطر الاحتلال يأتينا من اسرائيل وكيف يكون عزلاً للبنان عن العالم العربي طالما اننا لن نقبل به الا اذا وافقت الارادة العربية عليه .

كل هذه الأمور لا يمكن رفضها او القبول بها سلفاً ودون مناقشة .

لذلك اعرض هذا الأمر للمناقشة على ضوء المصلحة العامة اللبنانية والعربية والواقع الذي نعيشه بعيداً عن أية اعتبارات او تأثيرات أخرى .

اعلم جيداً ان الاتكال على النفس هو الاساس في رقي الأمم ونهوضها ولكن الاتكال على النفس وحده لا يكفي سيما وان الامكانات محدودة ولا ننسى ان التعبئة المادية اذا تجاوزت حداً معلوماً فسوف تحرمنا من مشاريع حيوية عديدة نسعى وراءها كالمستشفيات والمدارس والاصلاحيات الاجتماعية التي لا تقل اهمية عن التسلح . ولو ان الحرمان في الداخل يكفي وحده للدفاع الخارجي لارتضينا به عن طيبة خاطر .

ان تعبئة الجهود في سبيل المشاريع العمرانية كان دائماً اجدى من التعبئة العسكرية فالأسلحة تندثر ويبطل استعمالها بسرعة . اما المشاريع الانسانية فتبقى خالدة ولا تقوى اية اسلحة في العالم على تدميرها . فاليابان والمانيا اصبحتا بعد الحرب من اقوى دول العالم عندما عبأتا كافة الجهود للقضايا العمرانية واما القوة العسكرية الهائلة التي كانتا عليها قبل الحرب فقد ظهر ضعفها امام الرأي العام وصموده ضد القوى الغاشمة .

ويجب الا ننسى ان الدول الكبرى قد تكون غير متحمسة لارسال بوليس دولي لحدودنا مع اسرائيل اذ ليس من السهل الحصول على ذلك اذا وجدنا انه في مصلحتنا ، ولا ننسى ان بلاداً اقوى من لبنان تقود الفكرة القومية والتحررية قد استعانت بالبوليس الدولي وبالامم المتحدة كما ان دولا كبيرة كاميركا وروسيا وفرنسا وانكلترا تستعين بالامم المتحدة وتستغلها في بعض الحالات لمصالحها تحت ستار اللجوء القانوني الى هيئة الامم . فلماذا لا نستعين نحن بهذه المنظمة التي خلقت لحماية الدول الضعيفة .

يقال ان البوليس الدولي ليس له اهمية مادية فهو لا يمنع الاعتداء والحرب ، قد يكون ذلك صحيحاً ولكن من الناحية المعنوية وتجاه كافة الدول نكون قد وضعنا شاهداً دولياً على حدودنا ليشهد على ارادتنا في تطبيق العدالة والسلام والمبادىء الدولية ، فيكون بذلك بمثابة الحارس المعنوي امام الرأي العالمي اذ انه رغم ظواهر القوة العسكرية فالعدالة والحق لهما قوتهما كما للمدافع والجيوش .

ولا يغيب عن بالنا ان الصراع في الشرق الأوسط قد يكون صراعاً بين الدولتين الكبيرتين اميركا وروسيا على النفوذ في المنطقة وليس بين العرب واليهود وبالتالي فإن هذا الصراع سيطول ويخلف وراءه الكثير من الدمار والدماء في سبيل مصالح الدول الكبرى .

والأمم المتحدة وجدت لردع الدول الكبرى كما ذكرت فلماذا لا نستعمل الوسائل التي يمكن ان تقدمها لنا . وهناك أيضاً اصحاب مصالح سياسية وايديولوجية لا يروق لهم ان يبقى لبنان على ما هو عليه كبلد نموذجي للحرية والحياة الديموقراطية . ولذلك فهم يشتركون عن قصد او عن غير قصد في المساهمة بتخريب الأوضاع اللبنانية .

على ضوء هذا الواقع المرير لماذا يقتضي ان نصرف 80 بالمئة من امكاناتنا لشراء الاسلحة والمعدات الرمزية عوضاً ان ننفقها في المشاريع العمرانية طالما ان هناك باباً آخر انفع واقوى يمكن اللجوء اليه .

هذا ما اطلب من الحكومة ان تناقشه بكل محبة وهدوء واعتبره حيوياً اساسياً بالنسبة للظروف التي نمر بها اكثر من اي موضوع آخر » .

يقول الشيخ بيار الجميل انه لا يمكن تشبيه لبنان بسائر البلدان العربية ، « ليس لأن ابناءه لا يدينون بمذهب واحد ، انما لأن للبنان شخصيته المميزة التي تكونت من التفاعل بين حضارتين ومدنيتين » .

اذن ، اين يقف لبنان رئيس الكتائب من العروبة كدعوة وقومية ومن البلدان العربية كدول وانظمة ؟ .

يقول وزير الاشغال العامة : « الذين يتوخون التدرج بنا من لبنان ذي الوجه العربي ، كما اتفقنا سنة 1943 ، الى لبنان العربي ، فالشعب العربي في لبنان ، عبثاً يتوخون . والذين يحاولون تمرير هذه النعوت والأوصاف لتمييع طابع لبنان الخاص عبر العقائد والأفكار الاجتماعية المستوردة عبثاً تذهب محاولاتهم » .

ـ والعروبة ؟ .

يجيب : « ان العروبة تمتزج بشخصيتنا ، لكن بالقدر الذي امتزجت بها وتفاعلت معها سائر العناصر والاعراق . ان لبنان جزء من العالم العربي . لكنه جزء من عالم لغة وثقافة ، ووضعه في العالم العربي كوضع كل أمة وكل بلد في العالم اللاتيني او العالم السكندينافي » .

« وهذا الواقع هو في اساس الخلاف حول عروبة لبنان . ان عروبة لبنان ، في نظرنا ، تقف عند حدود اللغة . اما العروبة كقومية فلسنا منها » .

ـ لماذا ؟ .

ـ « لأن لنا شخصيتنا وقوميتنا اللبنانية الصافية المجردة من اي نعت آخر يلصق بها او يضاف اليها . ولأن ثمة ديناً معيناً ، نجله ونحترمه ، يشكل جوهر العروبة كقومية ، بينما لبنان مجموعة اديان واعراق . ربما تكون عروبة بعض المثقفين علمانية ، مجردة عن العصبية المذهبية . لكنها علمانية نظرية تصورية ، واصحابها قلة في منطقة يعد ابناؤها بعشرات الملايين .

« ولأن « علمنة القومية العربية مستحيلة والدين هو جوهر هذه القومية بشهادة روادها وفلاسفتها ونذكّر هنا بأن لبنان هو البلد الوحيد بين جميع الدول العربية الذي لا ينص دستوره على دين معين للدولة او لرئيسها . والاعتقاد السائد حتى الآن ، ان ثمة مشكلة اقلية مسيحية في لبنان تعودت الاحتماء بالغرب يمكن تسوية مشكلتها بتطمينات تعطى لها بالنسبة الى مستقبلها في اطار الوحدة السياسية العربية كالتأكيد على تسامح الاسلام مثلاً او الوعد بنظام محلي خاص بلبنان يحفظ له بعض الاستقلال الداخلي ، تماماً كما يعلل به الاكراد في العراق اليوم . ولأن الواقع هو على هذه الصورة ، فعلاقات لبنان ببعض الدول العربية التي تتناقل الدعوة الى الوحدة السياسية ستظل مشحونة ابداً بالمتاعب والمشاكل » .

هذا كل بيار الجميل العربي ؟ .

بالطبع ، لا . هناك العلاقات مع الدول العربية وكيف ينظر اليها رئيس الكتائب .

مثلاً ؟ .

ميثاق الجامعة العربية .

ما رأي الشيخ بيار في هذا الميثاق ، وكيف يحدد من خلال سمات « لبنان ذي الوجه العربي » ؟ .

يقول : « ان ميثاق القاهرة نحن اردناه ولم يفرض علينا . وان ما حاولوا فرضه علينا وما وفقوا كان بروتوكول الاسكندرية . . اردنا هذا الميثاق واسهمنا في وضعه كي يكون ـ بعد الوحدة الوطنية اللبنانية وشرعة الأمم المتحدة ـ الضمانة الرئيسية الثالثة لهذا

الكيان . واردناه ايضاً مناسبة لاعتراف الدول العربية بالكيان اللبناني واستقلال لبنان ، واداة للخروج بهذا البلد الى ميدان التعاون الواسع الشامل مع الدول العربية » .

« اما الذين فهموا هذا الميثاق بأنه خطوة اولى تقودنا الى الدوران في فلك سوانا فهم على ضلال . ان جوهر الميثاق هو التعاون الصادق لا الوحدة . وفي كل مرة تجاهل العرب هذا الجوهر حصدوا النزاع والانقسام . وكلما فضلوا الوحدة على التعاون انعدمت الثقة واستشرت الخلافات » .

وبالنسبة الى علاقات لبنان بالدول العربية وما هي الاسس التي يقترحها الشيخ بيار الجميل للتعاون والتفاهم ، يفضل الصورة الآتية :

« ان أجلّ خدمة تؤدى للعروبة والدول العربية هي احترام ميثاق الجامعة العربية . لأنه ، اذا كانت الوحدة العربية ممكنة وطبيعية في منطق التطور ، فروح هذا الميثاق روحها وبابها ومنطلقها . واذا كان العرب عاجزين عن العمل بهذه الروح ، فهذا يعني انه ليست الوحدة مستحيلة فحسب ، بل ان التعاون يكاد يصبح مستحيلاً .

« في كل حال ، نأمل ان يعتبر العرب بما هدروه من جهود ذهبت سدى في سلسلة من التجارب كانوا بغنى عنها ، فنلتقي واياهم مجدداً حول ما نراه افضل صيغة للتعاون العربي وخير اداة لخدمة العروبة ، الا وهو ميثاق جامعة الدول العربية » . ونأمل أيضاً ان تدرك الشقيقة الكبرى مصر وسائر الدول العربية ان نجاح الجامعة العربية في تأدية رسالتها مرتهن الى حد كبير باستقلال هذه المؤسسة وحيادها .

« ولولا لبنان ، وما يأخذه عليه البعض من غلو في التمسك بشخصيته ، لجاء ميثاق الجامعة بغير الصيغة التي كتب بها والواقعية التي انزلت في نصوصه . بل ربما كان قد انحرف عن الحقيقة العربية في ذلك الحين ، تحت تأثير العاطفة والعصبية والهوس والاندفاع ، وفي بروتوكول الاسكندرية ابلغ دليل . ولو تصرف الجميع بروح الميثاق ، لكانت وحدة الصف العربي اليوم افضل بكثير مما كان يحلم به غلاة العروبة انفسهم سنة 1945 . وخطيئة بعض الذين اؤتمنوا على هذا الميثاق انهم توهموا ان مصلحة العروبة تقضي بتذويب « الشخصيات » العربية المتعددة في شخصية عربية واحدة » .

ومن الميثاق ، الرابط الأدبي بين لبنان والعروبة ، الى القضايا العربية وحاجتها الى لبنان وكيف يتم « الصلح » بين لبنان والعرب .

كيف ؟ .

في رأي رئيس الكتائب ان ما يحتاج اليه العرب والقضايا العربية « ليس قطعة اضافية من الأرض ، ولا كمية اخرى من الناس ، فضلاً عن ان الثروة الاقتصادية لا تنقصهم . فاصرار بعضهم على تذويب لبنان في الوحدة العربية ليست فيه اية خدمة للعرب ، ولا يخدم لبنان بطبيعة الحال . حاجة العرب وحاجة القضايا العربية اليوم ، وفي كل يوم ، انما هي الى لبنان السيد الحر المستقبل ، لبنان العقل ، لبنان الرسالة الانسانية ، لبنان الوثيق الصلة بالعالم وشعوبه كلها ، لبنان المغتربين ورسل القضية العربية في كل مكان وتحت كل سماء . وباختصار ، لبنان الذي اردناه نحن لا الذي يريد ان يصطنعه الهائمون وراء السراب .

« يطالبوننا ، مثلاً ، بالاعتراف بانتماء لبنان الى القومية العربية . وعندما لا نلبي طلبهم بسبب ايماننا القومي اللبناني ، نتهم بالانكماشية والطائفية والانعزال . وفي الحالات الانفعالية يتهموننا بالعمالة للأجنبي والاستعمار . رد الفعل هذا ، الذي يعبر عن اصرار لا مبرر له ، يزيد اللبنانيين حذراً ، كان ولا يزال حتى الآن في محله . وبخاصة لأن الدول العربية نفسها لا تميز بين العروبة والاسلام . حتى الأنظمة الموصوفة بالتقدمية فيها ما استطاعت ، حتى الآن ، ان تقوم الا على اساس قاعدة « دين الدولة الاسلام » . انها القاعدة الأولى في دساتير الدول العربية كلها . . . ما عدا لبنان » .

الجميّل وقضيّة فلسطين

يفترض الشيخ بيار الجميل ان الشيوعية استغلت النزاع العربي ـ الاسرائيلي حول قضية فلسطين وتسترت به لاقتحام منطقة الشرق الأوسط وايجاد موطىء قدم لنفوذها ومبادئها في المنطقة ، مؤملة من اعترافها باسرائيل ووقوفها اليوم الى جانب العرب ، خلق بؤرة اضطرابات تمهد لها الطريق الى اهدافها واغراضها .

ويقول : « لا يهمنا الآن مدى مساهمة الاتحاد السوفياتي والشيوعية في قيام اسرائيل يوم سارعت الى الاعتراف بها وتسهيل هجرة يهود اوروبا الشرقية اليها ، بقدر ما يهمنا استمرار الاتحاد السوفياتي في اعترافه بوجود اسرائيل بالرغم من تظاهره بتأييد العرب في نزاعهم مع اسرائيل .

« ان القضية ليست قضية مساحات ارضية اغتصبتها اسرائيل بقوة الحديد والنار ،

بل انها مسألة وجود اسرائيل بالذات او عدم وجودها ـ سواء انحصر هذا الوجود داخل خط الهدنة ام تجاوزه ام تقلص عنه . وبديهي ان من كان مع هذا الوجود هو ضد العرب وحقهم الواضح على الاطلاق .

« ولو بحثنا عن الفارق بين موقف الاتحاد السوفياتي من جهة ، وموقف سائر الدول المتهمة بمناصرة اسرائيل من جهة ثانية لما وجدنا ان هناك فارقاً ولو بسيطاً . الا اذا كانت صراحة الغرب في اعلان رفضه القاطع لازالة اسرائيل ، تختلف ، جوهراً ، عن مداورة الدول الشيوعية وتهربها من الكلمة الفاصلة عند هذه النقطة بالذات . هذا لا يعني اننا نسينا العون الذي قدمه الشرق لازالة آثار العدوان الاسرائيلي الاخير ، مادياً ومعنوياً .

« الا ان المشكلة ليست في محو اثار العدوان بقدر ما هي في الاعتراف باسرائيل او عدمه . وسواء ارجعت اسرائيل الى خطوط الهدنة ام بقيت في الأراضي التي احتلتها عنوة بعدوانها الاخير ، فالمشكلة باقية مطروحة على العرب واسرائيل والعالم كله . ولا فائدة من اعتراف دول الارض كلها باسرائيل ما دام العرب عند موقفهم . فاما ان تكون اسرائيل او لا تكون ، وهنا قلب المشكلة . بل ان الاعتراف العالمي باسرائيل ، باستثناء العرب ، دليل على ان العالم لم يفهم العرب ولم يع قضيتهم الأولى والكبرى .

« ان ما يعرفه العالم هو ان في الشرق الادنى وطنا لشعب ، كان مضطهدا ، فبنى في اقل من عشرين سنة دولة عصرية يهدد العرب بتدميرها . والسبب في ذلك ان هذا الشعب عرف كيف يطرح قضيته على سائر الشعوب فكسب عطفهم ، وان العرب تركوا الشيوعية تستغل خلافهم مع الغرب ، وتحرضهم عليه وعلى أممه المتقدمة ، لتزداد هذه عطفا على اسرائيل وازدراء للعرب .

« طبعا ، خطأ العرب هنا كبير من هذا القبيل ، والشيوعية العالمية اساءت كثيرا الى العرب والى حقوقهم ايضا . خطأ العرب انهم ذهبوا في تمردهم على الاجنبي الى حد العداء ، برغم كونهم في امس الحاجة الى صداقة الاجنبي وخبرته . بدليل انهم بعدما خاصموا الغرب كأجنبي لجأوا الى الشرق ، الاجنبي ، طلبا لمساعدته وخبرته .

« مع ان الخلاص من الاجنبي لا يكون بالعداء ، بل بتكثيف المعرفة لدى الفرد العربي وتعزيز خبرته ، ليصبح قادرا على الحلول مكان الغريب » .

هذا كل ما عند الشيخ بيار حول قضية فلسطين ؟

يجيب : « هذا بالاضافة الى ان معركة فلسطين ليست على ارض فلسطين وحدها ،

بل هي على الصعيد الدولي بالدرجة الاولى .

« انما ، وان اخطأ العرب ، وسمحوا للشيوعية العالمية ان تستغل هذا الخطأ ، فخطيئة العالم ، والغرب بنوع خاص ، ليست اقل ان لم تكن اكبر واعظم . والتاريخ لن يعذر عبقرية فجرت الذرة ، وربطت انسان الارض بالسماء وافلاكها ، وبقيت تجهل حقيقة مشكلة العرب مع اسرائيل .

« لان من يتوغل في صميم الوجدان العربي يدرك انه ، لا مرور الزمن يخفف من عداء العرب لاسرائيل ، ولا القوة المادية ترغمهم على الاعتراف بها .

« واسرائيل نفسها تعرف ، ان الزمن لا يبطل حق شعب في الحياة ، وهي التي لكي تقوم وتبقى ، تذرعت بحق مزعوم لليهود في فلسطين يعود الى الفي سنة .

« وان عشرين سنة من وجودها ، لا تعد شيئاً ، لا بالنسبة لوجودها كدولة وامة بالذات ، ولا بالنسبة لشعب فلسطين ايضاً .

« اما القوة ، فشأنها شأن الزمن أيضاً . فقد تخضع شعباً ، او شعوباً ، سنة ، وسنتين ، وعشرات السنين . ولكنها لا تستطيع ان تحول حقد المغلوب على الغالب الى محبة او رضى .

« نحن نقر ونعترف بأن عرب اليوم متخلفون ، وعدوتهم اسرائيل متقدمة لكن الى متى يدوم هذا التفاوت ؟ وهل فكرت اسرائيل ودول العالم المسؤولة ، في ان العرب لن يظلوا مسمرين في تخلفهم ، بعد ان بدأوا ينفتحون على العلم والعالم ؟ .

« وما سوف يكون مصير اسرائيل ، في العام الألفين مثلاً او ما بعده ، وقد نفض المئة مليون عربي نير التخلف عن اكتافهم ، وتمكنوا من العلم في شتى مجالاته ، بينما الحقد في قلوبهم قد رسخته السنون ، وعزز من قدره الشعور الدائم بالنكبة والانكسار ؟

الا يعد وجود اسرائيل العنصري هذا ، في قلب الشرق العربي ، مجازفة بشعب اسرائيل نفسه ، وقد اراد العالم انصافه وايواءه في وطن ودولة ، وتهديداً للسلام مستمراً في الشرق والعالم » .

على صعيد الحل ، حل مشكلة فلسطين ، هذا هو رأي الجميل :

« نقول كل هذه الاشياء دون اي انفعال ، وبمعزل عن اية عصبية او كراهية ، بل لنعبر عن نظرة لنا موضوعية بالنسبة لقضية فلسطين ووجود اسرائيل فوق ارضها .

« ان هذا الصوت ، هو من صميم بلد عضو في الاسرة العربية طبعاً ، ولكنه صوت انسان ، مع ايمانه الكامل بحق العرب في فلسطين ، لا يضمر اي حقد لليهود كشعب له الحق في الحياة ايضاً .

« ولكن هذا الحق هو واحد بالنسبة للشعوب كلها ، تتساوى فيه بصورة مطلقة . فإذا كان لبني اسرائيل حق بوطن ودولة ، فهو باطل اذا قام على حساب حق شعب آخر .

« ان اسرائيل نفسهامسؤولة عن ايجاد حل لوجودها وعلاقتها بالعرب . واول ما يطلب منها ، وهي التي عرفت كيف تطرح قضيتها على العالم ، الا تحجب عن العالم حقيقة الوجه الآخر من المشكلة .

« ان الشعور بالظلم والهزيمة والحقد يهز العرب في كل اقطارهم ، سيظل سيفاً مصلطاً فوق رأس اسرائيل ، يمنع عنها الطمأنينة والاستقرار .

« اجل ، انزلت اسرائيل بالعرب ثلاث هزائم في اقل من عقدين من السنين . ولكنها ، بالنسبة لوجودها في هذا الجزء من العالم ، ما كسبت سوى الحقد المتزايد ، والرغبة في الثأر والانتقام ، وما افادها شيء ان تعترف الدول الأخرى بوجودها .

« ومن يدري ، فقد تتبدل الأمور ، وتتغير الظروف ، فتنقلب السياسة الدولية من مساندة اسرائيل الى مؤازرة العرب . لأن ما ليس طبيعياً ، قد تفرضه السياسة هذه ردحاً من الزمن ، ولكنها لا تستطيع ان تجعل منه واقعاً دائماً والثغرة الغريبة التي تشكلها اسرائيل في قلب العالم العربي ، ستظل غريبة عن طبيعة هذه المنطقة وروحية شعوبها وتقاليدها . واستطراداً ، انها واقع غير ثابت وغير مستقر ، ومصدر احتكاك دائم ، لا هو في مصلحة العرب واسرائيل ، ولا هو لخير العالم بطبيعة الحال .

« يسألوننا عن الحل ؟ .

« لكن بداية كل حل ان يقتنع العالم والدول المسؤولة فيه ، بعقم الصيغة الحالية وفسادها وشرورها .

« وعندي ، انه لو كان لاسرائيل ، بعد تجربة العشرين سنة ، ان تعود الى نقطة الاختيار بين هذه الصيغة ، واي صيغة اخرى ، لسعت بالتأكيد الى حل آخر بديل .

« وفي بداية كل حل أيضاً ، ان يفهم العالم والدول المسؤولة ، النفسية العربية

على حقيقتها ، طالما ان نفسية شعب اسرائيل معروفة ومفهومة . وخطأ الدول هذه ، انها ما وعت سوى جانب واحد من المشكلة » .

الشيخ بيار الفدائي

يقول رئيس الكتائب ان قضية العمل الفدائي هي في صلب قضية فلسطين ومتلازمة معها الى حد انهما قضيتان في قضية واحدة . « ان السياسة الدولية افترضت بعد الحرب الكونية الأولى ان الشعب الفلسطيني بحاجة الى رعاية دولة متقدمة تقود خطاه نحو الاستقلال ، فكان ان تصرف الوكيل بالوصية على هواه واهباً ارض فلسطين ليهود العالم دون استشارة احد ولا حتى اصحاب الارض الاصليين على الاقل » .

ماذا كانت النتيجة ؟ .

طرد الفلسطيني من بيته ، بيت اجداده ، ليمضي عشرين عاماً واكثر وهو يرنو بعين دامعة وقلب مكسور الى مراتع الصبا وارض الآباء والاجداد . ولما رأى ان كل يوم يمر يباعد بينه وبين حقه الضائع ثار ، وكانت ثورته طبيعية ومرجوة . فأما ان تعود له ارضه او يموت . فكانت حركة الفدائيين » .

فما هو موقف الشيخ بيار من هذه الثورة التي يصفها بأنها محقة ومباركة ، « والفلسطينيون شعب شقيق ثلثه على الاقل يقيم بيننا نقتسم معه الرغيف » ؟

ـ « موقفي ؟ انه موقف التأييد والدعم الكاملين ، واي موقف آخر لا يكون طبيعياً على الاطلاق » .

لكن هناك « ولكن » بالنسبة الى من يقرر نوع هذا التأييد وشكله ومقداره ومداه : « نحن ام الفدائيون » ؟ .

يقول :

« اذا تركنا الأمر للمنظمات الفدائية القينا على عاتقها مسؤولية مصيرنا ووجودنا وسلامتنا بالذات . وهذا نوع من التخلي والهروب من قبلنا ، فضلاً عن ان هذه المنظمات لا تستطيع ان تتحمل تلك المسؤولية ، حتى ولو ربطنا مصيرنا كله بمصير المقاومة او الثورة الفلسطينية . لأنه ان انهار لبنان او ضاعت حدوده الجنوبية ، فقدت الثورة الفلسطينية شيئاً

اساسياً من وجودها وقدرتها ، وخسرنا نحن ، بطبيعة الحال ، وجودنا او بعضه على الاقل . ان مثل هذه الاستراتيجية ليس فيها ذرة من الحكمة وهي اقرب الى الانتحار منها الى الفداء .

« اذن ، لبنان نفسه يحدد واجباته نحو الثورة الفلسطينية والحركة الفدائية بنوع خاص . ولبنان ليس عشيرة ولا قبيلة ، انه دولة ، وللدولة مؤسسات دستورية تعمل باسم الشعب وبالنيابة عنه ، وفي ضوء امكاناته ومصالحه الاساسية بطبيعة الحال ، التي ترتبط هي ايضاً بمصالح الشعوب العربية ومنها مصلحة شعب فلسطين .

« انا لا اصدق ، ان لبنانياً واحداً ، مهما غالى في عروبته ، يمكن ان يفكر غير هذا التفكير ، او ان يعتمد غير هذا المنطق اذا نظرنا الى القضية بموضوعية ودون انفعال .

« ان التفاهم بين اللبنانيين حول قضية الفدائيين ليس مستحيلاً . فلكي يتعذر هذا التفاهم حتى الآن ، ولكي يصل اللبنانيون الى هذا الاستسلام المخيف للأزمة ، والى ذلك الاصرار العنيد الأعمى على المواقف المتباينة ، بينما نرى بلادنا تندفع بسرعة مذهلة نحو الكارثة والهلاك . . . لكي يستمر هذا الواقع الرهيب ينبغي ان نكون مجانين ، او ضحية محاولة جهنمية تستهدف تخريب لبنان ونفسية اللبناني بنوع خاص . لقد بت واثقاً من ذلك منذ ان بدأت اسمع بعض المواطنين يعلن تصميمه على الرحيل يأساً من قدرة هذا الوطن على البقاء . . .

فكم يجب ان تكون حالة اللبناني مؤسفة لكي يعرب لي احدهم عن ارتياحه مثلاً لأنه لم يرزق بنين يخاف عليهم من سوء المصير في لبنان .

« يأخذون علينا موافقتنا على اتفاق القاهرة وقد اسهبوا كثيراً في شرح هذه المآخذ . والذي اود ان اوضحه هو ان اتفاق القاهرة ليس اتفاقاً بالمعنى الحقوقي القانوني . ولا يحمل بالتالي طابع الاتفاقات التي تعقد بين دولة واخرى . واود ان أؤكد ايضاً ان الكتائب ما من مرة وافقت على انطلاق العمل الفدائي من لبنان او تنسيقه او الاعتراف بوجوده .

واتفاق القاهرة واقع فرضه وجود350 الف لاجىء فلسطيني في لبنان تحركوا جميعهم بعد حرب حزيران وثاروا ضد الوجود الاسرائيلي بتوجيه القيادات الفدائية . واصطدم الفدائيون خلال الأزمة الطويلة المعروفة بالجيش اللبناني وبدأت النذر تشير الى احتمال وقوع حرب اهلية في لبنان تبدأ باصطدامات بين الفلسطينيين والجيش وتنتهي بانقسام اللبنانيين وبالتالي اصطدامهم . وكان كل شيء يؤكد ذلك من تأييد الدول العربية

للفدائيين الى وقوف المسلمين في لبنان معهم الى انتشار السلاح بين ايدي الـ350 الف لاجىء .

وارسل لنا الله بعدما وصلنا الى حافة الحرب الأهلية الهاماً للاتفاق مع الفدائيين بواسطة اصدقائنا ومن بينهم سيادة الرئيس جمال عبد الناصر الذي لأول مرة بعد خصوماتنا المعروفة معه تفهم وضعنا وتدخل للوساطة التي ادت الى وضع اتفاقية القاهرة هذه الاتفاقية التي اوقفت الحرب الأهلية بين الجيش واللاجئين دون ان تلزمنا بالاعتراف بالعمل الفدائي .

وقد احطنا هذه الاتفاقية بالسرية التامة لأن اعلانها كان سيؤدي الى فتح الطريق على بعض السياسيين الذين يتصيدون الاخطاء من الحكومة لشن الحملات عليها وقد قبلنا بالمشاركة في الحكم لأن الاتفاقية لم تعترف بحرية العمل الفدائي واسهمت من ناحية ثانية في منع الحرب الأهلية الى جانب اننا نفضل ان نراقب تنفيذها ونحن في الداخل بدلاً من ان نقف خارج الحكم ونرسل الاتهامات والانتقادات دون ان نرتكز الى الحقائق والوقائع » .

نتعرف على الجهات التي تقف وراء هذه المحاولة التخريبية بمجرد الجواب عن هذا السؤال : من المستفيد من الواقع النفسي الراهن ؟ .

ليس الفدائيون طبعاً ولا الثورة الفلسطينية ، ولا العرب ، ولا اية فئة من الفئات اللبنانية .

هذا اليأس الوطني لا يخدم الا تياراً واحداً ، انه التيار الماركسي الذي يتستر الآن بالعمل الفدائي في حربه على لبنان بوصفه المعقل الوحيد تقريباً للحرية والديموقراطية في هذه المنطقة المضطربة من العالم » .

« فنحن لا نفهم كيف يمكن التوفيق بين الاستقلال والسيادة الوطنية من جهة ، وبين استيلاء الفدائيين عنوة على جزء من ارضنا وتصرفهم بحدودنا تصرفاً يعرض سلامتنا ، بل وجودنا بالذات ، لخطر اكيد واضح ، من جهة ثانية ـ واقول « عنوة » لأن لبنان لم يوافق على الاستيلاء والتصرف الكيفي ، لا رسمياً ولا شعبياً . فالموافقة الرسمية تصدر عن مؤسسات الدولة : رئيس الجمهورية ؛ الحكومة ، مجلس النواب ـ والموافقة الشعبية تتبلور قبولاً صريحاً واضحاً يعبر عنه بشكل او بآخر . في الحالة الأولى ، هناك رفض صريح للأمر الواقع وفي الحالة الثانية انقسام شعبي : نصف اللبنانيين على الاقل يعتبر الواقع المذكور احتلالاً مسلحاً بالمعنى الصحيح والنصف الآخر يتأرجح بين هذا الموقف وموقف آخر عجز حتى الآن عن تفسيره وتبريره .

هذه هي عقدة المأساة التي نعيشها منذ اشهر . بل عقدة تلك السلسلة الطويلة من المآسي التي تتوالى الواحدة بعد الأخرى ، منذ فجر الاستقلال حتى اليوم .

ولكن العقدة هذه يجب ان تحل بطريقة او بأخرى ، وينبغي ان يسدل الستار قريباً على هذه المأساة .

اما كيف يكون ذلك ، فلا نزال ، من جهتنا ، نؤمن بالحوار اذا اقترن وامتزج بالاخلاص والمحبة ، وشرط ان يضع كل فريق من فريقي الحوار نفسه مكان الفريق الآخر ، وعده مخلصاً صادقاً لا خائناً او عميلاً متآمراً » .

وبمعزل عن ذلك كله يقول الشيخ بيار الجميل انه مع تأييده المطلق للعمل الفدائي لا يمكنه ان يقبل « ولا يعقل ان اقبل بأن يكون ضرر هذا العمل على لبنان اكبر بنسبة مئة مرة مما يضر باسرائيل . فانا افهم ان يكون هدف العمل الفدائي تخريب مصالح اسرائيل والحاق الضرر بها ، لكني لا افهم ولا يمكن ان افهم ان يكون التخريب مسرحه لبنان وان تكون مصالح لبنان هي المستهدفة . وهذا هو الواقع حتى الآن ، كما يؤكد ذلك الخبراء العسكريون والاختصاصيون » .

بطاقة هوية

ولد الشيخ بيار امين الجميل اول تشرين الثاني سنة1905 في المنصورة (مصر) .

دروسه الابتدائية والثانوية في كلية القديس يوسف .

نال شهادة الصيدلة من معهد الطب الفرنسي في بيروت سنة1936 .

اسس حزب الكتائب سنة1936 مع الرئيس شارل حلو والسادة جورج نقاش ، شفيق ناصيف واميل يارد .

انتخب رئيساً للحزب سنة1937 واعيد انتخابه حتى اليوم .

جرح وسجن مراراً خصوصاً سنة1937 وسنة1943 .

تولى قيادة حزبي الكتائب والنجادة والحركة الشعبية طول ايام ثورة الاستقلال ، وتعرض خلال تلك الفترة لمحاولة اغتيال كما اصيب بجروح وادخل السجن مع عدد من رفاقه .

قام بدور بارز في ثورة1958 وقاد الثورة المضادة .

تشرين الأول سنة1958 دخل الحكم للمرة الأولى ، فتسلم ، في الحكومة الرباعية ، حقائب4 وزارات هي : الاشغال العامة والنقل ، التربية الوطنية ، الزراعة والصحة العامة .

7 تشرين الأول سنة1959 اشترك في حكومة الثمانية فتسلم حقيبة وزارة الاشغال العامة والنقل .

أول آب سنة1960 اشترك في حكومة الـ18 وتسلم حقيبة وزارة المال .

20 أيار1961 اشترك في حكومة الـ18 وتسلم حقيبتي وزارتي المال والصحة العامة .

31 تشرين الأول سنة1961 عين وزير دولة ووزيراً للاشغال العامة .

4 تشرين الثاني سنة1961 اشترك في حكومة الـ14 وتسلم حقيبة وزارة الاشغال العامة والنقل ، وكلف التعاون مع وزير المال في وضع الدراسات الرامية الى تنظيم الشؤون المالية في البلاد .

15 أيلول1962 عين وزيراً للاقتصاد بالوكالة ، ثم عين وزيراً للتصميم بالوكالة .

11 كانون الأول سنة1964 عين وزيراً للاشغال العامة والنقل في حكومة الـ 14 .

9 نيسان سنة1966 عين وزيراً للداخلية في حكومة الـ10 .

20 تشرين الثاني سنة1968 دخل حكومة الاربعة وعين وزيراً للداخلية والصحة العامة والبرق والبريد والهاتف .

26 كانون الأول سنة1969 عين وزيراً للاشغال العامة والنقل في حكومة الـ16 .

دخل النيابة للمرة الأولى سنة1960 عن دائرة بيروت الأولى واعيد انتخابه سنة1964 وسنة1968 عن الدائرة نفسها .

- في حياته النيابية ركز الشيخ بيار الجميل على ثلاثة امور : النظام الداخلي ، معضلة السير والاشغال العامة . بالاضافة الى امر رابع اثار تدخله وهو فقدان النصاب داخل المجلس . وقد خصص لهذه القضية7 دقائق . فاحتج على ظاهرة فقدان النصاب ودعا الى اتخاذ التدابير لتأمين النصاب باعتبار ان فشل الجلسات يشكل عاراً على المجلس والنواب معاً . كما اعلن استياءه لعدم تقيد النواب بالنظام في جلسة19 /1 /67 حيث اضطر النواب الى الانتظار ساعتين قبل افتتاح الجلسة .
- نسبة حضوره الجلسات النيابية بمعدل90 ٪ . القى14 خطاباً واشترك في العديد من المناقشات خلال الجلسات .

الرّيَاضي

رئيس الفرقة الكشفية في جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين .

لاعب وقائد فرقة الجامعة ، الفائز ببطولة بيروت لسنوات1924 ، 1925، 1926 .

اول حكم دولي للعبة كرة القدم .

مؤسس ورئيس الاتحاد اللبناني لكرة القدم .

نال البطولة الجامعية في سباق الدراجات العادية .

يتقن الملاكمة ، المصارعة الرومانية (كريغو) ، السباحة ، الكرة الطائرة ، الفروسية والرماية .

أسهم في تحقيق انشاء الملعب البلدي والمدينة الرياضية وقصر الرياضة والصالات المسقوفة في المدينة الرياضية .

مشاريعه

عمل الشيخ بيار الجميل خلال وجوده في الحكم على تحقيق سلسلة من المشاريع العمرانية والاجتماعية . وقد نفذ بعضها اما البعض الآخر فلا يزال قيد الدرس . ومن اهم المشاريع التي ساهم في وضعها وتنفيذها :

1 ـ الضمان الاجتماعي .
2 ـ التعليم الابتدائي المجاني .
3 ـ وضع تصميم شامل لتعميم المياه والكهرباء والطرق .
4 ـ المدينة الحكومية .
5 ـ المعرض الدولي في طرابلس .
6 ـ تعديل قانون العمل .
7 ـ مشروع تدويل حياد لبنان .
8 ـ جامعة اللبنانيين في العالم .
9 ـ نقل المدافن الى خارج العاصمة .
10 ـ بناء المساكن لذوي الدخل المحدود .
11 ـ تنظيم استيراد الادوية وتسعيرها .
12 ـ المحجر الصحي البيطري .
13 ـ الشارات الكهربائية الأوتوماتيكية للسير .
14 ـ الحوض الثالث في مرفأ بيروت .
15 ـ مرفأ جونية .
16 ـ الصندوق المتجول .
17 ـ اقتراح مشروع بوضع بوليس دولي على حدود لبنان .

الأوسمة

- وسام الأرز الوطني من رتبة فارس .
- وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط .
- وسام الجهاد الوطني .
- وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة فارس .
- وسام جوقة الشرف الفرنسي برتبة ضابط .
- وشاح النيل .

- وسام الاكاديمية الملكية البولونية .
- وشاح الشرف والاستحقاق الاكبر لجمهورية هايتي .
- وسام الجمهورية البولونية برتبة كومندور .
- وشاح الجمهورية البولونية .
- وشاح القديس غريغوريوس الاكبر من قداسة البابا .
- وشاح النيل .
- وسام الاستحقاق اللبناني المذهب من الدرجة الأولى .
- وسام الاستحقاق اللبناني من الدرجة الرابعة .
- الوشاح الاكبر من وسام نجمة افريقيا .
- الوشاح الاكبر للنجمة الساطعة من جمهورية الصين .

ميشال الخوري

راغب ومعتزل في الوقت نفسه .

يريدها ويسعى اليها ويعمل لها ، لكنه لا يقول ولا كلمة عنها وحولها .

صامت من نوع آخر
الشيخ ابن الشيخ ،

المتمرِّد على مؤسس الاستقلال ، المعترض على اسلوب العائلة وسياسة بشارة الخوري والسلطان سليم ، الطامح الى كتابة صفحة « خوريَّة » جديدة منذ نشأته .

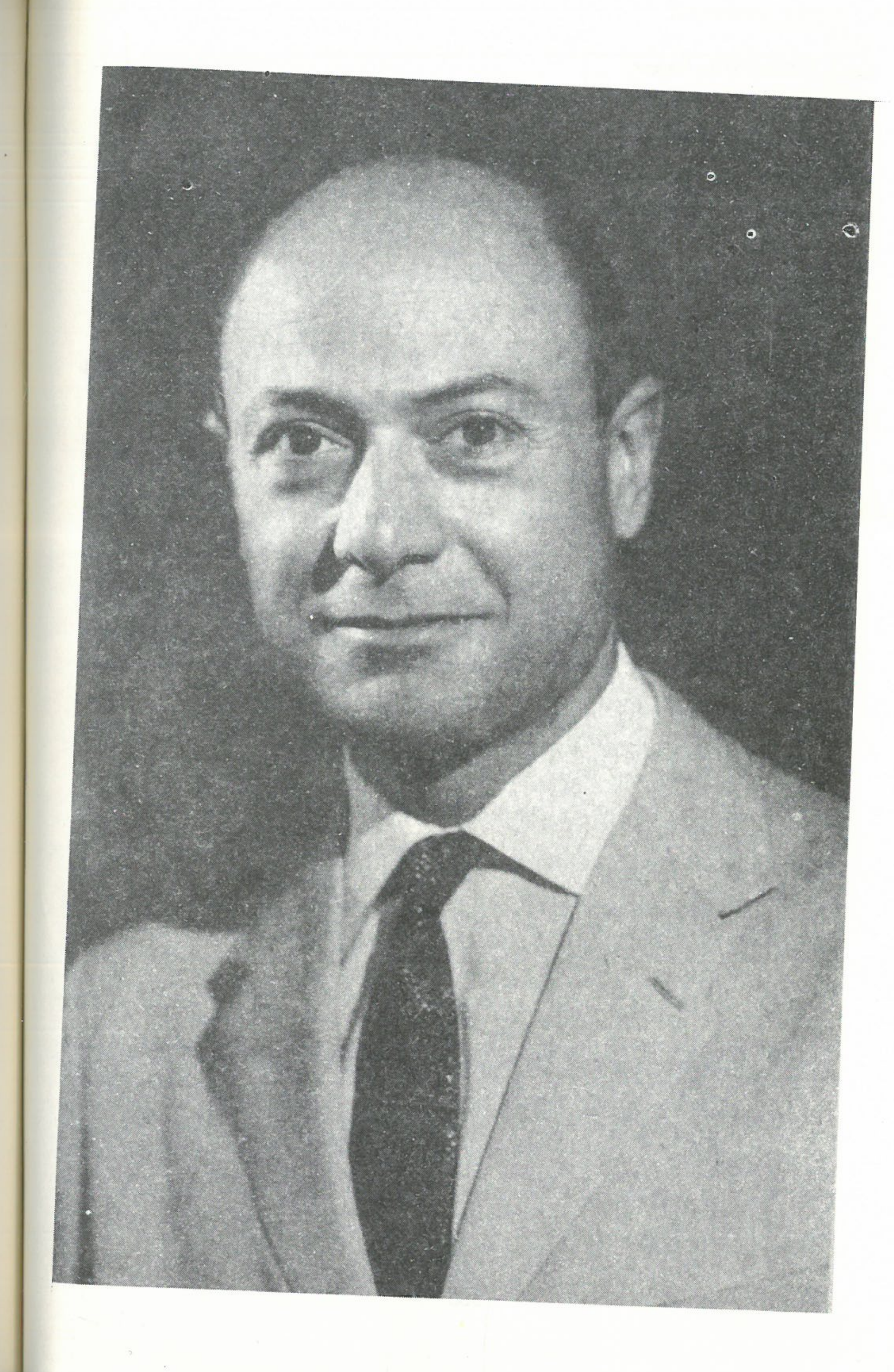
حاكم مصرف لبنان ، حيث كان يعتلي الرئيس الياس سركيس ، ومن حيث انتقل سركيس الى سدة الرئاسة .

وكان قبلاً رئيساً للمجلس الوطني للسياحة حيث كان « عرين » الرئيس شارل حلو .

ومع ذلك فإن الشيخ ميشال الخوري يهف قلبه على السياسة ولا يدنو منها الا متى بُحَّ صوتها في مناداته . ويهَفّ قلبه على الرئاسة ويعمل لها ، ولا يفصح عن هيامه حتى ولو برى الهيام جسده .

هذا اسلوبه .
بعيد عنهم جميعاً .

بعيد الى درجة تجعل الكثيرين يتساءلون كيف يمكن ان يدَّعي ، ذات ساعة ، وصلاً بالطموح الرئاسي . . . وهو على هذه المسافة من البعد .



الشيخ الابن . . . سرّ أبيه ؟

من هو ، ميشال الخوري ، في المعركة ؟ .

ثم ما هي لعبته ، وما هي القاعدة التي ينطلق منها ، ومن هم الذين معه ومن الذين يصنعون الرؤساء عادة ، ومن هم الذين ضده ؟ .

قد يكون ميشال الخوري الوحيد بين المرشحين لرئاسة الجمهورية الذي يلعب لعبته على أساس انه يحاول ملكاً فيصل او لا يصل فيكون على الاقل قد حاول . تحرَّك . سافر . زار . اجتمع . تحدَّث .

وقد يكون الوحيد بين المرشحين الذي أعلن انه مرشح للرئاسة ، وانه لا يجد ما يدعوه للخجل او فرفكة الايدي والقول « انا شو دخلني بـ هالمسألة » . لا . قال انه مرشح وانه يسعى ، وان لديه برنامج لرئيس الجمهورية .

على هذا بدأ الناس يرددون اسم ميشال الخوري كاحتمال كبير . حتى ان بعض المتفائلين لم يتردد في قبول التحدي والرهان . واحد مقابل واحد . عشرة مقابل مئة . مئة مقابل ألف . أخذ اسمه يلمع ويرهج ويقف على الشفاه .

وفي هذه الأيام يزداد اللغط ويزداد عدد المراهنين والمستفسرين .

لماذا الشيخ الابن ؟ .

السؤال يطلقه الذين يعتقدون ان المعركة ستكون معركة كسر عظم بين فريق وفريق . اي بين الشهابية وازدواجية عهد شارل حلو وبين الآخرين من بقايا الحلف ، ومن شمعونيين وادين و « انتي - شهابيسم » ، و« انتي - عسكريتاريا » ، و« انتي - اجهزة » ، و« انتي - ازدواجية وكابورالية » .

لماذا ؟ .

لأنه قد يكون احد اثنين تقع عليهما القرعة . فإذا حدث ما حدث فالرئاسة ، يقول الخبراء ، بين بيار اده وميشال الخوري .

بينهما ، والآخرون ؟ .

والمرشحون الكثر ؟ .

في كل حال سيكون لكل حادث حديث . ميشال الخوري يحاول ملكاً . وعلى هذا ، يقول المقربون والاصدقاء ، سافر الى لندن وباريس وروما والفاتيكان . وكان قد قام برحلة استطلاع الى اميركا وزار عدداً من المسؤولين في وزارة الخارجية الاميركية . اجتمع . تباحث مع المهتمين بشؤون الشرق الأوسط وعاد الى بعبدا .

ماذا في بعبدا ؟ .

يقال ان الرئيس شارل حلو هو القوة المباشرة التي يتكل عليها ميشال الخوري في معركته ، وان رئيس الجمهورية الحالي يسهر ويخطط ويرسم والشيخ الابن ينفِّذ .

واهتمام الرئيس حلو بمعركة ميشال الخوري لم يعد سراً على أحد ، ولا حتى على الياس سركيس ، الذي قيل ان حلو غطَّس له يديه في المياه الباردة وطمأنه الى انه سيكون الخلف اذا حالت الظروف دون عودة . . . « المعلم » .

ويحاول شارل حلو الآن تأليف « اكيب » خاص ، يضم بين عناصره فيليب تقلا واضرابه ، يتولى ادارة معركة الشيخ ميشال .

وميشال الخوري الذي مارس السياسة من غير أن يمارسها ، تتلمذ على خاله ميشال شيحا . عمل مساعداً له في مهمات رسمية وفي جريدة « لوجور » .

ثم مارس السياسة جدياً عندما جاء الرئيس فؤاد شهاب الى الحكم . ومن يومها أطلَّ ميشال الخوري من زاوية جديدة . صارت صورته تنزل الى جانب صور الذين يشار اليهم بالاصابع .

وفي عهد الرئيس حلو كبرت صورة ميشال الخوري وأطال الناس التأمل في ملامحها ، خصوصاً بعدما تولى وزارتي الدفاع والانباء في حكومة الرئيس كرامي (من 20 كانون الأول 1965 الى 30 آذار 1966) .

وكلما مر يوم ازداد عدد الذين يرددون اسمه . وكلما قام برحلة تزداد علامات الاستفهام حوله ، ويزداد الرئيس حلو تحمساً لمتابعة الشوط الى جانب ميشال الخوري .

ثم هو رئيس المجلس الوطني لانماء السياحة ، المنصب الذي شغله الرئيس شارل حلو قبل ان يعين وزيراً في حكومة الانتخابات(1964) وقبل ان يصبح رئيساً للجمهورية في المرحلة نفسها . ويقال ان تعيينه خلفاً لحلو كان بوحي من هذا الاعتبار .

الذين يدرسون الاحتمالات ويجمعون ويطرحون ثم يوزعون القسم والنصيب ، يقولون : اذا وجد الشهابيون ان عودة فؤاد شهاب ليست مضمونة ، وانه قد لا يعود ، فهم أمام اختيارين : الياس سركيس او ميشال الخوري . وسركيس الحاكم ، يبدو ان اسهمه في بعبدا قد وضعت على الرف بعدما جمعت من السوق .

ويوضح هؤلاء الصورة أكثر عندما يقولون ان مجيء الياس سركيس يعني انتصاراً للنهج وللشهابية ، ويعني في المقابل تحدياً للفريق الآخر ، ومن شأن ذلك ان يعيد أجواء صيف1964 ، ومن شأنه أيضاً ان يجعل الشهابيين يتريثون في تبني ترشيح ابن الشبانية .

هل يكون هذا الاحتمال في مصلحة ميشال الخوري ؟ ثمة من يعتقد ان ضغط الرئيس حلو وضغط الدستوريين قد يساعدان في ترجيح كفة ميشال الخوري على كفة الياس سركيس عند الرئيس شهاب .

وتكر سبحة الاحتمالات : واحد مع والآخر ضد .

ويقول القائلون انه لا يزال هناك متسع من الوقت لاعادة النظر واعادتها تكراراً قبل الانعقاد في مجمع . . . قد يكون هذه المرة أيضاً في الكارلتون !

أيلول1950 فجَّر ميشال الخوري قنبلة ضد عهد والده الشيخ بشارة . هاجم العهد . ألقى محاضرة في الندوة اللبنانية بعنوان « أفق لبنان » كانت موجهة بشكل خاص ضد عهد الاستقلال الأول الذي تلهى بامور ثانوية واهمل بناء دولة حديثة . قال في تلك المحاضرة ، التي حار الناس وحتى بشارة الخوري ورياض الصلح في تفسير اغراضها ودوافعها : « حققنا الاستقلال . وبعد ذلك ؟ ماذا فعلت دولة الاستقلال ؟ ماذا حققت على صعيد بناء الدولة وبناء الوطن وبناء المواطن ؟ لا شيء . عدنا الى الوراء . . . الى العادات العثمانية وعادات الاستعمار . عدنا الى الفساد والأهمال والانحطاط .

« فالذين ولدوا مع ولادة الاستقلال(1943) ينمون ويكبرون دون ان نبذل جهداً او نسعى بأقل واجب الى جعلهم لبنانيين حقيقيين » .

« مطلوب ازالة رواسب الماضي والتركة الثقيلة من الاساليب البالية الباقية من عهود الانتداب وما قبلها ، ومطلوب أيضاً ازالة حاجز لا أخلاقي هو عقلية « فرِّق تسد » .

وانتقل الشيخ الابن الى شن حملة عنيفة على الاستزلام والمحسوبية والرشوة والفساد : « في وقت قصير امتلأت الادارة بأناس من هب ودب . ناس برؤوس وناس من دون رؤوس . الموظف الفلاني من زلم السياسي الفلاني . والموظف الآخر مخلص لرجل سياسي نافذ .

« كل ما روعي في شغل الوظائف ان يكون الموظف محسوباً على فلان من السياسيين او زلمة فلان من المتزعمين .

« عدد قليل من الموظفين الصالحين يعملون ويجدون ويرهقون باعباء الادارة والمسؤولية ، بينما العدد الكبير والعدد الفائض من الموظفين غير الصالحين يتنعم على حساب الدولة ويستفيد من امكاناتها في الوقت الذي كانت الدولة بحاجة الى نهضة شاملة ، خصوصاً في الادارة حيث كانت الاساليب المن أيام الانتداب وقبله لا تزال سارية المفعول » .

وبالطبع قامت القيامة .

معارضو عهد بشارة الخوري وجدوا محاضرة ابنه شحمة على فطير ، فطنطنوا له ولها وتناقلوها على انها حجة دامغة ضد العهد . الا ان المحاضرة لم تنشر في الصحف التي كان يمكن ان تنشرها .

ولم يتردد رياض الصلح في اتهام ميشال شيحا بأنه كان وراء المحاضرة .

كما ان بعض غلاة ذلك العهد ردوا على هجوم الشيخ الابن باتهامه بأنه شيوعي خطر .

وفي محاضرة ثانية القاها في الندوة اللبنانية (أيار1961) شدد ميشال الخوري على أن المجتمع اللبناني غني بألوانه المختلفة . « لكن يجب ان يكون هناك عنصر يحقق خلق شخصية لبنانية جديدة ، تمكن لبنان من القيام بدوره في العالم العربي وتتناسب مع ما سموه ميثاق1943 » .

وانتهى الى القول « ان الطائفية تشكل أكبر حاجز في وجه التقدم ، لذلك يجب الغاء هذا الحاجز اذا كنا نريد للبنان ان يتقدم ويدخل عصر الخلق والابداع والروائع » .

لبنان ميشال الخوري

لا يعتقد الشيخ ميشال الخوري ان رئيس الجمهورية المقبل ، أي رئيس معركة السبعين ، سيكون رئيس الفرصة الاخيرة .

يقول القلقون : يسقط الرئيس الجديد هو ولبنان ، أو ينقذ لبنان وينقذ نفسه .

يرفض ميشال الخوري هذا الافتراض . يرفضه « لأنه قائم على اساس وهمي ومعطيات عاطفية غير دقيقة . ان لبنان يستند الى مقومات قوية ليس هيناً ضرب قواعدها . لذلك فإن هذا البلد سيستمر مستقبلاً والى زمن طويل » .

لكن ، برغم تفاؤله لجهة استمرار لبنان ، لا ينكر الشيخ « اننا نعيش اياماً صعبة في حياتنا السياسية وحتى الدستورية والنظامية . لكن اعتقد ان كل مجتمع عنده مشاكله ، وان كل مجتمع عنده القدرة على حل هذه المشاكل . تبقى النيات والاستعدادات الشخصية . هذا شيء آخر » .

يحكي بحذر . يتحفظ في ابداء الرأي . يجب ان يدرس ويأخذ وقته في درس كل سؤال قبل ان يجيب .

تتفاجأ بابن أول رئيس جمهورية في عهد الاستقلال وهو يحدثك عن عهد الاستقلال وعن منجزاته وكأنه كان لو كان غير ما كان :

« عندي لوم دائم لصانعي الميثاق الوطني . تركوه غامضاً . تركوا الناس يختلفون حول تفسيره ويتفقون على عدم تفسيره . مطلوب ميثاق جديد حول اهداف جديدة بين جميع اللبنانيين . مطلوب أيضاً انتصار على هذه الانهزامية في النفوس والأعمال والارادات . تأمين فرص التقدم للجميع بحيث يصبح بالامكان التحدث عن مستوى معيشة » .

بالنسبة الى الترشيح لمعركة الرئاسة قال : « لا اعتبر نفسي مرشحاً . انما عندما توصلني البلاد الى سدة الرئاسة فإني اقبل هذا الشرف بكل سرور . الا انني شخصياً لا اسعى الى ان اصل الى الرئاسة ، لأني لا أؤمن بأن الانسان أو المواطن اللبناني يجب ان ينتهي عند كرسي الرئاسة . عملت رئيساً . عال . وبعد ؟ فالرئاسة وسيلة لتحقيق بعض الأفكار ، لذلك اطمح الى ان يصل نوع من التفكير الجديد ، بواسطة أي شخص او مجموعة ، كي يحدث التغيير الذي اريده . مستعد للكفاح من أجل فكرة سياسية وهدف

نبيل . أعود فأقول : رئاسة الجمهورية ليست نهاية الطموح عندي » .

لدى ميشال الخوري ، رئيس المجلس الوطني لانماء السياحة ، صورة واضحة عما يجب ان يعمل لتطوير لبنان . « واعتقد انه ليس من الضروري ان يتسلم الانسان منصباً او يكون رئيساً حتى يحقق ذلك » .

ويضيف : « ثم انه من حق كل مواطن ان يأمل في ان تكون بلاده مزدهرة ومستقرة ومتطورة . ومن حقنا أيضاً ، كمواطنين ، ان نحلم بلبنان متحرراً من الطائفية » .

هنا يأخذ راحته في الحديث عن الميثاق : « كان قاعدة ضرورية يوم وضع ، الا انه قاعدة سلبية كأساس لبناء أمة . القاعدة الايجابية لبناء دول حديثة لا يمكن ان نجدها في الميثاق . يجب ان نسرع في تدريب المواطن على المواطنية ، لجعله مواطناً صالحاً ، عندئذ نجد انه لم يعد مستحيلاً ايجاد الوطن الصالح » .

بعيداً عن ذلك ماذا عند ميشال الخوري اذا صار رئيساً ؟ « انا مع الدولة العلمانية بكل معنى الكلمة . لا اعتقد انه من الصعب التجاوب مع حاجات صارخة موجودة في كل فئات الشعب . الصعب هو المحافظة على لبنان لا يتناسب مع أماني ابنائه » .

بالنسبة الى التغيير ، يقول بالتغيير المرحلي وبالطرق السلمية ، دون عنف ودون اصطدامات . تطبيق برامج عمل وخطط جماعية . « الحاجة الاساسية هي ايجاد حزب عقائدي يضم مختلف الفئات التي يتكون منها لبنان . ولو وجد هذا الحزب اليوم لكنت اول المنتسبين اليه . كنت اخذت نصيبي من المسؤولية وقمت بواجبي في هذا المجال » .

سألته : لماذا لا تدعو الى تأسيس هذا الحزب ؟ .

قال : « الوضع العائلي ، وربما الرصيد العائلي ، هو الذي اعاقني » .

كان لا بد من العودة الى الشيخ بشارة الخوري . يقال ان الشيخ ميشال كان له رأي غير متساهل في عهد والده . قال لي : « طيبة قلب بشارة الخوري هي خطيئته الكبرى . كان عنده نوع من التسامح الشامل منعه من ممارسة مهمته ومسؤولياته كقائد ، فسمح للعديد من العناصر بأن تستخدم اسمه ونفوذه . . . وهو بذلك سمح لهذه العناصر بأن تسيء اليه والى البلاد » .

له رأي في النظام وفي الحياة السياسية التي يعيشها لبنان : « لا أعلق اهمية على النصوص . النصوص آلة . قد يأتي من يستعملها للخير وقد يأتي من يستعملها للشر .

ربما يكون الذين يشكون من النصوص هذه الايام يختبئون وراء الشكوى لأنهم عاجزون . حتى بالنصوص الحالية يمكن القيام بأعمال كبيرة . الارادة ثم التربية ثم الاخلاق . . . فيحدث التغيير . لذلك أرى انه يجب الانطلاق من المدرسة . من المحيط العائلي . التربية عندنا وقف على بعض الفئات . نطلب المستحيل ونحن نعرف اننا نطلب المستحيل ، ومع ذلك نظل نطلبه . لماذا ؟ لأن البعض لا يريد ان يعمل شيئاً » .

يؤمن ميشال الخوري بالصداقة : « عندي اصدقاء احب عشرتهم ويحبون عشرتي . القوة تنبثق من هذا النوع من التضامن ، لأنه مشاركة مبنية على المعرفة . على هذا اقول ان الرئيس وحده لا يستطيع ان ينجز ما مطلوب انجازه . مطلوب مجموعة تمثل الحاجات الحقيقية للبلاد ، لا بعض المصالح » .

عن الاقتصاد : « احترم الحرية الاقتصادية التي كانت اساساً لانطلاق لبنان ، انما ارى ان للدولة مسؤولية في هذا الشأن الاقتصادي ، الى حد الوصول الى نوع من الاشتراك بين الدولة والقطاع الخاص . اي ان تصبح الدولة شريكة الجهد الفردي » .

ويضيف : لبنان ليست لديه ثروات طبيعية كثيرة . ثروته الكبرى هي الانسان والانتاج البشري . وعلى الاقتصاد اللبناني ان يستند الى قدرة الانسان في خلق ثروة من لا شيء .

وفي محاولة لتوضيح الصورة يقول ميشال الخوري ان المجتمع اللبناني هو في واقعه وتركيبه مفكك ومشعب . مجتمع موزاييك . أول ما يجب القيام به ، من اجل لبنان افضل ، ومن اجل لبنان الدولة الحديثة ، هو صهر المجتمع اللبناني في بوتقة واحدة .

اما بالنسبة الى النظام البرلماني والديموقراطية والحرية « العقبة الحقيقية ليست ناتجة عن النصوص . أنا لا اعتبر ان النصوص تشكل عائقاً في وجه الطموح . وأنا مؤمن بذلك بالفعل .

« لهذا السبب اعتقد انه بالامكان تغيير النظام من خلال النظام نفسه » .

وعن الثورة ، الثورة الجذرية ؟ .

يقول : « اعتقد ان الثورة في لبنان ، كثورة حمراء ، لا يمكن ان تفيد . لأنه في رأيي ليس هناك فئة من الثوار تستطيع ان تحقق الثورة . هناك فئات قد يكون بامكانها القيام بانقلاب على النظام ، وقد تنجح في قلب النظام ، الا ان ذلك الانقلاب لن يحقق الثورة المطلوبة ، والتي يجب ان تبدأ بالانسان فتخلق انساناً عظيماً وعندها لا يبقى ما هو مستحيل

في مجال الاصلاح والتعمير على صعيد المجتمع وعلى صعيد الدولة » .

ويضيف : « اعتقد انه بالامكان القيام بثورة من فوق ، بواسطة مجموعة من الناس ، بواسطة فئة منسجمة تمثل القاعدة بكل تطلعاتها ورغباتها وما تصبو اليه » .

وأنا لست مع الديموقراطية والحرية فقط ، بل انني مع تعزيز الحرية والديموقراطية . من غير الحرية لا يمكن لبنان أن يعيش » .

ويرى ميشال الخوري وجوب اعادة النظر في الادارة ، واعادة تأسيسها على قواعد عصرية تعتمد على الكفاءات والخطط والمناهج المدروسة . « ليس مسموحاً للبنان ان يبقى متأخراً بهذا القدر ، وعلى هذه الصورة ، في ادارته العاملة في الوقت الذي تبرهن ادارات لبنانية خاصة ان بالامكان خلق ادارة عامة ناجحة ومتفوقة » .

الحياد اللبناني

الحياد ؟

هل تحدث ميشال الخوري على الحياد اللبناني ؟

تحدث مرة . ماذا قال ؟ ما هو هذا الحياد الذي عناه في محاضرة القاها سنة1961 في الندوة اللبنانية ؟ قال : « ان وجود لبنان داخل هذا الخضم الزاخر بالتيارات المختلفة والمتجاذبة ، يدفعه الى استعمال الفطنة والحيطة المتناهية في قيادة سفينته ، كي لا يجرفها اي تيار من هذه التيارات . وقد حمله ذلك على ابتداع نوع من الحياد خاص به ، لا هو مفرد في ايجابيته ولا في سلبيته . انه الحياد اللبناني الذي عوض ان يعزله يسمح له بأن يكون في جهات عدة في آن واحد . فهو في الوقت ذاته قطعة من اوروبا وقطعة من آسيا وبلد عربي حقيقي » .

ولا تقتصر المحاضرة على حديث حول الحياد اللبناني ، بل تتعداه الى طرح واقع لبنان ومعالجته باسلوب جديد وبرغبة منفتحة على تحديث لبنان ونقله من شرفة مشاهد رواية في احد المسارح الى مواجهة قضايا لم تكن لتطرح عادة على البلدان ذات الحجم الصغير .

وفي ما يأتي المحاضرة :

لبنان ماذا يضيره ان يكون صغيرا ؟ فهو من هذه الناحية احدى البقاع الفريدة التي يمكنك ان تشاهد منها مرور الايام دون ان تشارك فعليا في خضاتها الواسعة . كأنما منجزات العالم الحديث قد صنعت لارضاء نظرنا دون ان يتعدى دورنا ، دور مشاهد رواية في احد المسارح . واذا اردنا ان نستعمل تعبيرا دارجا عندنا ، لأمكننا القول ان اللبناني هو « المستهلك الاكبر » . بينما تتنافس الدول العظمى فتهبه كثيرا من عاداتها ومنتجاتها وعقائدها ولغاتها وبالاجمال كل ما عندها من صالح او طالح ، اذا بكل ما كلفها من جهد ومال معروض عليه ليختار منه ما يروق له ويطرح الباقي جانبا .

لكن هذا البلد برغم صغر حجمه ، فهو يواجه قضايا لم تكن لتطرح عادة على البلدان ذات الحجم الصغير . فهناك تيارات عنيفة تفاجئه من الداخل ومن الخارج في حقبة من تاريخه لم تكمل فيها بعد العدة لمجابهتها ، وقبل ان يتم تكوين مجتمع بشري متجانس ومعافى ، يجد نفسه محاطا بسيل من الاغراءات تسبب له نوعا من الدوار .

في الخارج : اسرائيل الدولة الصغيرة والعالمية في آن واحد نشأت وتعملقت على حدوده لتهدده من نواح عديدة . والقومية العربية التي تستهوي الملايين من جيرانه تريد ان يشاطرها اصدقاءها واعداءها . والحياد الايجابي الذي يقوده الى اندونيسيا تارة والى افريقيا تارة اخرى ، يحاول هو ايضا ان يجعله الى جانبه . وكل من المعسكرين المتصارعين يعمل جاهدا على توسيع نشاطه فيه ونشر افكاره .

وفي الداخل : يبلغ التنافس ذروته . تنافس على كل شيء ، في التجارة في بسط النفوذ ، في الديانات . ومما يزيد في دقة الوضع ، انه بينما لا نزال نفتش عن حقيقتنا ، عن شخصيتنا ، اذا بنا محاطون من كل جانب بعدد كبير [illegible] الاشراك والاغراءات التي تعمق خلافاتنا الداخلية وتؤخر انجاز مهمتنا الاولية والضرورية وهي تعمير بيتنا اللبناني .

جميع البذور التي يحملها الهواء الينا ، يخيل انها تجد في لبنان ارضا خصبة . لكن عبثا تسعى كل تلك القوى والمذاهب والايديولوجيات لصوغ لبنان على مثالها . فهو دوما يسبقها الى تطعيم شجيراتها بتلك الرقعة الجوهرية التي تجعل من تلك الشجيرات شجرة لبنانية ، هذا مع العلم ان ليونته نفسها التي تعرضه لكل هذه الشهوات ، تساعده على الخلاص من الذين يحاولون احتضانه .

ان شخصية لبنان تظهر وتقوى من خلال صموده امام تلك الضغوط الخارجية . لدرجة انه قد يكون من الاسهل علينا ان نحدد لبنان بما ليس هو اكثر مما هو . وبالفعل قد لا يكون لبنان بنظر البعض عربيا صرفا برغم نسابته مع العقلية والحضارة العربيتين .

كذلك فهو ليس أوروبيا ولا اميركيا برغم امتزاجه بالثقافة الغربية . لذلك فان كلا من الشرقيين والغربيين يلتقي في لبنان ويحسب نفسه في بيته ويجد فيه من عناصر الانسجام والتفاهم ، والتعاطف ، ما يشده اليه .

لا شك في اننا مدينون بهذه الاعجوبة لوجودنا على شواطىء المتوسط المريحة . فالمتوسط بما يحمله الينا ويأخذه من عندنا ، يعقل النفوس ويهذب الاخلاق ويزيد الالفة والليونة ويطبع بطابعه الخاص كل الذين يقيمون بين ظهرانينا او يمرون عبر بلادنا . وفي الحقيقة هل يمكن ان نتحدث عن لبنان دون ان نشير الى الدور الذي يلعبه البحر في حياته ؟ انه منه بمثابة القلب والرئة . فبواسطته نتنفس ، وهو الرباط الذي يشدنا الى شعوبه الاخرى سواء في الشمال او في الجنوب ، وهو الذي فتح امامنا الآفاق الواسعة ودعانا ولا يزال منذ فجر التاريخ ، الى الاسفار والمغامرات .

ان دور المتوسط يبرز قبل كل شيء ، في جمع وصهر شعوب متنافرة جدا في بقعة صغيرة هي لبنان . والحقيقة انه لا يوجد في اية بقعة من العالم مثل هذا المزيج الذي عليك ان تحاول اكتشاف امة فيه . بالاضافة الى ذلك فان فردية حادة تسيطر على هذه الحشود البشرية وتجعل من هذه البلاد مجموعة من المبادرات المستقلة والمتناقضة تضاف الى تعدد مذاهبنا ومدارسنا .

كان ميشال شيحا ، الذي اوحى باكثر مؤسساتنا الحالية ، يردد ، بكثير من المزاح ، ان لبنان هو بلد القادة التي لا جيوش لها . وهذه هي ، دون شك ، احدى سيئاتنا الكبرى . فكل لبناني مستعد للقيادة وغير مستعد للتقيد باي انضباط ضمن اي اطار . واول ردة فعل لديه هي ان يحطم هذا الاطار الذي قد تظهر من خلاله هيئة منظمة ومتجانسة ، يمكن المتفوقين فيها ان يبرزوا .

ان قلة اكتراث اللبناني بمصيره لا تقتصر على افراد الشعب وحسب ، بل تتعداه الى الدولة بكاملها ، التي تسير البلاد بشكل ارتجالي ودون اي تخطيط او تصميم . ولا عجب في ذلك ، فالدولة مرآة الشعب .

لكن هذا الواقع يجب الا يقودنا الى التفكير بتقييد مبادرات هذا الشعب والحد من حريته التي لا يمكنه من دونها ان يحيا ويزدهر . فالحرية بمفهومها الاوسع هي من اهم اسباب ازدهاره ونشاطه . ومن الخطأ والجنون التفكير في الغائها او وحتى في تهديدها . من دون الحرية يبدو وجه لبنان كخرافة . ونبالغ اذا قلنا ، انه من خلال هذه الحرية يعي الوجود اللبناني حقيقته . هذا الوعي الذي ينير امامنا السبيل ويسلط الاضواء على مشاكلنا

ومصيرنا . حرية فكرية ، حرية سياسية ، حرية اقتصادية ، هكذا يجسد لبنان رسالته التاريخية كأرض مضيافة تجد فيه جميع الاديان والعقائد والمشارب ملجأ لها .

واذا ما قصرنا البحث على الحرية الاقتصادية نقول انه بفضلها استطاعت المشاركة وحسن المبادرة في القطاع الخاص ان تحققا المعجزات . كما ان الفضل يعود اليها في اجتذاب المشاريع ورؤوس الاموال الخارجية التي تساعد في تدعيم ازدهارنا وبحبوحة عيشنا اللذين هما حجر الزاوية في بنائنا الاقتصادي . فلبنان برغم موارده الطبيعية الضئيلة لن يسمح لنفسه بعد الان ان يحيا فقيرا . ان سلامة حياتنا المادية وحتى العضوية متوقفة الى حد بعيد على سلامة اقتصادنا . ان اقل ضعف او هزة تصيب اقتصادنا من شأنها ان تصيبنا في الصميم وتطرح حتى حقنا في الحياة على بساط البحث . هذه الحقيقة يجب الا تخفى على احد من الذين يهمهم بقاء لبنان . ان امضى سلاح في ايدينا هو ذلك السلاح الذي يوفره لنا اقتصاد مزدهر ودائم التقدم .

لا شك في ان متطلبات الحياة العصرية وانتشار الحياة النقابية والحاجات الاجتماعية وضخامة وتعدد بعض المشاريع والانجازات الكبيرة ، كل هذا يحمل الدولة على التدخل في مجالات يعجز القطاع الخاص عن التفرد بها . لكن يجب على الدولة ان تراعي جانب الحذر والحكمة في اتخاذها مثل هذه المبادرات لان اللبناني في طبيعته ، ومنذ اقدم العصور ، تواق الى التجارة والكسب . فحدة الذكاء وسعة الخيال ، والنشاط الدائم ، والليونة المرنة ، كلها من الصفات الملازمة للبناني . ويجدر بنا ان نغذيها لديه ونحافظ عليها كأثمن الاشياء .

فنحن وان كنا حفدة اولئك الفينيقيين الافذاذ الذين ورثنا عنهم حب المغامرة والاتجار وخضنا البحار كما خاضوها هم سعيا وراء الرزق ، فان العصر الحاضر يضعنا امام مواقف وقضايا جديدة وسريعة ، علينا ان نكيفها وفقا لاهدافنا . وهنا يبرز امامنا عنصر المشاركة بين القطاعين الخاص والعام هذه المشاركة التي وحدها تمكننا من التنسيق بين اقتصادنا الحر ومتطلبات العصر مهما تنوعت وتشعبت .

بزغت شمس الاستقلال بعد ليل طويل من الاحتلال العثماني وبعد تدرج في الحياة الديموقراطية دام خمسا وعشرين سنة . وانبثق لبنان اليوم من تراجع متبادل عن موقفين متطرفين . ان هذه التسوية التي طبعت وجه لبنان الحالي درجنا على تسميتها بميثاق سنة 1943 . هذا الميثاق غير المكتوب قد ارتضته اكثرية اللبنانيين عبر الموقفين المتطرفين وذلك لوضوح معانيه ومراميه . ويجدر بنا الاعتراف بان آمال البعض وندم البعض الاخر قد

فجرت عاصفة1958 وكادت تحول خلافاتنا الطائفية الى حرب دينية .

لقد هدأت العاصفة الان وان كان لتلك الاحداث من حسنات ، فلانها اثبتت ان هذه التسوية الحيوية هي افضل حل لمشكلتنا الخطيرة .

ان المراقبين الاجانب والسفارات لا يزالون يدهشون بهذا الاسلوب الفذ . خصوصا ان لبنان كثيرا ما يحتل مقاما مرموقا في اكثر من عاصمة اجنبية . وبهذه المناسبة تحضرني حادثة جرت مع سفيرنا لدى الفاتيكان . وكان يومئذ فخامة الاستاذ شارل حلو رئيس الجمهورية الحالي . فقد طرحت شخصية ايطالية معروفة السؤال الاتي :

« اني أراك يا سعادة السفير في كل مكان . والكل يقدم لشخصك وبلادك اسمى مظاهر التكريم . فهل يمكنني معرفة عدد سكان بلادك ؟

فوجىء السفير بهذا السؤال وكان باندفاعه ونشاطه في خدمة بلاده قد جعل الاندية العاملية تتغنى باسم لبنان فخاف ، ان هو ذكر العدد الصحيح ، ان يصاب السائل بخيبة امل ، فأجاب بكثير من اللباقة :

« لا اذكر عدد سكان بلادي بالضبط ، انما يمكنني التأكيد على انهم اقل عددا من الصينيين » .

لكن الديبلوماسية اللبنانية تواجه اليوم صعوبات اخرى . ان وجود لبنان داخل هذا الخضم الزاخر بالتيارات المختلفة والمتجاذبة ، يدفعه الى استعمال الفطنة والحيطة المتناهية في قيادة سفينته ، كي لا يجرفها اي تيار من هذه التيارات . وقد حمله ذلك ، على ابتداع نوع من الحياد خاص به ، لا هو مفرط في ايجابيته ولا في سلبيته . انه الحياد اللبناني الذي عوض ان يعزله ، ويسمح له بان يكون في عدة جهات في آن واحد ، فهو في الوقت ذاته قطعة من أوروبا وقطعة من آسيا وبلد عربي حقيقي .

وهنا يحق لنا ان نتساءل اذا كانت هذه السياسة الخارجية كفيلة بان تحميه من التيارات التي يزخر بها عصرنا الحاضر . ولعل اهم ما يعنينا منها تيار القومية العربية التي تحرك ملايين البشر الذين يتوقون الى حياة فضلى والى استرجاع الامجاد الغابرة .

ان الدول المجاورة ، وهي اوسع رقعة من لبنان ، واكثف سكانا واغنى في الموارد الطبيعية راحت تسابق الزمن وراء مثل سياسية واقتصادية وفكرية يتخللها قسط من المزايدات والعنف الكلامي . ولبنان ، وهو البلد العربي ، عليه ان يشترك في هذا السباق ولكن بالقدر الذي يسمح له بالابقاء على ماهيته ، اذ كيف يمكنه ان يؤدي للقضية العربية

الخدمات التي تنتظرها منه ان هو زال من الوجود ؟ مع العلم ان زواله لا يزيد في ثروة اية دولة من الدول ، التي فكرت في اوقات معينة ، بدمجه فيها . بل على العكس ، فان العرب كل العرب يفيدون ، من اعطاء العالم مثلا حيا حول امكانية التعايش والعطاء بين المسيحيين والمسلمين .

اضف الى ذلك ، ان لبنان هو للعرب الارض الهانئة والمضيافة ، انه بمثابة البستان الهادىء حيث تتضاءل خلافاتهم ، وتتلاشى اصوات الانفجارات المجاورة . وفي مثل هذه الحال ، تصبح بلادنا عنصراً غنيا للسياسة العربية . اذ انها بديبلوماسيتها المنفتحة وصداقاتها العديدة ، يمكنها ان تدافع امام العالم عن « ملف » القومية العربية ، هذه القومية التي يجهلها الكثيرون على الصعيد العالمي ، ويكنون لها الحقد الاعمى .

ان لبنان ، مؤهل اكثر من سواه لان يشرح للعالم المشكلة الكبرى الناجمة عن انشاء دولة اسرائيل . وهو اكثر من سواه ، معرض للخطر الصهيوني الذي يرى فيه ارض ميعاد ثانية يحلم باحتلالها ، تنفيذا لسياسة العدوان والتوسع التي ينتهجها.

هذه الدولة ، اسرائيل ، التي جندت حتى نساءها واولادها ، وملأت الدنيا بكبريائها ، تهددنا قبل سوانا . فلا يعجبن احد لهمنا الدائم في ابعاد شبح كارثة ممكنة عنا . وسيأتي يوم تظهر فيه هذه المغامرة الاسرائيلية المجنونة : كأحد الاسباب الرئيسية لمشاكل عصرنا واضطراباته . ومهما يكن حكم التاريخ في المستقبل ، فلن ندفع من كرم ضيافتنا ، ثمن الاضطهادات النازية واللاسامية العالمية ، خصوصا انه لم يؤخذ علينا يوما اي مظهر من مظاهر الكره او العداء نحو مواطنينا اليهود . بل بالعكس فان احدى ميزات هذا البلد هي في استقبال وحماية جميع الديانات المعتنقة والممارسة في اراضينا . ان هذا السبب وحده كاف ، لان نضع كل امكاناتنا وقوانا في سبيل دعم وتقوية المعسكر العربي الذي ترتبط به مصالحنا الحالية والمستقبلة .

ان اعتناقنا مبدأ الحياد لا يمنعنا من ان نوسع افق اتصالاتنا مع الدول الغربية التي تشدنا اليها عدة روابط ثقافية واقتصادية وبذلك نكون قد كسبنا للقضية العربية التي هي قضيتنا اصدقاء جددا .

لقد اختصرت السياسة الحالية الجهات الاربع وجعلتها جهتين اثنتين فقط . والاختيار بين الشرق والغرب اصبح امرا معروضا ان لم يكن مفروضا على شعوب الارض قاطبة . ان الفقر عدو الغرب بينما هو حليف للشرق . وقد استطعنا نحن ان نحتفظ بحرية تصرفنا لاننا لسنا في حالة غنى فاحش ولا فقر مدقع .

لكن اختيار عقيدة من العقائد ليس من اختصاص الدولة وحسب . واذا كانت الدول الرأسمالية تفضل التعاون مع الحكومات ، فالشيوعية تتوجه شطر الشعوب مباشرة ، حيث تجد آذانا مصغية وقلوباً وعقولا ملأى بالامل . ان قمع مثل هذه الحركات بالقوة لا يعطي اية فائدة . وحده ، التقدم الاجتماعي ، من شأنه ان يحل هذه المشكلة حلا صحيحا . لقد تكلمت سابقا عن الازدهار والرفاهية . ويبدو ان الطبقة الغنية وحدها هي التي تستفيد من ذلك . وقد رأينا مؤخراً نشوء نوع من الرأسمالية تريد ان تقسم الشعب الى طبقات وان تخلق فئة من المحظوظين . الامر الذي يجعل الفئات الكادحة تعي بشكل اقوى انواع الظلم المتعددة التي تعانيها . ولا شك في انه ينبغي على الفئات الموسرة ، ان تقبل بكثير من التضحيات وان تعمد الى نوع من توزيع الثروة حتى لا يبقى بين ابناء الشعب الواحد غنى فاحش وفقر مدقع . هذا مع العلم ان العقيدة الشيوعية ، برغم كل الظروف المؤاتية ، لا تزال تصطدم عندنا بالعاطفة الدينية التي تجعل الافراد يتمسكون باوامر دينهم اكثر من تمسكهم بالمبادىء الحزبية .

واذا كان لهذا الواقع من حسنات ، فإن الطائفية من ناحية أخرى ، تشكل احدى مساوئنا الكبرى . ولسوء حظنا ليس بمقدور اي قانون او تدبير اداري ان يزيل تقاليد وعادات مغروسة في نفوسنا ومتأصلة فينا .

لكن ما يعزينا انه على الرغم من تعدد الطوائف فإن أياً منها لا يسمح لنفسه بأن يهضم حقوق الأخرى مهما كان عدد افرادها ضئيلاً . كما ان عدم طغيان الاكثرية على الاقلية جعل من لبنان مثالاً رائعاً ينظر اليه العالم بكثير من الاعجاب ويقدمه كمثل حي يحتذى لحل المشاكل المشابهة في سائر الدول .

وان كانت الطائفية تؤخر نمو وتطور الاخلاق الديموقراطية وتحول دون ادخال تغييرات جذرية على النظام ، الا انها ليست وحدها المسؤولة عن هذا الجمود المسيطر . فهناك خمول الافراد وعدم تقيدهم بالأنظمة والقوانين ومحاولات بعض رجال السياسة استخدام الطائفية لتركيز شعبيتهم ، وتحريك الشارع خدمة لمآربهم الشخصية .

ومن اجل تدارك هذا الواقع ، على كل طائفة ان تعمد الى دفع خيرة ابنائها الى الواجهة ، بعد ان تحليهم بتربية اجتماعية مناسبة . وطالما أنه لا مفر لنا من التعايش في هذا الوطن ، فالذي نطلبه من سائر الزعماء على اختلاف مذاهبهم ان يعملوا على تأمين الرخاء والرفاهية لمختلف الطوائف بواسطة نظام يكون لها بمثابة النواة للثمرة ودون اي وجه مميز سياسياً كان او طائفياً ، بحيث يشعر معه المواطن بشرف العيش في هذا الوطن والانتساب اليه .

وبعد ، فإن المرء لا يتعلق بوطنه الا إذا توافرت له اسباب الراحة فيه .

ان ميثاق سنة 1943 لا يمكنه ان يصمد طويلاً في وجه حياة قاسية تعيشها احدى الفئات التي قبلت به . انه نقطة الانطلاق لبناء لبنان الحديث . اذ انه لا يكفي ان يكون لبنان مثلاً حياً للتعايش المسيحي الاسلامي ، بل ينبغي ان يكون لدى المسيحيين كما لدى المحمديين رغبة دائمة واكيدة في البقاء لبنانيين .

ان هذه المهمة ليست سهلة . ففي داخل كل منا يختلج شعوران من الأمل والقلق ، فنجد انفسنا غير مستقرين ودائمي التطلع الى آفاق غريبة .

قلت سابقاً ان العاصفة قد هدأت ، لكن كثيرين منا لا يزالون قلقين ، يتوقعون هبوبها من جديد . اننا في الحقيقة بلاد الرخاء والرفاهية ومستوى حياتنا يدهش ويحرك عاطفة الحسد عند الآخرين . لكن هذا القلق وهذا الشك اللذين يلازماننا ، لا يساعداننا على التقدم .

في اعقاب كل ازمة تتعالى اصوات نبوءات كاذبة تبشر بزوال لبنان . هكذا قالوا عام 1919 وعام 1943 وعام 1958 واثناء الحوادث الاخيرة لكن لبنان ، في كل مرة يصل الى قاع الهاوية يعود فيقفز من جديد ويتابع مسيرته الصاعدة .

لبنان قانون ايمان ، قبل ان يكون صيغة سياسية . والذين لا يؤمنون به من كل قلوبهم لا يمكنهم تأليف جماعة بشرية قابلة للحياة وعلى الأخص اولئك الذين يتكلون قبل كل شيء على المساعدات الخارجية .

ان كلامي هذا لا يعني انه ينبغي علينا ان نرفض المساعدات التي تأتينا من الخارج . بل على العكس علينا ان نفيد من جميع المساعدات التي تقدمها الدول الكبرى الى الدول النامية . لكن هذه المساعدات ، مهما اغنت تجهيزاتنا التكنولوجية ، فلا يمكنها ان تحل محلنا في خلق سعادتنا وسعادة اولادنا . ان هذا العمل هو من اختصاصنا ، وعلينا وحدنا تعود مسؤوليته. وهو لا يتم كما يقول البعض ، بأن نبدأ من جديد من الصفر وان نضع ميثاقاً جديداً ، بل بأن نطور هذا الميثاق ونخلق لبناناً جديداً حوله .

ليست السياسة التقليدية هي الطريق الصحيح لانشاء لبنان الجديد . وبالاخص تلك السياسة التي تحاول استغلال غرائز الجشع والحسد والحقد والكراهية . ان لبنان بحاجة الى مربين ، الى اداريين ، الى علماء الى رجال يمكنهم ان يرفعوا مستوانا الى حيث يجب ان يكون .

ان تحقيق مثل هذه الأمور لا يمكن ان يتم بصورة ارتجالية ، بل يتطلب دروساً وتشريعات مستمدة من واقع الشعب وملبية لحاجاته . انه عمل طويل الأمد ، لذلك ينبغي ان نباشر بتنفيذه فوراً . وعلى كل لبناني ان يؤمن بأن ثروة لبنان الحقيقية تكمن في ذاته لا في خارجها . عليه ان يستخرج من ذكائه ، من شخصيته ، جميع الموارد التي رفضت الطبيعة ان تمنحه اياها . ان النتائج التي توصل اليها ، وان كانت ضئيلة ، انما هي مشجعة .

اي غد هو غدنا ؟ ليس لأحد ان يتنبأ به . لكن من العدل ان نعترف بأن علامات نهضة حديثة تلوح في الأفق . وبالفعل فإن وراء الفوضى ، التي اصبحت لدى البعض علامتنا الفارقة ، نجد عدداً كبيراً من الاطباء والمهندسين والفنانين والأدباء والرسامين والنحاتين وسواهم من اصحاب المواهب الذين تعدوا مرحلة التقليد ، وولجوا عالم الخلق والابداع الذي هو وقف على الشعوب العريقة في حضارتها . بديهي انه لن نتمكن من تجنيد الملايين ولا ان ننتج مليارات ماكينات الحلاقة مثلاً . انما كل شيء مهيأ لنا حتى نؤدي رسالة انسانية ، حتى نحقق انسجاماً تاماً وتنسيقاً كاملاً يربط بين الطبيعة والبشر بأشد الروابط .

لبنان شيء صغير في اللوحة الارضية . انه بقعة صغيرة ضائعة في الكل ، لدرجة انه يمكن نزعها دون ان تتأثر اللوحة . مساحة ضئيلة من الأرض ، بعضها قاحل يحاول المحراث ان يطريه ، دون ان يخرج منها كنوزاً ولا أسراراً . بلد صغير وضعيف ، يبدو وجوده ضئيلاً بالنسبة الى البلدان المجاورة ذات الحجم الكبير . انه في الصفوف الخلفية ، شأنه في ذلك شأن سائر الضعفاء ، مستكين هادىء لا يحركه اي مطلب ولا يستثيره اي تحد .

برغم كل ذلك ، فهو مدهش ، مثير للاهتمام يحدث اسمه دوياً غير متناسب مع حجمه ووزنه . انه دائم الوجود على الرغم من جميع الشكوك .

هذا البلد الذي يزعمون انه بألف وجه ووجه دون ان يتمكن من لباس وجه واحد ، اي سبب يبقى لوجوده ، اذا فقد هذا التنوع في المظاهر والتناقضات . ان شخصيته قائمة على هذا المزيج من الأجناس والاعراق . وجميع الحظوظ مؤاتية له لأنه يأخذ ويخزن في ذاته عطايا الجميع .

هذا البلد الذي تبدو على قسمات وجهه امارات الطفولة البريئة وتجاعيد السنين العتيقة ، لا يجد صورته الحقيقية الا في الاطار العالمي .

مرة اخرى الجأ الى ميشال شيحا لاختم كلامي :

« نعم بلد صغير ، صغير جداً ، امة صغيرة ، لكن شعبه ليس على الاطلاق شعباً صغيراً » .

الشـــبـــاب

يعتقد ميشال الخوري انه لا يمكن ان يكون هناك اي تطور حقيقي من دون الاستناد الى عنصر الشباب « كلنا يعلم ان ثمة نسبة مئوية عالية من مجموع الشعب اللبناني هي نسبة الشباب ، وهي تشكل فئة اقوى من أية فئة أخرى . الا ان الشباب اللبناني في الوقت الحاضر يستثمرون ، اوهم ينجرفون في تيارات ويندفعون في طرق قد تعود عليهم بالضرر الكبير .

« ان الشباب اللبناني بحاجة الى قيادة واعية ومستوعبة ماذا عليها وما هي واجباتها ، كما انهم بحاجة الى شيء من التواضع .

« يلاحظ ان في لبنان ، كما في العالم العربي ، يلجأون الى الوسيلة السهلة لاعلان الرفض او للمطالبة او لتعبير عن رأي وموقف . هذه الوسيلة هي الديماغوجية ، وهي تمر ، عادة ، عبر الشباب لأنهم العنصر الممكن استثمار فورته العاطفية المتدفقة . وانا لا اعتقد ان الديماغوجية وسيلة تصلح للحكم ولادارة بلاد وقيادة شعب » .

ويقترح الشيخ الابن ان تؤمن الدولة قبل كل شيء ، تكافؤ الفرص للشباب ومشاركتهم في جميع المسؤوليات ، على صعيد مجالس الادارة ، على صعيد المشاركة في الحكم ، على صعيد التقرير والتنفيذ في شتى الحقول . « ذلك ان عنصر الشباب ، الى جانب كونه عنصر الحيوية والفعالية ، يشكل ثروة بشرية هائلة وطاقة لا يجوز ان تهدر في امكنة وطرق لا يستفيد منها الشباب ولا يستفيد منها الوطن ، وقد تشكل في هدرها ضرراً وخطراً » .

ميشال الخوري العربي

ماذا عن ميشال الخوري عربياً ؟ .

هل يكون عهده استمراراً لعهد والده الشيخ الأب على هذا الصعيد ؟ .

يقول الشيخ الابن : يجب ان يكون لبنان بما له من قدرة ومواصفات ومزايا بمثابة المحرك في هذه المنطقة . بحيث تكون له القدرة على ان يخدم العالم العربي في جميع المجالات . ان التكامل بين لبنان والعالم العربي يجب ان يتم نهائياً وبشكل لا تكون بعده عودة الى النقض والترجرج ولا حتى الى الخوف والانكفاء .

« فثروة لبنان هي أولاً الثروة الانسانية ، الثروة البشرية ، بينما لدى العالم العربي ثروات اخرى متعددة ومترامية الأطراف . من هنا يجب على لبنان ان يفيد العالم العربي من ثروته وان يفيد نفسه أيضاً ، اذ انه لا يستطيع في مجالاته المحدودة الضيقة ان يستغل كل هذه الثروة وبشكل مثمر ، لذلك ينبغي توزيعها على العالم العربي .

« ولا يستطيع لبنان ان يقوم بمثل هذا الدور الا اذا انسجم شعبه في الداخل واوحى الثقة الى العالم العربي . وكي يوحي هذه الثقة يجب ان يقبل ، من دون اي مركب نقص ومن دون اي تحفظ ، ويجب ان يوافق طوعاً وبرغبة صادقة على ان يربط مصيره بمصير العالم العربي .

« وهكذا يتمكن لبنان من التغلب على ازمة هي اشد واخطر من ازمة الثقة تدعى ازمة المخاطبة . ويستطيع بالتالي ، وفق الانسجام وفي ضوء الارتباط المصيري ، ان يخاطب كل العرب بصراحة ووضوح كلي ، ويؤاخذهم اذا لزم الأمر ، وينتقدهم عند الحاجة ، ويساعدهم في جميع الحقول التي يمكن ان يساعد فيها » .

ويشدد ميشال الخوري على ان لبنان لا يمكن ان ينقطع عن جغرافيته وتاريخه . « واذا تخلصنا من مركب النقص تجاه العرب ، فيصبح لزاماً علينا ان نزيل مركبات النقص الأخرى تجاه الغرب والشرق . فلبنان دولة صغيرة ، لكن بامكانه ان يخاطب الشرق والغرب بكل صدق وصراحة ويفيد الاثنين ويستفيد من الاثنين معاً .

« من هنا ارى انه علينا قبل كل شيء ان نؤمن انسجاماً حقيقياً وراسخاً في الداخل ، يقوم على أساس التفاهم بين فئات الشعب . وبعدها يصبح كل امر هيناً ، ولا

تعود هناك ازمات مع العرب او مع بعضهم سببها الارتباك في الداخل وعدم الشجاعة وعدم المقدرة على المواجهة في الخارج » .

القضية الفلسطينية

وبالنسبة الى القضية الفلسطينية يدعو ميشال الخوري الى التخلص من العقد ومركبات النقص ايضاً . « القضية قضيتنا بقدر ما هي قضية فلسطينية وقضية عربية » .

ومن المسلم به والبديهي ، يضيف الشيخ الابن ، « ان اسرائيل دولة مصطنعة ولا يمكن ان تستمر او تعيش . فهي ، الى ذلك ، تمثل وجهاً آخر سن وجوه الاستعمار انما بواسطة العنصرية الشديدة الخطورة . ولا شك في ان اسرائيل سببت آلاماً كبيرة وعذاباً كبيراً لشعب شرد من ارضه وابعد عن وطنه .

« ومن الطبيعي والبديهي اكثر ان يعود هذا الحق وهذا الوطن الى اهله واصحابه الاصليين ، الذين هم الفلسطينيون . وكل ما برهنت عنه اسرائيل حتى الآن واثبتته بالنسبة الى الرأي العام العالمي وبالنسبة الى واقعها وتصرفها ، انها اقوى من العرب مادياً وعسكرياً ، وهذا ليس من صنعها ولا من طبيعتها انه من صنع غيرها ومن مقدرة غيرها » .

« وعلى هذا فإنه من الطبيعي جداً ان يقوم الشعب الفلسطيني بالسعي عملياً وبجميع الاساليب لاستعادة وطنه وذلك باستعمال جميع الوسائل التي لديه والممكنة حتى بالحياة .

« واعتقد انه من واجب لبنان ان يساعد العمل الفدائي بكل ما لديه من امكانات وبكل ما يستطيع دون ان يفسح في المجال لأي تردد او تلكؤ مهما كانت مبرراته واعذاره .

« والعذاب الذي سببته اسرائيل ليس شراً كله ، لأنه من ناحية دفع العرب الى المزيد من الوعي وبذل المزيد من العمل في سبيل التقدم . وربما يظهر في يوم من الأيام ان الشعب الفلسطيني ، بسبب عذابه وآلامه وتشرده الطويل ونضاله ، فتح الطريق امام الوعي الكامل والتقدم عند العرب » .

ويستغرب ميشال الخوري بقاء لبنان حتى الآن خارج الصراع بين العرب

واسرائيل . « ان دخوله في هذا الصراع ستكون له ذيول اليمة ، انما عليه ان يتحملها ويتقبلها ، فبطبيعة جغرافيته وبطبيعة تاريخه ، وفي ضوء مطامع اسرائيل ، نجد ان لبنان منسجم عضوياً مع القضية الفلسطينية .

« الا ان هناك ناحية مهمة . فكي يصبح لبنان قادراً على العمل بفاعلية من اجل قضية فلسطين يجب ان يعطى الوقت الكافي لتجنيد كل طاقاته ، واستعمالها في هذا السبيل » .

البوليس الدولي

يقول ميشال الخوري بالنسبة الى موضوع قوات الطوارىء الدولية « ان كل تدخل من قبل دولة او مجموعة دول على الحدود اللبنانية يعتبر خطيئة مميتة بالنسبة الى لبنان .

« ووضع قوات طوارىء دولية في الاراضي اللبنانية على الحدود يعني انتحاراً للبنان ، لأن مجرد القبول بمبدأ الطلب يفصل لبنان عن محيطه الطبيعي ، ويفصله بالتالي عن مصيره » .

« لذلك لا يمكن الدخول في حوار حول موضوع قوات الطوارىء الدولية بمعزل عن هذه الاعتبارات الاساسية ، التي يؤدي تجاهلها او عدم الاخذ بها الى كارثة . وثمة خطأ من هذا النوع لا يصحح بالرجوع عنه بعد فوات الأوان ، بل بتداركه قبل الوقوع فيه » .

« ولهذا السبب اقول اني ارفض كل حل يطبق على لبنان وحده . وارفض كل حل لا يوافق عليه الفلسطينيون » .

السياسة الخارجيّة

يرى ميشال الخوري انه من الضروري ان يكون لبنان منفتحاً على جميع الدول وعلى جميع التيارات والعقائد الموجودة في العالم والتي تتفاعل الآن بين شعوب مختلفة وفي امكنة متعددة .

« ليس باستطاعة لبنان ، الدولة الصغيرة والامكانات الضئيلة ، ان يعادي احداً . كذلك ليس من مصلحته ان يستعدي الدول والشعوب ضده . انما باستطاعته ان يصادق الجميع ، فيفيد الجميع ويستفيد من الجميع . ولا ارى غضاضة في ذلك خصوصاً اذا كان المرء يعي حقيقة الواقع الذي يعيشه ، وكل امر او مسألة او قضية تعزل لبنان او تربطه بمعسكر معين ضد معسكر آخر ، تشكل بالتالي طعنة في وجوده وكيانه » .

« اما على الصعيد العربي فيجب ان يكون لبنان المتكلم الصالح باسم العرب ، ويكون ايضاً المنبر الرحب الكفيّ للقضايا العربية . ومن البديهيات القول ان هموم العرب وقضاياهم يجب ان تكون هموماً لبنانية أيضاً وقضايا لبنانية » .

« ان هناك ترابطاً قوياً وأساسياً بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية والسياسة العربية . والعمل المطلوب القيام به ، أولاً ، هو تطوير القاعدة في الداخل وتعزيزها واشاعة الثقة في نفوس الشعب وادخال الطمأنينة الى قلب المواطنين ، عندئذ تصبح مسألة سلوك سياسة خارجية معينة مسألة سهلة جداً ، خصوصاً اذا كانت تعكس سياسة داخلية منسجمة » .

« ومن حسن حظ لبنان ان تركيبه الاجتماعي يساعده ويؤهله كي يكون عربياً في سياسته الخارجية ، دون ان تتكون هذه السياسة بالخلافات التي بين العرب الآن ، لأن المصلحة المصيرية واحدة » .

« ثم ، من جهة اخرى ، ان اللبناني يشكل وحدة بشرية من تيارين في العالم ، او من جزئين من العالم : العالم المتخلف والعالم المتقدم ، كلاهما يصب في اللبناني بسبب وجوده في مكان يعتبر ممراً لهذين العالمين . لذلك علينا ان نتخلص من الجزء المتخلف لنعكس تطورنا وتقدمنا على محيطنا بحيث نصبح وسيلة خير للعالم العربي . ولبنان بسبب وجود الجامعات على أرضه ، وبسبب انفتاحه على العالم يستطيع ، بمنتهى السهولة تطوير وضعه والوصول الى مستوى معيشي واجتماعي يشبه المستوى الذي في سويسرا . وعندئذ كم يصبح لبنان ضرورياً اكثر بالنسبة الى العالم العربي ! » .

ميشال الخوري الخطيب

ميشال الخوري الخطيب هو ميشال الخوري رئيس المجلس الوطني لانماء السياحة ،

المتحدث خطابة في مناسبات معينة ذات صلة وقربى بالسياحة والانماء السياحي ، وهو أيضاً المحاضر نادراً مرة او مرتين والتارك في الذين سمعوه او قرأوا عنه اثراً خاصاً . الا ان خطبه نادرة ومحاضراته نادرة لأنه لم يدخل الحياة النيابية ولم ينخرط في الحزبية السياسية ولم يكن جماهيرياً في المناسبات التي تفرِّخ عادة خطباء مفوهين .

وفي ما يأتي نماذج من خطب ميشال الخوري :

لمناسبة ندوة الدراسات الانمائية التي اقيمت في جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية سنة 1967 ، وكان وزيراً للسياحة والتصميم العام :

. . . « يجب التنويه ان الانماء يرتبط بالدولة ارتباطاً مباشراً ، لأن الدولة تملك جميع المعطيات والمعلومات والايضاحات التي تتعلق بحاجات لبنان في مختلف الحقول ، كما تملك امكانية تحقيق هذه الاغراض عن طريق التجهيز والتنظيم والتشريع » .

ولا بد لي في هذا المجال من ان اؤكد على ان الانماء هو نتيجة حوار اولي بين القطاعين العام والخاص ، تعقبه مشاركة بين هذين القطاعين لتأمين جميع العناصر المعدة لهذا الغرض ، ومنها رؤوس الأموال .

واراني مطمئناً الى ما المسه من ميل عند اجيال شبابنا الطالعة ، للعناية بالمخططات الانمائية ، ذلك لأن الانماء يحرر الانسان من مرهقات العوائق التي تحبسه عن التطور . فالانماء عدو الأمية وعدو الفقر ، وهدفه مساواة الناس امام الفرص والامكانات ، واستغلال جميع الطاقات الطبيعية استغلالاً منسجم المسببات والنتائج ، كي نتوصل الى زيادة مضطردة في دخلنا القومي وحسن توزيعه ، لأن الانسان يتقدم بقدر ما تتقدم امكاناته المادية .

وفكرة الانماء تبقى مرتبطة دائماً بفكرة اعداد الطاقة البشرية وتجهيزها . والازدهار الفعلي لا يتحقق الا بتهيئة الانسان والنهوض به وتخصيصه والفسح في المجال له لينشط ويعمل . ويجب الا يغرب عن بالنا ان اهم عنصر اساسي في انماء لبنان هو الانسان اللبناني » .

لمناسبة انعقاد مؤتمر وكلاء مكاتب السفر والسياحة في الدول العربية ، بحضور وزير السياحة المصري الدكتور امين شاكر ، سنة 1967

« السياحة سبيل السلام . انه شعار السنة السياحية . وما اصدقه من شعار ! فلنحققه ، ولنفتح ابوابنا لكل زائر وقلوبنا لكل محب . وما كان البيت العربي الا مشرَّع

الأبواب ، فسيح الفنـاء ليضم كل محب زائر » .

انها حقيقتنا لتعلن ، وشخصيتنا لتبرز ، وليس اسعف على تصحيح الرأي ازاء كل دعاية مغرضة من حسن استقبالنا لكل وافد واهتمامنا بكل غريب ، فتقاليد الضيافة العربية الراسخة امنع من ان تحد من اصالتهـا مرارة ونكبـة ، وهـي ، على روعتهـا ، تزيد في مسؤوليتكم تجاه الواجب السياحي » .

لمناسبة زيارته القاهرة لتوقيع معاهدة سياحية بين لبنان ومصر سنة 1968 :

« لقد ادركنا كما ادركتم ان السياحة لم تعد في عصرنا الحاضر شيئاً هامشياً او مورداً اقتصادياً وحسب ، بل اصبحت دعامة اساسية في سياسة الدولة وغدت وسيلة فعالة في تقريب الشعوب بعضها من بعض والاداة الطيعة لكسب الاصدقاء وشرح قضايانا وتأليب الرأي العام حول رسالتنا والدعوة لها .

من هذه الزاوية بالذات ، نتطلع الى المعاني الكثيرة التي ينطوي عليها اتفاقنـا ، ومن هذه الزاوية ننظر الى العمل السياحي وكأنه صرح نشيده بأيدينا لنصل عن طريقه الى بناء مجتمع عربي متناسق متكامل .

اخوانـي ، تعلمون ان ليس لمطامع الغاصب حدود ، ولا لاهوائه ونزواته ابعاد فها هو يستثمر جريمته المنكرة على حساب وطن عربي آمن ويجعل منها مورد رزق حرام ويبذل قصارى جهده لتنفير الغرب منا وصد سياحه عن ربوعنا الجميلة .

ولا شك بأن التبادل البشري يقلب الجاهل المضلل الى صديق متفهم لقضيتنـا ، ناصر لها .

ان الازدهار هو منا قاب قوسين او ادنى ، ما دمنا نؤمـن بأن الدولة العربية تؤلـف وحدة سياحية متكاملة تضم اغنى آثار الحضارات ، وعالما حبته الطبيعة بأروع ما جاد به السخاء الإلهي ، وشعوباً من مآثرها ثغر باسم وخلق كريم وتقاليد عريقة » .

لمناسبة افتتاح المؤتمر الوطنـي الثاني للانماء في بيروت 1968 :

« ان حق كل مواطن في الرفاهية الاقتصادية يتلازم مع حق جميع المواطنين في العدالة الاجتماعية . والسياسة الانمائية الوطنية كفيلة بأن تجعل من الرفاهية والعدالة معاً حق لبنان على جميع المواطنين ، وعطاء لبنان لجميع المواطنين . ومن اولى من لبناننا العزيز بمثل هذا الحق ومثل هذا العطاء » .

لمناسبة زيارة الحاخام اليهودي المر برغر الى بيروت سنة 1968 ، القى خطاباً لتعريفه وتقديمه :

« مريع شرف من اختارته العناية لحمل رسالة الحقيقة . فألمر برغر مؤمـن عرف اليهودية ديناً لا سياسة ، ايماناً لا نظاماً ، عبادة لا حزباً . لقد مضى على المر برغر سنوات طوال وهو يتنكب عبء الدعوة بحزم وشجاعة متحدياً بذلك بعض الأوضاع والعادات التي الفتها بيئته ، جابها تياراً غربياً مضللاً ، ناشراً ما علمه اياه اللاهوت ، محـاولاً ان يثبت للعالم ان الصهيونية كما ارادها وفسرها اصحاب بدعـة دولـة اسرائيل ، انمـا هي هرطقة رهيبة ، بل انكار للايمان اليهودي نفسه .

ايعقل ان يكون الله ، هذا الإله الأحد الذي نعبد ، مسلمين ومسيحيين ، قد اراد ان تطـرد باسمـه شعوبنـا من اوطانهـا ، وتضطهـد باسمـه ، وتسـام الهـوان والبـؤس والشقاء ؟ .

يبدو وكأن جنون الغطرسـة البشرية ، وظمـأ الجشـع الـذي لا يرتـوي في بعض الواهمين سخرا اعرق وشائج النفس لاثارة معتقد خاطىء واستغلال جميع طاقات الايمان والنية الحسنة عند اليهود .

على ان الحاخام برغر ، وهو الضالع في امور الدين ، المدرك لحالات النعمة ، لم تبهره يوماً هذه الدعاية الخداعة ، بل ابى الا ان يفصل بين ما هو روحاني وما هو زمني ، كما ابى الافراط باحدهما في سبيل الآخر .

ونحن العرب الذين عشنا منذ فجر التاريخ بالفة ووئام ، نحن اهـل الكتـاب ، المؤمنين بإله واحد ، نعلم ان اليهود الذين يحكمون اليوم اسرائيل ، والذين قد يطمحون من خلالها الى السيطرة على العالم ، ليسوا بعد اليوم ابناء موسى واسحق ، وان الفي سنة من المادية مالت بهم عن الواح الشريعة لتجعل منهم رسل الحقد والدمار .

ونعلم أيضاً ان مغامرتهم ، ما دامت تصطدم بهذا الإله الذي يسخرونه لن يكتب لها الا مظهر النجاح ، وان ارض الميعاد ، ارض فلسطين السمحة انتزعـت من الوعـد واخضعت للقوة الغاشمة » .

لمناسبة زيارته اميركا سنة 1969 تحدث الى اللبنانيين المغتربين بدعـوة من جامعـة اللبنانيين في العالم :

« ان لبنان ، بغير جناحه الآخر ، بلد مساحته بضع آلاف من الكيلومترات المربعة

اما بجناحه المنتشر فامتداد الى اقاصي المعمور » .

هناك بلدان تنتج ذهباً وتغنى ، وثمة بلدان تنتج نفطاً وتثرى وغيرها من يصدر محصول زراعة ومنتوج صناعة ، اما لبنان فقد انتج رجالاً وصدر طاقات انسانية ، وحسبه هذا الثراء !

. . . على ان العالم يتقدم بسرعة يخشى معها ان تتسع الشقة التي تفصل الأوطان الفقيرة عن الأوطان الغنية ، ولبنان على حدود هذين العالمين فبامكانكم انتم ان تبتعدوا به عن مهاوي البؤس وان تطلقوه نحو مشارف التقدم والمدنية المعاصرة ، وذلك باستمرار اتصالكم به وبمواصلة التبادل مع هذه البقعة الصغيرة ، الممتدة على شاطىء المتوسط . ان النهوض بلبنان الى حيث انتم امانة في اعناقكم .

اننا لا نرجو الا الخير لاميركا الصديقة ، غيركم يستخدم صوته ونفوذه ليضع مصالح اخرى فوق مصلحة اميركا ، اما انتم فلا اخالكم الا موضحين لها مصلحتها الصحيحة وساعين الى حملها على مجاراة الحق عن معرفة في كل ما له علاقة بلبنان والشرق الأوسط ، فتخدمون بذلك اميركا ولبنان وانفسكم خدمة يحفظها لكم التاريخ » .

من محاضرة « في سبيل سياسة سياحية في لبنان » :

« الطبيعة بالنسبة الى السياحة هي بمثابة المادة الأولية بالنسبة الى الصناعة . لذلك ، يجب علينا تحويل هذه المادة الى انتاج متداول ، هذا يعني التصنيع في السياحة وتكوين الاشخاص المهيَّئين للقيام بمسؤولياتها . لذلك فإن صناعتنا السياحية مدعوة ابتداء من اليوم والى اثنتي عشرة سنة ، الى تغطية ربع الدخل القومي ، وهي الآن تغطي ما يقارب العشرة في المئة منه . لكن هذا الازدهار المرتقب لا يأتينا ونحن نيام .

ولأن السياحة متعلقة بمعظم مرافق الحياة الاقتصادية فعلينا ان ننهض ، فنحسن في مرافقنا العمرانية بوجه العموم .

هذا على الصعيد المحلي ، اما على الصعيد العام ، فعلينا ان نوثق صلاتنا مع بلدان تربطها بلبنان مصالح سياحية مشتركة . هذا التوثيق يرتكز الآن على حوار قائم بين لبنان والبلدان العربية من ناحية ، وبينه وبين بلدان اوروبية من ناحية اخرى ، مما يفتح آفاقاً مشجعة لبادراتنا السياحية .

ان للتثقيف السياحي اهمية بالغة انما هذا التثقيف لا يشكل حتى اليوم علماً مستقلاً بذاته في معظم البلدان . ولكن سائر المنظمات الدولية الرسمية قررت سد هذه الثغرة

متجهة بذلك الى تلبية الحاجات العصرية الجديدة التي اخذت تبرز في شتى المجالات .

اما انشاء وزارة للسياحة فكان نتيجة لتوصيات المجلس في سبيل ايجاد جهاز موحد يضم جميع المهام السياحية التي كانت موزعة في عدة وزارات وهيئات . وتلافياً للمداخلات السياسية والعراقيل الادارية التي يمكن ان تهدد عمل الوزارة فإن الضرورة تقضي باستمرار المجلس السياحي الى جانب وزارة السياحة كأداة فعالة بين يديه .

ان منابع السياحة اللبنانية تتأتى عن مصدرين اساسيين : البلاد غير العربية خاصة الأوروبية منها والأميركية ، ثم البلاد العربية بالذات ، مؤكداً ان لبنان يظل ذا حظ للوفر لجذب السياح رغم منافسة بلدان البحر المتوسط له في هذا المضمار .

ان النفقات الاجمالية التي صرفها السياح ، والتي ارتفعت سنة 1966 الى ما يقارب 280 مليون ليرة من الليرات اللبنانية ستبلغ في الواقع 500 مليون من الليرات سنة 1970 ومليارا و700 مليون سنة 1980 .

« ان السياحة هي جواز سفر في طريق السلام » فهي جواز سفر يؤمن انسجاماً جميلاً في ما بين المنظمات المحلية والدولية والعالمية ، كما ينمي التفاعل الحضاري في مختلف وجوهه ، ويسعى الى ايجاد توازن اجتماعي واقتصادي بين البشر » .

مشاريعه

مشاريع ميشال الخوري سياحية في معظمها . الا انها برغم ذلك تتصل مباشرة بالسياسة والاقتصاد وتهدف في مجملها الى تعريف لبنان الى العالم وجعله مركزاً قادراً على استيعاب السياح واستقطاب الرأي العام العالمي . وهذه بعض مشاريعه :

— مشروع لجعل لبنان مركزاً عالمياً للتوثيق ودراسة علم الانسان ، باعتبار ان التفاعل البشري في لبنان يعطي صورة عن اهمية التوثيق . كما ان الحرية تسهل ان يكون لبنان مركزاً من هذا النوع . وقد وافقت الأونسكو على المشروع وارسلت السيد ماهو الى بيروت للبحث مع المسؤ ولين في طريقة التنفيذ . وقد وقع الاختيار على جبيل لتكون المركز .

— اقامة مركز لقاء واجتماع للشبيبة . وباعتبار ان للشبيبة الدور البارز في رسم المصير فمن

حظ لبنان ان يكون هو مركز اللقاء . وسيقام المركز في طرابلس . وقد ارسلت الأونسكو خبيراً من اجل هذه الغاية .

— مشروع اللامركزية . ان لبنان بنظامه القائم يشكل اتحاداً فدرالياً بين الطوائف . لذلك فإن اقامة نظام خاص في كل منطقة يسهل مهمة تذويب الطائفية كما يجعل الحوار بين جميع الفئات مباشراً . وهكذا يصبح لكل منطقة هيئة تمثيلية خاصة بها . عندما كان ميشال الخوري وزيراً للتصميم وضع دراسة عن المشروع بواسطة الفرق المتعددة النشاطات . « اذا تمكنت من تنفيذ هذا المشروع اعتبر نفسي قمت بخطوة مهمة في سبيل اللاطائفية » .

— اشراك الدولة في كل نشاطات القطاع الخاص . هناك فرق كبير بين القطاع الخاص المتقدم والقطاع العام المتخلف . ان هذا التفاوت ينتهي بواسطة التفاعل بين المصالح الخاصة والمصالح العامة . وهذا يعني احترام الجهد الفردي وتكريسه مع اعطاء الدولة نصيبها في هذا النشاط . اي ان تكون الدولة هي الشريكة العامة .

— قانون استثمار المشاريع السياحية . هذا القانون يبدل جميع القواعد المتبعة في ادارة املاك الدولة ، ويعطي الدولة حرية التصرف كصاحب ملك لكل الامكنة العامة المؤهلة للسياحة ، وكذلك يعطي الدولة حق استملاك الاملاك الخاصة الصالحة للسياحة .

— انشاء سلسلة مراكز استراحة سياحية في المناطق البعيدة عن مناطق استثمارات القطاع الخاص . في صور وطرابلس وبيت الدين ، مثلاً .

— مخطط عام للسياحة يطبق تدريجياً .

— قانون تنفيذ المشاريع السياحية واستثمارها.

— مشروع شاطىء صور السياحي . وقد وافق البنك الدولي على تمويل هذا المشروع الذي يحول صور الى مدينة سياحية تستوعب 300 ألف سائح .

— مشروع تحويل جبل الشيخ الى مركز اشتاء واصطياف . شركة كندية وضعت دراسة مفصلة عن المشروع .

— مشروع تجهيز مغارة جعيتا واستغلالها في حفلات سنوية تتناسب مع طبيعة هذه المغارة .

— مشروع انشاء معهد لتعليم كل المهن السياحية في النواحي الاقتصادية والعلمية والفلسفية . والسياحة كوسيلة تعارف يجب ان تتحول الى صناعة علمية مدروسة . وقد تبنت الأمم المتحدة هذا المشروع وسيبدأ التنفيذ في شهر حزيران . الصندوق الخاص في هيئة الأمم هو الذي سيمول المشروع .

— المعاهدات السياحية مع الدول السياحية من دون استثناء .

أقوال الخصوم

نجح ميشال الخوري في تنشئة نفسه تنشئة مميزة بالصمت ، بالقسوة والعزلة بعض الأحيان . فبقي بعيداً عن الأضواء المهرجانية ، وبعيداً عن المناسبات السياسية الحارقة وقد تجلى نجاحه الشخصي في تمكنه من الابتعاد عن المأساة السياسية التي انتهى اليها عهد والده الشيخ بشارة الخوري . لذلك لم يرث الخصومات والعداوات والاحقاد التي تركها ذلك العهد .

ربما لأنه حرص ، قبل ان تدنو نهاية عهد والده ، على ان يكون اول منتقدي العهد وأول الثائرين عليه .

وربما لأنه اراد ان يعلن براءته مما حدث في ما بعد قبل حدوثه .

لذلك فإن خصوم ميشال الخوري ليسوا هم خصوم عهد والده . قد يكونون خصوم العهد السابق مثلاً ، او خصوم العهد الحالي .

اذ يخشى بعض الناس ، بعد تجربة الرئيس شارل حلو ، ان تتكرر التجربة اذا انتخب الشيخ الابن رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس الحالي . ويخشى بعضهم ان يسيطر على عهد ميشال الخوري الذين سيطروا على عهد شارل حلو ، فتضيع ست سنوات اخرى ، وقد يضيع ما هو اهم من عمر الولاية .

ضعيف ، ميشال الخوري ؟ .

اصدقاؤه القلائل والذين يعرفونه معرفة تامة ، وهم قلائل أيضاً ، يقولون ان ميشال الخوري سيكون مفاجأة . وسيكتشف اللبنانيون ، اذا انتخب رئيساً ، اي حاكم سيكون واي عهد سيكون عهده . ويضيف هؤلاء ان الابن الثاني لرئيس الجمهورية

الاسبق قوي الارادة ، ويمتاز بشخصية شجاعة وهو الى ذلك مقدام .

لكن الناس لا يعرفون ميشال الخوري جيداً . يقولون انه ، ليس شعبياً عدا كون الوسط الذي يحيط به يكاد يكون وسطاً منغلقاً . ثم انه ، يقولون ، لم يبرز كسياسي او كوزير او كمسؤول في موقف معين .

وللناس حديث آخر بالنسبة الى بسط الكف وعدم بسطها . انما هم يختلفون في الرأي حول شخصية عهد يسمى عهد ميشال الخوري لا عهداً آخر من عهود الازدواجية .

بطاقة هَويّة

ولد ميشال الخوري في 24 تشرين الثاني 1926 (بيروت) .

والده الشيخ بشارة الخوري .

دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية في كلية القديس يوسف ونال منها الاجازة في الحقوق .

تابع دراسته في كلية الحقوق في باريس .

خلال دراساته الجامعية في بيروت وباريس كلف القيام بمهمات رسمية ورافق بعثات رسمية الى لندن وباريس والفاتيكان والقاهرة .

عمل كمساعد لخاله ميشال شيحا في المهمة التي اسندت اليه سنة 1946 ، للسعي لدى قداسة البابا بيوس الثاني عشر في اقامة علاقات ديبلوماسية بين لبنان والفاتيكان .

في الفترة ما بين 1946 و1947 عمل في جريدة « لوجور » حيث كتب مقالات في مواضيع سياسية واجتماعية وفكرية ، وساهم في التحرير الاخباري اليومي في هذه الجريدة التي كان يملكها خاله .

بعد نيله الاجازة في الحقوق سجل اسمه في نقابة المحامين ومارس مهنة المحاماة فترة من الزمن قبل ان يتسلم ادارة محلات درويش يوسف الحداد التي فتحت امامه مجالات السفر الى العواصم العربية والعواصم الأوروبية .

يعود دخوله الحياة السياسية عملياً الى الرئيس السابق فؤاد شهاب الذي كلفه ، خلال عهده ، القيام بمهمات سياسية واقتصادية في الخارج والداخل .

من مؤسسي المجلس الوطني لانماء السياحة الذي انشىء في عهد شهاب والذي كان يرئسه الرئيس شارل حلو .

تولى رئاسة هذا المجلس ، ولا يزال بعد انتخاب الرئيس حلو رئيساً للجمهورية آب 1964 .

تولى وزارتي الانباء والدفاع الوطني في حكومة الرئيس رشيد كرامي ، من20 كانون الأول1965 حتى30 آذار1966 . وبصفته وزيراً للدفاع اشترك في الوفد الرسمي الى مؤتمر وزراء الدفاع العرب1966 . كما ترأس الوفد اللبناني الى مؤتمر وزراء الاعلام العرب الذي عقد في دمشق1966 ، وترأس أيضاً الوفدين اللذين وقعا الاتفاقات السياحية مع مصر واسبانيا ، كما ترأس الوفد اللبناني الى مؤتمر وزراء البترول الذي عقد في بغداد على اثر حرب الخامس من حزيران1967 ، وكان آنذاك وزيراً للسياحة والتصميم العام .

نائب رئيس مجلس ادارة الشركة المصرفية اللبنانية .

رشح نفسه للانتخابات النيابية وقدم ترشيحه رسمياً الا انه عدل في اللحظة الاخيرة فسحب الترشيح .

شعاره : ان المسؤولية السياسية واجب . واذا كان لا بد من القيام بهذا الواجب فمن الصعب التردد .

ليس حزبياً ، لكنه مؤمن بضرورة اعتماد النظام الحزبي كوسيلة للوصول الى الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السليمة . ويعتقد ان لبنان بحاجة الى حزب عقائدي له برنامج سياسي ويضم عناصر كلها لبنانية . واذا وجد مثل هذا الحزب فيكون ميشال الخوري اول المنتمين اليه .

الهوايات :

كان من محترفي التزلج وركوب الخيل . الا ان الاطباء منعوه من ممارسة هواياته الرياضية على اثر حادث تعرض له سنة1953 . فيما كان متوجهاً من ايطاليا الى فرنسا وهو يقود سيارته بسرعة ، انزلقت السيارة بتأثير المطر الخفيف فاصيب برضوض في عموده الفقري .

لا يزال يمارس السباحة بصورة شبه منتظمة .

من مدمني سماع الموسيقى ، لا سيما الكلاسيكية منها .

المطالعة :

يطالع باستمرار كتب التاريخ وعلم الاجتماع والفكر السياسي .

الوضع العائلي :

متزوج من ابنة عمه فيكي وله ثلاثة أولاد .

جان عزيز

قريبٌ من الأضواء ، جان عزيز ، بعيدٌ عنها .

قريبٌ من الرئاسة بعيدٌ عنها .

كان ولا يزال ، وعلى المسافة ذاتها في القرب والبعد .

صيف1970 أقترب نائب جزين من الموضوع الرئاسي الى درجة ملامسته ، ثم ابتعد فجأة . مثلما حدث له ، انما بنسبة أقل ، صيف اختيار شارل حلو في مجمع الكارلتون .

وصيف1976 أطل اسم جان عزيز ، لمع قليلاً وليس طويلاً ، اذ ان المبعوث الأميركي دين براون أوضح الصورة بما فيه الكفاية ، وأفهم الجميع الاسم والغاية .

وبقي هو هو ، كعادته ، قريباً مِنْ بعيداً عَنْ .

وبقي هو هو ، كعادته ، قليل الكلام قليل التعاطي في التفاصيل قليل الظهور ، كثير القعود والاحتجاب .

ومثله في كل موسم رئاسي ، يندرج اسم القاضي السابق والوزير السابق كمرشح سابق ولاحق ، موفور الحظ هذه المرة اكثر منه في أي مرة .



القاضي السربست

القاضي يعرف وكذلك الداني ان جان عزيز من الموارنة الذين يحرزون في هذا البلد . ومن الموارنة الذين يصلحون لاحتلال سدة رئاسة الجمهورية . محام . قاض سابق . وزير سابق . نائب للمرة الرابعة على التوالي . مثقف . جريء . مواجه . خطيب . . .

لكن القاضي يعرف وكذلك الداني ان جان عزيز نفسه هو ضد جان عزيز . لماذا ؟ لأنه كسائر الذين يرشحونهم للمنصب الكبير . يريد ولا يريد . اذا اتت عال ، واذا لم تأت تكون طلعت منها . . . فيبقى نائباً او مستريحاً مع ملحمة لا تقل عن الخمسمئة بيت من الشعر الصعب . ولأنه يحاول ملكاً فإنه لا يعذر .

ماذا ينقص ابن شقيقة الكاردينال بولس بطرس المعوشي ؟ قد وقامة وهيبة وعلم ومعرفة . ينقصه انه ، كسائر الموارنة المطروحين برسم كرسي الرئاسة . ينتظرها ان تأتي اليه وتخطب وده .

عندما كان قاضياً للتحقيق في البقاع ، جاءه احد المتهمين ، مرة ، ومعه كارت توصية من الرئيس صبري حماده . ضم جان عزيز الكارت الى ملف الدعوى واعتبره مستنداً جديداً ضد المتهم المستجير . . . بعمرو حماده .

يومها ذاع صيت القاضي الشاب ، ابن جزين ، ابن اخت الكردينال البطريرك المعوشي ، على انه قاض سربست . لا يساير ولا يأخذ ولا يعطي .

القانون قانون . على الكبير والصغير .

وبالطبع لم يكن سهلاً على القاضي جان عزيز ان يجتاز تلك « التجربة المهمة في حياتي » بسهولة . لكنه اجتازها ونجا بجلده منها ، وبقي صيت القاضي السربست يسبق جان عزيز اينما حل وكيفما اتجه .

وترك القاضي السربست القضاء ، ليقضي استراحة المحارب في عالم آخر وثيق الصلة بالقضاء : المحاماة .

بعد قليل صار المحامي جان عزيز نائباً . اطل بهالة سنة 1957 ، ليذكر الناس بالخصومة التي كانت بدأت بين بكركي والرئيس كميل شمعون .

من المحاماة الى القضاء الى المحاماة الى النيابة . عالمان مختلفان الى حد التناقض . عالم يرفض بطاقات التوصية وعالم يرسلها .

برغم ذلك لم يشعر جان عزيز انه غريب في عالم ساحة النجمة لدى دخوله الى المجلس النيابي للمرة الأولى . لم يستغرب . احس بفارق بين المقعد الذي كان يجلس عليه وراء القوس ، والمقعد الذي يجلس عليه في مقابل الرئيس صبري حمادة .

الا ان ابن جزين الذي كان سربستا في القضاء ومناقشاً عنيداً وخطيباً مفوهاً في المجلس النيابي لم يكن هو نفسه ، السربست والعنيد ، في الوزارة .

ربما لأنه جاء الى الوزارة في زمن صار الوزراء آخر من يعلم .

وربما أيضاً لأن جان عزيز جاء وزيراً في عهد حسب منه وفيه وحسب عليه ، فرضي بالأمر الواقع دون ان يذهب بعيداً في الرضى ودون ان يغمر في الذاكرة جان عزيز القاضي الذائع الصيت .

وربما كذلك لأن الذين سايرهم من بعد كانوا قد سايروه من قبل ، ثم وعدوه بالمسايرة عندما يصل مركب امانيه الى مرفأ رئاسة الجمهورية .

يظلم جان عزيز ، يقول اصدقاؤه ، عندما يحاسب على اخطاء لم يرتكبها ، او هي ارتكبت فأساءت اليه وظلمته بدورها ، دون ان يكون له فيها دور او كلمة .

من 1961 الى 1964 ، عمر الوزارة الأولى في حياة جان عزيز « لم تكن الحقيبة حزانة » ، يقول الذين يخشون عليه ان يكون قد توغل في المسايرة . ثم انها كانت فترة الحرج والاحراج للجميع : الذين مع العهد الشهابي ، والذين في صميمه ، ومن داخل ، والذين ضده ومن خارج او من بعيد .

هنا يضرب جان عزيز الطاولة بيده ويتحدى : « دلوني على موقف سايرت فيه . دلوني على قضية ميعتها او لم اواجهها بما تستحق من العناية والصمود . دلوني على المطرح الذي كنت فيه دون ان اكون فيه . سموا لي الأشياء باسمائها لاعطيكم الجواب » .

ـ تغيرت ، يقولون عنك . على الاقل تركت بعض الغبار يتراكم على زوايا صورة القاضي السربست ؟ .

يرفض الاتهام : « لم اتغير . انا لا اقبل الشواذ ، ولا يمكن ان اسكت عنه ، حتى لو كان على نفسي وفيها » .

يقول المنصفون ان ابن جزين برهن خلال فترة ، ليست وجيزة ، انه لا يزال ذلك الشاب المتحمس الذي يتخطى بارادته وعناده وصلابته كل ارادة اخرى . . . شرط ان تكون اللعبة نظيفة ويضمنها القانون .

ويستند هؤلاء الى شهادة الهجر ، التي يحملها جان عزيز في جيبه ، والتي تقول صراحة ان القران الذي كان بين الشهابية وبين نائب جزين قد فسخ . وبما ان جان ماروني والنهج ماروني ايضاً فإن الطلاق ممنوع . . . فكان الهجر .

. . وكان اللقاء الأول ، بعد هجر مماثل وطويل ، بين جان عزيز وكميل شمعون الى مائدة غداء عامرة في الكحالة .

كان الغداء مناسبة لتبادل الاحاديث والذكريات . كذلك كان مناسبة عند الناس لتطليع الاشاعات وتنزيلها : ناس يقولون ان عزيز لجأ الى شمعون نكاية بشهاب ، وناس يقولون ان الرجل لحق حاله ، وناس يقولون انه اراد ان يستقل . يتحرر من النهج ومن الحلف . يكون صديق الطرفين . يكون لا مع هذا ولا ضد ذاك . يستقل بعد ذلك المشوار الطويل على طريق الشهابية .

هل استقل جان عزيز ؟ .

هو يقول : « لا يطلبوا مني ان احمل السوط واجلد النهج . استقليت » .

صيف 1964 ورد اسم جان عزيز بين القلائل الذين ظلت اسماؤهم ترد كمرشحين وكاحتمالات وكامكانات . ظل حتى المجمع التمهيدي في منزل شارل سعد . لكنه ، بالطبع ، لم يعد وارداً بعد مجمع الكارلتون .

الآن وقد بدأت الأسماء التي يرشحونها من زمان تأخذ طريقها الى الانتشار من جديد ، يعود اسم جان عزيز ليحتل مساحة كافية بين الاسماء البارزة .

شاعر ، يحب الأدب العربي القديم . يحب الكلمة المتوجة بالمهابة . كثيراً ما وقف في مجلس النواب ليرد شعراً على وزير او رئيس حكومة . وكثيراً ما استهل خطاباً او بياناً

بأبيات من الشعر . وكثيراً ما كانت الصحف تنشر له رسوماً بقلم الحبر الناشف لنواب ، لاشياء رسمها عندما تكون جلسة مجلس النواب منعقدة ، او حتى عندما تكون الجلسة هي جلسة مجلس الوزراء .

يرسم ، اذا كان الجو لا يعجبه ، ويكتب معلقاً تحت الذي يرسم .

كأنه يقول بالرسم ، وبالتعليق شعراً ، ما كان يود ان يقوله مباشرة وبغير الرسم والشعر .

لبنان جَان عزيز

كيف يريد جان عزيز لبنانه ؟ .

« قبل كل شي اريد لبنان وطناً معافى لمواطنين يفتخرون بالانتماء اليه ويشعرون بانهم فعلاً ينتمون الى وطن كبير وان كانت مساحته صغيرة » .

ولبنان المستقل ، لبنان السيد ، لبنان الحرية والديموقراطية ، هذا اللبنان يجب ان يصبح امراً نهائياً ولا يجوز التوقف عند الجدال حوله . فهناك اللبنان المعافى ، الواثق من نفسه ذو الطموح ، المشع ، المبدع ، المطل على العالم بتاريخ يكون عنوانه الحاضر . اذ لا يكفي ان نتغنى بالتاريخ ، وبالامجاد الغابرة ، وبالستة آلاف سنة ، فنحن حاضر والا فإننا لا نكون مستقبلاً .

وبالطبع ، كي نكون في هذا المستوى من التطلع يجب ان نعيد بناء الدولة من اعلى الهرم حتى القاعدة . واعادة النظر في الأساليب والسياسة الرسمية المعتمدة هي من تحصيل الحاصل . والاعتماد على العنصر البشري ، على العنصر الانساني في عملية البناء تقتضي الانفتاح والمصارحة والمعرفة والثقة . اذ كيف يثق مواطن بدولة لا يزال يعتبرها خصمه ، ومن حقه ان يعتبرها كذلك لأن الدولة في مؤسساتها وادارتها لم تقم بما يجعل المواطن يفكر عكس ذلك او بما من شأنه ازالة هذا التفكير الراسخ في ظنه وذهنه من جراء تصرفات مؤسسات الدولة تجاه المواطن والوطن معاً .

فعندما يزول الارتياب والشك من نفس المواطن تسهل مهمة الاصلاح ، لأن التلاحم يتم تلقائياً وتخلق لدى المواطنين الشعور بالمواطنية الصحيحة السليمة المسؤولة . اما الآن فإذا قالت الدولة انها ستفعل كذا او كيت فإن المواطن لا يصدقها . لذلك فإنها

عندما تحاول ان تفرض ضريبة من اجل منفعة او مصلحة عامة ، فإنها اول ما تصطدم بمعارضة المواطن ، هذه المعارضة الناتجة عن اعتقاد بأن الأموال التي ستجمع لغاية معينة ستنفق على غاية اخرى مختلفة تماماً ، هذا اذا انفقت .

ثم عمَّ يتحدث المرء ولا يجد عاهة ولا يتمزق الما :

- الادارة
- قانون الانتخاب
- الوضع الاجتماعي
- الوضع الاقتصادي
- التربية
- الشباب
- الوضع النقابي
- الأحزاب
- الزراعة
- الصناعة . . .

أي شيء من هذه المقومات الاساسية لا يحتاج الى هزة قوية ، واعادة نظر شاملة . اعادة البناء ، جملة قصيرة لكنها تستوعب حالة دولة مهلهلة .

ثم الفن ، لبنان الفن والخلق .

ثم الشعر والادب والابداع الفكري ، الجمال الحقيقي ، الوجه الحضاري للشعب » .

متى يتناسون الحزازات ؟

عندما وصلت الأزمة السياسية (ازمة الاشهر السبعة الى ذروتها وكثرت الاحاديث حول وجوب تأليف حكومة تخرج البلاد من دوامة فراغ الحكم ، أدلى جان عزيز بما يأتي :

« كنت اول من نادي بحكومة الاتحاد الوطني اثر ضرب مطار بيروت . والأوضاع الراهنة في نظري اشد خطراً وخطورة من الحالة التي عقبت ضربة المطار ، وهذا ما يجعلني اتشبث اكثر فأكثر في رأيي الأول ، لأن التفاف الرأي العام اللبناني حول حكومته لمجابهة

الموقف ضرورة وطنية . واذا كان اللبنانيون عاجزين عن اللقاء في مثل هذه الظروف المصيرية فإني اتساءل في اية ظروف يمكن ان يلتقوا ويتناسوا حزازاتهم ومنافساتهم السياسية » .

ورداً على سؤال حول ما اذا كان يؤيد ايجاد الحل المناسب قبل تشكيل الحكومة او العكس ، قال عزيز انه من الأصلح التمهيد للحل قبل تأليف الحكومة ، حتى لا تؤلف حكومة تمثل الأحزاب والتيارات المختلفة فتجابه المعضلة ولا تتفق على طريقة معالجتها فتفرط . « لكنني اعتقد ان الأيام التي مضت والاستشارات والمفاوضات التي حصلت اثناءها كافية لترسم في ذهن المسؤول الأكبر الصورة الحقيقية للوضع من جميع جوانبه ، فإذا كانت هذه الاستشارات وهذه المفاوضات قد لاح من خلالها امل في الوصول الى حل مسبق على أساسه تقوم حكومة الاتحاد الوطني ، فلا بأس بالانتظار قليلاً ، اما اذا كانت الآمال ضعيفة او منعدمة في الوصول الى حل مسبق فتجب المبادرة الى تأليف حكومة يأتي في رأس مهماتها ايجاد الحل المنشود » .

ورداً على سؤال يتعلق بموضوع تعديل الميثاق الوطني ، تمهيداً لوضع ميثاق جديد اعلن نائب جزين ان القضية الملحة اليوم هي « توحيد رأي الجميع حول قضية الفدائيين ، وهي ككل قضية خطيرة تمس الميثاق الوطني ، اذ تجب معالجتها مبدئياً من خلال مفاهيم هذا الميثاق . واذا كان الميثاق الوطني المعمول به اليوم اصبح غير كاف في نظر الأجيال الطالعة ، الا ان اعادة النظر في هذا الميثاق او نسفه والطلوع بميثاق جديد ، عمل رصين عميق لا يجوز فيه الارتجال » .

وعن اجتماعات نواب الجنوب قال النائب عزيز انه من الوجهة الدستورية « ليس لنواب الجنوب اية افضلية في الرأي حول القضية الراهنة ، لأن كل نائب في المجلس يمثل كل لبنان . ولكن من الناحية البشرية التي هي اقوى من القوانين والدساتير ، نحن معنيون عبر من نمثلهم من ابناء الجنوب اكثر من غيرنا لأن الخطر انما يهدد ابناء الجنوب في ارواحهم وممتلكاتهم واعراضهم اكثر من غيرهم ولذلك تنادينا وتشاورنا ووضعنا رأياً عرضناه على فخامة الرئيس لعله يكون عنصراً في يده من عناصر حل الأزمة .

وبالنسبة الى تأخير تشكيل الحكومة قال « اذا اساؤوا تأليف الحكومة بطبيعة الحال ستكون هذه الحكومة سبباً يضاف الى أسباب تصعيد الأزمة ، ولكن اذا احسن التصرف والروية التي عولجت بها الأزمة انما تهدف الى ذلك فإن الحكومة تكون وسيلة لحل الأزمة لا لتأزيمها » .

الميثاق ، الحكم ، الوطن

عندما خرج جان عزيز من سرب النهج ، وكان من اركانه ، بقي ثلاثة اشهر واكثر « ضائعاً » عن الناس ، الناس العاديين والناس السياسيين والناس النواب .

قيل الكثير في اسباب طلاقه من الشهابية ، خصوصاً انه لم يتزوج الحلف الذي كان لا يزال قائماً في ذلك الزمان .

وبرغم كل ما قيل بقي نائب جزين صامتاً .

وصمته حير الذين ما عرفوا الحيرة من قبل ، حتى اولئك الذين ظنوا في البدء ان جان عزيز لا يمكن ان يحيرهم .

وتكاثرت التخمينات والافتراضات والاحتمالات . فقيل ، مثلاً ، انه تعرض لضغط من خاله الكاردينال مار بولس بطرس المعوشي بطريرك الموارنة في لبنان . قالوا : قال له البطريرك « بلا النهج والشهابية » . فقال عزيز « بلا النهج والشهابية » .

وقيل أيضاً انه متفاهم ضمناً مع النهج ، ومع « راهب العقيدة» ، على الخروج من سرب الشهابيين ليغني موال رئاسة الجمهورية كما يجب ان يغنى في بلد كلبنان . وكي يغني هذا الموال لا بد من الوقوف موقف المستقل . وكي يستقل ويظهر فعلاً انه مستقل لا بد من « الاستقالة » من الشهابية ، تتبعها عريضة لقاء بالرئيس كميل شمعون وتناول الغداء معه . ولا بد من كلام يقال هنا ويقال هناك .

الا ان جان عزيز لم يجد في كل هذا التحريض ما يدفعه الى الكلام . بقي صامتاً ، وهو اذا طلق الصمت يكون كلامه بعضه شعراً والبعض الآخر نثر الشعر .

ولما قرر ان يطلق الصمت، كما طلق النهج ، ويحكي كانت قصة مسيرته مع النهج قد وصلت الى آخر خيوطها . وحكى نائب جزين ما له وما عليه . ما للشهابية وما للحلف وما لشمعون وما لقيصر . من الألف الى الياء . بدأ الامين السابق للجبهة الديموقراطية البرلمانية (الشهابية) بحادث المطار وكيف تفركشت حكومة الاتحاد الوطني . . . الى كيف ان كرامي لا يقوص ويعذب نفسه لأن بجانبه من يقوص عنه . هذا الحديث الذي دار في حوار مع النائب عزيز قبل اكثر من سنة(15 - 4 - 69) يرسم بكلماته الملامح والخطوط العريضة لجان عزيز كما يرسم سياسته وآراءه وافكاره وربما صورة ، ولو غير مطابقة

للأصل ، لمزاج الرجل الذي يرد اسمه في عداد الذين يرشحونهم لمنصب رئاسة الجمهورية .

في حرصي على ان يكون ذلك الحديث المادة البارزة في الملف الثالث عشر فلكونه لا يترك ناحية الا ويمر بها متطرقاً الى الداخل والخارج عبر المحيط العربي وبقية المحيطات : النظام السياسي ، النظام ، الحلف والنهج ، الحكم ، شمعون ، شهاب ، حلو ، الازدواجية ، كل شيء .

وبالطبع يبدأ الحديث عن قصته مع النهج والنهجيين . ما هي القصة ؟ .

« اعادة النظر في موقفي من الجبهة الديموقراطية بدأت مع حادث المطار ، يوم اعتدت اسرائيل على مطار بيروت الدولي ، وقد مثلت الحكومة الرباعية امام المجلس وشرحت للنواب ظروف ضرب المطار وبينت بشكل او بآخر اسباب عدم الرد على الاعتداء .

وفي الجلسة السرية التي كانت مخصصة للبحث في هذه القضية المهمة تقدمت ببساطة من مقاعد الحكومة ووجهت الى الرئيس اليافي السؤ ال الآتي : ضميرياً يا دولة الرئيس ، ونحن هنا جميعاً في مركز المسؤوليات ، هل تعتقد انه بامكانك وبامكان وزرائك الثلاثة ان تنهضوا بالمسؤولية التي يضعها على عاتقكم الظرف الخطير الراهن ؟ .

اجاب اليافي قائلاً : بصراحة . . . لا .

عندئذ التفت صوب النواب وقلت لهم : شو بقي ؟ دولتو عمبيصرح انو ما عاد يقدر يجابه الوضع بها الوزارة . مش عيب علينا نضل نفكر نهج حلف وحلف نهج ، والعدو عمبيدق عاالباب وفات لجوا وضربنا ؟ الليلة بالاتفاق مع الحكومة ومن دون ما يكون في تحدي لأي كان لازم ما نخرج من المجلس الا مشكلين حكومة اتحاد وطني .

وعلا التصفيق في القاعة . وقسم كبير من النواب الذين كانوا متحلقين حولي وانا اقف امام مقاعد الحكومة اخذوا يهنئونني ويقبلونني . والرئيس صبري حمادة ، بعفوية ما بعدها عفوية ، عندما همدت الضجة التفت صوب الرئيس كرامي والذين كانوا قاعدين بقربه وقال : شو بدي قلكم جان عزيز معو حق .

وفجأة ، بينما كنت اتكلم بشيء من الانفعال مع بعض النواب حول وجوب الالحاح على الحكومة والمجلس بالخروج بحكومة اتحاد وطني فوراً ، نشطت مطرقة الرئاسة واعلن الرئيس حمادة تأجيل الجلسة . . .

في اليوم التالي عقدت الجبهة الديموقراطية وحلفاؤها سلسلة اجتماعات للبحث في الوضع العام الناجم عن ضرب المطار تمهيداً لتأليف حكومة اتحاد جديدة ، فكررت دعوتي الى تأليف حكومة اتحاد وطني يلتف حولها مجموع الرأي العام اللبناني وتتفرغ لمهمة حماية لبنان بتدابير تتخذ في الداخل ومن ثم بمبادرات سريعة على الصعيدين العربي والدولي .

وقلت في هذه الاجتماعات ان معركتنا الديبلوماسية لا تقل اهمية عن معركتنا الدفاعية على صعيد الجيش والشعب . بل انها قد تفوق هذه المعركة في الوقت الحاضر اهمية . وان وزارة الخارجية يجب ان يعهد بها الى شخصية قادرة على التحرك والمبادرة ، وان على هذه الشخصية ان تصارح اول ما تصارح المسؤولين في الدول العربية الشقيقة بمقدرتنا الدفاعية الذاتية وان تطلب اليهم مصارحتنا بامكاناتهم واستعداداتهم للمشاركة في الدفاع عنا بعد ان انفصم الدفاع العربي المشترك الى دفاع غربي ودفاع شرقي ولم تتألف قيادة عربية موحدة جديدة لا في الشرق ولا في الغرب . حتى اذا كان جواب المسؤولين في الدول العربية سلبياً او غير مطمئن صارحناهم بأن على لبنان ان يستعمل حقه كعضو في الأمم المتحدة وان يطلب من ضمير العالم المجسد في هذه المنظمة الدولية ان يحميه من الغدر الصهيوني .

وهنا لا بد لي من الاشارة الى الجو الذي حملني آنذاك على الوقوف هذا الموقف . واعيد الى الذاكرة :

أولاً ـ ان السلطات العسكرية اللبنانية ، في الجلسة السرية للمجلس النيابي التي اشرت اليها آنفاً ، كانت قد أبلغت رئيس الحكومة ان على الحدود اللبنانية حشوداً اسرائيلية .

ثانياً ـ ان سفيرين اثنين لدولتين صديقتين للعرب كانا قد ابلغا بعض النواب ان ثمة شيئاً وشيكاً يحضر على الحدود الجنوبية ضد لبنان » .

وبالنسبة الى مطالبته بالبوليس الدولي الذي يطالب به ريمون اده ، قال جان عزيز :

« في ذلك الجو وقفت هذا الموقف . واشدد على القول اني كنت واثقاً من وجود الخطر المداهم بالنظر الى المعلومات المشار اليها ، ومع ذلك اشترطت ان يكون طلب استدعاء البوليس الدولي بمعرفة المسؤولين العرب وموافقتهم .

واذا كانت الأحداث ، بعد تحرك الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول والفاتيكان واقرار

مجلس الأمن بادانة اسرائيل ادانة اجماعية ، قد بددت كلها المخاوف التي كانت تساورني آنذاك ، فإن هذه المخاوف بالذات هي التي تبرر موقفي بمجمله .

بطبيعة الحال الذين كانوا من رأيي في الجبهة الديموقراطية وحلفائها كانوا قلة ضئيلة . وهذا اول خلاف مبدئي بيني وبين زملائي » .

س : والخلاف الثاني ؟ من اي نقطة بدأ ؟ .

« اما الخلاف الثاني فهو اصرار البعض على تأليف حكومة الاتجاه الواحد واصرار البعض الآخر على تأليف حكومة مشتركة من الاتجاهين على ان يستبعد الوطنيون الأحرار . وانا بالطبع بقيت مع بعض الزملاء ، وهم قلة أيضاً ، على موقفي الأول ، اي على وجوب تأليف حكومة اتحاد وطني دون استثناء اي من الأحزاب . وذلك لرص الوحدة الوطنية ولف الرأي العام اللبناني كله حول ما كنت اسميه ذلك الوقت حكومة الانقاذ .

وكما هو معروف ، نهج في تأليف الحكومة نهج غير النهج الذي قلت به ، فاستبعد الوطنيون الاحرار ، مما حمل الشيخ بيار الجميل والعميد ريمون اده والزميلين نصري معلوف وحسين منصور على الاستقالة .

وتلونت القضية بألوان تخدش الوحدة الوطنية ، واذا بالرئيس كرامي يطلب الي في الليل الذي اعلنت فيه الحكومة ان اشترك ،فاعتذرت شاكراً » .

س : ونقطة الخلاف الثالثة ؟ .

« رأى الفريق المناوىء للجبهة الديموقراطية في موقفي شيئاً يرضيه ، وانا يعلم الله لم اقف هذا الموقف لاسترضي اية جهة بل بوحي من ضميري الوطني ليس الا .

واذا بالزميل اميل مكرزل في مأتم شقيق الزميل ادوار حنين يقول لي ان الرئيس شمعون وبعض الحلفيين كانوا يتداولون موقفي ويمتدحونه ، ثم يسألني اذا كنت اوافق على الاجتماع بالرئيس شمعون على غداء او عشاء فقلت له : ليس بيني وبين الرئيس شمعون عداء بمعنى العداء انما بيننا تباين في بعض وجهات النظر وانا مستعد للاجتماع بفخامته .

فعين لي موعداً حال دونه مرضه ثم مرضي ، وعندما ابل وابللت اعاد الكرة وكان الاجتماع » .

س : هل ان الرئيس كرامي كان وراء الفيتو على الاحرار ؟ .

« عندما يكون قرب الرئيس كرامي من يراشق عنه ، فلماذا تطلب منه ان يراشق بنفسه ؟ » .

س : ومن راشق عنه ؟ .

« كمال بك جنبلاط كان رأس الحربة في معارضة حكومة الاتحاد الوطني وفي المناداة بحكومة الصف الواحد . اما الرئيس كرامي فكان ينادي بحكومة من الاتجاهين وكان يفهم من لفظة « الاتجاه » عندما تطلق على الفريق الحلفي ان اشتراك الكتائب والكتلة الوطنية كاف في نظره لتمثيل الاتجاه الحلفي .

س : اذن ، كان مع الفيتو ؟ .

« على الاقل لم يظهر منه ما يعني العكس » .

س : وقيل ان الرئيس شهاب هو الذي أوحى لجنبلاط بالاصرار على الفيتو . انت تعرف الرئيس السابق جيداً وكنت اميناً للجبهة الشهابية ، هل صحيح هذا الاتهام ؟ .

ج : انا لم اقابل الرئيس شهاب في حينه . ولم اقابله في ما بعد لاعرف ما اذا كان هو الذي اوحى الى جنبلاط بهذا الموقف . لكن ابادر الى القول ان عند كمال جنبلاط من الاسباب المحلية الشوفية والمبدئية العقائدية ما هو كاف للوقوف في وجه اشتراك الوطنيين الأحرار في الحكم ، دون حاجة الى تحريض الرئيس شهاب او غيره . لأن كمال جنبلاط يرى ان رفع الحرم عن الوطنيين الاحرار باشراكهم في الحكم اليوم يفتح لهم الأبواب سنة السبعين .

س : والحرم على الأحرار الم يضعه في الاساس الرئيس شهاب ؟ .

ج : هذا السؤال يجب ان يطرح على الرئيس شمعون الذي هو ادرى به او على الرئيس شهاب اذا كان بامكانك ان تصل اليه وتستجوبه . لكنكم في « النهار » ، في ما يختص بالرئيس شهاب ، ستقولون في هذا الظرف : « وحديث من الهوى لم نقله اوشك الصمت حولنا ان يقوله . . . » .

س : تعاونت طويلاً مع الرئيس السابق . نسبت اليه مواقف وسجلت عليه مآخذ ، حتى انه اتهم بأنه لم يمنع ثورة 1958 ، لأنها كانت طريقه الى الحكم . ما رأيك في ما قيل عنه ، وما رأيك فيه فعلاً ؟ .

ج : قبل ان اجيب عن هذا السؤال اروي لك فحوى حديث جرى بينه وبيني

عندما كان قائداً للجيش وذلك ابان زيارة شاه ايران في عهد الرئيس شمعون عام 1957 .

ذهبت اليه لاعرض له قضية تتعلق بجندي كبير متقاعد .

عرضتها باختصار واجابني سلباً باختصار أيضاً .

وبعد القهوة قمت لانصرف فاستبقاني واخذنا نتجاذب اطراف الحديث .

فقلت له : يا جنرال انا شايف في الأفق الوان حمرا ، وشامم ريحة بارود .

فسألني : ليه ؟ .

فقلت : بسبب الانقسام في البلاد حول قضية التجديد . الاكثرية في المجلس مؤمنة للتجديد . لكن الاكثرية في البلاد ، وخصوصاً عند فئات معينة ، مش موجودة .

فقال لي : هالبلاد اخذت استقلالها وما انسفكت نقطة دم .

قلت : الاحداث هيأتها عمتتجه صوبك . اذا علقت ما في غيرك .

قال : انا ؟ انا ما بعرف اشتغل سياسة . انا همشري ما بحب السياسة ولا بدي اتعاطى بالسياسة ولا بدي رئاسات . هيدا امر مش معقـول .

قلت : ستضطر الى القبول قياماً بواجب وطني .

قال : مش راح اضطر ولا بدي ياها .

هذا هو الحديث الذي جرى .

وانا اعتقد ان الرجل انبل من ان يمهد للرئاسة بثورة دموية ، خاصة انه سبق له ان برهن عن زهده بالرئاسة اولاً عندما عرضت عليه سنة 1952 ، وثانياً عندما رفض تمني اكثرية المجلس سنة 1964 للتجديد .

س : والرئيس الاسبق كميل شمعون ما رأيك فيه ؟ .

ج : الرئيس شمعون رجل سياسي من طراز رفيع . يعرف ما يريد ، ويعمل بصبر وصمت واناة للوصول الى ما يريد . وهو يفهم نفسية الجماهير فهماً يكاد يكون سليقوياً . ومما لا شك فيه ان له طلة على الجماهير ليست للكثير من رجال السياسة الذين عرفتهم .

هذا كله لم يمنعني من ان اكون سنة 1957 اول نائب ماروني يصرح بعدم موافقته على تعديل الدستور وبالتالي على تجديد الولاية للرئيس شمعون . وذلك للسبب الذي

قلته آنذاك للجنرال شهـاب ولغـيره من السياسيين من انـني اتوقـع حدوث شيء ما لو استمرت محاولة التجديد .

س : والرئيس شارل حلو ؟ .

ج : من اذكى الرؤ ساء واكثرهم ثقافة . يعرف اكثر مما ينبغي لرجل الحكم ، عن الشيء وضده ، والنظرية وعكسها . حديثه مع عقله لا ينتهي وعقله متحرك ابداً مولداً ابداً . من هنا تردده في بعض المواطن . لكأنه ينبغي لرجل الحكم ان يجهل بعض الجهل ليقدم .

وقد يكون يعلم في كثير من القضايا اكثر مما يجب ان يعلمه رجل التنفيذ اذ قد ينبغي لرجل التنفيذ ان يجهل بعض الأمور كي يقلع عن التردد ويحزم امره ويقدم . هذا وقد جاء الرئيس حلو الى الحكم بأكثرية ليست له ولا يملكها . ولـم يشأ ان يوجد لنفسه في المجلس ، وفي البلاد ، القوة التي تمكنه من ان يفرض كل ما يريد ان يفرضه لتـدعيم حكمه .

فظل في القسم الأول من ولايته يستطيع بغيره . ولما اراد ان يستطيع بنفسه ، كانت ولايته قد اقتربت من النهاية . . .

في بداية ولايته هذه ، وخلال الاستشارات التي اجراها في قصر الرئاسة في صربا لتشكيل الحكومة نصحت له بالعمل على تأليف كتلة تنتمي اليه تقوم بدور المرجح بين كتلة الاكثرية ، وتكتل الاربعين آنذاك ! . . فاقتنع بصحة الاقتراح نظرياً (او هكذا بدا لي) ولم يفعل شيئاً يجعله حقيقة واقعة .

س : لو كنت رئيساً للجمهورية بعد الاعتداء على المطار ماذا كنت فعلت ؟ .

ج : كنت فعلت ما قلت به في حينه . اي كنت دعوت الى مؤتمر وطني ووضعت جميع الزعماء امام مسؤولياتهـم وطلبت اليهم اجراء مصالحة وطنية ، في ما بينهم . فإذا حصلت هذه المصالحة الفت الحكومة على أساسها ، واذا تعذر اجراء هذه المصالحة لكنت طلبت الى هؤ لاء الزعماء ان يتفقوا على قدر كاف من المبادىء الوطنية على الصعيد الداخلي والصعيد العربي والصعيد الدولي ، والفت الحكومة القادرة على تنفيذ هذا المخطط .

واذا تعذر التئام المشيئات حول هذا المخطط المطلـوب كنـت الفـت حكومـة على مسؤوليتي لمجابهة الوضع ، وكنـت نزلـت شخصياً الى المجلس النيابـي ووضعتـه امام مسؤولياتـه الكاملة .

س : للمناسبة هل انت مرشح لرئاسة الجمهورية ؟ .

ج : لا .

س : لماذا ؟ .

ج : لأني لم اعد متفقاً مع رعيلي ولم اتفق مع اي رعيل آخر .

س : هل يمكن ان تتفق مع الحلف فتكون مرشحه ؟ .

ج : انا مصمم على الوقوف المواقف التي يمليها عليّ ضميري الوطني بمعزل عن اي ارتباط سياسي . عندما يكون النهج على حق في موقف من مواقفه سأؤيد النهج ، وعندما يكون الحلف على حق في موقف من مواقفه سأؤيد الحلف . كل ذلك حسب اجتهادي المتواضع .

س : لو كان هناك مرشحان لرئاسة الجمهورية : احدهما كميل شمعون والآخر فؤاد شهاب ، فأيهما تؤ يد ؟ .

ج : ان كميل شمعون اعلن انه غير مرشح وفـؤاد شهـاب ، حسـب اجتهـادي المتواضع أيضاً ، لا اعتقد انه يرغب في العودة الى الحكم ، وانت تعرف ذلك .

لكنك بسؤالك تريد ان تفهم من منهما احبه اكثر . فخذها بصراحة : انا احب فؤاد شهاب اكثر من كميل شمعون . وهذا طبيعي لأني تعاونت مع شهاب مدة طويلة على تفاهم ورضا ولم اجتمع بكميل شمعون اجتماعاً سياسياً الا في الكحالة . انما هذا لن يمنعني من تأييد بعض مواقف كميل شمعون عند الاقتضاء حتى لو كانت ضد ما يراه فؤاد شهاب ، ومن تأييد فؤاد شهاب ضد ما يراه كميل شمعون حتى عند شبوب نار الغرام السياسي في ما بيننا . وذلك كله حباً للبنان الذي هو فوق شهاب وشمعون وجميع المشتغلين في السياسة .

س : يؤخذ على العهد الشهابي انه شجع الازدواجية واوجدها .

هل صحيح ما يأخذونه عليه ؟ .

ج : مما لا شك فيه ان الجنرال شهاب بحكم نشأته العسكرية كان يثق بالعسكريين اكثر من محترفي السياسة ، ولذلك تعاون معهم ووضع البعض منهم في مراكز حساسة . في عهد شهاب لا يمكننا ان نسمي هذه الظاهرة ازدواجية ، لأن العسكريين كانوا يأتمرون بامره ويعملون لتدعيم حكمه .

بعد شهاب لم يأت شخص او لم يأت الاشخاص الذين قالوا للعسكريين « يسلموا دياتكم » . وانا اعرف ان بعض العسكريين كانوا ولا يزالون يكلفون مهمات لا تدخل في صلب عملهم العسكري الصرف ولا تمس هذا العمل الا من ناحية واحدة هي الأمن في بعض الحالات .

فعندما يحصل هذا بتكليف من السياسيين فمسؤوليته تقع على السياسيين اكثر من العسكريين . فلتقرر الدولة وليقرر السياسيون عدم الاستعانة بالعسكريين قبل ان يرموهم بحجر الاتهام . في كل حال انا شخصياً من القائلين بأن الحكم المدني هو الحكم المسؤول وان جميع اجهزة الدولة يجب ان تأتمر بأوامر الحكم المدني .

س : قال بعض السياسيين ان الرئيس حلو راض عن الازدواجية . انت تعاونت معه ، هل وجدته راضياً ؟ .

ج : كنائب لم يتسن لي ان اطلع على شيء من ذلك . ولا تطلب مني ان اطلعك على شيء مما قد اكون او لا اكون اطلعت عليه كوزير ، لأني اتشبث بآداب السياسة .

س : نعود الى رئاسة الجمهورية . تقول انك لست مرشحاً لأنك لم تعد متفقاً مع رعيلك . لنفترض انهم رشحوك ، ماذا يكون موقفك ؟ .

ج : من ؟ .

س : الشهابيون ؟ .

ج : لن يرشحوني لأني لن اكون عند حسن ظنهم وبخاصة لجهة المرونة المطلوبة . . . يبدو لي انك لم تقرأ اناتول فرانس الذي وضع مواصفات الرئيس في الجمهورية الثالثة .

س : في كل حال ، انت في اعتقاد الناس من المرشحين للرئاسة فهل عندك برنامج ؟ .

ج : اشكر الذين يرشحوني ولو ترشيحاً ذهنياً . على كل لن اقف من الآن الى سنة السبعين اي موقف يمكن ان يكون تمهيداً لهذا المطمح .

اما البرنامج ، فلا يعقل ان يضعه رجل بمفرده ، خاصة اذا لم يكن له مطمح مباشر الى هذا المركز ، اذ في الدولة الحديثة رئيس الجمهورية يجب ان يحيط نفسه بجمهرة من الاختصاصيين واصحاب الرأي لوضع البرامج التي تتطلبها البلاد في الفترة التي يتولى فيها الحكم .

لكن هذا لا يمنعني من ان يكون لي رؤيا عامة لما يجب ان يكون الحكم سنة السبعين ولست سنوات هي ولاية الرئيس المقبل . هذه الرؤيا موجودة عند كل من يتعاطى السياسة وله مسكة من ثقافة وعلم وخبرة في شؤون الناس وحاجاتهم ، وهذا لا يمنع الذي تكون عنده هذه الرؤيا من ان يعدلها جزئياً في ضوء تطورات الأحداث التي يجابهها وتجابهه .

س : ما هو لبنان الذي يمكن ان يكون او تريده ان يكون في عهدك ؟ .

ج : انك تطلب مني هنا ان اجمع البحر المحيط في كأس . مع هذا سأخوض الغمار لاخرج ببعض النقاط .

لنتمكن من الطموح للبنان بمزايا واشياء ، يجب ان يكون لبنان ، وان يكون معافى .

وليكون لبنان ، او بالأحرى ليبقى لبنان ويبقى معافى ، يجب ان يصهر ابناؤه ، جميع ابنائه ، في بوتقة المواطنة الصحيحة .

ولنتمكن من صهر لبنان في هذه البوتقة يجب العناية باديء ذي بدء بالمدرسة . في المدرسة وفي البيت يبتدىء لبنان الحقيقي . وما دامت المدرسة اللبنانية والاعلام اللبناني لا يمهدان لنشأة اللبناني اللاطائفي المؤمن بلبنان وطناً حضارياً بكل ما في هذه الكلمة من معان فإننا وعندما نخلق هذا اللبنان الحقيقي يصبح بامكاننا ان نفكر بالنواحي الأخرى المالية والاقتصادية والسياحية والاجتماعية .

على كل لبنان هذا الذي تحلم به أنت واحلم به انا وكل مواطن يفكر في مستقبل بلده لا ينبغي ان يخرج على معطياته ، بل على حتمياته الجغرافية والتاريخية والبشرية . ومن هذه الحتميات ان التطرف ، أياً كان التطرف في لبنان ، خطر عليه ، وان الانحياز الى اية جهة كان خطر على سلامته وامنه وديمومته . وعبر التاريخ التي تؤيد هذه النظرية لا تحصى ولا تعد . نقلة سريعة الى الرقم الحجرية في نهر الكلب كافية لاقناع من يريد الاقتناع بأن لبنان ما انحاز يوماً الى دول الشمال (اشور وبابل) الا هاجمته دول الجنوب (مصر الفراعنة) والعكس بالعكس .

س : أي لبنان يعجبك ؟ لبنان الجناحين ، لبنان الطائفي ، لبنان الميثاق الوطني ؟ .

ج : لبنان الجناحين ولبنان الطائفي هو الأمر الواقع الذي منه يجب ان نرتفع الى اللبنان الحقيقي الذي نطمح اليه . اي لبنان المنصهر ، لبنان الوطن .

س : والميثاق الوطني ، هل تراه يعرقل تطور لبنان ؟ هل ترى فائدة او ضرورة لميثاق مكتوب ؟ .

ج : الميثاق الوطني كان مرحلة لا بد منها ، اذن لم يعرقل الميثاق تطور لبنان . لكن ثمة امارات تدل على ان هذا الميثاق قد تجاوزته الأحداث في نظر بعض النخبة من ابناء لبنان ، خصوصاً ممن التزموا بعض العقائديات وتمرسوا ببعض الفلسفات السياسية والاجتماعية ، ونحن اليوم نعيش فترة المخاض التي قد يعقبها شيء مما نحلم به . اما الميثاق المكتوب فلا قيمة له بين مواطنين لم تمس نفوسهم شعلة الايمان بالوطن . قلت واكرر ان لبنان يبتدىء في البيت والمدرسة ، اي بالعلم والثقافة والتربية الوطنية الصحيحة والقدوة الصالحة .

س : وديموقراطياً ؟ باللعبة البرلمانية وبمناخ الحرية ؟ .

ج : الحرية المسؤولة هي القاعدة التي اعتنقها . الحرية غير المسؤولة فوضى ، والتوجيه القسري ظلم . الفوضى لا تصلح لأي بشر والتوجيه القسري لا يستسيغه اللبنانيون ولو استناموا له حقبة من الدهر .

س : هل ستدعو الى قيام حياة حزبية افضل وصراع فكري عقائدي ؟ ام ان كل شيء سيبقى كما هو وعلى حاله ؟ .

ج : اذا قدر لي ان افعل فعلت . والا ابلغت نفسي عذرها .

س : وقانون الانتخابات هل يبقى على حاله ؟ .

ج : انا من دعاة اجراء الانتخابات على قاعدة حزبية ثلاثية . اي ان يفرض قانون الانتخابات قيام ثلاثة احزاب وان يجري الترشيح على أساس برامج الأحزاب الثلاثة ، وان نطمح بالنتيجة الى جعل لبنان دائرة انتخابية واحدة . واعتقد ان هذه النظرية لها جذورها التاريخية في لبنان . فلبنان انقسم بادىء ذي بدء بين قيسي ويمني ، ثم بين يزبكي وجنبلاطي ، ثم دستوري ووطني . وفي جميع هذه الحالات كانت تبقى بين الفئتين قوة ثالثة . وقبيل الحرب الكبرى الأولى كان حزب الثالوث وعلى رأسه الامير مصطفى ارسلان ، وكان هذا الحزب بمثابة القوة الثالثة في لبنان بين اليزبكيين والجنبلاطيين .

واليوم ، لبنان ينقسم حلفين ونهجين . النهج ، شئنا ام أبينا وشاء أم أبى ، له طابع غالب خاص . والحلف كذلك له طابع غالب خاص . والحكمة كل الحكمة في الظرف الحاضر ان تنهض بينهما قوة ثالثة او فئة مرجحة . وانا من دعاة تأليف هذه القوة الثالثة للحيلولة دون التصادم بين الفئتين ولتيسير الاستقامة للعبة البرلمانية . وانا اعلم حق العلم اني عندما ادعو الى ذلك ستحاربني الفئتان باسلوبين قد يكونان مختلفين ، لكنني اعتبر ان مصلحة بلدي ها هنا وسأبقى على موقفي ولو بقيت وحيداً .

س : الطلاب وقلق الجيل وهجرة الأدمغة اللبنانية ؟ .

ج : انا من دعاة البكالوريا المتنوعة والاستعانة باختصاصيين لدرس مؤهلات الطلاب ، حتى يمكنهم ان يعيشوا ويستمروا في هذه الرقعة الصغيرة من الأرض .

س : ماذا تريد ان يكون عهدك ؟ العهود السابقة وصفت تسلسلاً هكذا : عهد التجارة ، عهد الصناعة ، عهد الادارة ، عهد الازدواجية . عهدك ماذا ؟ .

ج : انا لا اوافق مبدئياً على النعوت التي ذكرتها ، ثم من وجه مبدئي محض لا اعتبر ان بامكان اية كلمة مفردة ان تحيط بأي عهد وبأي شخص . الشخصية البشرية مركبة ، والعهود كذلك .

سبق لي ان قلت لك انه لن يكون لي عهد ، ولو قيض لي ذلك باعجوبة من الأعاجيب ترضي خاطرك ، اريد ان يكون عهدي عهد الحرية المسؤولة . وهذا يعني ، في ما يعني ، التوجيه الاقتناعي والثواب والعقاب ، لأن البشرية ، منذ ان كانت البشرية ، قد خضعت لهذا الناموس .

القضية الفلسطينية

جان عزيز مع القضية الفلسطينية من دون أي تحفظ . وفي رأيه انه ليس من لبناني واحد الا ويعتبر قضية فلسطين قضيته وقضية لبنان بالدرجة الأولى . وفي السياق الطويل لمراحل هذه القضية العظيمة يظهر ، بما لا يدعو الى اي التباس او شك ، ان لبنان برهن واثبت ان قضية فلسطين هي قضيته ، وان تحسسه بالقضايا العربية لا غبار عليه مطلقاً . والحق والعدل يقضيان بالاعتراف هنا ان لبنان ، على صعيد المسألة الفلسطينية كان سباقاً ، وكان صوتاً مدوياً من اجل فلسطين ، وكان متجاوباً ومتعاطفاً مع الفلسطينيين

الذين شردتهم الدولة المغتصبة من وطنهم ، فاستقبلهم كأهله واسكنهم بين عياله وكما لم تفعل دول عربية كثيرة . وهذا ليس للتمنين او التفاخر ، بل للتأكيد ان لبنان لم يتقاعس في هذا المجال ، ولم يتردد يوماً ، ولم يبدر عنه ما يمكن ان يؤخذ عليه تقصيراً او تلكؤاً .

ومن حق القضية الفلسطينية على لبنان ان يظل في طليعة المدافعين عنها ، الحاملين مشعلها ، القائلين كلمتها في كل مكان وفي كل مناسبة ، وهذا اضعف الايمان .

والحديث عن القضية الفلسطينية ، خصوصاً في الظروف التي نجتازها اليوم ، يؤدي بنا الى الحديث عن الخطر الاسرائيلي الذي وقع فعلاً لا قولاً على لبنان وعلى حدوده الجنوبية . فأطماع اسرائيل ، التي لم تتورع عن اغتصاب وطن كامل وتشريد شعبه ، ليست خافية على احد، هنا وفي العالم ، فهي لن تتردد في معاملة لبنان واللبنانيين كما عاملت فلسطين والفلسطينيين . ونياتها التوسعية صرح بها وتحدث عنها مسؤولون ووزراء اسرائيليون ورددتها صحف عالمية .

لذلك فإن من البديهي ان يعي اللبنانيون هذه الحقيقة وان يدركوا ما عليهم ان يواجهوا في المستقبل ، خصوصاً ان العدو لم يعد في الجوار فقط ، بل انه اصبح على الحدود وداخل هذه الحدود .

والحديث عن المواجهة والاستعداد والقوة والامكانات طويل ، لكنه متداول ولا يحتاج الى مزيد من الشروح والآراء . فالعمل هو الجواب الوحيد الآن .

العمل الفدائي

بالنسبة الى العمل الفدائي يقول جان عزيز « نحن من القائلين ، انه لو اجمع اللبنانيون على المطالبة باطلاق حرية العمل الفدائي لما جاز للرئيس ان يطلق هذه الحرية دونما قيد او شرط ، ذلك بأنه هو الذي اقسم اليمين الدستورية على المحافظة على سلامة الاراضي اللبنانية . ونحن نقدر ان اطلاق حرية العمل الفدائي دون قيد او شرط سيعرض سلامة الاراضي اللبنانية . لكن قلنا ايضاً ان تجاهل العمل الفدائي غير جائز لأننا نؤ يد حق اخواننا الفلسطينيين في العودة الى وطنهم . وما دام اطلاق العمل الفدائي غير جائز وغير ممكن ، وما دام تجاهله غير جائز وغير ممكن فينبغي الوصول الى صيغة ترضي هذين المفهومين ومن هم وراء هذين المفهومين . وهذه الصيغة هي ان نتوصل ، عبر حوار منطقي صادق بناء ، الى صيغة من التنسيق بين المسؤ ولين عن حدودنا وامننا ، وهم

الجيش اللبناني ، والمسؤولين عن العمل الفدائي . وقلنا للرئيس ايضاً اننا نرى الرئيس كرامي الشخص المهيأ في الظرف الحاضر للوصول الى هذه الصيغة التي ترضي جميع الفرقاء وتحفظ سلامة لبنان وتؤمن للفدائيين القدر اللازم لتحركهم في سبيل احقاق حقهم ، ذلك بأن الرئيس كرامي برهن في الحكومة التي كان يرئسها ابان حرب 5 حزيران ومن ثم في موقفه الاخير على رأس الحكومة المستقيلة ، انه يعرف ان يفرق بين عاطفته كزعيم ومسؤولياته كرئيس وزارة . وقد قلنا لفخامته أيضاً ان سلامة الحدود اللبنانية بشكلها الحاضر هي لمصلحة الفدائيين أيضاً ، وعندما تتعرض هذه الحدود للخطر تكون القضية الفدائية قد خسرت عنصراً من عناصر قوتها . وفي آخر المطاف قلنا اننا نعلق الأهمية التي ما بعدها اهمية على سيادة لبنان التي يجب ان تبقى المنطلق لكل حل للمعضلة ، وان هذه السيادة اول عناصرها تماسك الوحدة الوطنية وسلامة لبنان » .

وفي ندوة صحافية عقدها خلال ازمة الاشهر السبعة ، قال عزيز :

« اتصور ان ثمة بعدين اثنين ، في المنطق ، للعمل الفدائي . وهذان البعدان غير ممكنين في لبنان ذي التركيب الخاص حسبما اعتقد .

البعد الأول هو اطلاق العمل الفدائي دون اي قيد او شرط وهذا يشكل في نظري توطئة لضرب لبنان من قبل اسرائيل ، بطبيعة الحال جيشنا وشعبنا سيدافعان ما امكنهما الدفاع ، لكن الطاقات معروفة .

ثم اطلاق العمل الفدائي سيضطرنا الى مواجهة احتمالين على الصعيد العربي .

الاحتمال الأول : ان تهب الدول العربية لنجدتنا ، وفي هذه الحال نكون قد زججنا العرب في حرب لم يستكملوا بعد عدتهم لخوضها ، خصوصاً ان الدفاع العربي المشترك قد انفصم الى دفاعين غربي وشرقي . وفي اعتقادي ان الغربي وقوامه مصر يواجه على القناة اعباء لا ينبغي ان نضيف اليها اعباء اخرى ، والدفاع الشرقي ، اي العراق والاردن وسوريا ، لم ينهض على قدميه ولم تشكل قيادته الموحدة ، فضلاً عن ان لبنان لم يقرر علاقته به حتى الآن .

هذا في حال تدخل العرب لنجدتنا . اما اذا لم يتدخل العرب وتركونا وشأننا مع اسرائيل ، وهذا هو الاحتمال الآخر ، فعندئذ ستقوى النزعة الرامية الى اخراج لبنان من المجموعة العربية ، الأمر الذي لا يريده المتحمسون للعمل الفدائي والكثرة الساحقة من اللبنانيين ، وقد يمهد لفتنة داخلية .

اما البعد الآخر فهو منع العمل الفدائي منعاً مطلقاً وقمعه بالقوة عند الاقتضاء .

المنع في نظري لا يجوز وطنياً وانسانياً لأننا مع الفلسطينيين في العمل على استعادة حقوقهم السليبة ولنا جميعاً في فلسطين المقدسات التي لهم .

ثم ان المنع يؤدي هو أيضاً الى فتنة داخلية . وباولى حجة القمع الذي لا يشكل حلاً للمشكلة وان كان في بعض الاحيان وسيلة لمجابهة ظروف قائمة .

من هنا يجب التفكير في الحل الوسط المنبثق من معطيات الواقع اللبناني . وهذا الحل هو ايجاد صيغة تنسيق ضمن اطار السيادة اللبنانية بين السلطات العسكرية ، التي على عاتقها تقع مسؤولية الدفاع عن حدودنا والمحافظة على امننا الداخلي وبين المسؤولين عن العمل الفدائي » .

البوليس الدولي

كانت المفاجأة ان جان عزيز ادلى بتصريح طالب فيه بالبوليس الدولي . « لماذا لا نطالب بوضع قوات دولية على حدودنا الجنوبية ، اذا كنا لا نستطيع حماية هذه الحدود وحماية ارضنا وسيادتنا من الاعتداءات الاسرائيلية » .

كان ريمون اده وحده من طالب بوضع قوات دولية على الحدود اللبنانية ، وقامت القيامة عليه بالطبع .

لكن بعد الاعتداء الاسرائيلي على مطار بيروت وقول الحكومة ان لبنان لم يقاوم ولم يرد خوفاً من ردة فعل اسرائيلية ضد لبنان ، فقد انضم اليه جان عزيز ، واخذ بدوره يكرر المطالبة والقول ان على لبنان الا يخجل في مخاطبة ضمير العالم الممثل في هيئة الأمم المتحدة ، وقال :

انه بعد ضرب مطار بيروت وبرقية السلطات العسكرية القائلة ان ثمة تحركات للعدو على حدودنا الجنوبية وتنبيهات سفراء بعض الدول الصديقة الى ان اسرائيل تبيت شيئاً وشيكاً تجاه لبنان ، ناديت بوجوب تأليف حكومة اتحاد وطني تلف حولها الرأي العام اللبناني بجميع فئاته وباسناد وزارة الخارجية الى وزير ديناميكي يفتح ملف القضية بمجملها بصراحة كلية لاخواننا العرب حتى اذا تبين ان العرب غير قادرين على المشاركة في تأمين الدفاع عن لبنان في الظروف القائمة ، عمدنا الى مخاطبة ضمير العالم عبر الأمم

المتحدة لتأمين ما يمكن تأمينه من الدفاع عن هذا البلد المعترف له بانه مثال للتعايش بين المذاهب والاعراق في الشرق الأوسط والذي وراءه تراث حضاري يعود الى ستة آلاف سنة ، ولا يزال واحة للديموقراطية في الشرق العربي .

اما عندما يصبح هذا المطلب مشكلة داخلية فإنه مهما بلغت صوابيته في الأساس فإنه يصبح غير ممكن التحقيق في بلد كلبنان » .

السياسة الخارجيّة

جان عزيز في السياسة الخارجية كما في السياسة الداخلية ، من حيث الانسجام مع الواقع والظروف ، ومن حيث المبدأ في تقديم المصلحة الوطنية دائماً على ما عداها من مصلحة .

ولا يرى من الاسباب والمبررات ما يشد لبنان الى كتلة دولية معينة على حساب قناعته ومصلحته .

يجب ان يكون اولاً لبنان الراشد ذا الشخصية الناضجة المتكاملة ، ثم يسهل عليه عندئذ ان يتعامل مع الجميع ، اكبرى كانت الدولة المتعامل معها ام صغرى ، بثقة متبادلة وباحترام متبادل وبمنفعة متبادلة ، من غير ان يتورط في شرك الحروب الباردة بين هذا المعسكر وذاك .

« نحن وطن يؤ من بالديموقراطية والحرية وكرامة الانسان وحقه . فانطلاقاً من هذه المعطيات نستطيع بصراحة ان نوصل صوتنا الى أي مجال نود ، من غير ان يكون التقاؤنا مع الغرب او الشرق سبباً في ازمة او مجالاً لجدل عقيم يؤدي بنا الى الخلافات الداخلية مما قد ينعكس ، بشكل او بآخر ، على علاقاتنا بالدول العربية ويضر بمصلحتنا ولا نحصد من ثماره غير الندم والأذى . وهنا لا بد من التشديد على ان من المصلحة اللبنانية والمصلحة العربية ان يكون لبنان قادراً على مخاطبة العالم كله بثقة وصراحة ، وذلك من اجل قضيته والقضايا العربية التي كان ويجب ان يبقى احد رسلها البررة وصوتها الصارخ على المنابر الدولية .

« وطبيعي ان مثل هذا الامر يبقى مجرد ثمن ان لم تكن هناك دولة مدركة لواجبها وتعرف كيف تنسق بين سياستها الداخلية وسياستها الخارجية . وشرط ان تكون لنا سياسة خارجية وجهاز بشري ديناميكي متحرك من خيرة الامكانات التي عندنا » .

« ثم التمسك بانتماءات لبنان الى الهيئات الرسمية ، العربية منها والعالمية » :

● جامعة الدول العربية ، التي من الضروري بعثها مجدداً من رقاد استمر سنين طويلة ، ولبنان صالح لأن يكون صاحب المبادرة في هذا المجال .

● منظمة الامم المتحدة وما يتفرع عنها من هيئات .

أقوال الخصوم

ماذا يقول الخصوم في القاضي السربست جان عزيز ؟ .

يتهمونه بأنه « نرفوز » .

ويقولون ان نائب جزين مزاجي جداً وعصبي (مع انه ليس نحيل الجسم او رفيع العود) وليس من المعجبين بأيوب الصابر . يفقد اعصابه بسرعة ويهب كالبارود ، ولا يتردد في استعمال العنف المنتهي بباطن اليد او قفاها لا فرق .

ويأخذون عليه انه يولي قضايا الناطور والمختار والبلدية اهتماماً لا يتناسب مع من يهتم او يطمح ، او يطمحون عنه ، الى ان يصبح ربما في شهر ، رئيساً للجمهورية . وانه لا يتردد في دخول مشكلة او معركة اذا تعارض تصرف موظف او شخص ما مع مصالحه الانتخابية .

هو يقول ان الذي لا يهتم بالصغيرة من الامور ، لا يمكن ان يهتم بالكبيرة . « ولا اعرف اين العيب ولماذا المأخذ ، اذا اهتم النائب بشؤون المنطقة التي انتخبته ليمثلها ويكون صوتها المدافع عن قضاياها » .

لكن ، حتى الخصوم لا ينكرون على جان عزيز شجاعته . قبضاي ومواجه لا يتردد في قول رأيه مهما كانت المحاذير والملابسات المترتبة على قول الرأي . جان عزيز لا يحسب حساب المحاذير والذيول والمضاعفات .

وفضلاً عن ذلك هو بعيد عن شبهات التصقت بكثيرين ممن كانوا في الواجهة الشهابية . نظيف اليد . منسجم مع نفسه وتفكيره .

يحب الشعر ويحفظ مئات الأبيات والقصائد . ويحب القراءة ، يظل يقرأ .

المأخذ الذي يرى الناس ، حتى الاصدقاء منهم ، ان على جان عزيز ان يتخلص

منه هو ما يسمى الكسل . لا يجهد نفسه ولا يزعجها لأنه يحب النوم والحديث ، بعد النوم ، عن الادب والفكر والشعر وهموم منطقة جزين .

في عز همروجة التجديد للواء فؤاد شهاب ، اذاع السيد جان عزيز في 26 - 4 - 64 البيان الآتي بعنوان « رجل وكتاب » :

أما الكتاب فله ، في نظرنا ، الحرمة العظمى !

بما أنه نظامنا الأساسي أولاً : يعرف بسلطاتنا ويحددها ، ويضمن حرياتنا ويصونها ، وينظم حياتنا العامة تنظيماً الفناه ، فأحببناه ، واذا هو - بجزئياته وكلياته - صورة واضحة جلية ، لما يعتلج في ضمير الأمة اللبنانية ، العريقة في ديموقراطيتها ، على ما يشوب هذه الديموقراطية ، في الحين بعد الحين ، من الهنات الهنات التي ان مسَّت العرض فلا تؤثر بالجوهر كالريح - عاصفة او لينة - تحرك الاغصان ، وتلاعب الورقات ، ولكنها قلما تقتلع الجذوع ، اما الأصول فتذرها ذاهبة في بطن الأرض تغتذي من ترابها ومائها - وأحياناً من دمائها - على الدماثة والوعورة والخصب . . .

وثانياً لأنه (أي الدستور ، دستورنا المكتوب) القاعدة الثابتة التي عليها بنينا دستوراً آخر غير مكتوب ، هو بالنسبة الى الأول كالخطوط المتقطعة بالنسبة الى الخطوط المتصلة في هندسة المهندسين ، كلاهما لازب لازم ، وكلاهما واجد قائم ، الا ان احدهما منظور ، والآخر غير منظور ، ان حركت هذا فقد حركت ذاك . . .

هذا هو الكتاب . . .

أما الرجل فيكفيه مجداً انه جسَّد الارادة اللبنانية في حقبة من ادق الحقب التي مرت على هذا الوطن في تاريخه الحديث . . .

- جسدها أباً صالحاً عندما اخذناه بيده القوية الناعمة ، فجمعنا على الخير والبركة ، اشقاء متحابين متآلفين في وحدة وطنية رائعة ، بدونها لا يكون ، وبها وحدها يكون هذا الوطن الحبيب لبنان . . .

- وجسَّدها مصلحاً حكيماً واعياً ، وحكماً مترفعاً عادلاً ،

- وأخيراً جسَّدها قدوة صالحة في الفضائل الانسانية من زهد ، وعفة ، وتواضع ، ووداعة ، وايمان - تلك المعاني التي لا معنى للوطنية بدونها ، وعلى أسسها وحدها تعلى فتعلو ، مداميك « المدينة الفاضلة » . . .

وكانت الأزمة . . . أزمة الضمير !

كان علينا أن ننتقي ونختار :

بين دستور هذه حرمته ، ورجل هذه قيمه ، حتى اصبح في نظر بعض اللبنانيين ضرورة وطنية ملحة . . .

ـ قلنا (بيننا وبين انفسنا قلنا) قلنا مع العالم العربي الكبير ، مفلسف التاريخ الأول والاجتماع ، ابن خلدون : « السبب الوجودي اولى من السبب الشرعي ! » .

والسبب الوجودي ، في الظرف الراهن ، داخلياً وخارجياً ، يحتم علينا ان نتجه صوب الرجل .

ولكن الرجل أبى الا أن يجعل عملية الاختيار (محاكمة الضمير) اصعب فأصعب . رفض مسبقاً . رفض بوداعة وكبرياء . رفض رفضاً باتاً قاطعاً . رفض كل ما من شأنه ان يؤول الى تجديد ولايته ، مرة ثانية ، على كونه مطلعاً (أكثر من غيره مطلعاً) على الظروف المحيطة بنا ، بل على الاخطار المحدقة بنا ، هنا في عقر دارنا ، وعلى حدودنا الجنوبية ، قبل مؤتمر القمة العربية الثاني .

فاتجهت عندئذ (أنا اتكلم باسمي ، لا اتكلم باسم احد) اتجهت الى التشبث بالكتاب !

رفضت توقيع العريضة . لا بل جنحت الى عدم الاقتراع على منطوقها والاكتفاء بالاقتراع مع مشروع الحكومة فيما لو جاء مقترنا بتوقيع فخامته . الى ان تضاربت الآراء ، بل تضاربت الاجتهادات ، حول نقطتي القبول والرفض (قبول التجديد ورفضه) تضارباً قاسياً مؤلماً زرع الشك في نفسي .

ـ بيني وبينها قلت :

« لن يسجل عليك انك وقفت حجر عثرة (ولن تستطيعها) . لن يسجل عليك انك وقفت حجر عثرة في سبيل عمل خرجت من المعادلة بين سلبيته وايجابيته ، الى كون الثانية ترجح بالأولى » .

فقررت ـ مع من قرر من الزملاء ـ ان اقترع الى جانب تمنّ عبرت عنه اكثرية هذا المجلس ، والسواد الأعظم من أبناء الشعب ، بشتى الصيغ والأساليب .

وها اني اعلنها الآن متحملاً مسؤوليتها ، تجاه ضميري ، وتجاه بلادي ، سائلاً الله ـ جلّ جلاله ـ ان يلهمنا جميعاً ، ويلهم الرئيس اولاً وآخراً ، ما فيه خير هذا الوطن ، وعزة ابنائه في ظل الوحدة الوطنية ، والأخوة اللبنانية .

ويا أيها الرئيس العظيم !

ان قبلتها قلنا لك مرحى !

ثم أنت اعلم الناس بما ينبغي لك عمله ليقول قائلنا من جديد :

« هنيئاً لمن له مرقد عنزة في جبل لبنان » .

أما اذا رفضتها ـ ولن ترفضها ان شاء الله ـ فإننا عندئذ نردد مع « مهيار » قولته في جلال الدولة :

متى تطو ملكاً ينتشر لك بعده ... ممالك لا تبلى على الطي والنشر . . .

بيار اده

بطاقة هويّة

ولد جان عزيز في جزين سنة1917 .
تلقى علومه الثانوية في جامعة القديس يوسف .
نال الليسانس في الحقوق من الجامعة نفسها .
مارس المحاماة بعد تخرجه لمدة وجيزة .
التحق بسلك القضاء سنة1947 .
استقال ليعود الى المحاماة ويمارسها في مكتب خاص به .
انتخب نائباً للمرة الأولى سنة1957 .
اعيد انتخابه في دورات1960 و1964 و1968 .
عين وزيراً للشؤ ون الاجتماعية1961 - 1964 . ثم عين وزيراً للانباء والتربية
الهوايات : المطالعة والموسيقى .
اعزب .

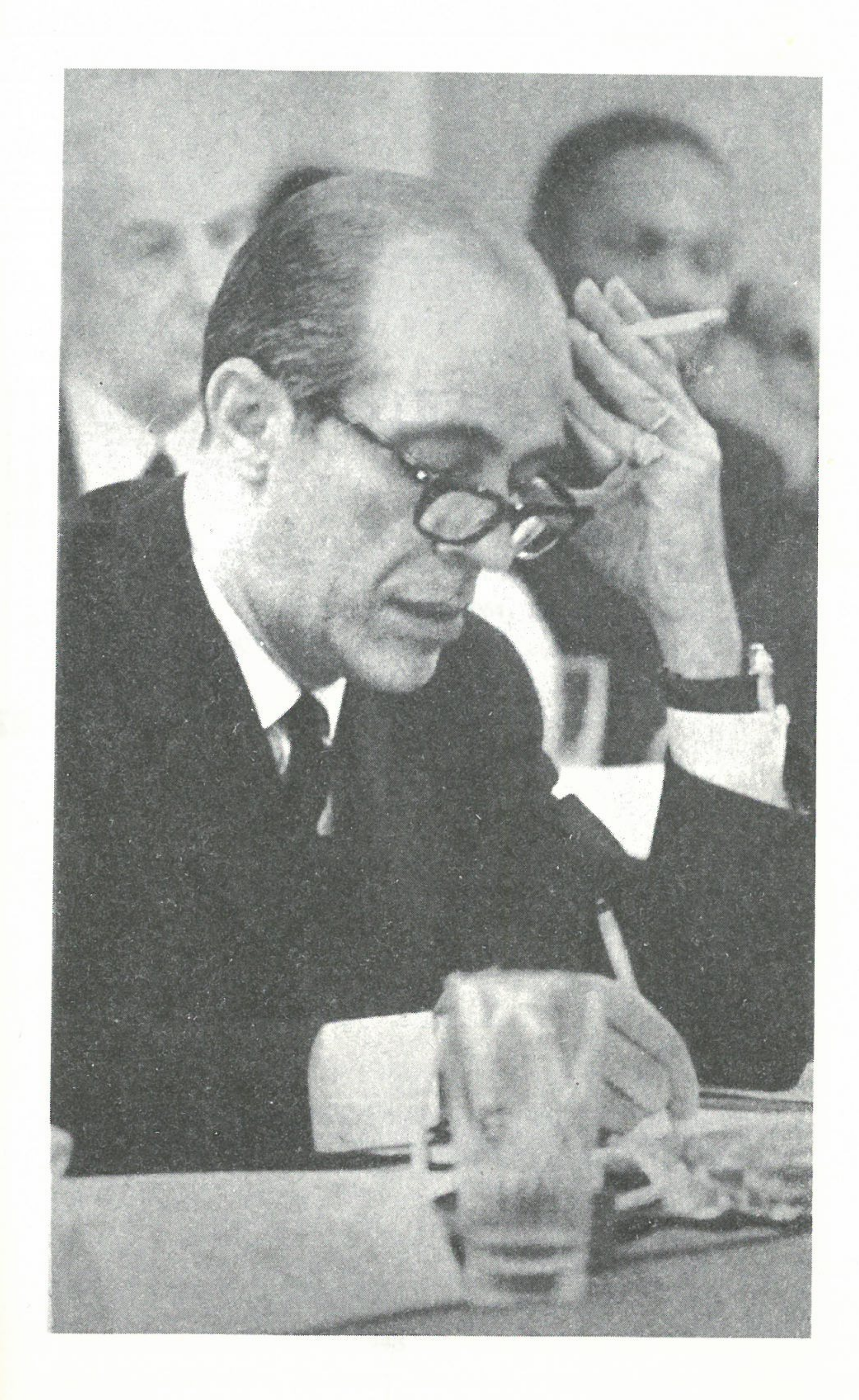
سكرتير الرئيس ،
شقيق المرشح شبه الدائم للرئاسة ،
مرشح أصيل ،
مرشح رديف
ومرشَّح بديل .

هذا هو بيار اده ، الذي يعرف جيداً كيف يتعاطى مع السياسة بلغة الأرقام حسابياً ، وبدقة .

منسجم مع نفسه ،
منسجم مع قناعاته ،

وهو عكس بكر بيت أميل اده ، عكس العميد ونقيضه على جهات أربع وفي مجالات عدة : العميد يحكي ويحكي ، ومن الصعب اقناعه بتسكير حنفية الكلام حتى عندما يكون السكوت من ذهب وهو يعرف ذهب السكوت . اما بيار فلا يحكي ، واذا كسر القاعدة ابتسم واختار ثلاث أربع كلمات ومشى . . . من الصعب اقناعه بفتح حنفية الكلام ، مهما كانت الأسباب ، حتى وان كان الكلام من ذهب .

مرشَّح آخر للمعركة الآتية ، ومن بيت اده .



رجل الآفاق الواسعة

صامت آخر ، انما بلباس مدني ومن غير سلالة امراء ، لكنه صامت غير زاهد .

على الأقل ، هذا ما يقوله اصدقاؤه الحميمون ، الذين بعدد اصابع اليد الواحدة ، واذا اتسعت دائرتهم صاروا بعدد اصابع اليدين الاثنتين .

بيار اده ؟ .

لغز ، يقول الذين يحسبون لسكوته وغيابه حساباً يوازي الحساب الذي يضعونه عندما يحضر ويحكي .

دائماً يضعون امام اسمه علامة استفهام كبرى . في النيابة ، في الوزارة ، في المصرف ، في جمعية المصارف . اذا سافر ، خصوصاً اذا كان السفر الى القاهرة ، وخصوصاً اكثر اذا كانت وجهة الصامت المدني نيويورك او واشنطن حيث البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، ومكنمارا ، وروكفلر . . . واميركا .

لماذا سافر ؟
ماذا يخبىء ؟
من سيقابل ؟ .

هنا فقط ، في حالة السفر ، تسري عليه قاعدة الخصوم والخصومة التي ينطلق منها البعض ضد شقيقه ريمون . تمشي التلفونات في الليل . ويمشي شغل الدكتيلو . ويمشي القال والقيل .

الا ان بيار اده لا يدخل في دوامة الأخذ والرد . يتركهم يكسرون التلفون واحرف الدكتيلو ولا يفش خلقهم بكلمة .

وبرغم كون ريمون اده شقيقه واكبر منه سناً ، فإنه لم يقتد ببكر بيت اده ، لا على الصعيد السياسي ولا على الصعيد الاقتصادى ولا حتى على الصعيد الاجتماعي :

البكر عازب ويحب الحكي « وربنا أعطنا كفاف يومنا » ، بينما ابن اميل اده الصغير متزوج وله اولاد ولا يحكي الا نادراً .

يريد ولا يريد .
يسعى . انما لا يفصح .

لم يعرفه الناس رئيساً لأنه لم يصبح رئيساً بعد . الا ان الناس عرفوا بيار اده سكرتيراً خاصاً لوالده الرئيس ، ثم نائباً ووزيراً اكثر من مرة ، في وزارة التربية وفي وزارة المال .

وعرفوه اقتصادياً بارعاً وناضجاً ، ناطقاً بلسان الهيئات الاقتصادية ، التي مكنها في فترة توليه رئاسة المصارف ، من لعب دور سياسي فقدته باستقالته من رئاسة مجلس ادارة بنك بيروت ـ الرياض ورئاسة جمعية المصارف .

حتى في هذا الدور العاق ، المحاط بالارقام والآلات الحاسبة ، عرف بيار اده كيف يوجد لنفسه صورة جذابة تستهوي الناس وتغريهم ، فأولعوا باسلوبه الحيسوب الهادىء الدقيق .

هذا كله ، لم يحرض بيار اده على الانزلاق الى ساحة الادلاء بالتصريحات والتصريحات المضادة .

بقي صامتاً ، حتى عندما تكون الأزمة تنده عليه وعلى كلام منه او على خطة . فكفى نفسه مؤونة الرد على الردود التي كانت ستنهمر عليه كما انهمرت على بكر بيت اميل اده .

في القاعدة الحسابية ، لا يمكن جمع ارقام وهمية وطرحها من ارقام وهمية . النتائج هي مجرد احتمالات . قد تصدق وقد تخطىء وقد تكون عكس الوهم والاحتمال .

وبيار اده يؤمن بالرقم « لأنه وحده الصادق في اعطاء الجواب الصحيح » .

كان اذا سئل رأياً في قضية او اذا استفتي في موضوع سياسي ، ضمن الرئاسة ، يرفض ان يجيب . واذا أجاب فشرطه الأول والأخير الا تذكروا اسمي . هذا ليس تصريحاً مني . ليس عندي ما اقوله » .

صامت .
عشر سنين ؟ .

بالكاد حكى مضطراً كي يهدىء قلقين أو خائفين على وضع يشارف على الانهيار .

في المدة الاخيرة ترحرح قليلاً . صار يأخذ ويعطي . صار يحكي ولا يشترط ، لكنه عند موضوع الرئاسة يصاب بوعي الذاكرة المفاجىء ، فتتدخل جهينة وتقطع قول كل الاصدقاء وكل الذين ليسوا اصدقاء . يبتسم . ثم يفقع الجواب التقليدي : « لست مرشحاً لرئاسة الجمهورية » .

ـ لكنهم يرشحونك .

يجيب دون ان تتغير قسمات وجهه :

ـ ليس هناك ترشيح في لبنان . النواب ينتخبون الرئيس .

ـ وهل الترشيح للرئاسة عار ؟ عيب ان يكون المرء مرشحاً لمنصب قيادة الدولة ؟ .

يبرم بيار اده السنسال الصغير الفضي في يده ويقعد . ثم يرسم ابتسامة ذكية تأخذ مساحة وسع وجهه الدقيق الهادىء :

ـ لأ ، مش عيب .

بالطبع ليس ثمة من يرفض ان يكون رئيساً للجمهورية . لكن « الاشخاص ـ الامكانات » كبيار اده ليس من السهل ان يتورطوا في لعبة الاستدراج ويعلنوا ترشيحهم للملأ قبل ان تكون القدم اليمنى قد وضعت في القصر .

قد يحرقونهم .

يقول بيار اده : « عندنا ليس كما في اميركا واوروبا ، مثلاً ، حيث للانتخابات قاعدة شعبية واصول في الأحزاب والتقاليد . عندنا المرشح للانتخابات النيابية يظل يتردد الى ان يعرف من هو خصمه الأخير ، وأين يقف هذا الخصم » .

ثم انه في انتخابات الرئاسة لا يمكن تجاهل « الأجواء » التي تمتد ، عربياً ، من المحيط الى الخليج ، ثم تقوم بدورة حول العالم . ثم يحصل الاختيار فالترشيح فالترئيس .

كيف يتعامل بيار اده مع الناس ، مع الأصدقاء ، مع الذين يتعامل معهم ؟

يقول : بصراحة ، بانفتاح ، وبالطبع مع شيء من التحفظ . خصوصاً اذا كنت اعرف من هو وكيف يفكر الشخص الآخر الذي اكون احكي او ابحث معه .

يسألني : التحفظ ليس مأخذاً ، اليس كذلك ؟ .

بعض الناس يحب الذين لا يتحفظون ، الذين يضعون قلوبهم على ايديهم ، يقولون كل شيء عندهم على غيرهم ولو على انفسهم .

بيار اده ليس من هذا النوع : اتردد . ادرس . لا اتسرع ولا اتخذ موقفاً انفعالياً . لا ارتجل ولا اوافق او ارفض الا عن اقتناع وبعد عملية الجمع والطرح .

في النهاية يعود الى النظرية الحسابية . يلجأ الى الارقام . ولكثرة تعلقه بها « اصبحت العاطفة عندي شيء خاص . مش ظاهرة . لست مزاجياً » .

* * * *

عندما دخل بيار اده وزارة المال ، بعد ذلك الطلاق القسري ، تساءل الناس : والآن ماذا بعد الرجوع ؟ ماذا بعد غياب السنين العشر ؟ واي بيار اده يرجع : انطوان بيناي ، الرجل الذي انقذ الفرنك ، ام جيسكار ديستان ، رجل توسيع الآفاق ؟ .

طموح بيار اده ان يكون الثاني : الآفاق الواسعة .

وكانت ، يومها ، مهمته مهمتين : انقاذ الليرة اللبنانية كعملة ، اي انقاذ الخزينة . ثم فتح الأسواق امام الليرات المكدسة في الخزائن الخاصة . ثم ازالة الخوف ، ونقيض الخوف هو الأمل ، بل الثقة .

« لكنهم » لم يتركوه يفعل . خافوا على « امتيازاتهم » . فوجئوا به يعيد الأمور الى نصابها . يقلم اظافرهم . طار عقلهم . . وكي يتخلصوا منه « طيروا » الوزارة ، بعد ان كانوا قد فشلوا في « استقالته » « باسترفاض » المجلس الصلاحيات الاستثنائية التي طلبها ليتمكن من العمل ، والتي خشي ، لو نالها ، ان يتحول الى دكتاتور صغير ، يستولي على العهد قبل ان يوليه اياه النواب . . .

برغم ذلك استطاع بيار اده ان يحقق في 99 يوماً ما يشبه المعجزة .

يتطلع الناس ، اليوم ، الى صورته ، يرددون اسمه ، كأنهم يراهنون عليه في سباق 1970 .

لبنان بيار إدّه

لبنانه ؟ .

لبنان بيار اده شيء آخر ، مختلف بملامحه وخطوطه الكبرى عن لبنان سائر المرشحين للرئاسة من غير ان يترشحوا : الدولة شيء والسياسة شيء . ثم يأتي دور الاقتصاد .

الدور الكبير للاقتصاد .

مع بيار اده تكتسب الارقام حيوية فيبطل جفافها ولا تعود اداة الآلة ، كأنها خصم الانسان ، تكتسب لفرط دقتها ورهافتها اسلوباً غنائياً مريحاً للنفس .

لبنان ، يسأل ليجيب متابعاً لهجة التساؤل :

بحاجة الى نفض . من استقلال الدولة الى دولة الاستقلال يتعذر القول ان اللبنانيين وضعوا أيديهم وضمائرهم في اللبنان الذي يريدون ، وكذلك يتعذر القول ان لبنان وضع مواطنيه في اطار الطمأنينة التي تقتضيها المواطنية . على البركة الاشخاص يتعاقبون في سلم المسؤولية وسط ظروف تتكرر بصورها وملابساتها بينما الوطن كله يدور في دوامة التأجيل والترقيع .

يقول ، مختصراً المشكلة بعد تعداد الاخطاء المميتة : الدولة . المهم الدولة . الدولة فقط لا غير . الآن ليس هناك دولة . المطلوب ايجاد دولة ثم الانصراف ، بذهنية البناء من الأساس ، الى تعمير الوطن بعيداً عن اسلوب الترقيع . الحسم في المعالجة . السرعة في التنفيذ . الاختصاص . الخبرة . الاخلاص . الثقة . المواطنية . الشعور بالمسؤولية . التحرك العلمي المنظم الفاعل . « هذه ليست مواصفات او مقاييس انها في ضرورتها وتلازمها مع الدولة هرمياً من أبده البدهيات » .

واذا صار بيار اده رئيساً ، فماذا عنده للبنان الدولة ولبنان الوطن ولبنان المواطن ؟ « كيف تريد لبنانك » ؟

قال : اول ما يتوجب القيام به هو الغاء الطائفية الغاء عملياً وكاملاً ، ليس بالكلام فحسب بل بالتدابير والاجراءات وحسن التصرف والتركيز . لأن لبنان الملجأ ، لبنان الديني ، لبنان الـ6 و6 مكرر ، أصبح قديماً وبالياً ، تخطاه الزمن .

لبنان الكيان ، لبنان الانسان الخلاق ، لبنان الابداع ، اللبنان الحقيقي ، هو لبنان الحرية ، لبنان الثقة في الداخل والخارج ، لبنان الواثق من نفسه الذي يتعامل مع

الآخرين بثقة وبصراحة ، لبنان الاقتصاد والاجتماع والحيوية » .

وبالاضافة الى هذا الحلم الكبير المفضفض على لبنان 1970 ، يؤمن بيار اده بأن الازدهار لا يكون الا عن طريق ما يسميه « الرأسمالية الشعبية » . وعنده الكثير حول هذه « النظرية الاقتصادية » وعنده فيض من التفاصيل . « لكن الى وقتها فرج . . . وبالطبع سيكون برنامجي واضحاً ومفصلاً » .

ولديه مشروع جاهز لدولة لبنان « كما يجب ان تكون » . ولديه مشروع قانون للانتخابات النيابية ينسف كل هذه التركيبة ويوقف كل تدخل وينهي كل اشكال وشكوى . ثم انه ينظم الحياة الحزبية في لبنان ويعزز بالتالي الحياة الديموقراطية ، فضلاً عن الغائه التمثيل الطائفي تلقائياً .

وفي رأيه « ان المهنية يجب ان تحل محل الطائفية ، ولو تدريجياً . اما الوضع الاجتماعي والاقتصادي « فيجب ان يكون الرأي في تكوينه وتنظيمه لاصحاب الاختصاص والخبرة . ولست ارى ما يمنع ان يمتد الوجود النقابي الى موظفي الدولة » .

وبيار اده هو صاحب مشروع المجلس الاقتصادي والاجتماعي الذي سيضم ممثلي النقابات والمهن والحرف واصحاب الخبرة والاختصاص والمثقفين والمفكرين .

ودور هذا المجلس استشاري اما مهمته فهي التخطيط للبنان المستقبل . فيخلق الأفكار ويضع المشاريع ويرسلها بالتسلسل الى المجلس النيابي .

وغير ذلك ماذا عند بيار اده ؟ .

عنده الكثير ، يظل متكتماً . « الى وقتها فرج » .

لكنه يتحدث باقتضاب عن مبادىء اولى للحياة الاقتصادية :

1 ـ الحرية للرأسمال وللعمل .

2 ـ توزيع الثروة عن طريق السياسة الضريبية ، وليس عن طريق منع الازدهار وانتهاء الثروات .

3 ـ تشجيع زيادة الارباح في سبيل زيادة الضرائب .

4 ـ ليس المهم مظاهر الرخاء ، انما المهم والأهم ايصال توزيع الثروة الى اكبر عدد من المواطنين ، خصوصاً في مناطق الحدود الجنوبية والوسطية والشمالية ، اي المناطق التي تسمى متخلفة او محرومة . . .

« اعرف لبنان جيداً » ، يقول بيار اده ، « واعرف ما يجب ان يعمل من اجل اللبنان الأفضل ، اللبنان الذي لم يعد لائقاً به وبابنائه والذين يملأون الدنيا تغزلاً بمناخه ومياهه ان يبقى اللبنان الملجأ » .

قلت له : اذا صرت رئيساً ، وبالطبع فأنا هنا لا اسألك اذا كنت مرشحاً للرئاسة ، كيف تعالج قضايا « لبنانك » ؟ .

قال بلهجة من فوجىء بسؤال وهو يهم ان يغلق الباب ويمشي : كما اعالج اي قضية اكون مسؤولاً عنها . عادة ، اعالج القضايا على اساس الالمام بهذه القضايا . اعرفها اولاً ، ثم اعرف مشكلتها ، ثم ابدأ المعالجة . ومن عادتي أيضاً الا اكتفي برأي واحد . أخاف ان اقع تحت تأثير فكرة معينة . اسأل الذين اثق برأيهم . ادقق في الآراء التي تكون تجمعت . استخلص الحل منها . . فأبدأ المعالجة .

سياسته مراحل حياته

من غير ان يعلن اراءه وافكاره ومبادىء سياسته ، في برامج محددة ومبروزة او ملصقة على الحيطان ، عرف الناس الكثير عن بيار اده وسياسته . كما لو انهم كانوا يرافقونه كلمة فكلمة وخطوة فخطوة .

ومن غير ان يذيع البيانات ويعقد المؤتمرات الصحافية ويعمم الخطابات على الناخبين ، والذين ليسوا ناخبين ، عرف الناس ماذا عند النجل الثاني للرئيس اميل اده .

كيف ؟

ببساطة .

من خلال المراحل ، المتابعة حيناً والمتقطعة احياناً ، التي مر بها سياسياً ، عبر خمسة عهود مرت على لبنان ، قبل الاستقلال وبعد الاستقلال .

كان صبياً ، ابن 15 سنة ، عندما وجد نفسه ، او هو اوجدها ، في ساحة السياسة وفي كواليسها ودهاليزها ، يأخذ ويعطي مع الكبار المشورين ، ثم يقطع ويوصل ويأمر وينهي في المكان الذي تتم فيه عادة صناعة السياسة وصناعة الوزراء والنواب وكبار الموظفين وحتى صغارهم . « انتخب والدي رئيساً للجمهورية فاختلطت برجال

السياسة . وفي تلك الأيام لم يكن هناك مكتب ثان . كانوا يعتقدون ان الابن يؤثر على ابيه ، لذلك اعطوني دوراً ، اكتشفت في ما بعد انه دور خطير » .

يضيف بيار اده : « تلك المرحلة ساعدتني كثيراً في معرفة رجال السياسة . كانت لي بمثابة مدرسة . فعرفت الناس وعرفت الذين في اعلى الهرم والذين في آخر سلم الموظفين . عندما نلت اجازة الحقوق من المعهد الفرنسي في القاهرة كان والدي قد استقال . وعلى أثر تلك الاستقالة انخرطت في حزب الكتائب ، الا انني لم البث ان استقلت بعد اربعة اشهر من انتمائي الى هذا الحزب .

« بعد ذلك لازمت والدي الى حين وفاته . لم اعش مرحلة الشباب . فمرحلة الصبا كما يعرفها معظم الناس مررت بها دون ان ادركها بسبب ملازمتي والدي . رافقته بعد الحرب (1946) الى باريس . في تلك الاثناء ، وبينما نحن في العاصمة الفرنسية ، اجتمعت الكتلة الأدية واسست حزب الكتلة الوطنية في منزل الشيخ كسروان الخازن . وقد حدد والدي في برقية ارسلها من باريس للمجتمعين سياسته الجديدة ، فشدد على وجوب التعاون ضمن الجامعة العربية . وهذا هو اول موقف سياسي له بعد سنة 1943 . وكانت تلك البرقية بداية تطور في سياسته .

وبعد عودة اميل اده الى بيروت اجريت انتخابات 1947 التي اشتهرت بانتخابات 25 أيار . « وقد قمت بدور في تلك الانتخابات لأن والدي لم ينظم حملة انتخابية . وهكذا تعرفت الى منطقة جبل لبنان التي كانت آنذاك دائرة انتخابية موحدة . قبل وفاة والدي (1949) حصل تقارب بينه وبين كميل شمعون وعبد الحميد كرامي . وكان الحصار قد انفك عنه قبل وفاته .

وانبثقت عن هذا التقارب لجنة الأحزاب المؤتلفة من عبد الحميد كرامي ممثلاً كتلة الاصلاح ، وكمال جنبلاط ممثلاً الحزب التقدمي الاشتراكي ، وتقي الدين الصلح ممثلاً حزب النداء القومي ، ونعيم مغبغب ممثلاً الكتلة الشمعونية ، وانا ممثلاً حزب الكتلة الوطنية » .

عدم الاعتراف بشرعية الولاية الثانية للشيخ بشارة الخوري كان هو القاسم المشترك بين الأحزاب المؤتلفة . الى ان اجريت انتخابات 1951 ، حيثى سقط مرشحو الكتلة الوطنية باستثناء عبد الله الحاج . وصودف ان انتخب المجلس بكامل اعضائه في الدورة الأولى باستثناء مقعد المتن ، اذ وقع البالوتاج بين بيار اده وبيار الجميل . فتبنت الدولة بيار الجميل ومشت المعارضة مع بيار اده الذي فاز بفارق 137 صوتا .

وعلى اثر انتهاء الانتخابات النيابية تألفت الجبهة الاشتراكية الوطنية من النواب المعارضين ، المستقلين منهم والحزبيين : كميل شمعون ، كمال جنبلاط ، انور الخطيب ، اميل بستاني ، غسان تويني ، ديكران توسباط ، عبد الله الحاج وبيار اده .

كان المجلس يضم 77 نائباً بينهم 69 نائباً يشكلون اكثرية بشارة الخوري ، و8 نواب يشكلون المعارضة ويحملون لواء اسقاط العهد منطلقين من عدم اعترافهم بشرعية الولاية الثانية للشيخ بشارة الخوري ، انما هادفين الى تحقيق برنامج اصلاحي شامل كان اول محاولة لتشخيص امراض الحكم والادارة ورسم خطط اصلاحها بدقة ودراية . .

ولكن زوال عهد بشارة الخوري ادى كذلك الى زوال الأحلام ، والدراسات والبرامج . . . فانتخب المجلس كميل شمعون رئيساً ولم « ينتخب » الجبهة حكومة انقلابية ! .

الى حد ما يمكن اعتبار هذه المرحلة التوطئة ، او المقدمة التي وضعها بيار اده لحياته السياسية . اذ انه في المرحلة الثانية ، وكانت الجبهة قد انفرط عقدها وبيار اده خرج منها ومن الانتظام في الكتلة الوطنية كذلك ، وضع نائب المتن الشاب سياسة خاصة به . بيار اده السياسي ، هكذا . من هنا نبدأ . ولم يتغير . فكانت تجربته الأولى في وزارة التربية التي تولاها في الحكومة التي شكلها صائب سلام(1953) بعد استقالة حكومة المير خالد شهاب .

يقول بيار اده : عندما تسلمت مقاليد وزارة التربية كانت الهيئات التعليمية معلنة الاضراب . جاءني المدير العام للوزارة الدكتور نجيب صدقه وطلب مني ان استقبل لجنة الاضراب وابحث معها في مطاليب المعلمين . سألته : هل للموظفين نقابة رسمية ؟ قال : لا . قلت : اذا ، لا يمكن ان استقبلهم .

رفضت ان استقبلهم كوزير . استقبلتهم في منزلي كبيار اده .

« هذا يعني بالنسبة الي انني منذ بادية حياتي السياسية وضعت شعار سياستي : الدولة شيء والسياسة شيء آخر . وتكراراً اقول انه لا يجوز ان تكون الدولة الا دولة » .

وفي البلاغين اللذين اصدرهما تباعاً اثر وصوله الى مكتبه في وزارة التربية ما يلقي الضوء على مدى انسجام بيار اده مع شعاره ويحدد المواصفات والعلامات الفارقة لسياسته .

البلاغ رقم واحد :

« الى مقام رئاسة مجلس الوزراء :

الموضوع : الاستغناء عن افراد الهيئة التعليمية الرسمية في عمليات الاقتراع .

اتشرف بأن اعرض على مقامكم ان وزارة الداخلية تكلف في مواعيد الانتخابات النيابية وانتخابات المخاتير واعضاء الهيئات الاختيارية والمجالس البلدية افراد هيئة التعليم الرسمية تأمين رئاسات اقلام الاقتراع والأعمال الكتابية فيه .

« ان هذه الوزارة حرصاً منها على ابعاد هيئة التعليم الرسمية عن اعمال الاقتراع وعن الاشتراك فيها لما ينتج عن ذلك من تعطيل في حسن سير المدارس ورغبة منها في ابقاء هذه الهيئة منصرفة عن كل ما له علاقة بالسياسة .

نرجو التفضل بالايعاز الى وزارة الداخلية بالاستغناء عن تعين افراد الهيئة التعليمية الرسمية للقيام بهذه الأعمال .

وتفضلوا بقبول الاحترام 4 حزيران 1953 » .

البلاغ رقم اثنين :

« الى حضرات مفتشي وزارة التربية :

« ستقومون منذ يوم الاثنين الواقع في 8 حزيران 1953 بدورة تفتيشية عامة في جميع المناطق اللبنانية يقصد منها تزويد وزارة التربية بمعلومات وافية عن حالة المدارس الرسمية وفقاً للبيانات التي تسلمتموها . فاطلب اليكم ان تبدوا رأيكم في تنظيم كل مدرسة من هذه المدارس وتحديد عدد معلميها وموظفيها ، واقتراح التنقلات التي تقتضيها المصلحة العامة .

ويهمني ان اؤكد لكم لهذه المناسبة اني اترقب عملكم ونتائج تحقيقاتكم بكل انتباه ، وآمل ان تكون اساساً صالحاً للتنظيم العام المنوى اجراؤه قبل بدء السنة الدراسية المقبلة ، فيزول كل سبب للبلبلة والفوضى ويتحقق الاستقرار والانسجام في المدارس الرسمية . ويهمني أيضاً ان اصرح لكم بأني اعتبر هذا العمل الذي تقومون به مقياساً لكفاءاتكم الشخصية وأساساً لتقدير جهودكم .

« ان هذه الدورة التفتيشية تجري في ظروف دقيقة لم تكن بالحسبان عندما وزعت المناطق بينكم . فالبلاد قادمة على انتخابات نيابية عامة يجب ان تجري في مأمن من كل تدخل اداري ولا يمكن تأجيل الدورة التفتيشية لأن السنة المدرسية اوشكت ان تنتهي . فعليكم ان تتنزهوا عن كل غرض وكل ارتباط شخصي او عائلي او طائفي او حزبي قد يفسد عليكم مهمتكم او يشوهها . واذكروا انكم مكلفون مهمة تربوية فحسب ، وارجو ان يكون لديكم

من الشعور بالواجب ما يردعكم عن القيام بأي نشاط سياسي . على اني مضطر الى التصريح لكم والتنبيه عليكم بأن واجبي يقضي علي بأن احقق بدقة في كل شكوى قد ترد الى وزارة التربية في هذا الشأن ، واني عازم على اتخاذ اشد العقوبات التأديبية بحق كل مفتش يثبت التحقيق انه تدخل بالسياسة الانتخابية ولو عن بعد . فلا تعدوا معلماً ولا تتوعدوا آخر ، حتى ولو كان الوعد والوعيد يتناول اموراً مسلكية صرفة ، لئلا يفسر موقفكم على غير حقيقته . بل حافظوا على سرية معلوماتكم وارائكم وانطباعاتكم ، ولا تفضوا بها الا لرؤسائكم الرسميين .

«6 حزيران 1953 »

واصطدم وزير شعار « الدولة دولة » باحتجاجات الطلاب وبتظاهرات صاخبة بسبب صعوبة الاسئلة في الامتحانات الرسمية وتشدد اللجان الفاحصة ، خصوصاً بعدما كان قد نسف جميع اللجان التي كانت قائمة . « لم اتراجع . تمت الامتحانات ، وكانت النتيجة انه لم ينجح سوى 3 بالمئة في البكالوريا . قابلت الصحف هذه النتيجة بحملة شعواء ضدي » .

كذلك قابلته الصحف ، او هي استقبلته ، بحملة عنيفة عندما عين وزيراً للمال في حكومة شكلها عبد الله اليافي بعد انتخابات 1953 ، وذلك « لصغر سني ولعدم خبرتي ، بينما كانت هناك ازمة اقتصادية خطيرة في البلاد . وكانت موجة من الافلاسات تجتاح الوسط التجاري بشكل لم يسبق له مثيل .

« تركت الصحافة تهاجمني ، وانصرفت الى استعادة ما كنت تعلمته في علم الاقتصاد والمال . كنت ادرس واراجع وادقق في الليل ، واستقبل رجال الأعمال من مختلف القطاعات في النهار ، الى ان توصلت الى تشخيص الداء وتكوين فكرة شاملة عن الوضع الاقتصادي والتدابير التي يجب اتخاذها . ثم اتفقت مع وزير العدل ان يستدعي كل تاجر يعلن افلاسه الى التحقيق والتثبت من اسباب افلاسه . عندئذ توقفت الافلاسات » .

« وللمرة الأولى ورد في البيان الوزاري شيء عن التدابير الاقتصادية كما وردت فيه مبادىء اولية للأساس الاقتصادي في الدولة . وعهد الازدهار الذي هو عهد كميل شمعون والمشاريع التي قامت ونفذت في ما بعد ، منبثقة جميعها من البيان الوزاري لحكومة اليافي » .

ماذا في البيان الوزاري الذي نالت عليه الحكومة اليافية ثقة 36 نائباً من اصل 40 مقترعاً في جلسة 16 آب 1953 ؟ .

« . . . ولا بد من الاشارة ، قبل الكلام عن البيان الوزاري ، الى اننا عند استلامنا زمام الحكم واجهتنا ازمة معلومة لديكم في الأسواق التجارية اضطررنا الى التفرغ لمعالجتها . ونرى من واجبنا احاطتكم علماً بما تم في شأنها . فقد درسنا هذه الأزمة درساً وافياً مع اصحاب الاختصاص وكانت نتيجة الدرس ان الحالة المالية في لبنان تبدو بصورة عامة سليمة ومطمئنة ، وان الأزمة المنوه بها هي ازمة عابرة تعود اسبابها الى عوامل عالمية ومحلية طارئة . وقد اسفرت الاجتماعات التي عقدت مع مديري المصارف لمعالجة هذه الحالة عن اعلان هؤلاء استعداد مصارفهم لتقديم التسهيلات اللازمة لكل تاجر او صناعي يتبين من دفاتره ان اسباب عجزه ليست ناجمة عن تبذير او اهمال او تلاعب بل عن ظروف اضطرارية قاهرة . وعلى ضوء ما تقدم اوعزت الحكومة الى النيابات العامة التشدد في ملاحقة كل شخص يثبت عليه التلاعب او سوء النية » .

(. . .)

« واما التجارة فالحكومة مهتمة ببعثها من ركودها وفي سبيل ذلك فكرت بما يأتي :

- اختصار المعاملات الرسمية ولا سيما الرجوع الى قانون كانون الثاني 1946 القاضي بالغاء اجازات الاستيراد على الاصناف التي لا مماثل لها في الصناعة الوطنية والتي لا تخضع لقيود خاصة .

- اباحة اعادة تصدير السبائك والنقود الذهبية .

- نظام المنطقة الحرة يعرض فيه بيع الاصناف الوطنية والاجنبية الثمينة والخفيفة الوزن كالساعات واقلام الحبر وآلات التصوير والألبسة الحريرية الداخلية والاشغال اليدوية المخرمة والمطرزة على انواعها والمجوهرات والحلى والنقود والسبائك الذهبية الخ . . .

- انشاء مرأب ميكانيك لتوفير قطع تبديل الطائرات وتصليحها وذلك في مطار بيروت الدولي تحت نظام المنطقة الحرة .

- تعزيز حركة الترانزيت الى الاقطار العربية الشقيقة واتخاذ التدابير الآيلة الى ذلك ومراقبة سلامة الطرود عند نقلها وتفريغها وتحميلها داخل المرفأ بصورة جدية من قبل المصلحة المختصة .

- تعزيز تصدير المنتجات اللبنانية واعادة تصدير البضائع الأجنبية الى البلاد العربية

بنوع خاص ، وذلك بعد السعي الى تخفيض اجور النقل » .

معظم البيان من أفكار بيار اده . اما التدابير المالية والتجارية والاقتصادية فكلها منه .

ومن يومها انطلق .
لمع اسمه .

« بيار اده رجل قدير » ، قال الناس . برهن عن جدارة ومقدرة واستطاع في احلك الظروف واصعبها ان يخترق حواجز الأزمات ويزمط بريشه منها بعدما يكون قد سجل الموقف المنسجم والمنبثق من شعاره : الدولة دولة . . .

* * *

سنة 1955 عين بيار اده وزيراً للمال في حكومة سامي الصلح . بقي شهرين ثم استقال . اشترط ، لدى قبوله الاشتراك في الوزارة ، اعادة النظر في اوضاع تسع شركات كانت قد اعفيت من ضريبة الدخل « خلافاً لنص القانون الذي وضعته . طلبت الغاء الاعفاء ، ماطلت الحكومة . استقلت . قال احد الوزراء يومها انني عندما استعدت امتياز كهرباء بيروت ، وكنت المفاوض الوحيد ، عملت صفقة لحسابي . على اثر ذلك تقدمت بكتاب الى رئيس المجلس النيابي بطلب محاكمتي على اساس هذه التهمة . بالطبع لم يحاكموني فسقطت الحكومة » .

صيف 1956 سافر بيار اده وعائلته الى البرازيل . عاد الى لبنان ليخوض انتخابات 1957 على لائحة سامي الصلح . فاز .

في اذار 1958 عين وزيراً للمال مرة اخرى في حكومة سامي الصلح الجديدة . وفور تسلمه منصبه عمد الى فرض سياسة تقشف كان لها تأثير كبير في تمكين البلاد من اجتياز « الحوادث » التي وقعت في صيف ذلك العام . وكذلك كان للتدابير الاستثنائية التي اتخذها اثرها الفعال على الصعيدين الاقتصادي والسياسي . . . وكان ذلك الاختبار الفريد ستة اشهر من الاضراب ، والثورة والثورة المضادة ، والآلة المالية والاقتصادية لم تخرب !

اما من الناحية السياسية فقد كان بيار اده معارضاً لتعديل الدستور ومعارضاً التجديد للرئيس كميل شمعون ، كما كان معارضاً لمخطط المعارضة الذي استهدف ارغام رئيس الجمهورية على الاستقالة قبل انتهاء مدة ولايته .

وعلى اثر انتخاب اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية اقترح اده ان تستقيل الحكومة ليتاح للرئيس شمعون والرئيس المنتخب تأليف حكومة جديدة تنهي الوضع الشاذ وحالة الثورة في البلاد . رفض الاقتراح . . . فاستقال .

بعد سقوطه في انتخابات 1960 ترك بيار اده الساحة السياسية لينصرف الى النشاط الخاص في المجال الاقتصادي والمالي .

وكان قد اسس ، في خريف 1958 ، مع فريق من رجال الأعمال اللبنانيين والسعوديين « بنك بيروت ـ الرياض » ، وانتخب رئيساً لمجلس ادارته . وعام 1959 اسس مع بعض اصحاب المصارف جمعية اصحاب المصارف فترأسها حتى 1968 ، حيث استقال من رئاسة جمعية المصارف ورئاسة مجلس ادارة بنك بيروت ـ الرياض ليدخل الحكم مجدداً وبعد طلاق استمر عشر سنين . . . من باب وزارة المال أيضاً ، وأيضاً . ويومها سمي وزير الليرة لأن الليرة اللبنانية كانت في خطر ، فجيء به لينقذها ، وانقذها بالفعل ، ولو لم ينقذ الحكومة .

وعندما تسلم وزارة المال سارع بيار اده الى القول انه آت الى الحكم لتحمل مسؤولياته بعيداً عن اي اعتبار سياسي « لأنني تركت النشاط السياسي منذ عشر سنين » . طلب سلطات استثنائية ليتمكن من القيام بالاصلاحات المالية والاقتصادية المطلوبة . رد المجلس مشروع قانون السلطات الاستثنائية . لم يستقل بيار اده . لماذا ؟ « لأن استقالتي قد تؤدي الى زعزعة الثقة وتضر بالوضع الاقتصادي ، فيما نحن على ابواب الموسم السياحي الذي كان ينتظر منه ان يكون المورد الأهم . . . » .

وعندما قدم مشروع موازنة 1969 الى المجلس النيابي وفيه ، وراء ملامح التخفيض الكبير في النفقات ، بصمات بيار اده ، اضطر وزير المال الى مغادرة لبنان على رأس الوفد اللبناني الى اجتماعات مؤتمر صندوق النقد الدولي . وفي غيابه « هبط » الوحي على الحكومة لتستقيل فاستقالت . وباستقالتها نسفت التخفيضات وضاعت البصمات الاصلاحية .

ولكن بيار اده كان قد عاد يتلألأ نجماً في الحياة السياسية ، « في مخزن السلطة » ، كبومبيدو ، الى حد وصفه بولي العهد . . وما ان وقع الاعتداء الاسرائيلي على مطار بيروت حتى استدعي بيار اده الى القصر الجمهوري وطلب منه السفر الى نيويورك في الوفد المكلف عرض قضية لبنان على مجلس الأمن الدولي . وكان هذا التكليف آخر مهمة رسمية قام بها الرجل الصامت الذي يرشحونه اليوم ليكون رجل « لبنان 1970 » .

ثمة امر ، لا يجوز اغفال الاشارة اليه . خلال ازمة بنك انترا كان بيار اده هو لولب الاجتماعات التي عقدت في القصر الجمهوري لمعالجة الأزمة وصاحب المبادرة في القوانين والتدابير الاستثنائية التي اتخذت لانقاذ الوضع الاقتصادي في لبنان .

ويرفض بيار اده البوح اليوم بحقيقة موقفه ازاء الافلاس الكبير الذي اتهمه البعض بأنه شجع عليه . ويقول ان الأيام ستكشف يوماً اسرار تقرير وضعه ، وكان سرياً الى حد انه تولى ضربه على الآلة الكاتبة بنفسه ، ذات ليلة ، ليسلمه الى رئيس الجمهورية . ترى ، هل يزال التقرير في محفوظات القصر ، ام انه ذهب مع ما ذهب من « موجودات انترا » وحقائقها واسرارها ؟ .

بيار إدّه العربي

قد يكون بيار اده من السياسيين القلائل الذين برزوا على المسرح العريض ، فصالوا وجالوا من غير ان تكتوي اصابعهم بنار الداخل ومن غير ان يحترقوا على الجبهة العربية . فلا الذين يسمون انفسهم تقدميين سلطوا عليه مفردات القواميس التصنيفية ، ولا المحافظون الذين يسمونهم رجعيين اعتبروه غير مرغوب فيه .

كيف زمط بيار اده بريشه حتى الآن ؟

ربما لأنه شديد الحرص على اختيار الظرف المناسب والكلمة المناسبة ، وربما لأنه حاد الذكاء يعرف من أين تؤكل الكتف فحافظ على كتفه دون ان يمد اسنانه الى اكتاف الآخرين .

الا ان هذا كله لا يكفي ، لأنه لا يلقي ضوءاً ، ولو شحيحاً على بيار اده العربي : سياسته ، مواقفه ، اراؤه ، مشاريعه والدور الذي قام به او ينتدب نفسه للقيام به .

في العدد الأول من مجلة « القضايا المعاصرة » تاريخ تموز 1969 ، يقول بيار اده في ندوة حول قضية فلسطين ودور لبنان والعمل الفدائي اشترك فيها نسيب البربير ، غسان تويني ، سليم حيدر ، كاظم الصلح ومحمد علي حماده ، يقول : « كل بحث يتعلق بدور لبنان في أي مجال من المجالات ، خصوصاً في المجال العربي ، يجب ان يتم على اساس ان لبنان قائم وان لبنان دولة » .

ويضيف : « وهكذا لا يجوز ان ننطلق في معالجة الأزمة الحاضرة ، او اي ازمة

اخرى ، على غير هذا الأساس ، لا بالعودة الى ما يسمى « الميثاق الوطني » . اما وقد طرح موضوع هذا الميثاق ، فلا يسعني الا ان ابدي ملاحظة عابرة عنه ، فأقول انني لا اعترف بجدواه كقاعدة لبناء دولة . فهو لم يكن الا مساومة موقتة في ظروف معينة . والثابت ان الدولة لا تبنى على مساومة ولا تشاد على اعتبارات ظرفية . لذلك لن اتوقف عند المفهوم الماضي والشخصي بل اتجاوزه الى المفهوم العام للمواثيق . ان هذا المفهوم العام يتناقض مع « الميثاق الوطني » ، بمعنى ان المواثيق تكون مكتوبة ومحددة الأحكام ، والا تعذر عليها ان تكون « مواثيق » .

بعد هذه الملاحظة العابرة اقول ان هذا « الميثاق الوطني » مبني على قاعدتين سلبيتين : للمسلمين لا غرب ، وللمسيحيين لا شرق .

والمساومة التي اشرت اليها انما قامت على ان يتخلى المسلمون عن انتمائهم الى سورية او الى وحدة عربية ، وان يتخلى المسيحيون عن المطالبة بالضمانات الغربية التي كانوا يتعلقون بها للمحافظة على كيانهم . هذا هو الميثاق وهذا ما وصف به يومئذ . والنص الوحيد ـ الذي يمكن ان يعود اليه المؤرخ ـ ولو لم يعتبر ميثاقاً بالمعنى الصحيح ـ هو بيان الوزارة الاستقلالية الأولى برئاسة المرحوم رياض الصلح » .

اما بالنسبة الى السياسة العربية فرأي بيار اده انها غير موحدة بالنظر الى الأنظمة السياسية المختلفة . « انما هذا لا يمنع ايجاد حقل للتعاون برغم هذا الاختلاف القائم شرط الا يدخل لبنان طرفاً في كل موقف وفي كل مشكلة قد تؤدي الى كسر الجرة » .

ودور لبنان ؟ .

يقول : « لبنان له دوران . الأول ينطلق من مصالح شعبه . والآخر تضامنه مع المجموعة العربية تجاه الآخرين » .

هذا هو دور لبنان ؟ هذا فقط ؟

يتابع :

« يبقى دور لبنان في قضية الانماء الاقتصادي في العالم العربي » .

« وباعتبار اني مؤمن بالاختصاص فقد أصبح من الواضح ان لبنان تخصص في الحقل المالي مما يجعله مؤهلاً لأن يكون مركزاً لتمويل التنمية الاقتصادية في المنطقة والعمل على رفع المستوى العلمي والتقني . وهذه هي الوسيلة الحقيقية الفعالة التي توفر السبل لايجاد تعاون صحيح غير معرض للاهواء السياسية ويجعل المناعة في توحيد الصفوف غير مصطنعة » .

هذا في مجال التعميم . في التحديد ، على صعيد العلاقات ، ماذا عند بيار اده ؟

يجيب :

« ان العلاقات بين لبنان وسوريا ، مثلاً ، اوجدتها وسهلت في احيائها وانمائها طبيعة البلدين ، وتاريخهما المشترك ، ومصالحهما المرتبطة ببعضها البعض والتي تفرض التعاون الاقتصادي ، هذا التعاون الذي يمكن ايجاده وتأمين فرصه اياً كانت الأنظمة السياسية ، شرط ان يشعر الجانبان بأنه ليس هناك اي تدخل من قبل احدهما في الشؤون الداخلية . فلا تشعر سوريا او تعتقد ان لبنان ، بفضل نظامه الحر ، هو باب مفتوح للتآمر على نظامها . ولا ان يشعر لبنان او يعتقد ان سوريا لا تزال تعتبر ان وجوده كدولة مستقلة هو مجرد مرحلة موقتة وان كل ما يحدث هو توطئة في سبيل الوحدة السورية الكبرى » .

وقد يكون من المفيد هنا التوقف قليلاً عند اول خطاب القاه بيار اده في مجلس النواب بعد انتخابه للمرة الأولى نائباً عن المتن ، وذلك في جلسة 19 حزيران 1951 . قال في ذلك الخطاب : « انني اريد قبل ان انهي كلامي ابداء ملاحظة حول ما سمعت عن علاقاتنا الاقتصادية مع سوريا . لقد كنا ننتظر بعد هذه الحوادث ان تأتي الحكومة وتعطينا بيانات مفصلة عن نتائج هذا الوضع ، سواء من الناحية الفنية او الحسابية او الزراعية ، كي نفهم ما هي النتائج . كلنا متفقون على وجوب اقامة صداقة متينة وحسن جوار واخوة مع سوريا . لكننا نريد ان يكون النقاش اقتصادياً لا سياسياً . لأن السياسة شيء والاقتصاد شيء آخر . واني من الذين يقولون انه اذا لزمت التضحية فنحن نقبل بها ، انما نريد ان نفصل الاقتصاد فصلاً كاملاً « عن العاطفة » .

صفق النواب طويلاً لبيار اده ، في تلك الجلسة ، وكان رياض الصلح اول الذين صفقوا . ثم قام وهنأه على ملاحظته .

القضية الفلسطينية

في الندوة التي عقدتها مجلة « القضايا المعاصرة » ، قال النائب سليم حيدر ان الدول العربية فوجئت بالقضية الفلسطينية وهي لا تزال في مطلع حياتها الاستقلالية .

من هذه النقطة بالذات انطلق بيار اده ليسأل :

« كيف يمكن ان نعتبر هذه القضية الكبرى مفاجأة او مفاجئة ، وكل التطورات السياسية في الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الأولى مبنية على اساس خلق وطن يهودي قومي في فلسطين . وقد يكون ذلك من اسس الوجود الاستعماري في هذه البقعة من الأرض » .

لقد جزأ الاستعمار الغربي الذي حل محل الاستعمار العثماني منطقة الشرق الأوسط . وكان التخطيط لقيام الدولة الاسرائيلية قاعدة من قواعد هذا التخطيط . لكنها لم تتحقق الا بعد الحرب العالمية الثانية . واليوم تستعمل الاساليب نفسها عن طريق الاختلافات العقائدية بين النظام الحر والنظام الموجه . اريد ان اكرر القول بأن وسائل مجابهة اسرائيل على نوعين : الحرب من جهة ، واستعمال الوسائل الأخرى كالسياسة والدبلوماسية والاقتصاد من جهة أخرى . واذا كنا الآن غير مستعدين للحرب ، فلا اقل من ان نعتمد الوسائل الدبلوماسية والاقتصادية . وهذا لا تنقصه الشجاعة اذا كان القيمون عليها واعيين غير مسترسلين للعاطفة الجامحة والخيال الخصيب . وليكن مفهوماً ان استعمال هذه الوسائل لا يكون مجرد مساندة ، بل مشاركة فعلية في المعركة . فهي كثيراً ما تؤدي الى انتصار يزعج الخصم ويزعزع ثقته بنفسه ويضعف اسباب مطامحه . دليلي على ذلك ما حصل بعد الاعتداء على مطار بيروت . لقد نجحت المساعي الدبلوماسية على اثر هذا الاعتداء نجاحاً باهراً هو ، في رأيي ، الأول من نوعه منذ حرب 1948 . فتحرك الدبلوماسية العربية بذكاء يؤمن ولا ريب كسباً كبيراً على صعيد الرأي العام الدولي . وقد كان من نتائجه هذه المرة القرار الاجماعي الذي اصدره مجلس الأمن لصالح لبنان وضد اسرائيل . ورب قائل ان ذلك لم يكن الا انتصاراً سلبياً . وهنا اسجل ما أشار اليه الدكتور بربير ، حينما قال ان الظروف الدولية الحاضرة لا تمكن اسرائيل من القيام بعمليات عدوانية جديدة . هذا صحيح ، واني اعتقد ان من ضمن العوامل التي تحول دون اقدام اسرائيل على عمليات عدوانية كبرى هو الجو الدولي الذي خلقته قضية الاعتداء على مطار بيروت وما قام به لبنان من رد دبلوماسي ودعائي عليه » .

ثم عرض بيار اده القضية الفلسطينية ودور لبنان في المعركة والتهديد الاسرائيلي لكل من اعضاء الجسم العربي :

« ان دور لبنان كعضو في المجموعة العربية كان وما يزال في تطور مستمر ، لا بالنسبة الى معالجة القضايا العربية وحسب ، بل حتى في موضوع انتسابه الى هذه المجموعة . وما ذلك الا بفعل التوضيح والتطور الطبيعي نحو جذب العدد الأوفر من اللبنانيين الى الانضمام الى التضامن العربي .

لا شك في أن لبنان مهدد بسبب قيام اسرائيل على حدوده . ان التهديد الاسرائيلي لاعضاء الجسم العربي تهديد متفاوت . فمنه ما هو مباشر ومنه ما هو غير مباشر ، بمعنى آخر ان الدول المتاخمة لاسرائيل يأتيها التهديد مباشرة وتشعر به أكثر من الدول التي لا حدود لها مع اسرائيل .

قضيتنا مع اسرائيل وما جرته علينا من كوارث ، يمكن ارجاعها الى تخلفنا العلمي . والخطأ الأكبر الذي ارتكبناه منذ خمس وعشرين سنة اننا ابرزنا مشكلتنا مع اسرائيل بصورة خاطئة وبشكل جعل العالم يعتقد ان هناك من جهة مئة مليون عربي ، ومن جهة اخرى مليوني اسرائيلي . والواقع ان المشكلة فلسطينية بالدرجة الأولى ، وكان يجب ان تبرز منذ الساعة الأولى بمظهرها الفلسطيني ، فتكون المواجهة عندئذ بين عرب فلسطين الذين يوزاي عددهم عدد اليهود الذين اغتصبوا البلاد . فالقضية الفلسطينية هي قضية فلسطين أولاً ، وبالتالي هي قضية العرب المهددين بمصالحهم الحيوية والمعنوية . فلو قدمت القضية على هذا الوجه ، لتم التوازن على صعيد العدد ، فلا تستفيد اسرائيل من الادعاء بأن مئة مليون عربي يريدون القضاء على قبضة من الناس الضعفاء المساكين ، وذلك لاستدرار جزء كبير من عطف الرأي العام العالمي .

والحقيقة ان القوى العددية لفريقين متخاصمين لا تدخل في الحساب الا اذا كان هذان الفريقان على مستوى علمي واحد . وهذا ، لسوء الحظ ، مفقود بين المجموعة العربية واسرائيل . والعلم وحده ، مضافاً الى الارادة والجهد ، كفيل بأن يحقق في المستقبل التوازن المطلوب . فالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة انتقلتا من الحرب الباردة الى التقارب والتفاهم ، لاسباب عدة اهمها توازن القوى الذي استطاع الاتحاد السوفياتي تحقيقه في مختلف الميادين ، ولا سيما العلمية والتقنية منها ، ولو لم يحدث ذلك ، لكان من الممكن ان تنشب حرب عالمية يتغلب فيها الفريق الأقوى .

« من هذه الناحية ، اي ناحية توازن القوى ، يمكن ان نفكر بدور لبنان في مواجهة اسرائيل . ولعل هذا ما جعل لبنان يعتبر ان استعماله القوة المادية ليس الوسيلة الناجعة والممكنة ، لأنها غير متوافرة لديه على القواعد العلمية الحديثة . فالحروب الحديثة فن أكثر مما هي عضلات حتى على مستوى الجندي البسيط الذي يفرض فيه ان يكون تقنياً في استعمال الأسلحة التي بين يديه . والتجهيز بالآلات لا قيمة له كبيرة الا اذا رافقه التجهيز العلمي والفني .

« لكن هذا لا يعني ان ليس للبنان امكانات اخرى هي ايضاً فعالة وذات وزن في

المواجهة ، اعني الامكانات السياسية والاقتصادية والدبلوماسية التي يمكن ان نستعيض بها في الوقت الحاضر عن الامكانات العلمية والتقنية . ولبنان يستطيع ان يسهم في ذلك اسهاماً كبيراً . فطاقات لبنان في هذا المجال تتجاوز الرقعة الاقليمية الى النطاق العالمي . انه يستطيع ان يلعب دوراً مهماً جداً بالنظر الى معطيات تاريخه واغتراب بنيه . فهو يملك شبكة هائلة من المغتربين في مختلف القارات ، ذات خبرة وعلائق حميمة في مجالات السياسة والاقتصاد والدبلوماسية العالمية ، ليست متوافرة لدى الدول العربية الأخرى » .

« وهذا يقودنا الى القول بوجوب توزيع الادوار بين الدول العربية ، وهذا ما تنبهت اليه هذه الدول في اجتماع القمة الأول ، على ما أذكر ، فمثل هذا التوزيع القائم على طبيعة امكانات كل دولة من هذه الدول ، يمكن في نظري اعتباره نقطة تحول اساسية هذا بالاضافة الى اسناد الدور الأول للفلسطينيين وجعل قضية فلسطين هي قضيتهم اولاً ازاء اسرائيل . ونحن نرى حسن نتائج هذا الاتجاه منذ 1967 ، على الأخص ، حين طرحت القضية الفلسطينية في العالم على انها قضية شعب سلبت بلاده وحقوقه بالقوة ، مما هو أقرب الى العقل والمنطق . اذ بدأ الرأي العام ينظر الى الحركة الفدائية كحركة يقوم بها شعب لاستعادة حقوقه . وهو عمل طبيعي ، لا بل عمل بديهي . وقد يعتبر البعض ان التنظيم ضروري لعمل من هذا النوع . لكننا نعلم من السوابق التاريخية بأن من الصعب جداً ان تكون حركات المقاومة منظمة . فهي كثيراً ما تكون متفرقة ومتعددة . واقرب الأمثلة الينا المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي في الحرب العالمية الاخيرة . فهي لم تكن موزعة اقليمياً فحسب ، بل كانت أيضاً مختلفة سياسياً وعقائدياً وقيادياً . فكان السعي موجهاً باستمرار ، كما هي الحال في حركة المقاومة الفلسطينية ، الى وضع مخطط واحد ، وهو أمر اساسي . وقد كانت عملاً موقتاً تمهيداً لنزول قوات الحلفاء في الاراضي المحتلة وتحريرها .

« من هنا اعتبر انه من الواجب التمييز الكلي بين العمل الفدائي او حركة المقاومة الفلسطينية بحد ذاتها ، وبين دور الدول العربية كدول تقوم كل منها بما يمكنها ان تقوم به في الحقول السياسية والاقتصادية والدبلوماسية لدعم هذا العمل . اقول ذلك لأن العمل الفدائي لا يتطلب ما تتطلبه الدول من قوة عسكرية قائمة على العلم والتقنية ، كما ظهر في الحرب العالمية الثانية وكما يظهر الآن في فيتنام . فالجيوش شيء والعمل الفدائي الذي يستهدف الحصول على نتائج معينة شيء آخر . بمعنى ان الجيوش تخضع للقواعد الستراتيجية والتقنية ، أما العمل الفدائي فشرطه الأول ايمان الفدائي بقضيته ومدى استعداده للموت في سبيلها » .

العمل الفدائي

لبنان والعمل الفدائي . يقول بيار اده ان العمل الفدائي وجه براق ولامع للقضية الفلسطينية .

« لكل قبل ان أبدي رأيي بهذا الموضوع ، لا بد لي ان أشير الى انه كلما توضحت معالم السيادة والاستقلال اللبناني ، شعر العدد الأكبر من اللبنانيين ان « الميثاق الوطني » ليس وسيلة لازالة لبنان من الوجود ، وان من المصلحة اللبنانية ان يعتبروا انفسهم جنوداً مجندين كسائر العرب في القضية الفلسطينية .

« هذه صورة صريحة لا يمكن ان نتجاهلها الا اذا شئنا ان نموه الحقائق ، مكتفين بما يقال مجاملة في الندوات او مزايدة من على الشرفات .

« ان العمل الفدائي وجه لامع للقضية الفلسطينية . وهو الذي عمل على ابراز الشخصية الفلسطينية بدفع جديد وبمعان جديدة ، برغم ما وجه ويوجه الى العمل الفدائي من انتقاد . انني اكتفي لايضاح ذلك بعبارة وردت على لسان الرئيس هواري بومدين ، في حديث ورد له في المجلة الفرنسية « نوفيل اوبسرفاتور » ، ميز فيها تمييزاً كلياً بين المقاومة الفلسطينية والموقف العربي العام ، واكد انه اذا كان للدول العربية الحرية في ان تفاوض في شأن مصالحها واوضاعها كدول ، فانه لا يجوز لأحد ان يتدخل في ارادة المقاومة الفلسطينية . وهنا تجدر الاشارة الى عبارة « المقاومة الفلسطينية » التي استعملها الرئيس بومدين باللغة الفرنسية .

« ومن المؤكد ان الرئيس بومدين لم يكن يريد ، في تصريحه هذا ، ان يجرد المقاومة الفلسطينية من عروبتها ، ولا ان يقيم أسواراً بين العرب وقضية فلسطين ، بقدر ما كان يعني ان للمقاومة شروطاً يجب ان تتوافر ، اهمها الانسجام والبعد عن التيارات السياسية المختلفة والمزايدات الحكومية .

« وواجب الصراحة يفرض علينا أيضاً ان نقول ان القضية الفلسطينية كانت منذ 1948 وما تزال مسألة سياسية داخلية بالنسبة للدول العربية مجتمعة ومنفردة » .

« عندما يتكلم رجل كهواري بومدين لا يسعني الا ان اتخذ من كلامه مرجعاً وحجة لأن الجزائر هو البلد العربي الوحيد الذي نال استقلاله بقوة كفاحه ونضال ابنائه بالسلاح والفداء .

« ان الجزائر لم تنل استقلالها نتيجة ظروف دولية ونفوذ تنافس ، كما كانت الحال بالسبة لكثير من الدول العربية .

« وللمرة الاخيرة اقول ان علينا ان نهتم ، عندما نثير موضوع فلسطين ، بالواقعية والعلم لا بالعواطف ، وخاصة في بحثنا عن الامكانات العسكرية . اذ لا يجوز ان نتخلى عن واجباتنا الأخرى أي غير العسكرية بانتظار توافر امكانات القوة التقنية والعلمية ، علينا الآن استخدام الوسائل التي أشرت اليها ، كل حسب امكاناته .

« وهذا لا يعني ان قضية فلسطين يجب ان تنحصر بما يبذله الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه ، بمعزل عن أي عمل آخر على صعيد الدول العربية . لقد شرحت كيف ان التقنية والعلم ليسا ضروريين للعمل الفدائي بقدر ما هما ضروريان لجيش نظامي في حرب حديثة . ولست بحاجة الى تفصيل ذلك ، فنتائج حرب حزيران واضحة بالنسبة الى الجيوش والى العمل الفدائي . وعندما قلت ان القضية الفلسطينية يجب ان تكون فلسطينية بالدرجة الأولى ، عنيت ، آسفاً ، ان القوى العربية النظامية لم تتوافر فيها بعد أسباب التساوي مع القوى الصهيونية ، مما يجعل كل حرب نظامية في الوقت الحاضر غير معروفة النتائج وقد تكون لصالح اسرائيل . أقول ذلك اخلاصاً لأنفسنا ولقضية فلسطين كي لا نقع في ما وقعنا في الماضي » .

الحياد والبوليس الدولي

بيار اده ليس من رأي الذين يطالبون بتحييد لبنان . لماذا ؟ .

يقول : « لأن للحياد شروطاً غير متوافرة في واقع الوضع اللبناني . الا ان ما يمكن ان يحصل ، وهذا ضروري ، هو توضيح دور لبنان في محيطه بالاتفاق مع دول هذا المحيط . اما ان يحلم البعض بوضع لبنان في المريخ ، فهذا أمر وهمي » .

وبالنسبة الى طلب قوات الطوارىء الدولية؟ أليس مع أخيه « العميد » في هاجسه ؟ .

« ان قضية البوليس الدولي يجب ان تعالج وان ينظر اليها في ضوء السياسة الدولية ، ثم تبحث على أساس معطيات هذه السياسة . كلنا يعلم ان قضايا الأمن الدولي تعود الى

قرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة ، حيث نحن وسائر دول المنطقة اعضاء في الهيئة الدولية .

« لا يمكن قرارات مجلس الأمن ان تتخذ وتطبق الا اذا تمت الموافقة عليها من جانب اصحاب العلاقة . سواء اكان ذلك على صعيد المنطقة او على صعيد الدول الكبرى ، أي الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن الذين اعطاهم ميثاق جامعة الأمم حق الفيتو في استعمال قوات الطوارىء الدولية .

« من هنا القول انه ليس بالامكان البحث في قضية البوليس الدولي الا في ضوء هذه الاعتبارات . وما حدث سابقاً ، في هذا المجال ، يشير صراحة الى ان الاستعانة او طلب القوة الدولية يكون عادة نتيجة سعي لفض نزاعات قائمة او لوقف قتال ناشب » .

« فالأمر ، إذاً ، متلازم مع تطور القضية الفلسطينية التي لا يمكن ولا يعقل تجزئتها » .

السياسة الخارجية

ان سياسة لبنان الخارجية ، يقول بيار اده ، « يجب ان تنبثق من مصلحة شعبه المقيم والمغترب . وهذه المصلحة بالذات تفرض على لبنان سياسة حياد في النزاعات الدولية ، وتفرض عليه بالتالي عدم الانحياز الى أي من المعسكرين الا على اساس سيادته واستقلاله .

« هذا مبدأ أساسي » .

« انما هناك تفرعات عدة ستحصل في ضوء تطور قضية فلسطين وفي ضوء مصالح لبنان الاقليمية وبالنسبة الى التزاماته العربية . ثم هناك المحافظة على المواثيق الدولية القائمة . مع العلم ان الواقع يجعل السيادة والاستقلال خاضعين للمواثيق والمعاهدات التي توقعها الدولة وترتبط بها » .

« فالاستقلال والسيادة في عالم اليوم أصبحا أقل فعالية مما كانا عليه في القرن التاسع عشر . ذلك بأن السياسة العالمية ووسائل الاعلام جعلت التفاعل بين الشعوب سريعاً

ومباشراً اكثر مما كان عليه الأمر في الماضي . ولهذه الوقائع انعكاسات على التصرف المحدود في السياسة الخارجية » .

« ان لبنان ، سواء تجاه قضية فلسطين وتجاه مصالح الدول العربية ، لا يمكنه ان يتصرف كأنه غير مبال بهذا الواقع » .

« فالعالم يكاد يصبح واحداً ، ان لم نقل انه أصبح وحدة » .

« هناك دولتان تشكلان القوى الفعلية في تسيير امور العالم وشؤونه . ويتوقف على مدى التعايش السلمي بين هاتين الدولتين امكان استمرار وجود استقلالات وسيادات في العالم .

« الا انه ، في كل حال ، ينبغي للبنان ان يتوخى في سياسته الخارجية عدم الدخول فريقاً او طرفاً في النزاعات الدولية ، كما ينبغي له عدم الانحياز الى أي من المعسكرين ، وذلك حرصاً على مصالح شعبه وانسجاماً مع وضعه في المنطقة وتجاوباً مع واقعه البيئوي » .

على هامش المبادىء العامة للسياسة الخارجية كما يراها ، يفترض ان تكون للبنان سياسة خاصة بالدول التي فتحت أبوابها واحضانها للمهاجرين من ابنائه .

وتأتي الدول الافريقية واميركا اللاتينية في الطليعة ، خصوصاً ان الوجود اللبناني في الخارج يؤمن دخلاً اساسياً للاقتصاد اللبناني ويدعم ، انطلاقاً من لبنان ، الانماء الاقتصادي في المنطقة العربية . ثم ان الوجود اللبناني في الخارج يشكل بالتالي منبراً واسعاً للقضايا التي تهمنا ، وفي مقدمتها قضية فلسطين .

سياسة المال وحرّية الاقتصاد

بيار اده السياسي هو في الواقع بيار اده الاقتصادي ، بيار اده المال والكومبيوتر والحسابات الدقيقة ، بيار اده الأرقام : واحد زائد واحد يساويان اثنين لا « الى وقتها فرج . . . » . العدس بترابو وكل شيء بحسابو . من هنا الى اين ، كيف نصل ، ما هي التكاليف ، ما هي النتائج ، ما هي العقبات ، حساب الارباح والخسائر .

هو هكذا في الاقتصاد والمال والمصارف . وهكذا تماماً في السياسة .

في 22 نيسان 1954 اعلن بيار اده في المجلس النيابي « المبادىء الأساسية للسياسة المالية في لبنان » كما يراها مستنداً الى قول ويلهلم روبكي « الحرية الاقتصادية هي المظهر الرئيسي والشرط الأول للحركات الشخصية » .

يقول في مستهل خطابه « التبشيري » ان الوقت قد حان « **لنتبصر في المبادىء العامة التي يجب ان تخضع لها سياستنا المالية في علاقاتها مع سياستنا الاقتصادية الدولية الحاضرة التي لها كما نرى تأثير معين على وضعنا الاقتصادي الخاص** » .

ثم يدخل في صلب الموضوع :

« أياً كانت الافادة من مداخلة الدولة في ادارة الاقتصاد الوطني فقد ترسخ الاعتقاد اكثر فأكثر ان لمداخلة الدولة في تنظيم جهود الأمة حداً اقصى اذا تجاوزته المداخلة اضعفت المجهود الفردي وخلخلت النظام الاقتصادي العام ، لذلك فإن حكاماً كثيرين في بلدان كثيرة ، وقد أتعبهم الفشل المستمر ، يرون العودة الى مبادىء الاقتصاد الحر والرجوع الى حرية التبادل الدولي وتحويل النقد » .

« ان هذا الاتجاه الجديد متفق ولا شك وتقاليد بلادنا وتمنياتها ومصالح اقتصادها . بيد ان العودة الى الاقتصاد الحر لا يمكن ان تكون دون ان تحدث بعض الهزات وتعترضها بعض المصاعب ذلك انه عندما ينتاب الاقتصاد مرض التوجيه المزمن لا يعود من السهل اعادته الى الصحة والعافية . ويجب ان نأمل على كل حال انهم سيتغلبون سريعاً في جميع البلدان على الصعاب المعترضة خاصة ان انتهاء النزاع في كوريا يسمح منذ الآن بتحويل الاقتصاد العالمي وان جزئياً الى اقتصاد سلمي بانتصار التسوية النهائية للمشاكل السياسية بين الشرق والغرب » .

« ان توقف الأعمال الحربية في كوريا جر الى خفض في الطلب الدولي للمنتجات الصناعية والمواد الأولية الستراتيجية . فأصبح ازدياد العرض ، اليوم ، كثيفاً وملحاً ، خصوصاً ان الانتاج بلغ حده الأعلى وان جميع البلدان كدست عندها بضائع هامة تحسباً لاتساع ممكن في النزاع الكوري وهذا ما يجعلنا نشهد اليوم ضغطاً محسوساً على مستوى الاسعار في اتجاه هو اكثر انطباقاً لمقتضيات توازن دولي سليم » .

« لذلك كان من الموافق ، تجنباً للصعاب التي يمكن ان تواجه الاقتصاد العلمي تخفيف وطأة هبوط الطلب والاسعار . وتعود هذه المهمة الى الدول المنتجة الكبرى .

« ويستحيل عملياً ، بالنظر لهذه الظروف ، ان نمنع زوال المشاريع ، وهي قليلة

على كل حال ، التي تحملت اخطاراً تتعدى امكاناتها الحقيقية والتي استرسلت لتعيش في عمليات مريبة فاسدة . غير ان الظرف الحاضر يدعو جميع البلدان الى تقوية احتياطها النقدي وتدعيمه وبالتالي الى العودة سريعاً الى التبادل الحر » .

« وقد انساق لبنان في الطريق التي وجد العالم نفسه عليها ، فاعترى منذ شهور ، سوقنا المحلي خمول بدأ يتبدد شيئاً فشيئاً . على ان هذا الخمول قد ازداد عندنا من جراء عدم الموافقة على موازنة سنة 1953 ، مما ادى الى انخفاض محسوس في الانفاق العام » .

« ان الاتجاه العالمي يبقى حائراً برغم الجهود التي تبذلها البلدان جميعاً لذلك نرى ان السوق المحلية يجب ان تلزم في الظروف الحاضرة جانب الحذر والحكمة المفروضين عليها . وقد سبق ان اتخذت الحكومة التدابير اللازمة لاشاعة الثقة التجارية ولمراقبة تطورات السوق المحلية » .

« ولا بد من التشديد على ان كل ازمة في لبنان لا تكون ازمة حادة الا بمقدار ما تصيب السوق التجارية فيه، ما دام مجهود الأمة منصرفاً الى النشاط الحر وما دام يمكن دعم الانتاج الزراعي والصناعي الاساسي . بينما ان الأزمة في البلدان الأخرى تصيب المواضع الصناعية الحساسة وتشل من جراء ذلك نشاط الأمة الجوهري » .

« ولا نجد الى الآن مشروعاً صناعياً هاماً تعرض لصعاب جدية ولكننا مع ذلك ننبه منذ الآن الى انه ، اذا كان في عزم الحكومة ان تأخذ جميع التدابير اللازمة لتدرأ كل مفاجأة ولتحسن الظروف القائمة فليس في مقدورها ان تسعف المشاريع المجازفة الطائشة التي الزمت نفسها فوق طاقتها ، خاصة انه لا يسعنا اعتراض اتجاه الأسعار العالمي . وعلينا ان نسهر على الثقة الدولية بنا وعلى مصالح بلادنا العليا » .

« ايها السادة ، عشر سنين انقضت على الحرب العالمية الثانية ظن فيها ان الاقتصاد اللبناني قد ازدهر باعجوبة . بيد انه « لا اعاجيب في عالم الاقتصاد والمال » على ما قال الدكتور « شاخت » ويعتقد البعض اننا عشنا ، خلال هذه السنوات ، على الاحتياطي من المال الذي تجمع لنا في اثناء الحرب، العالمية الاخيرة ويرى البعض الآخر ان الأموال الأجنبية هي التي جاءت تسد العجز المزمن في ميزاننا التجاري . فلا أولئك ولا هؤلاء أصابوا حقيقة الواقع اللبناني . اذ الواقع ان النواميس التي تسير اقتصادنا الوطني كانت دائماً تضلل الخبراء وتتخطى التعاليم النظرية الهامة » .

« ان تفوق قيمة وارداتنا أربع مرات على قيمة صادراتنا المنظورة » .

« الا يكون لنا مداخيل كبيرة من رساميل مشغلة في الخارج لتسد العجز الظاهر في ميزاننا التجاري » .

« ان نكون تكوين وفرنا وتكوين اسعارنا ناشزاً عن النظريات المعترف بها عادة » .

« ان تتحسن قيمة نقدنا تحسناً مستمراً » .

« ان يكون كل ذلك ، ففي ذلك ما يذهل اهل النظر ويدهش اهل الخبرة . اذ ان الالتزامات التي علينا في الخارج ، تجاوزت دون شك ، خلال هذه السنوات ، أربعة مليارات ليرة لبنانية وهي قيمة ما كانت لتسدها صادراتنا ولا الاحتياط الذي توفر لنا خلال الحرب ولا تشغيل اموالنا في الخارج » .

« نزيد اليوم على ذلك تشغيل اموال كبيرة نسبياً هي الأموال المدخرة التي لا تطول معظمها يد » .

« ونزيد : الاحتياط المالي الهام ـ وتوازناً دائماً في الموازنة وسوقاً محلية يغذيها بشكل مدهش قطع اجنبي وذهب الخ » .

« ثم نتساءل ـ كيف نحيا ؟ ومن أين يتأتى لنا كل هذا المال ؟ » .

« هاك ملخصاً ببعض كلمات جوهر اللغز اللبناني الذي سنكشف الآن عن خطوطه الكبرى ، وينحصر جوهر اللغز بكلمتين ـ حرية ونقد » .

« كل نهج وكل تصرف اقتصادي وطني اختياري هو :

« كل سياسة ان تكون سياسة علمية تفرض تعبئة جميع الأمة ووسائلها وتفرض استنفادها وفق الاختيار الذي من شأنه ان يحقق مستوى معيشة للناس » .

« وغني عن البيان اختيارنا لمذهب اقتصادي بين المذاهب الاقتصادية المبحوثة يجب ان يكن المذهب الذي يؤمن التوازن الاقتصادي الداخلي والخارجي ويحقق افضل الشروط لنمو لبنان الاقتصادي » .

« يجد لبنان نفسه على طريق قارات ثلاث وعند ملتقى سبل الأسواق الشرقية والغربية الكبرى » .

« وان طريق البضائع الكبرى بين الشرق والغرب بين الشرق الافريقي والمتوسط هي طريق قناة السويس وان هذه الطريق الدولية للبضائع تزوجها طريق دولية للاشخاص والرساميل وهي الطريق التي تجتاز لبنان » .

« تعرفون مقدار الحركة الكبرى التي يؤمنها مطار بيروت الدولي وقد بلغ عدد الطيارات التي تؤمه في مدار السنة 10 آلاف طائرة وعدد الاشخاص الذين يهبطون فيه ذهاباً أو اياباً 180 ألفاً » .

« ثم كمية الرساميل التي تجتاز هذه الديار وتروح وتجيء في كل اتجاه ، فعندنا أسباب جبرية يمكننا تقديرها بعشرات المليارات من الليرات اللبنانية . وان قسماً كبيراً من هذه الرساميل تمر بلبنان بحيث جعلت منه وسطاً من أكبر الأوساط النقدية في العالم » .

« ولا يزدهر هذا النشاط الدولي الهام الا بفضل المصارف والشركات المختلفة ذات الانتشار الدولي . ويزداد عدد هذه المؤسسات سنوياً ويتكاثف نشاطها ويتنوع باستمرار . وواضح ان الاقتصاد اللبناني بدون تمديداته الدولية لا يمكنه تبرير قيام هذا العدد الكبير من المؤسسات ولهذه التمديدات أربعة أصول على الأقل » :

أ ـ مرور الاشخاص والرساميل بلبنان بواسطة الترانزيت نظراً لسياستنا الحرة في الاقتصاد وللضمانة التي يتمتع بها نقدنا .

ب ـ الأمان الذي يوفره لبنان للرساميل اللاجئة اليه بفضل سياستنا الاقتصادية الحرة وبفضل نقدنا المضمون ونظامنا الضرائبي المعتدل .

ج ـ وجود مغتربين ورحالة لبنانيين في كل مكان من العالم بحيث يتيسر لنا مراسلون وعملاء تجاريون في جميع البلدان .

د ـ النشاط الدولي للتاجر اللبناني الذي يمثل دور الحكم والذي هو رجل اعمال من الطراز الأول . وتعرفون ولا شك اننا نساهم في تجارة القارات جميعاً كأوروبا وأميركا وأفريقيا وغيرها .

« ان كل ما سبق وصفه هو ما يشكل المدى الاقتصادي والمالي والنقدي اللبناني وما كون لبنان ملتقى طرق عالمية الا مظهراً من هذه المظاهر » .

« ان الطرق والمواصلات هي للبنان بمثابة طرق التنفس للإنسان وان المغتربين والرحالين والمؤسسات المالية التي لنا في الخارج هي بمثابة اجهزة التقاط وكشف في جميع أنحاء العالم » .

« وان الحرية والنقد السليم والنظام الضرائبي المعتدل بمثابة روح محيية فإذا ما انتفى من لبنان عنصر من هذه العناصر فإن قسماً كبيراً من نشاطه هذا يتعطل ولبنان لا يعود لبنان » .

« وقد صار واضحاً ان مدانا الاقتصادي الحقيقي حيث يتجلى نشاطنا كاملاً هو العالم برغم ضيق مساحة أرض بلادنا » .

« أما الان وقد أشرنا الى تكوين نشاطنا الدولي فلنحاول ان نشير الى مساهمة هذا النشاط في الاقتصاد اللبناني .

« بفضل هذا النشاط ، هذه الحرية ، هذا النقد ، وهذا النظام الضرائبي المعتدل نستطيع ان نسد بسهولة العجز الواقع في ميزاننا التجاري وان نحقق زيادة في ميزان حساباتنا . وهذا يعني اننا نعوض الآن وفق كمية صادراتنا ما قيمته من400 الى500 مليون ليرة لبنانية من القطع الأجنبي التي يبقى منها قسم في لبنان » .

« وما من شك ان ميزان حساباتنا فائض » .

« وان استقرار نقدنا وتحسنه المستمر يثبتان ذلك بوضوح اذ ان توازن ميزان الحسابات شرط أساسي لصيانة النقد أضف الى ذلك ازدياد احتياطنا النقدي الهام نسبياً وامتلاء سوقنا بالقطع الأجنبي وتشغيل أموال خاصة هامة دون قروض في الخارج وارتفاع مستوى المعيشة وازدياد دخلنا الوطني الحقيقي الخ . كلها دلائل راهنة على فيض ميزان حساباتنا في هذا البلد ذي الاقتصاد الحر » .

« ولكي نعطي فكرة عن الرساميل المشغلة عندنا فإننا نقدر قيمة الأبنية المشادة سنوياً في لبنان بأكثر من خمسين مليون ليرة لبنانية وهناك من جهة ثانية أراض كبيرة تمتد اليها الزراعة بصورة مستمرة وان قيمة بساتين التفاح الجديدة تقدر بعشرات الملايين من الليرات خلال السنين الاخيرة الخ » .

« وبالنظر الى مستوى معيشتنا الذي هو في ارتفاع مستمر والى ما نعرفه عن حالتنا الاقتصادية فمن الضروري ان يزيد باستمرار دخلنا الوطني السنوي عن استهلاك البلاد من قيمة هذه الرساميل المشغلة » .

« يؤدي بنا البحث الى الاشارة الى تكوين دخلنا الوطني وادخارنا وهما مظهران من مظاهر اللغز اللبناني » .

« مر بنا ان نشاطنا في الحقل الدولي يدخل علينا خمسمئة مليون ليرة لبنانية سنوياً وأكثر فإذا أخذنا بعين الاعتبار نشاطنا الداخلي الناتج عن القسم المشغل من هذه الرساميل فإنه يصبح من المعقول التسليم بأن قسماً كبيراً من دخلنا الوطني متوقف مباشرة او غير مباشرة على نشاطنا في الحقل الدولي » .

« وبالتالي فإن قسماً كبيراً من ادخارنا منوط أيضاً بنشاطنا الخارجي ، وهذا الادخار اما انه مشغل داخل البلاد او انه داخل في حركة نشاطنا الخارجي الدورية التي تتسع يوماً بعد يوم ، واذا لاحظنا ان الادخار وتشغيل الرساميل عندنا يقوم بها عادة بعض الافراد فإنه يمكننا تقدير المسافة الشاسعة التي تفصل بين نواميسنا الاقتصادية وبين بعض النظريات الحديثة ، لكن محال هنا للاسترسال في بحث هذا الموضوع النظري » .

« يتضح مما تقدم ان اسعارنا تنسجم عادة مع الاسعار الدولية الرائجة ، وينتج ذلك عن الصلة التي تربط بين نشاطنا الخارجي والتكوين الخاص لقسم هام من دخلنا الوطني من جهة ومن جهة ثانية عن سياستنا النقدية الحرة » .

« اذ انه يوجد في المناطق الدولية ، تلازم بين تحديد الأسعار وقيمة النقد النسبية بحيث اننا بقدر ما نحافظ على حرية التبادل نصون قيمة نقدنا ونحقق توازناً سليماً في اقتصادنا العام » .

« يتضح جلياً ، منذ الآن ، ان لاقتصادنا طابعاً نوعياً له تأثيره المباشر على الطابع الكمي وهذا يعني اننا اذا ضيقنا على نشاط تجارتنا ورجال الأعمال عندنا بتدابير توجيهية فإننا نعرض للخطر كل توازننا الاقتصادي والمالي ونخفض مستوى معيشتنا تخفيضاً خطراً » .

« وليس ذلك هو الخطر الوحيد . فعلى حدودنا الجنوبية تقوم اسرائيل التي تحاول بكل ما لديها من حيل وأساليب ان تجرنا من حيث لا ندري الى سياسة توجيهية لا تتفق ومصالحنا قصد تحويل تيار التبادل الدولي اليها . اننا نرتكب خطأ جسيماً اذا وقعنا في حبال الصهيونيين . وطاوعناهم في ما ينتوون . فإذا كانت اسرائيل تواجه صعاباً جسيمة لتحقيق التوازن عندها فمرد ذلك الى حصار الدول العربية والى سياسة الاقتصاد الحر التي يتبعها لبنان » (. . .) .

« سواء نتج الادخار عن نشاطنا الداخلي او عن نشاطنا الخارجي فيؤذيه حتماً فرض نظام ضرائبي جائر في البلاد » .

« فلكل بلد من البلدان حد في النظام الضرائبي يتفق ومصالح ابنائها ، اذا تجاوزته التكاليف تصاب المشاريع بشلل . ويبلغ هذا الحد سريعاً عندما يتوافق النشاط الدولي مع الاقتصاد الوطني . ومن ثم فكل سياسة ضرائبية في لبنان يجب ان تلزم جانب الرشد والاعتدال لئلا تخرب مصادر الضريبة نفسها . ويجب ان يعطف نظامنا الضرائبي على حركة الترانزيت وتدفق الرساميل وعلى تنمية التجارة الخارجية تأميناً لمزيد من الامكانات

في الدخل والادخار اللبنانيين ويجب ان نسهر اذاً على الا يحول ضغط النظام الضرائبي طريق التبادل الدولي عن لبنان فيخفف هكذا امكانات توسعنا » .

« من الواجب علينا ان نكون الى جانب نظام الاقتصاد الحر الذي يتفق وحده مع تنمية نشاطنا والمحافظة على توازننا في الداخل والخارج والذي وحده يتفق مع مستوى دخل وادخار وطني رفيع ومع توازن الأسعار في سوقنا المحلية وهذا يفرض علينا اعتاد نظام ضرائبي مرن ومعتدل وتأمين توزان في الموازنة منتظم صحيح » .

« يجدر اذاً ان نترك للمبادرة الفردية في لبنان مدى واسعاً من الحرية ضمن وضع سليم للمزاحمة . فعلى الدولة ان تخلق جواً تتوافر فيه شروط الأمن والاستقرار والدخل الوفير من أجل ان يوظف الادخار في مشاريع ذات نفع عام بأن نؤ من له ايراداً عادلاً لكل رأسمال حقيقي وقد أصبح اليوم واضحاً بعد ان فشلت الدولة غير مرة وفي غير مكان في ان تحل نفسها محل الأفراد وان تقوم بالأعمال العائدة اليهم حتى اذا هدد النقد والتوازن العام بالخطر الشديد » .

المجلس الاقتصادي والاجتماعي

يعلق بيار اده أهمية قصوى على المجلس الاقتصادي والاجتماعي لأنه يتيح للمنتجين في لبنان فرصة الاشتراك فعلياً وبشكل مباشر في مجلس « يعبرون فيه عن آرائهم ويسمع نصائحهم بانتظام ، اولئك الذين يمثلون الأمة والذين خولهم الدستور سلطة بت الأمور » .

وفي22 تشرين الأول1965 اعلن مشروعه في مؤ تمر صحافي عقده في نقابة الصحافة وقدمه بكلمة جاء فيها ما يأتي :

« منذ عشرين عاماً وخصوصاً منذ الانفصال الجمركي بين لبنان وسوريا وادارة الاقتصاد اللبناني موضع جدل واخذ ورد . واذا لم يكن هذا مجال تعداد المراحل التي مررنا بها ، وتسمية الذين كانوا على خطأ والذين كانوا على صواب ، فإنه لا يسعنا ، من هذا الفريق كنا او من ذاك ، لا يسعنا دون ان نغالط انفسنا ، الا الاعتراف بأن الانطلاقة الاقتصادية في لبنان لم تتوقف وانها تجلت واقعياً بارتفاع مستوى المعيشة وبنمو الملاكات الاجتماعية » .

« وانطلاقاً من هذا الواقع يبدو لي ضرورياً اليوم استجواب الذين يدين لهم لبنان بازدهاره وتطوره . وهؤ لاء ليسوا اليمين ولا اليسار انهم البلد كله . . . هم المنتجون ، أرباب عمل واجراء الذين يمثلون المصدر والقوة المحركة لمختلف قطاعات الاقتصاد والزراعة والصناعة والاشغال اليدوية والتجارة والخدمات » .

« ترى ألم يحن الوقت بعد لاشراك عالم العمل والانتاج في وضع سياسة البلاد الاقتصادية والاجتماعية ؟ » .

« هذا السؤ ال أطرحه على جميع الذين يهمهم ان يؤ منوا للبلد مزيداً من الازدهار وان يحققوا فيه مزيداً من التطور الاجتماعي » .

« ان اختباراتي الشخصية التي اكتسبتها في القطاعين العام والخاص تسمح لي ، كما ارجو واعتقد ، ان ابسِّط معطيات المسألة وان اتقدم بمقترحات » .

« اذا كانت الأوضاع تتطور ومعها الأفكار ، فالأهداف نفسها باقية هي اياها . فالدولة الحديثة عليها ان تؤ من باستمرار زيادة الدخل القومي وتحسين مستوى المعيشة ، ويبدو جلياً اليوم ان الاقتصاد اللبناني لم يعد ذلك اللغز الذي يبذل الجهد لفك رموزه ، والذي حيرَّ في الماضي الخبراء والاقتصاديين الأجانب . فقد بات من المسلم به بل من الراهن بالنسبة الى ميزاننا التجاري مثلاً ان تحقيق التوازن بين صادراتنا ومستورداتنا لم يعد موضع بحث . والواقع اننا نجد ان الموارد المتوافرة او امكانات بلادنا لا تستطيع ان تشكل على رقعة مساحتها عشرة آلاف كيلومتر مربع هدفاً يمكن التركيز عليه وحده . هذا فضلاً عن انه ثبت نهائياً وبشكل جازم ان ميزان مدفوعاتنا الذي يعكس الصلة القائمة بين قيمة صادراتنا ودخلنا من الخدمات من جهة ، وبين ما يدخل البلاد بالفعل من جهة اخرى ، تميل كفته لمصلحتنا بشكل ملموس ، وكون الميزانين : ميزاننا التجاري وميزان المدفوعات كلاهما غير متوازن ولكن في اتجاهين متعاكسين ، احدهما يشكو العجز والآخر يسجل فائضاً ، انما ينم عن نشاطات متعددة بل كثيفة يقوم بها اللبنانيون داخل بلادهم وخارجها ، وينجم عنها ما اصطلح على تسميته المداخيل غير المنظورة » .

وفي ما يأتي الخطوط الكبرى للمجلس الاقتصادي والاجتماعي :

يتحدث الفصل الأول عن كيفية انشاء المجلس ومهمته واختصاصه ، كما يلي :

المادة الأولى :

انشئت بمقتضى هذا القانون جمعية استشارية مسماة المجلس الاقتصادي والاجتماعي

وبتمثيله اهم المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية يعمل المجلس على تنمية التعاون بين مختلف الفئات المهنية ويؤمن مشاركتها في وضع السياسة الاقتصادية والاجتماعية للحكومة .

المادة الثانية :

يحال طلب الآراء والدروس الى المجلس الاقتصادي والاجتماعي بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء ويتوجب اخذ رأي المجلس في مشاريع القوانين المتعلقة بالبرامج والتصاميم ذات الطابع الإقتصادي او الاجتماعي ما عدا القوانين المالية .

ويمكن ان تحال اليه مشاريع القوانين او المراسيم المتعلقة بمواضيع داخلة ضمن اختصاصه .

ويمكن ايضاً استشارته في كل مسألة ذات طابع اقتصادي او اجتماعي .

المادة الثالثة :

يمكن المجلس الاقتصادي والاجتماعي ان يلفت الحكومة تلقائياً الى سبل الاصلاح التي يراها مناسبة لتحقيق الأهداف المبينة في المادة الأولى من هذا القانون . ويبلغ رأيه للحكومة بقرار تمن يتخذ بالتصويت .

أما الفصل الثاني فإنه يحدد طريق تأليف المجلس وتنظيمه بحيث يضم ثلاثة وعشرين عضواً يمثلون هيئات أرباب العمل منهم :

عضوان اصيلان ومناوب عن الزراعة ، وعن الصناعة ، وعن التجارة ، وعن المصارف ، وعن الحرف ، وعن التعليم الخاص ، وعن الصحافة والطباعة ، وعن النقل ، وعن الفنادق ، وعن المطاعم والملاهي ، وعن المستشفيات ، وعن الصيدلية .

ثم ثلاثة وعشرون عضواً يمثلون الهيئات النقابية منهم ، موزعين على مختلف حقول العمل .

وأخيراً سبعة أعضاء يمثلون المهن الحرة :
عضوان اصيلان ومناوب عن المحامين ، وعن الاطباء ، وعن المهندسين ، وعن الفنانين .

فضلاً عن خمسة اعضاء اصليين وخمسة مناوبين من اصحاب الاختصاص في الحقل الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والثقافي .

اما كيفية اختيار الأعضاء ، فمن جانب الهيئات ، حيث توجد ، والا فب

وينص المشروع على أن يعين اعضاء المجلس الاقتصادي ومناوبوهم . سنوات .

وفي المشروع انه يمكن اعضاء الحكومة ومندوبيهم حضور جلسات الهي واجتماعات اللجان ولهم الحق في ابداء الرأي عندما يرغبون .

ويعين للمجلس امين عام بمرسوم يتخذ بناء على اقتراح وزير الاقتصاد ووزير العمل والشؤون الاجتماعية بعد اخذ رأي مكتب المجلس المذكور في الماد تحدد طريقة انتخاب الرئيس ونائب الرئيس بالاقتراع بغالبية الأصوات المطلقة الأولى وبغالبية الأصوات النسبية في الدورة الثانية .

أقوال ا

ليس لبيار اده خصوم يناصبونه العداء ويتحاربون معه كما لبعض والمرشحين للرئاسة . وليست له خصومات حادة وعداوات وعارك ثار مع الا حتى مع الشهابيين الذين انتصب الميزان بينهم وبين بكر أبيه . خصومه ، ا تقليديون ، لا يحملون الحربة . وخصوماته عادية ولم تعرف العنف ولا مرة فيقول : ليس لي اعداء ولا خصوم .

الا ان هذا كله لا يمنع الناس من تسجيل بعض المآخذ على بيار اده .

يقولون ، مثلاً ، انه ليس شعبياً ، وهذا يشمل بسط اليد وعدم بسطها ، الاجتماعي (المآدب والمحافل والمآتم والافراح) .

ويقولون أيضاً انه دائم الحذر . يفكر كثيراً ويحكي نادراً . يعطي بقدر ما وبعد حسابات ودرس وتمحيص ويصغي ويأخذ بغير حساب . يجب ان يعرف ولا يحب ان تعرف عنه شيئاً . باطني . لا تستطيع ان تكتشف ما عنده الا به الذي عنده قد وضع في التنفيذ وانتهى تنفيذه .

انما الذين يتحفظون حيال بعض هذه المآخذ ، فلا ينكرون عليه الذ والمقدرة : هو رجل دولة قبل ان يكون رجل مال . واثق من نفسه مؤمن بآرائ

يكون رجل آراء واختصاص في حقل المال . ولكن الخصوم كثيراً ما استعملوا عنه كلمة « التذاكي » ، نسبة الى الاكثار من الذكاء . . . الى حد التفريط ، والى حد انعكاس القصد والابتعاد عن الهدف ، فيفرغ العقل من محتواه ليصبح لعبة مجردة من كل ضابط معنوي او مثالي ، وهذا منتهى خطر الذكاء على الذكاء !

في المقابل يفتح الخصوم ، اذا صحت التسمية ، النافذة على مزايا أخرى عند بيار اده . منها احترامه لرأي غيره وحرصه على فتح الحوار مع هذا الغير كمدخل للاقناع أو الاقتناع .

وعندما عين وزيراً للمال في المرة الاخيرة(1968) قالوا انه دخل الحكم من نافذة الاقتصاد ليطل على السياسة من باب1970 .

بطاقة هويّة

● أول ما عرف بيار اده ، عرف بأنه سكرتير والده ، رئيس الجمهورية الاسبق اميل اده ، وذلك اثر حوادث1943 . وكان بيار اده اذ ذاك في اول عهده بالمحاماة ، متدرجاً في المكتب الذي تدرج فيه وتخرج منه اكثر من وزير ورئيس ، بمن فيهم الشيخ بشارة الخوري .

● قبل ذلك ، كان بيار اده في الكواليس ، كل الكواليس ، رغم حداثة سنة (ولد عام 1921) وقد نسب اليه اختيار والده ، أيام رئاسته ، لأكثر من وزير ونائب .

● في كواليس الكواليس : بيار اده الرجل بعيد عن الناس ، بعيد ، يعيش حياة عائلية شبه مقفلة ، في حلقة اصدقاء ضيقة ، تكاد تكون بعيدة عن علاقاته العامة ، سياسية ومهنية . . . رغم انفتاحها احياناً ، في حفلات غدا بعضها مثالاً ، كتلك التي اقيمت على شرف زوار اجانب ، وقالت مجلة« لايف » ان نجمها كاد « الببغاء » الأزرق الذي ردد ، طيلة السهرة « فليسقط يوسف بيدس » !!!

● غير ان لبيار اده صداقات اخرى ، هي الصداقات الدولية ، فهو احد اللبنانيين القلائل الذين ربوا علاقات وثيقة مع جبابرة « الدولية الاقتصادية » ، خلال زياراته المستمرة لأوروبا واميركا ، واشتراكه كل سنة ، طيلة سبع سنوات ، في مؤتمرات صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات والجمعيات الدولية .

● مع ذلك رفض بيار اده الهجرة والتحول الى واحد من هؤلاء الجبابرة . عام1957 ، عرض عليه والد زوجته ، كرم الراسي ، ملك صناعة الورق في البرازيل ، تسلم احدى اضخم الثروات وادارتها ، فرفض وعاد الى لبنان ليمارس « مهنة » رئيس مجلس ادارة مصرف بنك بيروت ـ الرياض الذي لا يملك منه اكثر من ثلاثمئة سهم ـ اي مئة سهم فقط اكثر من الحد الأدنى المطلوب لعضوية مجلس الادارة .

● زواجه سابق لدخوله السياسة . فقد تزوج هيلدا الراسي ـ اصلها من ابل السقي ، مولودة في البرازيل ، مصطافة في لبنان ـ عام1950 . له منها ثلاثة اولاد : اميل (17 سنة) وماري (16 سنة) وكارلوس (12 سنة ، ويحلم بدخول الجيش . . .) .

● يترك بيروت مع عائلته كل « ويك ـ اند » الى فاريا خلال الشتاء لممارسة التزلج ولعب

. وفي الصيف ، يسبح على شاطىء سان سيمون منذ21 سنة ، رغم اصطيافه في ايام العزوبية ، ايام المدرسة في اليسوعية ، كانت رياضته المفضلة « الفوتبول » ، وقد ، استذكاراً لذلك ، رئيساً لاتحاد كرة القدم عام1959 .

● هواياته الأخرى : السياسة ، والمطالعة ، والمراسلة . لا يقرأ الروايات البوليسية ، كسائر الكبار ، لأن كتب الاقتصاد ونشرات المؤ سسات المالية والاقتصادية لا تترك له

”

عبد العزيز شهاب

من أين أطلعوا له شارل حلو ؟ فجأة ، وبين غمضة عين والتفاتتها غيرَّ مجمع الكارلتون من حال عبد العزيز شهاب الذي كان يضعها في جيبه تقريباً ، الى حال شارل حلو الذي نقلوها من جيب المير عبد العزيز الى جيبه هو . كيف ؟

هكذا صار ، ولم يجد الرئيس الراحل ما يقوله لأبن عمه سوى أن أكثرية النهج « هيك بدها » مضيفاً أن الناس قد يتحملون عهدين شهابيين متواصلين متتاليين .

كان ذلك خلال صيف **1964** .

سنة **1970** عاد اسم الاداري الصارم ، الذي كان له صيت في وزارة الداخلية ، الى البروز كونه من الأرومة الشهابية ويحق له أن يكون ، فكانت الدنيا مقلوبة فوقاني تحتاني ولم يسعفه الحظ .

ولأنه ، سبق له وتقدَّم وكادت أن تظبط معه ، فهو لا يزال ذلك الماروني الشهابي ابن الامارة ، والرئاسة لا تتعارض مع الامارات والأمراء .



الامير الصغير

دما انتخب عبد العزيز شهاب نائباً عن الشوف ، للمرة الاولى ، قال
: ان الامير الذي دخل المجلس أميراً ، ما ظلمت الامارة رجلاً مثلما ظلمته .

لها كانت تنتقم من ظلمه لها ، ولنفسه ، عندما كان الامير مديراً ومحافظاً

رف في المجلس النيابي ، كأنه دائماً كان يخشى أن يقترح نائب للبنان مثل القانون
اشراف بريطانيا أن يدخلوا مجلس الاهالي وسائر العباد .

قالوا : كان عبد العزيز شهاب يكون من انجح النواب ، بل انجحهم في العهد
، لو كان اسمه عبد العزيز . . . اي شيء آخر . اذ ما جنى اسم على مسمى كما
مه عليه .

مير عبد العزيز نفسه يقول مثل القول الذي يردده أصدقاؤه : « عندما كنت
ضل بكثير . كنت أعمل وانفذ وأحقق شيئاً على الأقل . لما صرت نائباً أصبحت
. صرت أستحي من حالي ومن الناس الذين عرفوني موظفاً » .

يبدو أن الامارة لم تجن على الامير نائباً وحسب بل جنت عليه مرة ثانية يوم كاد
يساً للجمهورية . اذ لو لم يكن عبد العزيز شهاب هو الامير عبد العزيز شهاب
مير اللواء الرئيس **فؤاد** شهاب ، ولو كان شيئاً آخر ، ربما كان مجمع الكارلتون قد
و رئيساً عوض ان يختار شارل حلو .

ة من يقول عن مناقشات ذلك المجمع أن المجمعيين الاكثريين ، في ذلك
كانوا يتجهون نحو عبد العزيز ، وكانت غالبيتهم تفضله ، الا أن مشيئة الذي لا
ئة على مشيئته كانت قد قطعت الطريق على النسيب الامير ، وأوصت بعدما كانت
، بأن يكون الخلف هو شارل حلو وليس عبد العزيز **شهاب** .

سباب ؟

كثيرة ، يقول متتبعو خطوات الامير عبد العزيز . أبرزها أنه غير صالح لتلبس شخصية الرجل الثاني . ثم لم يثبت أنه **مؤهل** للقيام بدور الرجل ـ المحذوف الماهر ، الذي يكون صوتاً لكلمة ليست له . ثم أنه لم يتدرج سكرتيراً ولا يعرف كيف يبقى سكرتيراً ولو أصبح أكبر من سكرتير .

عبد العزيز هو عبد العزيز . يا أرض اشتدي وما حدا قدي . الصوت صوته والكلمة كلمته . يقول فينفذ . لا يوافق فلا ينفذ . يرفض ما يعتقد أنه يقع تحت طائلة الرفض . ويوافق على ما يجد أن الموافقة عليه مناسبة . . . ولا غبار .

ثم ، وهنا يبرز ظلم الامارة للامير ، أن الرجل من بيت شهاب ، ارتبك الرئيس شهاب وسقط الامر بين يديه .

يقال خشي الامير اللواء الرئيس أن يساء تفسير الاختيار . خشي أن يقول أن بيت شهاب يعيدون الامارة الشهابية . يتوارثونها ، دون أن يكون هناك صهيل خيل وصليل سيوف .

ويقال أيضاً أن الذين بدأوا يخططون لعودة الرئيس السابق ، منذ طويت صفحة التجديد ، وقبل التئام شمل المجتمعين في الكارلتون ، ارتأوا أن يبعد الامير الشهابي عن كرسي الرئاسة ، لأن وجود شهابي ، غير **فؤاد** شهاب ، وبعده ، في سدة الحكم ، قد يعقد موضوع العودة . قد يقول الناس : من شهابي الى آخر ؟ خلت البلاد من الصالحين الذين ليسوا من الدوحة الشهابية ، وليسوا من سلالة الشهابي الامير ؟

ثم أن ثمة فرقاً ، وبعض التباين ، في الرأي وفي النزعة الشخصية وفي المزاج وفي النظرة الى الناس ، بين الشهابي الرئيس والشهابي الذي أبعد عن الرئاسة : فعبد العزيز كل عمره بين الناس . يعرفهم ويعرفونه . يسمعهم ويستمع اليهم . يحكي لهم . يضحك معهم . عاش بين الناس . جربوه . يميزون ضحكته من عبوسه . يعرفون قسمات وجهه . قريب وبعيد . مع وضد .

فؤاد شهاب هو النقيض الشهابي لنسيبه عبد العزيز . لا يعرف عنه الناس الا ما كان يسمح به ، من بيدهم الامر من الصور والنبذات المكتوبة . والصورة صورة . هي هي . والقسمات ، مهما كانت الصورة دقيقة ، لا تتميز بحركة أو بعلامة فارقة . والضحكة في الصورة أيضاً أو هي منقولة عنها أو منقولة عنه . لا رنة لها ، لانها لم تطق في آذان الناس . رنة ضحكة عبد العزيز لا تنساها الاذن التي سمعتها .

زيّحوا تحت اسمه . علّموه بالاحمر .

المستشارون والذين وراء المستشارين . السكرتيرون والذين يلقنونهم والذين يلقنون الملقنين : عبد العزيز خطر .

آخر خرطوشة أطلقها الذين أفزعهم أن يأتي عبد العزيز الى قصر الرئاسة ولا يعود يخرج منه : رجل بطّاش . قد ينزع الطبخة .

يتحدى الامير عبد العزيز « الشخص الذي يقول عني بطاشا ان يذكر حادثة واحدة او موقفا واحدا كنت فيه بطاشا ، ولم تكن مصلحة القانون تقضي ان ابطش . القانون هو البطاش ، لان الذين لا يحبون القانون يجدون في كل تطبيق له بطشا . لم أكن بطاشا مزاجيا » .

أي أن الامير لم يكن يبطش لانه يحب أن يبطش ، فيرضي في نفسه فضولاً أو سراً : من محقق الى محافظ الى مدير داخلية . من يتولى هذه الوظائف ، يتولى أمانة أخرى هي القانون . فاما أن ينفذ القانون ويحمي البلاد والمصلحة العامة ويحمي الانسان والاخلاق والكرامة ، أو أن يحدث ما يحدث اليوم . لا قانون ولا أخلاق ولا كرامة .

يتابع الامير : « الذي يكون في المناصب التي كنت فيها هل يمكنه أن يكون غير بطاش ، على افتراض التسليم بتفسيرهم لتطبيق القانون ؟ »

يرتفع حاجبا الامير المشرئبان كأنهما جناحا عقاب سمع صوت طلقة في حِماه . تتأمله قليلاً ، فتضيع ملامح صورته في ملامح الامير بشير الشهابي . تقول : فزّ الامير بشير من الصورة . لكن ، تعود تتذكر الشاربين ، والعينين الطالعتين غضبا من ذلك الوجه المليء بالحكايات المثيرة .

يقول نائب كان بين الذين حضروا المجمع التمهيدي في منزل شارل سعد ، أن كلمة السر كانت لا تزال خبيئة في صدر اثنين : فؤاد بطرس وفيليب تقلا .

قام النواب الى عبد العزيز وهنأوه : فخامة الرئيس .

لكن الوثيقة التي وقع عليها الثلاثون نائباً الذين كانوا هناك ظللت « فخامة الرئيس الامير عبد العزيز شهاب » ببعض التساؤل . ثم احاطته بعلامات الاستفهام . اذ بردت همة الشباب عندما لاحظوا اصرار رشيد كرامي ورينه معوض وفؤاد بطرس وفيليب تقلا ، الذي كان صوته هناك ، على عدم تعيين صفة المرشح الاكثري : اي عدم القول من داخل المجلس فقط ، وانما « من داخل المجلس او من خارجه » .

ومن بعد عرفوا ان الاصرار كان مدعوماً بكلمة السر وان الكلمة كانت قد اعطيت .

يحب النظام ، الامير عبد العزيز . يسميه انضباطاً : « كنت انضباطياً عندما تقيدت بقرار زملائي في الجبهة الاكثرية . الانضباط في نفسي منذ طفولتي . جاء نواب كثيرون الى منزلي في عاليه . قالوا لي : لا تقبل الا ان تكون انت المرشح . نحن معك . قلت : لا . الجبهة قررت شارل حلو وانا سأنتخبه » .

واذا فتح ملف الذكريات، تطلع قصة مع الأمير الذي ظلمته الامارة بقدر ما ظلمها وظلم نفسه فيها ومعها . يقول : « بعد حادثة الهجوم على البرلمان عينني يوسف شربل محققاً عدلياً . نصحني عندما تسلمت المنصب الجديد ان اتريث في اختيار اصدقائي . قال لي : لا تسع الى ايجاد الصديق . عندما كنت في عمرك (وعمر عبد العزيز آنذاك لم يكن اكثر من ثلاثين) كان لي 30 صديقاً . الآن لي صديقان يمكن اشطب واحداً منهم بها اليومين » .

من ثلاثين سنة . كأنها اليوم . الأصدقاء ! يشعل الامير سيكارة . يضعها في البز : « اقعد في بيتي واستقبل اصدقائي . نحن جمعية اصحاب ، نلتقي كل مساء . نحكي . نمزح ، نتحدث في كل شيء مرح . حتى الأمور العصيبة تمر وتبحث على صعيد المرح » .

وقبل ان يأتي الأصحاب ، وبعد ان يذهبوا ، يمارس عبد العزيز شهاب هوايته « التي احبها مثل اولادي » : المطالعة .

لبنان عبد العزيز شهاب

لبنان الامير عبد العزيز شهاب هو غير لبنان الامير اللواء الرئيس فؤاد شهاب . فلبنان الامير الصغير اكثر ديموقراطية واكثر حرية واكثر انفتاحاً وربما اوعى لبنانياً وعربياً .

كيف ؟ .

قبل كل شيء وكل أمر ، لبنان يجب ان يكون ويبقى ويستمر اللبنان الديموقراطي البرلماني الحر ، علماً بأن الديموقراطية لا تعني الفوضى ، والبرلمانية لا تعني التزوير في الانتخابات ، والحرية لا تعني التداخل بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية وطغيان الأولى على الثانية ، لأنه اذ ذاك يكون الطغيان هو السائد وهو الحكم .

التطبيق هو العلة . لقد ضيع لبنان وقته وضيع بعض عمره ، منذ الاستقلال حتى اليوم ، في امور هامشية واغرق نفسه ومواطنيه في جدالات بيزنطية ، اخرت نموه وتطوره واساءت الى وجوده ومكانته وصيرورته . والسبب في ذلك ان ما من حاكم ، من الذين توالوا على سدة الحكم ، فكر في ضرورة وتنشئة المواطن اللبناني تنشئة صحيحة عوض تنشئته على الشك والقلق وعدم الولاء وحتى عدم الاكتراث واللامبالاة .

صحيح ان لبنان مؤلف من طوائف عدة ، الا ان تقسيمه الطبيعي يفرزه الى لبنانين : لبنان قديم ولبنان جديد . واحد من قلب العصر والآخر لا يزال مغموراً بلبنان الولايات العثمانية ، وفي كل لبنان فئة على مثاله . لذلك نجد ان مفهوم هاتين الفئتين للمواطنية والسياسة واسلوب الحكم مختلف تماماً الى حد التناقض . فهل حاولت الدولة ، في العهود الاستقلالية المتعاقبة (الاربعة) ان تزيل هذا التناقض ؟ ربما ان بعض العهود ساهم في ترسيخ التناقض وتغذيته .

لا نلوم الحكام الذين حكموا من سنة1920 الى سنة1943 . لكن ما لا نتسامح به ولا نغفره هو ان الذين حكموا بعد الاستقلال لم يفعلوا شيئاً ، سوى التنافس على اقتسام المغانم وحلب البقرة .

فالتلميذ الذي دخل سنة 1943 الى المدارس اللبنانية ماذا عرف عن لبنان ؟ ماذا عرّفوه عن وطنه ؟ لم يعرف احد شيئاً . هذا الخطأ يجب ان يصحح بحيث تأتي البادرة من فوق ، ذلك بأن التبديل لا يمكنه ان يكون سلمياً وايجابياً الا اذا تغيرت عقلية الحكم واسلوب الحاكم » .

ويتساءل عبد العزيز شهاب ، كأنه يعرف ولا يعرف : رؤساء الجمهورية الذين تعاقبوا لماذا لم يأتوا بالاوادم الى الحكم والادارة .

ثم يتحدث الأمير عن « هيبة الحكم » :

« بامكاننا ان نتفاهم . نقنع بعضنا بعضاً بأن مصلحتنا جميعاً تقضي بأن نتعايش وان تكون خلافاتنا سباقاً لما فيه الخير ، عوض ان يكون هدف السباق والتنافس تحطيم بعضنا بعضاً واحتكار المغانم ومحاربة الخصوم ، وتناسي الواجبات والمسؤوليات والتلهي بالحزازات والنكايات ، حتى طغى هذا الأسلوب على سياستنا مع الخارج ومع اشقائنا . مثلاً : علاقاتنا مع سوريا . حكم الانتداب لم يعمل جمارك . جاء العظم وعملها . انكيني لانكيك .

لو علمنا اللبناني حب الأرض وحب العمل في الأرض لما كانت هناك هذه الهجرة وهذا الحب نحو الاغتراب ، ولكنا تلافينا الوقوع تحت رحمة الاغراب الذين يعملون في ارضنا بالأجرة وبالمنة وبغير حماس لها وبغير حب بالطبع ، ولما كانت عندنا ازمة بطالة . فاللبناني يسافر الى اوستراليا وكندا وغيرهما والغريب يشتغل في لبنان .

ثمة خطأ كبير يجب تلافيه ناشىء عن سوء فهم الدولة للمواطن وعن نفور دائم بين المواطن والدولة .

الحكم في ايدي من ؟ .

انه في كل الايدي ما عدا يد السلطة . هذا ما يجعلنا نشدد على « هيبة الحكم » وضرورة فرضها . لو كلفتني حياتي لا اتراجع ، لأنني اعتبر ان وجود السلطة هو قبل كل شيء معرفة كيف نفرض هذا الوجود ، وهذا اقل واجب واضعف الايمان . اذ ان الفوضى العارمة جعلت اللبناني يكفر بلبنان وحتى بالاستقلال .

على هذا اقول ان تطبيق القانون وفرض هيبة الحكم من البديهيات بالنسبة الى الحاكم » .

ومن هيبة الحكم ينتقل شهاب الى الادارة :

« يا لطيف على الادارة . فساد فوق فساد . بعد سنة1958 نادوا باصلاح الادارة . طبلوا وزمروا . وضعوا القوانين واصدروا المراسيم وانشأوا المجالس والمكاتب والهيئات . فماذا حدث؟ ازداد الفساد فساداً ، لأن الاصلاح بقي حبراً على ورق ولم يتطرق الى العقلية الفاسدة ولم يبدّل ما في النفس من شذوذ وارتهان .

ولم يكتفوا بالقوانين والمراسيم . اتهموا الادارة بأنها مرهونة للاشخاص ، ومعقودة اللواء لرجال السياسة . فهاجموا السياسيين وقلموا اظفارهم ونفوذهم في دوائر الدولة . فهل استقامت الادارة ؟ هل نظفت من الفساد والمفسدين ؟ .

يجب تنظيف العقول من الماضي والتخلف . لقد تضاءل نفوذ رجال السياسة في الادارة ، لكن الادارة لم تتحرر لأنها اصبحت مرهونة تحت الموظفين المتسيسين .

وكيف يتم تنظيف الادارة وتقويم اعوجاجها ، اذا كانت الغالبية من الموظفين تتقاضى راتباً هو ادنى ، في معدله ، من300 ليرة ؟ لهذا السبب اضيفت الى عادات اللبناني عادة جديدة هي عادة البرطيل . فصاحب المعاملة يقدم للموظف ضريبة البرطيل

بكل طيبة خاطر ، لأنه يعرف في قرارة نفسه ان موظفاً بمئتي ليرة لا يقدر ان يعيش من هكذا راتب .

« لا أريد قيداً »

> المعركة الانتخابية الاخيرة(1968) لم يخضها عبد العزيز شهاب . كان متوقعاً ان يكون في لائحة كمال جنبلاط كعادته في المعركتين السابقتين . وقد اوضح السبب في حديث صحفي :
>
> « عندما اصبح نائباً عن الشوف ، يقول عني خصوم كمال جنبلاط اني جنبلاطي ، شئت ام أبيت ، علماً بأني لا اضمر له اي حقد . وفي الجبهة الجنبلاطية بالذات ، نجد شخصاً يدعي الاشتراكية والتقدمية والديموقراطية لفرض الطاعة بالعصا . فلم يبق امامي الا احتمال واحد لامضي في ترشيحي وهو ان اكون مستقلاً حتى لا اصبغ بالشمعونية او الجنبلاطية . وليس لدي المال الكافي لاتصرف كما اريد واخوض المعركة مستقلاً » .
>
> ولم يمنع تحفظ الامير من خلق جدال بينه وبين كمال جنبلاط . لماذا ؟
>
> « لقد انكر علي جنبلاط اية شعبية في الشوف مما خلق بيني وبينه الجدال الذي عرفه الجميع . ولقد توسط بيننا بعض الاصدقاء وحاولوا تقريب وجهات النظر . وحتى لا ازعلهم رفضت البحث في هذه القضية مع اني كنت مقتنعاً بأن لا فائدة من ذلك . لماذا ؟ بكل بساطة لأني لا اقبل بشروط تفرض علي مهما كانت ، برغم اني لدورتين متتاليتين حصلت على اكبر عدد من الأصوات . ويجب علي ان اوضح ايضاً انه زاد التفاف الناخبين حولي عندما لاحظوا اني اقف ضد مبادىء وشروط غير معقولة .
>
> وباختصار احلل موقفي الحالي برغبتي في البقاء نظيفاً.
>
> لن اترك المعركة كلياً . اني اعمل وسأظل اعمل في السياسة من دون اي قيد . وانا مؤمن بأن ذلك يلقى تجاوباً كبيراً عند اكثرية محترمة في الشوف اخذت تضيق ذرعاً بالاقطاعية العفنة التي تدعي التقدمية والديموقراطية .
>
> وهذا القرف عند اكثرية اهالي الشوف قد اعطى اللائحة الثانية (اي لائحة شمعون) قوة جديدة واني اعتقد ان لهاamلاً كبيراً بالفوز اذا سار الانتخاب بشكل طبيعي وحصل الناخبون على الحرية التي وعد بها رئيس الجمهورية والحكومة » .

واي كلام على المواطنية والآدمية والاستقامة لا يمكنه ان يتجاهل موضوع الطائفية . الشكوى من طغيان الطائفية تكاد تكون عامة . وعندما نسمع المسؤ ولين يلقون الخطابات الحماسية في المناسبات عن الوحدة الوطنية والوطن الواحد لا نصدق حماسهم ، لأن افعالهم تدل على انهم يفعلون عكس ما يقولون .

فالدستور اللبناني الذي يعود تاريخ وضعه الى سنة1926 ينص في المادة95 منه (كما عدلت بالقانون الدستوري الصادر في9 تشرين الثاني سنة1943) على ما يأتي : « بصورة موقتة والتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون ان يؤول ذلك الى الاضرار بمصلحة الدولة » .

وهذا الشيء الموقت المراعي للوضع الطائفي سنة1926 تكرس سنة1959 في عهد الرئيس فؤاد شهاب بمرسوم اشتراعي رقمه112 ، يقول في المادة96 منه : تطبق المادة95 من الدستور في تعيين الموظفين .

هذا المرسوم هو تكريس للطائفية في لبنان . وعوض ان تبحث الدولة عن اسلوب جديد في الحكم يلغي الطائفية ويعزز المواطنية عمدت الى انعاش التناقض الطائفي بين المواطنين بحجة انصاف الطوائف المغبونة والمهضومة الحق في الوظائف . وبهذه الحجة ارتفع عدد الموظفين من14 الفاً (سنة1958) الى30 الفاً . كانت المعاملة تنتهي باسبوع اصبحت تقضي في التنقل بين الدوائر اشهراً عدة . وكانت المعاملة بحاجة الى توقيع او توقيعين فصارت بحاجة الى ستماية توقيع فضلاً عن الشروح والاجتهادات التي ترفق بها .

لماذا كل هذا التعقيد ؟ .

يجيبون : تنفيذاً للاصلاح الاداري .

والسبعة انعام من هكذا اصلاح !

وبالنسبة الى التمثيل النيابي يقول عبد العزيز شهاب :

« ان النيابة في لبنان ، كما هي الآن ابتداء بطريقة الانتخاب وانتهاء بعمل النائب في المجلس ، ليست هي التمثيل النيابي المفروض فيه ان يكون تمثيلاً للشعب بكل امانيه وطموحه وتطلعاته الى المستقبل . النيابة الآن شيء آخر تمكننا تسميته « الوجاهة » . وتوضيحاً اقول ان التربية الوطنية لم تتمكن من مسايرة التطور الحاصل في القطاعات الأخرى . فالقطاعان الاقتصادي والمالي تطورا بشكل ملحوظ ، بينما بقي مفهوم الوطنية والوعي الوطني والتمرس في واجب المواطنية على حاله القديم . ثم ان عدم الانسجام القائم جعلنا نعيش في لبنان مرحلة توجب علينا المصارحة . نحن اشد ما نكون بحاجة الى الرجالات والى السياسيين الكبار اصحاب الرسالات والمواقف المسؤولية الشجاعة ، والى ممثلين للشعب يراقبون السلطة التنفيذية من جهة ويمثلون آراء الشعب من جهة اخرى .

ماذا نرى اليوم ؟ .

أين التشريع المساير لتطوير العصر ؟ .

نرى ، وهذا مؤلم جداً ، ان مستوى التمثيل النيابي يتضاءل في كل مجلس جديد ، ويفقد دوره في مراقبة السلطة بطواعية مدهشة .

الحكم من اعلى الهرم ، اما ان يكون قوياً شجاعاً واما ان يكون التخاذل في كل مكان . وهذا ما يحدث اليوم .

النظام الاقتصادي

وعن النظام الاقتصادي يقول الامير عبد العزيز انه مع الحرية الاقتصادية من دون تحفظ ، فكما ان الحرية السياسية هي جوهر الوجود اللبناني كذلك الحرية الاقتصادية . ومع تنمية المبادرة الفردية وتوجيهها نحو التطور . ولا بأس في ان يكون ثمة تعاون بين القطاع الخاص والقطاع العام ، بشرط الا يسيء ذلك الى تلك الحرية . « وأنا مع كل ما من شأنه تثبيت دعائم الاقتصاد وتأمين الازدهار والبحبوحة والعيش الكريم للمواطن اللبناني . وبالطبع فإن نظامنا الحالي بحاجة الى بعض التعديلات بحيث يصبح قادراً على السير في ركب التطور ومتطلبات العصر » .

ويضيف : « عندما كان هناك اقطاع في لبنان كان الفلاح يسمى الشريك . فصاحب الأرض يقدم الأرض والبذار ويقول للفلاح ازرع وخذ النصف . في هذه الأيام جاء من يعلمنا الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ويعطينا دروساً في الانصاف وتكافؤ الفرص . كل عمرنا اشتراكية قبل ما يكون في اشتراكية بالعالم » .

ويتساءل عبد العزيز شهاب : « لماذا لم يكن لبنان السباق في ضمان الرساميل الأجنبية من عربية وغيرها ؟ ولماذا عقد النقص والمركبات ؟ اقل من ان نقول لصاحب المال اذا وضعت اموالك عندنا فلن تضيع او لن نسرقها ولن نفرط بقرش منها . اقل من ان نسلف الزبون الذي يؤ مننا على ثروته بعض الثقة بأنه سيعود ويأخذ امواله وانه سيجد هذه الأموال محفوظة عندما يحتاج اليها او يطلبها .

فكميل شمعون ترك في الخزينة كذا مئة مليون ليرة .

وفؤ اد شهاب تركها فارغة خاوية .

وشارل حلو سيتركها مديونة .

. . . والاسباب معروفة .

مع الشباب ، لكن . . .

عبد العزيز شهاب مع الشباب . « هؤ لاء هم ثروة بلادنا . ماذا عندنا غيرهم ؟ تجارة ، صناعة ، مناجم ، بترول ، ليس عندنا سوى الشباب الذين يمثلون المستقبل والأمر المشرق الذي نطمح اليه » .

لكن الامير الشهابي لا يوافق على مظاهر الفوضى والعبثية التي اخذت ترافق كل تصرفات الشباب . « انا افهم ان يكون هذا الجيل قلقاً اكثر من الجيل الذي قبله ، وافهم ان تكون تطلعاته ابعد وربما اعمق واحق من تطلعات الأجيال السابقة . انما هل يجوز ان يتحول هذا كله الى اداة للتخريب بدل التعمير والتطوير ؟ .

و « ثورة الشباب » ليست موضوعاً مقتصراً على لبنان . انما لا بد من القول ان ثورة الشباب في لبنان بطبيعتها مستوحاة من تأثيرات خارجية . وهذا القول لا يعني بالضرورة اتهام الشباب بالعمالة . والحق ليس عليهم ، والمسؤولية في هذا المجال تقع على الذين لم يحسنوا تنشئتهم على أسس وطنية صحيحة تجعلهم يعرفون كيف يكونون مواطنين لبنانيين ، وكيف يوجهون ثورتهم في سبيل لبنان افضل لا في سبيل هدم لبنان .

الفرنسيون يثورون ضد وضع سائد وضد الحكام وربما ضد النظام ، لكنهم لا يثورون ضد فرنسا ولا يتنكرون لبلادهم . بعض شباب لبنان لم يعد يثق بوطنه لذلك فهو يثور ضد لبنان لا ضد الوضع والنظام .

كيف نعالج هذه الثورة ؟ .

نتفهمها اولاً . ثم نتحاور مع الشباب . ثم نعيد النظر في السياسة التربوية ، بحيث نركز على الاختصاص في العلوم التقنية والمهنية . ولو كانت وزارة التربية ذات افق بعيد لما كانت ازمة الشباب موجود . على الأقل ما كانت بهذه الخطورة .

وللخروج من مأزق « ثورة الشباب » يجب ان نلغي الطائفية من الوظيفة ونعتمد الكفاية العلمية والاختصاص ، على ان نوجه الطلاب نحو العلوم الزراعية والصناعية ،

شرط ان تكون الدولة قد وضعت التصاميم لوجود الصناعة والزراعة وحماية المنتوجات الوطنية .

والحديث عن ثورة الشباب يقودنا الى الهجرة التي بدأت تشكل خطراً حقيقياً على لبنان لأنها كالنزيف الداخلي في جسم الانسان .

لو كنت انا الحاكم لسارعت الى وضع القوانين التي تحد من الهجرة ولا تسمح بأن يسافر من العائلة اكثر من شخص ولمدة معينة » .

القضية الفلسطينية
. . . والعمل الفدائي

يقول الامير عبد العزيز انه لم يعد من الجائز واللائق طرح القضية الفلسطينية على أساس التشكيك في موقف لبنان منها والغمز من قناة اللبنانيين . « واعني بلبنان كل لبنان بكل فئاته واتجاهاته . فالقضية الفلسطينية هي قضية لبنانية اكثر منها قضية عربية . وقد برهن لبنان شعباً وحكومة ، بالفعل لا بالقول ، انه هو صاحب هذه القضية وانه منبرها وصوتها وساحتها يوم لم يكن هناك لا صوت ولا منبر ولا ساحة .

في الأمم المتحدة ، في المحافل الدولية ، في المغتربات ، في كل مكان : فلسطين هي هاجس لبنان وفي طليعة همومه واهتماماته .

ولا ازال اذكر يوم كنت محافظاً للبنان الجنوبي وحاكماً للجليل الأعلى ، واذكر التاريخ تماماً : 21 نيسان 1948 ، يوم وصل 120 الف لاجىء فلسطيني الى الجنوب ، كيف هب اللبنانيون دفعة واحدة لمساعدة اخوانهم المشردين ، وكيف شعر ابناء الجنوب بصورة خاصة ان من اولى واجباتهم استقبال اخوانهم في بيوتهم وتقديم الكساء والغذاء والغطاء لهم وبعضهم منع الطعام وربما الثياب عن نفسه وعن اولاده ليقدمها للذين شردتهم اسرائيل من وطنهم .

ولم يشعر احد بأنه يقوم بواجب فرض عليه او بعمل مضطر ان يقوم به ، بل كان الشعور السائد ان هناك واجباً وطنياً وان قضية عامة مصيرية تتناول اللبنانيين كما تناولت الفلسطينيين .

فبعد هذا لا يحق لاحد ، خصوصاً اولئك الذين لم يقوموا بنسبة واحد من مئة مما

قام به لبنان ، ان يقول بالهمس او بالعلن ان لبنان مقصر في صعيد القضية الفلسطينية .

وهذا لا اعتبره كلاماً للتمنين ، بل لوقف المزايدات على حساب لبنان وحساب فلسطين ، ولوضع بعض النقاط على بعض الحروف .

وهذا الموقف لم يتغير منذ اليوم الأول للنكبة الفلسطينية حتى اليوم .

والذي يتحمله لبنان اليوم لا يتحمل مثله الذين يدعون قيادة العروبة والتقدمية والثورية ويتهمون لبنان بالعمالة والرجعية .

ومع ذلك فإني ارى ان من واجب لبنان ان يصعد اهتمامه بالقضية الفلسطينية اكثر وان يكون هو مشعلها ، لأنه في الواقع مؤهل وحده للقيام بهذا الدور الكبير .

. . . والعمل الفدائي

قضية فلسطين مرتبطة بالعمل الفدائي . او هي ارتبطت به بعد حرب الخامس من حزيران الى حد ان العمل الفدائي اصبح هو عنوان قضية العرب الأولى .

وللأمير عبد العزيز رأي واضح في هذا العمل اعلن عنه في مناسبات مختلفة .

فعلى اثر الاعتداء الاسرائيلي على مطار بيروت الدولي قال لمجلة « ريفي دي ليبان » :

« اول ما يستدعي الانتباه الآن هو ان كل واحد منا معني بالأمر . لقد احدث الاعتداء على المطار عدة اعتبارات . شعرنا بالعيب وبالذل ، وبأن حمايتنا رديئة ، او غير موجودة على الاطلاق . لقد بحثنا عن مسؤ ولين ، اتهمنا ، وصرخنا . . . اعتقد انه كان يجب علينا ان نتوقف عند تحديد المسؤ ولية في هذه القضية . فالباقي زاد الطين بلة . فهذه المطالب المتعددة ليست هي الا من باب المزايدة ، والميليشيا التي نطالب بها لن تمنع الاسرائيليين من اعادة الكرة مرة ثانية ، ولن تبعث في انفسنا الاطمئنان . ستقولون لي : الجيش ! لكن الجيش مكلف بسياسة عسكرية . . وجيشنا وهو صورة عنا ، يشعر اكثر من اي واحد منا ، بجرح بليغ في قلبه . اذا اردنا منه التدخل علينا ان نحدد له سياسة خاصة . فما هي سياستنا منذ 1943 ؟ الارتجال .

وبشكل عام ، وخصوصاً بعد فشل القيادة العسكرية الموحدة ، يجب علينا ان نحدد دورنا في مجموعة الجيوش العربية .

لقد تضاعفت نتائج العدوان الاسرائيلي على الصعيد الداخلي من جراء المواقف المتناقضة التي اتخذها الوزراء انفسهم ، مما ادى الى استقالة حكومة اليافي .

ولم تعد المسألة ايجاد مفهوم للنصوص . هل يجب ايجاد الحماية اللازمة أو لا ؟ اذا كان نعم ، فأين الحماية ؟ في كل الأحوال ، يجب تبين نقطة واحدة : عندما تدعي اسرائيل ان هناك تسللاً عبر الحدود اللبنانية ومن ثم تعلل هجماتها علينا ، فيجب على اسرائيل ان تعلم انه ليس علينا ان ندافع عن الحدود الاسرائيلية . والخطأ الذي ارتكبته اسرائيل هو اعتقادها ان العرب الذين طردوا من ديارهم سنة 1967 سيفعلون مثل ما فعلوا سنة 1948 . واذا لم يجد اللاجئون الأولون بلداً حراً يستقبلهم ، فلاجئو سنة 1967 وجدوا ذلك البلد الا وهو الاردن . تتهمنا اسرائيل بأننا ندعم الفدائيين . فهذا الدعم لهذه القضية المقدسة يتمشى ومبادئنا . وكما وجدنا انفسنا خلال الحرب العالمية الثانية بجانب فرنسا ، لا يسعنا الآن الا ان نتصرف كما فعلنا آنذاك خاصة ان القضية الآن هي قضية الشعب العربي » .

وعن سؤ ال : هل خدم العدوان على المطار ليلة السبت قضية الفدائيين ؟ اليس هناك تناقض بين تصريحاتنا ومواقفنا ؟ اجاب :

« بالتأكيد ! وهنا تأتي جميع مشاكلنا . فالمسألة هي الاجابة بوضوح عن هذا السؤال : هل نحن مع الفدائيين أم ضدهم ؟ هل نحن انعزاليون أم عرب ؟ فنحن نصرح رسمياً اننا معهم لأنه لا يمكننا ان نكون غير ذلك . عندئذ يجب علينا ان نسير الى النهاية معهم ، وندافع عن انفسنا عندما نهاجم . يجب علينا تحديد موقفنا نهائياً والانتهاء من المواقف المتناقضة . ومما لا يمكن المرء ان يتحمله هو هذا الخوف من الرد على الهجمات . اذا كنا متضامنين مع الفدائيين ، فعلينا ان نتحمل كل النتائج المترتبة عن اختيارنا » .

والحديث عن الفدائيين وحادث المطار جر الى كلام عن صداقات لبنان العالمية ، فحدد عبد العزيز شهاب ملامح سياسة خارجية معينة يراها مناسبة للبنان ولوضعه وملائمة لظروفه . قال :

« يتباهى اللبنانيون بالتمتع بصداقة الدول الكبرى . فادانة اسرائيل في مجلس الأمن بعثت في نفوسنا شعوراً بالنصر بفضل صداقاتنا المتعددة . ولكن هناك نقطة لم نبحثها كفاية : الموقف الاميركي .

فللمرة الأولى منذ بداية القضية الفلسطينية وقفت الولايات المتحدة بجانبنا لادانة العدوان الاسرائيلي على مطار بيروت . مع هذا ، كانت الحكومة اللبنانية تبحث في قضية

السماح لقطع من الأسطول السادس بدخول مياهنا الاقليمية في زيارة ودية . وترددنا هذا مؤسف خاصة ان زيارة مماثلة لقطع من الأسطول الروسي قد سمحت من دون مشكلة . لماذا هذا التحامل ؟ هل هو بسبب طائرات الفانتوم التي باعتها اميركا اسرائيل ؟ .

فرفضنا السماح بزيارة الاسطول الاميركي لا يخدم الا القضية الاسرائيلية ، ويقوي الصداقة الاسرائيلية ـ الاميركية !

لقد ادانت الولايات المتحدة اسرائيل بسبب العدوان على المطار ، فعلينا نحن ان نستفيد من هذه المناسبة ونتقرب اكثر فأكثر من أقوى دولة في العالم » .

وبعد ازمة الحكم التي استمرت سبعة اشهر على اثر حوادث 23 نيسان قال عبد العزيز شهاب :

« في ما يعود للاسباب القريبة للأزمة اعتقد ان مسألة الفدائيين كان بالامكان فصلها منذ بدايتها عن الأحداث ، بالرغم من ان هذه الأحداث اتخذت كشعار لها الدفاع عن حقوق الفدائيين وحرياتهم . منذ البداية كان في امكاننا رفع المسائل الناتجة عن وجود منظمات النضال الفلسطيني في الأراضي اللبنانية امام مجلس الدفاع العربي المشترك . ان لبنان والفدائيين على السواء يلامون على هذا التوتر الناشب في ما بينهم . كان يجب فض الخلافات حبياً من غير الرجوع الى مفاوضات واتفاقات ، وامور اخرى ، خاصة بالنسبة الى لبنان ، تنقص من احترام سيادته . اما بالنسبة الى الاحداث والتظاهرات الداخلية التي وقعت في البلد فقد كان في الامكان حلها بواسطة القوانين المرعية الاجراء للاظهار بوضوح ان لا شأن لها مع الحق الفلسطيني المقدس في استرجاع اراضيه . واعطي على سبيل المثال ، احداث 23 نيسان الماضي التي شهدها لبنان بالرغم من ان فتح اخرت دفن شهيدها الذي بسببه وقعت تلك الأحداث . مما يثبت ويدل ان هذه الأحداث المؤلمة التي وقعت في البلاد لم يكن سببها الكفاح الفلسطيني وانما امور اخرى يجب البحث عنها » .

وعن تنبؤاته عن الوضع في المستقبل بعد ان يكون الفدائيون حصلوا على حق الاستيطان في لبنان ، قال :

« يجب أولاً تحديد هذا الحق في الاستيطان في لبنان . ولا اعلم شيئاً عن مضمون اتفاق القاهرة اذا ما كان قد منح الفدائيين هذا الحق . واعترف بألم بأن ما ظهر حتى الآن من حريات وحقوق لا اتمتع بها شخصياً انا في هذا البلد . واعترف بأن للجيش مطلق الحق في استعمال القوة عندما ينشأ عصيان كالذي نشأ . وهل من المعقول ان يعامل الفدائيون في لبنان معاملة احسن من المعاملة التي يعامل بها اللبنانيون في وطنهم لبنان .

اما بالنسبة الى حرية الانطلاق من الاراضي اللبنانية ضد العدو فيجب ايضاً ان تنظم كما قلت سابقاً بواسطة القيادة العربية الموحدة التي يجب على لبنان والفدائيين ان يطيعوها . وانطلاقاً من هذا ، اعتقد ان بشائر المستقبل ليست بخطيرة ومتشائمة باعتبار ان الفدائيين هم قضية عابرة وموقتة » .

وقال خلال ازمة السبعة اشهر :

● لقد بلغت الأزمة نهارها السادس والخمسين ، وبغض النظر عن نتائجها السياسية ، فهي مناسبة لفتح ملف وضعنا وعقليتنا . فعلينا الاعتراف انه خلال خمس وعشرين سنة من الاستقلال لم يتعلم اللبناني ان يكون لبنانياً او عربياً . من هنا تأتي كل المناقشات العقيمة . بينما الأيام تزيد في تدهور الوضع . ليس هناك اختلاف في الرأي بين الفريقين المتصارعين ، بخصوص سيادة لبنان .

من هنا يبدأ عدم جدوى المناقشة . فعندما يستقر الرأي على انه على الفدائيين اخلاء الأراضي اللبنانية ، لا يمكننا الا التفكير في احتمال استعمال القوة اذا رفضوا ذلك . فالى متى هذه الديماغوجية ؟ .

● الخطاب الذي يلقيه سياسي ارضاء لناخبيه يكون بالطبع من التعصب بينما هذا السياسي مقتنع داخلياً بعدم جدوى كلامه . في الايام الاخيرة لم نسمع الا هذا النوع من التصريحات .

● في 5 حزيران 1967 كان هناك خطر من هجوم على لبنان تشنه اسرائيل . كان في امكان اسرائيل الوصول الى بيروت وطرابلس ومراكز حساسة اخرى في ساعات قليلة . كان هنالك قيادة موحدة عربية ، نحن مشتركون فيها ، وجيوش نظامية لبلدان شقيقة مستقلة . وبالرغم من ذلك قال ممثلو الشعب بوضوح انه لا يمكن هذه الجيوش ان تدخل لبنان الا اذا طلبت القيادة اللبنانية ذلك مع عدم التعرض للسيادة الوطنية .

وبعد مضي سنتين ، ونحن الآن مبدئياً في حالة وقف اطلاق النار ، كيف تريدون ان نقبل بأن تدخل قوات غير نظامية ، لا تتبع لأي دولة ، الاراضي اللبنانية لتبقى فيها ؟ وكيف يمكن هؤلاء الزعماء الذي صوتوا بجانب قانون 5 حزيران 1967 ان يقبلوا اليوم بهذه العناصر غير النظامية والتي غير ممكن اخراجها من البلاد الا اذا ارادت هي ذلك ؟ .

● بما اني لبناني ، أفضل خسارة الملايين على خسارة شبر واحد من الأراضي اللبنانية . فلا يمكن السيادة الوطنية ان تقبل بأي مساومة بما يخص اراضيها وتكوينها .

الحياد والبوليس الدولي

كثيرون من الذين تتداول الأوساط السياسية اسماءهم كمرشحين لرئاسة الجمهورية ، اخذوا واعطوا في موضوع الحياد اللبناني والتدويل وقوات الطوارىء الدولية .

بعضهم رفض الدخول في حوار الحياد والتدويل لأنه غير ممكن ولا يجوز ان يطرح على بساط البحث . والبعض الآخر وافق او رفض الفكرة من أساسها مع اعلان المعارضة التامة لها .

وكذلك بالنسبة الى قضية استدعاء قوات دولية ووضعها على حدود لبنان الجنوبية .

عبد العزيز شهاب ضد الحياد « لأنه يخرج لبنان من بيئته الطبيعية ويظهره بمظهر غير العابىء بمصير اشقائه وجيرانه الذين يرتبط مصيره بمصيرهم وتلتصق حياته بهم . الحياد فكرة غير قابلة للتطبيق . وعلى هذا يجب ان نبحث مع الدول العربية عن صيغة لتوضيح وضع لبنان على حقيقته واعطائه الدور القادر على القيام به دون مركبات نقص ودون انفعالات لا معنى لها ولا فائدة منها .

إذاً ، عوض الحياد مطلوب توضيح . وهذا الأمر يتطلب بعض الصراحة وبعض الجرأة والقليل من الاخلاص الذي يفيد لبنان ويفيد العرب » .

اما بالنسبة الى قوات الطوارىء الدولية « فأنا لا أؤمن بهذه الدعوة لأنني لا أؤمن بجدوى وضع بوليس دولي على حدود لبنان في ظروف كالتي نمر فيها . ثم ان موضوع البوليس الدولي كموضوع الحياد ، كلاهما غير ممكن الأخذ به » .

السياسة الخارجيّة

السياسة الخارجية عند الأمير الشهابي هي في الواقع امتداد للسياسة الداخلية . كيف تكون الدولة في الداخل هكذا تكون في الخارج . كيف تتعامل مع المواطن هكذا تتعامل مع الدول .

من هنا يقول :

« ان مشكلة ، بل مشاكل الشرق الأوسط حقيقة واقعية اولية لا تشغل ابناء المنطقة

وحسب ، بل تشغل العالم بأسره . ومن المفهوم ان السياسة الداخلية في لبنان هي انعكاس حتمي للتطورات الخارجية التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط. ووضعنا اللبناني يتأثر ـ اكثر من بقية الدول العربية ـ بالتطورات التي تمر بالمنطقة . من هنا كان لا بد للناس في لبنان ان يتحدثوا ويهتموا بسنة1970 . واذا كان علينا ان نهتم اولاً بشؤون سنة السبعين كما يفرض ذلك المنطق والصواب بالنسبة الى أحداث المنطقة ، فإن ذلك يحتم علينا ان نهتم في آن واحد بتركيز اوضاعنا الداخلية طالما ان هذا التركيز مبني ومرتبط في النتيجة بما سوف يكون مصير المنطقة بكاملها .

ولبنان ، بسياسته الخارجية ، كان عليه ان يكون الوسيط ، بل المتحدث الشرعي ، بين الدول العربية والمحافل الدولية لأنه يتمتع بسمعة وعطف لدى هذه المحافل تميزه عن سائر جيرانه . فهو منفتح اكثر وله امكانات اكبر واوسع . والدليل الأول على ذلك العدوان الاسرائيلي على مطارنا ، حيث رأينا العالم يهب بكامله ، ولأول مرة ، لمناصرتنا والاحتجاج من اجلنا . واذا صرفنا النظر عن خسّة العملية الاسرائيلية وغدرها اللذين لا مثيل لهما ، فإننا نجد ان عنصر العطف على لبنان البلد الصغير والمحبوب من الجميع ، قد لعب دوره في ردة الفعل العالمية ضد الاعتداء الاسرائيلي .

هذا الرصيد العالمي الذي يملكه لبنان كان ممكناً استغلاله اكثر لمصلحة العرب جميعاً ولكن لسوء الحظ فإن لبنان قد مشى وراء التيار بدلاً من ان يلعب دوره ويستغل امكاناته فيكون موجهاً ووسيطاً بدلاً من ان يكون مجرد حلقة من حلقات الصراع المحلي .

ونحن اليوم ليس من صالحنا ان نكون على خلاف مع احد ـ لا على الصعيد العربي ولا على الصعيد العالمي. والدور الذي اعنيه كان علينا ان نلعبه لمصلحتنا ولمصلحة اخواننا العرب على السواء . واحب ان اركز على مصلحتنا الداخلية بحيث كان علينا ان نهيىء لنفسنا جواً داخلياً يسمح لنا ان نقبل على سنة 1970 بصورة سليمة . فالوضع الداخلي بشكله الحاضر لا يبشرنا بما يطمئن اليه البال . وعلينا العمل على توجيه السياسيين نحو ما فيه مصلحة البلاد وبالنتيجة مصالحهم الشخصية لأنهم هم في مقدمة من سيدفع الثمن . عليهم ان يجدوا سبيلاً للتفاهم التام في ما بينهم .

واعتقد انه عندما يجري العمل لمصالحة فئة من الناس مع فئة ثانية ، يجب قبل كل شيء تحديد نقاط الخلاف التي تباعد بين هؤلاء . فعندما نرى اليوم سياسيينا يتعاتبون نجد ان عتابهم هو على قضايا داخلية وصغيرة ولكنهم ـ في معظمهم ـ متفاهمون ، ولو ظاهرياً ، على القضايا الكبيرة . فإن مصلحة هذا البلد هي في تنظيم سياسة خارجية قوية

منفتحة وايجابية . واذكر على سبيل المثال الرئيس عبد الناصر . انه رجل جرح في حرب 1967 . والمجروح يفترض فيه عادة ان يشتد حقده وكيده . ولكننا وجدنا ردة الفعل عنده تتجلى في التطور نحو موضوعية تمكنه من ان يستعيد يوماً المكانة التي تعود اليه . ونقارن هذا المثل بوضع لبنان ـ ولبنان والحمد لله لم يجرح ولم ينهزم ـ ومع ذلك لا نجده موحد الكلمة مرصوص الصف عندما تفرض عليه الأحداث ان يخاطب الأجانب . اني اتحدى أي اجنبي ضيفاً كان أم سفيراً ان يفهم ما يريده اللبنانيون. وكم من مرة شعرت بالخجل وانا اسمع سفراء اجانب يظهرون دهشتهم واستغرابهم وهم يرددون ان في لبنان « الحلف » يريد كذا و « النهج » يريد كذا . . وليست هناك سياسة خارجية موحدة يتفق عليها الجميع . في وقت يتحتم علينا قبل اي شيء آخر ان تكون لنا سياسة خارجية معينة لها اهداف محددة ذات ركائز ثابتة ، مما يضمن لنا تحسين وضعنا الداخلي ، ومما يسمح لنا بأن نعطي الغريب فكرة اننا حقاً بلاد حرة مستقرة في امكانها ان يتعامل معها في النواحي الاقتصادية وينعم فيها بالأمان والطمأنينة . فنكون قد خدمنا وضعنا الخارجي بقدر ما خدمنا وضعنا الداخلي . ولكننا على عكس ذلك ، ويا للأسف ، نجد ان سياستنا الخارجية وتصريحات المسؤولين عندنا تنبع من خلافاتنا الداخلية او من تفكيرنا المرتبط بسياساتنا الحزبية الضيقة . ويحضرني الآن مثل حصل في اعقاب قرار مجلس الأمن بادانة اسرائيل لعدوانها على مطار بيروت . وكلنا نذكر ان الولايات المتحدة كانت اول من

نحن في غنى عن الأحلاف

في الجلسة التي عقدتها لجنة الشؤون الخارجية النيابية بتاريخ15 شباط1966 ، لمناقشة صفقة الدبابات الاميركية لاسرائيل وموقف لبنان من «الحلف الاسلامي» قال عبدالعزيز شهاب :

لندخل في صلب جدول الأعمال ليصار الى بحث ثلاثة مواضيع بصورة اجمالية :

1 ـ قضية الأسلحة الاميركية وتصديرها الى اسرائيل . كلما اجتمعنا لنبحث موضوعاً من هذا النوع نخرج ونحن نتساءل : هل من الحكمة ان نبحثه ؟. . ونطلع بسواد الوجه ؟ .

اما اليوم فقد حان الوقت ، بنظري لأن نسمع اميركا ، وغير اميركا ، صوتاً شديد اللهجة حازماً ، بمقدار قوتنا الاقتصادية والسياسية والاعلامية . . كل هذه القوى التي تشكل دولة اسمها لبنان . فالقوة ليست بالأسلحة ولا بالصواريخ فقط . نحن نعرف ان ثمة نية لدى المسؤولين بأن تكون الدولة حازمة في بعض الأمور المهمة : واعطي مثلاً على ذلك : ان

المسؤولين كما فهمنا ، قرروا منع استيراد الأدوية من بلاد المنشأ التي تساهم في تزوير فواتير الأسعار مما يؤدي الى زيادة غلاء المعيشة . . وما ممكن ان يحدث للأدوية ممكن ان يحدث للسلاح وهي قضية اخطر بكثير من قضية الأدوية . كل ما نطلبه هو موقف حازم . .

ثم قال : ولنبدأ بموضوع علاقتنا الاقتصادية مع الدول الشرقية . قرأنا انه حصل اتفاق طيران مع الاتحاد السوفياتي ، واعتقد ان مثل هذه الاتفاقات لا تصل الى مجلس النواب الا بعد سنتين من توقيعها ، مع العلم ان تبادلنا التجاري مع الدول الشرقية هو احسن بكثير مما هو مع تلك الدول التي تسلح اسرائيل . فبالامكان العمل على تعزيز علاقاتنا الاقتصادية مع الدول الشرقية. وقد يقال ان روسيا تساهم في تسلح اسرائيل ، فنجيب: لماذا اذن لا نعامل كل الدول التي تسلح اسرائيل على قدم المساواة ؟ المطلوب من الحكومة ان تكون لها مواقف حازمة في موضوع يتعلق بصميم سلامتنا وان تعمل جهدها لمنع تسلح العدو .

ثم أصل الموضوع الأحلاف لاشير الى تطورات جديدة حصلت بين الدول العربية ، وبينها وبين لبنان . ولقد تمشينا دائماً ، في السياسة الخارجية ، على مبدأ الحياد وكنا دوماً نصطدم بآراء الزميل الدكتور مخيبر عندما يقول أن الحياد ليس بسياسة . واليوم انا اقول اكثر : ان الحياد هو كبت لحرية الانسان الذي يميل بطبعه الى تفضيل الأحسن والأجمل . ولكن ان يقول : انا على الحياد بين شيء جميل وشيء قبيح فهذا كبت لحريته . لقد كنا نتمسك بموقف الحياد عندما نرى ان اتخاذ موقف ما في القضايا العربية ينعكس على الوحدة الوطنية في داخل لبنان ، وواجبنا ان لا نتدخل بالشؤون الداخلية لاخواننا العرب الا اذا كان ذلك في سبيل مصالحهم ، ولكن هذا لا يمنع ان نقول للدول العربية ان نشر بعض المبادىء في اراضينا قد يؤدي الى اخلال بالوئام اللبناني . كذلك بالنسبة الى الأحلاف دينية كانت ام غير دينية . ان مجرد فتح باب المناقشة بها في لبنان يعكر صفو علاقات الفئتين اللبنانيتين . فمحبة بلبنان وحرصاً على سيادته ورسالته نتمنى على هذه الدول ان لا تباحثنا بمواضيع قد تجرح الشعور اللبناني وتخل في توازننا الطائفي . . اقول ذلك عن احلاف اسلامية كانت ام مسيحية .

فإذا اتت فرنسا مثلاً ، تطالب لبنان بحلف مسيحي يمكننا ان نجيبها اننا في غنى عن مثل هذا الحلف لأن ذلك قد يؤدي الى تخويف الجناح الثاني الذي يتألف منه هذا البلد . فإذا كانت هذه الدول تود الخير للبنان يمكننا ان نقول لها : « حلي عن ضهرنا » . . فيا دولاً صديقة عربية لا تقومي باحلاف اسلامية ، بل باحلاف عربية تنبثق عن ميثاق الجامعة العربية .

شجب العدوان ودعا الى ادانة اسرائيل . لقد سمعنا يومها ان مجلس وزرائنا (وكانت الوزارة رباعية) قد بحث في احد اجتماعاته امر زيارة ودية طلب الاسطول السوفياتي ان يقوم بها لمياهنا ، وطلب مثلها الاسطول السادس الاميركي . فكان رأي مجلس الوزراء الرسمي ان لا مانع من زيارة الاسطول السوفياتي ولكن زيارة الاسطول الاميركي « قد

تخلق لنا مشكلة » ، وبالطبع الغيت الزيارتان . وفي رأيي ان هذا القرار مخطىء فإذا لم يكن هناك من « مشكلة » في زيارة الاسطول السوفياتي فقد كان علينا ان نشجع أيضاً على زيارة الأسطول الاميركي لكي تشعر اميركا اننا قدرنا لها موقفها في مجلس الأمن . فإذا كنا نستوحي مواقفنا من « الديماغوجية » الشارعية التي تدفع بنا الى محاربة الاميركي فكيف يمكننا ان ننتظر من الاميركي ان يهب لنصرتنا بعد اليوم ؟ .

وإذا كان لنا الحق في ان نقسم انفسنا ، داخلياً ، الى تيارات متضاربة ، فإننا على الصعيد الخارجي يتحتم علينا ان نتفق على ما يكون فيه سبيل لمصلحة البلد . اذاً ما هي قيمتنا ان لم تكن لنا سياسة خارجية واضحة . فلسنا دولة كبيرة ، ولا دولة غنية ، ولا دولة قوية . فعلى الأقل لتكن قوتنا ادبية معنوية تمكننا من القيام بدور الوسيط الأمين لا بدور الذيل . وصراعنا الداخلي اصبح محدد الآفاق والمعاني : انه صراع بين يمين ويسار . يمين غبي ويسار خطير مستغل ، واستمرار هذا الصراع بصورته الحالية يشكل خطراً على مستقبلنا وقد يؤدي بنا الى الخراب من دون اي اشكال . اذ لا مصلحة لنا في ان يتغلب اليمين الغبي كما سميناه والمتمثل بالاحتكار واللامبالاة ، وكذلك لا يجوز ان ينتصر اليسار القائم على الهدم والتخريب . وهكذا فأياً كان المنتصر ستكون النتيجة كارثة على لبنان . لأن اللبناني بطبيعته لا يطلب سوى العدالة الاجتماعية في جو من الحرية التامة في القول والعلم والمبادرة الفردية وهي كلها مما يضمن للبنان استمراراً وتقدماً ونمواً وازدهاراً ، بعيداً عن الغوغائية . يهمنا ان يعي الفريقان ـ اليمين واليسار ـ هذه الحقائق فيتحول بل يتسابق كل منهما الى لقاء في وسط عاقل يحافظ على اقتصادنا الحر وعلى مبادئنا اللبنانية العريقة في جو تشيع فيه الرفاهية بين الجميع بعيداً عن المبادىء الهدامة المستوردة ، وبعيداً عن الاحتكار والاستثمار . والدستور اللبناني يضمن ذلك » .

وبالطبع لا تكتمل الصورة عن سياسة لبنان الخارجية (كيف هي الآن وكيف يجب ان تكون) دون الحديث عن الخطر الاسرائيلي :

« ان هدف اسرائيل كان ولا يزال هو تحطيم الكيان اللبناني ، لا طمعاً بمياه الليطاني وحسب ، بل لأن هذا الكيان هو صفعة في وجه اسرائيل عندما تزعم انه لا يمكن مسلماً ان يتعايش مع غير مسلم ، وتجد ان المسلم والمسيحي يتعايشان كالشقيقين في لبنان . فتخريب هذه الحقيقة امر يهم اسرائيل اكثر مما يهمها الآن توسعها جغرافياً وحتماً اكثر من المياه . في الوقت الحاضر على الاقل » .

ويضيف الأمير عبد العزيز :

« علينا ، هنا ، ان نترفع عن حزازاتنا الصغيرة التي تقسم صفوفنا . ان العدو يحب ان يشيع عن اللبنانيين بأن نظرة المسيحي منهم الى قضية فلسطين تختلف عن نظرة اخيه المسلم » .

واقول ببعض المرارة والألم ان هذه الدعاية المشوهة المغرضة لا يستبعد ان تكون قد فعلت فعلها في بعض النفوس الصغيرة غير المدركة ان المسيحي يجب ان يعتبر ان خطر اسرائيل عليه اكبر من خطرها على المسلم ، وان المسيحي يجب ان يحرص على لبنان ويدافع عن كيانه الحالي ، ولا يجوز ان يفكر به كوطن قومي مسيحي . لأن هذا التفكير يعني عزل لبنان من جهة ، وتحقيق اهداف اسرائيل التي تتمنى ان ترى اوطاناً دينية وعنصرية صغيرة تقوم في المنطقة على انقاض الكيانات القومية . ناهيك بأن الدين المسيحي في جوهره يحارب العنصرية لأنه بني على كرامة الفرد أياً كان وعلى حرية هذا الفرد .

فالكنيسة حاربت الاستعباد منذ نشأتها ، كما هي تحارب اليوم الشيوعية وكل المبادىء التي تريد ان تحول البشر الى اغنام ، والتي تفقد الانسان شخصيته ومعنى استقلاله الذاتي . والاسلام كذلك اعتمد هذه المبادىء في جوهره . لذا كان على المسيحي قبل المسلم ان يحارب العنصرية الصهيونية تماماً كما يحارب العنصرية في روديسيا . وعندما اتكلم عن المسيحي لا اقصد المسيحي اللبناني او العربي فقط ، بل كل مسيحي في كل بقعة من العالم . ولهذا السبب لم يعترف الفاتيكان باسرائيل ولن يعترف بها ، لأنها دولة عنصرية .

وعلى هذا اقول من دون اي تردد ان على لبنان ان يبقى عربياً دون ان ينقطع عن الغرب .

لقد خلقنا عرباً وسنبقى عرباً وسنموت عرباً . اما علاقتنا بالغرب وانفتاحنا عليه فهما في نظري ضرورة يجب ان نحافظ عليها لأن هذه هي رسالة لبنان الحقيقية . فالغرب تلائمنا سياسته .

ان لبنان اليوم كالمريض . وهو بالفعل مريض . سياسته الداخلية مريضة وسياسته الخارجية كذلك .

وكما ادعو الى « التخلص من المركبات وعقد النقص والانعزالية في الداخل وفي المنطقة العربية ادعو كذلك الى اتباع سياسة منبثقة من الثقة بالنفس ، بعدما تكون الدولة قد وجدت لنفسها خطة واضحة الأهداف والمعالم وبرنامجاً يتلاءم والتطورات السياسية في

العالم ويبرز شخصية لبنان الضائعة منذ سنوات بين اغرب مزيج من المواقف والتصرفات الرسمية وغير المسؤولة » .

اقوال الخصوم

الطريف في خصومات الامير عبد العزيز انها تأتيه عبر سواه .

في عهد بشارة الخوري كان الامير الصغير احد رجالات العهد ومن الطبيعي ان تصيبه الشظايا خصوصاً بعدما عمل محافظاً في الشمال ثم في الجنوب .

وفي عهد كميل شمعون كان يشغل منصباً حساساً في وزارة الداخلية . ويومها كان مدير الداخلية مديراً بالمعنى الحقيقي . وبالطبع نال نصيبه من النقمة .

وفي عهد فؤاد شهاب ، الامير امير وشهابي ايضاً . وبدهي ان ينظر اليه الذين لم يحبوا العهد الشهابي والذين عارضوه وخاصموه ، بالمنظار ذاته الذي كانوا ينظرون به الى ذلك العهد .

المأخذ الكبير الذي يسجلونه عليه انه « كسار » . قوي . لا يأخذ ولا يعطي . اذا قرر اقدم واذا اقدم لا يحسب الحسابات ولا تهمه النتائج .

ويتخوفون من ان يكون حفيد المير بشير معجباً بالشهابي الآخر ، اللواء الرئيس وباسلوبه في الحكم ، وان كان هو لا يخفي عدم الاعجاب ولا يتردد في مهاجمة النسيب الاريب .

من شهابي الى شهابي ، يقول سائر الناطقين باسماء العائلات الطموحة ؟

وهل البلد لآل شهاب ؟ .

لكن الذين يتخوفون ، والذين يستكثرون على الشهابي الصغير طموحه ، لا ينكرون عليه رجولته وشجاعته .

يقولون اثبت ، في الوظائف التي شغلها ، انه رجل حازم . القانون عنده قانون والنظام نظام .

ويقولون أيضاً انه رجل دولة من طراز رجال مروا بهذه الدولة ولم يعد يأتي مثلهم .

اميل بستاني

بطاقة هويّة

الامير عبد العزيز بن فائق بن خليل بن بشير شهاب : محقق ، محافظ ، مفتش دولة ، مدير داخلية ، نائب .

الوالدة فرنسية الأصل .
من مواليد اول كانون الأول 1913 في بعبدا (جبل لبنان) .
دروسه الثانوية في معهد الآباء اليسوعيين .
نال الاجازة في الحقوق سنة 1937 .
عين محققاً في جبل لبنان سنة 1939 .
عين محققاً في بيروت ومحققاً عدلياً سنة 1944 حتى اوائل 1946 .
عين محافظاً للشمال في آذار 1946 .
عين محافظاً للجنوب سنة 1947 .
استقبل اللاجئين الفلسطينيين وعين حاكماً للجليل سنة 1948 .
عين مفتش دولة في اوائل سنة 1953 .
عين مديراً للداخلية في تموز سنة 1955 .
استقال من الوظيفة نهائياً في حزيران 1958 .
انتخب نائباً عن الشوف في الدورة الانتخابية سنة 1960 . واعيد انتخابه في دورة 1964 .

الهوايات

المطالعة والموسيقى . كان الامير رياضياً مارس لعبتي التنس وكرة القدم . يفضل علي بن ابي طالب وفكتور هوغو . يحب سماع بيتهوفن وليست .

الأوسمة

وسام الأرز من رتبة قومندور .
ميدالية فلسطين التذكارية .
وسام الهمايون الايراني .
وسام الملك بول من رتبة قومندور من اليونان .

الوضع العائلي

متزوج وله 5 أولاد : 3 صبيان وبنتان . كبير أبنائه متزوج .

ظنَّ أن اتفاق القاهرة سيكون طريقه الى قصر بعبدا ، فكان طريقه الى قصر . . . بلونة .

العماد آميل بستاني ، ما كدا يصل الى قيادة الجيش ويرتاح على رأس المؤسسة العسكرية ، حتى بدأت الرئاسة الأهم ، الرئاسة الاولى ، تعنُّ على باله .

ولم يمكث ذلك العَنينُ بين الجدران ، بل خرج الى حيّز التنفيذ ، وبدا العماد في المرحلة التي تلت توقيع الاتفاق وأخذ الصورة مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر والسيد ياسر عرفات ، كأنه وضع الرئاسة في عبِّه .

الا أن المؤسسة العسكرية التي كان هو عمادها لم يكن له مثلما كانت من قبله للامير اللواء ، وليس كل من عمل قائداً للجيش يقدر أن يعمل رئيساً للجمهورية .

فجأة ، حدث ما كان متوقعاً . فطار العماد من القيادة وطارت من يده الرئاسة .



فجأة حدث شيء غريب

كل شيء كان على ما يرام .

وكانت الرياح تجري بهدوء وفوق ما تشتهي سفن المقيم في بطن جبل حريصا .

وكان الناس في جونيه يلهجون باسم عماد الجيش بستاني ويسكتون ، بينما كان الناس في بيروت يتحدثون عن معمودية القاهرة ويقولون ، بلا تحفظ ، أن عماد الجيش خطا بنجاح خطوات ثابتة في مسيرة الالف ميل .

وكان الرئيس كميل شمعون لا يزال يحكي عن الاستقبال الحار الذي أعده له قائد الجيش في وزارة الدفاع ، بينما كان النواب يتصايحون مع العميد ريمون اده الذي يطالب باقالة قائد الجيش .

وفجأة حدث شيء غريب .

هبت عاصفة هوجاء . وتغيرَّ مجرى الرياح ، وتاه مركب العائد من القاهرة حديثاً في خضم العاصفة وضاع . بعضهم يقول أن ذلك المركب غرق .

ما الذي حدث ؟

الساعة السابعة من مساء الاربعاء 7 كانون الثاني 1970 اتصل موظف غير مدني ، كانت استقالته تنتفض في جيب قائد الجيش ، بنائب من الشمال وأبلغه النبأ . قال له ، ورنة الفرح تكاد تنفجر في صوته : تهانينا ، صاحبك طار .

جمدت سماعة الهاتف في يد النائب الشمالي . من قليل كان في زيارة عماد الجيش ، وكان هذا منشرحاً ، وكان منزله يعج بالناس وبالذين يروحون ويجيئون ليراهم قائد الجيش ويسلم عليهم أو يأخذ علماً بأنهم زاروه .

سأل النائب ، والكلام يضيع في حيرته : صحيح طار ؟

ثم اشتغلت التلفونات وتجوَّل النبأ في العاصمة قبل أن ينتهي مجلس الوزراء ويقرأ رئيس الحكومة ذلك الفرمان .

ثم امتلأت بيروت والضواحي والمدن الاخرى بالاشاعات والاخبار والتأويلات . وأحد يقول أن في الامر لعبة . وآخر يؤكد أن قائد الجيش هو الـذي طيّر نفسه لأنه سيخوض معركة رئاسة الجمهورية . وثالث يتهم الشهابيين ، والرئيس فؤاد شهاب ، بأنهم وراء اللعبة ، لأنهم خافوا أن تندثر أحلام السبعين على شاطيء أحلام عماد الجيش بستاني . ورابع يشير باصبعه الى الاميركان . وخامس يضع اتفاق القاهرة في الساحة . وسادس يعتقد أن الرئيس حلو هو الذي حسم الامر « لان العماد يتشاوف عليه » .

الساعة السابعة والنصف رن جرس الهاتف في منزل رئيس بلـدية جونية ، حيث كان قائد الجيش وبعض اصدقاء له من المحسوبين على الشهابيين مدعوين الى العشاء والسهرة . كانت المخابرة للقائد وكان على الخط وزير الدفاع الامير مجيد أرسلان .

بقي الذين في المنزل يتحدثون بصوت عال . يضحكون ويتبادلون النكات ، بينما كان بستاني يصغي الى وزير الدفاع ولا يقول كلمة . وضع السماعة مكانها . انتهت المكالمة . عاد الى مكانه واستأنف الحديث مع الحاضرين .

عبق وجه قائد الجيش وتبدلت ملامح وجهه . الا أن أحداً من الذين كانوا معه لم يذهب به الظن الى أن المكالمة الهاتفية كانت تعني أن العماد بستاني لم يعد قائداً للجيش و « أنهم » أحالوه على التقاعد دون أن يسألون أو يخبروه أو يعطوه علماً . . .

الساعة العاشرة غادر قائد الجيش منزل رئيس بلدية جونية عائداً الى منزله الكائن في بطن جبل حريصا ، والمطلّ من فوق على جونية حيث يقيم الرئيس السابق الامير فؤاد شهاب . كانت معه زوجته وابنته وصهره . لم يقل شيئاً . بقي صامتاً كعادته ، لكنه بدا متجهماً .

في البيت انفجر غضباً : عملوها معي .

الساعة العاشرة والربع صعق الـذين كانـوا مع العماد في منـزل رئيس البلـدية : صحيح طار ؟

التلفزيون يذيع النبأ بصوت رئيس الحكومة السيد رشيد كرامي وصورته : أجل طار .

تلك اللحظة تذكّر الذين كانوا مع العماد المكالمة الهاتفية ، وتذكروا أيضاً أنهم لم ينتبهوا الى وجه القائد بعد انتهاء المخابرة ، ليتبينوا مدى الانفعال الذي احتل قسماته .

بالطبع ، كانت الدهشة عامة .

لكن الرئيس رشيد كرامي زاد في الدهشة ، وربما في العتب ، وربما في الغضب ، عندما قال : « تقديراً من مجلس الوزراء لوطنية قائد الجيش العماد اميل بستاني ومناقبيته ، وفي ضوء الخطط الطويلة المدى التي تتطلب وجود قائد للجيش يسمح له وقته بمرافقة هذه الخطط .

« وحيث أن العماد بستاني مدد له بعض الوقت ، وما تبقى من مدته لا يسمح له بمرافقة هذه الخطط على المدى الطويل لان مصلحة البلاد تقتضي مرافقتها . . .

« وتقديراً لما أجراه العماد بستاني من اتفاقات وما قام به من أعمال تعتبر الدولة أنها ملتزمة بها ، لان ما تم انما تم باسمها .

« لذلك ، قرر مجلس الوزراء أن تستفيد البلاد من امكانات العماد بستاني في حقل وزارة الخارجية » .

وسئل رئيس الحكومة ، وصوته وصورته لا يزالان على شاشة التلفزيون ، عن المهمة الجديدة التي ستوكل الى العماد بستاني في وزارة الخارجية ، فأجاب : « ان العماد سيعين سفيراً في أحد المراكز الخالية » .

وأضاف « أن العماد جان نجيم عين قائداً للجيش » .

وذكرت مصادر وزارية أن رئيس الجمهورية استهل جلسة مجلس الوزراء بالحديث عن العماد بستاني ووطنيته والكفاية التي أظهرها في محادثات القاهرة ، والتي انتهت الى الاتفاق المعروف .

وقال أحد الوزراء أن الرئيس أشار في حديثه عن قائد الجيش الى أن العماد بلغ السن القانونية ومدد له سنة تنتهي في تموز المقبل ، فاقترح ابداله بقائد جديد مشيراً الى أن مثل هذا الاقتراح ورد قبل ستة أشهر نظراً الى الظروف التي تحيط بلبنان ومتطلبات مواجهتها .

ووضع مجلس الوزراء على الاثر مرسومين : الاول يقضي باحالة العماد بستاني على التقاعد وتعيينه سفيراً في وزارة الخارجية .

ويقضي الثاني بتعيين العماد جان نجيم قائداً للجيش خلفاً لبستاني .

وكلّف وزير الدفاع الامير مجيد ارسلان ابلاغ بستاني ونجيم مضمون المرسومين .

وفي وقت لاحق زار القائد الجديد ، يرافقه عدد من الضباط ، العماد بستاني في منزله .

الانطباع الاول الذي تكون لدى الناس أن مسألة اقالة اميل بستاني تتعدى نطاق « الافادة من خبرته وامكاناته في حقل وزارة الخارجية » . وان « التقدير لما أجراه من اتفاقات وما قام به من أعمال » لا يتم عن طريق انهاء خدمته بهذه الطريقة ، وان اسلوب التقدير المتعارف على أبسط قواعده يختلف ويتناقض مع الاسلوب الذي قدر به مجلس الوزراء « امكانات وكفاءات العماد بستاني » .

لم يصدِّق الناس .

ارتسمت في أذهانهم صور مختلفة . أقلها وأكثرها وضوحاً والحاحاً أن الشهابيين أطاحوا بعماد الجيش بستاني ليقطعوا الطريق عليه ويمنعوه من الوصول الى كرسي رئاسة الجمهورية . فمعمودية القاهرة ذهبت باصدائها ، وربما بسحر تأثيرها ، الى مؤتمر القمة العربي في الرباط ، حيث قيل أن ثلاث دول بينها القاهرة وضعت اسم العماد بستاني في خانة الممكن من احتمالات المستقبل .

أما التفسيرات النيابية والسياسية التي أعطيت للتغيير المفاجيء فتعددت وذهب بعضها بعيداً حتى وصل الى واشنطن . ولم يتردد بعض النواب في القول أن لعبة شد الحبال بين واشنطن ولندن قد تجددت ، عبر ما تعرض له قائد الجيش ، في منطقة الشرق الاوسط .

والذي شجع على هذا الاعتقاد هو الزيارة المفاجئة التي قام بها الرئيس كميل شمعون للقائد السابق في اليرزة ، وما نسب الى الرئيس الاسبق من أنه كان يميل الى دعم العماد بستاني وتبني ترشيحه في حال قيامه بخطوة أو خطوتين على صعيد التطهير .

في كل حال أكد وزراء ، فوجئوا كغيرهم بقضية قائد الجيش ، ان ما حدث كان أكثر من عملية روتينية لها علاقة بـ« الخطط الطويلة المدى » التي أشار اليها رئيس الحكومة في تصريحه ، خصوصاً بعدما تبين اليوم التالي لمرسوم الاقالة أن مدة العماد بستاني تنتهي في تموز1971 لا في تموز1970 ، كما ذكر رئيس الحكومة . وهذا يعني أن المدة المتبقية لبستاني تكفي لمواجهة « الخطط الطويلة المدى » .

لكن ما كتب كان قد كتب ، وهو غريب في طبيعته وابعاده واغراضه عن الخطط والمدة والكفاءات والاوضاع . وهذا ما اثبتته الايام ، اذ أنه لم تظهر في أفق الدولة أية خطة حتى الان .

ماذا قال الوزراء وهم يسمعون رئيس الجمهورية يتحدث عن مواقف العماد بستاني ويثني عليها وعليه ويسهب في الحديث عن وطنيته واخلاصه وأعماله وخبرته ؟

بعض الوزراء قال ، والرئيس لا يزال يحكي : الله ينجي العماد من قطوع .

بعضهم الآخر قفزت الى ذهنه الصورة الكاملة لما حدث وعرف ، قبل أن يطرح الرئيس موضوع الاحالة على التقاعد ، ان بستاني طار .

وزيران ، فقط ، تحمسا لقائد الجيش ، من الزاوية المبدئية . قالا للرئيس ، باسلوب مختلف بالطبع ، أنه من الافضل أن يطلب من العماد أن يقدم استقالته وذلك حرصاً على كرامة المنصب . ذلك أنه للمرة الاولى يحدث في لبنان مثل الذي حدث مساء الاربعاء 7 كانون الثاني 1970 : اقالة قائد الجيش .

لكن الرئيس أصر وانتصر اصراره وقضى الله أمراً كان مفعولاً .

لم يصدق الناس

حتى القاهرة فوجئت باحالة العماد بستاني على التقاعد ، ولم تتمالك نفسها من اعلان دهشتها علناً وصراحة وعلى الصفحة الاولى من جريدة « الاهرام » .

ووسط الدهشة والتفاجؤ وجدت العاصمة المصرية نفسها تسير في التفسيرات التي أعطتها لعملية اقالة قائد الجيش على الطريق التي سارت عليها تفسيرات بيروت . وربما أنها توغلت أكثر في التفاصيل وتوسعت ، بغير حذر ، في شرح الاسباب ودعمها بالاسماء والاهداف والعوامل .

وكانت ردة الفعل الاولى عند المسؤولين المصريين انهم أرسلوا تساؤلاتهم حول عملية اقصاء العماد بستاني بصيغة التشكيك ، فشجعوا بذلك المترددين في العاصمة اللبنانية الذين كانوا يقولون همساً ما قاله الذين في العاصمة المصرية جهراً .

يوم الجمعة 9 كانون الثاني صدرت « الأهرام » الناطقة شبه الرسمية بلسان الدولة

وفي صفحتها الاولى نبأ اقالة قائد الجيش وتعيين قائد جديد تحت العنوان الآتي : « ماذا وراء اخراج قائد جيش لبنان » ؟

ثم أنها في سردها النبأ أوردت تحفظات عدة وركزت على أن ثمة سببين وراء « اخراج » العماد بستاني . وبالطبع وضعت كلمة اخراج بين هلالين صغيرين .

قالت عن السبب الاول : ان يكون ذلك عملية « تربص » موجهة الى اتفاق القاهرة .

أما السبب الثاني فقد فتحت عليه سيلاً من الاحتمالات أبرزها : من الملاحظ أن أميل بستاني كان يفكر في ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية خلفاً للرئيس الحالي السيد شارل حلو ، اذا لم يرشح الرئيس السابق فؤاد شهاب نفسه . ويلاحظ أن العناصر التي تؤيد اخراج بستاني من قيادة الجيش ـ وهي العناصر التي اشترك بعضها في مهاجمة اتفاق القاهرة ـ تعتقد أنها بقطع الطريق على العماد بستاني ، انما تمهد لتقديم مرشحها للرئاسة وهو السيد سركيس المحافظ الحالي لمصرف لبنان المركزي .

و « الاهرام » أيضاً استبعدت ما استبعده الناس في بيروت ، من أن تكون عملية اقصاء بستاني لها علاقة بالخطط البعيدة المدى التي أشار اليها رئيس الحكومة في بيانه ، كما أنها أشارت بما يشبه التأكيد الى أن المسألة تتعلق كلياً وبشكل واضح بمعركة رئاسة الجمهورية والتنافس على هذا المنصب بين الشهابيين وخصومهم .

وعن القائد الجديد العماد نجيم قالت الصحيفة المصرية :

« انه وان لم تكن للعماد نجيم وجهات نظر سياسية معلنة الا أن له ميولاً محافظة وان كان يوصف أيضاً بأنه من مؤيدي الرئيس السابق فؤاد شهاب . وسيكون مطلوباً منه أن ينفذ بمزيد من الدقة نصوص اتفاق القاهرة خصوصاً ما تضمنه من شرط يقول أن وحدات المقاومة لا يجب أن تعمل الا عند الخطوط التي ليس فيها مدنيون أو مخافر عسكرية » .

وقد نقل أعضاء في اللجنة الخارجية النيابية انباء مؤداها أن القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء بنقل العماد اميل بستاني أثار موجة من القلق في الدوائر المصرية الرسمية وسلسلة من التساؤلات حول الاسباب الكامنة وراء القرار وأثره المباشر أو غير المباشر على مستقبل اتفاق القاهرة .

وروى هؤلاء أن الدوائر المصرية لم تكتم دهشتها لقرار النقل الذي مالت الى تفسيره

بأنه بداية تحول في السياسة العامة للدولة اللبنانية ونقطة انطلاق لاتجاهات جديدة بالنسبة الى اتفاق القاهرة بالذات .

وذهب أعضاء اللجنة الخارجية الى حد التأكيد أن قرار مجلس الوزراء كان موضع بحث بين رئيس الجمهورية والسفير المصري السيد ابراهيم صبري عندما قام السفير بزيارة الرئيس في بعبدا .

وأضاف الاعضاء أن ما تسرب اليهم عن الحديث يوحي بأن المصريين لم يقتنعوا بالتطمينات التي جاء بها الرئيس كرامي عندما صرح عقب جلسة مجلس الوزراء التي اتخذ فيها قرار النقل بأن الدولة تلتزم بالاتفاقات التي أجراها بستاني والاعمال التي قام بها « لان ما تم انما تم باسمها » .

وأعلن أعضاء اللجنة أنه تعذر عليهم معرفة ما اذا كان الحديث الذي سمعه السفير المصري كفيلاً باقناع الرسميين في القاهرة ، أو اذا كانت موجة القلق ستستمر الى أن تبددها أدلة .

بالنسبة الى ردود الفعل المحلية ، أدلى نواب معارضون يوم السبت 10 كانون الثاني بتصريحات حددوا فيها التعهد باثارة قضية العماد بستاني في الجلسة المقبلة للمجلس ، وأشاروا الى عزمهم على المطالبة بجلسة علنية أو سرية تخصص لهذه الغاية .

وانصبت التعليقات النيابية على محاولة معرفة اسباب « الاساءة المتعمدة » التي ألحقها الرئيس حلو بالعماد بستاني . وقال عدد من النواب أن ثناء رئيس الجمهورية على القائد لم يقطع الطريق على التفسيرات التي أعطيت لمرسوم الاحالة على التقاعد ، وفي طليعتها تفسير يحمِّل بستاني مسؤولية كل ما جرى حتى جلسة مجلس الوزراء التي صدر عنها مرسوم اقالته ، وذلك ابتداء من حادث الاعتداء على مطار بيروت ، ومروراً بالحوادث التي عقبته . وفي رأي هؤلاء النواب أن مرسوم الاحالة لم يكن خالياً من لعبة تهدف الى تحويل الانظار عن أوضاع الدولة المهترئة بواسطة تحميل قائد الجيش مسؤولية ما جرى .

وقد ربط النواب بين هذه الناحية وما جرى في جلسة مجلس الوزراء . **فعندما فاجأ الرئيس شارل حلو الوزراء بمرسوم احالة عماد الجيش بستاني على التقاعد لزم الوزراء الصمت ، باستثناء وزير الاقتصاد السيد سليمان فرنجية ووزير الاشغال العامة الشيخ بيار**

الجميل . وقد اعترض فرنجية على طريقة احالة قائد الجيش على التقاعد واقترح اعطاءه مهلة بحيث يقدم استقالته وينتهي الأمر .

لكن الرئيس حلو قال أن احالة بستاني على التقاعد لا تعني أي انتقاص من **مؤهلاته** ، بل أنه يقدر **مؤهلاته** ومناقبيته وانضباطه ودوره في العمل خلال الفترة الاخيرة التي مرت بها البلاد . لكن الخطط الطويلة المدى التي ستقدم البلاد على مواجهتها ونظراً الى الاوضاع الراهنة التي تفرض وجود قائد جديد للجيش يسمح له وقته بمرافقة هذه الخطط والعمل على تنفيذها .

بستاني عكّر المَاء

وحتى اليوم الثالث للاقالة لم تكن توافرت معلومات راهنة عن الاسباب الكامنة وراء القرار المفاجيء الذي اتخذه بهذه السرعة . والتعليقات التي أدلى بها فريق من الوزراء والنواب تنقسم قسمين : الأول مجرد استنتاجات أما الآخر فقد يكون قريباً من الصحة .

الوزراء الذين تحدثوا عن الموضوع ركّزوا على ما سمعوه « الخلافات التي لم تعد تطاق » بين قائد الجيش السابق وبين عدد من كبار معاونيه . وقالوا أن هذه الخلافات لعبت دورها في الحل الحاسم الذي لجأ اليه رئيس الجمهورية .

واعترف الوزراء بأن الخلافات لم تكن كل شيء في قرار انهاء خدمات قائد الجيش ، بل هناك اعتبارات أخرى بعضها متصل بمعركة رئاسة الجمهورية وبعضها الاخر مرتبط بتركيز الدعائم الشهابية ومحاولة بستاني زعزعة هذه الركائز ، وربما نفضها من أساسها وتثبيت ركائز أخرى تكون « بستانية » الميول والاهداف لا شهابية الولاء .

ولهذه المناسبة ، تذكر أحد الوزراء خبرين كان سمعهما : الأول عبارة عن تأكيدات قطعها الرئيس شهاب للبستاني خلاصتها أنه في حال عودته الى رئاسة الجمهورية فإنه سيعمد الى ابقائه في منصبه حتى نهاية الولاية(1976) . والخبر الآخر هو أنه بعد الدور الكبير الذي لعبه العماد بستاني في التفاهم مع المنظمات الفدائية ونجاحه في عقد اتفاق القاهرة ، ردَّد الرئيس شهاب عبارات تشير الى عدم ارتياحه الى طموح القائد .

وأضاف الوزير أن انطباعاته تشير الى أن ستة أشخاص كانوا على علم بقرار الاقالة الذي اتخذ في مجلس الوزراء وهم : رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة والرئيس شهاب والسيد الياس سركيس واثنين من كبار العسكريين .

وأعلن الوزير ، وهو غير مقتنع بكل ما حدث ، أنه عندما كثر الحديث عن ترشيح بستاني للرئاسة في أعقاب نجاحه في القاهرة ، ردد الرئيس شهاب على مسامع الاخصاء من زائريه ما يأتي : « هيدي مشكلة انو قائد الجيش يصير يعمل رئيس جمهورية . . . هلق بستاني بدو وبكرا غيرو بيطالب بحصتو » .

والتفسير الذي يعطيه الوزير لكلام الرئيس السابق هو أن شهاب لم يكن راضياً عن نشاط قائد الجيش السابق حتى « يعمل » رئيس جمهورية .

وقال الوزير أنه لاحظ أن معظم الذين أخذوا وأعطوا في قرار مجلس الوزراء يتوقعون عودة الرئيس شهاب ، بعدما أزال الرئيس حلو من طريقه « العقبة الكبرى » التي كانت تتمثل بالبستاني . الا أن الوزير خالف الجميع في ما ذهبوا اليه من توقعات . وقال أن ابعاد بستاني عن قيادة الجيش يعني أن الرئيس السابق لن يعود الى مركز الرئاسة ، بل أن المساعي ستتركز من أجل المجيء بأحد الشهابيين، وقد التقى الوزير في استنتاجاته مع التفسيرات التي أعطتها القاهرة لقرار احالة البستاني على التقاعد وقال ان « العمل » سينصب على أساس ان حاكم مصرف لبنان السيد الياس سركيس هو المرشح الشهابي وان ازالة الحاجز البستاني من الطريق كان لهذه الغاية .

وأكد الوزير أن القرار الذي اتخذه مجلس الوزراء هو عبارة عن « هدية » قدمها حلو لشهاب . لكن ، يتساءل الوزير ، هل يستمر الرئيس الحالي في مسايرة الرئيس السابق حتى نهاية الولاية أو حتى موعد انتخاب الرئيس الجديد ؟

بالطبع يبقى التساؤل تائهاً بين الافتراضات الكثيرة التي تسقط جميعها على عتبة الاسبوع الأخير الذي يسبق موعد الانتخابات .

يبقى أن التحفظ الذي قابل به القرار أركان المعارضة والكتل المخاصمة للشهابية ، يدل على أن قضية احالة بستاني على التقاعد هي أضخم وربما أخطر مما صورها رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة . وانه من الصعب مناقشتها في ضوء المعطيات التي قدمها حلو في حديثه أمام الوزراء والتي « شرحها » كرامي في تصريحه أمام عدسة التلفزيون والصحافيين .

وكان واضحاً في صبيحة اليوم التالي لقرار الاحالة على التقاعد أن ريمون اده ، الذي كان من أعند خصوم قائد الجيش السابق والذي واظب على المطالبة باقالته في كل جلسة كان المجلس يعقدها ، قد بلع موسى القرار بالعرض ، خصوصاً بعدما أحيط بملابسات القرار والدوافع الحقيقية الكامنة وراء ارسال العماد بستاني الى . . . وزارة الخارجية . لكنه لم يكن في وضع يمكنه من التعليق على القرار لانه كان قبل يوم واحد من جلسة الوزراء قد كرر المطالبة باقالة قائد الجيش .

ووسط ازدحام الاراء والتفسيرات حرص غلاة الشهابيين ، من النواب وغير النواب ، أن يقولوا أن رئيس الجمهورية استجاب لطلب ريمون اده وأنه ايماناً منه بالاصول الديمقراطية نفَّذ . . . رغبة القطب المعارض ، وعمل بما كان اده قد أوصى به وألح عليه ، سواء في جلسة الثقة أم في الجلسة السرية أم في الجلسة المشتركة التي عقدتها اللجان البرلمانية الثلاث : الخارجية والمال والدفاع ، لدرس الوضع في الجنوب .

أما النواب الذي يخاصمون الشهابية فقد أدلوا بتصريحات أوضحت عدم ارتياحهم الى التدبير الذي اتخذ ، اذ فسروه بأنه خطة ترمي الى أحكام القبضة الشهابية على الدولة تمهيداً لاعادة الرئيس السابق أو المجيء بشهابي يكون مرآة عاكسة لشهاب . وأعلنوا أن أسئلة ستوجه الى الحكومة حول أسباب نقل قائد الجيش وان في نيتهم تحويل قرار مجلس الوزراء الى « قضية مصيرية » .

وأطرف ما رافق التساؤلات التي طرحت على هامش قرار اقالة بستاني ، أن أحد خصوم الشهابية تساءل عن الاسباب التي تمنع الرئيس حلو من الاستقالة ، باعتبار أنه ليست هناك سلطة تستطيع نقله ، ليمكن المجلس من انتخاب رئيس جديد « يسمح له وقته بمرافقة تنفيذ الخطط البعيدة المدى ، طالما ان هذه « الخطط» كانت السبب في اقالة القائد السابق ، كما قال الرئيس كرامي في تصريحه أمام الصحافيين وعدسة التلفزيون . » ؟

وتساءل النائب أيضاً عما إذا كان النجاح في تنفيذ « الخطط البعيدة المدى » يقتصر على احالة بستاني على التقاعد أم أنه سيمتد الى آخرين ممن تنتهي مدتهم قبل المدة المتبقية في خدمة العماد بستاني ، خصوصاً بعدما تبين ، أن المدة المتبقية للعماد طويلة (سنة وثمانية أشهر) وكفيلة بتنفيذ « الخطط » أو تنفيذ معظمها على الاقل .

وقال نائب ، يعتبر نفسه حيادياً ، أنه كي نفهم قضية عماد الجيش بستاني ، ينبغي أن نعود الى المؤتمر الصحافي الذي عقده السيد عرفات يوم روى كيف اجتمع سراً بالعماد

بستاني واتفق معه على أسلوب محدد وواضح لعمل الفدائيين ، لكن مرجعا عالياً نسف الاتفاق هاتفياً صباح اليوم التالي .

وأضاف النائب أن اتفاق القاهرة هو صورة طبق الاصل عن الاتفاق الذي نسفه المرجع العالي ، وقد وافق الرسميون عليه ، بما فيهم المرجع العالي ، لان الوضع كان استثنائياً ولا يسمح باعادة الكرة . « لكنهم » لم يناموا على الضيم ولم ينسوا ، وظلوا يترقبون السوانح للأخذ بالثأر الى أن . . . أخذوه .

وبرغم التفسيرات الدبلوماسية العربية التي أعطيت لقرار اقالة البستاني ، فان المراقبين المحليين ، أصروا على القول أن المسألة لا تتناول اتفاق القاهرة لا من قريب ولا من بعيد ، وان « الغضب » الشهابي وحده هو الذي « انزل » القرار في ليلة ليس فيها ضوء قمر ، وأن معركة رئاسة الجمهورية هي المسؤولة الاولى والاخيرة عما حدث .

القيادة بحجمها الطبيعي

فوق جميع هذه الاعتبارات والتفسيرات ، وبعيداً عنها ، كان ثمة من يناقش قرار احالة بستاني على التقاعد من زاوية أخرى اعطاها البعض معاني كثيرة ومغازي أكثر ، بعضها مما لا يجوز الدخول فيه ، أو لا تستحسن مناقشته ، وبعضها الاخر مما لا يمكن أن يدرك على حقيقته لانه سيظل ولو الى حين طي الستائر التي تعود اللبنانيون سدلها بينهم وبين قضاياهم الكبرى لخوفهم من مواجهة هذه القضايا حيناً ، ولعجزهم عن احتمال معالجتها بعقل ، أحياناً .

شيء واحد على الاقل لا بد من تسجيله لأنه يتصل بالجانب المدني من الموضوع أكثر من اتصاله بالجانب العسكري ، أي بالقرار نفسه ، قرار التنحية من حيث الشكل ، لا من حيث المحتوى والأهداف والاسباب والملابسات .

هذا الشيء بسيط جداً ، ويقال بهذه البساطة : ان قرار مجلس الوزراء أعاد الى قيادة الجيش حجمها الطبيعي في الدولة المدنية ذات النظام الديموقراطي البرلماني . وذلك يعني الامور الاتية :

أولاً ـ ان قيادة الجيش عوملت كقيادة الجيش ، أي كالادارة العليا لاحدى أدوات الدولة ، الخاضعة لسلطة الدولة العليا .

ثانياً ـ نزعت عن قيادة الجيش الصفة أو الهالة التي كان يمكن أن تكون لها لما كان الذي يمارسها مؤسس الجيش ، والتي لا يمكن أن تكون لها في الحالة الطبيعية ، أي عندما يتولاها ضابط كسائر الضباط ، هيأته ميزاته وأهليته ورتبته لتولي القيادة .

ثالثاً ـ لم تعتبر قيادة الجيش كأنها « السلطة العسكرية العليا » ، بالمعنى الذي كان يعطى للكلمة ـ أي بمعنى السلطة المستقلة الموازية للسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية . بل وضعت القيادة العسكرية في اطارها الدستوري والقانوني الصحيح ، اطار الخضوع لا الاخضاع ، والمحاسبة لا المسايرة والتوجيه لا الاساس .

رابعاً ـ اعتبرت السلطة التنفيذية ان ما تقرره حتى بشأن قيادة الجيش ـ فكيف بأموره الاخرى وشؤونه وشجونه ـ انما يجب أن يكون مستوحى من « مناقشات مجلس النواب والرأي العام » ، الامر الذي يكرِّس ديموقراطية الحكم اللبناني ، أي كون السيادة فيه للشعب وممثليه في شؤون الحرب كما في شؤون السلم .

أمور أربعة ، بل مغاز أربعة لقرار هو الاول من نوعه في تاريخنا السياسي الحديث . وتسجيلها ، هو من زاوية التأكيد على أن مثل هذه القرارات تنسج قواعد الحكم ، ومن مغازيها ومعانيها ومدلولاتها يتكوّن مع الزمن المحتوى الحي لاحرف الدستور الميتة .

يبقى ، على صعيد الدستور ـ والسنة المقبلة سنة امتحان الدستور : أن تنحية قائد الجيش ، وقد قيل عن ترشيحه لرئاسة الجمهورية ما قيل ، تكرِّس في آن معاً حقه في الترشيح كمواطن ، برز في الحياة العامة ، وكون الرئاسة ليست معقودة اللواء حكماً لقادة الجيش ، يرتفعون الى سدتها وكأنها الترقية الاخيرة في سلم الترقيات التي يطمحون اليها .

ثم بعد ، تبقى من الامر النواحي العسكرية الاهم والاشد خطورة . وأبرزها أن السلطة المدنية تتحدث ، للمرة الاولى ، عن الحاجة الى خطة عسكرية طويلة المدى ، وعن الحاجة الى قيادة ترافق وضعها والتنفيذ .

تغدّوه قبل ان يتعشّاهم

في غضون ذلك بقيت الاستنتاجات والروايات تُنسج وتطوف بين الناس فاسحة في المجال أمام المخيلات الصافية والاذهان المليئة بالحذر كي تأخذ دورها في الكلام الكثير الذي قيل والذي لذ للبعض أن يحوله الى همس ليعطيه جو الخطورة ويشحنه بعلامات الاستفهام بالنسبة الى قرار احالة بستاني على التقاعد .

وعلى هامش ذلك طلعت أوساط موثوقة بروايتين استقت اولاهما من جهات حيادية ، والاخرى حصلت عليها من مصادر شهابية .

في الرواية الاولى أن قائد الجيش كان قد أعد حركة تشكيلات واسعة هي الاولى من نوعها . وان الحركة كانت معدَّة للتنفيذ خلال بضعة أيام ، لكن أخبارها تسربت الى الجهات الشهابية فعمدت الى الضغط على الرئيس حلو من أجل اقالة قائد الجيش في أسرع وقت ، وقبل أن يكون ما كتب قد كتب و « نفذ المقدر » .

وتقول الرواية أن قضية ابعاد البستاني أعدت ونفذت بالسرعة التي طلبتها الجهات الشهابية - أي بين يومي الثلثاء والاربعاء . أي قبل صدور القرار عن مجلس الوزراء بأربع وعشرين ساعة فقط .

أما الرواية الاخرى المستقاة من مصادر شهابية ، فتقول أن وفداً من النافذين الشهابيين ، مؤلفاً من أربعة أشخاص ، قام صباح الاربعاء بزيارة رئيس الجمهورية في قصر بعبدا ، وعلى غير موعد وطرح أمامه « القضية » بكامل تفاصيلها ، وحدد بوضوح « الغاية » من حركة التشكيلات التي أعدها قائد الجيش السابق . وبعد التداول والاخذ والرد استطاع الوفد الشهابي أن يقنع الرئيس حلو باتخاذ « الخطوة الحاسمة » ووضعه في جو قرار احالة بستاني على التقاعد .

والامر الراهن ، من كل ذلك ، هو أن بعض الذين زاروا بستاني في منزله بعد تقاعده سألوه عن المعلومات التي يملكها ، فأجاب أنه فوجىء بالقرار كما فوجىء غيره به وأنه يجهل الاسباب الحقيقية الكامنة وراءه .

هل صحيح أن العماد بستاني يجهل أسباب ما حدث مساء السابع من كانون الثاني ؟

يقول الذين اكتشفوا الحقائق وكشفوا الاسرار : ربما فوجىء العماد كغيره من الناس

العادين وغير العادين . لكنه في كل حال لا يجهل الاسباب ، بل يعرفها جيداً ، ويعرف أن الذين كان ينوي أن يطيِّرهم سبقوه فطيَّروه .

سبقوه .

يذكر الذين زاروا العماد في منزله بعد قرار احالته على التقاعد انهم سمعوا الاخصاء والمقربين هذه الكلمة أكثر من مرة . حتى أنهم يؤكدون أنهم سمعوها منه : « سبقوني » . ثم أدار وجهه ناحية المكان الذي يقيم فيه الرئيس السابق فؤاد شهاب . وسرَّح نظره حول المنزل الكائن في بطن الجبل . ثم تنهد : « عملها معي » .

في هذا المجال ، وفي نطاق دور الرئيس شهاب ، يروي الذين نفضوا أيديهم من المسألة بعد مرور24 ساعة على صدور « القرار الخطير الذي يتخذ للمرة الاولى في لبنان » ان « الاشخاص » الذين سبقوا عماد الجيش وكان ينوي تطيرهم جاؤوا صباح الثلثاء (6 كانون الثاني) الى جونيه واختلوا بالرئيس السابق ساعة ونصف ساعة ، ثم تم الاتفاق على أن يتولى شهاب بنفسه حسم الامر مع بستاني وتنتهي الازمة بالتراضي . يتفاهم الفريقان ويتبادلان القبل من غير أن ينشر أي غسيل ، وسخاً كان أم نظيفاً ، فوق سطوح جونيه و . . . بيروت . فاتصل شهاب ببستاني وقال له : « الشباب عندي وبفضِّل تجي لهون ونسوي هالمسألة حبياً بيناتكم . انتو اخوان وما بيجوز يصير هيك » .

يقال ، والرواية للذين دافعوا عن الرئيس السابق وغسلوا ، عنه ، يديه من « القرار الخطير » ، ان بستاني رفض . أجاب شهاب بأنه لن ينزل الى جونيه اذا كان الشباب موجودين ، وأنه مستعد للبحث في الامر مع شهاب وحده .

وعندما نقل شهاب جواب بستاني الى الذين كانوا في جونيه نرفز الشباب وخرجوا من بيت الرئيس السابق غاضبين ، ثم توجهوا فوراً الى بعبدا حيث طرحوا القضية أمام رئيس الجمهورية على أساس أن لها مخرجين لا ثالث لهما : أما أن تطيِّره أنت وأما أن نطيِّره نحن .

. . . فطيَّره هو .

في لحظة تأمل هادىء وسط الضباب الكثيف الذي أحاط بعملية اقالة القائد السابق تبدو الحقائق كأنها مترددة في احتلال مكانها . كأنها تخشى أن تستحيل هي الاخرى ضباباً كثيفاً لا يلبث أن يضيع في أودية النسيان .

مثلاً : تحمس ثلاثة نواب ، اثنان من الشمال ، وهددوا بالويل والثبور وعظائم

الامور ، وقالوا في فورة انفعال انهم سيقولون كل شيء داخل المجلس وخارجه وأنهم لن يسكتوا عن هذه « الطعنة » التي وجِّهت ، عن سابق تصور وتصميم ، الى العماد بستاني كدفعة على حساب معركة رئاسة الجمهورية .

وبالفعل بدأ النواب المعارضون يستعدون لمساندة النواب المتحمسين لدى اثارتهم قضية بستاني في مجلس النواب ، وقد بلغ الحماس بأحد النواب حداً دفعه الى الوقوف على درج سلم المجلس والاعلان بملء الصوت ، وسط مجموعة كبيرة من النواب والصحافيين ، أنه لن يسكت مهما كانت الاسباب والذيول والملابسات : « يا بتردوا النابليون يما منحتل الضيعة » .

وبالطبع ارتفعت الايدي الى الصدور وراح النواب ينفرد بعضهم ببعض ويتهامسون ويتشاورون : ماذا يحدث إذا أثيرت القضية ؟

السؤال نفسه حمل بكل تثاقله وهمومه الى قصر بعبدا . فكانت الاجواء في القصر صباح الجمعة مشابهة لاجواء السراي ومجلس النواب . وكلها ملبدة بالغيوم وتنذر بالعواصف . وقد أعلن عدد من الوزراء أن المعلومات التي وصلت اليهم من القصر قبل الظهر تتحدث عن اصابة رئيس الجمهورية بنوبة تشاؤم لم يصب بمثلها حتى أثناء حرب حزيران ولا أثناء الاشتباكات التي وقعت بين الجيش والفدائيين في تشرين الاول الفائت . وذكر الوزراء أن الرئيس خائف من تدهور يطرأ على الموقف بين يوم وآخر ومن انفجار الازمة دفعة واحدة .

وأضاف الوزراء ، الذين كانت الهموم تتاوج على وجوههم كأنهم ذاهبون الى الجبهة ، أن نفسية رئيس الحكومة ليست أفضل من نفسية رئيس الجمهورية . وقد بدا كرامي يومها مضطرباً وقلقاً ، خصوصاً بعدما أكد له نواب موالون أن نواباً معارضين سيفجرون الالغام وأن حريقاً قد يندلع على جبهة الدولة ستكون الحكومة من أكثر المتضررين من آثاره .

وربط النواب الموالون بين قضية بستاني وبين المتاعب الجديدة التي ستواجه رئيس الحكومة على الصعيد النيابي . وقالوا أن هذه القضية مرشحة لمضاعفات كثيرة ليست بسبب استنكار فريق من المعارضين للقرار الذي اتخذه مجلس الوزراء فحسب ، بل لان بين النهجيين من تربطه علاقات وطيدة بالقائد السابق وقد ينضم هؤلاء الى المعارضين في مناقشة أسباب الاحالة على التقاعد .

وقد انتقد الموالون رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة والمقامات الشهابية لانهم كلفوا الرئيس حماده مهمة تعطيل الجلسات النيابية . اذ أن التعطيل أدخل في روع الناس أن الدولة والحكومة خائفتان من مناقشة قضية بستاني في المجلس ناهيك بالقضايا التي سيثيرها بعض النواب على هامشها .

وأدلى عدد من النواب المعارضين بتصريحات استنكروا فيها الاساليب التي تمارسها الدولة والحكومة وهددوا باثارة قضية البستاني على صعيد آخر في حال الاصرار على تهريب الجلسات تفادياً لفتح هذا الملف .

وتابع المعارضون تعليقاتهم على قرار اقالة بستاني . وقالوا أن الطريقة التي اتبعها رئيس الجمهورية توحي بأنه قام بالعملية لحساب الشهابيين وعلى أساس التأكيد بشكل صريح على أن المقامات الشهابية ليست مستعدة للتساهل ، وأنها جاهزة وقادرة على « ضرب » كل من يفكر بـ « العمل لحسابه » على حساب الرئيس شهاب .

وقال نائب معارض أن قرار احالة بستاني على التقاعد يعني بصراحة أن العماد كان ينوي خوض معركة الرئاسة من المكان الذين انطلق منه الرئيس السابق ووصل الى المنصب الاول ، وأن شهاب نفسه شعر بخطورة ما يخطط له بستاني فأوعز الى الشهابيين الممسكين بزمام الامور أن يقطعوا الحبل وينسفوا الجسر الذي كان بستاني قد وضع فوقه احدى قدميه .

وأضاف النائب المعارض أنه في حال فشل المعارضين في احراج الحكومة من زاوية قرار تطيير القائد السابق ، فانهم يعتزمون اللجوء الى مختلف الوسائل لاثارة جو من التشويش حول الشهابيين والقرار الذي اتخذه مجلس الوزراء وحول الرئيس شهاب نفسه .

في غمرة هذا التوتر كان الجو النيابي ، والجو السياسي بصورة عامة ، يزداد تلبداً ، لتزداد التساؤلات حول ما حدث وما قد يحدث . وكان الناس على أعصابهم . فالاشاعة لا تعمر أكثر من ساعة في احاديثهم لتقتلها اشاعة أخرى ، ثم اشاعات ، ثم آراء المطلعين ، ثم تصريحات النواب وتهديداتهم ، بالاضافة الى سيل لا يتوقف من علامات استفهام .

العماد يحكي

وفجأة هدأ كل شيء وساد الصمت والترقب : ماذا حدث ؟

قال نائب شمالي وثيق الصلة بالعماد بستاني أن العماد سيحكي .

سيحكي ؟

أضاف النائب بلهجة من عنده سر لو افلتـه من صدره لزلزلت الارض وقامت القيامة : أجل سيحكي . سيقول كل شيء في مؤتمر صحافي يعقده خلال أربع وعشرين ساعة .

النواب الذين كانوا يهددون بالويل والثبور ، تريثوا بانتظار ما سيقوله العماد . والجو المكهرب في القصر وفي السراي ازداد تكهرباً ، وتضاءلت آمال رئيس الجمهورية في تفادي انفجار أزمة خطيرة ، وقال الناس الذين على الحياد أن العجب العجاب آت .

وزيادة في التأكيد أشار النائب الوثيق الصلة بالعماد أنه اطلع على البيان الذي سيلقيه القائد المحال على التقاعد في مؤتمره الصحافي « وان وجوها ستبيض وأخرى سيكسوها السواد ، وعندئذ سيكون لكل حادث حديث » .

عادت الايدي ترتفع الى القلوب لتشد الاعصاب : « يا بتردوا النابليون يما منحتل الضيعة » .

وحدها ، المقامات الشهابية ، كانت تضع يديها في بركة من المياه المجلدة . كان الانفعال شاملاً الذين مع والذين ضد ، الا اولئك الذين وضعوا أيديهم على السيف وحملوه معاً ثم قطعوا الحبل ونسفوا الجسر .

ماذا عند العماد ، وماذا عند المقامات الشهابية ؟ ان الاجابة عن الشق الأول من السؤال تتطلب اختراقاً لحواجز بعضها مصفح بالاوهام وبعضها الاخر غائص في أعماق الملابسات يبدأ بمعركة رئاسة الجمهورية والتخطيط لعودة الرئيس السابق وينتهي باصرار الذين استلذوا الحكم وترحرحوا فوق أبسطته ، من غير أن يجلسوا فوق كراسيه ، على البقاء حيث هم وكما هم وان وقفت المياه عموداً وغادرت الجبال مطارحها .

أما الشق الثاني من السؤال فان سبيله الى الجواب يمر على اوتوستراد جونيه ، حيث ينعطف عند اشارة مميزة تؤدي الى منزل عماد الجيش بستاني .

الا أن الوصول الى منزل القائد السابق لا يعني ، بالضرورة ، الوصول الى الجواب ، وبالتالي وضع اليد على الحقائق المنومة وراء ستار الاسباب التي اضطرت مجلس الوزراء ليل 7 كانون الثاني الى اتخاذ « القرار الخطير » .

حتى النائب الوثيق الصلة بالعماد ، الذي رافقني الى المنزل الكائن في بطن جبل حريصا ، استبعد أن أعود من هناك بما ذهبت من أجل البحث عنه .

موعدي مع العماد عين الساعة الحادية عشرة قبل ظهر السبت 10 كانون الثاني . للمرة الاولى أقابل قائد الجيش السابق . لقد كان فضولي يدفعني الى معرفة ردة الفعل عنده ، ومعرفة الابعاد الحقيقية للقرار الذي فاجأ الناس وأذهل الذين حسبوا لوقت غير قصير أن بستاني أصبح على قاب قوسين أو أدنى من رئاسة الجمهورية .

عدت من مقابلة العماد بانطباعات أبرزها أن الرجل لا يزال مرتبكاً وأنه حائر بين أن يضرب ضربته ، ولو جاءت متأخرة ويعمل كما عمل شمشون ، وبين التذرع بالصبر وتحين الفرص للأخذ بالثأر .

وقد كونت هذا الانطباع برغم تأكيد العماد أنه سوف ينزل الى الساحة ويخوض المعركة ولن يسافر كما يشيع البعض ولن يسكت على ضيم . . . « ولم أكن أفكر مطلقاً برئاسة الجمهورية » .

صباح الاحد 11 كانون الثاني صدرت « النهار » بأول حديث صحافي يدلي به قائد الجيش السابق : « لن أسافر . . . وسأتكلم » .

طلع الصوت : سيتكلم ؟

أصوات المقامات الشهابية كادت تفز من سماعات الهاتف . تلفونات الى جونيه وتلفونات الى المنزل الكائن فوق جونيه وتلفونات الى الصحف : « استعدوا ، سيصدر توضيح من العماد ينفي ما ورد في « النهار » .

واستعدت الصحف ، كما استعد النواب للدخول في البازار . الا أن التوضيح لم يصدر لان العماد رفض أن يوضح برغم الحاح الشهابيين ، كما رفض أن يزيد أو ينقص حرفاً مما ورد في حديثه الى « النهار » . عندئذ شد الشهابيون أعصابهم ورفعوا أيديهم من المياه المجلدة ، خصوصاً بعدما جاء نواب نهجيون يؤكدون للمقامات الشهابية أنهم شاهدوا البيان الذي سيذيعه بستاني في مؤتمره الصحافي عندما زاروه في منزله .

الا أن بستاني لم يتكلم ولم يعقد مؤتمراً صحافياً ولم يذع البيان الذي كان سيذيعه .

ماذا قال بستاني لـ « النهار » ؟

في ما يأتي المقابلة كما صدرت صباح الاحد :

كان السهم لا يزال هناك ، على يمين الاوتوستراد في وسط جونيه : منزل عماد الجيش بستاني . ثم سهم آخر ومرآة عاكسة . ثم مرآة أخرى على مفرق لطريق خاص . ثم منزل العماد في بطن الجبل . لكن السيارة الانيقة التي كانت لقائد الجيش لم تكن هناك . سيارة عادية صغيرة واقفة في الزواية ، وجنديان أحدهما برتبة رقيب ، وهدوء ، حتى في المصعد الى الطبقة الثانية من المنزل .

كان وحيداً في شرفة زجاجية مطلة على جونيه ، يرسم ابتسامة بالكاد تظهر فوق شفتيه . العسكري الانضباطي المقيم في الجندية منذ أربعين سنة ، هل يحكي ؟ هل يجيب عن السؤال الذي يردده الناس ، سياسيين وعاديين وغير عاديين ، منذ احالته على التقاعد ، أم يبقى الصامت الاكبر حتى وهو خارج المكان الذي كان يفرض عليه الصمت ؟

قال لي ، وبعض التعب في عينيه : « تغير كل شيء . كنت جندياً فكنت صامتاً . من الان وصاعداً سأتكلم . انني أعد بياناً شاملاً سأقول فيه كل شيء وأعلن رأيي وأفكاري ومشاريعي ومخططاتي » .

سألته : ومتى البيان ؟

قال : « قريباً ، حالما انتهي من إعداده ، وقد يكون ذلك خلال أيام » .

بالطبع ليس هذا هو الجواب الذي ينتظره الذين يرددون السؤال الملح ويبحثون عن السر وراء كل ما حدث .

عماد الجيش السابق متحفظ ، برغم رغبته في الانفتاح والحوار : هذه أول مقابلة صحافية .

سألته عن مضمون البيان ، وفي خاطري تساؤل عما اذا كان العماد سيبق البحصة كما يقول احد النواب . اجاب : « كل ما أراه مناسبا وضروريا للبنان . وكل ما اعتقده مفيدا لمصلحة هذا البلد ويعود بالخير على الشعب اللبناني . وسواء اكنت في الجيش ام

خارج الجيش فان رائدي كان وسيبقى « لبنان الافضل » . وثق بأنني لن أخلي الساحة ولن اتخلى عن المعركة وسأبذل كل شيء من اجل بلدي وكرامة شعبه » .

قال الرئيس كرامي لدى اعلانه احالة العماد بستاني على التقاعد ان قائد الجيش السابق سيعين سفيرا . فهل يوافق العماد ويقبل السفارة ؟ وسع ابتسامته . شبك يديه . حررهما . اراحهما فوق الكرسي . ثم سرح نظره عبر زجاج الشرفة المطلة على البلدة التي يقيم فيها الرئيس السابق فؤاد شهاب . وبعد لحظة صمت ، قال بهدوء : « انا هنا ، وسأبقى هنا ، ولن اسافر الى اي مكان » .

احتدت لهجته ، لكن نبرته بقيت هادئة : « بالطبع ، موضوع السفارة غير وارد عندي على الاطلاق » .

توقف لحظة . ضحك . تابع : « سيأتي الوقت المناسب لقول كلام كثير . كل ما أقوله الان : Je suis là (أنا هنا) .

تراءى لي أن العماد سيزيح الستار عن السر وسيمضي في وضع النقاط على الحروف فيريح الناس ، سياسيين وعاديين وغير عاديين ، من كابوس السؤال الملح . الا أن جوابه كان في واد آخر ، وربما يكون هو الجواب الاخير : « الماضي مضى ، أصبح في ذمة التاريخ . لن أتحدث عن الماضي لاني أفكر في المستقبل ولأن لبنان هو قبل كل شيء عندي ، ومصلحته وكرامته فوق كل اعتبار » .

يقول العماد في لحظة ارتياح أنه أصبح الان طليقاً وبامكانه أن يسعى الى تحقيق ما لم يتمكن من تحقيقه ، على صعيد لبنان وازدهاره واستقرار بنيه : « لقد تحررت الان وسأنصرف الى التأمل والبحث والتخطيط » .

سألته : وغير ذلك ؟

قال : « الايام آتية » .

وكان السؤال الذي لا بد من طرحه بعدما أتلفته الالسن . قلت : الشائع أن خروجك من قيادة الجيش كان سببه رئاسة الجمهورية ، وأن الرئيس فؤاد شهاب هو الذي قاد عملية أخذ الثأر . . .

أجاب بحزم : « لم أفكر مطلقاً في موضوع رئاسة الجمهورية . كان همي ولا يزال خدمة وطني » .

وفيما كان الحديث الخاطف يصل الى نقطة النهاية بدأ الاصدقاء يتوافدون ، فتوقف الحوار .

● مساء الخميس زار العماد بستاني الكاردينال المعوشي في بكركي . واستغرقت الزيارة ساعة ونصف ساعة ولم يتسرب شيء عما دار خلالها من أحاديث .

● قال العارفون أن قائد الجيش السابق سيؤسس حزباً سياسياً وان رخصة هذا الحزب هي في حوزة أحد أصدقائه .

● ينوي العماد القيام بسلسلة زيارات لبعض الشخصيات والفئات .

● ذكرت مصادر العماد أن التشكيلات التي أعدها كانت ستنفذ خلال أربع وعشرين ساعة لولا صدور مرسوم الاحالة على التقاعد وان استقالة أحد الضباط لا تزال في جيبه وان التشكيلات كانت ستتناول تسعة ضباط كبار .

أسباب الصمت

وكما فوجيء الناس ، الناس النواب والناس السياسيون ، باحالة العماد على التقاعد في ليلة ليس فيها ضوء قمر ، كذلك فوجئوا به يذهب بعيداً في ردة الفعل ، عبر اعلانه العزم على خوض المعركة والبقاء في الساحة وقبول التحدي .. كذلك أيضاً فوجئوا به يصمت ولا يذيع شيئاً ولا يحكي ولا يعقد مؤتمراً صحافياً ولا يدلي ببيان ، كذلك أيضاً وأيضاً فوجئوا به قبل ظهر يوم الاثنين 12 كانون الثاني يزور وزارة الدفاع ويهنىء القائد الجديد ويتبادل الانخاب مع الآخرين . . . ويتبادل الكلمات فضلاً عن النكات .

وبمناسبة الزيارة والتهنئة القى العماد بستاني كلمة قال فيها :

« رفاق السلاح ، في اللحظة التي أقف فيها مودعاً رجال المؤسسة الوطنية الكبرى يمر في خاطري تاريخها الحافل بالمواقف المشرفة ، هذا التاريخ الذي عشته منذ أيامه الاولى ورافقت خلاله نمو هذا الجيش العزيز وتطوره وازدهاره .

ثمانية وثلاثون عاماً ونيف طويتها في خدمة العلم وقلبي مفعم بالايمان بأن الوطن الذي يتمتع رجاله بما تحليتم به من مزايا وصفات هو وطن خالد » .

وبعد أن نوه العماد بستاني بالتضحيات الجلى التي بذلها الجيش في سبيل أمن الوطن

دعا رفاقه في السلاح للمحافظة على فضائل الجندية وعلى التحلي بالانضباط والمناقبية العسكرية الزاد الذي لا ينفد في حياة الجندي متمنياً لخلفه العماد نجيم التوفيق والنجاح .

بالطبع كانت الزيارة جواباً على كثير من الاسئلة . وكانت ، بالتالي ، بمثابة المشهد الاخير من القصة . اذ فهم الناس ، الناس النواب والناس السياسيون ، ان ما كتب قد كتب وانتهى الامر . لا كلام ولا عتاب ولا حساب .

قال انه لن يسكت وسكت . لماذا سكت ؟

قيل في معرض التساؤل عن سبب سكوت بستاني ، ان اشياء كثيرة وقفت في وجه رغبة العماد ، رغبته في قبول التحدي والنزول الى الساحة . ويك عنتر أقدم . وقيل أن أموراً تداخلت وكبر حجم الملابسات ، فضلاً عن ان الذي حدث لا يمكن تلافيه بعد حدوثه . وقيل أيضاً أن الاسباب التي دفعت أحلام العماد بالرئاسة الى خارج الدائرة التي كان يركز قاعدته فيها ، هي نفسها التي دفعت رغبته في الكلام والمبارزة الى الرف .

ما هي هذه الاسباب ؟

في القضايا المفاجئة التي تحدث شيئاً من الذهول تنتبه الخواطر من صدمتها وتروح تجول في أفق الخيال ، فاتحة للظن المجالات الخصبة . هكذا استنفر الناس خواطرهم وظنونهم في قضية العماد بستاني .

الا أنهم ، في كل هذا ، لم يسقطوا من الحساب الاحتمال الذي يأتي دائماً في الطليعة : طموح القائد المحال على التقاعد واعداده العدة للوصول الى كرسي رئاسة الجمهورية ، مقابل المخطط الشهابي الذي يستبيح كل شيء ويفعل أي شيء في سبيل عودة الرئيس السابق .

وكان من البديهي أن تصطدم أحلام بستاني بمخطط الشهابية . . . وقد وقع الاصطدام .

أوساط القائد السابق تقول ، أو هي كانت تقول ، أن التشكيلات التي وضعها وكاد ينفذها هي التي فجرت الازمة وجعلت المقامات الشهابية ، بعدما تسربت اليها أسرار التشكيلات وتفاصيلها ، تضرب تلك الضربة القوية ، وان استقالة « أحدهم » بقيت في جيب سترته الى ما بعد احالته على التقاعد . والاهم من التشكيلات ، تضيف أوساط بستاني ، أن وجهتها لم تكن معركة رئاسة الجمهورية وان غايتها كانت محض ادارية ولا

علاقة لها بمحاولة ضرب نفوذ الرئيس السابق في القاعدة التي يعتمد عليها في تخطيط عودته .

ماذا تقول الاوساط الشهابية رداً على ذلك ، أو ماذا كانت تقول ، باعتبار أن الموضوع قد طوي بعد زيارة البرزة ونشر الصور والكلمات في الصحف ؟

صدرت تنبيهات بوجوب عدم الخوض في هذا الموضوع . ثم أخذت المصادر ، التي تعمل عادة في ترويج الاخبار وتزويقها ، تروّج الاخبار وتزوقها حول البستاني . مثلاً ، أن القائد السابق قاطع رئيس الجمهورية ولم يعد يزوره حتى أنه لم يعد يلبي المواعيد التي تعطى له ، كما أنه لم يعد يرد اذا كان القصر هو الطالب . ومثلاً ، ان العماد أخذ يتصرف كأنه أصبح رئيساً للجمهورية ، وأن المنتسبين اليه بدأوا يلصقون صوره على السيارات وعلى واجهات المحلات في جونيه ، وان انسباءه لم يعودوا يتهدون .

قبل السابع من كانون الثاني لم يكن أحد يقول مثل هذا القول . واذا تناول نائب أو ناقد أو ناخب اسم العماد وأشار اليه من زاوية معركة السبعين ، أو عبر اتفاق القاهرة ، « كانوا » يقيمون القيامة ويخبطون الارض بأرجلهم : دعوا الرجل وشأنه انه فوق المهاترات .

حتى أنهم وضعوه فوق الاسماء وفوق الكلمات وفوق اللفظ .

انما على صعيد البحث جدياً في موضوع رئاسة الجمهورية ، والمرشحين المحتملين والمرشحين الاوفر حظاً ، كان اسم العماد يرد تلقائياً كأنه تسليم بما يجب التسليم به .

في الاول من كانون الاول ، وحتى اليوم الحادي والثلاثين منه ، وحتى اليوم السابع من كانون الثاني 1970 كانت الصورة مختلفة تماماً . أي أن ملامح العماد كانت واضحة داخل الاطار الفضي . الا أن الحذر كان يرافق كل كلمة تكتب . ليس لان العماد يتضايق بل لان القانون لا يتساهل . مع ذلك قيل الآتي في ترشيح بستاني ، وكان لا يزال متألقاً في أجواء معركة السبعين .

أول حامل للقب

عماد الجيش أميل بستاني هو أول من حمل هذا اللقب في الجيش اللبناني . وهو الى ذلك أول عسكري لبناني يدخل السياسة ـ من غير أن يدخلها ـ عن طريق فلسطين ،

حيث المسرح كبير وملتهب بالاضواء ، وحيث القضايا خطيرة وحساسة تتسم كلها بالطابع المصيري .

وبرغم ذلك بقي عماد الجيش الصامت الاكبر . بقي صامداً في وجه اغراءات الاضواء التي كادت ، في مرحلة مرت ، أن تلتهم اسمه لكثرة ما تسلطت عليه ، خصوصاً بعد اتفاق القاهرة .

واذا كانت السياسة تقاس بنسبة ما تدخل في حياة الاشخاص وتتداخل في أمزجتهم ودمائهم ، وتتدخل في كل شؤونهم ، وتفرض نفسها كأنها بديل لكل شيء ، فان عماد الجيش ليس سياسياً لا من قريب ولا من بعيد . على الأقل من هذه الزاوية وبهذا المنظار ، ومن زاوية رفضه لمقومات السياسة التي غدت قاعدة ولو كانت شذوذاً : الاضواء والضجيج واغراءات الظهور والتداول والاخذ والعطاء .

فبعد هذا العمر في الجندية ،(1939 -1969) ، حيث كل شيء شيء آخر ومختلف جداً عن أشياء السياسة وعالمها ، صار من الصعب وربما من المستحيل أن يدخل في حياة العسكري ، الذي عرف بانضباطه ونظاميته ، ما هو مناقض للمفهوم العسكري ومقومات الجندية .

لقد أكسبته السنوات الطويلة مناعة كافية ، يقول اصدقاؤه والمنتسبون اليه ، ونأت به وبطبعه ومزاجه عن كل ما يتعايش مع السياسة أو يتآلف معها وعمقت انضباطه الى حد الانطواء والصمت ربما أكثر من فؤاد شهاب . صمت حقيقي واصرار على ابقاء العسكري عسكرياً والسياسي سياسياً وان اختلطت هذه القاعدة وتداخلت رموزها في بعضها البعض ، خصوصاً في العهد الحالي .

وما دامت المقارنة تفرض نفسها ، كأنها واجب في هذا المجال ، فانهم يقولون : اذا كانت امارة الرئيس فؤاد شهاب هيأته من زمان ليحكم ويتسلم الحكم ، واذا كانت الاحداث رشحت الامير الشهابي مرة ومرتين قبل أن ترشحه حوادث 1958 وتصر عليه فيقبل ويدخل في ملكوت السياسة على منبر الحكم ، فليس في حياة اميل بستاني ما يصر عليه ويحاصره ويدفعه الى قبول الطلاق من الصمت والزهد والعسكرية .

... الى أن كانت قضية الفدائيين والحج الى القاهرة والعودة منها بالمعمودية والتكريس .

والى أن كان ، من قبل معمودية القاهرة ، 20 تموز شارل حلو والاستقالة الشهيرة . فيومها سلطت الاضواء على أميل بستاني كرئيس واحد ممكن في ذلك الجو الذي كان يسود قصر سن الفيل وبقية القصور في العاصمة وفي الضواحي وحتى على طريق صربا وجونيه . وربما يكون هذا هو السبب الذي جعل النواب ، والذين عندهم حساسية الجنون من العسكر ، يعملون ما لا يعمل طول ليل ونهار ويصحون دون طعام أو شراب ، ليبعدوا كأس الاستقالة عن شفتي شارل حلو وليبقوه ، بالتالي ، في كرسي الرئاسة على الاقل ليبعدوها عن العماد الذي طالما قيل أنه زاهد بها .

يوم الاستقالة ، وليلها ، كان عماد الجيش في القصر .

والنواب الذين شاهدوه تلك الليلة وحدثوه وحدثهم ، في شؤون الاستقالة ، انقسموا فريقين في تقدير تأملات القائد والافكار التي كانت تتجاذبه :

الفريق الاول قال : أن عماد الجيش كان ينتظر ، وأن بعض النواب كانوا يعرفون ذلك فتحلقوا حوله ، فلم يجدوه ذلك العسكري الذي كانه قبل الاستقالة .

والفريق الاخر قال : كان عماد الجيش غريباً في ذلك الجو ، بعيداً عنه ، وخارج معطياته وصوره وأحاديثه . وكان كلما اقترب منه نائب وحدثه في موضوع الاستقالة والخلف ، اذا بقي الرئيس مصراً على استقالته ، كان يبتعد أكثر فأكثر عن اللعبة السياسية . كأنه كان يزداد اكتشافات لها كلما ازداد التصاقاً بعالمها : ابعدوا عني هذه الكأس .

وابتعدت الكأس أو ابعدت يوم الاستقالة وظلت بعيدة الى أن جاء اتفاق القاهرة ، فعادت الكأس تمارس دور الاغراء وربما لا تزال تمارس ذلك الدور .

الحديث عن اميل بستاني القائد صعب . صعب لان قائد الجيش هو القائد الوحيد الذي بقي ، حتى وهو على رأس المؤسسة الواسعة القدرة والنفوذ ، العسكري المحترف ، الذي من الجيش والى الجيش وفي الجيش .

وهو الوحيد الذي كاد مجيئه الى قيادة الجيش يخلو من أي مغزى سياسي .

يبقى السؤ ال الذي يتردد :

ماذا إذا أصبح أميل بستاني مرشحاً ؟

قائد الجيش اذا طرح عليه السؤال سيقول بالطبع ، أنه غير مرشح وأن الموضوع

غير وارد عنده . وبالطبع عماد الجيش هو الوحيد غير المرشح بين الذين يرشحونهم وتتردد اسماؤهم على لائحة معركة السبعين ، مع أن اسمه وارد بين الاسماء وربما في أول القائمة .

كأنما المرشح هو المنصب وليس الرجل .

في تيار الانظمة العسكرية الذي نجا منه لبنان نسبياً ، ثم بعد مجيء عسكري ، ثم مجيء مدني ملفوفاً بقماط الازدواجية ، بعد مجيئه على يد الرئيس شهاب والشهابية والشهابيين ، يرتفع صوت الردة : لماذا يبقى لبنان الخروف الابيض في القطيع الاسود ؟ بل لماذا يشذ ؟ وهو في قلب التيار ، عن التيار نفسه الذي أصبح قاعدة ؟

التعزية الوحيدة ، ربما حتى الان ، أن لبنان ينتخب عسكريين رؤ ساء عوض أن يأتي العسكريون الى الحكم عبر الانقلابات وأثر سلسلة من البلاغات والمارشات .

لكن لماذا يرشح السياسيون قائد الجيش ؟

مرشحو أميل بستاني ثلاثة :

● الراغبون في صبغ لبنان بما صبغ به الجوار ، والمزج بينه وبين الانظمة التي حولنا ، فيتحمل بستاني مع الجيش وزر تلك الانظمة وما تستتبعه .

● الذين يسعون من أجل شهابية من دون فؤاد شهاب ، فيجدون في عماد الجيش المخرج الطبيعي الوحيد لخروج من لا يرغبون في بقائهم .

● المعارضون للحكم العسكري الذين يأملون ، عبر ترشيحهم أو ترشيح غيرهم ، ابعاد بستاني وشبح فؤاد شهاب في آن معاً .

حتى اليوم ، اميل بستاني كل تصرفاته تصرفات الرجل العسكري المعروف بل الشهير بانضباطيته .

حتى عندما ذهب الى القاهرة موفداً شخصياً لرئيس الجمهورية ، كما سماه رشيد كرامي الذي كان سعيداً لان غيره ذهب ، بقي الرجل عسكرياً ، برغم أن اتفاق القاهرة أصبح بعد توقيعه والاعلان عنه اتفاقاً سياسياً ، وكان السبب في عاصفة سياسية لم تهدأ حتى الآن .

السؤال الكبير :

هل يقع اميل بستاني في فخ الترشيح ؟

كل تصرفاته تدل على أنه غير مرشح ، أو أنه ذكي الى درجة أنه يعرف أن العسكري اذا كان سيجيء الى الرئاسة فليس كما يجيء ، عادة ، السياسيون ، أو كما كان يجيء المدنيون .

يبقى الذين يعتبرون أن الاحداث قد تفرض ، عبر اميل بستاني ، **فؤاد شهاب** آخر .

يقول السياسيون السياسيون : حالة واحدة توجب ترشيح عماد الجيش ، هي أن البلاد ، بمن يختار لها مستقبلها ، تحول اتفاق القاهرة الى قاعدة حكم وتصرف . وتجعل من المفاوض باسم رئيس الجمهورية بطل هذه القاعدة ، السياسة ، ورجلها وبالتالي رئيساً للجمهورية .

اميل بستاني بالارقام

- ولد في جونيه (كسروان) سنة 1909 .
- دروسه الابتدائية في جونيه .
- دخل المدرسة الحربية في دمشق 14 أيلول سنة 1931 .
- تخرج برتبة ملازم أول أيلول 1933 وصنِّف الأول (عميد دورة المشاة) والثاني في الترتيب العام .
- اثر تخرجه عيِّن مدرباً في المدرسة الحربية حتى 31 آب سنة 1934 .
- الحق بحامية طرابلس (فوج الشرق الاول) اعتباراً من أول أيلول 1934 ، وكلِّف لمدة سنتين ادارة مكاتب دراسة ضباط الصف .
- تابع دورة علم الادارة العسكرية من أول تشرين الاول 1936 حتى 28 شباط 1937 وصنِّف الاول .
- رقِّي الى رتبة ملازم أول أيلول 1937 .
- كلِّف امرة سرية الاسلحة الثقيلة أول أيلول 1940 حتى 7 حزيران 1941 .
- كلِّف بتاريخ 8 حزيران 1941 التشكيل الاداري لفوجي مشاة في منطقة العلويين .
- عهدت اليه وظيفة معاون قائد موقع طرابلس وقائد فوج الشرق الاول من 15 تموز 1941 حتى 31 كانون الثاني 1942 .
- رقِّي الى رتبة نقيب بصفة نهائية بتاريخ 25 كانون الثاني 1942 .
- كلِّف امرة سرية مشاة في فوج الشرق الاول من أول شباط 1942 حتى 30 نيسان 1943 .
- عيِّن معاوناً لقائد فوج القناصة الثالث من الاول من أيار 1943 حتى 30 حزيران 1945 .
- الحق كضابط أركان حرب (رئيس القسم الاول) بأركان حرب جيش الشرق الخاص من أول تموز 1945 حتى 31 تموز 1945 .
- عينّ لدى تسلم الجيش اللبناني من قبل الحكومة اللبنانية في أركان حرب الجيش رئيسا للشعبة الاولى اعتباراً من أول آب 1945 .
- كلِّف بتاريخ أول تشرين الاول 1945 تأسيس الشعبة الثانية وترأسها بالاضافة الى رئاسة الشعبة الاولى .
- عيِّن مديراً لمصلحة التلفون أول نيسان 1946 وكلِّف استلام هذه المصلحة من الجيش الفرنسي وتنظيمها وتسليمها الى وزارة البرق والبريد .
- أعيد الى أركان حرب الجيش أول تشرين الاول 1946 وعين نائباً لرئيس أركان الحرب .

موريس الجميّل

ـ رقّي الى رتبة مقدم بصفة نهائية أول تموز1947 .
ـ أسندت اليه ، بالاضافة الى وظيفته الاساسية كنائب رئيس أركان حرب ، وظيفة القيِّم العسكري بتاريخ20 شباط1948 .
ـ عيِّن لانشاء سلاح الجو اللبناني وقيادته مع قيادة قاعدة رياق الجوية أول حزيران1949 .
ـ عيِّن بالاضافة الى قيادة سلاح الجو مديراً للاشغال الهندسية أول كانون الاول1954 .
ـ رقّي الى رتبة عقيد بصفة نهائية أول تموز1954 .
ـ تابع دورة اجتياز الرتبة أول تشرين أول1958 وصنِّف .
ـ رقّي الى رتبة زعيم بصفة نهائية أول كانون الثاني1959 .
ـ كلّف مهام قيادة منطقة الشمال من15 حزيران1959 حتى5 أيلول1964 .
ـ عهدت اليه مفتشية التعليم في الاركان اعتباراً من أول تشرين الاول1964 .
ـ قرر مجلس الوزراء بتاريخ2 حزيران1965 تعيينه قائداً للجيش .

بالاضافة الى هذه المناصب التي تقلب فيها، ترأس العماد بستاني لجاناً عدة للتنظيم العسكري والاداري ، منها لجنة تعديل قانون الجيش ولجنة تحضير تاريخ الجيش . وقد أوفد مراراً الى الخارج في مهمات دراسية وفنية وادارية وزار مصر ، العراق ، السعودية ، أميركا ، فرنسا ، انكلترا وايطاليا .

الاوسمة (لبنانية) :

ـ وسام الارز من درجة كومندور .
ـ وسام الاستحقاق المذهب .
ـ وسام الحرب ذو النجمة الفضية .
ـ وسام النسر من الدرجة الممتازة .
ـ وسام فلسطين التذكاري (حملة1948) .

(غير لبنانية) :

ـ وسام العرش من رتبة ضابط كبير (مراكش) .
ـ وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية (سوريا) .
ـ وسام الاستحقاق من درجة ضابط (أميركا) .
ـ وسام فينيكس من درجة كومندور (اليونان) .

الوضع العائلي :

متزوج وله ثلاثة أولاد : بنتان احداهما متزوجة وصبي متزوج .

الهوايات :

قليل الهوايات، يلعب طاولة الزهر بعض الاحيان ويلعب الورق . يحب ركوب الخيل .

يبقى السؤال الكبير الذي رافق رحلة العماد بستاني القصيرة في أفق جولة السبعين : ألا يزال قائد الجيش السابق مرشحاً للرئاسة ؟

❝ العماد يقول : لم أفكر مطلقاً برئاسة الجمهورية .

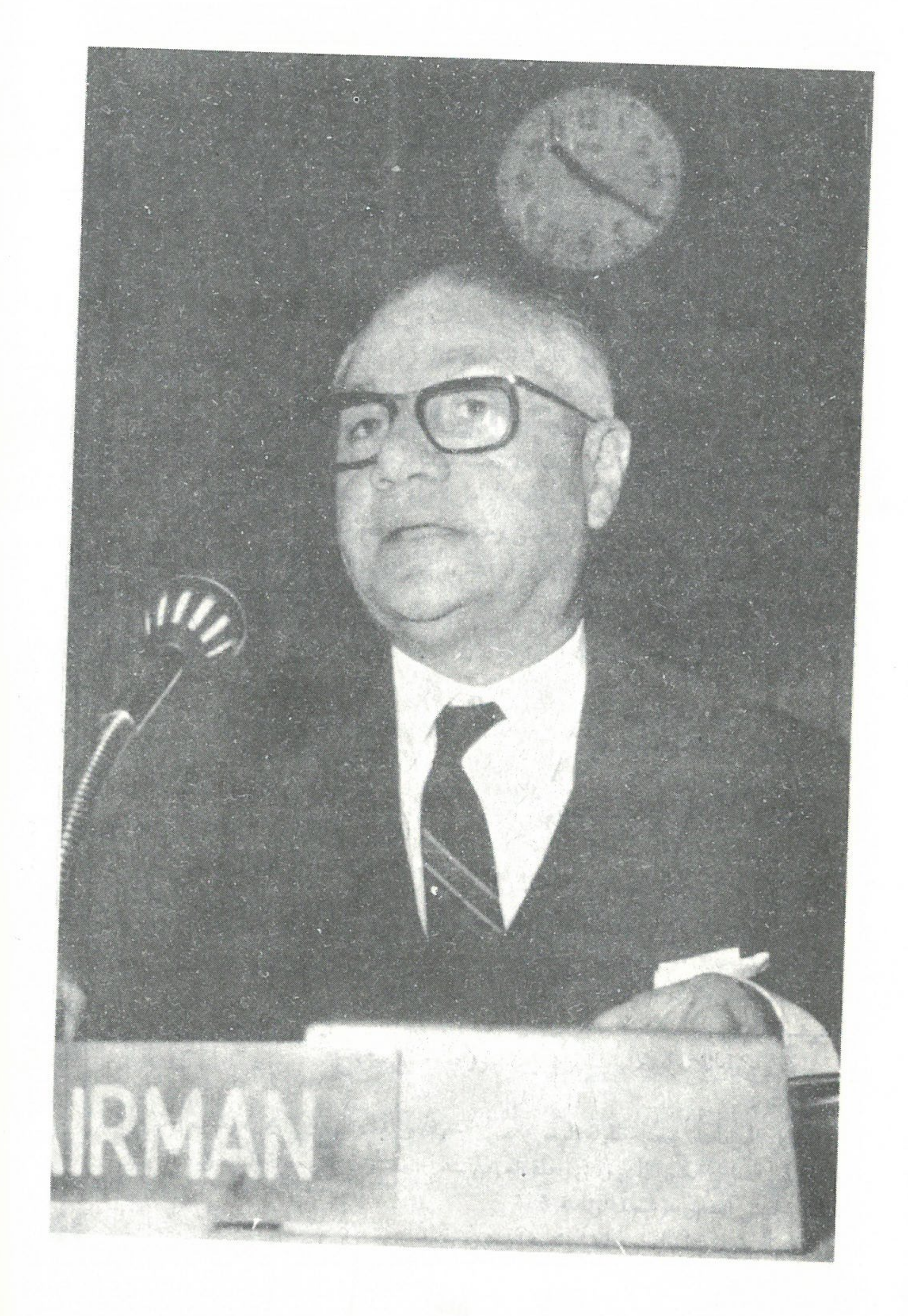
بقي لا يفهم عليه ولا يفهمون عليه ، حتى آخر لحظة من حياته . وعندما خانه قلبه وهبط من أمام منصته الخطابة في قاعة المجلس النيابي ، كان يحتدم غضباً ويأساً وقرفاً .

بقي الشيخ موريس الجميِّل يغرد خارج سربه ، ولا سرب له ، منادياً بما كان النواب والسياسيون يظنونه هرطقة وضرباً من الجنون ، محاولاً كسر القاعدة وكسر القالب وكسر التقاليد العفنة ، والتقوقع داخل الحرتقات السياسية المقرفة .

مهندس المستقبل المرحوم موريس الجميِّل ذهبت صرخته في واد ، فعلاً ، ولم يلق أذناً صاغية وهو ينده على المجلس والحكومة والذين في القصور أن يساعدوه لتحقيق فكرة بنك الأدمغة .

بعض « المجانين » مثله الذين يئسوا من امكان أي اصلاح من ضمن طبقة أهل الجبنة وأكلتها انضموا الى أفكاره ، وقالوا أنه يصلح أن يكون رئيساً .

ولكن قلبه خانه فذهب قبل أن يخونه الآخرون .



الخروف الأبيض

« الاخوت » موريس الجميل .

الشيخ ابن الشيخ ابن عم الشيخ ، الكتائبي القديم وعضو المكتب السياسي ، النائب ، رئيس لجنة التصميم النيابية ، وزير التصميم ، مالىء الدنيا وشاغل . . . رشيد كرامي : « أخوت » .

يقول الذين يتفرجون عليه من بعيد ، ويحسدونه على جلده ، انه يهدر وقته وعمره « في قضايا خيالية » . حتى الذين أقرب اليه من نظارتيه الشفافتين ينفضون أيديهم من مشاريعه : عميحلم .

على من يقرأ مزاميره ، موريس الجميل ، ويكدس المشاريع فوق الدراسات فوق الخرائط فوق . . . الرفوف ؟

حسبه من كل هذا أنه لم يضجر ولم ييأس ولم يتراجع : المشروع اثر المشروع والصرعة في ظهر اختها ، والناس يسمعون ويدهشون ، والذين من حوله يتفرجون .

براً وبحراً وجواً : مشاريع .

يوم طرح فكرة القطارات المعلقة للنقل الداخلي كادوا يصلون من أجله : شو هالحكي ؟ الى أن عمت القطارات المعلقة العالم . . . ما عدا لبنان الذي ضحكت دولته على الذي أراد له أن يسبق العالم .

غير معقول هذا الرجل ، يقول الذين يستمعون اليه متحدثاً عن مشاريعه وخرائطه .

غير معقول ، الذي يحكي لغة العلم ولغة المستقبل ؟

في هذا البلد ، المعقول هو عدم الطموح وانعدام الخيال والرضوخ لمشيئة الاقدار ، والوقوع تحت سوط التنبلة والبلادة والشطارة البلا معنى المخجلة .

لذلك يبدو موريس الجميل الكثير القراءة ، الكثير السهر ، الكثير التأمل ، كأنه سائح غريب يحكي لغة لا يفهمها أهل البلاد التي حط رحاله فيها . كأنه الحالم والخيالي الوحيد في هذا البلد الذي يحسن سياسيوه لغة واحدة ويتقنون فناً واحداً ويقرأون لسبب واحد : لغة الحرتقة وفن الحربقة ومطالعة الجريدة : . . . اذا كان اسمهم وارداً فيها !

مسكين الشيخ موريس في هذا المجلس وفي هذه الحكومة وفي هذه الدولة . يتحدث عن الخرافات ويحكي كلاماً غير مفهوم .

في مجتمع يبدو العلم والسياسة متناقضين ، وترتدي الجرأة طابع الجنون ،

وفي دولة أساسها الارتجال والارتزاق يوماً بيوم ، ووضع المشاريع واقرارها اكراماً وارضاء ،

وفي حكومة تضحك من التصميم وعليه ،

وفي حزب يفهم الواقعية على الطريقة اللبنانية التقليدية ،

وفي شعب لا يزال ، برغم مظاهر الرفض التي يتلبسها ، يخاف التغيير ،

يبدو موريس الجميل كالخروف الابيض في القطيع الاسود . يثير القهقهة عند « الواقعيين » ، والحماسة عند أصحاب الخيال ، والجدل عند الاخرين ، واللامبالاة عند المشغولين بالقضايا « الاهم » .

عندما طلع باقتراح بنك الادمغة شهق حتى الاكثر منه خيالاً .
ماذا يريد الشيخ ؟
غير واضح . انصفوه اذ لم يقولوا هذه المرة : غير معقول .
ربما استحوا منه . سايروه .

وعندما ترأس لجنة التصميم النيابية ، حولها الى برلمان من نوع آخر ، انفتحت أبوابه للمرة الاولى أمام المثقفين وأصحاب الاختصاص والخبراء والمهنيين والحرفيين .

« برلمان الشيخ موريس » ، صاروا يقولون . « نازلين على مجلس الشيخ » .

حتى رئيس الحكومة المستقيل المكلف ، الذي كان غارقاً في الحوادث والازمة الوزارية ، كان لا يتخلف عن اجتماعات لجنة التصميم النيابية .

والوزراء كذلك .

رفع لجنة التصميم النيابية الى مستوى المحاكم العليا . اشتغل . وضع تقارير

ودراسات مطولة . وضع حلولاً ودزينات من الاقتراحات . ازعج الحكومة . ازعج القصر لكثرة ما راجع وطالب وقدم من مشاريعه المعلقة الجاهزة .

لكن ما ذنب الشيخ الخيالي في علمه ، الحالم في طموحه ، العاقل حتى الجنون ، اذا كانت الدولة تمارس معه ما تمارسه عادة مع الذين يحكون لغة غريبة ويتخيلون « كالخوتان » ؟

حسبه أنه وضع شيئاً تحت الغبار ، على الرف الذي يحتله الغبار وحده .

صارت على الرف ملفات وخرائط . وصارت في الجوارير أفكار ومشاريع وأدمغة طريحة . . . الورق .

يروون عنه أنه عندما تسلم وزارة التصميم ، في الحكومة الحالية ، بكر في المجيء الى مكتبه . علق خريطة لبنان على الحائط . استدعى مجلس التصميم والموظفين الكبار . قال لهم أن اسرائيل قد تهجم في يوم على لبنان . قد تضربه . ولا يجوز في هذه الحال أن تشل الدولة . اذا ، يجب من الان التفكير في نقل مراكز الوزارات واعداد العدة حتى اذا وقع الهجوم الاسرائيلي تم النقل والانتقال بسرعة . التصميم في جونية . الاشغال في انطلياس . المالية في المتن . . . في جبيل ، في البترون ، في الدامور الى اخره .

بالطبع ، قال الموظفون في سرهم وبين بعضهم البعض : الشيخ « فارط » !

يروي خصومه ، وخصوم موريس الجميل قليل عددهم ، أنه عندما يتكلم مع ناخبيه يظنونه نائب المتن الارمني ، واذا تكلم النائب الارمني الاصيل . . . ظنوه موريس الجميل !

ربما لان الشيخ يتحدث هناك أيضاً ، في قرى المتن الشمالي ، عن بنك الادمغة ويبدو ، في نشوة الحديث ، رومنطيقياً محلقاً في حلم شاعر .

وكما هناك فؤاد شهاب وعبد العزيز شهاب ، وريمون اده وبيار اده ، وخليل الخوري وميشال الخوري ، هناك أيضاً بيار الجميل وموريس الجميل .

رئاسة الجمهورية ؟

يضحك الشيخ موريس : « أنا الان وزير للتصميم » .

لكنهم يرشحونه أيضاً .

يقولون أن الرجل غير المعقول يصبح معقولاً أكثر عندما يكون الحديث دائراً

حول منصب الرئاسة والرئيس الذي سيأتي والمرشحين الذين يزداد عددهم كلما انقضى يوم واقترب موعد الانتخاب ولو يوماً واحداً .

وهو يقول : نحن نطمح الى لبنان أفضل ، لبنان المنارة الحقيقية ، لبنان الساطل العالم بنبوغه وعبقريته ، لبنان الشاغل الدنيا ومالئها » .

ويضيف ، كأنه يعذر المستمع اليه ان لم يفهم عليه : « نحن مدرسة الخوت في هذا البلد . . . » و« الخوت » يعني المستقبل . « نحن جماعة المستقبليين » .

وجهت الى موريس الجميل الكثير من الاتهامات بشأن نظرياته العلمية السياسية . قيل أنه يستورد هذه النظريات ليطبقها في بلد لا يقبل بها . وقيل أنه يعطي النظريات ويتحدث عنها ليترنم بالكلمة الرنانة الجذابة التي تصاغ بها هذه النظريات . وقيل كذلك أنه يدرس الحاجة ويبتكر ويصوغ لها النظرية التي تتلاءم مع تحقيقها . في القولين الاولين مبالغة وجهل للواقع . وفي القول الاخير حقيقة لا بد من اظهارها .

انه في الواقع دائب منذ زمن طويل على المطالعة . انفق على شراء الكتب أموالاً طائلة . تحتل هذه الكتب جدران مكتبه وغرف الاستقبال والنوم والطعام في منزله في العاصمة وفي دارته في بكفيا . ليست هذه الكتب للزينة بل هي بالنسبة للشيخ موريس وسائل للبحث والتأملات والمراجعة وتعميق المعرفة توطئة لتحليل المعضلات العامة ودرسها دراسة علمية صحيحة وايجاد الحلول المناسبة لها على المدى القريب والى الآجال البعيدة في سبيل تحقيق مستقبل أفضل للبلد . ولا يمكن الجزم بأن موريس الجميل هو السياسي بالمعنى التقليدي للكلمة ، بقدر ما هو السياسي الذي ينظر الى الامور بعين المحلل المفكر المتأمل الذي يبحث في أسباب المعضلات ويتخيل أفضل الوسائل وأكثرها واقعية لحلها . وله ، في هذا المجال ، عدد من المؤلفات ، باللغتين العربية والفرنسية ، تتعلق بتقويم لبنان منها : التصميم الشامل للمياه اللبنانية ، التصميم الشامل لمياه بيروت ، من أجل خلق مواطن لبناني ، الجمهور والمصارف ، تصميم العنصر البشري ، قانون شركات الضمان ، الدعاية ، كما تكونون يولى عليكم ، المؤامرة الكبرى ، لبنان والاديان ، طرابلس واللامركزية ، مدينة الله ، من أجل تجربة نموذجية عالمية للانماء ، بنك الادمغة أو مصرف المصارف ، المركز العالمي لعلوم الانسان ، بيبلوس وغيرها . . .

كما أن له سلسلة من الدراسات والمنشورات عن تصميم عدد كبير من القطاعات كالتجارة والمواصلات والصناعة والزراعة والسياحة والنقد والتسليف ، في لبنان وفي الخارج ، بالاضافة الى عدد من وثائق العمل التي قدمها الى السلطتين التشريعية والتنفيذية

وعرض فيها أبرز نظرياته حول النظام السياسي اللبناني . وهو ، من خلال هذه الابحاث ، يجد بأن للبنان ، ككل بلد ، له وظيفة معينة . فهو ليس مجرد مساحة أو عدد بشري انما هو مجموعة من القيم التي تفرض في وجودها رسالة محددة يتوجب على ابنائه حملها والعمل من أجل تحقيقها . ولهذه الرسالة ثلاث أوجه : وجه لبنان داخلي ، ووجه عربي واقليمي ووجه عالمي .

ومع ذلك يظل يقول هو ، تكراراً لما يظنه البعض : نحن مدرسة الخوتان في هذا البلد . لكن المستقبل للخوتان . . . اذا كان الخوت يعني الطموح والمستقبلية .

للشيخ موريس ، شيخ التصميم في لبنان آراء ونظريات تحديثية تطورية مبنية على نظريات علمية مقتبسة من الواقع وقابلة للتحقيق . تتعلق بالنظام السياسي وبالحكم ، بالشباب ، بالادارة ، بالنظام الاقتصادي ، بتجهيز البلاد وبغير ذلك من المواضيع الهامة .

يرى أن جميع انظمة الحكم يمكن أن تؤمن مصلحة الشعب شرط أن يتوافر لكل نظام رجال مخلصون وأكفياء يحسنون تطبيقه وفقاً لاصوله ونصوصه وروحه وأن يتلاءم هذا النظام مع مستوى تطور البلاد ومع متطلبات التقبل والتفاعل والتجاوب الشعبية اللازمة لتطوير النظام تطويراً آلياً ودفعه ، بصورة طبيعية ، من مرحلة الى مرحلة اخرى أكثر اكتمالاً ونضجاً سياسيين . وهو يقسم تطور انظمة الحكم الى ثماني مراحل تبدأ بمرحلة الحكم الفردي المطلق وتنتهي بمرحلتي الدولة المشاركة (المرحلة السابعة) والدولة الانصهار (المرحلة الثامنة) . ويصنف مستوى الحكم في لبنان ضمن المرحلة الثالثة أي مرحلة الدولة الواعية المدركة . ويجد أن هذا التأخر في الرقي السياسي عائد لكون الديموقراطية التقليدية المتبعة في لبنان لا تزال في مراحلها البدائية الاولى لأنها لم تستكمل بعد جميع المقومات التي تجعلها صالحة لتحقيق اهدافها ، ولانها لم تتطور لتتكيف مع متطلبات تطور الحياة مما حد من انتاجيتها وفعاليتها . ويستشهد بذلك في عجز النظام البرلماني اللبناني وعدم فعاليته بسبب التبدل السريع الذي يشهده عالم اليوم بفعل فتوحات العلم وتطور التقنية من جهة وبفعل المطالب الاجتماعية الانسانية الجديدة التي تتزايد في الامة نوعاً وحجماً وكماً ، من جهة ثانية ، يرى أن الحل لا يكمن في تبديل النظام البرلماني الديموقراطي بل في تطوير هذا النظام وتحديثه خشية الوقوع في التوتاليتارية الحزبية أو العسكرية . ويقول الشيخ موريس بهذه المناسبة أن الشعور في لبنان هو أن الشعب والدولة فريقان لا بل عدوان يتنازعان المصالح والبقاء وان من شأن تطوير النظام ردم الهوة الفاصلة بين الفريقين وتعليق الجسر الواصل وتعميق الشعور بأن الدولة والشعب هما

فريق واحد موحد المصلحة والطموح والاهداف خاصة وأن عليهما أن يواجها مشاكل وقضايا موحدة . ويرى أن التطور يكمن ،

أولاً : بالبحث في أساس النظام واعادة النظر كلياً في مضمون مفهوم المجلس النيابي وفي طرق أعمال هذا المجلس وأصولها وفي تحديد أنواع التمثيل الشعبي وبكيفية ادراك هذا التمثيل أهدافه وبالاصول التي يتوجب التقيد بها لاتخاذ المقررات والنظم والقوانين على اختلاف أنواعها .

ثانياً : بتنظيم الشعب بشكل يمكنه من الاطلاع على القضايا العامة وان يتحسسها ويساهم في معالجتها ويشعر بأنه يتحمل مسؤولية نجاحها . ويتم هذا التنظيم الشعبي عن طريق انشاء سلسلة من المجالس التمثيلية المحلية ذات الاختصاصات المتعددة في الحقول والميادين المختلفة . وتكون مهمة هذه المجالس التشاور الدائم مع نواب المناطق حول حاجات المناطق الى المشاريع العامة .

ثالثاً : بكسر القواعد التفكيرية الموروثة من رواسب عهود الانحطاط والاستعمار والانتداب والمعتمدة لدى رجال الحكم منذ مطلع الاستقلال . والعمل ، بالوقت ذاته ، على اعتماد مقاييس ومفاهيم وأساليب للحكم جديدة تتوافق مع متطلبات العصر الحالي . لذلك فانه لا يمكن أن تستحق الدولة ، لقب الدولة ، الا اذا استكملت استقلالها . ولا يتحقق هذا الاستقلال الناجز الا بتحرير التفكير ، على صعيد الحكام والمواطنين ، من القيود التقليدية الطائفية البالية التي تليق بدولة عثمانية أكثر مما تليق بدولة لبنانية متحضرة . ولا يمكن الحكم أن يستقيم الا عندما يستعمل الحكام القانون لتثبيت الشرعية لا لهدرها . وما الشرعية الا انطباق للحكم على الاهداف العامة التي انتقاها الشعب والتي جعل منها مبرراً لوجود هذا الحكم .

رابعاً : بتنمية الموارد الانسانية والمادية في الدولة وتكوين المواطن الصالح حسب مخططات وأسس ذات طابع انساني وتقني قابل للتطبيق والتطوير نحو الاحسن والافضل .

هذا بالاضافة الى وسائل أخرى لا تقل أهمية عما ذكر ويضيق المجال على ذكرها .

الشبَاب . . .

وبالنسبة الى الشباب يقول : يمر العالم في هذه الايام بمرحلة زمنية تعتبر مرحلة المخاض للانتقال من عالم ماض الى عالم مستقبلي جديد في كل نظرياته وقواعده . وهذا ما يثير الكثير من التساؤ لات حول الوضع الزلزالي الذي يعيشه العالم اليوم والذي لا يرتكز على أسس متينة توحي بالارتياح والثقة . يضاف الى ذلك ، على حد تفكير الشيخ موريس ، أن الشباب هم أول من يطلع على هذا الوضع الزلزالي المترجرج في مختلف النشاطات والقطاعات . ولا غرو فهم ، عبر مطالعاتهم وقراءاتهم واختباراتهم في المختبرات ومراكز البحوث واستنباطاتهم من الدراسات المستقبلية ، ومن خلال المفاجآت التي يخبئها لهم المستقبل المكفهر ويولد لديهم شعوراً بالتخوف والارتباك والاضطراب ، يندفعون للتحرر من أبطال الحكم ومن أنظمته المهترئة . وعلينا ، يقول موريس الجميل ، أن نفتح المجال واسعاً لمشاركة الشباب في المسؤ وليات لتمكينهم من التعرف الوثيق على معطيات الحكم فتنظم قواعد تفكيرهم حسب موضوعية واقعية ويتمكنون ، بالتالي ، من المساهمة مع المسؤ ولين في السلطة في بلورة المستقبل واتخاذ التدابير التي تسهل السير بين العقبات التي تعترض دخولنا في معاصرة لم تستكمل ، بعد ، عناصرها في العالم بأسره .

. . . والديموقراطية

ان لبنان ، برغم صغر حجمه وقلة سكانه [illegible]ن نظام الديموقراطية المباشرة ، مما يجعله مهدداً بقيام ثورة اجتماعية مجتمعية لا يمكن التنبؤ بنتائجها. فمن واجبنا الرئيسي بل الحياتي اعادة النظر بمضمون مفهوم المجلس النيابي ، وفي الطرق التي يجب أن تتبع لتأمين التمثيل الديموقراطي الحقيقي لانقاذ البلاد من أوضاع غير صالحة لادارة شؤ ون الشعب ، ذلك ما نبه اليه الشيخ موريس الجميل في أكثر من مرة وكان يردد دائماً أن البلاد لا تعاني ازمات وزارية أو أزمات حكم بل أزمة سلطة وما ينتج عنها من تهديدات جدية لا يمكن تقدير نتائجها .

● ان افلاس الدولة ناتج عن افلاس القواعد التفكيرية ، وعن اعتماد المقاييس والمفاهيم البالية في أصول الحكم ، مما يفرض اعادة النظر في جميع هذه الاوضاع ، واعتماد القواعد السليمة التي تتوافق ومتطلبات العصر الحالي حتى يصار الى تجنب الكارثة التي

اصبحت وشيكة وبدأت تطل بوادرها في الوقت الحاضر .

● ان هذه القواعد التفكيرية الموروثة ، هي بقايا الفتنة ، من مخلفات عهود الانحطاط والاستعمار والانتداب . هذه العهود التي جلت عن البلاد مادياً ولكنها خلفت وراءها عقلية تخلفية وحدا من آفاق السلطات والمؤ سسات ، وهذه القواعد هي كارثة البلاد الحقيقية لانها تتضمن جميع المقاييس التي يعاد اليها عند اتخاذ أي موقف . وهكذا فان البلاد استقلت مادياً سنة 1943 وتحررت من الاجنبي ولكن تفكير الانسان اللبناني لا يزال بحاجة الى تحرير ، ذلك ما أدى الى استبدال المستعمر الاجنبي بمستعمر آخر هو المواطن محتكر الاستفادة من الوضع القائم .

لذلك فان من واجب الدولة ، لكي تستحق لقب دولة ، أن تقوم بدور استكمال الاستقلال ، أو تحقيق الاستقلال الحقيقي عن طريق تحرير التفكير من قيوده التقليدية ، فيصبح بالامكان الانطلاق الى بناء دولة معاصرة ، لانه من المستحيل بناء دولة معاصرة بواسطة قواعد تفكير عثمانية .

على هذا أن من الواجب عدم التفكير كما اعتدنا بتقسيم المناطق حسب أهواء ورغبة الدولة وأغراضها وأهدافها من الوجهة الانتخابية ، بل يجب اعادة النظر كلياً :

أولاً : بمضمون مفهوم المجلس النيابي
ثانياً : بطرق وأصول الاعمال في المجلس
ثالثاً : بتحديد أنواع التمثيل الشعبي
رابعاً : بكيفية وأصول تأمين ادراك هذا التمثيل أهدافه
خامساً : بأصول اتخاذ المقررات والنظر والقوانين على اختلاف أنواعها .

الديموقراطية العصرية

الديموقــراطية العصرية اليوم هي الديموقــراطية بالمشــاركة ، وهــي تختلف عن الديموقراطية المباشرة ، هذا اذا استخدمت كلمة ديموقراطية عوض عن استعمال التعبير الصحيح وهو « التمثيل المباشر ، أو التمثيل المشارك » .

● ان مفهوم القانون ومداه تغير في العصر الحاضر ، فأصبح يستخدم لتحديد مواضيع تقنية غير قابلة الجدل ، مما ولد تبدلاً في طريقة استصدار القوانين وفي أهداف هذه

القوانين فلم يعد المجلس النيابي السلطة الصالحة لاستصدار التشريعات بل أصبح ذلك من اختصاص أجهزة متخصصة ، ومن ناحية أخرى فقد تحولت القوانين الى اتفاقات بين فرقاء أكثر مما هي قاعدة واجبة الاطاعة .

ان تشريعاتنا بالنسبة الى تطور التشريع في العالم لا تزال بعيدة جداً عن المعاصرة في كل ما توافر لها من قيم عملية وتقنية .

ازاء هذا الوضع الناتج عن فشل الدولة في معالجة مشاكل المواطن ، لا يتعجب أحد اذا ما لجأ المواطن الى طائفته التي هي نوع من التجمع البشري المتضامن نسبياً بقصد الحصول على الدعم اللازم لتأمين حد أدنى من الحماية التي يحتاج اليها . ولن تتمكن البلاد من اجتياز هذه المرحلة التي تحول فيها المجتمع الى مجتمعات متنافسة الا اذا تحرر التفكير وتركز على القواعد العصرية السليمة التي تسمح للشعب بان يدافع عن حقوقه وأن يعالج أموره ومشاكله في اطار مجتمع واحد متكامل دون اللجوء الى وسيلة الطائفية المفرقة والتي هي الان الركيزة الاساسية للحساسية السياسية وللتفكير الرجعي لانها المخرج الوحيد الذي يلجأ اليه المواطن للحصول على حقه أو لاتمام رغباته .

الادارة في لبنان ترتكز على مبادىء وأسس ترجع الى العصر الماضي ، أي قبل أن ترتفع الادارة الى علم وتقنية وتخضع اذن الى أصول فنية دقيقة تجعلها منتجة وفعالة .

يرسم الشيخ موريس للادارة أربع لوحات :

1 ـ اللوحة الاولى وهي اللوحة العضوية Anatomique نعني اللوحة التي تبين عضوياً كل وحدة من الوحدات الادارية كجسم .

2 ـ اللوحة الثانية وهي اللوحة العضوية التفاعلية Physiologique تبين الارتباط العضوي ما بين الاعضاء وحركة التفاعل بينها .

3 ـ اللوحة الحياتية وهي تبين كيفية مجابهة الادارة مقتضيات سير الحياة .

4 ـ اللوحة التوالدية الـ Génétique وهي التي بعد تبيان النواقص تخلق الاعضاء اللازمة لسد نواقص الاجسام الناقصة وخلق أجسام بصورة مستمرة لمجابهة الحاجيات الجديدة أم المستحدثة حتى تبقى هذه الاجسام كاملة ومتكاملة .

ويتبين من اللوحات الثلاث الاولى أنه ليس في هذه الدولة أي وحدة ادارية مستكملة جميع مقوماتها لتكون منتجة وفعالة .

اذن لا غرابة اذا شاعت الرشوة والوساطة وغير ذلك من التجاوزات في الادارة

اللبنانية لانها عضوياً وفيزيولوجيا عقيمة من الاساس وغارقة من جهة أخرى في متطلبات متزايدة من الحياة متروكة على هوانها . وحيال هذه الحاجيات الحياتية ، فالادارة العقيمة تجعل الدولة غائبة وما يذهل أن هنالك 49 ألف موظف معبئين في اطارات عقيمة أساساً فيدفع الشعب رواتب موظفين ونفقات ادارة للحصول على لا شيء لان ما يجري حالياً من تصريف للاعمال هو بفضل ضغط الطبيعة وفضل بعض الموظفين تلقائياً وليس بفضل التنظيم القائم وكله نواقص .

هناك قوانين موروثة في عهد الانتداب انتقلت اليه من العهد العثماني لم تعد تتفق وروح العصر ، فاقتراحاته العملية لتحديث الدولة هي عن طريق تعديل بعض الأنظمة والقوانين تلاؤماً مع ضرورات العصر وأوضاع البلاد وقد كانت وجهة نظره ، العمل لرفع الكابوس المظلم عن مخيلة الدولة ، وتبسيط الاصول القانونية المعمول بها في بعض المؤسسات . ان السبب في خمول الدولة وتقصير الاجهزة فيها أحياناً عن القيام بواجباتها لا يعود فقط الى إهمال الموظفين وعدم أهليتهم بل الى هذه التعقيدات في الانظمة والقوانين التي لم تعد تتوافق مع مقتضيات الدولة ولم تعد تتماشى بالتالي مع دور مؤسساتها العصري ، وعندما يتقدم أحد الملمين بالشؤون الوارد ذكرها باقتراحات أو دراسات تستهدف معالجة العلة يطالعه المسؤولون بالجواب الارتجالي المألوف : لا تسمح الموازنة فكأن هذا الجواب قد وضع في مفكرة الحكم ليحفظه المسؤولون عن ظهر قلب أو كل من يتسلم مهام المسؤولية من بعدهم لتغطية مجالات التقصير والفشل .

فالمشكلة في العالم بأسره ناجمة عن تفاعلات نتائج العلم وتأثيرها على السلطة عامة ، والحكم خاصة ، اذ أن الاكتشافات العلمية المتصاعدة بسرعة هائلة وما يتبعها وينتج عنها من تقلبات تغير يومياً المقاييس والمفاهيم ، وتفرض الانتقال من أساليب وأسس وتجهيزات الى غيرها .

ويبدو أن في العالم اليوم هوة شاسعة بين المعرفة والسلطة وامكاناتها ، وهذه الهوة تزداد يوماً بعد يوم بسبب البطء في استيعاب السلطة المعرفة وسرعة التطور والابتكار والاكتشاف في حقل العلم نفسه فنتج عن ذلك مجموعة من المشاكل ، أو بالاحرى من المخاطر .

ان جميع المؤسسات في العالم اليوم تعاني من المصاعب بسبب هذا الوضع ، فضلاً عن ذلك فان البشرية ترزح تحت كابوس هائل من الجمود .

وقد سعى الشيخ موريس لعقد مؤتمر « السلطة والمعرفة » الذي حضره البروفسور

ماروا رئيس مؤسسة الحياة العالمية والبروفسور ماكس انكران الامين العام للهيئة الدولية المنبثقة من المؤتمر العالمي لمهندسي البناء وذلك لدرس الواقع الراهن وما يسبب من متاعب للانسان وبغية تأمين الصلة بين المعرفة والسلطة حتى تستفيد السلطة من المعرفة والمعرفة من السلطة فتتضامنان وتتوحدان لخدمة أوضاع الانسان .

موريس الجميّل والتصميم

التخطيط في نفس الشيخ موريس هوس وهواية تحولا ، مع الممارسة والمطالعة ، الى علم والى تخصص في التوقعات المدروسة للمستقبل . له في مجال التصميم عدد كبير من المؤلفات . ترجع الاولى منها الى الاربعينات . فعندما كان الحكام يجهلون نيات اسرائيل المبيتة تجاه لبنان وتجاه مياهه ، كان الشيخ موريس ينادي باجراء تصميم شامل للمياه اللبنانية بغية ابعادها عن المدى الاسرائيلي وعن سيطرته . وعندما دخل الندوة النيابية اختار لجنة التصميم النيابية ليعمل في محرابها لانه يعتبر أن هذه اللجنة يمكن أن تساهم في نشاطات جميع اللجان البرلمانية كما يمكنها أن تشرف على نشاطات جميع الادارات العامة . وهكذا كان . وقد سانده في هذه المهمة في الوزارة الرئيس كرامي ، في الندوة البرلمانية الرئيس صبري حماده . فزودت لجنة التصميم النيابية بجهاز فني يعمل من أجل وضع الاسس لمبدأ المشاركة الذي نادى بتطبيقه الرئيس كرامي آنذاك بالاتفاق مع الشيخ موريس . فوضعت بعض الوثائق عن الاوضاع السياسية والتعليمية في البلاد ابان الازمة السياسية التي عاشها لبنان خلال عام1969 . وبنيت هذه الوثائق على آراء ممثلي مختلف الهيئات النيابية والجامعية والفكرية والنقابية والنسائية والمهنية . وكانت بذلك محاولة أولى للحوار بين الشعب والسلطات ، ومقدمة مقبولة لمبدأ المشاركة . ثم شكلت الحكومة الاخيرة . ووزعت الحقائب . فقيل عنها ما قيل ، كما يقال عند تشكيل كل وزارة . ولم يقل عن موريس الجميل ، وزير التصميم ، الا أن الرجل المناسب في المكان المناسب .

وكان له في شؤون التصميم رأى معروف ، وفي تنظيم الجهاز الذي يتولى تحريك التصميم في البلاد رأى ما لبث أن أعلنه .

قال : ان وزارة التصميم العام هي ادارة هرمة ـ فتية . هي ادارة هرمة وشبه عقيمة لانها رغم انشائها منذ حوالي15 سنة لم تتمكن من تأدية مهامها على الشكل الافضل في

حقل التخطيط الذي انشئت من أجله . وهي ، بالوقت ذاته ، ادارة فتية لان قدرة النمو لا تزال تكمن فيها ولأن المجال لا يزال أمامها مشرع الابواب لاداء مهامها حسب المستلزمات التي تفرضها أصول التنمية الحديثة في عالمنا السريع التطور والتقدم . أبرز أسباب التأخر عن الركب هي ، حسب قوله ، عقلية وأساليب ومناهج بالية تسود العمل السياسي والعمل الاداري في لبنان منذ زمن بعيد . ويعدد الشيخ موريس ، في مؤتمراته الصحافية ، الاسباب الاخرى التي ساهمت في تجميد أعمال التصميم والتنمية .

من هذه الاسباب :

ـ ان فكرة التصميم لا تزال مبهمة وغامضة لدى المسؤولين في الادارة العامة على مختلف درجاتهم ورتبهم كما أنها لا تزال مجهولة من قبل الجمهور .

ـ ان السلطات العامة لم تبد حتى تشكيل الوزارة الحالية ـ باستثناء ما قام به الرئيس شهاب في حقلي التصميم والتنمية ـ رغبة واضحة وحازمة ومستقرة لاعتماد التصميم في وضع سياسة الدولة وفي تحقيق هذه السياسة حسبما تقضي بذلك أصول التنمية الصحيحة .

ـ ان الادارة اللبنانية لا تزال تعيش في جو الاساليب الادارية العتقية المبنية على التجارب الجاهلة المتعثرة وعلى الارتجال وعدم التكهن ، كما أن هذه الادارة العامة لا تزال تفتقر افتقاراً كاملاً الى موظفين وخبراء يجيدون تقنية التصميم وأصوله ونهوجه أو يمكنهم ، على الاقل ، ممارسة هذه التقنيات بالشكل الذي تقتضيه أدنى الحاجات التي تتطلبها المصلحة العامة .

فالتصميم في لبنان ، هو رغبة تنتظر التحقيق . والتصميم في لبنان روح ترتقب التجسد .

وخطة العمل لبناء التصميم في لبنان هي ، في نظره ، خطة شاملة تتناول مختلف العناصر التي يجب أن يقوم عليها التصميم .

من أبرز هذه العناصر :

ـ تحديد فكرة التصميم وغايته بشكل علمي واضح لا يتحمل اللبس ولا الغموض .

ـ خلق الجو الاجتماعي والنفساني والتقني الملائم للعمل التخطيطي في الادارات العامة ولدى مختلف طبقات الامة على حد سواء .

ـ اعداد رجال التصميم اعداداً تقنياً حديثاً متطوراً .

ـ تعديل بنيات دوائر التصميم في الدولة بطريقة تتناسب مع متطلبات الامة النامية .

ـ تنظيم العلاقات بين ادارة التصميم العامة وبين مختلف القطاعات الاقتصادية والاجتماعية بطريقة مرنة تؤ من ترسيخاً وتركيزاً لمبدأ المشاركة .

وما التخطيط هذا الا أساس من أسس الانماء ، الانماء الشامل المتكامل لامكانات الامة ، الذي طالما بشر به موريس الجميل وحمل رايته خفاقة منذ عشرات السنين بغية جعل لبنان دولة حديثة يمكن التفاخر فيها بين الامم .

النظام الاقتصادي

أزمة النظام هي ، في نظر الشيخ موريس الجميل ، أزمة الليبرالية نفسها . أدت هذه الازمة التي تخبط لبنان في فوضى سياسية واقتصادية واجتماعية . فالازمة الحالية ليست أزمة خزينة فارغة أو ضرائب لا تجبى أو وضع مصرفي متدهور بقدر ما هي أزمة نظام اقتصادي بأكمله لا يتلاءم وحاجات الشعب وتكنولوجية العصر والمعطيات القائمة في العالم . فالاوضاع الاقتصادية الحاضرة ليست الا امتدادا لاوضاع وطرق اقتصادية زالت وانقرضت بزوال الاسباب التي أوجدتها . لذلك عندما نجت بأمر التغلب على أزمة وسائل وطرق اقتصادية تكون في الواقع تسعى الى احياء ميت . وما يتوجب علينا ، في هذه الأيام هو الانتقال من اقتصاد زالت معطياته وطرقه الى اقتصاد حديث جديد يتناسب في جوهره وفي معطياته مع مستلزمات العصر الحديثة .

الاقتصاد ، يقول الشيخ موريس : هو كلمة من الكلمات التي تغطي مجموعة من الامور لذلك فانها تخلق الغموض والابهام . وبما أن هذه الكلمة هي عامة شاملة فقد أدت الى خلق تشريعات ونظم وتنظيمات (دوكمه) تصلح لكل الامور وهذا ما جعل كل الانظمة غير منطبقة بدقة على الواقع والحاجة وغير مجدية أو فعالة في حقل الانماء الاقتصادي بالرغم من حسن النوايا والمقاصد التي كانت ترمي اليها هذه الانظمة العامة وهذه القوانين . علينا أن نعيد النظر في تنظيم الاقتصاد اللبناني تنظيماً حديثاً وأن نلجأ الى تقنيات التنظيم العلمية بدلاً من أن نلجأ عند وقوع الحوادث ، الى الفلسفة والى الايديولوجيات لمعالجة المعضلات الاقتصادية . فالاقتصاد ، علم . والاقتصاد تقنية . والاقتصاد حياة . وليس الاقتصاد ميتافيزيقية . ولا الاقتصاد فلسفة . ولا الاقتصاد ايديولوجية بل هو واقع يتوجب التطلع اليه بعين بصيرة عاقلة واعية .

وعامل التقنية في الاقتصاد يهيمن ، كما يقول موريس الجميل ، في مختلف البلدان والانظمة السياسية سواء في الاتحاد السوفياتي أو في الولايات المتحدة الاميركية . واذا كانت النظريات ، في هذين البلدين تختلف في جوهرها وفي مظهرها ، فانها في الحالتين تتفق في الغاية وفي الهدف اللذين ترمي اليهما هذه النظريات . الفرق يكمن في طريقة الحكم لا في الاهداف الاخيرة . لان في هذا البلد كما في ذاك ينادون بالعدالة الاجتماعية ، ويبشرون بالانسان كهدف وغاية يتوجب العمل من أجل خدمتها . لذلك فان الصراع حول الاقتصاد وتنظيمه بالاستناد الى نظريات فلسفية وايديولوجية هو صراع عظيم وغير مجدٍ وغير واقعي . وما نحتاج اليه في هذا البلد ، يقول الشيخ موريس ، هو تشريع مرن سهل التكيف مع حاجات اللبنانيين ومع متطلبات المركب الاقتصادي في هذا البلد . ويتوجب في هذه الحالة أن يؤ خذ بعين الاعتبار كل عامل وكل عنصر وكل قطاع يشكل هذا المركب . بحيث يتوجب على الدولة النظر اليه بشكل واضح ومفصل ومبرمج بشكل يؤ من تنسيق حركة هذه العوامل والعناصر والقطاعات وجعلها منسجمة ومتوازنة ومتفاعلة تفاعلاً ايجابياً يؤ من للامة زيادة في الناتج الوطني ، وللمواطن زيادة في الدخل يرفع مستواه المعيشي ويحسن وضعه النفسي والاجتماعي .

وقد سعى بعد تسلمه رئاسة لجنة التصميم النيابية ، أن يخرج هذه الفكرة من حيز التخيل الى حيز العمل . فدعا منظمة الامم المتحدة والمأكولات المتخصصة التابعة لها لعقد مؤ تمر غايته توضيح مرتكزات الاقتصاد اللبناني والمشاريع الانمائية التي يحتاج اليها لبنان .

فعقد المؤ تمر بالفعل في بيت مري . وقد أعدت ، بناء لتوصيات المؤ تمر ، وثائق العمل اللازمة لاظهار الكيان الاقتصادي والاجتماعي اللبناني بوضوح وموضوعية .

قضية فلسطين

ماذا عند وزير التصميم بالنسبة الى القضية الفلسطينية ؟

« لم تكن هناك مشكلة تعرف باسم مشكلة فلسطين في جميع أدوار التاريخ وانما نشأت هذه المشكلة في اليوم الذي نشأت فيه الحركة الصهيونية العالمية واستهدفت أن تجعل من فلسطين نقطة ارتكازها .

والحركة الصهيونية هذه ليست حركة انسانية ولا حركة اجتماعية أو اقتصادية وانما

هي في حقيقتها وفي واقعها وفي أهدافها ومراميها ، حركة استعمارية عدوانية استغلت الدين اليهودي أسوأ استغلال وتذرعت لقيامها ووجودها بأسباب باطلة وحجج واهية ولكنها مع ذلك وجدت من الظروف السياسية في العالم والاحوال الاقتصادية ما جعل منها أداة لخلق الحروب والازمات وتنفيذ المطامع والشهوات .

ولقد حاولت الصهيونية أن توهم اليهود وان توهم معهم العالم بأن اليهود شعب ، وان لهذا الشعب حقاً دينياً وتاريخياً في فلسطين .

ان الشعور الديني لا يعطي حقاً سياسياً ، وفلسطين بلد مقدس عند المسلمين والمسيحيين واليهود .

أما بالنسبة للادعاء التي تدعي الصهيونية بموجبه أن لها حقاً تاريخياً في فلسطين ، فان هذا الادعاء لا يمكن أن يكون وسيلة تبرر بها الصهيونية مطامعها في فلسطين ، لان صلة اليهود بفلسطين قد انقطعت منذ القرن الاول بعد المسيح ، بينما لم تنقطع صلة العرب بفلسطين عبر القرون .

هذا وقد حاولت الصهيونية العالمية أن تتخذ من وعد بلفور حجة قانونية تبرر بها مطامعها في فلسطين ، وهذا الوعد الذي قطعه شخص الى شخص آخر ليست له صفة وتبرع بموجبه بما لا يملكه ، انما هو وعد باطل من أساسه ، ومخالف لمبادىء العدالة والديموقراطية وحق تقرير المصير . . .

وعلى كل حال . . فان مشكلة فلسطين قد خلقتها الصهيونية العالمية ، وتعاون معها في خلق هذه المشكلة ، بعض الدول لتحقيق مطامعها وأهوائها . . وقد لعبت بريطانيا دوراً رئيسياً في خلق هذه المشكلة كما كان لها دور أساسي في كارثة فلسطين .

ظن جماعة المسؤ ولين في البلاد العربية أن أنجح سياسة يتبعونها تجاه اسرائيل هي تجاهل اسرائيل وتجاهل تفكيرها وأهدافها وأعمالها ومشاريعها ، واغماض العين عنها ، متبعين بذلك ما يسميه موريس الجميل « سياسة النعامة » التي وهي تغمض عينها عن الخطر المداهم ، تظن أنه يرتفع عنها ، وهذه السياسة هي التي حالت بين المواطنين وبين الاطلاع على ما يجري في اسرائيل .

ومن أكبر الاخطاء التي ارتكبتها الحكومات العربية المتتابعة بشأن سياستها الاقليمية تجاه اسرائيل ونشاطها ، انها كلفت موظفين ثانويين القيام بمهمة توجيه هذه السياسة تلك المهمة الدقيقة الخطيرة ، واضعة بذلك هؤ لاء الموظفين وجهاً لوجه أمام أعظم رجال دولة

اسرائيل ، وأهم عملائها وفنييها الذين يقومون بعملية بناء دولتهم وتوطيد ركائزها ليل نهار .

ان الحرب الحقيقية التي يفرضها علينا واقعنا انما هي حرب ذات معارك ثلاث :

1 ـ معركة التحرير من الماضي .

2 ـ معركة تحصيل المعرفة .

3 ـ معركة تنفيذ هذه المعرفة في مشاريع ثورية انقلابية بناءة ، هي خبزنا الذي به نعيش .

فالصراع القائم حالياً في المنطقة ، وفي العالم أجمع ليس صراع شجاعة وفدائية وسيوف ومدافع وقنابل ، بل صراع جرأة في تعصير التفكير أي جعله عصرياً وتحصيل المعرفة واستغلال العلوم التقنية الى أبعد حد من الاستغلال .

فلندع جانباً السيوف البراقة ، ودوي المدافع الى حينها ، ولندع بصورة خاصة الحديث عنها ، ولنقتحم معركة المعرفة اقتحاماً جريئاً يؤ دي بنا الى بناء بلادنا وتوطيد وجودنا والا انتحرنا انتحاراً أبله .

ويضيف الجميل : أن قضية فلسطين والعدوانات الاسرائيلية تشكل عارضاً لمرض خطير تتخبط فيه البلدان العربية . ولا يمكن القضاء على هذا العارض ومعالجة القضية الفلسطينية معالجة عادلة تعيد الى العرب حقوقهم الا بمعالجة المرض من أساسه .

كانت الدولة اللبنانية حيال هذه الخلافات تقوم بدور المتفرج وتكتفي ببعض المراجعات السطحية منعاً لاثارة الحساسيات وتطبيقاً لمبدأ الحياد المحكي عنه . لكن ذلك لم يعد يتناسب مع أوضاع البلاد وتكوينها . وأصبح من الواجب على السلطات السياسية أن تحدد موقفها بصراحة من الخلافات والانشقاقات العديدة ومن القضية الفلسطينية بالذات . وأن تظهر الاسباب الحقيقية للامور وتكشف المتناقضات والمواقف المتضاربة التي تفرضها بعض المصالح وذلك طمعاً في ايجاد الحلول الفعالة للقضاء على تلك المشاكل . وليس بالمستغرب أن نعيش هذه المشاكل بالمخططات المتناسقة التي تؤ دي الى « المكاملة » بين البلاد العربية . وبفضل هذه « المكاملة » يمكن ازالة تضارب المصالح والمتناقضات التي تنبع منها الازمات والخلافات ، ويمكن ، بالتالي ، القضاء على كل المشاكل بسرعة وفعالية ، ومنها ، القضاء تدريجياً على الغطرسة الصهيونية والعدوان الاسرائيلي وحل المشكلة الفلسطينية حلاً جذرياً يتناسب مع الاوضاع العربية . ويتوجب على وزارة الخارجية ، في هذه الحالة ، أن تعي الموضوع بمختلف مظاهره وأعماقه وأن تحلله

تحليلاً عملياً صحيحاً وأن لا يكون تصرفها ، هنا ، تصرف المنتقد ليس الا .

وفي 2 شباط 1967 تحدث الشيخ موريس عن دور لبنان الفعال حيال القضايا العربية والخلافات العربية فأوضح ، باسم نواب الكتائب في اجتماع اللجنة الخارجية ، وجهة نظر الحزب من الشؤون الطارئة . . . وقد استغرق حديثه ساعة كاملة . وننشر بعض ما جاء فيه :

ان قضية اسرائيل في مرحلتها الحاضرة تشكل عارضاً للمرض الذي تتخبط فيه البلدان العربية ، ولا يمكن القضاء على هذا العارض الا بمعالجة المرض من أساسه ، وقد وصلت البلدان العربية في معاملاتها بين بعضها البعض ، الى محاربة حقيقية ، كان الاجدر أن تجابه بها العدو القائم في وسطها .

اذ ذاك يتوجب علينا أن نطلع الرأي العام على هذه الظاهرة بالذات ، وأن نعمل لايجاد وعي عربي شامل لمجابهة هذا الوضع السيء .

ان قضية اسرائيل في الواقع ، تستعمل اليوم ستاراً تلعب من ورائه الخصومات والمطامع المتناقضة بين الدول العربية ، ولو على انقاض الهدف الاساسي .

ويتوجب على لبنان أن لا يبقى نائماً تحت ستار لفظة « الحياد » التي أصبحت بتعدد معانيها فارغة من كل معنى .

ففي المرحلة السابقة ، كان من الحكمة ، بالنظر الى المعطيات آنذاك ، أن تتمشى وزارة الخارجية على أسس حياد هو أشبه بالتحفظ وأقرب الى الابتعاد عن الامور منه الى معالجتها ، لا يمت بصلة الى الوساطة الفعالة ، مكتفية ببعض المراجعات السطحية جداً منعاً لاثارة الحساسيات ، أما الان فلم يعد من المعقول أن تلتزم وزارة الخارجية بالنهج الذي اتبعته فيما مضى ، لان من واجباتها توعية الرأي العام ، وتنبيه الشعب الى الوضع بصورة واضحة جلية مليئة بالجرأة والصراحة .

وهكذا تبين اسس الخصومات والعداءات والمشاجرات بين البلدان العربية ، والانشقاقات الناتجة منها ، باظهار الاسباب الحقيقية للامور لا الظواهر الديبلوماسية وبكشف المتناقضات والمواقف المتضاربة التي تفرضهبعض المصالح ، وذلك طمعاً في ايجاد الحلول الفعالة للقضاء على تلك المشاكل .

ونحن نعلم ، أنه من الطبيعي أن تكون الدول العربية ، التي تحررت من الاستعمار الاجنبي في هذه الفترة القصيرة لا تتجاوز الثلاثين سنة ، مليئة بأسباب

الخلافات ، فقد اقتضت للبلدان الاخرى في العالم ، المعروفة بتقدميتها مئات السنين للتخلص من ينابيع الخلافات التي ذكرنا .

ونجد على ما نقول برهاناً قاطعاً في البلدان التي تشكل أوروبا ، فقد نضجت هذه البلدان الى حد سمح لها بأن تقضي على أسباب الخصومات ، وتتصرف بالعوامل الطبيعية المشتركة ، فتبني على أساسها مخطط « المكاملة » ، وبفضل هذه المكاملة لم يعد هناك تضارب مصالح ومتناقضات ، تنبع منها الازمات والخلافات والحروب .

ويجب على وزارة الخارجية أن تعي وتطلع الرأي العام ، أن تحليل وضع معين لا يعني انتقاد احدى الدول العربية أو بعضها ، ولا انتقاصاً من سيادتها ، ولا تدخلا في أمورها ، لكن تشخيصاً للامراض ، وهناك فرق كبير بين التشخيص والانتقاد ، فاذا كان الانتقاد لا يجوز الا في نطاق حدود اللياقة والعرف الديبلوماسي واللباقة السياسية ، فالتشخيص هو تصور لواقع يفرض نفسه دون تقييم هذا الواقع ، فالتشخيص يؤدي الى العلاج العملي الفعال لا الى الانتقاد .

وما يسرنا نحن معشر الكتائب ، وما يؤكد حسن نيتنا وارادتنا المخلصة في خدمة العالم العربي ، هو أن الاخصائيين عندما أرادوا أن يخوضوا معركة البناء ، عوضاً أن يضيعوا الوقت في خوض معركة الانتقادات ، وهكذا درسنا العوامل الطبيعية المشتركة التي بفضل تصميمها تصميماً شاملاً ، تنتفي المصالح المتناقضة في سبيل المصلحة العامة الموحدة والموحدة للجميع .

هذا هو دور لبنان الحقيقي الفعال ، بعيداً عن السبات العميق بالملقب بالحياد . وعلى هذا الاساس نتمنى على وزير الخارجية أن يأخذ المبادرة في هذا الاتجاه السياسي الجديد .

وبما أن وزير الخارجية ليس الا ممثلاً الى جانب الممثلين السياسيين للبلاد ، نتمنى على اللجنة الكريمة أن تبلغ رغبتها رسمياً ، وبذلك يتسنى للوزير ، مستنداً الى رأي ممثلي الامة وأسياد التوجيه السياسي في البلاد ، أن يقدم على تغيير النهج والاسلوب ، وبذلك يستطيع لبنان أن يقوم بدور فعال حقيقي ، بدلاً من أن يتستر وراء الكلمات ، ويكون تابعاً لتطور الامور وانزلاقها الى أسوأ ، فيكون دوره دور المبادر المنقذ .

البوليس الدولي

في رأي موريس الجميل أن استقدام بوليس دولي ، اذا كانت هذه العملية ممكنة ، ليس هو الحل . انه يساعد على استمرار أوضاع قائمة الى أن يتسنى وجود حل آخر ، حل حقيقي .

الا أنه يقول بضرورة اظهار رسالة كل بقعة من أراضي العالم حتى ينبع من هذه الرسالة الموقف السياسي الامثل .

وبالقاء نظرة على البقعة الجغرافية والبشرية المسماة لبنان يبدو لنا أن الطبيعة رسمت ما يجب أن يكون لبنان . فرسالة لبنان ومبرر وجود لبنان أن يكون عالمياً . فكان علينا إذاً أن ندرس الخطة التي تحقق هذه الرسالة وبفضل تجسيدها تبرير وتركيز وجود لبنان .

وأصبح الان لدى الشيخ موريس الجميل ستة عشر مشروعاً اذا أقيمت وحققت لكرست هذه الرسالة العالمية وجعلت العالم بأسره يهتم بكل ما يمس في لبنان كقاعدة عالمية . فاذا كانت سويسرا لم تمس بالرغم من الحروب التي مزقت أوروبا وبنوع خاص الحربين العالميين الاخيرين فاذا كان لم يهمز أحد المتحاربين نحو سويسرا فذلك ليس بسبب قوتها وجبروتها ولكن لان سويسرا كانت قد مكنت رسالتها العالمية ، فتجمعت فيها مصالح الدول المتحاربة وفرضت على هذه الدول تقديس سويسرا . اذن الحياد والبوليس الدولي لا يقرران بمرسوم أو قانون . ولا حتى في معاهدة . الحياد هو عامل تفرضه الطبيعة وليست ارادة الناس الا ضمن اطار تسهيل مهام الطبيعة بسياسة حكيمة مكيفة لحاجاتها . أما البوليس الدولي كما قلت فلا يمكن الا أن يشكل عارضاً لتجميد وضع على علاته .

حياد لبنان

وقد تحدث الشيخ موريس في أحد اجتماعات اللجنة الخارجية البرلمانية عن مفاهيم الحياد اللبناني . فقال أن مشكلة فلسطين أصبحت ستاراً نختبىء وراءه لتأمين بعض الاحداث أو الحاجات لا للقضاء على وضع اسرائيل بالذات . وأضاف لنرجع الى المرض الحقيقي في البلاد العربية . وهذا ليس انتقاداً بل تشخيصاً للداء . فيجب على المسؤ ولين ايجاد العلاجات المفيدة لها . والغايات منوعة . منها شخصية لبعض المسؤولين ولتدعيم

مراكزهم . ومنها ما له علاقة بمطامع دول ببعض الشؤون في الدول الاخرى ، ومنها بضاعة للسوق الديماغوجي الداخلي . فعلينا في لبنان ونحن نتمتع بتكوين شعبي خاص بنا يجمع بين التيارات المتعددة أن نقلع عن طريق الحياد في معانيه المتعددة لأن كلمة الحياد أصبح لها مجموعة من المعاني يمكن أن تستحق الشجب .

ويضيف الشيخ موريس في تصريحه في اللجنة الخارجية البرلمانية :

فاذا أمعنا النظر وجدنا أن الحياد لم يحدد بطريقة موحدة لان لكل مساهم في شؤ ون العرب فكرة خاصة تختلف عن فكرة الاخر . لذلك تصدر عنا الكلمات الرنانة والمخططات التي تتخذ شكل العموميات . فلم يعد جائزاً أن نسمح بالبقاء على هذا الاسلوب الذي يلقب خطأ بالحياد ، لان الفرق كبير بين العمل المطلوب بالحياد لتأمين الهدف المتوخى وبين تكثيف الايادي والذهاب في سبات عميق . وعدم الاقرار بالواقع ليس بالحياد . المطلوب أن نكون ايجابيين فعّالين ، واقعيين بكل معنى الكلمة . وأن نقول لمن معه حق : معك حق . لذلك أصبح من المتوجب أن نحدد الكلمة التي نقولها حتى لا يكون هناك التباس في المعنى المطلوب . وعلينا أن نقلع عن طريقة النعامة ونزيل الغشاوة . وأن نبدأ بكل جرأة في درس أوضاع كل بلد عربي بمفرده . وأن نحدد ما هي الاوضاع التي يشكو منها . وان نرى ما اذا كانت هذه الاوضاع متناقضة مع أوضاع جاره . وان نسعى مع جاره السليم لان نذلل أسباب الخلافات القائمة بين البلاد العربية والتي تؤدي للاسف الى بعض العداوات بين البلاد العربية والتي ، لو سلطت على اسرائيل ، لحققت الكثير .

السيَاسة الخارجيّة

للبنان ، في نظر الشيخ موريس ، وجه عربي واقليمي ، ووجه عالمي . وله أن يحقق في كل من هذين الوجهين رسالة . من خلال هذه النظرة المبدئية تحول الشيخ موريس الجميل بكليته ، متحرراً من كل اسلوب عاطفي أو حسي أو شعوري ، الى التفكير بما يحقق رسالة لبنان هذه في اطار القيم التي يجب أن تكون في أساس التصرف اللبناني .

وبرغم جميع المصاعب والعراقيل والمضايقات ، وبرغم ما نسب اليه ، في أكثر من

مناسبة ، أنه غير واقعي وغير عملي وأنه مغال في أفكاره ، فقد استمر في التأليف والكتابة والقاء المحاضرات ونشر المقالات في الصحف واتخاذ المواقف المثالية التي تعزز رسالة لبنان بوجهيه العربي والعالمي .

يهمه أن يعزز وزارة الخارجية اللبنانية في بنيتها وفي جهازها وفي سياستها لانها برجالها وبأعمالها يجب أن تعبر أفضل تعبير عن رسالة لبنان السامية في خارج لبنان . وقد سبق له أن عدد الاخطاء التي تقع فيها هذه الوزارة بسبب تبنيها لسياسة المسايرة تحقيقاً لشعار ، يعتبره الشيخ موريس عقيماً ، هو الحياد اللبناني .

وقد نادى الشيخ موريس في الاوساط السياسية والبرلمانية مراراً بضرورة درس أوضاع الوزارة وطالب بتنظيمها تنظيماً حديثاً يتناسب مع متطلبات العصر الحاضر . وأكد بأن هذا التنظيم لا يعقل أن يكون مفيداً الا إذا كان مبنياً على التحليلات الواقعية الصحيحة وكان هادفاً ، بالوقت ذاته ، الى غايات واضحة تحدد على ضوء السياسة العامة التي يتوجب على الدولة اعادة النظر فيها لتصبح أكثر توافقاً مع التطور الحضاري الذي تسير فيه البلاد .

والشيخ موريس لا يوجه التهمة الى الوزارة ورجالها بقدر ما ينحي باللائمة على الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية التي واكبت وكونت وخلقت وجمدت سياسة لبنان الخارجية منذ بداية الاستقلال .

وفي رأيه أنه لا يمكننا بناء الجديد اذا لم نستهد بخبرة القديم وأوضاعه ونتجنب اخطاءه . يقول الشيخ موريس ، وهو يستذكر السبب في القديم ، ان الاستقلال قد استهل عهده بمخطط وقائي يضمن الصداقات والعلاقات مع الخارج . وكان نهج السياسة الخارجية يهدف الى الامتناع عن اتخاذ أي مبادرة . فتسلك السياسة الخارجية اللبنانية ، من جراء ذلك ، الطريق الذي يجنبها المصاعب والمكايدات الناشئة عن المشادات والمطاحنات بين دول الجوار العربي . لكن ذلك جعلها عقيمة . ولا شك ، يتابع الشيخ موريس ، ان الظروف الداخلية في ذلك الحين فرضت الموقف الذي كان يمكن وصفه بعدم الصلابة . اذ أن الجسم اللبناني كان ما يزال « طرياً » لا تمكنه حالته من الاصطدام بأي عامل صعوبة تجنيباً لتفككه وانهياره . فكانت الحكمة ، آنذاك ، تفرض على الخارجية اللبنانية انتهاج هذا الاسلوب الذي كان من شأنه انقاذ الداخل من شرور الخارج دون أن تلعب ـ أي الخارجية ـ أي دور ايجابي حقيقي في الحقل الخارجي .

أما الان وقد أصبح الجسم اللبناني أكثر عافية وفي وضع متين نسبياً بالرغم من

بعض « العوارض » التي تعتري ظروفه ، وصلنا الى الوقت الذي يحتم استبدال هذا الاسلوب والنهج القديمين في اطار العمل في الحقل الخارجي لانتفاء فائدتهما ولكونهما أصبحا مصدر أذى لانها يهددان الوحدة الوطنية التي أرسينا عليها أسس الكيان .

علينا أن نبادر الى لعب الدور المتوجب علينا وعلى بقائنا وسلامتنا الوطنية اذ أن عدم القيام به لا يمكن ان يفسر حياداً كما أن تجنب لعب هذا الدور يعد انحيازاً لا حياداً .

هذا خطأ ووهم ناتجان من عقدة يجب أن نتحلل منها ومن مساوئها وتفسيراتها المضرة بالمصلحة اللبنانية ، المفروض في لبنان أن يلعب دور الحياد حتى لا يكون سلبياً ومائعاً .

وذلك ليس فقط من أجل خدمة المصلحة العامة الخارجية العربية المشتركة ولكن صيانة للوحدة اللبنانية المهددة . وان ما يهدد هذه الوحدة اللبنانية هو غموض مواقفنا الخارجية وعدم التعرف الى معالمها وجلائها بصراحة كلية حتى يقطع دابر التفسيرات النابعة من الاهواء الشخصية وما ينتج منها من مخاطر .

والهم الشاغل اليوم هو خضم الخصومات العربية التي تتردى فيها السياسات العربية وهذا ما أوقع الخارجية اللبنانية في حرج وفي حيرة من أمرها . لان لبنان كان ولم يزل معتمداً السلوك بين العقبات والمشاحنات العربية التي يلف ويدور حولها متجنباً الاصطدام :

أما اليوم فقد أصبح علينا واجب انتهاج الخطوة الفعالة معتمدين الاسس العلمية والواقعية التي تسمح لنا بأن نلعب دورنا ، لا أن نقف بعجز مكتوفي الايدي ، متسامحين تجاه الاتهامات المختلفة التي تلصق بهذا البلد وتعرض صف المواطنين الصالحين من جميع الفئات والطوائف للتصدع .

وانطلاقاً من هذه العجالة التي أوضحت أو لفتت الى ما لم يعد سراً على أحد ، بعد أن انتقلت حدة الخلاف بين الدول العربية من الخفي الى الظاهر ومن السياسة الباردة الى التطاحن والمشادات الحامية ومن اللياقة والتهذيب الى المفضوح والوقح في مجال المحاربة العلنية ، فاننا سنلقي الاضواء الكاشفة لحقيقة ما يجب أن يلتزم به لبنان من سياسة تحمي مصالحه ووجوده في الداخل والخارج مقدمين البراهين العلمية بموضوعية ووضوح لا لبس فيهما فنقول متسائلين عن حقيقة الامر فيما يتعلق بالمشادات العربية التي تعجز الخارجية اللبنانية عن اعتماد النهج الصالح ، بأننا وجدنا أنفسنا أمام غايات ومصالح

متناقضة بل أمام رموز تخفي المطامع المتناقضة مع العوامل الطبيعية والواقع السيكولوجي والتاريخي والجغرافي .

ويمكن تشبيه الظرف الذي تعيشه البلدان العربية بالذي وقع منذ مئتي سنة تقريباً لامبراطور الفرنسيين « نابليون بونابرت » اذ أنه وهو العبقري وجد أن الدول الاوروبية يجب أن توجد لانها متكاملة ولانه لا يمكن أوروبا أن تلعب دورها الا اذا أوجدت الدولة الاوروبية الموحدة .

فاذا كان الرمز والهدف وحتى الاسس التفكيرية النظرية صحيحة وجدية ، فانها كانت تخلو من الواقعية . فبقيت هذه الفكرة تتمخض بمعارك حربية واقتصادية وسياسية وبمشادات ومطامع متنوعة الى أن تدخل العلم وعامل الزمن بمفاهيمها الجديدة لحدود البلدان وتبديلهما للمعطيات . فبلغت أوروبا واقعاً جديداً ـ بعد مضي قرنين من الزمن ـ لكن ذلك لم يبدل بفضل الفلسفة ولا بفضل الرموز ولا بفضل التفكير وتوالي العبقريات ، انما بفضل واقعية جديدة أوصلت أوروبا بعد هذا الزمن الطويل الى أبواب التفاهم . وستمر عليها سنوات أخرى طويلة قبل أن تتوحد البلدان الاوروبية في دولة .

وثمة ما يبدو بديهياً لجميع العلماء المعاصرين بأن دور الاوطان أصبح على وشك التوقف بعد أن تبدت بوادر « العالمية » أي السلطة الموحدة للكرة الارضية ـ بصورة جلية .

والخبراء المختصون بهذا الحقل ، يثبتون أنه في زمن معين ليس ببعيد ستتحكم العالمية أو الكونية ـ وهذا التاريخ لا يتعدى العام الفين (2000) ، وتصبح في مجالات عديدة السلطة دولية عالمية موحدة .

فهنا في البلدان العربية رموز خلابة وآفاق مغرية وارادات خالية ربما من الغش والدجل . الا أنها تبقى غير نابعة من واقع الحال وغير محترمة لاصول التدرج في ارتقاء السلم لبلوغ الامنية ـ القمة .

وحسب تقدير العلم يبقى أسهل على العالمية أن تحقق بعضاً من أهدافها الكبيرة قبل أن تصل مناطق كأوروبا أو البلدان العربية الى « البعض » من أهداف التوحيد .

ويجب الا يغرب عن البال أن « الاقليمية » ليست سوى مرحلة انتقالية مؤدية الى العالمية ، وهي ليست جديرة بالتحمس المتطرف الذي يبذل من أجل مواطنية اقليمية ما دامت سوى مرحلية النشأة . فمفروض في الخارجية اللبنانية أن تبدأ حركة دراسية واسعة

النطاق ومتتابعة لمعرفة خفايا الامور الواقعية قبل أن تبحث في ظواهرها السياسية . وما السياسة ـ علماً ـ سوى الغلاف الجلدي لمجموعة من العوامل التي تفرض المصير أو ما يسمى بالحتميات .

والبرنـامج المقترح على الخارجية يقضي بأن نكب على تشخيص الواقع ، حتى اذا شاءت أن تعالج وضعاً سياسياً أو اتخاذ موقف في ظرف ما ، أن تكون خطوتها مرتكزة على المعرفة الواقعية لا على التقديرات الوهمية .

ان هذا الواقع يؤتى به عن طريق العناوين الرئيسية الآتية :

العناوين الجغرافية : وهي تلعب دوراً أساسياً في تكوين الانطباع البشري اذ أن جميع العوامل الطبيعية الجغرافية تساهم في سكب الانسان جسدياً ونفسياً .

ونحن نعلم أن السهل والجبل والبحر والبرد والحرارة ونوعية التربة والموقع الفلكي ، كل هذا يطبع الانسان ، فلا يمكنك أن تتعامل حقاً مع انسان ما لم تكن قد تعرفت تماماً بالمقومات الجغرافية التي يعيش في اطارها .

ومعروف عند الخبراء أن التأثيرات الجغرافية في الانسان ، أصبحت واضحة المعالم ومعروفة علمياً وتقنياً . . وضعت عنها الطرق الفنية للمقاييس التي تسمح بتشخيص شبه ماتيماتيكي لنتائجها .

أقدم كتابي « من أجل خلق المواطن اللبناني » مثلاً بما خص الموجة الثالثة لمجيء الارمن الى لبنان والتي تقع في أواخر الحرب الكونية الاولى . ان الذين استوطنوا بالقرب من بيروت بقي الطابع الارمني مميزاً لهم ، أما الفريق الذي استوطن بالقرب من زغرتا فلم يعد ثمة ما يميزه عن محيطه وابناء محيطه اللبنانيين الاصليين .

وكذلك أصبح من الثابت علماً أن الميل الديني له وثيقة لجهة نوعية الاعتناق بالاوضاع الجغرافية . والمثل الصارخ هو في الاديان « الايزوتيرية » التي تختار الاماكن الجغرافية نفسها .

فكيف يمكن وزارة الخارجية أن تلعب دوراً حكيماً وفعالاً ما لم تتوافر لديها المعرفة الكاملة لما تفرضه العناوين الجغرافية من عوامل طبيعية وموقع في الكرة الارضية معين . وكلنا يعلم أنه لو لم تكن بريطانيا في الموقع الجغرافي المعروف وعلى شكل جزيرة ، لما تمكنت بالمعطيات المتوافرة لديها آنذاك من أن تقوم بدورها العالمي المعروف .

وبعد العناوين الجغرافية تدخل في باب العناوين الاثنية الحائزة على مجموعات من العوامل التي تشكل تقريباً العشرة .

وهـي ـ أي الاثنية ـ تعنـي بالتـكوين النفسي البشري وعلى الخـارجية اللبنانية بالطبع أن تتفهم الشؤون الاثنية بتعمق حتى يمكنها التنبؤ بما سيكون موافقاً لطبيعة كل شعب من الشعوب التي تتشكل بها مجموعة البلدان العربية قبل اتخاذ أي موقف أو اجراء حتى تسلم سياستها .

ونحن نعلم أيضاً أن العالم بأسره يمر بأربع مراحل دورية تكون فيها ردود فعل الشعوب مختلفة . وكل بلد من بلدان العالم يمر باحدى المراحل الاربع ويكون بحسبها أما منسجماً واما « اسيشيا » وأما سريع الاندفاع وأخيراً متعلقاً بالمثالية .

وهذا التحليل يجعل معالجة أوضاع كل بلد وقابليات كل شعب فيه بالنسبة الى المرحلة التي هو فيها تختلف تماماً بدرجات المقاومة بالسيكولوجية أو الحساسية أو الانطباعية أو القابلية .

مشاريعه

ما أكثرها ، مشاريع الشيخ موريس الجميل . ومـا أشملهـا ! مياه ، كهربـاء ، هواء ، علم ، صناعة ، لم يترك مجالاً الا وطرقه . ولم يترك ناحية الا وتطرق اليها . من مشاريعه التي ورد أكثرها في دراسات وكتب :

- التصميم الشامل للمياه اللبنانية .
- تصميم الانتاج ـ الزراعة والصناعة .
- تنظيم الشعب .
- تنظيم المصارف .
- تصميم التجارة .
- تصميم السياحة والاصطياف والتجميل ورحلات الطلاب .
- تصميم النقد والاعتماد والتسليف .
- تصميم المواصلات والنقليات .
- نفق بيروت ـ البقاع
- امكانات البقاع
- التصميم التجهيزي للبحر الابيض المتوسط .

- النفط .
- تصميم العنصر البشري .
- تنظيم الامة .
- طرابلس واللامركزية .
- تكوين الامة اللبنانية .
- تصميم للتضامن الاقتصادي في الشرق العربي .
- تصميم المواصلات لجمهورية ليبيريا .
- عمان الجديدة .
- مشروع الامير طلال آل سعود (الشركة الملكية السعودية للدراسات) .
- توحيد اللغة .
- توحيد الاهداف .
- بنك الادمغة .

. . . وغيرها الكثير من المشاريع والافكار التي يصعب حصرها .

أقوال الخصوم

عندما يذكر اسم موريس الجميل تتبادر الى الذهن ، وبصورة عفوية كلمتـان : التصميم والتنمية .

الا أن الذين يشتغلون في السياسة ، والذين ألفوا صنفاً معيناً من السياسيين ، يبتسمـون عندمـا يذكر اسـم الشيخ موريس في عداد المرشحين لرئاسـة الجمهورية . ويبتسمون أكثر ، وتتسع مساحة الابتسامة ، عند سماع ما يقوله وزير التصميم وما يعلقه من آمال على التصميم والتنمية والتخطيط والمستقبلية .

كلما طلـع موريس الجميل بمشروع أو بفـكرة يقابلهـا البعض بالابتسـام والاستغراب ، ذلك بأن التصميم في نظر هؤ لاء لا يعدو كونه خيالاً لا يمكن تحقيقه ، خصوصاً أن لبنان عاش ونما وازدهر منذ أقدم العصور من غير تصميم . وسيبقى ، في ظن هؤ لاء ، أعجوبة الاعاجيب مدى الدهر دونما حاجة الى تصميم أو تنظيم .

على هذا يكون خصوم موريس الجميل هم خصوم طموحه وخيالاته و« خوتنته » .

وبرغم ذلك فأن الرئيس رشيد كرامي النهجي ، المرتبط بالرئيس فؤ اد شهاب ، لم

يتردد في ترشيح الشيخ موريس ويرى فيه امكان نجاح في احراج الكتائب وغير الكتائب على الاقل .

موريس الجميل ؟

يحار الناس معه .

اذا صدقوه فأيديهم على قلوبهم .

وان ما صدقوه فان قلوبهم على أيديهم .

يهربون منه ، ويتهربون من مواجهة طموحه الكبير باتهامه : « الاخوت » .

الاخوت ؟

موريس الجميل أخوت ؟

حسبه أنه الخروف الابيض بين هذا القطيع من الخراف التي لا لون لها . . .

بطاقة هوية

ولد موريس الجميل في المنصورة (مصر) سنة 1907 . تلقى علومه الابتدائية في مدرسة عينطورة . نال الليسانس في الحقوق من كلية الحقوق في باريس . ديبلوم في العلوم السياسية من باريس أيضاً. مارس المحاماة. ثم انتخب نائباً عن المتن الشمالي للمرة الاولى سنة 1960 . وأعيد انتخابه سنة 1964 وسنة 1968 . انتخب رئيساً للجنة التصميم أكثر من مرة. عين وزيراً للمرة الاولى في حكومة الرئيس صائب سلام سنة 1960. وزير دولة للشؤون المالية . الرئيس السابق لاتحاد العائلات وحماية حقوقها في حقل التعليم والتثقيف . ممثل لبنان في الدورتين الثالثة والاربعين والرابعة والاربعين لمنظمة التغذية الدولية . رئيس مستقل لمجلس منظمة التغذية الدولية . وزير تصميم في الحكومة الحالية . مؤلف كتاب « تخطيط المياه في لبنان وبيروت » . صاحب مشروع بنك الادمغة . عضو المكتب السياسي في حزب الكتائب . له دراسات عديدة حول دور التصميم والتخطيط في مستقبل البلاد .

ينام باكراً ويصحو باكراً .

يحرص على أن يكون أنيقاً .

متزوج وله 7 بنات متزوجات .

فريد الدحداح

بين القديم والجديد ، كان المرحوم الشيخ فريد الدحداح يقف . لذا كان اسمه يرد ، وقد ورد فعلاً في المعركة الرئاسية صيف1970 على أساس مرشح تسوية .

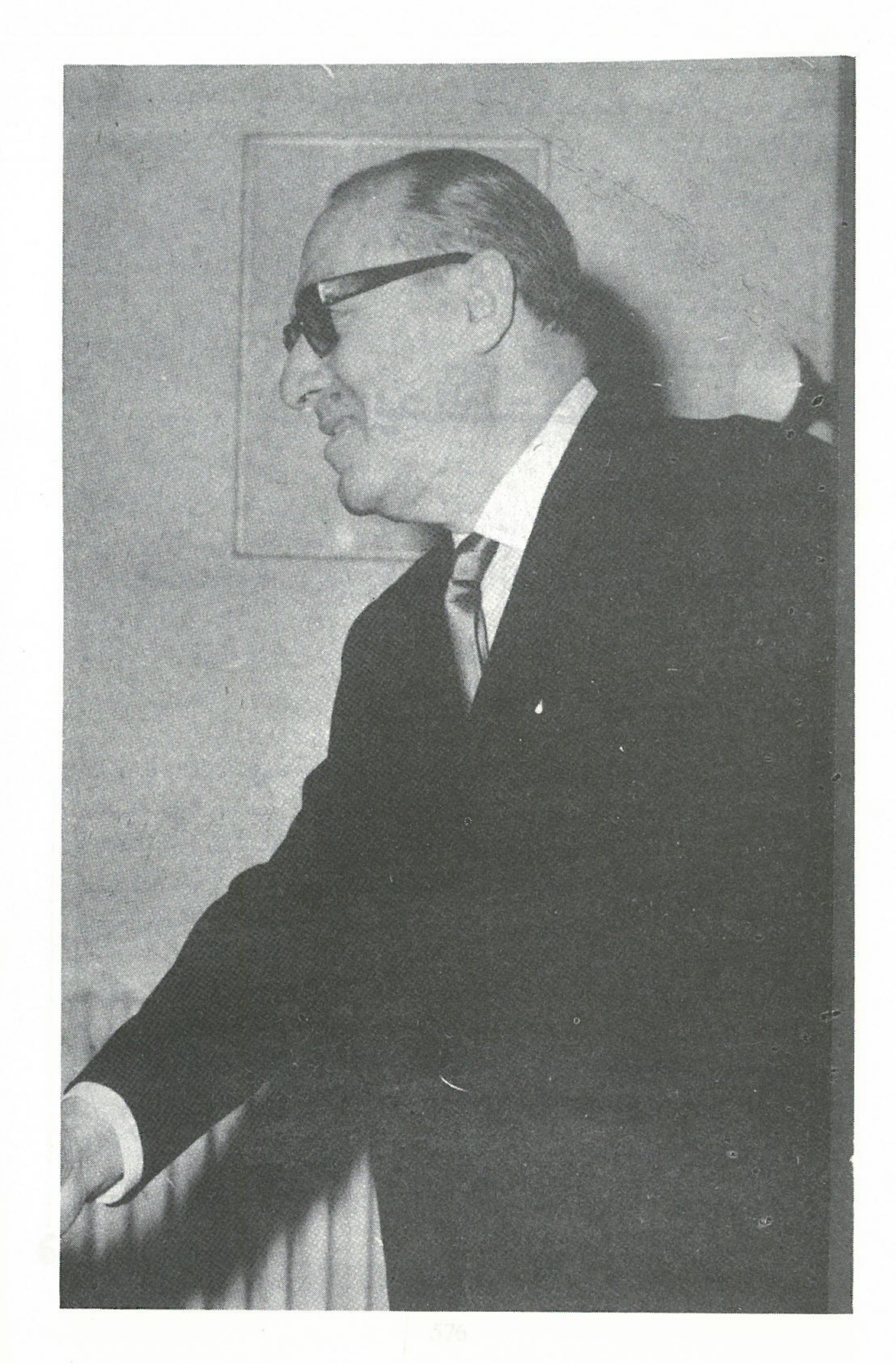
ورئيس اللجنة الفاحصة في تلك الانتخابات المرحوم كمال جنبلاط ، كان عندما يريد ان ينكرز مرشحاً معيناً لا ينفك يتساءل بصوت عالٍ امام الزوار والصحافيين : من شوبيشكي الشيخ فريد ؟ .

رئيس مجلس الخدمة المدنية القاضي المتمرِّس واضع القوانين الادارية الهادىء كان الى حد ما وفي شكل ما نهجيّاً وليس شهابياً . كان مع الخطوط العامة لطموحات او شعارات العهد الشهابي ، الا انه لم يكن مع أسلوب منفذّي السياسة الشهابية .

كان معقولاً ، رحمه الله .

وكان وارداً ، وكانت عنده افكار كثيرة لمزيد من القوانين والأنظمة .

لكنه ذهب بدوره وبقيت قوانينه .



اللبناني الهادىء

وجهه هادىء وصوته هادىء ومشيته هادئة . هادىء في البيت ، هادىء في المكتب ، هادىء على قوس المحكمة . حتى ولو اثير او تضايق فإنه يبقى هادئاً ويبقى صوته هو صوته الهادىء ، الصافي ، الموزع الأوتار في بحة تكاد تكون موسيقية النغمة .

عندما كان الشيخ فريد الدحداح رئيساً لمحكمة الاستئناف في طرابلس ، كان المحامون يسألون أصحاب الدعاوى التي هي « بين بين » ، قبل التوكل في هذه الدعاوى : من هو الرئيس الذي ينظر في الدعوى ؟ .

اذا كانت الدعوى عند الشيخ فريد فإن المحامين يحسمون الأمر مع أصحاب الدعاوى من أول الطريق : الدعوى خاسرة ، لكن سنحاول .

محام طرابلسي قال لي مرة : « وجود الشيخ فريد الدحداح على رأس محكمة الاستئناف نسق العدل في طرابلس . فأصحاب الحق صاروا يتشبثون بحقهم ما دام امره بين يدي الدحداح ، والذين ليس لهم حق او ان الحق عليهم لم يعودوا يعتمدون على الشفاعات والوساطات ، صاروا يعرفون انهم سيخسرون » .

يقول رئيس مجلس الخدمة المدنية ـ اول رئيس ولا يزال لاحدى هيئات الاصلاح الشهابي ـ والذي بدأ اسمه يضيء ، منذ انتخابات الرئاسة السابقة الى جانب بعض الاسماء ـ الامكانات ، « ان مراجعة الضمير في لحظة هدوء هي افضل وسيلة كي يبقى الانسان في خط الاستقامة » .

سألته عن نفسه : عرفنا اليك :

قال : « كانت امنيتي في الصبا ان يزول الاجنبي من بلادي ويستقل لبنان القديم . اما امنيتي اليوم فهي زوال ما خلفه الأجنبي ثم بناء لبنان الجديد » .

قلت : اذا سئلت من أنت ، ماذا تقول ؟ .

أجاب : « أنا رجل قانون والسياسة في نظري خدمة عامة وتضحية في سبيل الوطن ، وعمل دائب يهدف الى تحقيق العدالة ، وما عدا ذلك انحراف وسباق على النفوذ وعبودية للمنافع » .

وأضاف : « لم انخرط في حزب ، لأن الحياة الحزبية في لبنان لم تتحرر من العصبية والفردية والانغلاق العمل وحده يقطع الجدل . وهو الاثر الوحيد الباقي . اما الاقوال فتذهب مع الريح » .

هادىء . تحس الهدوء في كلمته حتى لو كتبت .

ومن خلال هذه الكلمات القليلة تظهر ملامح الرجل الذي يعمل اكثر من عشر ساعات في اليوم خلف جدار من الصمت ، بعيداً عن الأضواء ومنابر الأعلام واساليب الدعاية والترويج .

قال فيه العالم القانوني اوجين روسيه : « انني ارفع قبعتي احتراماً له وللادارة التي يترأس » .

قبل اشهر قليلة من انتهاء ولايته قام الرئيس فؤاد شهاب بزيارة مفاجئة لمجلس الخدمة المدنية . تفقده . تفقد مكاتبه . تعرف الى موظفيه .

بعد انتهاء الزيارة ضج الوسط السياسي وانزمت شفاه الذين كانوا يعدون الأيام بعصبية وضجر . قالوا : زيارة شهاب للدحداح تعني انه اختار الخلف .

طار عقل الموعودين : فريد الدحداح ؟ .

كان وارداً ومعقولاً في تلك المرحلة ، وكان يكون هو رجل الاجماع لو لم يكن هناك شارل حلو . . . لكنه كان هناك .

الآن عاد اسمه الى الظهور .

يقولون ؛ فلان مرشح معركة . علتان يشق البلد . الآخر يمثّل اتجاهاً معيناً ومجيئه يعني انتصار اتجاه وانهزام اتجاه آخر . الى ان يصل الدور الى الشيخ فريد الدحداح ، فيتوقف مستعرضو الأسماء ، ويذهبون مع الاسم في رحلة تأمل وتحليل ، ثم يعددون العوامل والأسباب والموجبات والمبررات . ثم يقولون : والله معقول . اذا حميت الحديدة يكون هو التسوية .

يقول : « عندما وضعت القوانين التنظيمية لمجلس الخدمة المدنية استدعاني

الرئيس شهاب وعينني عضواً في اللجنة التي وضعت القوانين . غلطت يومها . تركت « زاروبا » لمجلس الوزراء . ان هذا الزاروب تهب منه الرياح كثيراً على مجلس الخدمة المدنية » .

لكن الدحداح يضيف : « تركت ذلك « الزاروب » لأن مجلس الخدمة المدنية كان هو « السلطان الوحيد » . تتفرع عنه مديريات أربع بينها هيئة التفتيش المركزي . وخوفاً من سلطنة السلطان ولاقامة نوع من التعادل بينه كادارة وبين مجلس الوزراء ، تعمدت ان اترك ذلك الزاروب ليكون صمام أمان ، فإذا به زاروب هواء » .

ويروي رئيس مجلس الخدمة المدنية انه عندما وضع قوانين المجلس لم يكن يعرف انه سيعين رئيساً له . كذلك لم يكن يعرف ان الطائفية ستلعب دورها فيصبح مجلس الخدمة وحده وهيئة التفتيش المركزي وحدها . . . وتضيع الطاسة .

انما ، برغم ذلك وبرغم كل ما يفعله الوزراء من وراء ظهر مجلس الخدمة ، تمكن فريد الدحداح ، ولو الى حد ، من ضبط اجهزة الدولة الادارية ، من ادارات ومؤسسات عامة ومصالح مستقلة وبلديات . وهو ، الى جانب ذلك ، ساهم مساهمة فعالة في جميع الدراسات الادارية والانمائية التصميمية ، بحيث أرسى الادارة على اسس علمية حديثة .

هنا يطرح سؤال ، هل ان فريد الدحداح هو ذلك القانوني الضابط احكام الادارة فقط ؟ .

يقول الذين يعرفون الشيخ الكسرواني ان اشتراكه ، منذ توليه رئاسة مجلس الخدمة المدنية ، في جلسات مجلس الوزراء ، بالاضافة الى احتكاكه بالناس عبر تجاربه القضائية والادارية ، ساعد في تكوين اعداده السياسي ، وتوسيع اطلاعه على الأوضاع اللبنانية .

سياسياً ، أين يقف فريد الدحداح ؟ .

يقول المقربون من رئيس مجلس الخدمة المدنية انه ليس مرتبطاً بأحد . مستقل . ولا يمكن أية جهة ان تحسبه عليها ، كما انه لا يمكن أي سياسي او حزب ان يقول ان فريد الدحداح « منهم » .

غير ان ذلك لا يعني ان بعض الفئات لا يفكر بأن يكون وراء ترشيح الدحداح ودفعه الى وسط ساحة معركة الرئاسة ، في حال تعذر وصول الأصيل او حتى الوكيل .

الا انه حتى في هذا المجال يبقى الشيخ فريد من أصحاب الحظوظ ويبقى رجل

الاجماع والتسوية اذا حدث ما حدث يوم اضطرت الآراء والاتجاهات ان تلتف حول الرئيس شارل حلو على اساس انه « حل مشكلة » .

لبنان فريد الدحداح

يريد الشيخ فريد ويتمنى لبناناً جديداً ، حديثاً ، عصرياً . « لبنان الكل ، المتساوي في النهضة والعمران والتقدم . من أطراف الشمال الى أطراف الجنوب . واعتقد ان ذاك ليس مستحيلاً ، اذا أريد للبنان الجديد ان يخرج من تحت وزر ما خلفه لبنان القديم » .

وكيف يكون هذا اللبنان الجديد ؟ ما هي الأسس ، ما هي المبادىء ، ما هي الشروط ؟ .

يقول الدحداح :

« لا شك في ان الجامع الأوسع بين المواطنين ، هو دائماً الوطن . غير ان هذا الرابط لا يمكن ان يبقى متشبثاً بالاغاني القديمة ، وحكايات المغامرات واقاصيص البطولات ، واخبار التاريخ وما قبل التاريخ ، بل أصبح يحتاج الى قوة جديدة تحدث فيه متانة جديدة ، حتى ان قضية المغتربين اللبنانيين نفسها يقتضي ان ننظر اليها بمنظار واقعي موضوعي ، لا نترك فيها بابا للمبالغة ولا مجالاً للمباهاة غير الصحيحة . يقتضي ان يسيطر المنطق والمعطيات الاحصائية الدقيقة على قضايانا لكي تكون الحلول صالحة مفيدة . نحن نفهم ان تراعى متطلبات الشعور واثارته ولكن الزمن الذي نعيش فيه ليس زمن الانفعال بل هو زمن التصميم والتخطيط والحقائق .

انه زمن الآلة الحاسبة التي بامكانها ان تسجل حتى تطور الاحساس وتقلب الشعور .

ان الدولة الواعية المتيقظة هي الدولة التي يتوقع فيها الشعب وبصورة دائمة الاخطار والكوارث ويستعد لها . ولعل اكبر المصائب على الشعب هي عندما يعتقد بأن حالة الرخاء مضمونة له مستمرة في ارجائه فتنهار في نفسه عندئذ جميع المقومات المعنوية التي تجعل منه امة خالدة ، ويهمل روح التمرس بالنضال والمواجهة ، والصلابة امام الطوارىء » .

ومن تحديث الوطن الى الكيان والاستقلال والمناعة الداخلية :

« ان الكيان اللبناني هو ثمرة جهود الشعب اللبناني بمختلف طوائفه ونزعاته ، وعلى هذه الارادة الدائمة يتركز اساسه الذاتي ، ويتثبت في نطاق العدالة والرسالة الانسانية الديموقراطية التي غناها عبر الأجيال .

اما الاستقلال فهو قائم على قواعد سياسية واقتصادية من عمل البيئة الحرة التي انصهرت فيها خلال الأجيال والعصور الطبائع والتقاليد اللبنانية التي هي في الحقيقة اقوى من كل اتفاق واعمق من كل ميثاق ، والتي هي متجسدة احياناً كثيرة في هذه الأجواء والمجتمعات التي يحياها اللبنانيون بصورة تلقائية دون أي توجيه ارغامي او انضباطية الزامية مقيدة .

ليس صحيحاً ان الشعب اللبناني يعاني ، في ضميره ، انقساماً طائفياً او مذهبياً ، حتى ولا انقساماً عصبياً ، وان هذا الخلاف الظاهري الذي نراه احياناً في اشكال تكتلاته انما هو خلاف بعيد كل البعد عن اصالة نفسه ومقومات ايمانه تلجأ اليه فئة من أصحاب النفوذ رغبة في استثمار او تعزيز مصالحها وانطباعاتها على حساب المصلحة العامة .

وليس صحيحاً ان الدولة اللبنانية دولة دينية ، وانما هي دولة مدنية سيطرت على بعض اجهزتها المصالح الشخصية حيث تتنازعها رواسب كثيرة من بقايا الماضي المملوءة بقلة الثقة والخوف ، وضعف الشخصية وسوء النية احياناً .

ونحن لسنا من الذين يقولون بأن الكيان اللبناني هو الكيان الملجأ ، حيث الانحلال ، والضيق والخوف ، والانزواء ، بل هو في رأينا الكيان المنارة التي تقف منذ الوف السنين في وجه العواصف ، بين البحر والجبل يساهم مع المغارب والمشارق في انارة الطريق نفسه وللقوافل البشرية .

وخير ما يصون لبنان ويحفظ استقلاله هو هذه المبادىء نفسها التي يؤمن بها ويناضل في سبيلها لأن المناعة الذاتية الداخلية هي وحدها التعبير الصادق عن الارادة التي هي ضمان للفكر الحر ولركائز انطلاقه .

ان الخطر على الكيان ، لأي دولة من الدول ، انما ينشأ احياناً كثيرة من المبالغة في التمسك به بقدر ما ينشأ من التساهل ، وعليه فإن الوطنية تقضي بأن نكون مؤمنين بكياننا دون استفزاز ومدافعين عنه دون تحد ، ومضحين في سبيله وسلامته دون تردد لأن الاستفزاز يحدث الاستفزاز المقابل ، ولأن التحدي يحدث التحدي المجابه ولأن التردد في التضحية يحدث الانهزام وعندئذ لا تنفع المواثيق ولا النصوص ، بل تصبح قصاصات من الورق والحبر .

وحول لبنان يقول أيضاً رئيس مجلس الخدمة المدنية :

● يملك اللبنانيون ، على شتى مشاربهم ، واختلاف تسلسلهم الدموي قوة فعالة قوية للتطور الى حياة جديدة في الانتاج والاستقرار وتحقيق الطموح النبيل .

● ان صراع الآراء والأفكار وتضاربها في لبنان هو دليل واضح على قوة الحياة فيه وبعد التأمل .

● ان شعباً يتساهل في مبادىء الحرية ومقومات الاستقلال يعرض شيئاً فشيئاً مصيره لاخطار غير منتظرة يفقد فيها حصانة الدفاع المواجه .

● ان الحكومة التي تطعن ، بالتسلط حرية الشعب انما هي عدوة له ، فإذا ثار عليها كانت ثورته تجسداً لصورة الدفاع عن النفس امام المتعدي .

● ان لبنان الجزيرة المنعزلة ، او الجبل العاجي ليس بلبنان الذي بنى له الجدود وعمل له الآباء ، وتركوا لنا من آثارهم العمرانية والفكرية ما تركوا .

● اذا كنا لا نستطيع ان ندرك تماماً التشريعات القانونية لبلد ما ، الا على ضوء التاريخ ، فلبنان أكثر من أي بلد آخر ، تتسم فيه تشريعاته بطابع الماضي العريق . هذا البلد الصغير ، الذي يشكل صلة الوصل بين الشرق والغرب ، والمنفتح بكل رحابة ، ليس فقط على التبادل التجاري بل أيضاً على الاتصالات الانسانية والفكرية ، هو ـ ونتيجة لتاريخ معقد ومضطرب ـ بوتقة حقيقية للثقافات ، حيث تجد التيارات الفكرية المتنوعة مجالاً ملائماً لانطلاقها .

● ان تشريعات لبنان تتميز بطابع مركب وفريد في آن واحد ، كما ان تنوع العطاء الخارجي في الماضي والحاضر ، واستعداد اللبناني لتقبل هذا العطاء وهضمه قد أدى الى خلق منهج قانوني لا تجد له مثيلاً في أي بلد آخر ، ويقدم هذا المنهج للمشترع مجالاً ممتازاً لتجاربه وأبحاثه .

وان هذه الجدة في القانون اللبناني قد أثرت على القانون الخاص ، حيث نجد لكل مجموعة دينية تشريعاً للأحوال الشخصية خاص بها . وأثرت أيضاً في مجالات القانون العام . وخاصة في ميداني القانون الدستوري والقانون الاداري . وهكذا نجد ان بعض القرارات التشريعية ـ وقد استمدت روحها من الحرص على حفظ التوازن بين طوائف لبنان ـ تقر بالتقسيم في التمثيل البرلماني وفي الوظائف العامة بين مختلف الطوائف .

● تبدو المركزية في لبنان وكأنها الطابع المميز للتركيب الاداري ، وان ما يبرر

وجودها ـ عدا الاعتبارات التاريخية والسياسية ـ هو التركيب الاجتماعي المعقد للبلاد .

وتشمل المركزية عاملاً من عوامل الوحدة والاندماج والتقدم امام التيارات الثقافية المتنوعة وعدم التساوي في التطور الاقتصادي .

وعلى كل فإن الأخذ بمبدأ المركزية لا يحول ابداً دون تطبيق اللامركزية في نطاق محدود وفي بعض الأوضاع التي يقتضيها التنفيذ .

● ان تأمين مساهمة الدولة في عمليات التطور والنمو ، لا يكفيه خلق مصالح حكومية وادارات جديدة بل يجب ان يكون هناك انسجام تام بين الجهاز الاداري ككل وبين العقلية الجديدة الهادفة الى التطور .

● ان اصعب مرحلة من مراحل الاصلاح هو ان نعمل على ازالة ، او على تخفيف ، الفوارق بين العقليتين ، القديمة والجديدة ، وتسهيل ادخال العناصر الجديدة الى الادارة دون ان تضطرب الادارة او تثقل بهذه العناصر . وكان من الضروري تقسيم الكفاءات وطرق التعاون بين الجديد والقديم .

● نحن نرى انه يقتضي ، ان تقيم ، وضمن مواد الدستور وأحكامه ، الرقابة المنصوص عنها فيه ، وذلك لكي نحفظ الحاكم ضمن الحدود التي رسمها الدستور . ولسنا نرى من رقابة قانونية أفضل من انشاء المحكمة العليا او المجلس الأعلى كما سماه الدستور في مادته الثمانين .

غير اننا ، من جهتنا ، مؤمنون كل الايمان ، بأن القانون الدستوري ، او العادي ، هو نص مكتوب بوحي العدالة ، ويحدد مدى الحق ، ولكنه لا يخلق الضمير الحي ولا الخلق المترفع .

وبالتالي فإن الحاكم او الرئيس هو الذي يرفع من مكانة القانون ، فيحيطه بالحرمة ، ويحصنه بالتقيد ، وليس الذي ينتظر التشريع الجديد ليحد ما في نفسه من رغبة قديمة للمخالفة .

نهضة اجتماعيّة

ان العمل المنتج لا يبلغ الغاية المنشودة الا اذا رافقته ـ جنباً الى جنب ـ نهضة اجتماعية ترفع من مستوى المجتمع ، وتقصي على الرواسب ، والعادات المتأخرة وتنهض

بالطموح ، وتعزز العلاقات الانسانية بين المواطنين .

ولا شك في ان عملاً انعاشياً ، لا يقوم أصلاً على احياء المقومات الوطنية ومعطياتها ، ومعرفة واضحة عميقة للوحدة التي تتكوّن من تجمعها قوة الوطن ، انما هو عمل فاشل .

ولا شك ، أيضاً في ان من أبرز المقومات الوطنية في لبنان هي هذه (القرية اللبنانية) التي ـ وان اشتهرت احياناً بالتمسك بعاداتها ، وبصلابة حزبيتها ، وجفاوة معاملاتها ، وحبها للمغامرة والهجرة ، فإنما هي مصدر دائم للقوة التي تنبع من تاريخ لبنان القديم والحديث ، وحبه للحضارة .

ولا نعني هذا اننا ضد ، المدينة ـ ونحن ابناؤها ، ونعيش فيها ، ولكن نعني ان لكل بناء حجر أساساً ، ومن الأساسات التي لا غنى عنها ، « القرية اللبنانية » .

● يجب ان يحمل المصلح الاجتماعي ـ الخلق الطيب ، والمعاملة الكريمة ، وبالتالي فعمله لن يكون عملاً سهلاً ، بل هو عمل دقيق جداً يتركز على هذه الروابط الانسانية بينكم وبين المواطنين من اهل القرى والجبل .

ان هذه المهمة تفرض على المصلح الاجتماعي المعرفة بواقع القرية ومعطياتها الجغرافية والبشرية ، والتربوية ، والصحية ، والاقتصادية ، وغيرها من أوضاعها وامكانياتها .

ان عمله هو عمل ارشادي يقوم على الاقناع وتبادل الثقة ، والاخلاص . ويتطلب حسن معرفة لحسن الاستفادة من المعلومات .

النظام الاقتصادي

بقدر ما كان فريد الدحداح دقيقاً وشفافاً في القضاء ، وبقدر ما هو حاسم في الادارة ، كذلك هو في ما يبدو له الأساس المثالي للحياة الاقتصادية :

لم يعد الجدل اليوم قائماً حول ما اذا كانت الدولة تتدخل في الحياة الاقتصادية لبلد معين او لا تتدخل . فإذا كان مفهوم الاقتصاد الحر هو غياب الدولة الكامل عن المسرح الاقتصادي ، فإننا لا نعرف بلداً واحداً في العالم كله ، في ما خلا بعض المجتمعات

البدائية التي تشك في مجرد قيام الدولة بمفهومها الحديث فيها ، نقول : لا نعرف بلداً واحداً يعتمد هذا النظام من الحرية الاقتصادية .

الأنظمة الاقتصادية المعروفة اليوم في العالم هي بكاملها انظمة مشتركة Mixed Systems وتعرف بالأنظمة المشتركة لاكثر من سبب واحد . أولاً لأن النشاط الاقتصادي فيها هو مشترك بين القطاع العام (الدولة) والقطاع الخاص . ذلك انه حتى في الدول الأكثر رأسمالية ، تلعب الدولة دوراً مهماً في الحياة ، ان من حيث استعمالها المباشر لنسبة محسوسة من مجموع الموارد الاقتصادية في البلاد ، او من حيث تنظيمها لمجرى الحياة الاقتصادية في مختلف مظاهرها وقطاعاتها . الا أن الأنظمة الاقتصادية تختلف في ما بينها حول ماهية دورة القطاع العام في الاقتصاد القومي وحول حدود تدخل القطاع العام في الحياة الاقتصادية . أي تختلف الأنظمة حول ما اذا كان تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية للبلد المعني يتم بطريقة مباشرة ام غير مباشرة وحول نطاق هذا التدخل .

فالمسألة في لبنان لم تعد أيضاً محصورة في ما اذا كان للدولة دور تلعبه في الحياة الاقتصادية ام لا . المسألة هي في تحديد مفهوم دور الدولة الاقتصادي وتحديد نطاق عملها في هذا المجال . وفشلنا حتى اليوم في تحقيق ذلك هو السبب الرئيسي وراء المشكلات التي يعانيها اليوم الاقتصاد اللبناني .

ان الظروف العالمية والعربية واللبنانية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الخمسينات تقريباً او حتى الثلث الأول من الستينات جعلت من المناسب قيام نظام اقتصادي في لبنان لا يعتمد فقط على الحرية (وهذا يبقى ضرورياً اليوم أيضاً) بل يتصف بالاعتماد الكلي على المبادرة الفردية وعلى غياب الدولة شبه الكامل عن المسرح الاقتصادي . وهكذا ظهر في مطلع الاستقلال النظام السوبرليبرالي . وكان ظهوره بعد الحرب نتيجة طبيعية تعكس الى حد بعيد روح اللبناني آنذاك ومفهومه لهذه الأمور . ولم يكن اختيارنا له نتيجة عمل فاعل واع .

وهكذا ، كان ان توافق هذا النظام السوبرليبرالي الذي اعتمدناه بطريقة تلقائية تقريباً ، توافق هذا النظام مع ظروف العالم والمنطقة والبلاد خلال تلك الحقبة ، فكان فعلاً النظام الواجب اعتماده لو كنا حللنا الأمور بوعي وادراك ، وذلك بغية الاستفادة القصوى من تلك الظروف ولقد تبين في ما بعد انه النظام الأفضل من الناحية الاقتصادية المحضة (ولا نقول الاجتماعية أو السياسية او الانسانية او الحضارية او الوطنية القومية او حتى الاخلاقية) . فمكن اللبناني من ان يستفيد لاقصى درجة من امكانيات

لبنان ضمن معطيات العالم العربي والأجنبي خلال فترة ما بعد الحرب مباشرة وطيلة الخمسينات .

الا ان هذه المعطيات اخذت بالتبدل الجذري ابتداء من أواخر الخمسينات وعلى الأخص خلال الستينات . وتجدر الاشارة هنا الى تطور بعض البلدان العربية الاقتصادي والسياسي خلال هذه الحقبة . كما نشير أيضاً الى تطور الوضع داخل لبنان والى تغير المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية عند الأجيال الطالعة والى الاهتمام بأمور عدالة توزيع الدخل والثورة وتكافؤ الفرص كمطالب شعبية ملحة .

وهكذا ، فإن التبدل في الداخل والخارج على السواء فرض على لبنان ضرورة تبديل مفهوم النظام الاقتصادي الحر ولا نقول تبديل النظام نفسه . فالوضع الحالي يقتضي منا اقامة نظام اقتصادي حر تلعب فيه الدولة دوراً مهماً وايجابياً ، فتؤمن للقطاع الخاص مجالات اقتناص الفرص الاقتصادية في الداخل والخارج كما تضمن استمرار نمو الاقتصاد اللبناني باضطراد مع تأمين عدالة توزيع الدخل والثروة بين المناطق والمواطنين وتكافؤ الفرص ، وحمايته من التقلبات العنيفة ذات المصادر الداخلية والخارجية على الأخص .

وفشلنا في معالجة الأزمات الاقتصادية المتلاحقة منذ أواخر عام 1966 يرجع في الأساس الى فشلنا حتى اليوم في احداث التبديل اللازم في مفهومنا للاقتصاد الحر ، ذلك التبديل الذي فرضه تغير الظروف والمعطيات ذي الداخل والخارج .

نحن لا نذكر ان دور الدولة في الحياة الاقتصادية قد زاد فعلاً خلال السنوات الاخيرة ، الا ان ما تقوم به الدولة على هذا الصعيد ما زال بعيداً كثيراً عما يفترض بها ان تنجز ، ليس من الناحية الكمية بقدر ما هو من الناحية الكيفية .

اي يبدو وكأننا قبلنا بدور الدولة الاقتصادي المتزايد ، ولكننا لم نتمكن بعد من رفع مستواه الى مستوى المسؤولية المطلوبة منه خلال الظروف الجديدة التي يجد لبنان نفسه فيها ، أي الى مستوى دور القطاع الخاص خلال الحقبة الأولى من تاريخ لبنان الاستقلالي .

ان الأوضاع الاقتصادية التي يواجهها لبنان اليوم تتطلب منا مجابهة غير اعتيادية . لأنها مجابهة لم نألفها بعد بسبب اعتمادنا السابق على القطاع الخاص وحده في تأمين رفاهيتنا

الاقتصادية ، ولسبب عدم كفاءة الادارة الحكومية لمثل هذا الدور.

لذلك فعلينا بادىء ذي بدء ان نبدأ مجابهتنا باجراء التبديل المفروض علينا لتجهيز القطاع العام بالكفاءات القادرة على القيام بأعباء الدور الجديد المطلوب منه في هذه الحقبة من تاريخنا الاقتصادي .

ولعل اول خطوة يجب ان نخطوها في هذا السبيل هي ضرورة اقتناعنا بأن النظام السوبرليبرالي لم يكن يوماً نفسه سبب ازدهارنا الاقتصادي السابق ، بل ان ذلك يرجع الى تفاعل النظام مع اوضاع اجتماعية وسياسية واقتصادية معينة في الداخل والخارج .

كذلك ، علينا ان نقتنع فعلاً بضرورة وأهمية دور الدولة في الحياة الاقتصادية وبأن ذلك لا يعني بالضرورة انتفاء النظام الاقتصادي الحر .

الادارة

كان يشعر وفي جميع اعماله في المجلس ، ان هناك امامه ثلاثة التزامات قانونية ، وضميرية ، ووطنية :

أ ـ القسم الذي أقسمه رئيس مجلس الخدمة المدنية قبل تسلمه مهامه ، وهو ان يؤدي واجباته بأمانة واستقلال واخلاص .

وان يكون حريصاً على تطبيق القوانين والأنظمة .

وأن يحافظ على أسرار الوظيفة وكرامتها .

ب ـ ممارسته كامل صلاحيات الرئيس على مرؤوسيه في جميع شؤون المجلس ـ وحداته ـ التنسيق ـ المراقبة ـ التقرير ـ السهر على التنفيذ ـ اصدار التعليمات ـ تحمل المسؤوليات في كل قضية من القضايا المعروضة .

مع ممارسته سلطة الوصاية على احدى كبرى المؤسسات الرسمية المستقلة (تعاونية موظفي الدولة) .

ج ـ رئاسة الهيئة ، وادارة اجتماعاتها ومناقشاتها ، وبصورة غير متقطعة ، وبحيث

تستمر المراقبة على أعمال الادارات قائمة في اوقاتها دون التأجيل او التأخير ، وذلك توصلا لحسن سير هذه الأعمال ، ضمن قرارات البت ، او الرأي ، وتعزيزاً لروح الثقة بين المجلس ، كسلطة رقابة ، وبين الادارات كسلطات تنفيذ .

د ـ القيام بموجبات التفويض الدائم الذي اعطاه القانون لرئيس المجلس كي يمارس ، وضمن المجلس ، الصلاحيات المالية والادارية التي اناطتها القوانين والأنظمة بالوزير . باستثناء الصلاحيات الدستورية .

وهكذا فقد تمكن الشيخ فريد الدحداح من ان يقف المواقف المشهودة في الدفاع عن القانون ، وسلامة العمل القانوني ، بعيداً عن الضجة والدعاية .

ولقد كان له سواء كموظف رئيس ، او كحامل صلاحيات وزير دائم ، القول الحق في القرارات المتخذة ، والآراء المعطاة ، ومواجهة محاولات التجاوز ونزوات الاستنساب مواجهة شجاعة لا تلين عند مسعى ، ولا تضعف عند وساطة ولا تتلكأ عند ضغط .

وفي تقاريره السنوية ، ومطالعاته الى مجلس الوزراء ، وآرائه في اللجان النيابية ، ما يبين هذه المواقف ومناعتها ، وكيف تمكن هذا الموظف الكبير من ان يكون المدافع عن القانون في شتى الظروف وبصورة فريدة نادرة ولا سيما امام رجال السياسة ، والحكومة احياناً ، ولعل في تقريره عن أعمال المجلس لعام1968 المنشور في الجريدة الرسمية العدد 26 تاريخ31 آذار1969 ما يعطي الفكرة الواضحة والأمثلة الكثيرة عن هذه المواقف الصلبة في الدفاع عن القانون .

قال في تقرير له عام1968 :

« لقد زاد في حدة ذلك اقدام الحكومة على مخالفة النصوص القانونية التي ترعى الترفيع بتماديها (أي الحكومة) في تجاهل شرط انهاء الدورة التدريبية بنجاح في (المعهد الوطني للادارة والانماء) المفروضة للتعيين في الفئة الثانية ، وذلك بتعيينها موظفين في الفئة الثانية لم يتوافر فيهم هذا الشرط على الرغم من معارضة مجلس الخدمة المدنية لهذا التعيين .

وكي تضفي الحكومة على عملها صفة شرعية اصدر مجلس الوزراء في19 - 7 - 64 قراراً يقتضي بأن يستثنى من شرط اجتياز امتيازهم بنجاح دورة تدريبية ومن ادراج اسمائهم

في جدول الترفيع لاسباب خارجة عن نطاق ارادتهم ، على ان يعود لمجلس الخدمة المدنية امر تقييم هذه الحالات .

ولا ضرورة للاشارة الى ان هذا القرار مخالفة صريحة لاحكام المادة11 من نظام الموظفين ، **كما انه شكل سابقة مبدئية خطرة تمت على أساسها تعيينات لاحقة .**

دفاعاً عن الاصلاح والتصميم

كيف يمكن تقييم نتائج الاصلاح الاداري ؟ هذا السؤ ال طرحته احدى المجلات على الشيخ فريد الدحداح فأجاب بما يأتي :

« ان الاجراءات التي اتخذت وطبقت هي متعددة لدرجة يصعب علينا ان نعطي حكماً شاملاً دقيقاً . فالتغييرات التي ادخلت الى الادارة اللبنانية ـ ككل تجربة جديدة ـ كانت تخبىء في داخلها ، عند اصطدامها بالواقع ، بعض الأمور والنقاط المجهولة . ومهما بلغ حرص المسؤولين في سد كل ثغرة من عملية الاصلاح الشاملة ، فإنه لا يمكن ضمان النجاح التام مسبقاً . وفي الواقع ، اذا كانت بعض الاصلاحات والتغييرات الجزئية تبدو احياناً ضرورية ، فإن مجمل عملية الاصلاح تسير ـ في اغلب الأوقات ـ بطريقة مرضية . والأجهزة التي وضعت بعد عام1959 ، اندمجت من دون أي صعوبة في التركيب العام للادارة ، وأدخلت عناصر تجديد مثمرة .

وانشاء وزارتين جديدتين ـ عام1966 ـ هما وزارة السياحة ووزارة الشؤون المائية والكهربائية ، يكرس رسمياً هذين النشاطين الحيويين ـ السياحة والماء والكهرباء ـ بالنسبة الى مستقبل البلاد الاقتصادي والاجتماعي ، بالاضافة الى ان هذا الاجراء يخفف العبء عن كاهل وزارتي الانباء والاشغال العامة . كما ان ادخال نظام تأمينات اجتماعية الى لبنان ، قد فرض انشاء صندوق للضمان الاجتماعي ، يسعى لتحقيق هذه التأمينات .

ومن ناحية ثانية ، ففي مجالات الانشاءات الاساسية ، كالكهرباء والمواصلات والبناء ، تم تحقيق مشاريع عديدة هامة ، وكل هذا بفضل الأجهزة الجديدة التي انشأتها وركزتها عملية الاصلاح .

من المشاكل الحساسة الدقيقة ، هي هذا التوازي بين الأنظمة الجديدة ، النابعة من خطة انماء وتطوير الأنظمة الادارية التقليدية . وليس من السهل صهر النظامين والعقليتين . معظم بلاد العالم تواجه هذه المشكلة . والتفكير بالغاء القديم دفعة واحدة ، يعني ببساطة هدم الجهاز الاداري القائم ، ومن اجل انشاء جهاز اداري جديد ، على انقاضه . وهذا الجهاز الجديد يفتقر الى مقومات عديدة يملكها القديم .

فالعمل اذن يجب ان يتم على اساس ازالة ، او تخفيف ، الفوارق بين العقليتين ، وتسهيل ادخال العناصر الجديدة الى الادارة ، من دون ان تضطرب الادارة او تثقل بهذه العناصر . وكان من الضروري تقسيم الكفاءات وطرق التعاون بين الجديد والقديم .

ماذا تم من كل هذا ؟ .

وجهت انتقادات بسبب انشاء وزارة التصميم ، لأسباب فنية وسياسية معاً . فبالنسبة الى هؤلاء ، يتعارض انشاء وزارة للتصميم مع مبدأ التصميم ، لأن جميع قطاعات الحياة العامة يجب ان تشترك في التصميم ، كل حسب امكانياتها وفي مجالها الخاص .

اما على الصعيد السياسي ، فقد خشي البعض ان تسيطر وزارة التصميم على بقية الأجهزة الادارية ، وتفرض رقابتها عليها . وتكون النتيجة ان وزارة التصميم تحقق وحدها عملية التخطيط ، ولا تتعاون مع سائر الأجهزة الادارية ولو تعاونا جزئياً .

لكن الفكرة من وراء انشاء وزارة للتصميم ـ في ذهن الأب لوبريه وفي ذهن المسؤولين عن الاصلاح ـ لم تكن تهدف الى حصر عملية التخطيط والتصميم فيها . كان الهدف الاساسي ، ان تلعب وزارة التصميم دور المحور بين جميع اجهزة الدولة . وبذلك تساهم في ازالة الحواجز بين العقلية القديمة والعقلية الجديدة ، وتعمل على صهرهما ضمن اطار موحد من التعاون .

غير ان الصعوبات لا تظهر الا عند التطبيق ، وخاصة على النطاق المحلي المحصور . ففي الوحدات الجديدة الاقتصادية والاجتماعية ، لم تتوصل الفرق المتعددة النشاطات ، والمرتبطة بادارة الدراسات والتخطيط في وزارة التصميم ، « وبالعمال الاجتماعيين » التابعين لمصلحة الانعاش الاجتماعي ، لم تتوصل هذه الفرق الى ايجاد وسيلة مرضية صالحة تماماً ، للتعاون مع الاداريين في المناطق ، لدرجة ان التجهيز الانمائي والتجهيز الاداري التقليدي يعملان ، في اغلب الأحيان ، كل على حدة . وهذا النقص من توحيد المجهود لا يمكن الا ان يؤ خر العمل التنظيمي في المنطقة .

ولكن ، مهما تبلغ الانتقادات والتحفظات تجاه هذا الجانب او ذاك من الاصلاح ، فإننا لا نستطيع ان ننكر ان الاصلاح قد وضع الوسائل القانونية والادارية والتربوية لتجديد حقيقي . ويمثل مجلس الخدمة المدنية ، والمعهد الوطني للادارة والانماء ، والتفتيش المركزي ، مفترقاً أساسياً في الحياة الادارية اللبنانية .

فبواسطة الاقتراحات والآراء التي تتقدم بها هيئة مجلس الخدمة المدنية الى مجلس الوزراء ، في ما يتعلق بتنظيم اجهزة الدولة واوضاع الموظفين ، يملك مجلس الخدمة وسائل لتكييف الجهاز الاداري مع التطور الاقتصادي والاجتماعي ، ويمنع خطر الجمود ، الذي تتعرض له عادة الادارة .

ومن جهة ثانية ، استطاع المعهد الوطني للادارة والانماء ان يساهم في خلق الكادرات الضرورية والصالحة . وقد نجح هذا المعهد أيضاً في توسيع نطاق عمله ، بحيث اقام دورات تدريبية لموظفي عدد كبير من الدول العربية . وهذا يدل على المستوى العلمي الذي يتمتع به المعهد .

وهكذا ، تدخل الادارة اللبنانية شيئاً فشيئاً في « عصر التنظيم » ، ـ الهادف الى الفعالية والانتاج ـ بالرغم من بعض التردد والهنات .

ونحن نخطىء اذا اعتبرنا ان قيمة ادارة ما مرتبطة بالاعتبارات الفنية والتقنية . ان الاصلاح الاداري ، مهما كان تاماً وناجحاً ، لا يمكن ان يأخذ مداه الا من خلال مفهوم معين الى طبيعة الدولة ودورها . وقبل ان يباشر بتغيير اسس وتركيب الأجهزة الادارية اللبنانية ، اكد البعض على ضرورة ربط اصلاح الدولة بتحديد القيم السياسية التي تعتبر ضمانة للدولة .

وقد أدركت الدول المتطورة هذا الأمر ، وهي تسعى الى خلق ادارة جديدة تكون وسيلة فعالة لحياة سياسية حقيقية . وقد تشكلت نواد ، وحركات ، وتجمعات مثقفين ، من أجل تحقيق هذا الهدف ، وهي تجد لدى الرأي العام تجاوباً كبيراً .

واذا كانت غاية الانسان هي خلق تآلف بين عاداته وتقاليده ومفاهيمه ، أفلا يجدر بالدولة ان تفعل ذلك ، على صعيد جماعي ، وهي التي تملك جميع الوسائل العلمية والفنية من اجل انتاج اداري متزايد ؟ » .

ولقد وقف مجلس الخدمة المدنية من هذا القرار موقفاً معارضاً على الرغم من « الصلاحيات الشكلية التي أنيطت به في تقدير الحالات » .

ويتحدث الدحداح عن الادارة من خلال المباريات والموظفين :

« تبين لنا من المباريات والامتحانات العديدة التي اجراها المجلس لادارات الدولة ، والمؤسسات العامة ، والبلديات ، ان عدد المرشحين لمختلف الوظائف الادارية والفنية قد زاد نسبياً زيادة كبيرة ، من مختلف المناطق والاقضية والقرى القريبة والنائية ، وهذا يدل على أمرين بارزين :

أ ـ ان نسبة الاقبال على العمل في الوظيفة العامة قد تضاعفت كثيراً عن ذي قبل واتسع نطاقها ، نظراً لرفع مستوى الوظيفة المعنوي والمادي من جهة ، ونظراً لكونها تكاد تكون مورد العيش المضمون ـ حالياً في لبنان ـ من جهة ثانية .

ب ـ ان روح العدالة التي وضعت بها انظمة المباريات والامتحانات وشروطها الادارية والعلمية ، ورعت نتائجها مع دقة الحفاظ على حقوق المرشح الناجح فيها ، هي

التي شجعت المواطنين المتوافرة فيهم الشروط للتقدم اليها بروح من الاطمئنان والثقة بالدولة ، ودونما اية واسطة الا نفوذ المؤهلات العلمية وفعاليتها .

يجب ان نتصارح بأن الخدمات التي يقدمها موظفو الدولة للمواطنين ما زالت اقل نسبياً من الخدمات المتوجب تقديمها .

وعندما لاحظنا ان هناك نقصاً في عدد المرشحين الذين يتقدمون للوظائف ذات الطابع الفني او المهني قمنا ، ومن خلال برامج التخصص في الخارج الذي نتولى الاشراف على اعداده ، الى تأمين اعداد المهنيين والفنيين في الخارج في مختلف الحقول تأميناً لحاجة القطاعين العام والخاص ، ولا يقل عدد الذين فتحنا لهم ابواب التخصص ، وخلال عشر سنين في الحقلين الوظيفي والخاص غير الرسمي عن ثلاثة آلاف شخص انفقت الدولة في سبيل دراساتهم في جامعات العالم ومعاهده ومراكز التدريب حوالي عشرة ملايين ليرة لبنانية ، هذا بالاضافة الى اننا تمكنا من ان نؤمن الاستفادة بصورة مستمرة من جميع منح التخصص في الخارج المقدمة من جانب الدول الأجنبية والمؤسسات الدولية ، والتي هي مفيدة للمصلحة اللبنانية ، وأقمناها كأيراد للخزينة اللبنانية ، يتعهد المستفيد منها بخدمة الدولة فور انتهاء تخصصه » .

ومن ذلك الى المستوى العلمي وأزمة العمل :

« لا شك في ان عدداً كبيراً من المرشحين الذي تقدموا الى مباريات الدولة وامتحاناتها كان بصورة عامة ضعيفاً علمياً ، باعتبار ان القطاع الخاص عمل بمختلف الطرق على اكتساب احسن العناصر للعمل لديه .

وهذا ما دعانا دائماً الى دعوة المراجع العليا لمعالجة هذا الوضع رغبة في المساواة المتفوقة ، وذلك عن طريق رفع الرواتب وتحسين الأوضاع ومضاعفة الخدمات .

ولعل أوسع التنظيمات التي أعددنا مشاريع نصوصها ، ولأول مرة في تاريخ لبنان ، هي قوانين التعاون الوظيفي وانظمته ، هذا التعاون (اي تعاونية موظفي الدولة) الذي صهرنا فيه جميع الخدمات القديمة والجديدة ، وحولناها الى جهاز واحد تحت وصاية واحدة يضم بمنافعه ما لا يقل عن مئتي الف مواطن منتسب ومستفيد (موظف ـ مستخدم ـ اجير ـ متعاقد ـ شخص في العهدة الخ . . .) .

وهناك كثرة هائلة من المرشحين الذين يتقدمون للوظائف العادية البسيطة ، اي التي لا تتطلب من الشهادات ما يزيد على مستوى البكالوريا ، مما يحمل على الاستنتاج ان

حملة مثل هذه الشهادات قد أصبحوا من الكثرة بحيث ينبغي ان نؤمن لهم سبل العمل ، او سبل متابعة التحصيل ، ضمن تخطيط يتفق ومصلحة لبنان .

وقد اضطررنا احياناً كثيرة وفي نطاق هذا الوضع المتصاعد في التضخم الى ان نوافق على توسيع بعض الملاكات ولا سيما الملاكات الموقتة ، وتشغيل الاجراء ، والتعاقد ، وتوسيع نطاق مواضيع التخصص .

ولقد أجرينا ومنذ انشاء المجلس ولغاية اليوم ما لا يقل عن خمسمئة(500) مباراة وامتحان سواء للتعيين في الوظائف الشاغرة في ملاكات الادارات العامة والمصالح المستقلة والبلديات الخاضعة لمراقبتنا ، او للدخول الى المعهد الوطني للادارة والانماء ، او للتخصص في الخارج للتدريب او للاعداد على الوظيفة العامة .

وقد تقدم اليها ما مجموعه حوالي مئة الف(100,000) مرشح ومرشحة ، من حملة المؤهلات والشهادات العلمية وخبرة الخدمة ، ومن سائر الفئات والمستويات والمناطق ، ولقد عمل لتأمين انجاز هذه المباريات والامتحانات في مهلها المحددة عشرات المئات من لجان المراقبة والتصحيح والتدقيق ، واننا لنقدر ان نؤكد اننا تمكنا وبصلابة وعناد ، ووعي ضمير من ان نجعل روح التجرد والعلم والعدالة تسيطر على هذه الأعمال رغم ضخامتها وأهميتها ، ودقتها المتناهية ، فرفعنا من سمعة العمل الرسمي ، وعززناها ، وفتحنا بابنا شخصياً لكل مراجعة وشكوى نبتها ـ وبالسرعة الفورية ـ وفقاً للقانون وحدوده مع ضرورة التأكيد الكلي بأن هذه الألوف المؤلفة من المعاملات والقرارات ندر ان نشأ عنها خصومة او نزاع مما يدل دلالة واضحة على روح العدالة والدقة والنظام التي سادت اجراءاتها ، فإذا بكل من الناجح والراسب راض عن النتيجة المقررة المعلنة ضمن مهلها على باب المجلس . ونحن على يقين انه ـ ولأول مرة في تاريخ الادارة اللبنانية ـ تعم مثل هذه الثقة بروح جدية بين المواطن والدولة ، في عشرات الألوف من القضايا العامة ، وفي جو من الاقتناع الكلي بالانصاف . وذلك بفضل المبدأ الذي طبقناه وهو اخضاع التعيين لشرط الكفاءة ، والكفاءة وحدها بغية ابعاد كل تأثير للوساطة والمحسوبية .

واننا فتحنا باب التقدم الى شغل وظائف الدولة لكل من الرجل والمرأة على السواء دون اي تفريق ، وقد تبين لنا في مباريات عديدة ان المرشحات قد نلن مراتب النجاح الأولى ، فحفظنا حقوقهن في التعيين حسب تسلسل هذه المراتب ، اعتقاداً منا بأن المجتمع ـ وكل مجتمع متمدن ـ لا يمكن ان يسير في تصاعده الا اذا تجمعت جهود جميع المواطنين ، دون تمييز او حصر على أسس التفوق ومقاييس العلم والمعرفة .

وكانت ابرز الفكر ، التي راودتنا في جهودنا ، هو ان تنوع المشاريع في الوطن ، وتوسعها ، وشمولها ، وتشابكها ، وما يتبع ذلك من مقتضيات التنسيق ، والتنظيم ، يفرض حتماً وجود (مؤسسة) قوية معنوياً ، ومادياً ، وبشرياً ، تتولى هذه المشاريع وتديرها ، وتنفذها ، وتحمل الغير على الاقتناع بفوائدها وملتزمات الحرص عليها ، والدفاع عن سمعتها وتلبية نداءاتها .

وليست المؤسسة التي يمكنها ان تقوم بهذه المشاريع في المجتمع الحالي ، سوى الدولة .

ان الدولة ، هي وحدها ، بمفهومها الحديث ـ لا بمفهومها القديم ـ القوة المسيرة ، القادرة على القيام بذلك في مصلحة الوطن كله لخدمة جميع ابنائه وطبقاته .

ولن تتمكن الدولة ، في عرفنا ، من القيام بمهماتها المتشعبة الشاملة الا متى كانت جميع اجهزتها في المستوى المطلوب الفعال . سليمة الحركة ، سريعة التجاوب .

ولن يتحقق هذا المستوى الا متى اجرينا اصلاحاً ادارياً جذرياً شاملاً لأجل التوصل الى ايجاد عناصر بشرية متنوعة النشاطات والاختصاصات تقدر على ادارة هذه المشاريع وتحقيقها .

ان المرحلة الاصلاحية ، لم تكن في الواقع بمرحلة ترميم بقدر ما كانت مرحلة اصلاح جذرية ، فهي وان كانت احياناً عبارة عن تعديل او تغيير في بعض نواحي العمل الاداري القائم غير انها في بعض الأحيان كانت عملاً اصلاحياً عميقاً تلمس الأصول نفسها ، وخططها ، وقرر ، ونفذ ، وعالج مشكلات لم تكن لتعالج من قبل .

ان الاصلاح الاداري ، شأنه شأن التنمية ، ليس بمرحلة زمنية محدودة تقف عندها المساعي بل هو المسعى الدائم في سبيل التطور الدائم . هو هذا الجهد ، الموضوعي ، العميق ، الذي يتمكن به جميع المواطنين ومهما كان مستواهم الاجتماعي ـ من الوصول بطريقة الاقناع الى الاعتقاد بأن (الانفاق الذهني والجسدي) في العمل هو حاجة طبيعية ، تلقائية ، نظامية ، تتجدد كل يوم ، وتتكامل دونما انقطاع ، مهما كانت الأسباب .

تمكنا ان نوسع عمل المجلس من النطاق الداخلي لشؤون الادارة الى النطاق الخارجي الدولي ، فأقمنا فيه الحلقات والندوات الدولية ، في المواضيع الادارية والانمائية ، وفي القانون ، والدبلوماسية وحاولنا ، وعلى بساط العلم والبحث ان نحشد له

جهود كبار العلماء والخبراء الأجانب في مختلف انحاء العالم الغربي والشرقي ، وكانت غايتنا هي تحقيق المهمة الموكولة الينا ، وهي مهمة تنظيم الأبحاث والتحقيقات والدراسات في مختلف القضايا ، بالاشتراك مع الدول والمؤسسات الأخرى وذلك عن طريق تبادل المعلومات بشأن التطورات الحديثة في الادارات العامة والانماء .

ولا يقل عدد العلماء والخبراء الذي اشتركوا في هذه الأعمال عن مئتي عالم ، من اصحاب المؤهلات العالية ، وكان عملهم ضمن اطار الجهد العلمي الصامت البعيد عن الضجيج والدعاية انسجاماً مع طبيعة المواضيع التي تولوا معالجتها . كما اننا من ناحية ثانية اقمنا للمجلس مع هيئات المراقبة العالمية الأخرى علاقات متينة سواء باشتراكنا معهم في حلقاتهم وندواتهم وبهذه المخابرات الدائمة المستمرة بيننا وبينهم في الدراسات والتقارير والبحوث ، ضمن تبادل الرأي والخبرة والزيارات الشخصية .

ان ازدياد عدد الموظفين ادى الى مشاكل هامة في ضبط الموظفين ومراقبتهم ، هذه المراقبة التي تهم بالدرجة الأولى رؤساء الوحدات وسائر القيمين على شؤون الدولة ، ذلك لأن ازدياد عدد الموظفين يحد من مقدرة الوحدات على معرفة عمل كل فرد من موظفيها لأنه يستحيل مراقبة عدد كبير من الموظفين يقومون بمهمات مشعبة .

من هنا نشأت عندنا في لبنان الحاجة الى تصنيف الوظائف واستعمال الاصطلاحات العلمية لتسمية كل عمل لانها الوسيلة الوحيدة التي تمكن رئيس الوحدة من معرفة مهمة كل من موظفيه .

بالاضافة الى ذلك ان التفهم لمسؤوليات كل وظيفة ضروري للحصول على معلومات دقيقة عن هذه الوظيفة . ذلك انه لا يجوز من ناحية العدالة ان تدفع الدولة الراتب ذاته مثلاً لكل الاطباء بل يجب ان تراعي الفروقات في المسؤولية والمهارة المتطلبة اذ يجب ان يرتفع الراتب كلما صعبت مهمة المنصب . وان تحديد الراتب يحتاج الى معرفة وافية لمتطلبات كل وظيفة ومسؤولياتها . وهذا ما يؤمنه النظام الجديد الذي باشرنا درسه (نظام تصنيف الوظائف) .

التربية ، الشباب ، المجتمع

عن السياسة التربوية والشباب في لبنان يقول رئيس مجلس الخدمة المدنية :

« يجب ان يكون للبنان سياسة تعليمية ، بعيدة المدى واسعة الآفاق ، تتركز على التخطيط العلمي ، وتأمين التمويل في شتى المراحل ، تشمل القطاعين العام والخاص ، ضمن حرية التعليم التي نص عليها الدستور .

ويقتضي ان تكون هذه السياسة متقدمة ، عميقة ، تنبثق من طبيعة الشعب اللبناني ، وابعاد آماله ، ومتنوع حاجاته ، وبحيث يظل لبنان في مكانته العلمية والثقافية والتربوية صاحب رسالة متفتحة على العالم وحركاته الفكرية والعلمية ، وسرعة التطور والتكيف والسير مع الركب العالمي الحضاري في خدمة العلم ، والفكر ومكتشفاتها .

ولا شك ان أول ما يتبادر الى الذهن عند وضع اية سياسة تربوية اليوم ، هو تفهم اوضاع الشباب وشكواهم من المناهج المطبقة والنظر في اقتراحاتهم ومطامحهم ، ومجالات تفكيرهم ، وازالة هذا القلق العميق الذي يجتاح صفوفهم دافعاً بهم احياناً الى التمرد ، والأعمال الثورية ، والشعور بالانقطاع بين ثروة الماضي واحلام المستقبل .

وينبغي ان تهدف ايضاً هذه السياسة في توجيهاتها الى تأمين العمل لجماهير المثقفين ، ولتجديد روحية الشعب والحفاظ على قيمه المميزة والتشديد على المسؤولية الاجتماعية بما يتلاءم والحاجات ، مع التشديد على الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع والقيم الروحية والمعنوية الاساسية للتلاحم الاجتماعي .

كما تهدف الى تعميم التعليم ليشمل اكبر عدد ممكن من المواطنين ، باعتبار ان غير المتعلمين هم دائماً العبء المرهق غير المنتج الذي يبهظ كاهل المجتمع .

ويجب التشديد على مرونة نظام التعليم بحيث ينسجم هذا النظام مع مقتضيات المجتمع وحاجته الحالية والمستقبلة فلا تعود البرامج معتمدة اكثر ما يكون على الذاكرة بل تكون موادها حوافز للرغبة التصاعدية في العلم ، والانصراف الى الجهد الشخصي ، والفكر المستقل ، والبحث عن ايجاد الحلول للمشكلات ، وتعليم الكبار ، والتوصل الى تنفيذ التعليم الالزامي ، واعداد القيادات ، واعطاء الفرص للجميع ، والعناية بقضايا المتفوقين ، واحترام العمل اليدوي ، والمهني ، وتشجيعه ، والعناية الخاصة بالعلوم والأبحاث .

وبالتالي الخروج بلبنان من واقعه العلمي والتربوي الحالي ، الى واقع جديد تتجمع فيه المواهب ، والمؤهلات ، وتسيطر فيه روح الثقة بالمستقبل ، وتعزز روح المغامرة العلمية في عالم حديث خرج على ايدي العلماء من رجاله وشبابه عن مضايقه وتأملاته الخائفة الى ما فوق المقاييس والحدود المعروفة .

السياسة العربية

يؤمن فريد الدحداح ان لبنان بلد عربي ، ينتمي بملء ارادته ، الرسمية والشعبية ، وفي نطاق حدود القانون الدولي ، الى منظمة دولية اقليمية لمجموعة من الدول ، هي جامعة الدول العربية .

يتحسس لبنان بقضايا هذه الدول ، ومحيطاتها ، تحسساً عميقاً ، فيعيش آلامها وافراحها منذ أقدم الأزمنة ، ويساهم في نضالها ، ويتجاوب باندفاع فوري طبيعي مع جميع قضاياها الحقة ولا سيما قضايا التحرر ، والعدالة البشرية ، والقيم الحضارية ، وقدسية القانون ، التي هي في الأساس قضاياه الدائمة الملتحمة مع تقاليده ومناقبه ، والمنسجمة مع عناصر وجوده ، وعناوين الصفحات المميزة من تاريخه القديم والحديث .

ولا عجب ان يتحمل الوطن الذي تكون هذه طبائعه وتقاليده بشجاعة وصبر ومحبة ، كل ما يمكن ان يواجهه ، من أذى وتحديات ، في سبيل غلبة مساعيه ، وتحقيق اهدافه والحفاظ على سلامة مواقفه .

كما ان لبنان يشعر ، من ناحية ثانية ان الدول العربية هي له في الصعوبات وفي الازدهار ، درع القوة ، وحصن الدفاع ، ومصادر غنية ضخمة من الثروات المعنوية والمادية .

وانه لا يمكن ان تكون بينه وبين اية من هذه الدول ، خلافات اساسية ، حتى تلك التي قد يصدر عن حكوماتها من التصرفات المفاجئة احياناً ، ما يؤذيه ، ويلحق الضرر المادي والمعنوي بمصالحه المتنوعة .

ودور لبنان في المحيط العربي القريب والبعيد هو دور طليعي ، مسؤول ، يقظ .

وما الخلاف بالنسبة اليه ، في بعض القضايا العربية ، الا اختلاف داخلي بين ابنائه على مدى مساهمتهم في الخدمة والتضحية ، وليس على المساهمة نفسها .

وهذا امر طبيعي لأن صعوبة بعض هذه القضايا ، وتعقدها وكثرة عناصرها المتشابكة ، والانفعالات التي تحيط بها احياناً ، وغموض الكثير من معالمها ووقائعها ، واسرارها ، كل ذلك يحدث في لبنان ـ موطن الحوار الحر ـ خلافاً في الرأي على الصعيد اللبناني الداخلي ، عند محاولة التقدير ، والتقييم ، والتقرير والاستعداد للمواجهة .

ولا غرو ان تتعدد في لبنان الآراء بالنسبة الى قضية عربية واحدة . وهذا التعدد هو

عند المراقب المنطقي نتيجة لتمسك كل جهة برأيها ، وتصلبها على هذا الرأي ، وذلك تظاهراً منها بشدة الايمان ، وعمق الاخلاص ، وكبرياء الاستقلال الشخصي ، في معالجة الأمور . بالاضافة الى دوافع المنافع ، ومقتضيات المصالح .

وفي رأينا ، ان المسؤول عن قضية ما من القضايا صغيرة كانت اوكبيرة ، يقتضي ان يتحلى دائماً برحابة الصدر ، وبروح العدالة والانصاف ، وترفع التضحية وجرأة النظر في الأمور على الوضوح وبعد النظر ، والسرعة الى تكوين الحل النهائي الصالح ، واقراره والزام الجميع بتنفيذه ، لأن كل حل ـ حتى الحل غير المكتمل ـ الذي لا ينفذ هو قضية جديدة ترهق القضية الأساسية .

ولعل اهم ما واجه القضايا العربية ، كما بدا لنا من اشرافنا على الدورات الدبلوماسية العربية التي نقيمها في المجلس ـ بأن الحلول ـ ولو صحيحة ـ اتت احياناً بعد فوات الأوان ، فأحدثت المضاعفات ، وفجرت الأخطار والاحقاد ، وطمست الحقائق ، وتحولت هي نفسها الى قضايا مفتعلة تفتش عن حلول .

ولا شك بأن حرص لبنان على سيادته ، واستقلاله ، وحريته ، ونظامه الديموقراطي ، يدفع به يوماً بعد يوم الى تعزيز تمسكه بجامعة الدول العربية وميثاقها ، فيعمل بصراحة واخلاص ضمن هذا الميثاق ليجعل من الجامعة اقوى المنظمات الاقليمية الدولية القائمة على مفارق الطرق ما بين هذه القارات المتزاحمة ، وما فيها ـ وخاصة العالم العربي ـ من ثروات ضخمة مستثمرة وخام ، ومطمورة . فيساهم مع دول الجامعة في توحيد المواقف العربية في اندية العالم المختلفة ، وينسق الامكانيات على اسس العلم ، ويحول الميثاق الى اداة فعالة سليمة ، تتصافى فيها الآراء ، وتحقق الاقتراحات وتنفذ المشاريع وتعزز حركة التعاون في المنافع المتبادلة ، وتحل القضايا بالحوار والحجة والاقناع ، وبالتالي بالابتعاد عن الانفعالات العاطفية .

ان ايمان لبنان بالقيم ، وبالحق وبسمو العدالة ـ (ركن اركان الدولة الديموقراطية) ـ هو ايمان قديم جداً ، يجعل من مساهمته في قضايا الحرية ، ضمن اراضيه وخارجها ، مساهمة العفوية الفطرية التي تنبع من اعماق ضميره وامانيه ، وامتداد مصالحه وطموح الغد ، ومن كونه ايضاً يحمل عبء المسؤولية في العمل لتوحيد الموقف العربي ، والدفاع عنه ، ولا سيما في دول العالم حيث يتمتع مغتربوه بنفوذ الرأي ، ومكانة الصدارة ، وقوى فكرية ، ومادية ، ما زالت مجهولة عند الكثيرين ، وخاصة عند بعض الدول العربية نفسها .

ان القضايا التي تواجه الدول التي تحيط بلبنان ولا سيما الدول العربية ، انما هي من صميم القضايا اللبنانية ، لأنه لا يمكن دولة ذات رسالة وقيادة ان تقف موقف المتفرج من حوادث تجري بجوارها وعلى حدودها دون ان يكون لها فيها حق التقدير والتقرير والمساعدة .

قضية فلسطين

بالنسبة الى قضية فلسطين يقول الدحداح « ان رسالة لبنان الحضارية ، ومكانته التي أشرنا اليها في المجموعة العربية ، وحدوده البرية والبحرية المتواجهة لفلسطين ، وروابطه الأخوية بشعب فلسطين ، واعتداءات الصهيونية عليه ، ومخططاتها المعروفة ، ان كل ذلك يحدد بشكل واضح ، غير قابل للجدل والنقاش ، دوره الاساسي المصيري في القضية الفلسطينية ، كما يحدد تلقائياً موقفه في هذه القضية ومدى التزاماته اليها ، وضخامة موجباته في مأساة من أفجع المآسي التي شوهت وجه الحق في تاريخ الانسان والنظام العام ، والقانون الدولي حجر الزاوية في كل حضارة انسانية .

وهل هناك أشد على لبنان المقيم والمغترب ـ وكلاهما واحد في مواجهة الباطل ـ من أن يرى في جواره ، على حدوده ، شعباً ينتزع بالقوة طرداً من وطنه ويشرد ، ويذل ، ثم يستولي على أرضه ، ودياره وكل ثروته وتراثه ، ومقدساته ، أناس اغراب ، مستوردون استيراداً من زوايا الأرض لا يجمع بينهم الا رابطة دينية ، ولا يسير شملهم واهدافهم الا عنصرية توسعية ، وعقلية التسلط ، وثأر الغزو والاستخفاف بالقيم والقانون ، وحقوق الشعوب .

ان انتصار الصهيونية في فلسطين هو في الواقع انتصار على لبنان أيضاً ، وقيمه ، وبالتالي هو محاولة القضاء على مكانته ، وحضارته ، وكيانه ، وكل ما يكتنز هذا الكيان من ثروات روحية وفكرية ، ومادية ، وملاجىء للأحرار الهاربين من الاضطهاد .

وعليه فإذا كانت القضية الفلسطينية هي قضية العرب الأولى في تاريخهم الحديث فهي ولا شك ، قضية لبنان الأولى .

ونحن نشعر بأن على لبنان أن يضع جميع امكانياته في خدمة هذه القضية .

ان الوطن القوي المستقل ، الضنين بحرياته ، الحفيظ على أنظمته وسلامة

مؤسساته ، هو الوطن الذي يعرف خير المعرفة وأوسعها ، كيف يعدّ نفسه لمواجهة القضايا وتجهيز القوى ، وتوحيد الصفوف والدفاع بصمود واتحاد عن القضية الحق .

الدحداح الخطيب

فريد الدحداح ليس خطيباً جماهيرياً . لم يدخل الحياة النيابية ولم يعيَّن وزيراً . فهو رئيس مجلس الخدمة المدنية ، الرجل الاداري الهادىء ، الذي لا يخطب الا اذا دعته الضرورة الادارية الى القاء كلمة في افتتاح مؤتمر ما . واذا خطب يأتي كلامه في نطاق التوجيه . وفي ما يأتي نماذج من خطابات له ألقيت في مناسبات مختلفة :

افتتاح مؤتمر الدورة المعجَّلة الثالثة لفرع الاعداد في المعهد الوطني للادارة والانماء بتاريخ 15/ 2/ 1967 :

ان الوظيفة والاصلاح ، والادارة ، وتطور الادارة اللبنانية ، كلمات رددت كثيراً على مسامعكم وفي مناسبات عديدة ، ولكنها هنا في هذا المجلس ، وفي هذا المعهد بالذات ، لها معان عميقة مميزة ، ترتبط بالعنصر البشري ارتباطاً كلياً ، وأكثر بكثير من ارتباطها بالدرس والحفظ والامتحان والعلامات .

ونحن بهذا الارتباط نود ان لا يتخرج من المعهد الوطني للادارة والانماء ، طلاب حشيت ادمغتهم بالمعلومات والنظريات بل أشخاص لبنانيون متحلون بروح القيادة والمسؤولية ، وبحسب النظام ليتولوا بعد عشرة اشهر الفئة الثالثة من الوظائف الادارية .

هذه الوظائف التي هي في الواقع ركائز الادارة اللبنانية ورئاسات وحداتها ونقاط الانطلاق لرفع المستوى ومضاعفة الانتاج ، وتحصين الوظيفة العامة بالخلق والعلم والسمعة الطيبة .

وكل ذلك للخروج بالوظيفة من أوضاعها القديمة المشتكى منها الى أوضاع جديدة حضارية تنسجم وروح العصر وسرعة تطوره وتقدمه .

واني آمل منكم جميعاً ، ان تفكروا في الوظيفة على ضوء هذه المعطيات .

نحن لا نريد ان تحصلوا فقط على الكفاءات اللازمة والمعارف الصحيحة بل نريد التأكيد على الناحية النفسية والاخلاقية بصورة خاصة .

وان هذه الناحية الاخلاقية هي التي تعطي الصورة الصحيحة عن شخصية الانسان ،

وهي التي تحدد بالنتيجة فشله أو نجاحه .

لقد هيأ لكم المعهد المجالات الواسعة للعمل .

لقد كانت الدورة في الأساس سنتين ، فاختصرت الى عشرة اشهر فقط نظراً لحاجة الادارة الملحة .

غير ان هذا الاختصار لن يكون اطلاقاً على حساب المعرفة واعداد الشخصية .

عليكم انتم ان تقدروا هذا الأمر ، وان تعوضوا بالتالي عن المدة المختصرة بمضاعفة المطالعة، والجهد ، وشدة الانضباط .

عليكم انتم الاثبات في قدرة الانسان ، صاحب الارادة ان يختصر الزمن ،

هنا في هذه الفكرة ، فكرة اختصار الانسان للزمن ، تكمن نواة الاصلاح ، وجهود هذا العصر المعجلة الذي نعيش فيه .

ندوة القانون والانماء الاقتصادي والاجتماعي في بيت مري بتاريخ 9 كانون الأول 1968 :

« خطا القانون خطوات واسعة في التعاون والتفتح والتوسع حيث صار يتناول في عصرنا جميع الطاقات البشرية ولا سيما الطاقات الاجتماعية والاقتصادية .

وبحيث أصبح وهو وليد التطور للسلوك العام والتفكير الجماعي وسيلة لاصلاح هذا السلوك رغبة في بلوغ النمو المنشود .

وكان من جراء ذلك ان التنمية الاجتماعية والاقتصادية سارت بدورها جنباً الى جنب مع القانون وتطوره ، وتوسعه تكمله ويكملها ، ويضاعف في امتدادها ، وضبط هذا الامتداد ، وتنسيقه ، وتوجيهه ، وخلق آفاق وحدود جديدة ترفع المستوى ، وتنظم العمل ، وتزيد في الانتاج وتبعد التخلف والخوف والمغامرات الهوجاء عن كل ثورة او حركة او تجديد ، ونحن عندما جعلنا هذه الندوة على هذا الاسم ، وهي كما تعلمون ندوة دولية ، دون ان تكون ممثلة لحكومات او دول .

كانت غايتنا ان نعلن ، قبل كل شيء ، ان القانون والانماء ولاسيا الانماء الاجتماعي والاقتصادي ، صنوان « لا يمكن ان يفترقا وانه كلما تقدم احدهما في التطور تطور الآخر » .

فالقانون من غير تنمية ، نصوص جامدة تتكدس بعضها على بعض ،وتقيد الانسان بدل ان تحرره او تساعده على التحرر ، وكم من قانون مات يوم تخلف مجتمعه او سبقه هذا المجتمع في تطوره .

ونحن أيضاً يوم حملنا في لبنان هذه « الندوة » ضمن اطار « مجلس الخدمة المدنية » الهيئة التي تتولى شؤون الوظيفة العامة والعاملين في الادارات والمؤسسات العامة ، ومن ثم ضمن « المعهد الوطني للادارة والانماء » الذي يشرف عليه المجلس ويديره ، وهو وحدة من وحداته ، كنا بذلك نشير الى هذه الحقبة القريبة من تاريخ لبنان ، والاصلاح الاداري ، أي الى اوائل عام 1964 » .

افتتاح ندوة الاصلاح الاداري والانماء بتاريخ 18 نيسان 1970 :

« ان الدولة الحديثة اصبحت ملزمة ، في عصرنا الحاضر ، ان تولي موضوع الانماء ، بمعناه الشامل ، القسم الأكبر من طاقاتها وامكاناتها المادية والبشرية - ان لم يكن كامل هذه الطاقات . وهذا صحيح في البلدان النامية ، وفي البلدان المتقدمة على حد سواء . ولا أخالني اعلمكم بجديد اذا قلت ان هناك اتجاهاً دولياً عاماً لتسمية السبعينات المقبلة بسنوات الانماء .

غير ان أمر حصر هذه الطاقات والامكانات ، وتنسيقها ، واستعمالها الاستعمال الأمثل ، وتتبع نتائجها ، وتصحيح وجوه الاستعمال في ضوء الأهداف المقررة ، كل هذا لا يمكن ان يتم الا بواسطة جهاز اداري ذي كفاءة عالية وتنظيم علمي فعال .

من هنا كان ارتباط الانماء بالادارة ارتباطاً عضوياً بين عنصرين اساسيين ، يتوقف نجاح اولهما على نوعية وأهلية الثاني .

ومن هنا أيضاً كانت الضرورة بأن تعني الدولة الحديثة عناية آنية واحدة ببرامجها الانمائية من جهة ، وبجهازها الاداري المولج بهذه البرامج من جهة ثانية ، ليكون دوماً على مستوى الأهداف ، والمسؤولية .

وهذا ، في الحقيقة ، ما حملنا على أن نختار موضوع الاصلاح الاداري والانماء موضوعاً عاماً لهذه الندوة . ورائدنا في ذلك مقارنة الاختبارات المتحصلة في هذا المضمار ، والسعي للافادة المتبادلة من الاختبارات المذكورة .

أما في لبنان ، فإن الدولة وعت ، بصورة خاصة منذ سنة 1959 ، أهمية هذا الأمر ، وخصته بعناية فائقة .

ولقد كان من اولى النتائج التي حرصنا على تحقيقها آنذاك ، انشاء جهاز مركزي للوظيفة العامة ، هو مجلس الخدمة المدنية ، الذي يشرفه ان يستضيفكم اليوم في ربوع لبنان . ومن اهداف المجلس الاساسية ان يؤمن في الادارة اللبنانية اصلاحاً مستمراً ـ اذا جاز التعبير ـ عن طريق تزويدها بالعناصر البشرية الممتازة ، ورعاية هذه العناصر في مختلف مراحل حياتها الوظيفية ، مما يضمن للدولة الاداة النيرة الفاعلة في مجهوداتها الانمائية » .

اقوال الخصوم

برغم التأني الذي يحرص على التقيد به ، وبرغم الهدوء الحقيقي الذي يطبع تصرفاته وربما قراراته ومواقفه ، وبرغم شعاره الذي يقول « ان مراجعة الضمير في لحظة هدوء هي أفضل وسيلة كي يبقى الانسان في خط الاستقامة » ـ برغم هذا كله للشيخ فريد الدحداح خصومات تمتد من الموظفين الى النواب فالوزراء فالسياسيين غير المتقاعدين .

لماذا الخصومات والرجل هادىء وقانوني ؟ .

الخصومات مردها الى وجود الدحداح على رأس مجلس الخدمة المدنية ، حيث الصلاحيات الواسعة والسلطة اللاجمة المافوقها سلطة .

هو يقول : القانون .

وهم يقولون : الضعف .

وبين القولين يمر زيح رفيع هو بين القانون والضعف . اذ ان الادارة اللبنانية التي تحررت من سلطة سياسيين عاديين لتقع في قبضة متسيسين غير عاديين ، نادراً ما تعطي امثال فريد الدحداح فرصة النفاد من شرك التورط ، ولو بالدهاء والحيلة ان لم ينفع سلاح الوعد والاغراء .

خصوم فريد الدحداح هم في الغالبية خصوم الموظف الكبير صاحب الباع الطويل والجاه العريض ، فيكف والموظف المعني واسع الصلاحيات والنفوذ ، كلمته كالقضاء

والقدر . لا ترد ، اذا كان هو لا يريد لها ارتداداً ..

ناهيك بالخصوم الذين يخاصمون عهداً برمته ، ولا يستثنون حتى مجلس الخدمة المدنية ورئيسه القاضي السابق ، المطروح اسمه بين الذين قد تحط الحمامة على كتف واحد منهم وتسلمه الرسالة . . .

وثمة خصوم آخرون لرئيس مجلس الخدمة المدنية : خصوم الاصلاح الاداري ، أي خصوم « حملات » التطهير ، او ما سمي في حينه حمامات الدم غير المراق .

الاصلاح الاداري ؟ .

ما من رئيس جمهورية الا ودخل في هذه التجربة لدى تسلمه سلطاته الدستورية بشارة الخوري ، كميل شمعون ، فؤاد شهاب وشارل حلو . كل من الرؤساء كان له اصلاحه . لكن ، يقولون ان شارل حلو لم يكن قد تسلم عندما جرت مذبحة التطهير باسمه . . . واسم فريد الدحداح وسائر الشهود .

خارج اسوار امبراطورية مجلس الخدمة المدنية ، قليلون جداً هم خصوم الدحداح .

انما هناك بعض التحفظ الذي يرد عندما يذكر اسمه كاحتمال غير بعيد في عداد الذين يرشحونهم لمنصب رئاسة الجمهورية .

وما يردده الناس عن الياس سركيس ، الموظف ، يرددونه ايضاً عن فريد الدحداح ، ويضيفون ان رئيس مجلس الخدمة المدنية قد يضيع في غابة الحكم غير المسؤول الذي يمارسه غير المسؤولين .

عدا ذلك ، لا شيء .

متفقون على ان الرجل انساني وذو ضمير حي ومتشبث بالقانون ، تغلب عليه صفة القاضي في كل اعماله ومقرراته .

بطاقة هوية

ولد فريد الدحداح سنة 1910 في عرمون . وبعدما اتم دروسه الثانوية في كلية القديس يوسف ، التحق بمعهد الحقوق الفرنسي في بيروت ونال الليسانس في الحقوق من جامعة ليون (فرنسا) . متزوج من وداد يارد . له ولدان : سليم (متزوج) وحبيب .

من البلدان التي زارها : الولايات المتحدة وكندا (1963) حيث قام بالاطلاع على النظم الادارية المعمول بها ، ومجالس الخدمة المدنية بصورة خاصة . ثم زار فرنسا وبريطانيا للغاية نفسها (1967) . كما عمل سنة 1968 ، خلال زيارة لفرنسا وايطاليا ، للوصول الى انشاء « مركز التوثيق العالمي » في لبنان بمساهمة منظمة التغذية العالمية التابعة للأمم المتحدة .

يعمل الآن ، بالاتفاق مع بعض المؤسسات الدولية ، على توسيع نشاط معهد الادارة والانماء التابع لمجلس الخدمة المدنية لجعله معهداً لكبار موظفي الدول العربية والافريقية ، كما يعمل على انشاء مدرسة للترجمة .

تقلَّب الشيخ الكسرواني ، الممتد بجذوره العائلية الى عصور الامارة ، في مناصب عديدة في القضاء منذ 1937 حتى وصل الى رئاسة محكمة الاستئناف في جبل لبنان ، ورئاسة المحكمة الادارية الخاصة ، ورئاسة اللجنة العليا الناظرة في قضايا الاستملاك لمصلحة الدفاع الوطني ، وعضوية مجلس القضاء الأعلى ، مروراً بمختلف الرتب القضائية حتى سنة 1959 . يوم عيِّن في عضوية اللجنة المركزية للاصلاح الاداري . ثم اشترك في وضع نصوص المراسيم الاشتراعية ، ونصوص المراسيم التنظيمية كافة . وقد اختاره مجلس الوزراء في تشرين الثاني 1959 رئيساً لمجلس الخدمة المدنية ، ولا يزال .

ذلك بالاضافة الى ما اعطى القضاء اللبناني من اجتهادات ومطالعات واحكام خلال عشرين عاماً ، تعتبر في حد ذاتها مرجعاً كبيراً . وله الكثير من المطالعات والتقارير والتوصيات في القضاء وفي مجلس الخدمة المدنية ، وهي تتناول مرافق الحياة العامة .

وقد كان لاشتراك الشيخ فريد الدحداح طيلة رئاسته لمجلس الخدمة المدنية في جلسات مجالس الوزراء منذ عام 1959 الى اليوم ، بالاضافة الى تجاربه القضائية والادارية ، دور رئيسي في تكوين اعداده السياسي ، وتوسيع اطلاعه على دقائق الأوضاع اللبنانية .

للمؤلف

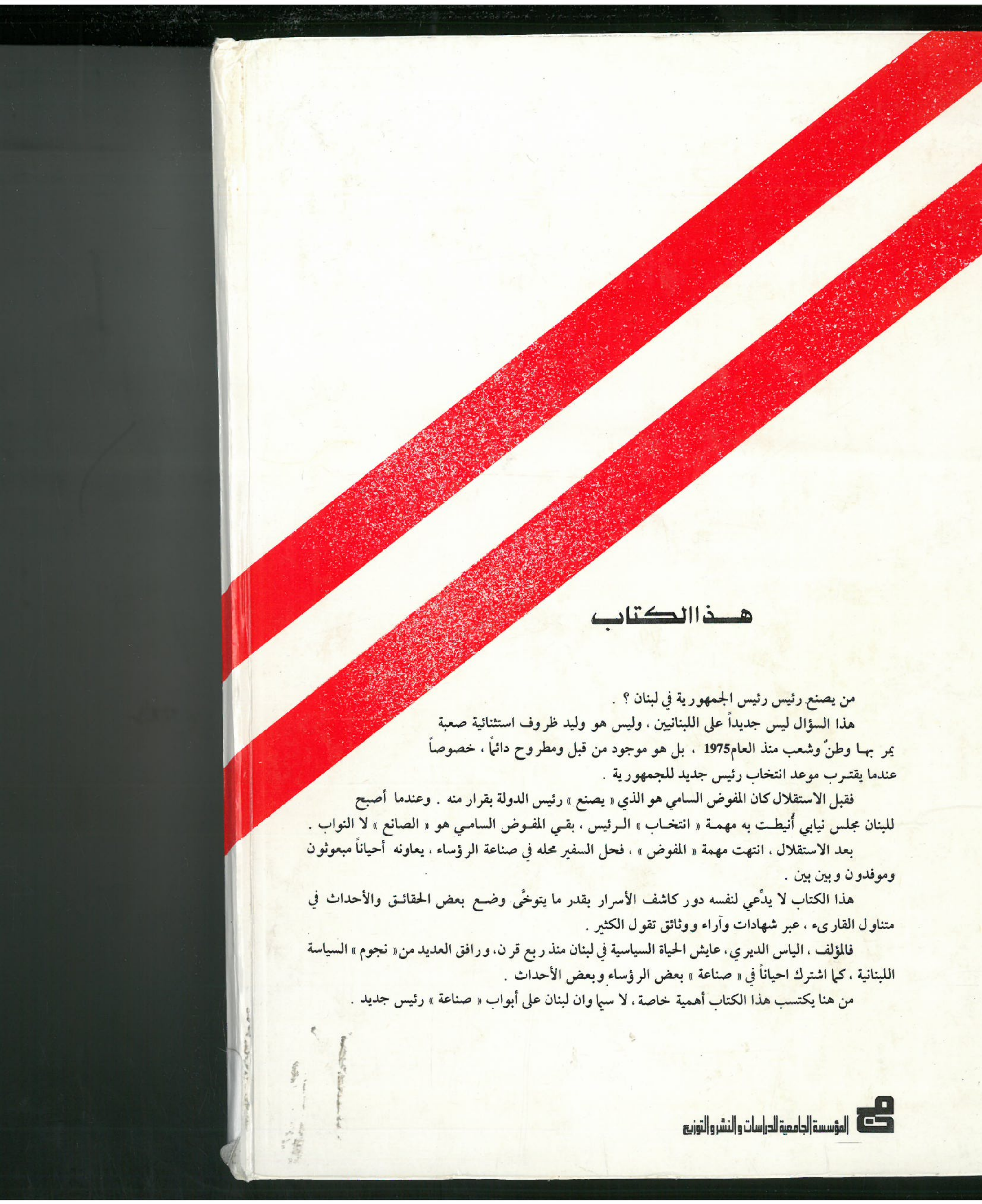
- الرجل الأخير (رواية) 1961
- جدار الصمت (رواية) 1963
- حديث الساعة (كتابات) 1966
- الطريق الى مورينا (رواية) 1969
- الموسوعة السياسية (لبنان 1970) 1970
- الخطأ (قصص) 1971
- تبقى وحيداً وتندم (رواية) 1974
- الفارس القتيل يترجل (رواية) 1979
- عودة الذئب الى العرتوق (رواية) 1982
- من يصنع الرئيس 1982

فهرست

الموضوع	الصفحة



1982 - 5 - 100



هذا الكتاب

من يصنع رئيس رئيس الجمهورية في لبنان ؟ .

هذا السؤال ليس جديداً على اللبنانيين ، وليس هو وليد ظروف استثنائية صعبة يمر بها وطنٌ وشعب منذ العام 1975 ، بل هو موجود من قبل ومطروح دائماً ، خصوصاً عندما يقترب موعد انتخاب رئيس جديد للجمهورية .

فقبل الاستقلال كان المفوض السامي هو الذي « يصنع » رئيس الدولة بقرار منه . وعندما أصبح للبنان مجلس نيابي أُنيطت به مهمة « انتخاب » الرئيس ، بقي المفوض السامي هو « الصانع » لا النواب .

بعد الاستقلال ، انتهت مهمة « المفوض » ، فحل السفير محله في صناعة الرؤساء ، يعاونه أحياناً مبعوثون وموفدون وبين بين .

هذا الكتاب لا يدّعي لنفسه دور كاشف الأسرار بقدر ما يتوخّى وضع بعض الحقائق والأحداث في متناول القارىء ، عبر شهادات وآراء ووثائق تقول الكثير .

فالمؤلف ، الياس الديري ، عايش الحياة السياسية في لبنان منذ ربع قرن ، ورافق العديد من « نجوم » السياسة اللبنانية ، كما اشترك احياناً في « صناعة » بعض الرؤساء وبعض الأحداث .

من هنا يكتسب هذا الكتاب أهمية خاصة ، لا سيما وان لبنان على أبواب « صناعة » رئيس جديد .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع